

مَجَلَّةُ

الْمَجْمَعِ الْعِلْمِيِّ الْعَرَبِيِّ

دمشق



١ كانون الثاني سنة ١٩٥٩ م

٢٠ جادى الآخرة سنة ١٣٧٨ هـ

مجلة  
المجمع العلمي العربي  
دمشق

انشرت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

تصدر أربعة أجزاء في السنة



قيمة الاشتراك السنوي } في جميع البلاد العربية ١٠٠٠ قرش سوري  
وفي سائر الاقطار ١٢٠٠ قرش سوري

تدفع مقدماً

## قصيدة

### منصور النّري في الرشيد

منصور بن الزُّبرقان<sup>(١)</sup> بن سَلَمَة النّمري<sup>(٢)</sup> ، ينسب إلى قبيلة النّحر بن قاسط من ربيعة بن نزار ، من العرب العدنانية . وهو من رأس العين في الجزيرة ؛ وتليذ كلثوم بن عمرو العتّابي وراوته ، عنه أخذ ومن بجره استقى ، معدود من فحول شعراء الدولة العباسية في القرن الثاني . قرّظه العتّابي عند الفضل بن يحيى البرمكي فاستقدمه من الجزيرة إلى بغداد واستصحبه ثم وصله بهرون الرشيد ، فدحه بالمدايح الجياد ونال كثيراً من عطاياه ، وكان يمثّ إلى الرشيد بالخوذة من جهة ثِقَلَة النخبة أم العباس بن عبد المطلب . وتوفي بالرقّة<sup>(٣)</sup> في خلافة الرشيد ( ١٧٠ - ١٩٣ ) .

كان علي بن الجهم يقول : « أنا أشعر من امرئ القيس ، والنّمري أشعر مني<sup>(٤)</sup> » . وأحسن شعره قصيدته العينية التي مدح بها الرشيد ، فهي من أحسن القصائد في الشعر العربي في جميع عصوره . قال ابن المعتز في طبقات الشعراء : « هذه القصيدة عجيبة ، وتشبيها في الشيب لم يقل مثله أحد » . وقال أيضاً : « قد أقام القيامة في تشبيب هذه القصيدة بالشباب » . والنقاد الذين قرظوا هذه القصيدة واستشهدوا بعدد من أبياتها وجعلوها أمثلة في الإحسان كثيرون .

(١) وقيل منصور بن سلمة بن الزُّبرقان . الأغاني ١٤٠/١٣ .

(٢) النسبة إلى النمر بن قاسط نّمري .

(٣) طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٤٤ .

(٤) طبقات الشعراء ص ٤٣٨ .

وهذه القصيدة - على حسنيتها - لا يعرف منها حتى الآن إلا أبيات موزعة في كتب الأدب والتراجم - ولا توجد كاملة إلا في مخطوطة «جمهرة الإسلام ذات النثر والنظام» لأمين الدين أبي الفنائم مسلم بن محمود بن رسلان الشيزري<sup>(١)</sup> . وعدد أبيات هذه القصيدة تسعة وستون بيتاً لا يعرف منها إلا نحو من عشرين بيتاً متفرقة هنا وهناك غير مسلسلة ولا مرتبة ، فلما ظفرنا بها كاملةً بذلنا الجهد في تحقيقها ونشرها ، وتصحيح ما حُرِّف من ألفاظها .

أما مصادر ترجمة منصور النعمري التي أخذنا منها هذه النبذة المختصرة في التعريف به فهي :

طبقات الشعراء لابن المعتز ، طبعة دار المعارف بالقاهرة ص ٢٤٢ - ٢٤٨  
وص ٤٣٨

الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني طبعة دار الكتب المصرية ج ١٣  
ص ١٤٠ - ١٥٧

تاريخ بغداد للخطيب البغدادى ج ١٣ ص ٦٥ - ٦٩  
ونرجو أن نعود الى ترجمة هذا الشاعر وأخباره وما بقي من شعره ونسعين  
بها على كتابة دراسة وافية له في وقت قريب إن شاء الله .

خليل مردوم بك

(١) انظر مقالنا في التعريف بهذه المخطوطة في مجلة المجمع العلمي العربي ٣٣ م ص ٢٣



قال منصور النعمري بمدح هرون الرشيد :

ما تَنْقُضِي حَسْرَةً مِنِّي وَلَا جَزَعُ      إِذَا ذَكَرْتَ شَبَابًا <sup>(١)</sup> لَيْسَ مُرْتَجِعُ <sup>(٢)</sup>  
 بَانَ <sup>(٣)</sup> الشَّبَابُ وفَاتَنِي بِسِرَّتِهِ <sup>(٤)</sup>      صُرُوفُ دَهْرٍ وَأَيَّامُ <sup>(٥)</sup> لَهَا خُدَعُ  
 مَا كُنْتُ أَوْ فِي شَبَابِي كُنْهَ عِزَّتِهِ <sup>(٦)</sup>      حَتَّى انْقَضَى نَازِدَا الدُّنْيَا لَهُ تَبَعُ  
 تَعَجَّبْتُ أَنْ رَأْتُ أَسْرَابَ دَمْعَتِهِ      فِي حَالَةٍ الْخَدِّ أَجْرَاهَا حَشًا وَجِعُ  
 إِنْ كُنْتُ لَمْ تَطْعِمِي مُكْلَ الشَّبَابِ وَلَمْ      تَشْجِي بِمُصْنَتِهِ قَالَمُذُرُ لَا يَقَعُ  
 لَوْ قَدْ لَبِستِ قِنَاعَ الشَّيْبِ كَانَ لَنَا      عُذْرٌ لَدَيْكَ وَرَاحَ اللُّؤْمُ وَالْوَلَعُ <sup>(٧)</sup>  
 أَبْكِي شَبَابًا سُلْبِنَاهُ وَكَانَ وَلَا      تُوفِي بِقِيَمَتِهِ الدُّنْيَا وَمَا تَسْمَعُ  
 مَا كُنْتُ أَوَّلَ مَسْلُوبٍ شَيْئِيَّتَهُ      مَكْسُوسٍ شَيْبٍ فَلَا يَذْهَبُ بِكَ الْجَزَعُ

(١) في الأصل : شباباً .

(٢) في الأصل : ترتجع .

(٣) أودى الشباب . . . . طبقات الشعراء لابن المعنز ص ٢٤٥

(٤) سِرَّةُ الشباب : نشاطه ، وفي الأغاني : بلذته .

(٥) . . . . أَيَّامٌ لَنَا خُدَعُ . ديوان المعاني لأبي هلال العسكري ١٥٣/٢ .

(٦) عِزَّتِهِ ، طبقات الشعراء والأغاني والإعجاز والإيجاز للشعالبي ص ١٦٦

وديوان المعاني .

(٧) وَلَعُ فُلَانٌ بِفُلَانٍ يَوْلَعُ وَلَعًا : إِذَا لَجَّ فِي أَمْرِهِ وَحَرَّصَ عَلَى إِبْدَائِهِ :

تَمْلِكُ أَلْأَسَى <sup>(١)</sup> مِنْ لَدَاتِي <sup>(٢)</sup> فِي رُؤُوسِهِمْ  
لَا تَغْذِلْنِي فَأَنْتِ غَيْرُ كَاذِبِي  
قَدْ كُنْتُ فَيَكُنْ ذَا جَاهٍ وَذَا مِقَّةٍ <sup>(٣)</sup>  
إِنِّي لَمُعْتَرِفٌ مَا فِيَّ مِنْ أَرْبٍ  
مَا وَاجَهَ الشَّيْبَ مِنْ عَيْنٍ وَإِنْ وَمَقَتْ <sup>(٤)</sup>  
قَدْ كَدْتُ تَقْضِي عَلَى قَوْتِ الشَّبَابِ أَسَى  
لَا بَلَّ بَقَاءُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لَنَا  
إِنْ أَخْلَفَ الْغَيْثُ لَمْ يُخْلِفْ نَحَائِلَهُ <sup>(٥)</sup>  
إِنَّ الْخَلِيفَةَ هُرُونُ الَّذِي أَمْتَلَأَتْ

عَمَائِمُ الشَّيْبِ مُنْجَابٌ <sup>(٦)</sup> لَهَا الْعَلَمُ  
عَمَكَ الْكَذُوبُ <sup>(٧)</sup> وَلَا فِي وَدِّكُمْ طَمَعُ  
أَيَّامُ عُصْنِ شَبَابِي كَيْنُ تَرَعُ <sup>(٨)</sup>  
لِلْفَانِيَاتِ فَمَا لِلنَفْسِ تَنْغَدُ  
إِلَّا لَهَا نَبْوَةٌ عَنْهُ وَمُرْتَدَعُ <sup>(٩)</sup>  
لَوْلَا تَعَزُّيكَ أَنْ أَلْعِشَ مُنْقَطِعُ  
فِيهِ الْغَنَى وَحَيَاةُ الدِّينِ وَالرَّفْعُ  
أَوْ ضَاقَ أَمْرُ ذِكْرَنَاهُ فَيَتَّسِعُ  
مِنْهُ الْقُلُوبُ رَجَاءُ تَحْتَهُ فَرْعُ

(١) الأُسى : واللامى : جمع أسوة وهي القدوة وما يتعزى به الحزين .

(٢) اللدات : جمع لدة وهو التئرب الذي ولد معك وترعى .

(٣) النجاب : انشق وانكشف .

(٤) الكذوب : النفس لأنها تحدث الإنسان بالأمر التي لا يبلغها وسمعه . وفي الأصل :

اللدوب وهو من سهو الناسخ .

(٥) المقة : المحبة .

(٦) الترع : الفص . يقال عشب ترع إذا كان غصاً (الناج) .

(٧) ومقت : أحببت .

(٨) في الأصل : ومرتجع ، والنصحيج من أمالي القالي ١١٢/١ وحامسة ابن الشجري

ص ٢٣٩ .

(٩) الخبايل من السحب : المنذرة بالمطر . أنامله : العمدة ١١٠/٢ .

مَفْرُوضَةً فِي رِقَابِ النَّاسِ طَاعَتُهُ  
 أَيُّ أَمْرِيهِ<sup>(٢)</sup> بَاتَ مِنْ هُرُونٍ فِي سَخَطِ  
 أَثْنِي عَلَى اللَّهِ إِحْسَانًا وَأَشْكُرُهُ  
 أَصْفَيْتُ وَدَّيْ لِهُرُونٍ وَشِيعَتِهِ  
 لَمَّا أَخَذْتُ بِكَفِّي حَبْلٌ<sup>(٤)</sup> طَاعَتِهِ  
 هُوَ الْإِمَامُ الَّذِي طَابَ الْجِهَادُ بِهِ  
 حِصْنٌ بَنَتْهُ يَمِينُ اللَّهِ يَسْكُنُهُ أَلَا  
 يَقْرِي الْعَدُوَّ وَالنَّايَا وَالْعَفَاةَ نَدَى  
 صَبَّ إِلَى اللَّهِ زَوَارُ لِكَمْتَيْهِ  
 لَا يَجْنُلُ الْبُعْدَ مِنْ دَارٍ وَلَا وَطَنٍ  
 عَزَافَةٌ<sup>(٦)</sup> النَّفْسِ لَا يَلْوِي عَلَى دَعَا

عَاصِيهِ مِنْ رِبْقَةِ الْإِسْلَامِ مُنْقَطِعُ<sup>(١)</sup>  
 فَلَيْسَ بِالصَّلَوَاتِ الْخَنَسِ يَفْتَحُ  
 أَنْ لَيْسَ لِي عَنْ وَلِيٍّ أَلَامٌ مُنْقَطِعُ<sup>(٣)</sup>  
 لَمَّا تَفَرَّقَتِ الْأَحْزَابُ وَالشَّيْعُ  
 أُيَقِنْتُ أَنِّي مِنَ الْأَحْدَاثِ مُنْتَجِعُ  
 وَالْحُجَّ لِلنَّاسِ وَالْأَعْيَادُ وَالْجَمْعُ  
 إِسْلَامُ صَعْبُ الْمَرَاقِي لَيْسَ يُطْلَعُ  
 مِنْ كُلِّ ذَاكَ الذَّنْدَى<sup>(٥)</sup> أَحْوَاضُهُ قَرِيعُ  
 فِي كُلِّ عَامٍ وَإِنْ زَوَّارُهَا شَسَعُوا  
 إِذَا سَرَى بِوُفُودِ اللَّهِ وَاتَّبَعُوا  
 وَقَدْ يَرَى خَفَضَ مَنْ يَلْهُو وَيَتَدَعُ<sup>(٧)</sup>

(١) كذا ولعل الصواب مُنْتَخِلِعُ .

(٢) من لم يكن بأمين الله معتصماً . فليس . . . . . العدد ٢ / ١١٠ .

(٣) كذا ولعل الصواب مُنْتَجِعُ .

(٤) في الأصل : جُلُّ طَاعَتِهِ .

(٥) القِرَى . ديوان المعاني لأبي هلال العسكري ١ / ٥٩ .

(٦) في الأصل : عَرَافَةٌ .

(٧) يَتَدَعُ : يسكن الى الدعة والخفض والراحة . وفي الأصل : يبتدع . وهو تجرئف .

بِرَّ بِمَكَّةَ لَمْ يُجْتَمِعْ إِلَى بَلَدٍ      إِلَّا تَحَرَّقَ <sup>(١)</sup> فِيهِ الرَّيُّ وَالشَّبَعُ  
 تَرَاهِي بِهِ عَرَافَاتٌ <sup>(٢)</sup> حِينَ يَنْزِلُهَا      وَالْمَشْعَرَانِ <sup>(٣)</sup> وَتَأْسَى حِينَ يَنْدَفِعُ  
 تِلْكَ الْمَنَازِلُ إِنْ غَبَّتْ زِيَارَتُهُ      حَذَتْ كَمَا يَسْتَحِقُّ الْوَالِدُ النُّزْعُ  
 يَقْظَانُ لَا يَتَمَآيَا بِالْخُطُوبِ إِذَا      نَابَتْ وَلَا يَمْتَرِيهِ الضَّيْقُ وَالزَّمْعُ <sup>(٤)</sup>  
 مُسْتَحْكِمُ الرَّأْيِ مُسْتَفْنٍ بِوَحْدَتِهِ      عَنِ الرِّجَالِ بِرَيْبِ الدَّهْرِ مُضْطَلِعُ  
 لَا يَمْلِكُ الْبُخْلُ مِنْ هَرُونَ أُنْمَلُهُ <sup>(٥)</sup>      وَالْجُودُ يَمْلِكُهُ وَالْمَالُ يُنْتَزَعُ  
 إِذَا بَلَّغْنَا جَمَالَ <sup>(٦)</sup> الدِّينِ لَمْ تَرَنَا      لِلْحَادِثَاتِ بِحَمْدِ اللَّهِ تَخْتَشِعُ  
 أَدَى إِلَيْكَ مَطَايَاَنَا وَأَرْحَلُنَا <sup>(٧)</sup>      تَقَافُ السَّيْرِ إِنْ الْخَيْرَ مُتَّبِعُ  
 مِنْ كُلِّ سَنَحٍ الْخَطَى أَوْ كُلِّ يَمَلَةٍ <sup>(٨)</sup>      خُرْطُومُهَا بِاللَّامِ الْجَمْعُ مُلْتَفِعُ

(١) تَحَرَّقَ : نوسع .

(٢) عَرَافَاتُ : موقف الحاج على اثني عشر ميلاً من مكة . وأراد بالمشعرين : المشعر الحرام وهو مزدلفة وجمع وهو من مناسك الحج .

(٣) الزَّمْعُ : الدهش .

(٤) كَذَا وَلَعَلَّهَا أُنْمَلَةُ لِأَنَّ جَمْعَ أُنْمَلَةٍ أَتَمَلُ وَأُنْمَلَاتُ لَا أُنْمَلُ .

(٥) إِذَا بَلَّغْنَا جَمَالَ الْأَرْضِ . . . . دِيوان الماعاني ١ / ٥٩ .

(٦) فِي الْأَصْلِ : وَأَرْجَلُنَا وَهُوَ تَجْرِيفُ .

(٧) الْيَعْمَلَةُ : النَافَةُ النَجِيبة .

رَكِبَ مِنَ النَّعْرِ<sup>(١)</sup> غَاذُوا بِابْنِ عَمَّتِهِمْ<sup>(٢)</sup> مِنْ هَانِمٍ حِينَ لَجَّ الْأَزْلَمُ الْجَذْعُ<sup>(٣)</sup>  
 مَتَّوْا إِلَيْكَ بِقُرْبَى مِنْكَ تَعْرِضُهَا<sup>(٤)</sup> لَهُمْ بِهَا فِي سَنَامِ الْمَجْدِ مُطْلَعُ  
 قَوْمٌ هُمْ وَلَدُوا الْعَبَّاسَ وَالِدَكُمُ وَأَنْتَ بَرٌّ وَعِنْدَ الْمَرْءِ مُضْطَمَعُ  
 بُيُوشِي<sup>(٥)</sup> الْأُمُيُونَ إِذَا هَرُونُ وَاجِبَهَا نُورٌ تَكَادُ لَهُ الْأَبْصَارُ تَأْتِمَعُ<sup>(٦)</sup>  
 مُبَاشِرٌ لِأُمُورِ الْمُلْكِ مُبْتَدِلٌ<sup>(٧)</sup> فِيهَا قَوِيحَةٌ رَأْيٍ مَا بِهِ طَبَعُ<sup>(٨)</sup>  
 تَهْدِيهِ فِي ظُلُمَاتِ الرَّأْيِ تَجْرِبُهُ<sup>(٩)</sup> عَيْنٌ مِنَ الْحَزْمِ مَا فِي مَا قِهَا قَتَعَ<sup>(١٠)</sup>  
 إِنَّ الْمَكَارِمَ وَالْمَعْرُوفَ أَوْدِيَةً أَحْلَكَ اللَّهُ مِنْهَا حَيْثُ تَجْتَمِعُ<sup>(١١)</sup>

(١) النعير : قبيلة الشاعر ونسكين الميم للضرورة .

(٢) يشير بذلك إلى أن أم العباس بن عبد المطلب جد بني العباس كانت غريبة واسمها

نَقِيلَةُ النعمرية ( طبقات الشعراء ص ٢٤٤ ) .

(٣) الأزلم الجذع : الدهر الشديد الكثير البلبا .

(٤) كذا ولعلها ( تعرضها ) أي توجبها وتقدرها أو ( تعرفها ) .

(٥) في الأصل : بغشى .

(٦) تلتمع : تذهب .

(٧) كذا ولعلها مُبْتَدِلٌ .

(٨) الطَّبَعُ : الشين والعيب والكسل .

(٩) كذا ولعلها تَجْرِبُهُ أي تشدد عليه والضمير راجع الى ظلمات الرأي .

(١٠) الْقَتَعَ : فساد في موق العين وقلة النظر عمشا .

(١١) تنسج ، الأغاني .

إِذَا رَفَعْتَ أَمْرًا فَلِلَّهِ يَرْفَعُهُ (١)  
 نَفْسِي فِدَاؤُكَ وَالْأَبْطَالُ مُمْلَكَةٌ  
 كَمْ ضَرْبَةٍ لَكَ تَحْكِي فَا (٢) قُرَاسِيَّة (٣)  
 أَوْ طَلْعَةٍ تَهْذَتُ حَتَّى يَبْدَأَ وَصْحُ  
 يَارُبِّ قِرْنٍ تَخْطِئُ الْخُتُوفَ إِلَى  
 كَمْ شِدَّةٍ لَكَ لَوْ كَانَتْ عَلَى جَبَلٍ  
 لَيْلٌ مِنَ النَّعْمِ لَا تَجْمُ وَلَا قَمَرٌ  
 أَلْقَى بَنُو (٤) الْأَصْفَرِ الْأَذْقَانِ وَاشْتَمَلُوا  
 وَمَنْ وَضَعَتْ مِنَ الْأَقْوَامِ يَتَضَعُ (٥)  
 يَوْمَ الْوَعَى وَالْمَنَابَا (٦) بَيْنَهُمْ قُرْعُ  
 مِنَ الْمَصَاعِبِ فِي أَشْدَاقِهَا شَمْعُ  
 مِنَ السَّنَنِ وَرَاءَ الْمَتْنِ مُذَرَّعُ (٧)  
 حَوَاتِمُهُ (٨) وَعَجَاجُ الْمَوْتِ يَرْفَعُ  
 لَأَنْهَدَ مِنْ رَزْنِهَا (٩) أَوْ كَاذَ يَنْقَلِبُ  
 إِلَّا جَبِينُكَ وَالْمَذْرُوبَةُ الشَّرْعُ (١٠)  
 ذُلُّ الْخُنُوعِ وَكَانُوا قَطُّ مَا خَمَعُوا

(١) رافعه . العمدة .

(٢) مُتَضَعٌ ، الأغانى وتاريخ بغداد والعمدة .

(٣) في الأغانى : « والمنابا صاحبها فزع » ؟

(٤) أي تشبه فم قراسية .

(٥) في الأصل « قُرَاشِيَّة » وهو تحريف والصواب ما أثبتناه والقراسية : الضخم الشديد

من الإبريل ، والمصاعب : جمع مُصْعَب وهو الفحل .

(٦) في الأصل : مُذَرَّعُ والصواب ما أثبتناه . يقال : اذَّرَعَ ذراعيه من الجبة : أخرجهما .

(٧) الحوياء : النفس .

(٨) المراد بالوزن : الثقل ، يقال رَزَنَهُ رَزْنًا : رفعه لينظر ما ثقله .

(٩) في الأصل : الشَّرْعُ . وهو تحريف . والمذروبة الشرع : الأئمة المشرعة .

(١٠) بنو الأصفر : الروم .

وَالَيْتَ حَوْلًا<sup>(١)</sup> مُفَارًا فِي بِلَادِهِمْ  
لَمَّا أَنَاخَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِهِمْ  
خَاضَتْ إِلَيْهِمْ خَابِجَ الْبَحْرِ هَيْبَتُهُ  
عَاذُوا بِسَبْعَةِ حِيطَانٍ فَسَوَّرَهَا  
حُكْمُ الْخَلِيفَةِ هُرُونٍ يُذَكِّرُنَا  
مَشَابِهَ مَنْ نَبِيٍّ اللَّهُ تَنَزَّعَهُ<sup>(٢)</sup>  
وَمِنْ إِمَامٍ الْهُدَى الْمَنُصُورِ بِأَحَقُّهُ  
وَتُسَبِّهُ الْقَائِمَ الْمَهْدِيَّ مَرَّحَةً  
وَمَا أَخْلَ وَصِيُّ الْأَوْصِيَاءِ بِهِ  
دُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ أَصْطَنَعَتْ  
يَا بْنَ الْأَئِمَّةِ مِنْ بَعْدِ النَّبِيِّ وَيَا بْنَ  
وَالْمَنَابِيَا سَحَابٌ لَيْسَ يَنْفَشُ  
وَالْحَنَيْلُ عَابِسَةٌ وَالْمَوْتُ مُكْتَنِعٌ<sup>(٣)</sup>  
فَاذْعَنُوا بِأَدَاءِ الْخَرْجِ وَأَنْتَجِبُوا  
جُنْدٌ مِنَ الرُّعْبِ لَمَّا نَالَهُمْ خَضَمُوا  
أَحْكَامَ أَحْمَدَ بْنِ أَخْلَاقِهِ جُمِعَ  
إِلَى الْمَحَاسِنِ وَالْأَشْبَاهُ تُنْتَزَعُ  
قَهْرُ الْأُمُورِ وَحَزْمٌ حِينَ يَقْتَرِعُ  
مِنْهُ وَتَجَرُّ نَوَالٍ حِينَ يُنْتَجِعُ  
مُحَمَّدُ بْنُ<sup>(٤)</sup> عَلِيٍّ نُورُهُ الصَّدِيعُ  
فَالْحَقُّ مَا نَطَقُوا وَالْحَقُّ مَا سَرَعُوا  
يَا بْنَ الْأَوْصِيَاءِ أَقْرَأَ النَّاسُ أَمْ<sup>(٥)</sup> دَفَعُوا

(١) في الأصل : جولاً معاراً .

(٢) مكتنع : حاضراً دافعاً .

(٣) تَزَعَّ الولد أباه وإلى أبيه : أشبهه .

(٤) محمد بن علي : هو والد السفاح والمنصور .

(٥) في الأصل : « أد » واختارنا رواية طبقات الشمراني .

إِنَّ الْخِلَافَةَ كَانَتْ إِذْثَ وَالِدِكُمْ مِنْ دُونِ تَيْمٍ <sup>(١)</sup> وَعَفَوُ اللَّهِ مُتَّسِعٌ <sup>(٢)</sup>  
 لَوْلَا عَدِيٌّ <sup>(٣)</sup> وَتَيْمٌ لَمْ تَكُنْ وَصَلَتْ إِلَى أُمِّيَّةٍ تَمْرِهَا <sup>(٤)</sup> وَتَوْتَضِعُ  
 تِسْعِينَ عَامًا إِلَى عَشْرِ مُحَرَّمَةٍ <sup>(٥)</sup> مِنْ السَّيْنِ وَأَنْفُ الْحَقِّ مُجْتَدِعُ  
 وَمَا لِأَلٍ عَلَيَّ فِي إِمَارَتِكُمْ حَقٌّ وَمَا لَكُمْ فِي إِرْثِكُمْ طَمَعُ  
 يَا أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَغْرُبْ عَفْوُكُمْ وَلَا تُضْفِكُمْ إِلَى اكْتِنَافِهَا أَلْبَدُ  
 أَلَعَمْ أَوْ لِي مِنْ أَبْنٍ أَلَعَمْ فَاسْتَمِعُوا قَوْلَ <sup>(٦)</sup> النَّصِيحِ فَإِنَّ الْحَقَّ يُسْتَمَعُ

قال أبو العباس <sup>(٧)</sup> : هذه القصيدة من نادر شعره ، وصيد مدحه ، وفيها  
 أشياء فحن ذاكرها إن شاء الله ، ومنهون على ما فيها ، ومفسرون ذلك أجمع .  
 أما ما ذكره فيها من البكاء ، فكلام متقدم لا يعرف لحدث مثله ،  
 من ذلك قوله :

ما تنفسي حسرة [مني ولا جزع] إذا ذكرتُ شبابًا لبس يرتجعُ [

- (١) بنو تيم بن 'مرّة' : من قريش منهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه .
- (٢) في الأصل : « بنسج » واخترنا رواية طبقات الشعراء وموضع هذا البيت في الطبقات بعد الذي يليه هنا .
- (٣) بنو عدي بن كعب : من قريش منهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه .
- (٤) مَرَى الناقة : مسح ضرعها لئلا .
- (٥) في الأصل : « محرمة » والصواب ما أثبتناه . ومعنى المحرمة : التامة .
- (٦) في الأصل : « قول النصيحة إنَّ الحقَّ مُسْتَمَعٌ » واخترنا رواية طبقات الشعراء .
- (٧) لعله عبد الله بن المعتز فقد كان بكني بأبي العباس .



وقوله :

ما كنت أوفي شبابي [كنه عزته حتى انقضى فإذا الدنيا له تبع]

وقوله :

إن كنت لم تطعمي [نكل الشباب ولم تشجي بعفته فاعذر لا بقم]  
معنى هذا البيت : أفي وإن اعتذرت من جزعي عليه ، ووصفت الرزقة فأسببت  
وأطببت ، فغير بالغ حقيقة وصفه ، وإنما يفهم منه مثل ما فهمت ، من بلي  
بمثل ما بليت ، فكأنه شيء لا يعرف حقيقته إلا من شاهده ، دون من وصف له .  
وعما يستحسن من خروجه قوله :

قد كدت تقضي على فوت الشباب [أمي] لولا تمزيك أن العيش منقطع  
يقول : إن الناس ماضون ، فلما خارجون عن الشباب من السن ثم الموت ،  
وإما ميتون قبل ذلك .  
وقوله : لولا تمزيك أن العيش منقطع <sup>(١)</sup> .  
وخروجه أيضاً :

لا بل بقاء أمير المؤمنين لنا فيه النفي وحياة الدين والرفق  
الرفق : جمع رقة .  
وقوله : يمين الله <sup>(٢)</sup> : قوة الله وكذلك قيل في تفسير هذه الآية « والسماوات  
مطويات بيمينه » .

انتهى من « الجهرة »

(١) كذا ولعل هذا السطر زائد .

(٢) في قوله :

حسن بئته يمين الله يسكنه //

إسلام صب المراتي ليس يُطْلَعُ

## أسماء الشهور في العربية<sup>(١)</sup>

كثيراً ما نساءل الذين يؤرخون بالتأريخ الميلادي ، عن حقيقة أسماء الشهور التي نستخدم في الأقطار العربية الشرقية ، وأسماء الشهور التي نستخدم في الأقطار العربية الإفريقية . وكثيراً ما نساءلوا عن أيها أصلح للبقاء . وهذا الموضوع واسع ربما ملأ كتاباً برأسه . وانني أخلصه بالكلمات التالية ، وأنها برأيي في جواب ما سأل السائل عنه .

### أسماء الشهور العربية :

كان أجدادنا العرب الأقدمون ، سواء في جنوب جزيرة العرب أو في شمالها ، قبل الميلاد وبمده ، يستخدمون للشهور أسماء شتى منها ( ذو حجتين وذو تمع وذو برم الخ . ) في الجنوب ، ومنها ( المؤمّر وفاجر وخوّاف وصوان الخ ) في الشمال . وقد دثرت هذه الأسماء وأشباهها .

ولم تمش إلا أسماء الشهور العربية التي كانت شائعة عند عرب الحجاز خاصة قبيل ظهور الإسلام فاستعملها المسلمون في التأريخ الهجري وهي : ( المحرم وصفر وربيع الأول وربيع الآخر الخ ) وكلها اليوم معروفة وشائعة في جميع البلاد العربية والإسلامية . وهي خارجة عن نطاق بحثنا هذا .

### أسماء الشهور السامية الأصول :

من المعلوم أن السنة الهجرية هي سنة قمرية ، وأن الفصول لا تثبت إلا في السنة الشمسية . فعندما شملت الفتوحات الإسلامية الشام والعراق مست الحاجة ،

---

(١) سألت وزارة التربية والتعليم عن رأي الجمع في موضوع أسماء الشهور السامية الأصول ، وأسماء الشهور اللاتينية النجارية التي تستعمل في التأريخ الميلادي ، فوضع الأمير مصطفى الشهابي هذا البحث ووافق الجمع عليه .

في الأعمال الزراعية خاصة ، الى استعمال أسماء شهور تسائر التقويم الشمسي ، فاقترنت الأسماء التي كان يستعملها السريان والكلدان وغيرهم من الأقوام السامية وهي : كانون الثاني وشباط وآذار ونيسان وأيار وحزيران وتموز وآب وأيلول وتشرين الأول وتشرين الثاني وكانون الأول .

وعندما نقلت كتب الفلك والزراعة وغيرها من اليونانية ومن السريانية الى العربية استعملت فيها أسماء الشهور المذكورة ، ثم عمّ استعمالها الكتب التي ألفها القدماء فصار المرء يراها حتى في كتب الأدب وفي الآيات الشعرية . وسكان البلاد العربية الآسيوية لا يعرفون اليوم غيرها . وهي قائمة على السنتهم وفي كتبهم .

وهذه الأسماء ليست عربية . وقد سميتها الأمهات من معجاناتنا أسماء رومية . والصحيح أنها أسماء سريانية ، وأنها تمت الى أصول سامية قديمة ، وأن كثيراً منها اشتهرت فيها الآرامية والسريانية والعبرية وغيرها . والبحث في أصل كل اسم من هذه الأسماء طويل . وكذلك البحث في التقويم وفي بدء السنة لدى الأقوام القديمة المذكورة وغيرها .

### أسماء الشهور اللاتينية في البلاد العربية الأفريقية :

ليست أسماء الشهور اللاتينية النجار مقتبسة من الفرنسية أو الانكليزية على ما ظنه صاحب الاقتراح ، بل هي قديمة اقتبسها العرب في الأندلس من أعجمية سكانها أي من اللهجة الأندلسية للغة قشتالة القديمة وهي لغة متحدرة من اللاتينية . ثم عمّ استعمال تلك الألفاظ الأقطار العربية الإفريقية لصلات الأقطار المذكورة بالشعوب اللاتينية ، وبعدها بومذاك عن الشرق العربي الذي ظل مقتصرأ على استعمال أسماء الشهور السامية أي كانون الثاني وشباط وآذار الخ .

وقد وردت أسماء الشهور اللاتينية في كتب زراعية أندلسية ومغربية قديمة ، وذكرها المسعودي ( ٣٤٦ هـ ) في ( مروج الذهب ) ، والبيروني ( ٤٤٠ هـ ) في ( الآثار الباقية عن القرون الخالية ) فقال نقلاً عن غيره : إن المغاربة يسمون الشهور بالأسماء الآتية : ( مايه ، بونيه ، يوليه ، أغست ، سبتمبر ، أكتوبر ، نوفمبر ، دخبير ، يناير ، فبراير ، مرمه ، ابريز ) . وقال : أما الروم فأسماء شهورهم ( بنواريوس ، فبرايريوس ، مرطيوس ، افريليوس ، مايوس ، يونيو ، يوليوس ، أغسطس ، سبتمبريوس ، طمبريوس ، نوابريوس ، دمبريوس ) .  
ويمن ذكروا أسماء الشهور اللاتينية الأصل القلقشندي ( ٨٢١ هـ ) في ( صبح الأعشى ) وسماها شهور الروم ، وبدأها بنشرين الأول وهي : ( أكتوبر ، نوفمبر ( وكذلك نوفمبر ) ، دجنبر ، يناير ، فبراير ، مارس ، أبريل ، مايه ، بونيه ، يوليه ، أغست ، سبتمبر ، ( وكذلك سبتمبر ) .

وينضح من ذلك أن العربية اقتبست من القديم في الأندلس والمغرب أسماء الشهور اللاتينية مثلاً اقتبستها الفرنسية والإسبانية والبرتغالية والإيطالية وغيرها من اللغات . أما الأسماء اللاتينية التي تستعمل اليوم في مصر فهي أحدث تعريباً ، وقد اختلف في نطقها عن الأسماء المغربية القديمة على ما هو واضح .  
وهاكم الأصول اللاتينية للأسماء المعربة التي تستعمل اليوم في الأقاليم المصري :  
الاسم العرب

في مصر	الأصل اللاتيني	الملاحظات
يناير	Januārius	حرف ز ( ج ) الفرنسي والانكليزي حديث وهو بلفظ باء باللاتينية .
فبراير	Febrārius	وهو Februārius باللاتينية الكلاسيكية .
مارس	Martius	وهو Marzo بالإيطالية والإسبانية
	Mars	و Mars بالفرنسية .

الأصل اللاتيني	اللاحظات	الاسم العرب في مصر
Aprilis	وهو Aprile باللاتينية وAbril بالإسبانية .	أبريل
Majus	حرف ج بلفظ باء . وهو باللاتينية Mayo .	مايو « وكذلك مايه »
Junius	حرف ج بلفظ باء . وهو بالبرتغالية Junho .	يونيو « وكذلك يونيه »
Julius	على اسم يوليوس قيصر لأنه ولد في هذا الشهر .	يوليو « وكذلك يوليه »
Agustus	باللاتينية الشائعة و Augustus باللاتينية الكلاسيكية .	أغسطس
September	الشهر السابع لأن السنة الرومانية كانت تبدأ في مارس .	سبتمبر
October	الشهر الثامن Octo أي ثمانية لأن السنة الرومانية كانت تبدأ في مارس .	أكتوبر
November	الشهر التاسع لأن السنة الرومانية كانت تبدأ في مارس .	نوفمبر
December	الشهر العاشر ( Decem أي عشرة ) لأن السنة الرومانية كانت تبدأ في مارس .	ديسمبر

### الخلاصة :

يتضح مما مر ذكره أن أسماء الشهور المستعملة في الأقطار العربية في التاريخ المسيحي كلها غير عربية ، تستوي في ذلك الأسماء السامية الأصول والأسماء اللاتينية الأصل . ولكنها جميعاً معرّبات قديمة دخلت في العربية وأصبح لها حكم الكلمات العربية الصحيحة .

ومن المعلوم أن الأولى (كانون الثاني ، شباط ، آذار الخ .) هي أقدم تعريباً ، وأعم وروداً ، وألصق بترائنا العلمي والأدبي القديم من الثانية .  
فجميع الكتب التي ترجمها أو ألفها علماؤنا وأدباؤنا القدماء في الشرق العربي لا تذكر غير تلك الأسماء الشرقية . وقد ذكرت أيضاً إلى جانب الشهور القبطية ( طوبة ، أمشير ، برمهاث الخ .) في كتب ألفت في مصر في زمن الفاطميين والأيوبيين ككتاب قوانين الدواوين لابن مَمَّاتِي وغيره .

ومعها يمكن الاضطرار في الماضي للعالم العربي في أيامنا هذه فربقان : فربق في جزيرة العرب والشام والعراق لا يعرف ولا يستعمل في التاريخ الميلادي إلا الشهور السامية الأصول ، وفربق في الأقطار العربية الإفريقية لا يستعمل إلا أسماء الشهور التي هي من أصل لاتيني . ومن أشق الأمور حمل أحد هذين الفريقين على إهمال ما ألف استعماله من الأسماء .

ولا أرى من الحكمة ، في الجمهورية العربية المتحدة على الأقل ، أن تنجح الحكومة في أعمالها الرسمية إلى ترجيح أحد النوعين من الأسماء على النوع الآخر فتكتفي بواحد وتهمل الثاني . بل أرى أن فكرة توحيد الثقافة في الأقطار العربية كافة تقتضينا استعمال النوعين من الأسماء المذكورة في المراسلات الرسمية والتدريس الرسمي والإذاعات والكتب والمجلات والجرائد التي للحكومة سلطة عليها . فإذا أرخت إحدى الوزارات في سورية مثلاً رسالة في بنسان تضع إلى جانبها كلمة (أبريل) بين حاصرتين . والعكس بالعكس عندما تصدر إحدى الوزارات في مصر رسالة من رسائلها ، حتى لو كانت تلك الرسالة مختصة بالإقليم الجنوبي دون الشمالي .

وأرى أنه لا يجوز في القوانين خاصة إلا ذكر الاسمين لكي لا يستغلق التاريخ على أحد من أبناء الإقليمين في الجمهورية . ولعله من المفيد إحالة

الموضوع على المراجع العليا لكي تنظر في أمر إصدار قرار جمهوري يحتم على الوزارات والمؤسسات الحكومية استعمال اسم الشهر الشرقي واسم الشهر الغربي جميعاً في التاريخ الميلادي ، بحيث يذكر في الإقليم الشمالي الاسم الشرقي مضافاً إليه الاسم الغربي بين حاصرتين ، وبذكر في الإقليم الجنوبي الاسم الغربي مضافاً إليه الاسم الشرقي بين حاصرتين وهكذا .

وربما كان من الوسائل الناجمة إصدار تعليمات الى محطات الإذاعة في الجمهورية خاصة بأن تستعمل التسميتين ، على غرار ما تفعل بعض المحطات الأجنبية للإذاعة . ومن المعلوم أن أسماء الشهور العربية في التاريخ الهجري هي مشتركة بعرفها ويستعملها أبناء جميع الأقطار العربية . وهي خارجة عن نطاق هذا البحث على ما مرّ ذكره .

مصطفى الشهابي

## العلاقات الجوهرية (\*)

بين اللغتين العربية والآرامية « السريانية »  
في النواحي التاريخية والفنية واللغوية والأدبية

- ٢ -

وهنا يجدر بنا الإلماع الى اللهجتين الآراميتين الكبيرتين ، واللهجات المتفرعة  
عنها ، واليك ذلك :

### ١ - اللهجة الشرقية :

إن اللهجة الآرامية الشرقية هي اللهجة الفصحى النقية التي انتشرت يوماً ما  
في بلاد بابل ، وما جاورها من الأمصار ، وفيها نزل جانب من سفر النبي دانيال  
وغيره من أسفار العهد القديم <sup>(١)</sup> . وهي عينها التي تعلمها اليهود في السبي أيام  
نبوخذنصر ق م . بسبعة قرون ، واستعملوها كذلك بعد رجوعهم من الجلاء <sup>(٢)</sup> .  
إلا أن هذه اللهجة عينها تفرعت الى لهجتين متباينتين : الأولى ، وهي  
الفصحى ، وكانت لغة الخاصة ، والثانية ، وهي لغة العامة ، وتمازجها ألفاظ  
واصطلاحات غريبة كثيرة <sup>(٣)</sup> .

ويجوز ان الكتاب المقدس هذه اللهجة عامة (آرامية) <sup>(٤)</sup> . وصاحها ربانيو اليهود  
(سريانية) <sup>(٥)</sup> . ودعاها العهد الجديد (العبرانية) <sup>(٦)</sup> .

---

(\*) انظر القسم الأول من هذا المقال في ص ٥٦٨ - ٥٨٧ من المجلد السابق  
( ٣٣ ) من هذه المجلة .

(١) القصة الشبية ص ٥١ .

(٢) فيه أيضاً .

(٣) تاريخ شوب الشرق القديم لسبيرو ص ٧٧٥ .

(٤) سفر الملوك الثاني ١٨ ، ٢٦ وسفر أشعيا ٣٦ ، ١١ وسفر عزرا ٤ ، ٦ و ٧ .

وسفر دانيال ٢ ، ٤ .

(٥) القصة الشبية ص ٥١ .

(٦) القصة الشبية ص ٥١ .



وأهم اللهجات المتفرعة عن اللهجة الشرقية في بلاد بابل هي اللهجة المانوبية <sup>(١)</sup> ، واللهجة الماندية وهي لهجة الصابئة في بلاد بابل . وما زالت موجودة الى الآن بغير ضئيل <sup>(٢)</sup> ، وبلحق علماء الساميات بها اللهجة النبطية أيضاً <sup>(٣)</sup> .

ومن فروع اللهجة الشرقية أيضاً اللهجة اليهودية بقسميها ، القسم اليهودي والقسم الجليلي ، ثم اللهجة السامرية واختص بها سكان مدينة السامرة وما جاورها ، وقد أشبعنا هذا الموضوع درساً في مقال ( الثقافة السريانية ) الذي نشرناه تباعاً في مجلتنا ( المشرق ) سنة ١٩٤٦ من ٢٥٠ - ٢٥٦ .

## ٢ - اللهجة الغرية :

كانت هذه اللهجة منتشرة في سورية كلها اعتباراً من مدينة الرها الشهيرة ، ومن نهر الفرات شرقاً الى البحر المتوسط غرباً ، وتشتمل ربوع لبنان كلها ، وكانت لغة الآداب منذ أول عهد الأدب الآرامي ، وفيها تركت المؤلفات النفيسة ، وقد ظهرت آثار هذه اللهجة قبل العصر المسيحي بقرون عديدة ، ونقلت عن الهياكل الوثنية والتماثيل والصخور والأسطوانات وغيرها ، ولم نجد لها فروغاً هامة خلافاً للهجة الشرقية .

ويحدثنا العلامة ابن العبري عن شعب اللغة الآرامية على أثر انتشار أبنائها في الأصقاع ، واختلاطهم بالأمم المجاورة لهم ، وابتعاد اللهجات الآرامية بعضها عن بعض ابتعاداً عظيماً ، يقول : « يجب أن نعلم أن اللغة الآرامية انتشرت في بلاد قاصية أكثر من جميع اللغات ، وهو الذي سبب تشعبها حتى إن الذين كانوا يتكلمونها كانوا لا يفهمون إلا بترجمان . وكانهم يسمعون

(١) شابر من ٣٢ .

(٢) المشرق السنة الأولى من ٦٩٥ .

(٣) المشرق السنة الأولى من ٦٩٧ - ٧٠٠ .

بعضهم من بعض لغة غربيّة ، فإن سكان سورية يتكلمون لهجة غربيّة عن لهجة فلسطين ، وكذلك المشاركة الذين ابتعدوا كثيراً عن الأصل أكثر من هؤلاء ، واتبعوا اللهجة السكندانية وانسجوا اليها» <sup>(١)</sup> .

وإذا اعتبرنا هذه الناحية حسباً يردّها هذا اللغوي الفيلسوف نجد الفروق التي نشأت بين اللهجات الآرامية أكثر تأثيراً من الفروق الناشئة بين اللهجات العربيّة ، ونقر أن هذه اللهجات ابتعدت بعضها عن بعض بعداً شديداً ، إلا أننا نعتقد أن الفروق نشأت بين اللهجات المحكية فقط دون لغة الكتابة والأدب ، لأن الآثار الآرامية المكتشفة تدل على أن تلك الفروق لم تكن فاصلة بين اللهجات الآرامية المختلفة بالشكل الذي شرحه الفيلسوف اللغوي . ومما يمكن فانا نجد أن جميع اللهجات تلاشت ولم يبق إلا اللهجتان المعروفتان ، وهاتان أيضاً لا تختلفان إلا باللفظ فقط ، وهما تتفقان في كل شيء سواء .

ومن مراكز الثقافة الآرامية التي أفاد منها أكثر ما يكون الفكر العربي مدينة حران الآرامية الوثنية التي ازدهرت في كثير من نواحي المعرفة الإنسانية من علم وأدب ودين ، واتصلت بالفلسفة اليونانية القديمة ، واستخدمها علماؤها في البلاط العباسي في نقل القسم الكبير من الفلسفة اليونانية ، من اللغتين اليونانية والآرامية ( السريانية ) إلى العربيّة <sup>(٢)</sup> .

ونصيبنا من بحث اللهجات العربيّة والآرامية في موضوعنا هذا هو النظر إلى التطورات المتأصلة التي طرأت على هاتين اللغتين الشقيقتين من جهة ، والتأثير الذي خلفته إحداهما في الأخرى ، وعلى الأخص في القسم الشمالي من الجزيرة

(١) المدخل لابن الدبري في الكلام عن اختلاف الحركات السريانية - الشرح -

(٢) أخبار العلماء وأخبار الحكماء لابن الفطحي ص ٧٧ - ٨٥ و ص ١٣٠ - ١٣٣ ،

والفهرست لابن النديم ص ٣٨٠ .

العربية ، وفي أنحاء فلسطين والشام وتدمر ، بتأثير مملكتي تدمر والبطراء ، وهو ما كان سبباً في حيازة اللغة العربية مفردات كثيرة ليس في الشمال فقط بل في جميع أنحاء الجزيرة العربية ، على ما أثبتنا به علماء الساميات <sup>(١)</sup> .

ومما تجب الإشارة إليه أن اللغة العربية الشمالية ، القريبة من العمرات والمدنية ، استطاعت ابتلاع بقية اللهجات المنتشرة في أواسط الجزيرة وفي جنوبها ، وانفردت بالسيادة المطلقة آخذة مادتها الغزيرة من جميع اللهجات القديمة البائدة ، ومستفيدة من شقيقتها القريبتين الآرامية والعبرية ، مما أغناها بالألفاظ الغزيرة ، وجعلها بالمادة اللغوية التي لا تنضب ، إلا أن الآرامية وإن تلاثت لهجاتها الفرعية ، فإن لهجتها الأساسية الشرقية والغربية لم تزال في قيد الحياة ، وفيها مادة لغوية وأدبية صالحة ، وهما تسيران جنباً إلى جنب منذ العصور الأولى للمسيحية ، لما أفادته من غذاء أمدهما به العلماء الكبار الذين نبغوا في شتى العصور .

والشيء المهم الذي نقرره ، بعد المرور على جميع اللهجات العربية والآرامية ، هو أن هاتين اللغتين خضعتا لظروف واحدة ، وسارتا تحت تأثيرات متشابهة ، وتعاونتا في جميع عصورهما ، على ما نراه في السطور التالية ، ولذلك لا يمكن دراسة نشوء كل منهما بمفردها ما لم يُبحث في نشوء الثانية منذ مطلع وجودها إلى عصر النضج والازدهار والانتاج .

وما خلا امتزاج لهجات كل من اللغتين وتكوين لغة عرابية موحدة ، ونشوء لغة آرامية واحدة أيضاً في المادة مختلفة في اللفظ ، نجد اللغتين الكبيرتين العربية والآرامية تتقاربان في فترات كثيرة من فترات تاريخهما ، وذلك بتأثير الاتصالات التجارية وغيرها ، فتؤثر إحداها في الأخرى وتكون فيها مادة جديدة ، وقد تكون أيضاً أساليب جديدة في اللفظ والتعبير . ولولا انتشارهما

(١) تاريخ اليهود في بلاد العرب ص ٧٩ - ٨٩ .

الواسع وتزاورهما المستمر لما رأينا هذه الوحدة الى الآن بينهما ، ولحرمنا أموراً وفوائد جنيئناها من ذلك التزاور وذيالك التقارب ، ولا يخفى أن كثرة لهجات كل من اللغتين ، واستمدادها مواد جديدة بفعل الزمن كل ذلك أضعفها بالقوة والحياة ، ووسع نطاقها ، وسما بها الى مستوى أرقى اللغات في العالم القديم . وبعد هذه النظرات العاجلة نتقدم الى تحري موضوعنا بأقسامه الكبرى ، واليك ذلك :

#### ٤ - العلاقات التاريخية بين العربية والآرامية

علما سابقاً أن هاتين اللغتين أبصرتا الوجود كلتاهما في نحو مطلع الألف الثاني قبل الميلاد ، ولا يمكن تقديم احدهما على الأخرى تاريخياً ، وإن كانت الآرامية تركت آثاراً نفيسة سبقت فيها الآثار العربية بعهد طويل ، وذلك لأسباب اجتماعية تخص الأمتين الساميتين العربية والآرامية ، فإن العربية بقيت وقتاً طويلاً منزلةً في فلاتها الواسعة بعيدة عن أعين التاريخ ، ويظهر أن العرب في تلك الأيام لم يميلوا الى تدوين أخبارهم لأسباب نجهلها ، وربما كان ذلك لعدم انتشار الكتابة عندهم الى حين ظهور مدنيت عربية في أعماق الجزيرة العربية ، حيث تركت لنا آثاراً وإن كانت قليلة إلا أنها تدل على مستوى هام في الحضارة والمدنية ، وأما اللغة الآرامية فقد تبعت أهلها الآراميين ، فاحتكت بالأمم المجاورة ، ونشأت فيها حضارات باذخة في وادي الرافدين وسهول سورية ، وأصبحت لغة دولية بالمعنى الصحيح منذ منتصف الألف الثاني قبل الميلاد ، وهذا هو السبب في ظهور آثارها سابقة للآثار العربية بزمان طويل . لما كانت العربية والآرامية تنحدران من أصل سامي واحد كان لا بد لهما من التعاون التاريخي في مختلف عصورهما <sup>(١)</sup> . فغلاً تم الاتصال بين القبائل

(١) عاضرة الأستاذ ديبون سوسر في الجامعة السورية سنة ١٩٥١ .

العربية الشمالية وبين أمم سورية والعراق الناطقين بالآرامية منذ أقدم العصور التاريخية ، لأسباب كثيرة قد تكون حربية أو تجارية أو اجتماعية ، وبهذه الوساطة تبادلت اللغتان القوة والحيوية من الوجهتين العلمية والأدبية ، وتوثقت بينهما العلاقات اللغوية ، وهو ما أكسب اللغة العربية على الأخص مادة غزيرة لاستطيع حصرها الآن لتفاد المهد عليها <sup>(١)</sup> .

ونجد ، عدا ذلك ، قبائل حمة آرامية تتوغل في الجزيرة العربية ، وتمتزج بالعرب أنفسهم حاملة معها لغتها وحضارتها وسأكتب إياها في جدول اللغة العربية ، وقد وجد علماء الساميات في اللهجات العربية المنتشرة عصرئذ مادة لغوية غزيرة جزموا أنها ليست عربية لأنها تدل على معان دينية وعلمية وعمرانية لم تكن مألوفاً عند العرب ، بل هي خاصة بالأقوام العبرية والآرامية ، وقد أفادت العربية من ذلك قوة جديدة <sup>(٢)</sup> .

على أن أقدم ذكر لبداية العلاقات بين القبائل العربية القديمة وسكان سورية الآراميين والعبريين ، ورد في النصوص الآشورية ، وتسميهم هذه النصوص بامم « قدرى » كما يسميهم العهد القديم بامم قيدر أو بني قيدر ، وهم من ذرية امعايل بن ابراهيم الخليل ، وكانوا رعاة يربون قطعان الضأن والإبل ويبيعونها لأهل صور خصوصاً ، ويسكنون الخيام السود المؤلفة من الشقق ، وذكر أشعيا النبي بعض مساكنهم ( أش ٤٢ ، ١ ) وذكر أرميا النبي العبراني قبائل أخرى من بني قيدر فسميها ( حاصور ) مستمدة من الكلمة العبرية ( حصيريم — الخضائر ) وهم سكان حضائر حجرية مغطاة بالعوصج والشوك لحماية السكان والقطعان من الوحوش والصوص .

(١) إسرائيل ولفسون ص ١٦٢ .

Die aramäischen Fremdwörter in Altarabischen : S. Fraenkel

(٢)

وتذكر النصوص الآشورية قبائل أخرى وتسميهم ( بني قدم ) ومعنى ذلك بالعبرية القديمة ( بني المشرق ) . ويطلق هذا الاسم على البدو الضاربين عصرئذ في الصحراء السورية العراقية . وأطلق عليهم فيما بعد اسم ( Sarakimai ) وهي مشتقة من كلمة ( الشرقيين ) العربية ، ومثلها كلمة *سَكِيمَا* الآرامية ، وقد رافقوا النبطيين دهرًا طويلاً . وبذكر بنو قيدار أيضًا في الرقم الآشورية في أخبار حروب أسرحدون ( ٦٨١ - ٦٦٩ ق م ) ، وفي أخبار ابنه وخلفه اشور بانيبال ( ٦٦٨ - ٦٢٦ ق م ) وبتتابع ذكر القبائل العربية في الرقم الآشورية ، وكثيراً ما سموا بالعرب ( *أَرِيبِي* Aribi ) . ويتوارد ذكرهم في العصور التالية <sup>(١)</sup> .

ومن هذه اللحظة الوجيزة نستنتج حصول علاقات متواصلة بين القبائل العربية ، والأمم الآرامية التي كانت منتشرة في تلك العصور على ضفاف دجلة والفرات وفي سهول سورية وما جاورها من المناطق <sup>(٢)</sup> ، وهو ما أوجد علاقات متواصلة بين اللغتين العربية والآرامية منذ أقدم عصورهما .

هذا ما رأيناه في شمالي الجزيرة العربية ، أما في الجنوب فنن الراهن ازدهار أربع ممالك متحضرة فيه أقدمها معين ، ثم سبأ وحضرموت ، ثم قتياب . وأقدم اتصال يذكره لهم المؤرخون بسكان وادي الرافدين - ومنهم الآراميون - كان في الألف الثاني ق م ، وقد اتصلت لغتهم بلغة أولئك الأقوام وروحيتهم بروحيتهم ، فقد رأيناهم يعبدون آلهة عبدها الآراميون وغيرهم قبلهم ، وأكبرها الآله ( سين ) أي القمر ، ولا نذكر أن اللغة العربية عرفت ( القمر ) باسم ( سين ) ، والمعلوم أن هذه التسمية للقمر قديمة جداً وما زالت موجودة في

(١) مقال الأستاذ M. Rodenson ، الكتابات الصفوية ، سور المجلد الثاني سنة ١٩٤٦

ص ١٤٢ - ١٣٧ .

(٢) Barton, op. cit. P. 204.

اللغة الآرامية الحاضرة . وقد سموه أيضاً ( سهر ) والمعلوم أن القمر بالآرامية الحاضرة يسمى ( سهر أو سهر ) . وما عدا ذلك فقد وجد المنقبون معبداً للإله ( سين ) في موضع من حضرموت يدعى ( حريصة ) ، ووجدوا بعض النقوش الحضرموتية تشير إلى أنه معبد الإله ( سين )<sup>(١)</sup> ، وكذلك عبد القنبايون الإله ( عم حم ) ومعناه شعب وقوم في الآرامية ، وهو أيضاً من آلهتهم .

ومما يؤيد علاقة العرب بالآراميين أكثر من هذا محادثة الأمير العربي ( جندب Gindibu ) لمدد عزيز ملك دمشق الآرامي على الملك الآشوري شلنصر الثالث الذي حاربهم سنة ٨٥١ ق . م في موقعة ( القرقر ) شمالي حماة<sup>(٢)</sup> . ومما لا شك فيه أن محادثة مثل هذه تخلق وحدة والفة بين التحالفين سواء من الوجهة الحربية أو الاجتماعية أو اللغوية الأمر الذي يؤيد اتصال العربية بأختها الآرامية اتصالاً متواصلاً .

وإذا وجهنا أنظارنا إلى الرقم التاريخية التي ظهرت نتيجة تنقيبات العلماء في خرائب المدن العربية المندسة وغيرها ، نجد ما يدهشنا من العلاقات الوثقى بين العربية والآرامية ، وهو ما يؤيد تعاون هاتين اللغتين الشقيقتين في جميع عصورهما ، ويبرهن على استمرار الاتصال اللغوي والدللي والاجتماعي بين ذينك الشعبين العظيمين . هذه قبائل ثمود وداراتها في شمال الحجاز ، فهي قد تركت لنا كتابات هامة تفيدنا في بحثنا هذا ، وقد تركتها إما في مواطنها هذه أو في غيرها ، ولوحظ أن خطوطها وتماثيلها كانت مستعملة عند قبائل عربية أخرى ، كبلاد نجد وهضاب طور سيناء ، ولا يعلم هل انتقل هذا الخط من الثموديين

G. Gaton Thompson : The Tompes and Temple of Horeidha  
« Hadramaut » 1944

(١)

Luckenbill. op. cit. 1. sec 611.

(٢)

الى تلك المناطق أو القبائل ، أو أن الثموديين أخذوه منهم . ومهما يكن الأمر فالهم في موضوعنا وجودها لا أما كنه .

وأهم رقيم من الرقيم الثمودية ، وتأريخه سنة ١٥٦ م <sup>(١)</sup> ، نراه مزيجاً من الكلمات العربية والآرامية . واليك ذلك حسباً حله العالم لثان وثبتته بالحروف العربية . « دنه قبور صنعه كعبو بر حرتب للقص برث عبد منوفي أمه دو هلكت في الحجر شنة ماه وشنين وترين ويرح تموز ، ولعن مرى علما من يشنا القبور دا ، ومن يفتحه حشى بلده ، ولعن من يغير دا على منه » .

وترجمته في العربية : « هذا القبر صنعه كعب بن حارثة للقيظ بنت عبد مناة أمه التي هلكت في الحجر سنة مئة واثنين وستين من شهر تموز ، ولعن رب العالمين من غير هذا القبر ، ومن فقه يس بأولاده ( يحس ) ولعن من غير الذي كتب أعلاه ..... » .

في هذا الرقيم ثمان وثلاثون كلمة ، عشر كلمات منها آرامية صرفة ، والبقية عربية وثمودية ، وذلك يؤيد ما نحن بصدده ، فكلمات « بر و برث وشنة وشنين وترين ويرح وشنا وحشى » كلها آرامية ، وما عدا ذلك ففي هذا النص ورد عدد السنين بالأسلوب الآرامي وهو تقديم العدد الكبير على الصغير كقوله « شنين وترين » ، وعن الآرامية أخذت العربية هذا الأسلوب في العدد واستعمله العرب القدماء كثيراً .

ولدى تأمل بسيط في هذا الرقيم نجد العربية والآرامية متحدتين فيه كأنها لغة واحدة . وقد نجد رقماً أخرى غيره جرت هذا المجرى ، وربما جرى غيرها مجرى اللغة العبرية ، فمزج بين اللغات الثلاث العربية والآرامية والعبرية <sup>(٢)</sup> .

(١) أي سنة ٢٦٢ وغداً لتاريخ بصرى ، وكانت بصرى تؤرخ حوادثها من تاريخ الفرائض مملكة النبط سنة ١٠٦ م .

(٢) ١١٥-١١٩ Semitic Inscriptions وفي كتابه من ٢٨ Thamudenische Inschriften



ولكن بما لا شك فيه أنه في القرن الرابع الميلادي كانت اللغة الأدبية لم تزل اللغة الآرامية<sup>(١)</sup> .

هذا ما يلزمنا قوله في صدد الرقم التهودية . وهو كاف ليدلنا على التلاقي المكين بين اللغتين العربية والآرامية ، وبفسر لنا تأثير العربية بأختها الآرامية . وهناك في منطقة بين جبل الدروز وتلؤل أرض الصفا ( تسمى الحرة ) وُجِدَت كتابات عربية كثيرة اتفق علماء الساميات على أن يسموها ( الكتابات الصفوية ) نسبة إلى الصفا حيث ساح كثيرون من المستشرقين فجمعوا قسماً عظيماً من هذه الكتابات وحلوا أبيديتها ، ولكنها بقيت غامضة إلى أن زارها العالم ( ليتان ) وجمع منها أكثر من ألف وأربعمائة كتابة ، وعاد إلى بلاده ودرسها ، فتوصل إلى نتائج هامة عجز عنها غيره ، فحل جميع رموزها وفك معجمات أبيديتها التي تتألف من ثمانية وعشرين حرفاً ، كما هي في العربية . ويعتقد الأستاذ ليتان أن هذه الكتابات ترجع إلى القرون الثلاثة الأولى بعد الميلاد ، وعرف أن أصحابها كان لهم اتصال بالمدينيات المعاصرة لأنهم يؤرخون بحوادث مشهورة كحروب النبط ، أو حرب الفرس مع الروم ، أو تاريخ بصرى<sup>(٢)</sup> .

ان الكتابات الصفوية هذه هي بلا شك كتابات عربية إلا أنها تحوي كلمات آرامية كثيرة ، وتذكر آلهة آرامية واصطلاحات آرامية لا عهد للعربية بها . ففي أحد النقوش الصفوية مثلاً كلمة ( داد ) معناها ( غم )<sup>(٣)</sup> وهذه مادة آرامية قديمة وإن كان لها نفس المعنى بالعربية .

(١) اللغات السامية ص ١٧٨ .

Littman ( ١ ) Zur Enturiferung der Safa Inschriften

( ٢ ) Semitic inscriptions.

(٣)

Dussaud : Les Arabes en Syrie avant l'Islam

(٣) ص ١٣٨

وكذلك نجد في نقش آخر أسماء آلهة آرامية مثل (بعل شمين ، ودشر ، وشيع القوم) . ومعنى (بعل شمين : الهة السموات) و (أوشر دمر : حارس النبات) ، و (شيع القوم) من آلهة الأنباط وهو لا يشرب الخمر (دي لاشناجر) ، وقد اختلف المستشرقون في معنى هاتين الكلمتين ، فذهب (ليتمان) الى أن الأولى (آرامية) والثانية (عربية) . وقال غيره إنها عبريتان ، أما نحن فنقول إنها كلمتان آراميتان ، الأولى مستمدة من فعل (شبع) ومعناها عضد كـ (أيد ، نصر) لتساوي السين والشين في الأبجديات الصفوية . والثانية (قوم) هي آرامية أيضاً وبالمعنى العربي المعروف (قوم ، شعب ، جماعة) <sup>(١)</sup> ومعنى الجملة المركبة (نصير القوم) .

وأنت ترى في هذه النقوش مادة آرامية لا تمت الى العربية بصلة ، وهذا ما يؤيد تلاميذ اللغتين الشقيقتين في هذه المنطقة أيضاً شأنها في غيرها . ومصادقاً لما ذهبنا إليه ان الأستاذ ليتمان وجد في تحرياته الكثيرة للهجة الصفوية هذه مادة غريبة غير مألوفة في العربية ، أخذت من الآرامية والعبرية ، ولاحظ أسماء أعلام كثيرة غير معروفة في العربية ، كما وجد أفعالاً غريبة عن العربية ، وأصاليب أعجمية كلها استمدت من الآرامية أو العبرية أحياناً <sup>(٢)</sup> .

واكتشف الاثريان الفرنسيان فرديريك ماكليز Frederic Macler ورينه دوسو René Dussaud نقشاً مهماً آخر في منطقة الحرة نفسها ، في وادي السوط الذي يصب في وادي الشام بالنارة وذلك في الرابع من نيسان سنة ١٩٠١ ، وهذا النقش بالأبجدية النبطية وباللغة العربية تتخلله بعض كلمات آرامية واليك كلماتها ومقاطعها :

(١) قاموس منا السرياني العربي ص ٦٦٤ .

(٢) ليتمان Semitic Inscriptions

- (١) في نفس مر القيس بر عمرو ملك العرب كله ذو امر التاج .
  - (٢) وملك الاسدين وتزارو وملوكهم وهرب مذحج وعكدي وجاء .
  - (٣) يزجاي في حبيج نجران مدينة شمر وملك معدو وبين بفيه .
  - (٤) الشعوب وكاهن فارصو لروم فلم يبلغ ملك مبلغه .
  - (٥) عكدي هلك سنة ٢٢٣ يوم ٧ بكسلول بلسمد ذو ولده .
- وهذه ترجمتها العربية كما قرأناها نحن بعد تحريات ومقابلات كثيرة باللغة السريانية الحاضرة وهي ولا شك الآرامية بثوبها الجديد :

- (١) هذا قبر امرئ القيس بن عمرو ملك العرب كلهم الذي عقد له التاج .
  - (٢) وأخضع الأسدين وتزاراً وملوكهم وهزم مذحج و (منعه أو عطله أو صده) وجاء .
  - (٣) شنت (يزج) وأسقط نجران مدينة شمر وأخضع معداً وسلط بفيه .
  - (٤) (على) الشعوب فسحوا الى العلى فلم يبلغ ملك مبلغه .
  - (٥) وذريته وهلك سنة ٢٢٣ في اليوم السابع من شهر كسلول (كانون الأول) .
- فليسمد الذين خلفهم (فليسمد ولده) .

واليك شرح ذلك وتعليل مخالفتنا في قراءة هذا النص لجميع علماء الساميات الذين استعرضوه وخرجوه حسباً تراءى لهم :

ان كلمة (ني) من استعمال قبيلة طي وهي ضمير الإشارة القريب للمؤنث ، و (نفس) بمعنى (قبر) في اللغة النبطية ، (وامرؤ القيس) لا حاجة لنا يبحث من هو لأنه خارج عن نطاق موضوعنا ، و (بر) كلمة آرامية بمعنى (ابن) و (ذو) بمعنى (الذي) في لهجة طي ، و (امر تاج) هي المعنى الدقيق للعبارة الآرامية ~~امرتاج~~ أي ربط التاج أو عقد له التاج .

وقد خالفنا العلماء بخمسة نقاط من هذه القراءة ، واليك تعليل ذلك نقطة فنقطة :

(١) ان الكلمة التي قبل الأخيرة من السطر الثاني في النقش (عكدى) أثبتتها الدكتور ولفنسون<sup>(١)</sup> كما يلي :

« وهزم مذحج بقوة » ، تبعاً لما قرأها الأستاذ ليدزبارسكي<sup>(٢)</sup> ، وأثبتها الأستاذ م . رودنسون « تماماً » ، وقد أورد الأستاذ المشار إليه رأي جوزيف هالفي بأن لا تقرأ (عكدى) بل (كعدى) مقابلةً لكلمة الترجوم العبراني التي معناها حتى الآن (عد كدون) . إلا أنه نبذ هذا الرأي وقرأها تبعاً للأستاذ ليدزبارسكي (عكرى) ، وذهب الى أن (عكرى) في النص في محل (عكارى) وهي - عنده - كلمة على وزن (فعال) من الأسماء المستعملة في معنى « الحال » . وهكذا تكون - بحسب رأيه الأخير - « عكار » تعادل « عكرا » أي أصلاً<sup>(٣)</sup> .

أما نحن فنخالف الأستاذين ليدزبارسكي وولفنسون بكونها بمعنى « القوة » . وكذلك نخالف « هالفي » بكونها مستمدة من الكلمة الترجومية « كعدى » (حتى الآن) ونوافق الأستاذ رودنسون بقراءتها « عكرى » . ولكننا نخالفه بكون معناها (أصلاً أو تماماً) ، ولدينا كلمة سريانية هي (حنة) بمعنى حجر ، منع ، عطل ، صد ، عاق<sup>(٤)</sup> الخ . وما عدا ذلك نجد تقارباً شديداً بين (الراء والدال) في النبطية ، فيمكن أن تقرأ هذه الكلمة (عكدى أو عكرى) وهو الأصح .

٢ - هناك كلمة (يزجي أو يزجاي) ، لقد ألحق بها الأستاذ ولفنسون الكلمة الأخيرة من السطر الثاني وأثبتها هكذا : (وجاء الى يزجي أو عرجي)<sup>(٥)</sup> ،




(١) اللغات السامية ص ١٩٠

(٢) ج ٢ ص ٣٥ Lidzbarski : Ephemeris


(٣) مقالة في سومر ، الكتابات الصفوية ص ١٤٧ العدد الثاني لسنة ١٩٤٦ .

(٤) قاموس منا السرياني للعربي ص ٥٤١ .

(٥) اللغات السامية ص ١٩٠ .

بينما قال الأستاذ م . رودنسون إن كلمة ( بزجي ) ليست قراءتها مؤكدة ، إلا أنه يأخذ برأي دوسو الذي يقرأها ( بزجاي ) أي ( بتوفيق ) ، إلا أننا لم نرتح لما أورداه ، ولدينا كلمة مريانية هي (  ) ومعناها ( فرد . فرق . شئت ) <sup>(۱)</sup> فإذا جعلنا مطلع هذا السطر على النحو الذي أثبتناه أي ( شئت ) ، ( نجران الخ ) يستقيم المعنى ، أو إذا أردنا أن نقول غير ذلك لدينا كلمتان مريانيتان يمكن تركيب كلمة منها ويستقيم المعنى أيضاً وهما كلمة (  ) بمعنى نهب ، صلب ( ذل ) ، وكلمة (  ) بمعنى ( تعجرف ، تكبر ) ، فنستطيع أن نقول أيضاً ( أذل عجرة نجران الخ ) .

ونصر على رأينا بقراءتها ( شئت ) لأن الكلمة السريانية مطابقة للمعنى ، ولأن الأستاذ رودنسون يؤكد أن قراءتها السابقة ليست مؤكدة بعد .

۳ - في السطر الثالث نفسه نجد كلمة ( حبج ) ، وقد أثبتنا الأستاذ ولفنسون ( في حبج نجران ) ، بينما قرأها الأستاذ رودنسون ( حبج ) بمعنى ( حاصر ) استناداً على ما ورد في شرح المحيط الذي يفسرها ( دنا . اكتنف ) سار شديداً . حبج ) ( في محاصرة نجران ) . أما نحن فنخالف الدكتور ولفنسون ونوافق الأستاذ رودنسون على كونها ( حاصر ) ، وتزيد على ذلك كلمة مريانية بمعناها ، وهي (  ) أي ( صرع . أسقط . جندل ) ، إذ يمكن أن تُقرأ هكذا أيضاً لتقارب صورتني ( الجيم ) و ( الطاء ) في الأبيجدية النبطية .

۴ - في السطر الرابع نجد جملة هي ( وكهي فرسو لروم ) أثبتنا الأستاذ ولفنسون بقوله : ( وكله الفرس والروم ) ، بينما قرأها الأستاذ رودنسون ( ونظمهم فوارس للروم ) . ونجد اختلافاً بين القراءتين ، فالأولى تجعل ( امراً القيس ) ( وكله الفرس والروم ) فعلى ماذا وكله ؟ لا ندري . وفي

الثانية نجد ( امرأ القيس ) بنظم بنيه ( فوارس للروم ) . ولا يستبعد أن تكون علاقة لهذه القبائل العربية بالفرس أو الروم ، أو أن يجعلها أحد الجانبين حليفة له ضد الجانب الثاني ، إلا أن مما قيل عنه في الجملة التالية ( فلم يبلغ ملك مبلغه ) لا يظنه يجعل بنيه ( فوارس ) للروم أو لغيرهم ، وقد تخطت علماء الساميات في قراءة هذه الجملة ، وأورد الأستاذ روندسون آراءهم فقال : إن يبدو ومارتين وهارتجان وكايرمون غانو ، وتبعهم دوسو أحياناً ، ذهبوا إلى أن ( فرسو ) تعني الفرس ، وعلى بيزر ذلك بقوله « لأن الفرس كانوا قد خذلوا القبائل العربية أمام الرومان » ، وترجم كايرمون غانو ذلك بقوله : « وانتدبهم لدى الفرس والرومانيين » ، والرأي الأول يفترض أن امرأ القيس كان تابعاً للرومانيين ، ويفترض الرأي الثاني أن هذا الأمير العربي كان يمثل دوراً مستقلاً على وجه المعادلة بين الفرس والروم ، ولكن « ليدز بارسكي » رفض الرأي القائل بأن ( فرسو ) تعني الفرس ، بل رأى أن كلمة ( فرسو ) تعني ( الفوارس ) جمع فارس ، واعتنى دوسو هذا الرأي أولاً ، وترجم الاثنان هذه الجملة بما ترجمها الأستاذ روندسون .

( يتبع ) ( الموصيل ) غريغوريوس بولس بهنام

## مهرجان أحمد شوقي

درج مجمعا العلي العربي بدمشق على سنة حميدة في الاحتفاء بعلماء العربية وأدبائها ، وتكريمهم وتأيينهم ، من قدماء ومحدثين ، فأحيوا لهم حفلات عدد فيها محاسنهم وخدماتهم للغة العربية وآدابها ، وذكر أيادهم على الثقافة ، ووفاهم حقهم في التعريف والتكريم والنقد . وقد قام بتأبين الأساتذة الشيخ طاهر الجزائري ، وأحمد كمال المصري ، ومحمود شكري الآلوسي ، ومصطفى لطفي المنفلوطي ، ومحمد حافظ ابراهيم ، وأحمد شوقي ، ومحمد رشيد رضا<sup>(١)</sup> .

وخص من القدماء المتني والمصري بحفلات ألفية ، كانت مهرجانا للشعر والأدب ، تكلم فيها المستشرقون والعرب في فضل الرجلين خلال أسبوع لكل منهما ، فكان الأسبوعان عكاز الشعر والخطابة . وقد طبع المجمع مهرجان المعري في كتاب جمع فيه ما قيل عن فيلسوف المعرة وشاعر العرب سنة ١٩٤٥ ، بعده النقاد مرجعا نافعا في هذا الباب ، وبذكره القراء للمجمع بالحمد والثناء ، ويرجون أن يعمد إلى طبع ما قيل في المتني لمهرجانه ، في كتاب مستقل خدمة للأدب وتخليداً للشاعر الفحل الذي ينطق شعره بكل جنات ، ويتحدث بكل لسان ، ويرفع للشعر العربي منارا بين الأمم على الأزمان والأوطان .

ودرج المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالقاهرة ، على خطة حميدة كذلك ، فعمل على تكريم الشعراء والأدباء والفنانين الذين

---

(١) راجع « تاريخ المجمع العلمي العربي » تأليف الأستاذ أحمد الفتيح ، دمشق ١٩٥٦ ،

رفعوا للفتنا وآدابنا وفنوننا علماً بين أعلام العالم . فقام باحياء ذكرى الشاعر محمود سامي البارودي ، ثم باحياء ذكرى محمد حافظ ابراهيم<sup>(١)</sup> ، ونشر ما كان في المهرجانيين من كلمات ودراسات وقصائد في كتابين اثنين .

وقام المجلس هذا العام باحياء ذكرى الشاعر الخالد أحمد شوقي في مهرجان حافل ، لمرور خمس وعشرين سنة على سكوت هذا البلبل الذي غردت قوائمه بفضل العرب والإسلام ، وجلجلت قصائده في ذكرى مصائبهم وأفراحهم ، فكان ديوان العرب في كل قطر . ودعا المجلس إلى إقامة هذا المهرجان في القاهرة من ١٥ - ٢٢ تشرين الأول ١٩٥٨ ( أكتوبر ) ، وندب له من الأقطار العربية خطباء يتكلمون في عميد الشعر العربي للقرن العشرين<sup>(٢)</sup> . وكانت القاهرة خلال هذا الأسبوع موضعاً لتلاقي رجال الأدب من العراق ولبنان واليمن والجزائر والمغرب والسعودية والسودان والجمهورية العربية المتحدة بإقليميهما السوري والمصري .

وكان موضع المهرجان القاعة الذهبية بقصر محمد علي السابق ( في النيل ) ، وهي قاعة جميلة موقفة ، تزينت جدرانها بالذهب ، وطليت أعمدها بأجمل النقوش الفنية والمصابيح الزاهية ، وكتبت على جدرانها أبيات البوصيري في مدح النبي الأعظم ، وزها سقفها برائع الوشي والحلي ، فكان شوقي يعيش بروحه من جديد في قصور الملوك من أبناء اسماعيل ، يشهد تكريم الأدياء لتبوغه واحتفاءهم بذكره .

وكانت ساعات الاحتفال من السادسة مساء حتى الثامنة أو التاسعة ،

(١) طبع ذكرى حافظ ابراهيم ، سنة ١٩٥٧ ، بالقاهرة ، في ٢٥٤ صفحة متوسطة .

(٢) اعتذر عن المشاركة في هذا المهرجان الدكتور جبل صليبا بسبب انشغاله في رئاسة الجامعة بدمشق آنذاك ، لحرم المستمعين من كلمة رصينة في هذا الباب .



خلال أربعة أيام ، تكلم فيها الأدباء في موضوعات معينة من جوانب الشاعر ، كل فبا خصّ به ، من غير أن يكون ترديد أو إعادة على قدر ما يستطیع المتحدث في شوقي التزام جانب دون العدوان على جانب آخر .

وكانت حفلة الافتتاح برعاية الوزير المركزي للتربية والتعليم ورئيس المجلس الأعلى سيادة كمال الدين حسين ، فافتتح المهرجان بكلمة قوية ، تحدث فيها عن أثر شوقي في العرب والعروبة ، ورأى في ديوان الشاعر برهاناً من براهين قوميتنا ، ودليلاً لأمانينا ، ورائداً لكثير من المكلفين في أقطارنا فقد كان نداء الثورة الصحيحة ، وكان على قربه من الحكم ينتهز كل فرصة خيرة في خدمة أمته ، يعبر عن أمانيتها وإحساسها في رسم الصورة التي ينبغي أن تكون للمثل الأعلى العربي ، ولم يكن في العربية منذ عهد المتنبي والمعري شاعر مثل شوقي يتغني بشعره كل عربي ، لأنه كان شاعر العرب في كل قطر من أقطار هذا الوطن .

وتكلم بعده الكاتب الكبير الأستاذ عباس محمود العقاد ، عضو مجمعنا العلمي ومقرر الشعر في المجلس الأعلى ، فالتفت إلى شوقي ليقول فيه : « كان علماً للمدرسة التي انتقلت بالشعر من دور الجلود والمحاكاة الآلية إلى دور التصرف والابتكار ، فاجتمعت له جملة المزايا والخصائص التي تفرقت في شعراء عصره » وبذلك فضله على شعراء زمانه بعد أن ذكر مزاياهم جميعاً . وتحدث الناقد الشاعر عن فضل شوقي في التاريخ والمسرحية والمواظ والأمثال ، وشهد بأنه « كان علماً لمدرسة الشعر في مطلع النهضة الأدبية » . ولكنه رأى أن شوقي كان رسول « شعر الناذج » ، وآيته « تلك القدرة الباهرة في تجويد الصناعة التي لا تفوقها قدرة في عصره ، ونكاد نقول في عصور الأقدمين والمحدثين » . وانتهى مندوبو الدول العربية ، يفتتحون باسم أقطارهم هذا المهرجان

فيذكرون فضل شوقي وأباده على أهلهم وربوعهم ، فكانت كلمة لمندوب الجزائر الشيخ محمد بشير الإبراهيمي ، عضو مجعنا ، الذي أثنى على فضل شوقي وعُتِب عليه « مدحه لفرنسا واقتنائه بحضارتها المزيقة » . ثم تعاقبت كلمات لبنان واليمن والجامعة العربية ، والعراق والسودان والمغرب والسعودية ، فقصيدة للشاعر محمود عماد ، ثم دراسة للأستاذ أحمد التاجي مندوب الجامعة العربية في « شوقي والعروبة » تتحدث فيها عن فترات النضال وموقف شوقي من الاستعمار ومن كفاح العرب في الوطن والمنفى ، وأباده على الأبطال المكافحين من العرب ، وخدمته للقومية العربية وتحمسه بجراح أمته في نوائها . ثم جاءت قصيدة شاعر الشام الأستاذ شفيق جبيري ، عضو مجعنا العلمي ، وعنوانها « شاعر العرب » فهزت القلوب وأثارت الإعجاب ، فقد كرمت شوقي وأشارت إلى عبقرته في ديوانه وصنيعه للعرب وموضع من الشعر العربي ( وهي منشورة في هذا العدد ) .

وفي اليوم الثاني ، تكلم الأستاذ جمال الآلومي مندوب العراق ، عن

« شوقي في الشعر العراقي » فذكر ما وقع من تكريم وقول وحفاوة بشعر شوقي وأدبه على السنة الأدياء والشعراء في العراق ، وما تحدث عنه الصحف خلال الأحداث التي مرت بشوقي بعد وفاته ، فنقل في أمانة ودقة وجبل سعي صدى الشاعر في الرافدين وأثره في أدب العرب بهذه الجمهورية الفنية . وتحدث الأستاذ عادل الفضبان عن « نشأة شوقي وأطوار حياته » فرسم شريطاً حياً في ألوان زاهية من الأدب ، مراحل الشاعر منذ الفجر ومطلع الشباب ، فالجهاد في سبيل الوطن ، فعودة البابل إلى مغناه ، فمرحلة الاصيل حيث غاب سيفه هوة العدم . وأشد خلال هذه المراحل شعر الشاعر في حنان وموسيقا وبراعة كما يند الشعر قصائد أبيه الشاعر ، وبفتقد مكانه من صدّة الشعر . ودرس الدكتور محمد مندور « مسرحيات شوقي » وعرض للتاريخ والمراجع والمزايا ، وأثار رأي الغرب في المسرحية وموقع شوقي من الفن الدرامي ، وكان في ذلك

مثال الأستاذ المحاضر والدارس المتمكن والناقد الفني . وعرض الأستاذ عبد الرحمن صدقي « حياة الشاعر من شعره » منذ ولادته حتى الوفاة ، فاستخلص ما كان للرجل من قوة وتجديد في أبواب الشعر والمسرحية ، وما كان من أثر الغرب في قصائده وآثاره في تفصيل طويل وشواهد شعرية كثيرة أنشدها عنه الأستاذ عادل الغضبان . وتكلم بعده الدكتور علي جواد الطاهر مندوب العراق عن « اللوحة في الشوقيات » فقال ان شوقي كان يستعين بالمبالغة ، وان وصف الطبيعة عنده ليس على درجة عالية « وان كثيراً من لوحاته التي حاول أن يجمع على سطحها أكثر من منظر واحد أقرب إلى الكليشة والفوتوغراف منها باللوحة » . ورجع إلى النقاد القدامى فرأى أن مهمهم كان ينحصر في الجزء الصغير من الصورة مما ينطوي عليه البيت الواحد ، وأن هذا ظل قائماً في دراساتنا الحديثة . وشوقي « لا يبدو أنه تأثر بالشعر الغربي وبالرسم الغربي » « وانما هي مبالغات تكاد تكون تعاليمية » بقولها التلميذ في وصف أيّ واد بل أيّ منظر من الطبيعة يطلبه المعلم في درس الإنشاء .

وفي اليوم الثالث ، تكلم الأستاذ علي الجندي عن « الفنون البلاغية في شعر شوقي » فعدّد الألفاظ والمفردات والصور التي تدل على هذه الفنون ، وعدّد الحلي البدعية ، وأخذ على شوقي بعض أخطائه في هذا الباب . ثم كانت كلمة الأستاذ طاهر الطناحي « ذكريات عن شوقي » روى فيها أخباراً أدبية جمعها عن شوقي ، فقد صرفه منذ ثلاثين عاماً ، وفي هذه الأخبار أحاديث طريفة وآراء جديرة بالذكر والتنويه والجمع ، وخاصة فيما كان بين شوقي ومصطفى كامل . وفي كلمة الدكتور محمد صبري عن « التاريخيات والوطنيات في شعر شوقي » تطرق الباحث إلى دراسة الديوان من ناحية الفارح والآثار المصرية ، ووازن بين الشعر والعلم ، وعرض الأحداث التاريخية ونظر إلى ما يطابقها في الديوان . وجمع ما قاله الغريون وما وصفوا من هذه الآثار ، ثم رسم ما كان في المسرحية ،

فاستوفى دراسته وأطال البحث في تتبعه ، فجمع بيان الأدب إلى دقة المؤرخ في موضوع ليس باليسير ولا بالهين .

وفي اليوم الرابع ، تكلمت عن « الوصف والغزل في شعر شوقي » فعرضت لألواح الوصف عنده من أحجار وأنهار وآلات ، وبسطت الغزل على ألوانه في الدبوان والمسرحيات ( وهي منشورة في غير هذا المكان ) . وأنشد الشاعر ابراهيم الوايلي مندوب العراق قصيدة في الوفاء لمصر والربوع التي عاش فيها ودرس في جنباتها ونفى بالثورة في العراق ومصر ، وأثنى على بد شوقي في خدمة العرب والرافدين . وكانت كلمة الأستاذ كامل الشناوي « ذكرت عن شوقي » صفحات طيبة اقتطفها من فصول الحياة لا تزويها صحيفة ولا بوردها كتاب ولا يحويها إلا صدر هذا الأدب ، وهي تنير السبيل إلى كثير من دقائق عبثه وظروف نظمه ، وصلات شوقي بمجتمعه ، فهي جذيرة بالجمع والحفظ . وتكلم الدكتور شكري فيصل عن « نثر شوقي » فتحدث عن النثر المطلق ، وأبرز صفات السجع وألوانه ، وما بثير في نفسه من نفرة ، ورأى « أن شوقي الشاعر غطى على شوقي النثر ، كما كسف عصر شوقي المطلق المرسل شمس السجع التي كانت متوهجة » ؛ وعلى هدي هذا راح يتحدث عن مسالك النثر عند شوقي في آثاره ، وعرض لأسواق الذهب ووازن بينهما وبين مقامات الزمخشري ، ثم مال إلى بواعث السجع وموضوعاته وعناصره ، فقسم العناصر ووصفها ، ورمم الأسلوب في الآثار الفنية ، فانهى إلى « أن شوقي أراد من السجع كما قال حلادة الفواصل وهديل الحمام بأكثر مما أراد إلى القيد والتكلف والالتزام » ( مما تجده في غير هذا المكان ) .

وختم المهرجان بزيارة بيت شوقي « كرمة ابن هاني » والحج إلى قبره بالقرافة قرب المقطم ، وانتهى بحفلة شاي خطب فيها سيادة يوسف السباعي سكرتير

المجلس الأعلى فاقترح بأن بكرم الأحياء كالعقاد وطه حسين ونوفيق الحكيم  
 وأم كلثوم ليروا بأنفسهم وفاء الأمة لصنيعهم وأفلامهم ، وانفضت الوفود على  
 اقتراحات مكتوبة في العمل للديوان وصاحبه وفاء لأبياديه وإكباراً لشاعريته .  
 وهكذا ، كانت الحديث في شوقي منشعباً يمثل أدب القائلين وآراءهم  
 ومذاهبهم ، ونظراتهم إلى الشعر والنقد والدراسة والخطبة ، بحيث تصلح أقوالهم  
 أنفسهم موضوعاً لتعليق أو بحث لسنا في صدد الآن ؛ وإنما همنا أن نصور  
 المهرجان كما كان ، وأن نرجو للعربية شاعراً يسد المكان ، ويقوم في غمرة  
 الأحداث التي يمر بها العرب من ثورة وانتفاضة ونهضة بما قام به شوقي في  
 ظل الأسوار والأغلال والكبت والجور ، فيعيد على مسامعنا شعراً كشعره  
 خالداً على الزمان .

الدكتور سامي الدهان



## شاعر العرب<sup>(١)</sup>

ما الذي هتج الحمى والعربا أنسيم من شاعر العرب مَبَا  
فشوا في مواكب الفن زهوا وتهادوا على المواكب عجباً  
أخذت فيهم الأغاريد والـ — ن فراحوا منها نشاوى شرّاً  
سائل العرب يوم كان دويّ الشعر يزجي الى الممالي العربا  
كتبوا المجد بالسيوف وبالشعر فكان القريض أخذ كتباً  
أهله القلب طالما خاطب القلوب فهزّ الشعور جنباً جنباً  
تارة يملأ المدارك جدّاً وتراه يفيض حيناً لعباً  
يبسط السلم إن أردت سلاماً وبشبت الحروب إن شئت حرباً  
قد تحول الصحراء في روعة الشعر فتغدو منه حدائق غلباً  
كرم الله دولة كرمته فتما في ظلالها واستتباً

\*\*

أيه شوقي ! لو كان للشعر ربّ جعلتك الأذواق للشعر ربّاً  
ياغذاء القلوب إن تجذب الأرواح فلستنا نظنّ فيك الجدا

(١) قصيدة الأستاذ السيد شفيق جبري عميد كلية الآداب في الجامعة السورية وعضو المجمع العلمي العربي بدمشق ألغاه في مهرجان أسبوع شوقي في القاهرة في تشرين الأول ١٩٥٨ .

شاعر العرب كان شعرك حيناً كنسيم الصبا وحيناً عضباً  
كلما طال عهده وزاخي وفّ في مسع الزمان وشبّا

\*  
\*\*

كم هززت الرجال في ثورة الشام فتأروا ولم يبالوا الخطباً  
نفخت فيهم القلائد روحاً جعلت في الشدائد الموت عذبا  
فاستطاروا مثل الرياح إلى الموت فكانوا فيه رياحاً نكباً  
فففضنا عن المراجع ضياءً سال فيه النجيع مرناً وسجناً  
غصبوا الشام واستباحوا حماه ثم طاحوا وما تملّوا غصباً  
كيف نفسي في غوطة الشام يوماً كنت فيه نوراً وكنت اللهباً  
جأت بالشعر جولة فحسبنا طيف مروان في النواظر دبا  
وكأننا نرى الخلافة تختال وملكاً مع الخلافة صلباً  
هكذا الشعر ثورة كلما هاجت شعوب أوحى اليهم غلباً

\*  
\*\*

ضحك الشعر في بيانك وابتضت حواشيه ما انشاهد كرباً  
فغدا مسرح الأطباء اذا ما نذ سرب فتنت منها سرباً  
غزل ينفذ القلوب فتلقي بهواها فيصبح القلب صعباً  
فتظلّ العيون تغمز غمزاً وتظلّ الشفاه ترضب رضباً

ويكاد الذئيب ينطق سحراً ويكاد الهوى يشقّ الحجباً  
وترى قبلة النغور على الحدة وتلقى مزاحها والدعياً  
يتلاقى العناق والضمّ والشّم وهـدب يلزّ فيها هـدياً  
لا تلمّ الشباك من كل درب لم تغادر في غمرة الحب دوماً  
لو يسيل الهوى خلال القوافي سلسبيلاً غمرت منه الهضبا  
قد ملأت الشباب حباً وفاضت جارة الوادي في فؤادك حبا  
فاذا جفت في الشيوخ هوام هجت فيهم هوى الشيوخ فأبا  
فتنادوا إلى الكؤوس وصاحوا هاتوا يانديم صراً وصبا  
أنت لا تدري ما يمكن الليالي ان توات وما تكون العقبى !

\*\*

أدموع بأرض أندلس جادت بها ، ووت روضها والتربا  
فكأن العيون تلمح شجواً وكأن الآذان تسمع قدبا  
أم غناء كالعندليب طوى الأر ض فخلنا بعد المنازل قربا  
فكان السنين لما ترامت وثبت نصب أعين القوم وثبا  
فرأينا القصور تلمع في الليل فتهدى فوق البطاح الركبا  
وقطعنا الرياض بين رفيف الدوح نجتاز سروه والدلبا  
ولمسنّا النعيم في جنة الأرض يروى الشباب شعباً شعبا



فبكينا ملكاً تفاذفته الليالي غرسوا فوقه القنا والقضبا  
ركبوا الموج والعباب وطاروا يقطعون العباب كنباً كنباً  
رفعوا الملك والحضارة والفن وكانوا الرحي لها والقطباً  
فهوى الملك والدموع ترويه وساءت تلك الأوائل غيباً  
وكذاك الأيام تعصف بالناس ويبقى ما أودعوه الكتب  
صور تقطر البلاغة حتى تحسب الصدق في البلاغة كذبا  
كلما رث أو تقادم عهد جدد الشمر وشبه والعصبا

\*\*

كذب الدمع ما وفي حقك الدمع وان ماج كالخضم وأربى  
قد حبوت التاريخ ما ليس يبلى لؤلؤاً من لآلي الشمر وطباً  
فشهدنا فرعون قد نفى القبر وهز الأحقاب حقبة حقبة  
وأثوه بالأكل والشرب حتى رأيت العين أكله والشربا  
لبست مصر من بياذك برداً لم ترده الأيام إلا رحباً  
هدرت كالعباب تحطم قيداً أنقض الظهر حمله والصلبا  
فتغنيت بالهدى فهاجت لم يفل الحديد منها غرباً  
وقفت كالأهرام في ثورة الضيم وطالت سماءها والشهباً  
وانثنى الضيم عن حماها ونالت من رقاب العدو طعناً وضرباً

ثورة في الديار غنى بها الشعر وألقى غراسها والحبا  
 فزكا غرسها وطاب ثراها وسقاها الإيمان هطلاً وسكباً  
 أكلتك الذئاب إن لم تكن في ثورة العرب والعروبة ذنباً

\*\*\*

ايه شوقي ! أسمع صيحة العرب وقد دوى الصوت شرقاً وغرباً  
 مادعونا إلهامك السمع إلا حشد السحر والبيان ولبي  
 ليتك اليوم في الجماهير والشعـب تغني جمهورنا والشعبا  
 فإذا ماسجا فؤاد ولب هجت منا فؤادنا واللبا  
 إرم عنك الأكفان واطرح ثرى القبر وشاهد ملكاً على النيل رحباً  
 تلتقي الشام فيه تراباً لمصر كلّ ترب يشدّ في الملك تراباً  
 وغداً ترحف الديار ديار العرب تحت الدرس روحاً وقلبا  
 انما العرب وحدة فاذا صال عدو كانوا عليه إلبا

\*\*\*

درجوا حقه وأوطانهم أيدي سبها والخيرات في الأرض نهى  
 وعليهم سلاسل من حديد تمنع الأسد صولة ومهبها  
 فكان التاريخ لم يملأوه روعة أو لم يملأوا الدهر رعباً

لا تتمدّ السيوف غير فتوح لهم في مناصب الأرض ذنباً  
 صحبوا اليمّ والبطاح وهمّوا أن تكون الجوزاء يوماً صحبا

✧✧

سيّد الشعر! هل ترى ربك اليوم يشقّ الحديد إرباً  
 بمنوا من مدافن العزّ تاريخاً فما هزه غناء وخصبها  
 فكأنّ نزي ابن حمدان ينثي الروم جرّاً عن الحمى أو سحبا  
 هكذا المجد هبّة سلك العرب اليها درباً على النوا صعبا

✧✧

نم هنيئاً يا مرسل الشعر نوواً شمع القلب من سناه وعبّأ  
 أرايت البيان والسحر منه أيّ مجد نبى وجيل ربى!

شفيق جبري

## الوصف والغزل

في شعر شوقي<sup>(١)</sup>

ولدت دنيانا من سحر خالد ، وفنتنة لا تنفد ، فعشقها الناس على العصور ،  
وتعلقوا بها تقديساً وإكباراً ، وهتفوا باسمها سرّاً وجهاراً . استبدت بعقول  
الفلاسفة والمفكرين وعبثت بقلوب الشعراء ، فحملوا قيثاراتهم بفنون على أوتارها  
أناشيدهم كنزائهم تتصاعد عبر التاريخ شذى يعطر الكون ، وموسيقا تسجر  
الآذان ، فكأنها جوقات من لغات تتآلف بالسحر والإلهام ، وتجدد بالخلود  
والعبقريّة لأنها لغات القلوب ، نبتت من الالهجات واجتمعت على صلوات .

وهذه اللغات العالمية تجمع الشعراء من كلّ حذب وصوب ، في ذرى  
(أولمب) الشعر حيث تتلاقى أرواحهم وتحدث ، في جوّ عطر مسحور ،  
ثم تعود الى الأرض لتحمل من أجوائها أناشيد علوية ، تفهمها حيناً على وجهها  
وحيناً آخر على وجه مختلف ، فتنبأين نظراتنا ومقاييسنا في الإحساس بها وفي  
تذوقها ، ومن هنا جاء الاختلاف بين النقاد ، فلبس للشعر العالمي تعريفات  
أو موازين يقاس بها الشعر ، كتعريفات الأشياء الجامدة الملموسة أو موازين  
الآلات الموسيقية .

وقد اجتمع في رحاب الشعر العالمي عرب وعجم ، مشاركة ومغاربة ، قدماء  
ومحدثون ، لأن الشعر يعلو على الأجناس والعروق ، والأوطان والأزمان ،  
واشتركت بذلك أمتنا منذ قرون على ألسنة النوايغ الخالدين ، ودوت أغابتنا  
في تقديس الطبيعة الفاتنة ووصف المرأة الجميلة فخلق أجدادنا ألواحاً خالدة  
في الطبيعة المينة والطبيعة الحيّة ، سمّاها النقاد وصفاً وسموها غزلاً ، ولكنها

(١) الكلمة التي ألفت في مهرجان أحمد شوقي بالقاهرة .

في واقع الأمر الى باب واحد يفد إلى تقديس الجمال أنى وجد وتصيد  
أنى كان .

وهذه الألواح العربية تشير إلى أن العرب فتحوا قلوبهم للطبيعة والمرأة  
وتملأوا منها جميعاً ، كما فعل شعراء الأمم ، فأرسلوا الدموع في بكاء الديار  
والأحبة ، وسكبوا نفوسهم على ترائب الحجر وترائب الفيد ، وخفقت قلوبهم  
لنسايم الغدران ولقاء الحسان ، فكان منهم ديوان ضخيم موسيقي جميل ،  
منسجم في معناه ، متقارب في مبناه ، كأنه خرج من عشيرة واحدة وقبيلة  
واحدة على تعدد أقطارنا وسعة أمارنا ووفرة عصورنا .

وهذا الديوان في الوصف والغزل واضح الملامح ، بسيط ليس فيه تعقيد  
أو التواء أو تفلسف أو تشكك ، تسيل فيه نفوس المحبين جزعاً للبعد وحرقة  
للوجد ، وحذراً من الحساد ، وخوفاً من الوشاة ، وإعجاباً بالروعة ، ونشوة  
بالدهشة ، واكباراً للنقش والفن ؛ يصور القرون الأولى في جمال الحب  
وبساطة الرسم ، على خطوط لا ظلال لها في أكثر الأحيان ، وسطور ناصعة  
لا غموض وراءها ، لأنه غناء وإنشاد ، والفن بفسده التعقيد والشرح والتفلسف .  
ولعل شوقياً 'فنن' مبكراً يجلال الشعر وجلاله ، فعكف على قيثارته بأوتار  
ضعيفة أول الأمر ، عكوف العاشق العابد ، يتعنى أن يصبح في الشعراء ،  
فقدّم قلبه قرباناً ، وسفح روحه على مذبح الشاعرية ، وراح ينشد ويترنم ،  
فيتعثر ويتعثر ، ثم ينهض ويستوي ، ثم يقف للفحول ، فيقع منه ديوان  
كبير فيه الرفيع والعادي ، كما في دواوين غيره من الفحول . فمن الخير أن  
'ينثى' وأن 'ينثى' ، وأن 'تستشهد' بالخير منه في يوم ذكره . فقد كسب  
العرب قانونياً طلق الأحكام ، وترديد الدساتير والمواد ، ليدخل في ربوع  
الخيال ، ويعيش بين مراتب الجمال ، ويكون منه في الحب والوصف ما كان .

ولقد وهبه الله لساناً لافظاً ، وروحاً ملهمة ، فعاش بقلب كثير الخفوق ، وعينين حالمتين في رجرجة وفي حركة عجيبة ، وصدر عاصم بالشعر يعج بما يحفظ ، ويثور بما يضطرم في نفسه ، حتى سالت في أحشاء قلبه معاني القدماء مع المعاني الجديدة ، فأصبح كأنه صورة للجيل من الأدياء الذين عاصروه ، بل صورة للأدب الذي يعيش في أيامنا ، بتجاذبه تياران يتأرجح عليهما بين الشرق والغرب .

ولقد حاول شوقي أن ينطلق بالأدب العربي الى ميادين الشعر الغربي ، ووعد مخلصاً بأن ينقلنا إلى مرابعه ، ولكن الشعر العباسي كان يجذبه إلى أحضانه ويلفه بجناحه ، فعاد به إلى تاريخ العرب وأبجادهم وصورهم أكثر الأحيان ، فكان لثقافته في الصبا والشباب على أبدي العباسيين أثر بعيد فيما نظم وفيما أبدع .

لذلك وقف أمام مشاهد الغرب كما وقف أمام مشاهد الشرق بنظر إلى القصور والأشجار والحدائق والأنهار ، وإلى السماء والماء ، بعينين يدفعهما الحنين أكثر ما يدفع إلى الماضي العربي ، فيقفان عنده ، ويستعيدان صورته العزيزة العالية ، سواء حين نظر شوقي إلى تماثيل مصر وقصورها أو تماثيل الغرب في باريس ومدريد واستانبول . حتى قيل : إنه لم يفد كثيراً من مقامه بين الشعراء الغربيين في قلب الحلي اللاتيني إلا كما يفيد المتنقل في قطار مربع من مشاهد الطريق .

ونحن حين نسمى إلى جمع ألواحه في الغزل والوصف واختيارها من متحفه الواسع ، تقع على أناسيده في أمنا الأرض<sup>(١)</sup> ، وفي بناتها الحسان العبقات قد انتثرت في سماء ديوانه كالنجوم . وصوره الوصفية كثيرة في هذا الديوان ، لأنه كان في أكثر شعره يركب على عبارة مجنحة الخيال وصفية التركيب لصيغة الصورة .

ولهذا صنفنا بعض المقاطع الخالصة للوصف والغزل شواهد للحدث عن

(١) انظر « لزوم ما لا يلزم » لأبي العلاء المبري ، في صدر الكتاب .

توفيته في هذين البابين ، نَحْشِدْهَا باقةً لذكره ، بعد أن قضى الجسد ، ومات  
الجسد ، ودُفِنَ الحقد ، وأصبحت روحه في الخالدين ، ترفرف في مرابع الشعر  
العربي وقمعه ، مع رصيفاتها من عهد الوايد وسلجان بدمشق ، والرشيده والمأمون  
ببغداد ، وآل حمدان ومرداس في حلب ، وملوك الطوائف في الأندلس .  
والغرييون يقولون : يحسن أن ينبغ في القطر شاعر ولو تأخر به الزمان فيحسب  
من خيراته وبعده من حسناته يوم الحساب .

ولعلكم تأذنون في رحلة قصيرة الى متحف شوقي ، نستعرض فيها أجنحة  
الوصف ، فننظر الى ألواحه في الفصور والأحجار قبل كل شيء ، لنرى كيف  
صنع وكيف رسم . فقد وقف أمام أبي الهول يتفنى <sup>(١)</sup> :

أبا الهول ويحك لا يستقل مع الدهر شيء ولا يجتقر  
تهزأت دهر أبديك الصباح <sup>(٢)</sup> فنقر عينيكَ فيما تقرر  
أسال البياض وسلّ السواد وأوغل منقاره في الحفر  
فمدت كأنك ذو الحبسين قطع القيام سلب البصر  
كأن الرمال على جانبيك وبين يديك ذنوب البشر  
كأنك فيها لواء القضا ، على الأرض أو ديدبان القدر

فرسم أبا الهول في قلب الصحراء الصامته على مقربة من أبواب الأهرام ،  
رابضاً يحرس الكنز الخبوء والأجساد الغالية ، ناشب الظفر في هدوء المتوثب ،  
والقرون تمر ، والعوادي تجري ، والحروب تنشب حوله ، فتجدع أنفه وتسلب  
عينية ، وبغدد قطع القيام ، فميداً ، لا يرمى بسمع اللقط الدائر حوله في

(١) التوقيات ١/ ١٥٥ .

(٢) ديك الصباح يريد به الزمن .

لغات ما عرفها حين كان أصحابه ، واصنيح حماء ، وكان السيد المهيّب فأصبح  
منالاً لكل زائر .

فاتخذ منه العبرة الجميلة والصورة البديعة ، وكان يستطيع ، إلى ذلك ،  
أن يرسم الأسد وجشوهه ، وأن يصف الرعدة الهائلة التي يلقاها زائر أبي الهول ،  
وأن يأمر له ، وأن يرثي لحاله وقد شدّ إلى الصخر أسطورة خالدة على الأيام .  
فلما عاد إليه بالذكرى وهو في الأندلس صنع لوحة أخرى لهذا التمثال يقول فيها <sup>(١)</sup> :  
ورهن الرمال أفطسُ الآ أَنه صنع جنة غير فطس  
تتجلّى حقيقة الناس فيه سبع الخلق في أساره إنسي  
رَكِبْتُ صَيْدُ الْمُقَادِمِ عَيْنِيهِ لَنَقْدٍ وَمُخْلِيهِ لَفَرَسٍ  
فَأَكَلُ فِي هَذِهِ اللُّوْحَةِ مَا نَقَصَ فِي الْأَوَّلَى ، ورسم الأنف وذكر الخيلين ،  
وقربنا من الأسد ، ثم عاد ليقول مع البحري إنه صنع جنة لهوله وعظمته وبارع  
صنعه ، كما قال العرب حين أذهلهم البنيان وأدهشهم أن يكون من صنع الإنسان .  
وليس من سبيل إلى لوم شوقي ، فقد أراد أن يقف للقضاء وأن يعارضهم ،  
وأن بعدّ فهم ، وليس ذلك بالقليل ولا الهين في مثل عصره .

فاذا وقف أمام حمراء الأندلس ، ليس ثوب البحري حبال إيواف  
كسرى ، فاتعظ كذلك بالتاريخ ، وتأمّن للاحداث ، وبكى الماضين ، فرسم  
الأعمدة المستوية كألفات الوزير في طرس ، وقاعة السباع خالية إلا من  
أشبال تجمعت حول فوارة جميلة ترسل الماء حبيا ، تنشد على الزمان حزينة  
كثيرة فيقول <sup>(٢)</sup> :

(١) الشوقيات ٥٦ / ٢ .

(٢) الشوقيات ٦٠ / ٢ .



وترى مجلس السجاع خلاءً      مقفر القاع من طلباء وخُنس  
مَرمرٌ قامتِ الأسودُ عليه      كَلَمَةُ الظُّفْرِ لِنَاتِ المَجَسِّ  
تنثر الماء في الحِياضِ جناناً      يتنزى على ترائبِ مُلْسِ

وهذا جانب واحد من الصورة ، لم يعرض فيها شوقي ما قام من نقوش على الجدران ، وما اختلف الى الأعمدة من جمال اللون وتعاقب النور والظل ، وما سال تحتها من ماء ، وما حفها من خير وهمس ، فكأنه لم يستوح الأندلسيات وقد رتعت أشباحهن في كل زاوية ، وتساعد غناؤهن بموشحات تسمعه الآذان عبر التاريخ . ولكن الشاعر - كما نرى بعد قليل - لا يرسم كل شيء ، وإنما يركز عدسته على أمر واحد دون سائر الأمور ، فكأنه يرسم الأشياء من وجه واحد مسطحة - كما يقول المهندسون - .

وإذا دلف الى «أسوان» ووقف أمام «نصر أنس الوجود» ، ترك في لوحته عنه ما أدهشه من جمال وجلال فقال <sup>(١)</sup> :

أيها المنتحي بأسوان داراً      كالثرثريا تريد أن تنقضا  
اخلع النعل واخفض الطرف واخضع      لا تحاول من آية الدهر غضا  
قف بتلك الفصور في اليم غرقى      ممسكاً بعضها من الدُّعْر بعضاً  
كماذاي أخفين في الماء بضاً      ساجحات به وأبدنين بضاً  
مشرفات على الزوال وكانت      مشرفات على الكواكب نهضا  
شاب من حولها الزمان وشابت      وشباب الفنون مازال غضا  
رب نقشٍ كأنما نفض الصبا      نَعُ منه اليدين بالأمس نقضا

وهي صورة جميلة بارعة تصف الأبحار تتماصك من الدهر خوفاً من الفرق ،  
وقد أشرفت على الزوال ، فكأنها عذارى أخفين بضاً وأظهرن بضاً . ثم عرض  
للغن فرأى أنه لا يشيب مع الزمان ولا يهرم مع الدهر ، ومهارة الصانع ما تزال  
تبهير العين على تقدم الفنون ، وتسبب بالأكبار والدهشة . وهذه اللوحة من أجل  
ما يزين مخف شوقي في الوصف ، بل هي آية أوصافه في الحبر والنحت ،  
تشير إلى حبه العظيم وإخلاصه لهذه التربة التي حَضنت أباه وورثت مجده  
وحفظت بيته ، فهو يحثي بتاريخها ويقول :

وأنا المحتفي بتاريخ مصر من يصنّ مجدّ قومه صانَ عرضاً

فصان التاريخ بهذه الألواح وخُلد الأبحار بهذه الأوصاف ، واقنعد الى جانب  
القديما من وصافينا مكاناً لا يقلّ عنهم ولا يزل عن عروشهم ، في بيان  
يحتلّ ببيانهم ، وأساليب تمتاز بأساليبهم فكأنه انسلّ عبر الزمان فاستعار  
ريشتهم وفنونهم ليرسم ما لم يرسموا .

ولعلكم توازنون بعد هذا بين ألواح في القصور والأبحار وبين ألواح القديما  
لتجدوا مبلغ التوفيق عنده ، مما لا نستطيعه في هذه الدقائق ، لأننا نحس أن  
نطوف بكم جناحاً آخر من مخف شوقي في وصف الآلات ، فقد رسمها  
كذلك كما رسم الحبر ، وخصّها بشعره فجعل للمراكب البخارية والغواصات  
والطائرات ألواحاً تنطلق مع أوصاف الشعر الحديث خطى غير قليلة ، ولكنها  
تجمع في برديها صوراً مورثة للحيوان ، برع في نقلها حين وصف الطائرة فقال <sup>(١)</sup> :

مركب لو سلف الدهر به كان إحدى معجزات القديما  
نصفه طير ونصف بشر يالها إحدى أعاجيب القضا

مرسجٌ في كلِّ حينٍ ملجمٌ كاملُ المدَّة مرموقُ الرِّواءِ  
كبساطِ الريحِ في القدرة أو هدهد السيرة في صدق الهلاء  
فقلِّب على الطائرة الصور التي تخطر على البال ، فهي مركب نصفه طير ونصفه  
بشر ، وهي فوس ملجم ، بل إنها بساط الريح أو الهدهد المعروف أو الحوت  
في الماء أو الكوكب المذنب أو الطاوس يحير ذيله على الأرض تيهًا وخيلاء .  
والطائرة معجزة العصر ، فأين معجزة الشعر ، نصفها بأكثر مما وصف ! انـ  
« بساط الريح » راجت وأعجبت فاستعارها فوزي المعلوف شعاراً للمحتمة وهو في  
المهجر . والغريون لا يجدون غير الطير شبيهاً للطائرة ، بل يردون اختراعها  
الى الطيور الكامرة حين تملق باسطة في السماء جناحين من حديد .

وبرع حين رسم الغواصة <sup>(١)</sup> ، فشبهها بالحوت تدب تحت الموج ترى ولا  
تُرى ، وتبث الموت في كلِّ مكان ، وهي خثون ملعنة لأنها تزرع الشر  
والفناء . ونحن حتى الساعة لا نجد من الصور ما نسلحه الى أبنائنا في الاستظهار  
غير أبيات شوقي ، فهي في موسيقا وبسطة ويسر بحيث تدخل على الآذان  
بغير استئذان - كما يقول القدماء - ، وهذا كسبٌ للجيل على اختلاف ألسانه ،  
ننتظر من شعرائنا المجددين بدءاً يضيفونها إلى أبياده في غنى المتحف الأدبي للعرب .

\* \* \*

واذا ما انتهينا من جناح الحجر والحديد في ألواحہ انقلبنا الى جناح الطبيعة  
في رياضها وأنهارها وأشجارها ، لئرى الى صوره ورسومه عنها ، فقد خلَّف شوقي  
ألواناً بديعة كما خلَّف القدماء ، فرسم الماء والسماء وما بينهما ، ولبث بتصديق  
الجمال في كلِّ درب ، فلننظر الى قوله في نهار جميل <sup>(٢)</sup> :

(١) الشوقيات ٢ / ١٣٣ .

(٢) الشوقيات ٢ / ٢٥ .

وترى الفضاء كحائط من مرمر      نضدت عليه بدائع الألواح  
القيم فيه كالنعام بدينة      بركت وأخرى حلقت بجناح  
والشمس أبهى من عروس برقت      يوم الزفاف بمسجد وضاح  
والماء بالوادي يخال مسارباً      من زئبق أو مقلقيات صفاح<sup>(١)</sup>

رسم فيه الفضاء والسماء والشمس ثم عرض للسواقي فقال :

وجرت سواقي كالنوادب بالقرى      وعن الشجي بأنة ونواح  
الشاكيات وما عرفن صباة      الباكيات بمدمع سحاح  
من كل بادية الضلوع غليلة      والماء في أحشائها ملواح<sup>(٢)</sup>  
تبكي اذا ونيت وتضحك إن هفت      كالعين بين تدرط ووزاح<sup>(٣)</sup>  
هي في السلاسل والغلول وجارها      أعمى ينوء بنيره الفداح

وهذا شعر جميل بذكرنا بأخيه في العراق والشام ، لا يكاد ينخفض عنه في بيان ورقة وعذوبة وتوفيق ، أكثرنا من روايته عامدين وأنضنا في أبياته لنشهد السامعين معنا أن الشاعر جرى في ميادين الشعر الفحل ، واستطاع على تأخر الزمان ، وسكوت الخناجر المبدعة ، وقلق الشعر أن يلحق بركب الفحول من شعرائنا ، وأن يرفع لصر راية عالية بين شعراء العرب ، وأن يدفع إلى تكريمه وفاء لشاعريته ، فهذا الجديد يصبح في التراث العظيم إذا قلب الزمان ، وافنقد الناس الشعر الجميل الجزل .

(١) الصفاح : عرض السيف .

(٢) ملواح :- سريع العطش .

(٣) وزاح : وزعت الناقة ألفت نفسها بإعياء .

فالمدهش في شوقي - كما قلنا - أنه نجح في قطر غلب عليه الركون ، وفي مصر صمت قروناً في الشعر ، فلم يلهم ولم يبدع ، وإنما روج لتوايح الشعراء من جيرانه ، فلما غنى شوقي ولحق بالفحول ضحك في قوافيه أماني الأدباء ، ونهلت في أوصافه متانة الشعر ، فأعاد للناس شراباً معتقاً في الوصف وفي الغزل ، فتوجهت إلى مصر أنظار العرب وأصفت اليها أفئدتهم وقدمت اليها وفودهم تبارك القبيلة التي نبغ فيها ، وتبني العشيرة التي لمع في ربوعها ، كما كان العرب يهتفون في عكاظ سواء بسواء .

وقد رأينا أنه استعرض صور القدماء ، وطمع أن يكون أميراً في الشعراء ، وأن يصبح لعصره كما كان جرير والمجترى وأبونواس لعصورهم ، فلم يضره عرقه ، ولم يفسده القانون ، ولم يجبهه زمانه وحساده وتقاده عن امتلاك مكان رحب في جنان الخلود ، فكسب المعركة سواء أوقع في التقليد أم انقرد في الإبداع ، وذلك لأنه شق الطريق ، ومهد لشعراء قومه سبيل الابتكار بعده ، فلم نسمع بمن ينسبنا ذكره ، حتى لكان الشواغل صرفت شبابنا عن هذا اللون من منع الشعر ولذائذه المترفة إلى شعر الكفاح والنضال ، فكأنهم آمنوا بالالتزام وحده ، فهبوا إلى ينبوعه ينهلون منه لنسمع منهم بعد قليل ، وإننا لغنائهم لمنتظرون .

وسيبقى شوقي وتبقى هذه القصائد وأمثالها منضودة كبدايع الألواح في مخف الشعر العربي ، وفي مكان رحب منه هو « جناح شوقي » إذا صح التعبير ، يمز به الأدباء معجبين يستعرضون الجمال والجلال . ويقرءون شعره مثلاً في الربيع فيجدون أن الطبيعة هي الطبيعة وأن الغيم هو الغيم ، نرسمه كالنعام حين نستسلم لأحلام الطفولة ، ونشبه الشمس بمسجد وضاح أو كمروس يوم الزفاف ، ونجد السواقي نوادب تشكو خلودها على الزمان ، تدور وتدور فما تعرف الهدوء والقرار ، تغرف الماء وتسكبه ، وما تدري ما تفعل ، لأنها كالعبيد في العصور

الوسطى أو كالأمرى في وحول القولغا القيصربة ، تغني باكية حفظها .  
بل هي كهذا الحيوان معصب العينين بنوء بنيره الثقيل .

وبقرأون شعره كذلك في وصف القمر ، وقد رسمه متهللاً في الماء قد بدا  
نصفه ، وأسفر عن قفل ماس في سوار نضار ، ورسم الفلك على الماء يتبعها  
ذيل من الأنوار تخطر في لجين مانح أو عسجد زخار .

فاذا وقفنا أمام وصفه للنبيل ، رأينا الألوان والأصباغ حين يسود النهر  
أو يخضر ، فيجوك برودة على الضفتين لا تخلق على الأيام لأنه شريان مصر ،  
وغذاء أرضها وأهلها ، وهبة الخير والنماء التي لا تعد لها هبة <sup>(١)</sup> :

ومن السماء نزلت أم فجّرت من عليا الجنان جداولاً تترقُّقُ  
وبأي عين أم بأية مزنة أم أي طوفان تفيض وتنفق

فاذا حفظ المصريون يد النبيل ، فهم يحفظون يد شوقي ويرددون شعره ،  
وينقشونه في قاعاتهم شارة على الوفاء لشاعر النيل ، وينشدون أبياته كما ينشد  
الغريبيون أغانيهم في الدانوب الأزرق وفي القولغا وغيرهما ، فالنهر ماء الحياة  
ودفقة العزة وشراب الخصب ونعمة الدهر .

ونحن في الشام نحفظ لشوقي يده علينا حين خصنا بألواح في هذا المتحف  
الجميل ، فرسم من اقليمنا ما وصف ، وخلّد من آثارنا ما خلّد ، فسكب الجمال  
في قوافيه وأراق في أبياته من مسجدنا وما آذنا ما أراق . فلما دخل دمشق  
عاصمة العروبة ومسرح الوليد ومروان ، هبت دمشق لاستقباله ، وجرى  
« يردى » يصفى للقائه ، فكأنه رضوان يستقبل اليوم شاعرنا في جنان الخلد ،  
والشمس فوق لجين الماء كأنها عقيان ، وشجر الحور في قرية دمر أو سيف

«الهامة» كالخُور في الجنان قد كشفت عن ساقها وخفت ثرقصُ لمقدمه ،  
 ولعلَّ شوقي قد عرف أن النهر صغير قليل ، ولكنه نشيط جميل ، بكاد  
 يكون صورة للشعب ، يضج بالحركة وبثور بالسعي ، ويتعلق بالحربة والنفع ،  
 يندفع على صفه كما يندفع النيل والفرات ودجلة ، ليفذي العرب بآياته ويتمهم  
 بخصبه ، فنحن نتغنى بقوله <sup>(١)</sup> :

أمنتُ بالله واستثنيتُ جنته      دمشقُ دَوحُ وجنات وريحان  
 قال الرفاق وقد هبت خائلها      الأرضُ دارٌ لها الفيحاءُ بستان  
 جرى وصفُ بلقانا بها «بردى»      كما تلقاك دون الخلد وضوان  
 دخلتها وحواشيها زمردة      والشمس فوق لجين الماء عَيَّانُ  
 والخور في «دمر» أو حول «هامتها»      حور كواشف عن ساق وولدان  
 لأننا لم نقرأ لنهر دمشق وصفاً كوصف شوقي منذ حسان بن ثابت فنعترف  
 لذلك بيده على أبنائنا منذ أرسل فينا هذه الأنظام العلوية .

والألواح في المتحف ما تزال كثيرة ، في الربيع والشرب والشاربين ،  
 تشبه ما في ديواننا من البحري وابن المعتز وأبي نواس ، بل تزيد عليها فتثير  
 البلايل وتحرك الورق كأنها جوقة من راهبات في صحن كنيسة يوم عيد الفصح ،  
 وقد انتشر الجور وعلا النشيد الجميل . وأحمد شوقي يستعير صورته من الأديان  
 جميعاً ، وفيها الدين المسيحي ، كما فعل الحمدانيون . ويعدّد النبات وألوانه  
 والزهر وأصنافه كما عذدها أولئك في روضياتهم ، فيرمم الخماثل مرحلة ، والثرجس  
 والأقحاح ، والمنثور والورد والزهر ، كأنها في موكب جميل تنهادى في  
 أوضاعها ، هذه خفضت رأسها ، وتلك تماالت شاحخة ، وثالثة ضحكت مرحلة ،

وهذه عجلت في العرس الخائل ، فكأنه يرمم عرس الطبيعة ، ويجرك الزهر  
على المسرح كما يجرك الفنانون دماهم بخيوط خفية يرقصونها وينطقونها بأجل  
الحديث في مسارح باريس وموسكو .

\* \* \*

وهذه الألواح خالية في أكثرها من التوقيت والتأرجح ، لا تدلنا على صبي  
أو كهولة ، فلن نستطيع أن نصف منها أطواره ، ولن نصور قلبه وتقدمه في  
شعره . ولعلها لبست أجمل ما قال ، ولكنها في رأينا من أجل ما يقال ،  
بل اننا نراه يحاول أن ينطقها كما فعل دهقشي في لوحته عن موسى الحكيم  
صلوات الله عليه ، ولكنه عجز في باب الألوان والأصباغ والحركة فنظر إليها  
كما ينظر الفوتوغراف من وجه واحد - كما قلنا - .

وقد نظر إليها نقادنا المعاصرون على اختلاف غير يسير في الرأي فانتقصها  
بعض على أنها تقليد ونقل ، وأكبرها بعض على أنها آبة الآيات . فقال  
الرافعي : « ان شوقي صاحب الآيات البديعة في الوصف ، وهذه الناحية هي  
أقوى نواحيه » . ونقدتها العقاد وعرف التشبيه : « أن تطبع في وجدان  
سامعك وفكره صورة واضحة مما انطبع في ذات نفسك » . ورأى غيرهما أن  
الشاعر أخفق في مجازاة عصره فاستعار آلات القدماء وأوصافهم .

ونحن لا نحمل شوقي معرة تقصيره في اللحاق بشعراء الغرب في العصر الحديث ،  
وقد عاش بينهم في باريس وغير باريس ، فلم يرمم أثر المشاهد في نفسه  
ولم يحاول أن يطبعها في نفوس قرائه ، ولم يجعل كالشاعر لامارتين من الخليج  
ساعدين يضمن الماء كما يضم العاشق حبيبته في نفور حيناً وفي استسلام أحياناً .  
وذلك لأن شاعرنا كان يديم النظر إلى الشعر العربي القديم أكثر ما يديم  
ويسعى في اللحاق به وخاصة في الوصف .



فلما أراد أن يصف دقائق قلبه من جمال النساء بعدما وصف من جمال الأرض والسماء وقف أول الأمر عند غزل القدماء ، وتعلق بصور القرنين الثالث والرابع ، ولاذ حيناً بأسباب المدرسة العذرية ، وأخذ أحياناً بالغزل الصناعي ، ولكنه كان في ذلك كله يجاري الفحول من الغزلين القدماء ، فلما أوغل في الفن استطاع أن يولد وأن يبتكر ، فكانت منه تعابير وصور بلغت مبلغاً عظيماً من الصيغة والموسيقا ، فكان شعره في هذا الباب موضع الفناء في عصرنا لحن كله أو كاد ، ودار على الأسماع لرقته وعذوبته .

أما أنه وقف عند غزل القدماء أول الأمر ، فهو واضح في ألفاظه يكرر ذكر البان والعلم والريم والمها والمرض والبعاد والقتل والفنك ، في مطالع قصائده وفي المقطعات الخاصة بالنسب والنشيب . فوصف ماء الخلد يشف عن اللهب ، والشادن في غلائل قشب ، قد قرّ منه النهدي واضطرب ، فإذا مشى أخجل القضب ، بين عينيه والمها نسب ، يمس قدمه ، ويسفر عن البدر وجهه ، ويقتل يجفنه وفيه سقم ، ويدعى عشاقه بالسيف والسحر والطلّي ، يرمي الشباك ويصيد العشاق يسم عن نضيد ، ويرنو بطرف أحور . وكان في هذا مقلداً من غير شك حتى إذا انطلق إلى باريس وغير باريس راح ينشد شعراً جيلاً ينبعث من قرارة نفسه ، فيقول <sup>(١)</sup> :

نظرة فابتسامة فسلام	فكلام فوعده فلقاء
يوم كنا ولا تسل كيف كنا	نتهادي من الهوى ما نشاء
وعليتنا من العفاف وقيب	تعبت في مراسه الأهواء

فصور الحب جنباً منذ ولادته حتى بلغ أشده ، وأثمر الثمر المرجو ، فكانت

لقاء وما وراء اللقاء . وهو في غزله عفيف حيناً ، وغير عفيف أحياناً ،  
 أمين على الحب وخشون في العشق ، يقسم ويقسم ، ويجهل للحبيب من قلبه  
 معبداً وسفحاً وملعباً ومنهلاً عذبا ومرعى طيباً .  
 وكم تغنينا في شبابتنا بألحان شعره في قصيدته السائرة التي وصف فيها لقاء  
 الحبيب وما وقع بينه وبينه فقال <sup>(١)</sup> :

لم أدر ما طيب العناق على الهوى      حتى تفرق ساعدي فطواك  
 ودخلت في ليلين فرعك والدجى      ولنمت كالصبح المنور فاك  
 وتعطلت لغة الكلام وخاطبت      عيني في لغة الهوى عيناك  
 لا أمس من عمر الزمان ولا غد      جمع الزمان فكان يوم رضاك  
 وأعجبنا آنذاك بلغة الكلام حين تعطلت ، وذهبت الكلمة فينا مثلاً ، وردناها  
 في سن كانت ترفص لهذه المعاني والضيغ ، ولعلها تبعث فينا اليوم ما يبعث  
 الناقوس في النساء - كما قال شوقي - ولكنها لم تنفد عذوبتها في أفواهنا ،  
 ورفتها في أسماعنا ، لأنها تصوّر الغزل الجميل وقد سكّت الكون وتكلمت  
 الأنفاس في الصدور ، وتقطعت الحشرات بالقبل ، وبرقت العيون في  
 الظلام ، وازداد حديث القلوب كلما سادت العنمة - كما يقول بول جبرالدي -  
 في باريدياته ، فكيف نصدق الحبشاء من النقاد حين يرمون شوقي بالبعد عن  
 هذا ، ويرون أنه ما تكلفه ولا سعى إليه . وكيف يستطيع شاعر لم يذق  
 الجوى والالام أن يقول :

إذا طاف قلبي حولها جنّ شوقه      كذلك يطفي الغلة المنهل العذب  
 يحنّ إذا شطت ويصبو إذا دنت      فيا ويح قلبي كم يحنّ وكم يصبو

ولو عرفوا أية حسناء سفع عليها حنينة وشكواه ، وأراق على نحرها دمه وبكاء ،  
لآمنوا بما يقول ، ولكن شوقي سكت عن ذكرياته في هذا الباب فلم يحدث  
عن باريس ومونبليه وغيرهما كما فعل غيره . وإنما رأوا أن الرجل كان يتقص  
نياب الأبطال المشاق في مسرحياته ، فيبقي باسمهم ألم قلبه وجروح صدره  
وذكرات أيامه ، ويوفق في التعبير والتصوير حتى ليقع من ألسنتهم موقع الشقيق  
الرفيق ، فيختلط شعره بشعرهم ، ويصبح مع المجنون في صيغة واحدة :

مُنَى النفس ليلي قربي فاك من في      كما لف منقاريهما غردان  
نذق قبلة لا يعرف اليؤس بعدها      ولا السقم روحاً ولا الجسدان  
فكل نعيم في الحياة وغبطة      على شفتينا حين تلتقيان  
ويخفق صدرانا خفوقاً كأنما      مع القلب قلب في الجوانح ثان

ولعل ليلي المجنون هي ليلي شوقي أقيما في الشرق أو الغرب ، فما نطن أنه خلا  
من حب عفيف فاتك ، لأن أشعاره تصور عاشقاً لقي الحب وخبر الفراق ،  
وأحسن بهذا لكل جارحة من جوارحه كما أحسه العباسيون والأمويون قبلهم ،  
فاستطاع أن يقف لشعرهم لا عن تقليد بل عن إحساس وشعور وفهم وذوق ،  
ويرع في وصف الغرام في الصبا والشباب فرسم في المسرحية مشهداً رائعاً نطن  
أنه بلغ فيه الذروة تصويراً وتعبيراً حين قال :

هذه الربوة كانت ملعباً      لشبابينا وكانت مرتما  
كم بنينا من حصاها أربعا      واثنتيننا فحونا الأربعا  
وخططنا في قفا الرمل فلم      تحفظ الريح ولا الرمل وعي

لم تزل ليلتي بعيني طفلة لم تزد عن أمس إلا أصعبا  
قد يهون العمر إلا ساعة وتضيّق الأرض إلا موضعا

وهذه الأبيات تقع من موسيقا الشعر الغزلي وروعته وجماله بحيث تشهد لشوقي ببراعة الغزل فهي تنضح بالحب البريء ، ونصف الموى في أجل صفحاته ، حين يرسم العاشق على الرمل ويخط على الماء ، ويبنى على الهواء ، فتحمل الريح أحلامه وقصوره الى كل مهب وفي كل سبيل ، فاذا شبّ ذكر ما كان من الصبا في أمسي جميل ولوعة صادقة ، وحرقة يعرفها المحبون ، لأنها صورة الحب في الإنسانية . وهذا هو الشعر الإنساني الذي وفق شوقي إلى رسمه وبلغ الغاية فيه فلم يصح مع «موه» : أن الأماني لا تبنى على الرمال ولا تعتمد على الرياح . والنقاد يرون أن شوقي لم يلبح على الغزل إلحاحه على الأبواب الأخرى فلم يعالج منه لوصف حياته ومن حوله ومن عرفه ، ومن أحبه ، ولذلك جاء قليلاً بالنسبة الى شعره في الألوان الأخرى ، ويرون أنه سكت لموقعه من السلطان والمجتمع ، ولو قد فعل لكان له في الغزل ديوان كبير ، ولكنه صرف أكثره الى المسرحية فوفق فيه وبرع به ، ورفع فيه لواء مصره وعصره . على أننا نجد أنه صرّح بهذا الغزل حين تحمّل الى لبنان ، ووقع في «بكفيا» على صيد جميل ، فخرى وراءه وخادعه وخادعه حتى انتصر عليه ، ومشى الصيد اليه وليس أول جوّذر وقعت عليه حباله <sup>(١)</sup> :

قد جاء من سحر الميون فصادني وأتيت من سحر البيان فصدته  
لما ظفرت به على حرم الهدى لابن البتول وللصلاة وهيبته

ولكننا لا ندرى بعد ذلك كم وهب وكم اصطاد ، وكم من الشباك ألقى وكم لم ؟  
 حتى إذا نعت بداء ترك الشباك وألقى القيثارة ، وعزف عن الغناء في الغزل ،  
 وجلس يرقب الصيد والصيدان وبذكر أيامه الحلوة في بسمة راضية وعيشة هانية ،  
 حتى دلف إليه الملاك بين سحر المناظر وعطر المفاتن ، فاحمله الى جنان النعيم  
 حيث الحور والولدان المخلدون ، قير العين بما كسب للشعر العربي ، ناعم  
 النفس بما وهب من صور وألوان ، عظيم الشهرة فيما خلد من وصف كان تاج  
 شعره ، ومن غزل كان موضع الغناء في مطارح أنسنا ونجوى نفوسنا ، حلق  
 فيها كما حلق الفحول من قدمائنا فاستحق الإعجاب والتكريم والذكر الماطر ،  
 على مرة الدهر وتقلب الأجيال .

الدكتور سامي الدهان

— PROSE —

## نثر شوقي (\*)

أكان شوقي الشاعر الذي ملأ شعره مسمخ الدنيا ، وخفت له قلوب الناس ، وردت إلى الشعر العربي رونقه وبهاءه ، وجلت عنه - بعد البارودي وصبري - ظلمة عصور الانحطاط ، أكان شوقي هذا الذي فعل الأعاجيب في الحياة الفنية الشعرية ، ناثراً من الناثرين الذي يقف عندهم تاريخ الأدب مشيراً إلى أثرهم في سوامهم ، دالاً على مكانتهم فيمن حولهم ، مبيناً عما كان من تجديدهم في الأسلوب العربي أو تثقيفهم له ، أو دفعه في مساره الجديدة ؟

أغلب الظن أننا لن نستطيع أن نكتشف شوقي الناثر في شيء من اليسر . . . لأنه لم تكن له هذه القدرة على النثر الفني المتمكن من الصنعة حتى لتكاد تكون فيه عنواً . . . ولا لأن أثره لم تكن فيه هذه القدرة على الإمتاع . . . لا شيء من هذا أو ذاك ، وإنما يتجاوز الأمر شوقي نفسه إلى العصر الذي عاش فيه ، وإلى العصر الذي نعيش فيه ، وإلى المواضع التي نطعن إليها في العمل الفني ، والأسس التي نرتكز عليها في التقدير والتقويم . . . فنحن نحيا في عصر هو أقرب إلى الإطلاق منه إلى التجديد ، وإلى العفوية منه إلى التصنع ، وإلى الإرسال منه إلى القيد ، وإلى الانسجام مع المعنى بأكثر من الانسجام مع اللفظ . . . ونحن اليوم نحب النثر رهواً ، رخاءاً ، طلقاً ، كهذه الأشرطة الخفيفة التي تجري مع النيل ، لا نسمع لها صلصلة ولا جلبة ، ولا نحس لها ضجيجاً ولا عجبجاً ، وإنما هي وسوسة ناعمة كأنما هي همس الموج إلى الجداول ، وتحية الجداول إلى الموج ، ثم لا يكون بعد ذلك إلا هذا التقديم المنطوق على صنعة الماء .

---

(\*) الكلمة التي ألفت في مهرجان أحد شوقي بالقاهرة .

كذلك نحن نحب النثر اليوم ، وإنما تولد عندنا هذا الإعجاب بهذا اللون من النثر المطلق ، وتكون فينا الميل إليه ، واستقر عندنا الأخذ به بعد ذلك والتزامه والانصياع إليه والرضا به - أثراً لسلسلة طويلة متشابكة من العوامل والأسباب ... بعضها يعود إلى تراثنا العربي النثري في القرون الأولى قبل أن تطفئ الصناعة ، وبعضها يعود إلى طبيعة العصر وروحه العامة ، وبعضها يعود إلى غلبة الفكرة وتقهقر اللفظة التي لا ترتبط بالفكرة ارتباطاً وثيقاً ، وبعضها يعود إلى عوامل أخرى اصطلاحت جميعاً على أن تكون عندنا ذوقاً جديداً ، ومقاييس جديدة ، وأساليب تخضع لهذا الذوق وتغني مع هذه المقاييس .

وأبرز ما في ذلك أننا أدركنا ظهورنا للسجع . بل أوشك أن أقول إننا كرهنا هذا السجع في كل ما يكون من صوره وألوانه . . . وسواء أكان السجع طرياً ندباً أم كان جافاً قاصياً فنحن لا نؤخذ به ولا نطرب له إلا أن يكون ذلك عارضاً أو كالعارض . وعلى ذلك لا تكاد تنعاقب سمعتان في أسلوب كاتب من كتابنا ، أبرز كتابنا إن شئت ، حتى نتوقف ونثور سيف نفوسنا النفرة من السجعة قبل أن يشور عندنا الإحساس بجمالها . . . إننا حين تمررنا السجعة في صفحة من الصفحات ينبعث عندنا من الإحساس بانكار السجع كله أكثر مما ينبعث من الاطمئنان إليها .

ولقد مضى السجع في طريقه إلى أن ننكره ونفرق منه في مرحلة الصحافة اليومية أولاً ، ثم في مرحلة الأدب الإنشائي كله بعد ذلك في أي لبوس بدا هذا الأدب الإنشائي . . . ولم يبق للسجع إلا مجال الخطابة يحنى بها ويحفظ على نفسه بعض مكانته عند الخطباء الموقنين . . . فلما اضمحلت الخطابة من نحو ، واتخذت سبيلها إلى التبسيط الذي يقرتها من العامة ، وغلبت فيها حرارة المشكلة السياسية أو الاجتماعية على اللبوس الفني ، كما نلاحظ في الأعوام الأخيرة ،

خسر السجع آخر معافله التي التجأ إليها واحتجى بها ، فلم يبق هنالك من بنشئ فيه أثراً فنياً جديداً .

وحين نقول السجع لا نعني السجع وحده ، وإنما نعني كل هذه الطائفة من المحسنات البديعية التي نواكب السجع في كثير من الأحيان : الطباق والمقابلة ومراعاة النظير والجناس والتورية وهذا الحشد من ألوان البديع في معناه الذي نعرفه به في كتب البلاغة المجددة . . فقد ارتبطت هذه كلها بالسجع فكان لا يكون - غالباً - إلا معها . . فعاثتها أذوائنا أو عاثت أكثرها بصورها القديمة مع ما عاثت من أمر السجع سواء بسواء .

وفي هذا الانصراف عن المقيد إلى المطلق ، وعن المسجوع إلى المرسل ، تمثل أكبر منعطف في طريق النثر الفني في حياتنا العربية المعاصرة . . ومن المؤكد أن هذا الانعطاف كان من القوة ومن التأثير في نثرنا الحديث وفي تذوقنا الحديث بحيث غلبت تلك أن نفترض مطمحين أن أقوى نص أدبي مُعجب من إنشاء أدبائنا المتميزين لو قدر له أن يصاغ سجعاً لانصرف الناس عنه ولفتشوا عن غيره ، وقالوا في أنفسهم مُسَرِّين وفي ألسنتهم جاهرين : إنه السجع . . كأنما يركزون في هذه الجملة كل أنقال عصور الانحطاط بلبسونها هذا النص ، ويحمله كل ركازات اللفظ وفقر المعنى الذي نعرفه في إنتاجنا الأدبي خلال أكثر فترات الضعف والتردي .

ومن هذا ، فيما أحسب ، كان أعظم الغبن الذي لحق نثر شوقي . . وإذا كانت مواضع العصر ومقاييسه هي التي ألقت على نثر شوقي ، أعني على النثر المسجوع ، هذه الظلال الكثيفة التي تحول بيننا وبين أن نذوقه ، وبيننا وبين أن نستجيب له ، وبيننا وبين أن نتفاعل معه - إذا كان هنالك هذا السبب الخارجي الذي لا سلطان لشوقي عليه . . فثمة سبب آخر كان شوقي نفسه هو مرده وهو مصدره . . هو فيه المبدأ وهو فيه النهاية ، وأعني به شعر شوقي . .



فقد ظني هذا الشعر حتى ما يكاد يذكر معه نثر ، وعني الناس بالقصائد ولكنهم ماردوا المقالات ، ونهلوا من الشوقيات ولكن «أسواق الذهب» كانت - في شيء من التجاوز - كالأنفخ المنفي بين أجزاء ديوان شوقي ، عليه شكل إخوته وله مثل طابعهم الخارجي ، ولكنه لا ينزل من قلوب الناس وأندستهم ولا يكون له في تقديرهم مثل منزلة أخيه ولا قريب منها .

ومن المؤكد أنه لو لم يكن هنالك الديوان ، والشاعر الإنسان الذي غنى روائع النشيد وبارع النغم . . وكان هنالك شوقي الذي تحدث عن الحياة والأمس واليوم والغد ، وعن الأمانة والقلب ، وعن الشهادة والصلاة والزكاة والحج ، وعن الفناء والجندى المجهول ، وعن الشمس والظبي - لو كان هنالك شوقي هذا فحسب لكان له في حساب الحياة الأدبية شيء آخر . . .

ولكن شوقي الشاعر غطى على شوقي النثر ، كما كسف عصر شوقي المطلق المرسل شمس السجع التي كانت متوهجة .

وكذلك نرى أننا نستطيع أن نقول في الشعر : هذا عصر شوقي . . في كثير من الاطمئنان . . ولكننا لانملك بحال أن نقول في النثر : هذا عصر شوقي . . . فللنثر أمراؤه الآخرون : طه حسين والعقاد والمازني والرافعي والزيات ومن في طبقتهم في اقليمهم والأقاليم الأخرى . .

\* \* \*

على هدي من هذه الحقائق الأولى نستطيع أن نتحدث عن نثر شوقي ، وأن نتساءل ماذا كان من أمر هذا النثر وما سبيله فيه ؟ ما هي مسالكه التي اتخذها وألوانه التي تسربل بها ؟ . . . أهناك وراء هذا النثر مذهب معين يتجه إليه شوقي ويشر به أم كان الأمر لا يخضع لغاية ولا يمتضي في مذهب ؟ . . . أهناك مراحل مر بها هذا النثر ؟ وماذا كانت دوافع شوقي إليه وعناصره في تكوينه وأسلوبه في بنائه وموضوعاته التي صباها فيه ؟ .

وليس في وسعنا أن نعرض كل آثار شوقي النثرية ، فبعض هذه الآثار يعود إلى مطالع حياته ، وتلك 'خطى' قد يعنى بها مؤرخو حياة الأديب وراصدو مسالكه . . . ولكننا نريد اليوم أن نكتفي بالإشارة إليها دون الوقوف عندها . . . ونعني بها هذه الآثار التي كتبها أو ترجمها في صدر حياته : لادياس - عذراء الهند - دلّ وتبان - وبعض هذه الآثار هي التي تتوج اتجاهه النثري وتعتبر عنه في أكل صوره وتلك هي التي صفتوقف عندها ونعني بها «أميرة الأندلس» وأسواق الذهب . . . غير أن أميرة الأندلس عمل مسرحي خالص فيه شوقي من نثره المسجوع إلى النثر المطلق فليس لها إلا هذه الدلالة الضخمة على تطور نثر شوقي ولذلك لن نقف عندها إلا من هذا النحور .

وقد كان لابد لهذا البحث ، كي يأخذ أبعد آفاقه ، ويسير في أصدق اتجاهاته ، أن يظهر بشيء من رسائل شوقي الخاصة فيما كتب إلى خلّص أصدقائه في الشؤون العامة أو في شؤونه الخاصة ، ولكننا لا نزال في دراسة الأدب من هذه الغاية على بعد . . . لأننا لم نعود أن نجتمع كل آثار أدبائنا ، ولم نتمكن بعد من النظر إليهم - من خلال آثارهم الخاصة - في غير الصورة التي أرادوا أن يظهروا بها للناس في آثارهم العامة التي نشروها .

\* \* \*

ما الذي نجده في أسواق الذهب ، أبرز آثار شوقي النثرية ؟ حين قدم شوقي لكتابه هذا أشار إلى كتابين آخرين : أحدهما أطواق الذهب للزخشرى والآخر أطباق الذهب للأصمغاني فقال : «فهذه فصول» من النثر ما زعمت أنها غرر زياد ، أو فقر الفصيح من إبداع . . . ولا توهمت حين أنشأتها أني صنعت أطواق الذهب للزخشرى ، أو طبعت أطباق الذهب

للأصفهاني ، وإن سميت هذا الكتاب بما يشبه اسميهما ، ووسمته بما يقرب في الحسن من اسميهما . . »

هذه الجملة التي جاءت في مقدمة أسواق الذهب دفعت بعض الذين كتبوا عن شوقي إلى القول بأنه جرى في كتابه على غلط أطواق الذهب وأطباق الذهب . . أو أن عمله في الأسواق يتطابق مع المقامات وأنه يذهب فيه مذهب الزمخشري من حيث الوعظ والارشاد <sup>(١)</sup> .

فهل ذهب شوقي مذهب الزمخشري والأصفهاني ، وهل جرى على غلط الأطباق والأطواق ؟ أكان عمله يتطابق مع المقامات ؟

قد نستطيع أن نجاري الذين قالوا بهذا إذا نحن تناولنا الأمور تناولاً عاماً ، ووقفنا لا نتجاوز الشكل إلى ما وراءه . . إن الأطباق والأطواق قائمة في مظهرها الخارجي على السجع ، وكذلك أسواق شوقي . . غير أن هذا وحده لا يتيح لنا أن نفرق في المقارنة حتى نصل إلى حد المطابقة بين هذه الأعمال الثلاثة . وصحيح أن شوقي أشار إلى الأصفهاني والزمخشري ، ولكننا يجب أن لا ننسى أنه أشار كذلك إلى زياد بن أبيه وفس بن ساعدة الإيادي ، وأنه سرد هذه الأسماء كلها لا على أساس فني ، بمعنى أنه لم يقصد إلى أن يقيم هذه المقارنة أو المطابقة بين صنيعه وبين صنيع هؤلاء الذين تحدث عنهم ، وإنما قصد إلى شيء من الزينة الفنية فحسب حين سمى ضرر زياد وفقر الفصيح من إياد . . إنه في الواقع كان في نطاق تعداد هو إلى ذكر طائفة من

(١) انظر ما كتبه العلامة المرحوم الأستاذ محمد كرد علي في كتاب ذكرى الشاعرين « الأستاذ أحمد عبيد - ج ٢ ص ٤٣٦ » ، وإشارة الأستاذ الدكتور شوقي ضيف في كتابه الرائع عن شوقي ص ٢٩٢ « الطبعة الثانية » .

الأسماء اللامعة في النثر العربي ، بعضها إسلامي وبعضها من القرون المتأخرة -  
أقرب منه إلى أي شيء آخر .

وإذن فليس هنالك هذا النمط المشترك - إن شئت الدقة - بين الأسواق  
وبين الأطواق والأطباق . . . ولبس هنالك هذه الرغبة في تقليد أثر بعينه . . .  
إن لكل من هذين بناءه وأساسه ووجهه التي يخالف بها عن وجهة الآخر  
وبناؤه وأساسه .

والذلك ، أعني لهذه المقارنة بين شوقي وبين الرمضاني والأصنافي فضل  
حدثت تدنّره لكتاب عن نثر شوقي فلنتجاوزّه إلى ما وراءه متسائلين  
- في سبيل التعرف الأصيل على أسلوب شوقي - عن الدوافع التي دفعت بالشاعر  
أن يقول هذا النثر المسجوع .

### بواعث السجع

في ذهن كل الذين يقرأون نثر شوقي تحوّل هذه الأسئلة المختلفة :  
لِمَ لجأ شوقي إلى هذا النثر وقد عرف تميّزه بالشعر وتقدمه فيه سائر طبقات  
المحدثين ؟ ما الذي كان وراء هذا الطريق الذي شقه من بواعث ؟ ألم يكن له  
في المجال الشعري ما يسدّ كل ظمأ الفني ؟ . . . أكان يحسّ أن ثمة دفقة  
من نفسه في حاجة إلى أن تبدو للناس في غير قالب الشعر الذي ارتضاه  
سبيلًا ومضى فيه وصقله أروع صقل في تاريخنا الأدبي الحديث ؟ . . . ألم يكن  
يجزي شوقيًا أن يقال عنه إنه أمير الشعراء ، وأن يقال بجنى عن عصره في  
التاريخ الأدبي إنه عصر شوقي ؟ أكان هنالك دوافع خاصة تدفعه إلى هذه  
المزاوجة بين الشعر وبين النثر ؟ .

وقفت طويلاً عند هذه الأسئلة التي كانت تجلجل في صدري وأنا أعالج

نثر شوقي ، ولكفي لم أجد الجواب الذي أطمئن اليه وأرضيه . . وأحسب أنه ما لم 'يُصح' للذين عاصروا شوقياً وخالطوه أن يتحدثوا عن كل ما عرفوا من سيرته أو خبروا من سريره أو شهدوا من تشابه العلاقات في حياته أن يقولوا هذا الذي عرفوا أو خبروا أو شهدوا ، وأن يكشفوا عن كل وجوه هذه السيرة والسريرة والعلاقات . فان حديث المتحدثين اليوم وغداً لن ينكشف عن شيء ، وإنما سيظل بدور حبيس الحدس والتظني .

ومرد ذلك إلى ما نعرف جميعاً من أمر شوقي . . كان شوقي للناس كما يكون البحر إذ تراه هادئاً الصفحة على حين يضطرم داخله بالموج ، ويثور بالحركة ، ويغلي بالانفعال . . والموجة التي تضطرب في داخله لم يكن شوقي ليكتبها وإنما كان يتيح لها أن تتحرك هنا وهناك ذات اليمين وذات الشمال . . ولكن ما أقل ما أتاح لها أن تنطلق فتملأ سطح هذا البحر الذي يراه الناس فيأخذهم انبساطه الهادئ وانطلاقه البعيد ووسوسته الناعمة - ضجيجاً وصخباً وحركة . . . ويبدو كأنه في حكم المؤكد أن شوقي كان لا يخرج على الناس إلا بالجانب الخليم العاقل من ذاته العاقلة وذاته الثائرة . . إن نفس شوقي جوهر واحد للذين يلحسونها من هذا السطح الظاهري فقد استطاع أن يخفي جواهره الأخرى . وكما كان في سلوكه الاجتماعي كان كذلك في سلوكه الفني . . فالذين عاصروا شوقياً يجمعون على أن سلوكه الاجتماعي كان غابة في اللين والدمائة ، والرقّة والسلاسة . . وما نخسب أن انساناً ، بله أن يكون شاعراً ، شهد كل أحداث الوطن العربي والاسلامي ، ومدّ يده إلى ما وراء الأفق الانساني فانقطعت هذه الشعر الخالد ، ما نخسب أن انساناً هذا شأنه كان حليماً خالصاً ورقة خالصة . . فؤكد أنه كان كذلك ثورة داخلية عارمة بعانيها ، وبتكيف بها ، وتنازل من عقله ، وتأخذ نفسه انفعالاً مبهجاً أو محزنناً . . . غير أن شوقي

الذي استطاع أن يخلص سلوكه الاجتماعي من الغضب والطيش والجاهلية وفلسات القول ، وأن يصفى حقد الناس بحلمه ، وطول لسانهم بتهذيب لسانه ، ونطاوهم إلى أن يتألموا منه بمحاولته أن يبلغ اليهم نبله ، هو شوقي الذي استطاع كذلك في سلوكه الفني أن يجيل كل انفعالاته الداخلية صنيعةً فنيةً معجبة تغطيه الحكمة على حين كانت حروف هذه الحكمة تشتمل أطرافها بالقلق كما تشتمل أطراف الشموع بالنور .

ومن هنا نعتذر التعرف إلى مرة هذا المنعطف النثري في طريق شوقي الشاعر . . . وليس لنا بعد هذا إلا سلسلة من الافتراضات .

فحين نستطيع أن نرى في صنيعة هذا امتداداً لما استقر ، تقريباً ، في تراثنا الأدبي القديم من الجمع بين الشعر والنثر عند كثيرين . . . حتى الذين عرفناهم شعراء كان لهم نثر لم يصلنا منه شيء ، وأبو الفرج في الأغاني يحددنا أن بشاراً كان صاحب منشور ومزدوج ورسائل . . . ويبدو أن جهرة من أدبائنا على مدى تاريخنا الأدبي الطويل حرصوا على أن يجمعوا بين هذين القالبين . . . وكأنما استقر عند شوقي أن من تمام التميز في الأدب العربي أن يماشي موكب الشعر عنده موكب من النثر ، وأن تحفه من حوله ، من يمينه وشماله آلهة الشعر وربات النثر . . . وذلك كله - فيما أحسب - استمراراً للتقاليد الأدبية العربية . . . وما من شاعر كشوقي استطاع أن يمدّ خيوط هذه التقاليد من نحو ، وأن يوجهها وجهة جديدة من نحو آخر ، وأن يقيم هذا التوازن بين القديم والجديد من نحو ثالث . . . بل لعلّ حياته ، صيرةً وإنتاجاً ، لبست إلا هذا الجمع المتوازن . وقد لا يكون هذا التقليد الأدبي هو الذي دفع شوقي في هذا السبيل . . . قد يكون في واقع حياته ، حياته الداخلية التي لا نعرف عنها إلا القليل ، هذا الدافع . . . أنرام عبّروا شوقي ذات يوم بنقص زاده اللغوي فأراد هذه

المقالات تمثيلاً لفناء في هذا النحو ؟ . . أترام عبّروه بالقصور في النثر فردّ عليهم مقالاتهم ؟ . . أكان هنالك من حبّس إلى شوقي السجع ففضى فيه ؟ . . من بدري ؟ ولعله على كل حال شهد تطور النثر نحو الانطلاق ، ولحظ أن هذا التطور مقرون بالكراهة للسجع والانحراف عنه والعيب عليه فأراد أن يعيد لهذا اللون الأدبي ألقه ، وأن يردّ عليه حرمة ، وأن يجعل منه هذه القصائد المنشورة ، وأن يخرج به عن نطاقه التقليدي وعن موضوعاته التقليدية في المقامات أو ما في حكمها . فوسّع صاحته ، ونوّع موضوعاته ، وأراد أن ينسج لكل هوائف النفس ، وأصوات المجتمع ، ومشاكل العصر .

ويبدو أن هذا هو الذي كان . . فقد كتب شوقي نفسه في « أسواق الذهب » يكشف عن صنيعه ، ويبرزه ، ويعرض لهذا السجع الذي صبّ فيه بعض انتاجه الأدبي ، ويبين عن مكانته وقيّمته ، ويقول عنه إنه يقف على الطرف الآخر من الشعر لينتقي به لقاء لونين قنّيين متماثلين « السجع شعر العربية الثاني » .

وفي هذه القطعة التي كتبها شوقي نلمح قصة السجع في العصر الحاضر كلها . كيف كان ، وكيف دال ، وما الذي رمي به . . ولكنها قصة موجزة مركزة وقف شوقي عند خطوطها الكبرى . . أبان عن مكانة السجع ، ثم تحدث عن دوره في الأدب ، ثم بدأ يصور إنكار الناس في عصره له ويقول ان مردّة ذلك إلى الخلط بين السجع المشرق والسجع المظلم ، بين ما سماه الجليل المنفرد وما سماه القبيح المرذول . . وهو على كل حال يريد أن يكون السجع منظوباً على فكرة ، متصلاً برأي ، بعيداً عن الحشو والثرثرة :

« السجع شعر العربية الثاني ، وقواف مرنة رقيقة خصت بها الفصحى ،  
يستريح اليها الشاعر المطبوع ، ويرسل فيها الكاتب المتفنن خياله . . . .  
وقد ظلم العربية رجال قبّحوا السجع وعدّوه عيباً فيها ، وخططوا الجميل  
المنفرد بالقبيح المردّول منه بوضع عنواناً لكتاب ، أو دلالة على  
باب ، أو حشواً في رسائل السياسة ، أو ثروة في المقالات  
العلمية . . . . . »

ونلح في تقرير شوقي للسجع شيئين اثنين أساسيين ربما كان فيها بعض  
التعبير عن الدافع التي حدثت به إلى اصطناعه والأخذ به ، وهما الحفاظ الديني  
والحفاظ اللغوي . . . إنه يرى أن القرآن الكريم لجأ إلى هذه الفواصل<sup>(١)</sup>  
وما كان أحلاها ، وفي الحديث الشريف من هذا اللون مثل ما في سجع  
الحمام من حلالة ، وفي كلام السلف الصالح منه المأثور الخالد ، فما ينفع  
الناشئة أن تتخلّى عنه أو تنسكه له : « فيانشء العربية ، إن لغتكم لسرية  
مثرية ، ولن يضيرها عائب بنكر حلالة الفواصل سجع الكتاب الكريم ،  
ولا سجع الحمام في الحديث الشريف ، ولا كل مأثور خالد من كلام  
السلف الصالح » .

### الموضوعات

لم تكن الموعظة والزهد الغرض الأساسي عند شوقي ، ولم تكن  
الحكمة والمثل كذلك من هدفه الأول وإن أشار إليها وأشاد بها في مقدمة  
الأسواق « الحمد لله الذي علّم بالقلم ، وألهم نوابغ الكلم ، وجعل الأمثال  
والحكم ، أحسن آداب الأمم » على كثرة ما تقع له الحكمة . . وواضح

(١) كان شوقي شديد الدقة شديد البراعة حين استعمل هذا التعبير في مقطوعة عنوانها :  
السجع . . لم يشأ أن يسمي ما في القرآن سجماً ارتفاعاً به عن أحلّوب البشر  
من نحو ، وتنزيهاً له عما نزه عنه نفسه حين اتهم بأنه قول كهان . .



أن شوقي لم يقصد كذلك الى موضوع واحد - أو موضوعات متقاربة -  
يمثله أو يعبر عنه عدد من الشخصيات على مثال ما أنشأ بديع الزمان  
والحريري في القرن الرابع والخامس والمولحي واليازجي في العصر الحاضر  
مقاماتهم . . . وإنما نوع شوقي بين موضوعاته تنوعاً كبيراً ، وكان في  
أسواق الذهب ، مثله في الشوقيات ، يتراوح بين الموضوعات الذاتية والموضوعات  
الاجتماعية في ألوانها المختلفة . . . ويطالع الإنسان في كتابه صوراً من المدعي  
العمومي إلى حديث عن الزهرة ، ووصف للشمس وحديث عن الطلاق ،  
ووقف طويلاً عند الحياة ووقف قصيرة عند الموت . . . إن آفاق شوقي في  
الأسواق من التنوع ومن الامتداد في هذه الوجهة أو تلك بحيث تدفعنا  
الى القول بأنه لم يكن يقصد إلى الانشاء من حيث هو انشاء بقدر ما كان  
يقصد إلى التعبير عما حوله وعما في نفسه .

على أن هذه الموضوعات لم ترتب وفاق شكل معين ، فلم تفرد الموضوعات  
ذات الصبغة المعينة في قسم خاص وإنما جاءت ، شأنها في ذلك شأن الشوقيات ،  
متداخلة متعاقبة .

ولست هذه الموضوعات جديدة كلها ، وليست كذلك قديمة كلها . . .  
بعضها من هذه الموضوعات الانسانية المشتركة التي لا يفنى فيها القول ، وبعضها  
من هذه الموضوعات الطارئة التي توحى بها الساعة وإن كان شوقي ، على ما نعرف  
من أمره في الشعر ، أقدر الناس على أن يستخلص من الحادثة الطارئة المعنى  
الثابت ، وأن يعتمر من البارقة الخاطفة الضوء المديد .

وقد وفق شوقي في تجديد موضوعاته الثرية توفيقاً بارعاً . . . . . فيجوز  
النطاق التقليدي أو الذي آل أن يكون تقليدياً في اختيار الموضوع ،  
فاستمد موضوعاته من كل ما حوله : من الدين ، ومن المجتمع ، ومن

السياسة ، ومن صراع الفكر ، ومن هذه القضايا التي كانت تثيرها روح العصر ...  
فحدث عن الشهادة والصلاة والصيام والزكاة والحج ، وعن العدل والظلم وشاهد  
الزور ، وشهادة الدراسة وشهادة الحياة ، وعن الأهمام والبحر المتوسط والجندي  
المجهول ، وعن الظبي والأسد والشمس ، وأشار الى الوطن والوطنية ،  
والاشتراكية والشيوعية ، والحرية والاستقلال .

ولكن يجب ان نستدرك .. فشوقي حين طرق هذه الأشياء كلها إنما  
طرقها ليصنع منها عملاً فنياً لا ليعالجها أو يشرحها ... إن بناء الأثر الفني  
هو الذي كان يستبد بكل قواه ، ومن هنا مصدر أكبر الفرق بينه وبين الذين  
عاصروه من الناثرين المرسلين .

### العناصر

وإذا كانت موضوعات شوقي في هذا النوع فما هي العناصر التي كانت  
تدخل في تركيب مقالات شوقي وفي إقامة بنائها .

#### العنصر التاريخي :

نستطيع أن نلمح بوضوح أن ثقافة شوقي التاريخية تؤلف عنصراً أساسياً في  
تكوين موضوعاته .. بل ان هذه الثقافة التاريخية هي التي كانت تبهج لبعض  
مقالاته أن يطول ... وحيث يكون التاريخ يمتد نفس شوقي ، كأن التاريخ  
نبعة يرتوي منها ويتزود ما وسعه الارتواء والتزود .

ونحن نظفر بهذا العنصر التاريخي في شكلين :

أحدهما هذا الشكل الاستعراضي الذي يمضي فيه شوقي مع مراحل الزمن ،  
كما فعل في قطعة القناة وفي الجندي المجهول إذ بنشئ المشاهد ويعرض الصور .  
والآخر هذا الشكل الموجز الذي يكتفي فيه ببعض الأقباس فيذكر بعض

الأشخاص أو بلغت إلى بعض الأمكنة ، أو بقي بعض الأسماء ، ليكون لهذه الأسماء والأمكنة والأشخاص دور الإيجاء والإثارة .

وهذا الاحتفاء بالعنصر التاريخي في نثر شوقي ليس بدءاً جديداً . . . فنحن إذا كنا نراه أو نلحه في نثر شوقي فقد لحناه كذلك من قبل في شعره .  
إنه ركيزة أساسية من ركائز العمل الفني عند شوقي الشاعر وشوقي الناثر .

### العنصر اللغوي :

إفراغ الأثر الفني في قالب السجع يقتضي بطبيعته مادة لغوية ثرة . .  
ونحن لا نستطيع أن نتصور نثراً مسجوعاً لا يكون لغزارة اللغة ووفرة مفرداتها نصيب كبير فيه .

وإذا كان هذا صحيحاً فنحن لا نحتاج أن نقف وقفة طويلة عند هذا العنصر الذي يدخل في عمل شوقي النثري . . غير أننا لا نملك السكوت عن ملاحظة أن شوقي استطاع أن يجاري الفحول في استخدام المادة اللغوية واستثمارها . .  
إن مقالته في أسواق الذهب كشفت عن مقدرته اللغوية البارعة . . وإذا كان هذا شبيهاً طبيعياً من أمثال الحريري وبديع الزمان والزمخشري واليازجي من الذين نشأوا في رحاب المعاجم العربية واتصلوا بالثقافة اللغوية اتصالاً مستمراً دائماً - فإنه من الأمر الخارق الذي بلغت النظر حقاً أن استطاع شوقي - وببئس هي بيئته التي تتنازع فيها العناصر الأعجمية وتغلب فيها اللغات الأجنبية : التركية والفرنسية - أن يستعلي على هذه البيئة من نحو وأن يمك بزمام اللغة العربية وأن يسخرها كيف يشاء ، فتلين له بين يديه وتطاعه في نثره في انطلاق واستساعة وثيء من عفوية كثير ، وأن يضرب في هذه اللغة بطلب ما يقتضيه السجع فلا يفوته اللفظ وإنما يسلس له كما يريد في نطاق الصنيع الفني الذي أخذ نفسه به .

إنه ليس شيئاً عادياً أن يمتلك شوقي كل هذه القدرة اللغوية التي دل عليها نثره بأكثر مما دل عليها شعره نتيجة لتبعه الشخصي ومطالعته الخاصة وحسه المرهف ، دون أن يكون واحداً من الذين نشأوا في رحاب الأزهر أو درسوا على أساتذته أو كانوا قريبين من معارف الفصحى .

### العنصر التأملی :

وتأملات شوقي عنصر ثالث من عناصر مقالاته . . وإذا كان بعض هذه المقالات كما يقول هو « من شؤون المجتمع وأحواله ، وصفات الانسان وأفعاله ، أو ماله علاقة بأشياء الزمن ورجاله — ص ٤ » فإن بعضها كذلك كما يقول « قد نبع من القلب وهو عند استحيام عفوه ، وطلع في الذهن وهو عند تمام صوره وصفوه » .

وليس معنى هذا العنصر التأملی في بعض هذه المقالات أنها تنجرد عن الدافع الاجتماعي أو الباعث النفسي ، فإلى ذلك قصدت . . وإنما أردت أن حظها من التأمل الفكري واستملائه أكثر من حظها من مشاهدة الواقع واستمداده . . إن الكثرة الكثيرة من مقالات الزمخشري تعود إلى هذا التأمل ، ولكن بعضها كالحديث عن الوطن مرد التأمل فيه إلى باعث نفسي ، وبعضها يعود إلى دافع من الحياة . . ومقالات شوقي يرجع بعضها إلى هذا العنصر التأملی كما في حديثه عن البيان ، واللسان ، والمال ، والحياة ، والموت وما إلى ذلك .

### العنصر الواقعي :

ومع ذلك فإن الجانب الأكبر من مقالات شوقي يرتد في أصله الذي نعيم عنه أو في تفاصيله التي بنشعب فيها ، إلى هذا العنصر الواقعي من حياة الشاعر أو مما يشاهد في مجتمعه ، مما يفرح به أو يشكوه منه ، مما ينكره أو مما يمتناه . . ولو رحنا نستقصي هذا العنصر من مواضع شوقي لطال بنا الطريق ، ذلك أنك

نجدته في أكثر المقالات . . وقد يكون هو الذي بولّد بعض معانيه أو بلون الحديث عنه . . ففي قطعه عن « الجندي المجهول » نستطيع أن نلمح بوضوح كيف انعكس بعض العناصر الواقعي في حياة شوقي أو مجتمعه على هذه القطعة فوله فيها بعض معانيها . . إن شوقي يشهد كيف يسير الناس في الجنائز ، ويتألون وهم يشيعون الأموات ، من الأموات والأحياء على السواء ، وبلغون في الأعراس والحرمات وهم يرون عاقبة الحياة . . إن هذه الصورة الاجتماعية المنقّرة ولدت عند شوقي في حديثه عن الجندي المجهول هذه الفكرة : ( . . . ) إلا هذا الجندي المجهول ، فقد خلت جنازته من الهامس والهاضر ، والفاطم والغامر ، فقل لمن لم يعرفه الناس : طوبى لك ، ما أنعم بالكَ ، وما أنقى كفنك ومربالك - ص ٢٤ ) .

وشوقي كذلك يشهد في مجتمعه كيف يكون تجني الشيع والاحزاب ، وكيف ينسلح غير ذي مجد بأذيال ذوي المجد ، وكيف يحاول الفاشلون من الأبناء أن يستغلوا سمعة آبائهم . . فاذا ذلك كله انعكس كذلك في مقالاته وبولّد عنده هذا المعنى الذي صاغه في الجمل التالية : ( . . . ذهب رحمه الله لا عن ولد يرمينا بجنادل أبيه ، ولا أخ يسحب علينا أكفان أخيه ، وكفانا تجني الشيعة ، وإدلال الصنيعة ، وكلّ حرباء ينساق الناس شجراً إلى الشمس ، يعبدوها على مناكبهم من المهد إلى الرمس - ص ٢٥ » .

### الأسلوب

حين نتحدث عن الآثار الفنية التي أنشئت في قالب السجع بغلب على أذهاننا معنيان اثنان : أحدهما هذه المحسنات البديعية المختلفة التي تواكب السجع من مثل الجناس والطباق والتورية ومراعاة النظير وما إلى ذلك . . والآخر هذا الفقر المعنوي الذي نلحظه في كثير من الآثار المسجوعة ، وهذا التغليب للجانب

اللفظي الذي يخرج الأثر الفني عن هدفه الأول الى شيء من الثروة أو الحشو كما عبر عن ذلك شوقي نفسه .

أفنجد مثل هذا عند شوقي حين نقرأ أسواق الذهب ؟ وهل استطاع أن يجنب العيوب التي رمي بها السجع أو التي أضفيت عليه ؟ وما بلغ من أمره في هذا السبيل ؟

من الحق أن نفيه قبل كل شيء إلى أن شوقي استطاع أن ينجو مما سماه الثروة ، وارتفع بأثره الأدبي عن مستوى الآثار المسجوعة التي سيطرت في بعض فترات الانحطاط . . . وبوجه خاص استطاع أن يسود المعنى ، وأن لا يغمط الفكرة ، وأن يجعل نقطة انطلاقه التعبير عما في نفسه ، لا مجرد التعبير . . . إن كثيرين من الذين كتبوا سجعاً لم تكن تعيش في أذهانهم فكرة معينة ، وإنما كانت تعيش في ذاكرتهم ثروة لغوية خصبة تنبع لهم هذا السجع وما يتصل به من محسنات . . . فلما أرادوا لهذه الثروة اللغوية أن تبدو ، ولهذه القدرة أن تنضح للناس ، أخذوا بفشئون . . . بمعنى أن الدافع الأول - أغلب الظن - كان يكن في الرغبة في استعمال هذه الثروة والإبانة عنها ، وكان يتمثل بعد ذلك في هذا الأثر الأدبي أو ذاك . . . إن نقطة الانطلاق كانت في كثير من المرات اللغة نفسها . . . ولكن شوقي لم يكن كذلك ، فلم تكن الرغبة في الإدلال بقوته اللغوية - فيما يبدو حقاً - مصدر هذا العمل الفني ، وإنما كان هنالك فكرة معينة تطيف بذهنه ، أو تأمل يسيطر عليه ، أو انفعال يخامر فؤاده ويغمره ، فإذا هو يعبر عنه هذا التعبير المسجوع ، تماماً كما كان يعبر عن هذه الأشياء بالشعر .

ولكي نؤكد هذه الحقيقة يكفي أن نذكر ما فعله الأصمغاني في أطباق الذهب . . . إن مقاماته كانت عرضاً لغناء اللغوي . . . ذلك لأننا نعدم عنده الفكرة فأفكاره هي أفكار الزمخشري ، ونعدم عنده الانفعال فأنعماله يأتي طارئاً ،

بأني متأخراً لا ينبع من ذاته وإنما بآتيه من قراءة الزمخشري عن طريق العدوى ،  
ولا نكاد نجد عنده إلا هذه التوسمة اللغوية - إن صححت التسمية -  
لما قاله الزمخشري .

والمثل شبيهاً من هذا أو هذا كله هو الذي فعله البازجي في مقاماته « مجمع  
البحرين » فقد كانت عرضاً لبراعته اللغوية في أكثر المرات ، وفي مقامة كالقامة  
اللبنانية مثلاً نجد أنه استعرض الأفعال التي تدل على معاني القطع والأفعال  
التي تدل على معاني الكسر والفروق الدقيقة بينها ثم نظمها . .

ومما يمكن من أمر فنحن لا نستطيع أن نتقي - حتى في الآثار التقليدية  
الصرفة - وجود الفكرة ووجود الانفعال أحياناً . . غير أننا نفرق بين فكرة  
وفكرة وانفعال وانفعال بالدرجة أولاً والأصالة والتقدم ثانياً . . فالزمخشري  
أعدى الأصهباني بانفعاله ، ولكن من المؤكد أن الأصهباني عانى نوعاً من الانفعال ،  
هو على الأقل انفعال الرغبة في إنجاز الأثر الفني ، وانفتح له بعض الجديد في  
المعنى ، هو على الأقل الشرح والتوسعة . . ولكننا في تقويم الأثر الفني لا ننظر  
إلى وجود هذا العنصر أو ذاك وإنما نلتفت إلى درجته من نحو كما نلتفت إلى  
أصلته ومكانته من نحو آخر : أكان عنصراً أصيلاً دافعاً أم كان عنصراً  
ثانوياً لاحقاً ؟ . . أكان له دور الإثارة والتفتيح أم كان له دور التقليد  
والتأبعية . . ومن هنا نؤكد ما لاحظناه من أن شوقي وضع الرغبة في إنشاء أثر  
فني بكل ما يحتاج إليه هذا الأثر من فكر وانفعال وصنع ، قبل أن يضع  
الرغبة في اظهار البراعة اللغوية . . على حين كانت البراعة اللغوية موجّهة أولاً  
في بعض الآثار المسجوعة الأخرى .

ومن هنا يصح لنا أن نلاحظ أن شوقي كان ينظر بعينه إلى السماء أو الطبيعة  
أو النفس أو المجتمع ثم ينظر إلى المعجم أو ينثال المعجم على لسانه . . أما بعض

الذين صلكوا السجع فقد كانوا ، أغلب الظن ، ينظرون الى المعجم اللغوي ، ولا يتركون لعقولهم وأحلامهم وأهوائهم دورها أن تنهض بمهمتها في انشاء الاثر الفني .

واذن فقد وفق شوقي في انشال السجع من وهدهته التي رُدني فيها حين بدأ انطلاقه فيه من الفكرة . . ولم تكن الفكرة أو الحادثة أو الشيء الذي يراه بعينه ليصفه ، مجالا لتصيد الالفاظ اللغوية التي يمكن أن تدور في فلك هذه الحادثة أو هذا الموصوف ولكنها كانت لتعبّر عنها ولتتلاءم معها ، لا لتتلاءم مع التعبير الجاهز أو التعبير المجتلب .

ولهذا فنحن نجد أن لمقالات شوقي عناوين : الاسد - الجمال - الذكرى - الأهرام - الطلاق . . . ولكننا لا نجد لمقامات الزمخشري عنواناً وبالتالي لا نجد عنواناً كذلك لمقامات الأصفهاني . . وفي مقامات الحريري لا يفتي العنوان دائماً . . . وعناوين « مجمع البحرين » غريبة جداً لأنها مصطنعة اصطناعاً واضحاً ( المقامة المصرية - الرشيدية - الفراتية - اللبنانية - الحوبية ) فهي لا تدل على شيء مما وراءها ، ولذلك لما صنعوا فهرس هذه المقامات كتبوا العنوان وكتبوا الى جانبه ما تتضمنه المقامة . . ان العنوان الصحيح يعبر عن الحادثة أو الفكرة التي أراد الكاتب أن يتحدث عنها لا الحادثة المفتعلة التي أراد الكاتب أن يجمع حول نواتها الالفاظ اللغوية المختلفة .

والحق أننا ، في سلسلة الآثار المسجوعة في الأدب العربي ، نستطيع أن نلح هذه الأنواع المختلفة : آثار تقوم على تغليب اللفظ - وآثار تقوم على تغليب الحادثة - وآثار تقوم على تغليب الفكرة مع رعاية مقام اللفظ . في الأولى تتضائل الفكرة وتخفت ، وتبدو من وراء ضباب ، ويسيطر



اللفظ بكل ما يتصل به من جناس وطباق ومراعاة نظير . . كما يفى بعض مقامات اليازجي .

وفي الثانية تحاول الحادثة أن تخفف من سيطرة اللفظة ولكنها توفق أحياناً في مفاجأتها أو طرافتها شأن بعض مقامات البديع والحريري ، وتفشل أحياناً في رتابتها وتكرار شخصها وضيق ألقهم وتناولهم التناول الخارجى .

وفي الثالثة تسيطر الفكرة ولكنها لا تخبج جمال اللفظ ، وتبدو الفاصلة وكأنها جاءت لتتمكن لما يحس به المثنى أو الذي يجول في ذهنه .

وأغلب الظن أن سجع شوقي كان من هذا النوع .

. . .

ولم يوفق شوقي في أن ينجو بالسجع من الفقر في الفكرة والنفاهة في المعنى ، وإنما وفق كذلك في أن ينجو من سيطرة المحاسن اللفظية التي تواكبها . .

ان الطباق والجناس بأنواعها يشغلان حيزاً كبيراً في الآثار الأدبية المسجوعة ، ويقصد اليها في بعضها قصداً ، ويتولد المعنى الصغير حيناً منها ، وقد يلفنان الحديث عن مجراه . . وما أكثر ما كانت هذه الأشياء تجتلب اجتلاباً بتضج للقارئ دون ريب أنه اجتلاب مفتعل . . .

أما شوقي فالذي تبسر له من ذلك بنى عن أنه لم يكن مقصوداً اليه كل القصد وبصورة خاصة ما يسمح به البديعيون مراعاة النظير . . وأحسب أن الذي جاء عنده من الطباق والجناس إنما كان أثراً من آثار نشدان السجع نفسه . .

فاللفظة المسجوعة تستدعي لفظة أخرى قد لا تشاركها في الحرف الأخير لحسب ، ولكنها تشاركها في أكثر من حرف فيتولد هذا الجنس الناقص . . ولعلنا حين نقرأ مثلاً حديثه عن اليوم « ص ٧٢ » وعن الغد « ص ٧٣ » نجد أبرز القطع التي تجمع منها هذه العناصر البديعية .

وما نفعني شوقي من قدرٍ من التكلف في اصطناع هذا البديع اللفظي ،  
ولكننا ننفي عن سجنه أن يكون قد غرق في المحسنات فضأت به المحسنات عن  
معناه . . . إن وجود هذه المحسنات التي تواكب السجع أمر لا مفر منه عند  
اصطناع هذا الأسلوب . . . ولكن كثرتها وغلبيتها هي التي تقيم المخالفة بين  
أثر وأثر : تجعل من أحدهما أثراً مقبولاً أو محبوباً ، ومن الآخر أثراً  
محبوجاً أو مرفوضاً .

ان شوقي أراد من السجع كما قال حلالة الفواصل وهدبل الحمام بأكثر مما  
أراد إلى القيد والتكلف والالتزام .

. . .

على أن شوقي لم يلتزم هذا السجع دائماً ، ولعل من الغريب أن نلاحظ أنه  
في الأقسام الأخيرة من أسواق الذهب انحرف عن التزام السجع . . . بل انه  
حتى في القطعة التي كتبها للدفاع عن السجع في الأسواق تحرّر من هذا القيد  
وبدا أشد ميلًا إلى الأسلوب المرسل وان كان التزم الازدواج وتوازن الفواصل .  
إن هذا التحلل كان بداية طريق جديدة في نثر شوقي . . . كان بداية  
الطريق الى النثر المطلق الذي بدا في أميرة الأندلس .

وكذلك يتضح أن نثر شوقي جرى مع شعره في طريقتين متوازيتين : كان  
شوقي أول الأمر شديد الصلة بالقديم وكان نثره شديد الارتباط بالسجع . .  
فلما مضى شعره في موضوعاته وأساليبه حرًا خالصًا من قيود القصر ، انطلق كذلك  
نثره حرًا خالصًا في أميرة الأندلس .

ومما يمكن من تقديرنا لهذا النثر فلنسنا نملك أن نقول الذي قاله الأستاذ  
المرحوم شكيب أرسلان من أن نثر شوقي قتل شعره أو فُتِكَ به فلبس سيفه

الحياة الأدبية هذا . . . لكننا نذيل إلى القول ان آلهة الشعر التي قامت عن ميامنه « كما قال الشيخ بشارة الخوري في رثائه » قد استبدت به فلم تترك لربات النثر التي قامت عن ميامره أن تستقل بهذا الشاعر الملمم . . . شدته الى موسيقاها ، موسيقى الخليل ، فلما تغاضت عنه بعض الأحيان شدته النثر الى أساليبه وفواصله .

ان نثر شوقي في مثل منزلة الشعر . . . بل انه شعر اذا نحن التزمنا تعبيره . . . إنه شعره الثاني<sup>(١)</sup> .

### المركنور شكري فيصل

أستاذ الأدب العربي بجامعة دمشق



(١) يرجو صاحب البحث كل الذين يملكون بعض النصوص او الرسائل من نثر شوقي ، مما لم يطبع ، أن يتفضلوا بهدايته اليها أو اطلاعه عليها .

# معجم المصطلحات الطبية

## الكثير اللغات

للدكتور ٠ ل ٠ كليفيل

نقله الى العربية الأستاذة مرشد خاطر وأحمد حمدي الحياط

ومحمد صلاح الدين الكواكبي

( لجنة المصطلحات العلمية في كلية الطب من الجامعة السورية )

- ١ -

لا تزال كلية الطب في الجامعة السورية هي المدرسة الطبية الوحيدة التي تدرس الطب باللغة العربية في العالم العربي قاطبة ، وإن سبقتهما في هذا المضمار ، لمدة قصيرة من الزمن ، مدرستا القصر العيني في مصر والجامعة الأميركية في بيروت . فقد بدى بتدريس الطب بالعربية في دمشق منذ إعادة افتتاح مدرسة الطب فيها ( ٢٤ من كانون الثاني سنة ١٩١٩ )<sup>(١)</sup> بعد اتخاذ لغة الضاد لغة التعليم في تلك المدرسة .

---

(١) لقد تم في التاريخ المذكور إعادة افتتاح مدرسة الطب باسم المدرسة الطبية العربية خلفت مدرسة العباب العثمانية التي يعود تأسيسها الى سنة ١٩٠٣ ، والتي كانت التركيبة لغة التدريس فيها ، وكان معظم أساتذتها من الأتراك عدا أستاذين كانا من أبناء البلاد العربية أحدهما المرحوم الأستاذ ميشيل شامندي الذي عُهد اليه بتدريس الطب الترمي ومفردات الطب وفن المداواة . وكان بين مساعدي الأساتذة الأتراك عدد غير قليل من أبناء سورية ، خلفوا أساتذتهم في التدريس في المدرسة الجديدة . ثم بُدِّل اسم المدرسة الطبية العربية فصار اسمها المعهد الطبي العربي ، وبذلك صرنا أخرى فأصبح كلية الطب .

ويعود فضل التدريس بالعريسة الى أولئك الأساتيد الذين وسدت اليهم كرامتي التدريس ( ومعظمهم ممن تخرج من إحدى مدرستي الطب العثمانيتين في دمشق أو في اسطنبول ) . وكانت دراستهم بالتركية قد مهدت أمامهم السبيل الى التدريس بالعربية ، لأن المصطلحات الطبية في اللغة التركية معظمها عربية . وليس من الصعب رد الألفاظ التي شوهتها أو حرفتها الصياغة التركية الى وضعها العربي الصحيح ، وانبرى ثلاثة من أساتيد مدرسة الطب الى ايجاد المصطلحات الطبية العربية ، الى ارشاد زملائهم الى الألفاظ الصحيحة ، فكان لهم القدر المعلى في هذا المضمار ؛ وهم الأساتيد مرشد خاطر ( وهو ممن درس الطب بالفرنسية ، وتخرج من الجامعة اليسوعية في بيروت ) ، وأحمد حمدي الخياط ، والمرحوم جميل الخاني . فهؤلاء الثلاثة يعدون رجال الطبعة في هذا الميدان <sup>(١)</sup> ، يضاف اليهم الأستاذ عبد الوهاب القنواقي الذي أخذ على عاتقه وضع المصطلحات الكيميائية . واستعان بقية الزملاء بخبرة أولئك فكانوا جميعاً المرجع الأول ، وتلا هذه الطبقة رجال الطبقتين الثانية والثالثة ، وكل منهم جهد في رفع شأن اللغة وابتعاد المصطلحات في الفرع الذي اضطلع بأعباء التدريس فيه . ويعد الأستاذ محمد صلاح الدين الكواكبي ( وهو من رجال الطبقة الثانية ) من المجلين في هذه الحيلة ، إذ ما كاد ينهي دراسته ، ويجوز شهادة الصيدلة حتى رأبنا

(١) هذا وإن الأمانة لتقضي بأن ننوه بفضل المرحوم الدكتور حكمة المرادي القمي ابصر الى كتابة سلسلة من المقالات نشرها في مجلة ( الصحة العمومية ) الأسبوعية التي كانت تصدرها رئاسة ادارة الصحة في دمشق ، مقترحاً قبول عشرات من المصطلحات الطبية العربية مقابل المصطلحات الفرنسية ، وقد استعمل معظمها أساتيد كلية الطب كالغزب والقلاب والمغلوب والأسر والسلي والنقي والوتين والماش والحاصه والهضة والشرى وانتشار الحذنة والزحير والزحار والدجعة والخناق والفلاع والسلمة والرعن والمقي والسادير والشفق والداغمة والخلب والإبقار ( عن العملية القيصرية ) والكظور والإباء ( عن فقد الشهوة ) والدوار وازقاء الدم والسادة والمراق وغيرها .

له المقالات المتتابعة في مجلة المعهد الطبي العربي <sup>(١)</sup> ثم رأيناه يشرع في وضع كتابه الذي سماه «مصطلحات علمية» ، وقد أعاد طبعه خمس مرات على ما أعلم . هذا وإن الأمانة تقضي أيضاً بأن لا نغفط حق أولئك العلماء والرواد الأول من أستاذنا القصر العيني عندما كانت العربية لغة التدريس في الطب ، ولا أولئك المؤلفين الأجلاء الذين درّسوا الطب بالعربية في الجامعة الأميركية في بيروت <sup>(٢)</sup> .

وأنشئ في مصر سنة ١٩٣٢ مجمع اللغة العربية الملكي ، وصار اسمه بعد الثورة مجمع اللغة العربية ، وأنيط باحدى لجانه النظر في المصطلحات العلمية

(١) لم نعلم مجلة الصحة العمومية الأسبوعية التي ألفت إليها طويلاً ، إذ لم يصدر منها سوى ٢٦ عدداً ، وكل عدد منها ثلثي صفحات ، ثم جمل العدد الواحد ست عشرة صفحة بعد أن تولى رئاسة تحريرها الأستاذ مرشد خاطر . وصدرت بعدئذ في أول سنة ١٩٢٤ مجلة طبية شهرية هي مجلة المعهد الطبي العربي ، بإشراف الأستاذ خاطر وانقطعت عن الصدور بعد سنة ١٩٣٦ ، وكانت هذه المجلة نبراساً يهتدى به ، ومبدأناً فسيحاً تنبأى فيه أعلام اللغويين والأطباء من سورية ولبنان والعراق ، سواء في المصطلحات العلمية أو في الموضوعات الطبية العلمية والمستعدنات المستعدة في بلاد الغرب .

(٢) لم يمتح لكاتب هذه السطور الاطلاع على ما ألفه هؤلاء ولا أولئك ، الا أنني أجلت الطرف عرّضاً في أحد الكتب التي وجدت في خزانة كتي ، وهو المعروف بالمصباح الوضاح في صناعة الجراح من تأليف وترجمة الدكتور جورج بوست أستاذ الجراحة في المدرسة الكلية في بيروت وقد طبع سنة ١٨٧٣ ، فوجدت لغته صحيحة لا غبار عليها . وقد سبقنا في استعمال الكثير من المصطلحات الطبية كآكلة اللحم والآمة والأردد والأدرّة والارتشاح والتأمور والاستسقاء وأسر البول والإطراق والمنعمة والغازمي وبرحاء والتلفيس وتلين الدماغ والحجرة والجبر والحسر وحى الدق والعشّم والعنبد والسيات والسفة والسلاق والشترة والمقبولة والعمّش والقحج والقذع والفرقة والفقم والفدج والفاثير والقدم المرجاء والقدعاء والقدعاء والوكماء والرحاء والبليلة المائية والكفنة والبقيين والنسيج الخلوي والوزرة والوكع وغيرها .

ومن بينها المصطلحات الطبية لمرضها على مجلس المجمع وقرارها ، فأقر المجمع جملة قرارات تناولت الطريقة الواجب اتباعها في وضع المصطلحات العلمية بما لا يتسع المجال لسرده .

وقد شرع المجمع في وضع المصطلحات في بادئ الأمر وفق الأسس التي أقرها دون أن يلتفت الى ما فعله أساتيد كلية الطب في دمشق . وثابر هؤلاء أيضاً على الطريقة التي اختطوها لأنفسهم ( ولا أقول اختطها كل منهم لنفسه ) دون أن يكون هنالك ما يجمع أو يوحد بين جهود الطرفين . وبدت بوادر التقارب ، مؤخراً فرأبنا بعض لجان المجمع تنظر بعين الاعتبار الى ما سبق لأساتيد كلية الطب وضعه وإدخاله في صميم لغة الطب المتداولة في سورية وفي معظم البلاد العربية درساً واستعمالاً . ومع ذلك لا يزال ثمة خلاف بين لا بين الفريقين المذكورين فحسب ، بل بين أساتيد كلية الطب أنفسهم ، فترى لفظ الفرضي الواحد بضع كلمات عربية بين معرب ومشتق ومنحوت . وكل واحد من واضعي تلك الكلمات أو من المنتصرين لها يتشبث برأيه ولا يجيد عنه قيد أنملة .

واستبشر خيراً كل من يهجه الأمر عندما طرق مسامعه أن لجنة من خيرة أساتيد كلية الطب وأطولهم باعاً في وضع المصطلحات الطبية قد تألفت وأخذت على عاتقها مهمة وضع معجم شامل يهدف الى توحيد المصطلحات ، ويكون مرجعاً يعتمد عليه ، وها هو قد صدر المعجم فهل تحققت به الآمال ؟ .

إنه لسفر ضخم عدد صفحاته تقارب الألف ، وقد طبع طبعاً منقحاً في مطبعة الجامعة السورية . وهو منقول الى العربية عن معجم ١٠١ ل . كليرفيل الكثير اللغات ( فرنسي انكليزي ألماني لاتيني ) ، فتكون العربية اللغة الخامسة فيه . والترجمة كانت عن طبعته الثانية التي صدرت سنة ١٩٥٣ ، ورفقت كلماته بأرقام متسلسلة فكان لكل كلمة عربية رقم مماثل لرقم الكلمة الفرنسية ، وقد بلغ مجموع الكلمات ١٤٥٣٤ كلمة .

إن إقدام الأستاذة خاطر والخياط والكواكبي على هذا العمل الجليل ، وما أدوه في تحقيقه من خدمة لأبناء الضاد عامة ولطب والأطباء خاصة ، سيسجل لهم بمداد الفخر والازجلال . ولبسمع الزملاء الأكرام بعد هذا بأن أبدي ملاحظاتي عليه :

### ١ - المعجم الأصلي المترجم :

لا يعد هذا المعجم كاملاً من حيث عدد مفرداته . فإذا ما قيس بالمعجم الطبية الأخرى كمعجم ( Blakiston's ) مثلاً نجد أن الطبعة الثانية من هذا المعجم الأخير ( وقد صدرت سنة ١٩٥٦ ) قد زادت على الطبعة الأولى بمقدار ١٢٠٠٠ لفظة ، ونجد أنه جرى فيها تبديل ٨٠٠٠ لفظة من الألفاظ الطبعة الأولى . فأين هذا من معجمنا الذي بلغ مجموع مفرداته ١٤٥٣٤ لفظة فقط . ولاحظ كاتب هذه السطور وهو بطالع في الصيف الماضي كتابين صدرا حديثاً أحدهما انكليزي وهو ( The Person Behind the Disease ) أي الشخص وراء المرض لمؤلفه ( J. Bauer ) ، وآخر فرنسي وهو ( La douleur et les douleurs ) أي الألم والآلام لمؤلفه الأستاذ ( Alajouanine ) أن عشرات إن لم أقل مئات من الألفاظ الجديدة خلا منها معجمنا الطبي .

### ٢ - ترتيب المعجم :

لقد جعلت اللجنة ترتيب المعجم - وهو على الحروف الفرنسية - من اليمين الى اليسار على غرار ما يكون في المعجمات العربية . والأفضل أن يكون الترتيب من اليسار الى اليمين سهلاً للبحث عن اللفظة الفرنسية ، وهو ما درج عليه زميلنا الفاضل الأمير مصطفى الشهابي في معجم الألفاظ الزراعية ، وودت أيضاً لو نسبت اللجنة على منوال هذا المعجم الزراعي الكبير باثبات الألفاظ العربية ، مرتبة على الحروف الهجائية العربية ، في صفحات ملحقة بالمعجم . وهو عمل سهل ما دام



يوجد لكل لفظة من الألفاظ رقم خاص يمكن رسمه في جانب اللفظ العربي ،  
فيدل على اللفظ الفرنسي الذي يقابله ، ونصبح فائدة المعجم بذلك مضاعفة .  
وهذا ما درج عليه مؤلف المعجم الأصلي في الألفاظ اللاتينية .

### ٣ — الأسلوب المتبع :

لقد ذكرت اللجنة في المقدمة الأسلوب الذي اتبعته ، فقالت إنها تتحرى  
المعنى الصحيح لكل كلمة من كلمات المعجم بانتقاء الكلمة العربية الصريحة ، من ترجمة  
سابقة صحيحة ، أو وضع ترجمة صحيحة عند فقد تلك ، مستعينة ببعض طرق  
الاشتقاق المقررة لأسماء الآلات والأمكنة . وإن كانت الكلمة مصدراً لعمل  
ترجمتها بالفعل الماضي لذلك الفعل ، ودرجت على اتخاذ وزن فَعَلَ للدلالة على  
المرض ( كَفَيْلَ وَرَقَصَ لَدَاءَ الْفِيلِ وَدَاءَ الرِّقَصِ ) ؛ وخصصت وزن اسْتَفْعَلَ  
بالكلمات التي يقصد منها الاستشفاء ( كَالِاسْتِفْاحِ ) ، ووزن فَعُولَ وفَعُولَةٌ  
ترجمةً للكلمات المنتهية بالكاسعة ( Able ) و ( Abilité ) ، ووزن فُعَالٌ للداء  
في حشو<sup>(١)</sup> أو عضو ككُتْبَادٍ وَعُصَابٌ وَقُلَابٌ وما إلى ذلك ، وقالت اللجنة  
إنها تضع كلمة أقرب ما تكون من معناها الصحيح لكل كلمة لم تهتم إلى ترجمة  
صحيحة لها كالحمة والفوعة ، وإنها لم تعتمد إلى التعريب إلا فيما ندر ،  
وكذلك الاشتقاق من تلك المعربات ، وإنها اضطرت إلى النحت في بعض  
الكلمات للحاجة الملحة إليه عند استعمال النسبة والإضافة إلى تلك الكلمات  
كالكربراء منقوطة من الكرية الحمراء وجمعها كبريات ، ومثل كرياضة  
للكرية البيضاء وجمعها كرياضات أو كرياضات . واستدركت اللجنة بعد

(١) كذا ورد في المقدمة ولا أظنه إلا غلطاً مطبعياً لم يُنتبه إلى تصويبه . وهو  
حتى أو حشا . فقد جاء في اللسان الحشو لأنّه تحتى به الفُرْشُ وغيرها ،  
والحنى ما دون الحجاب مما في البطن كله من الكبد والطحال الخ .

ذلك بقولها وكثيراً ما لجأنا الى وضع هذه الكلمات المفهومة مرادفة للكلمات قبل نحتها ، تاركين الخيار فيها للباحث ، حتى اذا ما استأنس بها أخذ باستعمالها . وتركنا اللجنة أكثر الأسماء والمصطلحات الكيميائية على حالها غالباً ، كما أنها حرصت في أكثر ما أثبتته من كلمات عربية على شكها على أصح وجوهاً بحسب ما عثرت عليه في كتب اللغة الموثوق بها .

إلا أن عمل اللجنة الذي هو حريّ بكل تقدير وعجب عاب يعوزه بعض الانسجام في انتقاء المصطلحات بعيداً عن التمسك بالآراء الفردية السابقة . فلكل من الأستاذ الثلاثة طريقته في النقل ، وله أنفاظه الخاصة في المصطلحات العلمية أو الطبية ، منها ما نُشر على حدة وأعيد طبعه مرات ( الكواكبي ) ، ومنها ما نُشر على حدة نقلاً عما جاء في آخر مصنفات المؤلف ( الخياط ) ، ومنها ما أثبت في إحدى مجلدات مجلة المعهد الطبي العربي ، أو استعمله المؤلف في مقالاته الإضافية في المجلة المذكورة أو في مؤلفاته العديدة ( خاطر ) . وكان ثمة خلاف على بعض تلك المصطلحات . فهل سوي الخلاف عليها ، وهل وُحِدَتْ طرائق النقل المختلفة ، وصُهِرت في هذا المعجم المشترك الجديد ؟

إن ما يظهر لمنصف كلمات المعجم أن كلاً من الأستاذ الثلاثة قد التزم نهجه القديم الذي درج عليه فجاء المعجم جامعاً لطريقة كل منهم لا موحداً لها . وعلى ذلك يلح القارئ التمسك بالنحت في كلمات هي في غنى عنه ، ويرى كلمات قد اجتنبت على حين أنها أصلح من سواها ، ويجد كلمات لم يسبق لغير واضعها أن استعمالها ، ولم يجاره في استعمالها أحد من زميله ولا من غيرهما . وكذلك يلح الإصرار على اثبات كلمات لا تفي بالمعنى المترجم ، لأن واضعها سبق له أن استعمالها . وهذا كم بعض الأمثلة : لقد جاء في مقدمة المعجم ، كما تكرر في متنه ، استعمال كُرِّيات ، وكُرِّيات مفهوتين من كُرِّيات حمر وكُرِّيات بيض ( في صيغة الجمع ، وكُرِّيرة

وكَرِيْضَة في صيغة المفرد ، أولسنا في غنى عن أمثال هذه الكلمات المستحدثة  
لنستبدل بها كلمات لم تعد مجهولة لأحد ، وإن أجازت اللجنة عددا مرادفاً  
للكلمات الدارجة تاركة للطالب الخيار باستعمال أحدها ؟ <sup>(١)</sup> ومع هذا فقد  
تجاوزت اللجنة عن النحت في ترجمة بعض المصطلحات الفرنسية النحوة ، مؤثرة  
ترجمتها بكلمتين غير قصيرتين ، ومن ذلك مثلاً أسماء بعض الجراثيم كالمكورات  
العقدية (Streptocoques) والمكورات العنقودية (Staphylocoques) وغيرها .  
وعودنا الأستاذ خاطر في كتبه العديدة التي نشرها أن يستعمل كلمة العفونة  
في ترجمة (Infection) ؛ فإذا باللجنة تقرر كلمة خَمَج <sup>(٢)</sup> عوضاً عنها ،  
ومشتقة منها كلمات غمَج وغمُوج والخنَاج . وعفونة كلمة شائعة وصحيحة وردت  
في كتب الطب العربية القديمة منها قانون ابن سينا عند بحثه عن حميات العفونة ،  
ومنها كامل الصناعة للمجوسي <sup>(٣)</sup> في ذكره للحميات العفنية (دلائل الحميات

(١) سبق لكاتب هذه السطور أن أبدى ملاحظاته على النحت في تقريره كتاب  
علم السموم للأستاذ الكواكي ( الجزء الثاني من المجلد الثلاثين من مجلة الجمع  
العلمي العربي ص ٣٢٠ ) .

(٢) في اللسان الخَمَج يفتح الميم الفتور من سَرَض أو سَب ، يابية . وأصبح فلان  
خَجِباً وخَجِيباً أي قاتراً ، الى أن قال : وتخييج اللحم يخمَج خَمَجاً أروح وأنن .  
وفي اللسان أيضاً عَفِن الشيء بعَفْن عَفْناً وعَفولة ، لمؤكفين يبين العفونة ،  
وتعفنن : فسدت من الدؤوة وغيرها فتفتت عند مه .

(٣) وهو علي بن العباس الجوسي من الأهواز . وكان طبيباً جيداً متميزاً في صناعة  
الطب ، وهو الذي صنف الكتاب المشهور بالملكي ، صنفه للملك عضد الدولة  
فناخسرو بن ركن الدولة أبي علي حسن بن بويه الديلمي . وهو كتاب جليل  
يشتمل على أجزاء الصناعة الطبية علماً وعملاً ( طبقات الأطباء ) .  
وفي أخبار الحكماء : علي بن العباس الجوسي طبيب فاضل كامل فارسي الأصل  
يعرف بابن الجوسي ، قرأ على شيخ فارسي يعرف بابن ماهر ، وطالع هو  
واجتهد لنفسه ، ووقف على تصانيف المتقدمين ، وصنف للملك عضد الدولة  
فناخسرو بن بويه كتابه المسمى بالملكي ، وهو كتاب جليل وكناش نبيل  
اشتمل على علم الطب وعمله حسن الترتيب مأل الناس اليه في وقته ولزموا درسه  
الى أن ظهر كتاب القانون لابن سينا فالوا اليه وتركوا الملكي بمحض الترك .  
والملكي في العمل أبلغ ، والقانون في العلم أثبت .

العنفية وأسبابها وعلاجاتها) <sup>(١)</sup> . وذكر في مكان آخر حى العفونة وحى العنف .  
أقول هذا وإن اختلف مدلول مصطلح زمننا هذا عنه لدى القدماء . وقد درج  
كاتب هذه السطور على استعمال كلمة انتان وإن كانت دون كلمة عفونة . وهي  
لم يستعملها قدماء العرب ، إلا أن مدلولها في المعجمات لا يكاد يختلف كثيراً  
عن (الخمج) وهي أسهل لفظاً وأخف وقعاً في السمع وكانت شائعة في العهد  
العثماني . وأظنها الآن أكثر رواجاً لهذا المعنى من الكلمات الأخرى . ولم يتح  
لكلمة خمج - وقد استعملها الأستاذ خياط منذ أكثر من خمس وعشرين سنة -  
أن يتجاوز امتحان الزمن . وقل من تداولها من تلاميذه . وطفت عليها كل من  
الكلمتين السالفتين ، ولا أدري هل يكتب لها البقاء بعد أن أنبتها معجم  
المصطلحات الطبية أم لا ؟

وعندي أنه لا يصح الاعتماد على كتب اللغة وحدها في انتقاء الألفاظ العلمية ،  
ولا أن ننش منها ما دُفن من ألفاظ ميتة لا يسئسيفها عصرنا الحاضر ، أو يكون  
لها معان مبهمة أو متضادة ، أو تكون معرفة تعريفاً غير علمي الخ . وقد نبه  
زميلنا الفاضل الأمير مصطفى الشهابي الى ما تحويه معجمات اللغة الشهيرة من غيوب  
وأغلاط <sup>(٢)</sup> في الناحية العلمية ، كما أتى المرحوم الدكتور أحمد أمين <sup>(٣)</sup> على ذكر  
بعض هذه العيوب وأسباب كثرة المترادفات في لغتنا . وهاكم على سبيل المثال

(١) الصفحة ٢٩٩ من الجزء الأول لكتاب كامل الصناعة طبع المطبعة الكبرى في

القاهرة سنة ١٢٩٤ للهجرة .

(٢) مقدمة الطبعة الثانية من معجم الألفاظ الزراعية ، وكذلك كتابه المسمى « المصطلحات  
العلمية في اللغة العربية » .

(٣) أسباب تضخم المعجمات العربية ، وهي عاضرة ألبت في جلسة افتتاح مؤتمر مجمع  
اللغة العربية في الدورة التاسعة عشرة ، ولشرت في الجزء التاسع من مجلة المجمع المذكور .

رأي أصحاب المجتات العربية في كلمة وربد<sup>(١)</sup> ، فالباحث لا يستطيع أن يستخرج منها فكرة معينة بعد تلاوة ما قيل فيها من المتناقضات ، أما صاحب القانون فقد عرّف الأوردة بالعروق الساكنة ، والمجوسمي بالعروق غير الضوارب مطلقاً العروق الضوارب على الشرايين ومثل هذه النصوص في كتب اللغة وغيرها لا تدع مجالاً للشك في أننا لا نستطيع الاعتماد عليها وحدها في انتقاء الألفاظ

(١) في اللسان : وقوله تعالى ونحن أقرب إليه من حبل الوريد قال أهل اللغة الوريد عرق تحت اللسان ، وهو في المضد فليق ، وفي القدرع الأكمل ، وهما فيما تفرق من ظهر الكف الأشاجع ، وفي بطن القدرع الرواش ، ويقال إنها أربعة عروق في الرأس فمنها اللسان ينحدران قدام الأذنين ، ومنها الوريدان في النقي . وقال أبو الهيثم الوريدان تحت الودجين ، والودجان عرقان غليظتان عن يمين ثمرة النحر ويسارها . قال : الوريدان ينبضان أبداً من الانسان ، وكل عرق ينبض فهو من الأوردة التي فيها يجري الحياة . والوريد من العروق ما جرى فيه النفس ولم يجري فيه الدم ، والجداول التي فيها الدماء كالأكمل والصافن وهي العروق التي تفصد . أبو زيد : في النقي الوريدان وهما عرقان بين الأوداج وبين اليدين وهما من البير الودجان وفيه الأوداج وهي ما أحاط بالخلقوم من العروق ، قال الأزهرري والقول في الوريدين ما قال أبو الهيثم . غيره : والوريدان عرقان في النقي والجمع أوردة وورود ، ويقال في الفضبان قد اتنخ وريده . الجوهري : حبل الوريد عرق ترمم العرب أنه من الوتين ، قال : وهما وريدان مكتنفا صفقي النقي مما يلي مقدمه غليظتان . وفي حديث المفيرة متفحة الوريد هو العرق الذي في صفحة النقي ينفخ عند الغضب وهما وريدان .

وفي القاموس الوريدان عرقان في النقي ، ج أوردة ووُرُود ، ولم يخرج صاحب التاج عما أورده اللسان .

وفي الخصص : الوريدان عرقان مكتنفا لصفحتي النقي وفي مقدمته متصلان بالوتين يردان من الرأس إليه .

وفي أقرب المواد : الوريد عرق في النقي يقال له حبل الوريد وهما وريدان ج أوردة ووُرُود ووُرُود ، كبريد وُبرُود . وقيل الوريد هو الودج ، وقيل يمينه ، وقال الفراء عرق بين الخلقوم وبين العباوين ، وهو ينبض أبداً ، فهو من الأوردة التي فيها الحياة ولا يجري فيها دم من مجاري النفس .

العلمية ، لاضطراب الكثير من تلك الألفاظ ، ولعدم تجديد المعاجم لمداولاتها .  
 وسبق لأستاذنا خاطر أن استعمل كلمات سُهام وخرَج وهَرَج ترجمة  
 لـ ( Tabes ) و ( Rachitisme ) و ( Hystérie ) ، فلم تعد اللجنة النظر في  
 هذه الكلمات ، ولا فيما كان على شاكلتها فأقرتها ، أما أنا فقد درجت على  
 تعريب هذه الألفاظ الثلاثة بتابس ورخيطس وهستيريا للأسباب التالية :  
 ان كلمة ( Tabes ) معناها اللغوي الأصلي هو الذبول والتلف . وحسبنا  
 فعلت لجنة مجمع اللغة العربية بترجمتها بالضئ ، فهو أقرب الى المعنى المقصود ،  
 بينما كلمة سُهام قد عني بها الأستاذ خاطر أحد مظاهر الداء المعروف ، وهو  
 الألم الذي ينتاب العليل بالعلة المذكورة على هيئة طعنة السهم ، وليس من  
 أعراض الداء الملازمة بل يظهر حيناً ويغيب أحياناً ، والأفضل أن  
 يخصص السُهام<sup>(١)</sup> بأحد أشكال آلام الداء ، وهو المعروف بالألم السهمي  
 ( Douleur lancinante ) فقط . هذا وقد انصح نطاسق مدلول العلة حتى  
 اذا نظرنا في مادة ( Tabes ) في المعجمات الطبية الحديثة المعوّل عليها نرى  
 أن لفظة تابس لم تعد مقتصرة على الداء العصبي الأصلي الذي مرده الى الداء  
 الأفرنجي والذي ينجم عن نصلب الحبلين الخلفيين للنخاع الشوكي ، بل قد أطلق  
 التابس أيضاً على الحالات الآتية التي لا تمت بصلة الى الداء الأفرنجي ولا الى  
 علة عصبية أو ألم اطلاقاً . واليسكم ما جاء في معجم ( Blakiston ) :  
 ( Diabetic tabes ) التهاب الأعصاب المحيطة في السكريين ( Optic T. )  
 ضمور العصب البصري بالداء الأفرنجي ، ( Spastic T. ) التصلب المشترك  
 للحبلين الجنيين والخلفيين من النخاع الشوكي الذي يحدث عدم الانتظام وثقفاً في  
 الطرفين السفليين ، ( T. coxaria ) الضمور من جراء علة الورك ،

(١) السوان في التاج السُهام داء يأخذ الإبل يقال بعير مسهوم وبه سُهام .

(T. diuretica) الداء السكري ، (T. dorsalis) وهو الداء الأصلي الذي ألعنا اليه آتفاً ، و (T. ergotica) انسام دموي من استعمال الأغرقت « دابرة الشيلم » ، و (T. mesenterica) الالتهاب السلي للعقد اللفافوية المساربيقية . وزاد (Dorland) في الطبعة العشرين من مجمه الطبي على ما تقدم : (Interstitial T.) تكثف اللبق العصبي البدئي من جراء كثافة عروق الحبلين الخلفيين ، و (Peripheral T.) التهاب الأعصاب المحيطية أو التابس الكاذب وغيرهما ، وحيال هذه الكثرة في استعمال كلمة تابس وعدم انحصار مدلولها على الالم وحده لا أرى مسوّغاً لاستعمال سهام في ترجمتها لذلك درجت على تعريبها وبخاصة لأن الكلمة العربية خفيفة سمّاً ولفظاً .

ووافقت اللجنة على كلمة خَرَج في ترجمة (Rachitisme) . وهو علة تبدو في الأحداث تمتاز بثشوه العظام ، وارتباك المضم ، ومردعا الى سوء التغذية والحرمان من أشعة الشمس ، ولا أظن أن العرب في بواديهما ، ولا في حواضرهم ، قد عرفوا هذه العلة ، وترجت لجنة مجمع اللغة العربية اللفظة بكساحة بينما أثبتت لجنة معجمنا هذه الكلمة ترجمة للفظ (Paraplégie) الذي اعتدنا أن نترجمه بالشلل النصفي السفلي . ولم أعثر على أي نص لاستعمال الخَرَج لعله تشبه ما تعنيه الكلمة الفرنجية<sup>(١)</sup> لذا أرجح تعريبها .

### ( للبحث صلة )

الدكتور حسني سبيع

(١) في اللسان قحَرَجَ وانخرَجَ : استرخى وضمف ولان وضمف الخوّار . والخَرَجَ لين المفاصل وخفة خربع لينة ، الى أن قال : وانخرعت كنهافة في انخلت ، وانخرعت أعضاء البعير وانخرعت زالت عن موضعها . أما الكساحة ، فهي الخضم الأكسح المقعد وهو من به داء يفسده . وفي اللسان الكساح الزمانة في البدن والرجلين وأكثر ما يستعمل في الرجلين . الأزهرى : الكسح ثقل في إحدى الرجلين اذا متى جرّها جرّاً . وكسح كساً وهو أكسح وكساحن وكسج ومكسح ، وقيل : الأكسح الأعرج والمقعد أيضاً . أقول ولا يمد كسحاً كل مصاب بالشلل النصفي السفلي .

## مختارات مما لم ينشر من شعر البحتري

لا يزال الكثير من أعلام الأدب العربي إلى اليوم في حاجة إلى دراسات مفصلة عنهم ، تنير تاريخ الأدب وتعين علي فهم تياراته وتطورها خلال العصور ؛ غير أن مثل هذه الدراسات تظل قصيرة اليد ضيقة الأفق ما لم يسبقها نشر علمي تقدي لا تار هؤلاء الأعلام ، وهذا هو الأساس القويم لكل دراسة علمية منهجية . ومن خير الأدب أن يدرك العالم العربي هذه الحقيقة ، فينتجه باهتمامه إلى نشر المخطوطات القديمة نشرأ عليها حديثا يستعير أساليب من سبقنا من المستشرقين في هذا المضمار ، وينهج نهجهم ، وكان أن ظهرت أكثر دواوين الشعراء الفحول في طبعات علمية أنفق ناصروها المحققون فيها من الجهود ما لا يمكن تجديده ، ولكن البحتري لا يزال إلى اليوم يشكو إهماله . .

لدبوان البحتري ثلاث طبعات :

١ - طبعة القسطنطينية ( الجواثب ) عام ١٨٨٢ ، وهي أقدم الطبعات وأصحها ، وعليها المعول إلى اليوم .

٢ - طبعة القاهرة عام ١٩١١ ، وهي كثيرة التحريف والتصحيف وإث كانت أكمل من طبعة الجواثب ، ذلك أن فيها شعراً كثيراً ليس في تلك الطبعة .

٣ - طبعة بيروت عام ١٩١١ أيضاً وهي طبعة مشكولة ، شرح فيها الناشر بعض الألفاظ وحذف ما لم يرضه من الشعر الخلل بالأخلاق والأدب .

وهذه الطبعات الثلاث - بالجملة - تجارية ، غاية في السوء ، وهي - إلى ذلك - لا تحوي جميع إنتاج البحتري الشعري ، ذلك أن هنالك جانباً ضخماً من شعر



البحري بقرب من ثلاثة آلاف بيت لما يزل مخطوطاً ، وبعضه من جيد شعره ، وأكثره يلقى أضواء ناعمة على مراحل كانت غامضة من حياة الشاعر وفنه . وعندما كنت في باريس ، قبل ثماني سنوات ، وافقت جامعة السربون على أن يكون موضوع رسالتي الأولى للدكتوراه البحث في حياة البحري وفنه ، وعرضتُ آنذاك أن يكون موضوع الرسالة الثانية المكتملة تهيئة طبعة علمية لديوان البحري ، وكادت الموافقة تتم لولا أن أحد الأساتذة المستشرقين العائدين من مصر أعلن أن طبعة نقدية علمية للديوان ستصدرها دار المعارف في القاهرة في سلسلتها المعروفة ( ذخائر العرب ) ، وأن ظهور الجزء الأول لن يتأخر أسابيع قليلة !

أما أنا فاخترت مخطوطة أندلسية للرسالة الثانية ، وأما ديوان البحري فقد مرّت الأسابيع والشهور والسنوات ولا تزال ننتظر الطبعة الجديدة منه . ومنذ أيام كنت أبسط لمعالي الأستاذ الرئيس خليل مردم بك طرفاً من هذا الحديث ، فأخبرني بأنه عزم مرة على طبع ديوان البحري ، كاملاً محققاً ، وبدأ العمل مدة ثم تركه عندما علم أن مصر تهيأت لطبع الديوان ، وانصرف إلى أعمال أخرى ، ولكن الديوان الموعود لا يزال أملاً حلواً يعيش في قلوب المنتظرين . . .

وإلى أن يصدر الديوان ، وينشر فيه ما لم ير النور إلى اليوم من شعر البحري ، رأيتُ أن أقدم مختارات منه في مجلة المجمع العلمي العربي إلى القراء ، ليسمعوا منها أنغاماً جديدة لشاعر كبير ملأ آذان الأجيال العربية إبقاعاً جميلاً وموسيقى ساحرة . وسنوالي تقديم هذه المختارات إلى أن نفي مصر بما وعدت ، ونحقق آمال المنتظرين .

## - ١ -

قال البحتري<sup>(١)</sup> يمدح أبا الجيش 'نخاروبة'<sup>(٢)</sup> بن أحمد بن طولون :

يكاد عاذلُنا في الحب يُغرينا فإلجاُجك في لوم الحبيينا  
نُلحى على الوجد من ظلم فديدُنا<sup>(٣)</sup> وجدُّ نُعانيه أو لاح يُعنيننا

(١) القصيدة من البسيط ، عدد أبياتها ٣٩ ، نقلناها من مخطوطة ديوان البحتري  
بالمكتبة الوطنية بباريس (رقم ٣٠٨٦) الورقة : ٣٩٨ و - ٣٩٩ و ؛ وقد وردت  
بعض أبيات منها في الكتب المخطوطة والمطبوعة ، مما يؤكد صحة نسبتها إلى البحتري :  
فالكندي في كتاب الولاة وكتاب القضاة (طبعة بيروت ١٩٠٨) ص ٢٣٩ يذكر  
الآيات : ٢٤ و ٢٥ و ٢١ و ٢٢ ، والشريف المرتضى يذكر في طيف الخيال (مخطوطة)  
الورقة ٤٧ ظ البيتين : ٣ و ٤ ، والمعري في عبث الوليد (مطبعة الترقى بدمشق ١٩٣٦)  
ص : ٢٢٥ - ٢٢٦ يذكر الشطر الأول من المطلع والبيتين : ١٦ و ٢١ ، وابن عساكر  
في تاريخ دمشق (مخطوطة الظاهرية) الجزء ١٧ الورقة ٤٢٧ بورد البيتين : ٢٤ و ٢٥ ،  
وكذلك بوردهما ابن العديم في زبدة الحلب من تاريخ حلب (تحقيق الدكتور سامي الدهان) :  
ج ١ ص ٨٣ .

(٢) 'نخاروبة' (٢٥٠ - ٨٢٨٢) صاحب مصر ، وليها بعد وفاة أبيه واتسع ملك  
الطولونية في أيامه من الفرات إلى بلاد النوبة ، وسات مقتولاً في دمشق (ابن خلكان -  
طبعة محيي الدين عبد الحميد : ٢ / ٢٠ - ٢٢) .

(٣) في الأصل : قد بدنتا ، والفضل في تصويب قراءتها لاستاذنا الرئيس خليل مردم بك .

إذا زَرُودٌ <sup>(١)</sup> دنت منّا صرائعُها <sup>(٢)</sup> فلا محالة من زَوْرٍ <sup>(٣)</sup> بُوافينا  
 بتنا جُنوحاً على كُتُبِ اللوى <sup>(٤)</sup> فأبى خيالُ <sup>(٥)</sup> ظُمياءٍ <sup>(٦)</sup> إلا أن يُجَيِّبنا  
 وفي زرودَ تَبِيعٍ <sup>(٧)</sup> ليسَ يُنْهِنّا نقاضياً وغريمٍ <sup>(٨)</sup> ليسَ يَظْهِمنا  
 منازلُ لم نُدْخِلْهُم عهدَ مُغْرَمنا فيها ولا دُخِلْ يوماً عهدُها فينا  
 تَجَرَّمَتْ <sup>(٩)</sup> عنده أَيْامُنَا حَجَباً معدودةً، وَخَلَتْ <sup>(١٠)</sup> فيها ليالينا

(١) زرود : رمال بين الثعلبية والخزمية بطريق الحاج من الكوفة ( باقوت معجم البلدان طبعة بيروت ١٣٩/٣ ) .

(٢) جمع صريمة وهي القطعة من الأرض الرملية أو الأرض المحصود زرعها .

(٣) الطيف والخيال يُرى في النوم .

(٤) كُتُبِ اللوى والأصل كُتُب جمع كُتِب وهو التل من الرمل ، وسكن الوسط لضرورة الوزن ، واللوى في الأصل منقطع الرمل ، وهو اسم لواد من أودية

بني سليم ( معجم البلدان ٣٣/٥ ) .

(٥) في طيف الخيال : طيف لظُمياء .

(٦) امم امرأة بذكره البعزي في نسب قصيدة أخرى يمدح بها خمارويه :

مرى الطيف من ظُمياء وَهنا فرحاً وأهلاً بمسرى طيف ظُمياء من مسرى

( الدبوان -- طبعة مصر ١٢/١ ) .

(٧) التبع : الذي يتبعك بحق . يطالبك به .

(٨) الغريم : الدائن والمديون ، والمراد هنا الثاني .

(٩) تجرَّمت الحجج : انقضت الأعوام بتأملها ، والحول المجرم : التام .

(١٠) في الأصل : دَخَلَتْ .

إِذَا قَسَتْ غِلْظَةً أَكْبَادُهَا جَمَلَتْ<sup>(١)</sup>      تَيَمَّنَ قَلْبًا مُعْنَى اللَّبِّ حَزُونًا  
 يَلُومُنَا فِي الْهَوَى مِنْ لَيْسَ يَغْدِرُنَا      تَرْدَادُ أَعْطَا فَرَا مِنْ نَعْمَةٍ لَيْنَا  
 وَمَا ظَنَنْتُ هَوَى ظَمِيَاءَ مُنْزَلَنَا      فِيهِ وَبُسْخَطُنَا مِنْ لَيْسَ يُرْضِينَا  
 لَقَدْ بَعَثْتُ عَتَاقَ الْخَيْلِ سَارِيَةً<sup>(٢)</sup>      إِلَى مُوَاقَةِ خَلٍّ لَا يُوَاتِينَا  
 يُكْثِرُنَ عَنْ دَيْرِ مُرَّانَ<sup>(٣)</sup> الدَّوَالِ وَقَدْ      مِثْلَ الْقَطَا الْجُرْنِ<sup>(٤)</sup> يَتَبَعْنَ الْقَطَا الْجَوَا  
 (٥)

(١) واد بجبال تهامة ، وهو الوادي الذي فيه المدينة (معجم البلدان ١/ ٢١٤) .

(٢) في الأصل : شاربة ، ولعل الصواب ما أثبتناه .

(٣) القطا ضربان : كُدْرِيٌّ وَجُوفِيٌّ ، وَالْجَوْنُ : الْأَسْوَد .

(٤) دبرٌ بالقرب من دمشق على قل مشرف على مزارع ورباض حسنة ، يذكر ياقوت

أنه كان ديراً كبيراً عامراً بالرهبان ، وينقل بعض شعر الصنوبري في وصفه (معجم

البلدان ٢/ ٥٢٣ - ٥٣٤) ، وليس في المطبوع من الديارات للشابشي شيء عن

هذا الدير ، وكان لخمارويه قصرٌ بدير مرَّان ، وبذكر ابن عساكر أن خمارويه

« بعد نزوله القصر وفد إليه الملوك ، وانجذبتهم العرب ، وقصدته الشعراء من جميع الأمصار ،

وقصده البحري الشاعر فأنشده قصيدته » هذه . (انظر تاريخ دمشق - مخطوطة

الظاهرية : ١٧/ ٤٢٧) وفي هذا القصر قُتل خمارويه سنة ٢٨٢ هـ (انظر تهذيب

تاريخ ابن عساكر لبدردان : ج ٥ ص ١٧٨) .

(٥) دير القديس مارون : دبر كان في مدينة الرستن ، أو فيما يجاورها ، على ضفة العاصي ،

بين حصن وخماة ، وهو دير مشهور بقول فيه المسمودي : « دير مارون بفيان عظيم

حوله أكثر من ثلثمائة صومعة ، فيها رهبان ، وكان فيه من آلات الذهب والفضة والجوهر

شيء عظيم ، تغرب هذا الدير وما حوله من الصوامع بتواتر الفتن » انظر مقالة ليوسف

البيان مركب في مجلة المقتطف (المجلد ٣٣ السنة ١٩٠٨ ص ١١٣ - ١١٥) .

يَنْشُدْنَ فِي إِدَمِ <sup>(١)</sup> وَالْبَحْرِ فِي إِدَمِ  
يُلْقِي 'الندي' منه مَلْمُوسًا وَمُدَّرَكًا  
بَادٍ بِأَنْعَمِهِ <sup>(٢)</sup> الْعَافِينَ يَزِلُّهُمْ <sup>(٣)</sup>  
تَبْلٌ مُجْحَكٌ فِيهِ الْمُجْتَدُونَ إِذَا  
وَمُخْلِقِينَ مِنَ الْإِحْسَانِ يَنْجُوهُمْ  
إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي جَدَائِهِمْ تَرْزُ عَارِفَةٌ  
وَعَابِنٌ إِنْ شَرَى حُدًّا بِمَرْغَبَةٍ  
مَظْفَرٌ لَمْ يَزَلْ نَلْقَى <sup>(٤)</sup> بَطْلَمَةَ  
يُمْنِي <sup>(٥)</sup> قَرِيبًا مِنَ الْأَعْدَاءِ لَوْ وَقَعُوا  
غَفَى عَلَى سَيِّدِ السَّادَاتِ مَضْمُونًا  
وَكَانَ يُعْتَدُّ مَوْهُومًا وَمَظْنُونًا  
عَلَى الْأَشْقَاءِ <sup>(٦)</sup> فِيهَا وَالْقَرَابِينَا <sup>(٧)</sup>  
شَتْنَا أَخَذْنَا احْتِكَامًا فِيهِ مَا شِينَا <sup>(٨)</sup>  
سَاهِينَ عَنْ كَرَمِ الْأَفْعَالِ لَاهِينَا  
تَكْفُنَا كَانَ عُذْرٌ مِنْهُ يَكْفِينَا  
رَأَاهُ فِيهَا بِخَيْلِ الْقَوْمِ مَغْبُونَا  
كَوَاكِبِ السَّعْدِ وَالطَّيْرِ الْمِيَامِينَا  
بِالصَّبْرِ فِي بُعْدِهَا مَا اسْتَبَعَدَ الصَّيْنَا

- (١) إدَم : اسم مدينة ، ويريد بها البحتري دمشق (معجم البلدان ١/ ١٥٥) .  
(٢) في عبث الوليد : بأنصفه .  
(٣) زَأَفَتِ الشَّيْءُ : قرَّبه والمعنى أنه يقرب السائلين على إخوته وجلسائه .  
(٤) في الأصل : الأشقياء ، والتصويب عن (عبث الوليد) .  
(٥) القرابين : جمع قربان ، وهو جلوس الملك ، ويرى المعري أن البحتري واهم في نصب القرابين ، وحقه الخفض (عبث الوليد ٢٢٦) .  
(٦) الأصل : شَتْنَا وَسَمَّاتِ الْمَهْزَةِ .  
(٧) في كتاب الولاة والقضاة : لم يزل يلقى .  
(٨) في كتاب الولاة والقضاة جاء هذا البيت كما يأتي :  
يُمْنِي قَرِيبًا مِنَ الْأَعْدَاءِ لَوْ وَقَعُوا بِالصَّبْرِ مِنْ بُعْدِهَا مَا اسْتَبَعَدَ الصَّيْنَا

تَشْمِيرُ يَقْظَانِ مَا انْفَكَّتْ عَزِيمَتُهُ      تَرِيدُ أَعْدَاءَهُ ذُلًّا وَتَوَهِينَا  
إِنِّي رَأَيْتُ<sup>(١)</sup> جِيوشَ النَّصْرِ مُنْزَلَةً      عَلَى جِيوشِ أَبِي الْجَيْشِ بْنِ طُولُونَا  
يَوْمَ النَّثِيَّةِ<sup>(٢)</sup> إِذْ يَنْتَبِي<sup>(٣)</sup> بِكَرْوَتِهِ      فِي الرَّوْعِ خَمْسِينَ أَلْفًا أَوْ يَزِيدُونَا  
وَالْحَرْبُ مُشَقَّلَةٌ تَنْلِي مَرَاجِلَهَا      حِينًا وَيُضْرِمُ ذَاكِي جَرِيهَا حِينَا  
يَغْدُو الْوَرَى وَهُمْ غَاشُوا<sup>(٤)</sup> سُرَادِقِهِ      صِنْفَيْنِ مِنْ مُضْطَرِي خَوْفٍ وَرَاجِينَا  
وَالنَّاسُ بَيْنَ أَخِي سَبْقٍ يَبِينُ بِهِ      وَفَاتَرَيْنِ مِنَ الْغَايَاتِ وَائِينَا

(١) في (كتاب الولاية) و (تاريخ دمشق) : وقد رأيتُ ، وفي (تاريخ حلب) :  
وقد ندأتُ جيوشُ ...

(٢) المراد ثنية العقاب وهي ثنية مشرفة على غوطة دمشق يطؤها القاصد من دمشق  
إلى حمص (معجم البلدان : ٨٥ / ٢) والبحتري يشير إلى المعركة التي جرت هناك  
سنة ٢٧٤ هـ بين خماروبه ومحمد بن ديوداذ بن أبي الساج المعروف بالافشين ، بعد  
أن نكث عهده معه (ابن العديم : ٨٢ / ١ - ٨٣ ، وانظر ابن الأثير - طبعة  
مصر ١٣٥٣ هـ - : ٦٣ / ٦ في حوادث سنة ٢٧٥ هـ) وانتهت المعركة بهزيمة ابن أبي الساج  
وانتصار خماروبه .

(٣) في (تاريخ حلب) :

... . . . . . نَتْنَى بِكَرْنِهِ      خَمْسِينَ أَلْفًا رَجَالًا أَوْ يَزِيدُونَا

وفي (كتاب الولاية) و (تاريخ دمشق) :

... . . . . . نَتْنَى بِكَرْنِهِ      فِي النَّفْعِ خَمْسِينَ أَلْفًا أَوْ يَزِيدُونَا

(٤) جمع (غاش) جمع المذكر السالم ، وَغَشِيَهُ : أَنَاهُ وَقْصَدَهُ .

كما رأيت الثلاثاءات <sup>(١)</sup> واطئة من التخلف أعقاب الأثانينا <sup>(٢)</sup>  
 قَمَرَكَ اللهُ للعَلَاء تَعْمُرُهَا وزادك اللهُ إعزازاً وتمكيناً  
 ما انفكت الروم من همٍ يُجَيِّرُهَا مذ جاورت عندك العزاء <sup>(٣)</sup> واللينا  
 تدنو إذا بعدوا عند اشتطاطهم <sup>(٤)</sup> كيداً وتبهدُّ إن كانوا قريبيناً  
 حتى تركت لهم يوماً نسخت به ما يأتون الناس من أخبار صفينا <sup>(٥)</sup>  
 مصارع كُتِبَتْ في بطن لؤلؤة <sup>(٦)</sup> من ظهراً نيرة <sup>(٧)</sup> القصى وطميناً <sup>(٨)</sup>

- (١) جمع الثلاثاء ، والحق أن يقول الثلاثاوات ، لأن الثلاثاء عندهم - كما يقول  
 المعري في عبث الوليد ص ٢٢٦ - مؤنث ، وحكي في اللسان عن ثعلب :  
 مضت الثلاثاء بما فيها ، فأنث ، ولم يحك سيبويه حمراءات في جمع حمراء وقد  
 حكاه الكسائي ، فيجوز على هذه الحكاية .
- (٢) يقول المعري : حكاه بعض الناس في جمع الاثنين ، وحكى أيضاً ( الاثنائي )  
 بغير نون ( انظر عبث الوليد ص ٢٢٦ ) .
- (٣) العزاء : السنة الشديدة ، وقيل هي الشدة ( اللسان ) .
- (٤) اشتطاطهم : جورهم وبعدهم عن الحق .
- (٥) موضع بقرب الرقة على شاطئ الفرات ، وفيه جرت الواقعة بين علي ومعاوية سنة ٣٧ هـ ،  
 وقتل فيها سبعون ألفاً ، ودامت المعركة مائة يوم وعشرة أيام وكانت الوقائع تسعين  
 وقعة . ( معجم البلدان ٣ / ٤١٤ ) وانظر الطبري حوادث سنني ٣٦ و ٣٧ هـ .
- (٦) لؤلؤة : قلعة قرب طرسوس ، غزاها المأمون وفتحها ( معجم البلدان ٥ / ٢٦ ) وفي سنة  
 ٢٨٠ هـ دخل أحمد بن أبا طرسوس للغزاة من قبل خمارويه بن أحمد بن طولوت  
 ( ابن الأثير : ٦ / ٧٧ ) وفي سنة ٢٨١ هـ دخلها طنج بن جف لغزو الصائفة من  
 قبل خمارويه فبلغ طرايزون ( ابن الأثير : ٦ / ٧٨ ) .
- (٧) أنقرة : مدينة في الثغور ، كان المعظم قد فتحها وهو في طريقه إلى عمورية سنة ٢٢٣ هـ  
 ( معجم البلدان ١ / ٢٧٢ ) وانظر حوادث سنة ٢٢٣ في الطبري .
- (٨) طمين : موضع ببلاد الروم ( معجم البلدان ٤ / ٤١ ) .

فَأَسْلَمَ لِيَجْهَدَهُمْ غَزَوًا وَتَفْزِيَهُمْ جَيْشًا<sup>(١)</sup> وَتُتْبِعُهُ الْأُمُورُ هَارُونَ<sup>(٢)</sup>  
 أَمَّا الْحُسَيْنُ<sup>(٣)</sup> فَمَا آلاكَ مَجْتَهِدًا وَلَيْسَ تَأْلُوهُ تَفْخِيًا وَتَرْيِينًا  
 تَرْضَى بِهِ حِينَ لَا يُرْضِيكَ مُذْبِرُهُمْ مَبَارَكًا صَادِقَ الْإِقْبَالِ مَيْمُونًا  
 أَتَى الْأَمَانَةَ فِي مَالِ الشَّامِ فَلَا تَلْقَاهُ إِلَّا أَمِينَ الْغَيْبِ مَأْمُونًا  
 تَسْمُو إِلَى الرِّتْبَةِ الْمُلْكِيَا مُحَاسِنُهُ فَمَا تَرَى وَسَطًا مِنْهَا وَلَا دُونًا

- (١) يريد ابنه جباش بن خمارويه ، وقد ولي مكان أبيه بعد قتله عام ٢٨٢ هـ وعزله القواد بعد تسعة أشهر من ولايته (ابن العديم ٨٦/١ وابن الأثير ٨٢/٦) .
- (٢) هارون بن خمارويه ، ولأه الجند بعد عزلهم أخاه جيشا سنة ٢٨٣ هـ وبقتله سنة ٢٩٣ انقضى ملك الطولونية (ابن الأثير ١١٠/٦) .
- (٣) هو الحسين بن أحمد المادرائي المعروف بأبي زنبور من رجال دولة خمارويه ، يسميه البحتري وزيراً (مخطوطة باريس الورقة ١٧٨) والمؤرخون يسمون ابن أخيه : محمد بن علي بن أحمد المادرائي وزيراً لخمارويه (تاريخ بغداد ٧٩/٣) ، ويجمع الصابي بينهما ويذكر أنها «ديرا أمور بني طولون في المال والرجال» ولهما في الكتابة قدم وبالتدبير دربة» (انظر تاريخ الوزراء للصابي طبعة بيروت ص ٣٤٧ - ٣٤٨) ، والأشبه أن يكون الحسين وزيراً لخمارويه مكلفاً بتدبير أمور دولته المالية في الشام ، والبحتري يثني على أمانته في مال الشام وحرصه . وقد لعب الحسين دوراً في إعادة مصر إلى الحكم العباسي (تاريخ الوزراء للصابي ص : ٩٢) وأصبح عاملاً على مصر في خلافة المقتدر ، وأشير على المقتدر أن يستوزره لولا معارضة نصر الحاجب (المصدر السابق ٣١٥) .



ملاحظات ونظرات في القصيدة :

١ - هذه القصيدة واحدة من أربع ، مدح بها البحتري 'خمارويه بن أحمد ابن طولون' ، وهي كلها لا تزال إلى اليوم مخطوطة ، إلا واحدة منها نجدها في طبعة القاهرة ( ج ١ ص ١٢ ) ولم بلغت الباحثون إليها لورود اسم خمارويه في التقديم لها مصحفاً إلى ( حمادويه ) ، ومن هنا ظلت فترة اتصال البحتري بالطولونيين مجهولة لدى كل من يدرس الشاعر وفنه من ديوانه المطبوع ، ولا تصل يده إلى المخطوطات الكاملة للديوان .

٢ - نظمت هذه القصيدة بعد سنة ٢٧٩ هـ ، في المرحلة الأخيرة من حياة الشاعر ، ففي هذه السنة يرثي البحتري الموفق ويمدح المعتضد بعد أن يوبع بالخلافة بقصيدة لا تزال مخطوطة ( مخطوطة الديوان بباريس الورقة ٣٩٥ ظ - ٣٩٦ و ) ويسأل الشاعر فيها أبا العباس المعتضد أن 'يقدمه إلى خمارويه بكتاب توصية منه :

أوجهي أنت إيصاءً وتقدمةً يزكو بها سبي عند ابن طولونا  
وكان النزاع بين العباسيين والطولونية قد انتهى باعتراف خمارويه بسلطة الخليفة المعتضد ، وتزويجه من ابنته قطر الندى ، وإرساله الهدايا العظيمة من مصر إليه ( انظر الطبري وابن الأثير : حوادث سنة ٢٧٩ هـ ) -

٣ - من حسن حظ البحتري أن خمارويه لم يبلغه هجاء الشاعر لأبيه أحمد ابن طولون ، قبل أكثر من عشر سنوات ، ذلك الهجاء المقذع ، إذ يتهمه بأنه ابن صفاح ، 'يعزى لأبوين : طولون وبلخ :

إذا ما طلبنا خُطّة التّصفِ ردّها علينا ابنُ 'خُبثِ فاحشِ ونسوقِ  
وعاهرة أدت إلى شرّ عاهرة مشابهِ كلب في الكلاب عسوقِ  
ليُلتبّع أو طولون يُعزى فقد حوت على اثنين : زوجٍ منها وعشيقِ

( انظر الديوان — الجواب : ٢ / ٧٩ وانظر النجوم الزاهرة لابن تغري بردي : ٣ / ٣ ) ولو عرف خمارويه موقف البحتري هذا من أيـه لما وجد الشاعر لديه عطاءً ولا إكراماً .

٤ — نلاحظ في القصيدة أقسام ثلاثة متميزة :

١ — النسب : ويشغل الأبيات ( ١ — ١١ ) وعلى الرغم من أنه غزل

تقليدي فنيه حرارة قلب متقد لم تطفئ شملته شيخوخة جاوزت السبعين !  
ب — مدح خمارويه : ويشغل الأبيات ( ١٢ — ٣٥ ) وهو أهم أجزاء

القصيدة ، وفيه يصف الشاعر إقباله على دمشق ، بنشد الفنى

المضمون لدى بحر جواد بقرب السائلين المحتدين وبحكمتهم في

ماله ليأخذوا ما يشاؤون ، فهو يشتري الحمد بالعطاء ، وهو مظفر

ميمون الطلعة شجاع غير هائب ، ينال من أعدائه مها يمدوا ،

ويزبدهم إذلالاً وإضعافاً . ويمجد الشاعر انتصار ممدوحه في

معركة ( ثنية العقاب ) فالملائكة كانت تؤبد جيشه وتشد أزره ،

فيهمز ابن أبي الساج وخمسين ألفاً من رجاله أو يزبدون ،

في حرب حامية تغلي مراجلها ويضرم جرحها . ويصف البحتري

أمل الناس في ممدوحه وهيبة مفضلهم له ، فهم بين راج وخائف ،

والناس يتفاوتون بالهمم ، فمنهم السباقون إلى الغايات ومنهم

المتخلفون الذين يبيئون في الأعقاب ، كما تجيء أيام الثلاثاء

في أعقاب أيام الاثنين . ثم يدعو الشاعر للممدوح بطول العمر

والزيادة في الأعزاز والمجد والتمكين ، ويتحدث عن بطولاته في

جهاده للروم عند ثغر أواؤة ، ويسأل له دوام السلامة ليُرسل

ولديه جيشاً وهاروناً غازيين للروم ، بقودان كذاب الجهاد في الثغور .

ج — مدح وزير خمارويه الحسين بن أحمد : ويشغل بقية أبيات القصيدة

( ٣٦ — ٣٩ ) ويصف الشاعر هنا أمانة الوزير في حفظ أموال

الشام ، واجتهاده في إرضاء سيده خمارويه .

٥ - انتقل البحرى من النسب إلى المديح انتقالاً مفاجئاً ، ولم يحسن التخلّص ، وغالباً ما يفعل البحرى ذلك في قصائده ، وقد أهمل الشاعر في مديح خمارويه التعرض إلى رفعة النسب ، وقصر مديحه له على تمجيد كرمه وشجاعته ، وأهل الحديث عن النسب يصل بالشاعر إلى والد خمارويه ، أحمد ابن طولون ، وموقف البحرى منه موقفه كما ذكرنا منذ قليل ! وأما الجمع في المديح بين الأمير ووزيره فن دأب البحرى أن يفعل ذلك في قصائد كثيرة من شعره ، ليملك قلب الوزير ( في بعض أماديجه للمؤكل بمدح الفتح بن خاقان الديوان - الجواب ١/٣ ، ويعرض لمديح الوزير أبي صالح ابن بزاد في مديحه للمستعين : ١/٧٥ ، ويمدح وصيفاً في مديحه للمعز : ٢/٢٤٨ كما يمدح الوزير عبيد الله بن يحيى في مديحه للمعتمد : ١/١٠٦ ) ولا ضير من الإشارة إلى ما ينتظره البحرى من وراء تمجيد وزير ماله خمارويه في الشام ، فهناك خراج أملاكه الواسعة في منبج ، وقد حرص الشاعر طوال حياته على دفع الوزراء والكتاب إلى إسقاط خراجهم أو جانب منه !

٦ - هذه القصيدة لا تتأخر عن الطبقة الجيدة من شعر البحرى ، وهي خير دليل على أن شاعرية البحرى ظلّت إلى آخر مراحل حياته تمتاز بالقوة والخصب ، وبكفينا عند تقويم هذه القصيدة أن نذكر أنها هي النوال الذي نسج عليه بحرّى الأندلس ابن زيدون قصيدته النونية في الشوق إلى ولادة بنت المستكفي ( ديوان ابن زيدون - شرح كيلاني وخليفة : ٤ - ٨ ) :  
أضحى الثنائى بديلاً من تدانينا وناب عن طيب لُقيانا تجافينا  
وأن نذكر أن الشعراء سيوالون معارضتها ( ديوان ابن زيدون : ٤٠١ )  
إلى نونية شوقي في العصر الحديث : ( الشوقيات ٢/١٢٧ - ١٣٢ ) :  
يانائح الطلح أشباه عوادينا نشجى لؤادبك أم نأسى لؤادينا  
( يتبع )

الدكتور صالح الأشر

# كتاب النفس

لابن باجة الأندلسي (\*)

- ٥ -

وقد يكون امتزاج وقد لا يكون <sup>(١)</sup> ، فإن الاسطقس البارد قد يكون من القوة في القوة بحيث لا يحرك الآخر الحار فيحركه الحار أو يجعله مثله . فيكون هذا تكوناً <sup>(٢)</sup> لا امتزاجاً <sup>(٣)</sup> وقد يكون بحيث <sup>(٤)</sup> يحرك كل واحد منها صاحبه غير انه لا يكون أبداً على نسبة واحدة فيحدث عن < ذلك > أنواع من الامتزاج . فلذلك متى كان الامر جارياً على النظام احتيج ضرورة الى محرك من خارج ، وهو من التحريك هو تدبير فضرورة يحتاج الى مدبر . وفي هذا الصنف فيدخل الامتزاج الصناعي وهذا النوع من الامتزاج إنما يصير به أبداً الممتزج وسطاً في القوة بين ما امتزج منه . لأن المازج المحرك

(\*) تنمة الفصل الثالث : « القول في القوى الحساسة » المنشور في الجزء الرابع من المجلد الثالث والثلاثين ( ص ٦٠٩ - ٦٣٢ ) من هذه المجلة .

(١) قارن ابن باجة ، ورقة ٨٢ ب : وكل فاعل ومنفعل وهما لهما مشتركة لهما متضادان ضرورة فلذلك كل واحد منهما يحرك صاحبه وهو يتحرك ، فالفعل والانفعال لا يكون حتى تماس ، وقد يكون اختلاط وقد لا يكون ، راجع أرسطو : De Gen. Cor, I. 6. 322 b 22; 10. 327 b 23 sq

(٢) المخلوطة : تكون .

(٣) قد فرق ابن باجة بين « التكون » و « الامتزاج » وقال : ورقة ٧٦ ب : « ان كل متكون فهو من اسطقس أو من أكثر من اسطقس ، فان الاسطقس الواحد انما يتكون عنه اسطقس غيره كالنار تتولد منه سائر الثلاثة كما قيل في كتاب الكون والفساد ، وأما من اثنين فقد يكون منها اسطقس آخر كما قيل في كتاب الكون ، وذلك اذا فسد المجتمع بفساد قوة كل واحد منهما أو فساد قوة أحدهما ، وأما اذا فسدت النهايات وبقيت القوى بالفعل لكن ليست خالصة بل حدث فيها قوة مركبة متوسطة وذلك مادام مختلطين فعند ذلك يحدث عنها موجود آخر وصورة أخرى ويمكن أن يحدث في هذه صور كثيرة بفروب من التركيب وضروب من الاستمالة تنبها لضروب من التكوّنات .

(٤) المخلوطة : بحسب .

للممتزج على هذه الصفة إنما يوقف الممتزج في أحد المتوسطات ، وإنما يصير الممتزج أشياء متوسطة بحاسة الاسطقسات .

فأما المازج اذا كان الذي يمزج به حرارة فانها ان كانت بحاسة الحرارة الاسطقسات فانه يكون عنه شيء شبيه بالطبخ فيعرض عنه الأجسام المعدنية <sup>(١)</sup> ، وإذا اتفقت المادة ملائمة <sup>(٢)</sup> للشيء المنطبخ . وهذا النحو من الامتزاج يشبه الامتزاج الصناعي الذي يستعمل النار ، مثل الجزء الممتزج من الأرض والماء . في هذا الامتزاج يظهر أشياء ليست الاسطقسات كالتماسك والانطراق <sup>(٣)</sup> ، كما يعرض ذلك في الذهب ، وفي مثل هذا العرض الأرابيح والطعوم والألوان المختلفة ، وبالجمل ، فالأحوال الجسمانية وهي التي توجد شائعة في الجسم ، وتنقسم بانقسامه . وهذا يلزم ضرورة أن تكون متشابهة الأجزاء فإن الطبخ في هذه قد يكون . وهذا نوع من الامتزاج ليس كالأول . ولذلك لا يوجد عن الحركة المستديرة جسم معدني <sup>(٤)</sup> ، وبالجمل جسم متشابه الأجزاء إلا في مواضع مخصوصة بها فان < الأجسام > المعدنية لا توجد < إلا > عن المعدن . والمعدن هو مكان في جوف الأرض يتكون فيه جسم متشابه الأجزاء من بخار ودخان ينحصر فيه لبيكائف ذلك الجزء من الأرض فينضج بالحرارة الموجودة في ذلك الجزء بعينه <sup>(٥)</sup> . ولذلك لا يكون في المواضع الثلاثة المعدودة في كتاب الآثار العلوية جسم آلي أصلاً .

فالأشياء الحادثة عن الامتزاج الموجودة بهذا ( ورقة ١٥٢ الف ) النحو من التعفن إنما توجد متباينة الاسطقسات <sup>(٦)</sup> . وكل هذه إما صورة طبيعية أو اعراض في أجسام طبيعية وتوجد في حدود المحرك القريب .

(١) فارن أرسطو : Arist : Meteo. III. 6. 378 a 18 sq.

(٢) المخطوطة : الملائية .

(٣) راجع النص ورقة ١٥٢ ب : كالانطراق والصبر على النار .

(٤) المخطوطة : مسدئ .

(٥) فارن أرسطو : Arist : Meteo. : IV. 10. 388 a 13 sq.

(٦) أرسطو : Arist : Meteo. I. 379 b 5

أما المؤلف من الاسطوانات الذي يكون المحرك فيه الأجرام السماوية ،  
وبالجملة فالمحرك فيها يتحرك بحركة المكان فيعرض عنه الانقفاء ، فالمحرك القريب  
والبعيد فيه واحد ، وهو الجرم المستدير لما يحركه بالطبع ، بالذات . وأما في  
الموجود عن النضج فالمحرك القريب فيه هو الحرارة التي بها وقع النضج ، والبعيد  
هو الجرم المتحرك دورا . فلذلك يوجد في الموجود عن نضج المحرك القريب  
من الاسطوانات ، إما واحد منها ، وهو النار ، وإما مؤلف من نار . وهذه  
كلها محسوسات ، إما أول فكالألوان ، وإما ثوان ، فكالأطوال والأشكال  
وصور الجواهر الطبيعية . وهذه كلها أشياء موجودة في المواد ، وإذا وجدت  
في المواد صارت هي والمواد واحدة بالعدد متغايرة بالقوة على ما قلنا قبل <sup>(١)</sup> .  
وليس شيء من هذه أن تكون حساسة . والمادة الأولى هي كل واحدة  
من هذه بالقوة . وكل ما يصير مع المادة واحدا فهو لها إما أدلا وإما ثانيا  
وإما ثالثا . والتي لها بالذات فذلك الصور هي جواهر ضرورية لأن سائر ما يوجد  
منها فانما هي تابعة لصور الجواهر ، ولذلك احتاجت عند الكون الى الاستحالة .  
فان المادة ليست شيئا أصلا بالفعل <sup>(٢)</sup> . والمتغير فهو ضرورة موجودة بالفعل  
شيئا ما ، فلذلك كان بالضرورة عندما يتحرك موجودا فيحتاج الى الصورة <sup>(٣)</sup>  
ويتغير في العرض وهو موجود بالصورة التي < هي > فيه . ويعرض عن  
ذلك التغير في الصورة كما يعرض في الحركة في المكان تبدل الأوضاع .  
فان الحركة لم تكن في الوضع لكن عرض عنها الوضع . ولو تحرك في  
الصورة لكأن المادة هي المتحركة بذاتها <sup>(٤)</sup> فكانت تكون شيئا ما . وأما

(١) راجع النص ورقة ١٤٧ ب ، .... ويتغايران بالقوة : ارسطو :

. Arist. ; Met., 9 IX. 1050 a 15

(٢) فالمادة في كل جسم تضطر الى صورة لوجودها ، راجع النص ورقة ١٤٧ ب :  
فالمادة في كل جسم يحتاج الخ .

(٣) فان الصورة تتغير ضرورة بالعرض ، راجع النص ورقة ١٤٧ ب : ... الا

انها غير بالضرورة : ورقة ١٥٣ الف : تتغير الصورة لذلك بالعرض .

(٤) فان المادة نفسها ذات الصورة أو موضوعها .

في الاستحالة فإن المادة تتحرك بالعرض .

وكل ما يوجد في الأجسام الطبيعية اسطقساً كان أو معدنياً فكله هيولانية<sup>(١)</sup> متحدة بها كما قلنا . وأما في النبات والحيوان فإنها توجد فيها<sup>(٢)</sup> الأحوال الهيولانية<sup>(٣)</sup> التي للاسطقسات كالأحوال<sup>(٤)</sup> الهيولانية التي هي من نضج . وهذه الأحوال توجد<sup>(٥)</sup> المتشابه الأجزاء التي منها . وتوجد لها أحوال أخرى ليست للاسطقسات ولا من نضج بكون عن الاسطقسات . وهي الخلقة وذلك بين في أكثر النباتات ، وهو في الحيوان أبين ، فوجودها أجزاء متشابهة عن وجودها آلات .

والحرك للمادة هذا التحريك وهو الذي يفيد الخلقة جنس آخر من الحركات . وهذا ظاهر بأيسر ( ورقة ١٥٢ ب ) التأمل . وليس ذلك الحرك هو الحركة المستديرة وإن لم يحرك خلواً عنها كما بين في ثامنة السماع<sup>(٦)</sup> . لكن إنما يطلب الحرك المتحرك الذاتي الأخص وهو القريب .

(١) المخطوطة : هيولانية .

(٢) المخطوطة : فيها .

(٣) والأحوال الهيولانية أشبه بها في أقوال أرسطو في مواضع :

Meteo. IV. 2. 379 b 12 : « the conextion is due to heat; its species are ripening, boiling, broiling ... » ; Ibid, 25 : « In some cases of concoction the end of the process is the nature of the thing nature, that is, in the sense of the formal cause and essence ... » .

(٤) المخطوطة : لأحوال .

(٥) المخطوطة : توجب ، وبالهامش توجد .

(٦) ويظهر أن أرسطو لم يقل واضحاً في الثامنة من السماع إن الحرك لا يخلو عن

الحركة المستديرة ، ولكنه أثبت حركة متصلة لا تنهي ، وقال إنها حركة مستديرة ،

راجع Phys. : VIII, 8 . وقد أشار ابن باجة إلى هذه الحركة ( المستديرة )

المتصلة في شرحه لثامنة وقال : ورقة ٦٣ ب : والحركة التي يذكرها أرسطو

في هذه المقالة الثامنة حين يقول : إلا أن بعض هذه توجد في

الحركة السابغة وهي الحركة بالعرض من غير . قارن أرسطو :

. Arist. De Caelo. I. 2. 269 a 7

فهذا المحرك ليس هو الحرارة المنضجة ، ولكن الحرارة المنضجة هي آله ،  
ولذلك تتبع هذه الأجسام الطعوم والأرايح وسائر الأعراض اللاحقة عن  
النضج . وأما كيف تلحق عنها فقد تبين في الرابعة من الآثار العلوية (١)  
فهذه ضرورة تفيد الخلقة .

وما له مثل هذا المبدأ عندما يتحرك (٢) فالمحرك فيه يلزم ضرورة أن يكون  
عقلا . لكن هذا القول أبقى بتكون ذوات الانفس وقد تلخص في السابعة  
عشر من كتاب الحيوان (٣) .

وما له هذا المبدأ جنسان : جنس تفترن به آله التي (٤) بها يحرك مثل  
الحيوان المتناسل . وهذا يكون بزرا ، فإن البذر هو جسم مكون لدي النفس .  
ويتبين ان حرارته فيه التي بها يفعل . ومنه صنف آله التي بها يحرك في غيره .  
وهذا يكون للحيوانات التي يقال لها أنها تتكون من تلقائهما . والآلة التي لمثل  
هذا هي حرارة العفونة أو حرارة غيرها . وهذا يشبه الصناعة الفاعلة بوجه ما ،  
إذ كانت آلات الصناعة خارجة عن الجسم الذي توجد له الصناعة . فلذلك  
يحرك بتحريك الاسطوانات ويمزج .

ولا يزال هذا الحار يحرك الأرض المنزجة بالماء حتى اذا بلغت الجملة الى  
الحال التي بها تقبل تلك الصورة قبلتها عند ذلك . وظاهر أن عند بدء الحركة  
تبدأ قبول الصورة ، وان القبول والتحريك يتشاوران . والنفس اذا كمل قبل  
صورة المنزج فقبلها بالمزاج الذي له .

(١) فارن أرسطو : Arist : Meteo. IV. 2. 379 b 18 .

(٢) بالهامش : يتكون .

(٣) راجع أرسطو : Phys. VII. 3. 227 b 1 ; De An. I. 3. 407 a 33 . ايضاً ،

De Gen. An. II. 3. 736 b 22 sq. ; 737 a 9

(٤) المخطوطة : والتي .



والصورة التي تقبلها المتنزجات إنما ان لا تحرك شيئاً بالذات بل تقبل وذلك مثل صور المعدنيات . وهذه أيضاً تتقدم في الهيولي ما يوجد فيها عنها مثل الأحوال التي تخص الذهب من جهة أنه ذهب كالانطراق والصبر على النار . ومنها ما يتحرك بها الجسم الذي هي فيه حركة تخصه كنفس النبات . فأتت المادة متى قبلت صورة المسدود حركت ذلك الجسم معها ، فها هنا ضرورة قوى هيولانية بعضها بعيدة كقوة الاسطقسات . وبعضها قريبة كقوة المتزج ، وقوة هذه إنما توجد أبداً مقترنة بالصورة ، فهي أبداً موضوعة . ولذلك ليس لذي النفس مقابل ، إذ ليس لها عدم خاص . وإنما يوجد عدم تلك الصورة كأنك قلت « صورة النحلة » . منها < ما > يوجد فيه الهيولي البعيدة كما يقال في الماء « الأحر » .

فأما القوة القريبة فلبست <sup>(١)</sup> توجد خلواً من الصورة لأنها موضوع أبداً ولا تفارق أصلاً . ولذلك يشبه ( ورقة ١٥٣ الف ) أن تكون صور المعدنية في موادها إذ لم تكن لها أضداد ولا أعدام مقابلة كقابلة العدم للملكة . ففي أمثال هذه تكون صورة المزاج هي ماهية ذلك الجسم كالذهب مثلاً . فإن المتزج هو مادة والوجود لها هو ذلك النوع من التماسك . وظاهر أن ذلك التماسك هو في هيولي قريبة وهي موجودة في المتزج كالصورة للمزاج . ثم قبلت تلك الهيولي ذلك التماسك لكنه لما لم توجد الهيولي مفارقة لتلك الصورة أصلاً كان أبداً المجموع منها كشيء واحد ، والهيولي إنما ظهر وجودها عند التغير . وكل هذه هي صور في الهيولي يصير بها المجتمع شيئاً واحداً ، لأن هذا هو معنى قبول الهيولي للصور الحادثة فيها <sup>(٢)</sup> فأما اذا كانت <sup>(٣)</sup> الصورة

(١) المخطوطة : فليس .

(٢) والاولى فاللادة هي صورة محضة غير مدركة ، أو مادة لم تتصور بالفعل ، انظر زيلر :

Zeller : Arist. II. p. 339

(٣) المخطوطة : كان .

قد غايرت وذلك إنما هو بأن تفارق نحواً من المفارقة فينشأ تكون مغايرة للهبطولي .  
فإن كانت هذه المغايرة مما يحدث فيلزم ضرورة أن يكون عن تغير متقدم  
إمّا فيها وإمّا في موضوع آخر <sup>(١)</sup> على ما تبين في ثامنة السماع <sup>(٢)</sup> .  
لكن الصورة لا يمكن أن تتغير إذ كل متغير منقسم <sup>(٣)</sup> ، وهي غير ذات  
أجزاء <sup>(٤)</sup> ، وليست بجسم . فلذلك <sup>(٥)</sup> بتغير شيء آخر . فتصير بذلك التغير من  
تلك الصورة على نسبة محدودة . فتتغير الصورة لذلك بالعرض <sup>(٦)</sup> ، ويكون  
تغيرها في الآن كما بعرض لما هو مضاف . فإن آباء إن لم يكن ضعفاً لرجد  
وكان أكبر ، فإن ج د إذن إنما صار نصفاً ، وصار آباء ضعفاً من غير  
أن يتغير آباء في نفسه ، بل يبقى على حاله التي كان < عليها > ، لكن  
بتغير من نسبة إلى نسبة .

وكل تغير على ما تبين في الثامنة <sup>(٧)</sup> فهو إمّا في الكم وإمّا في الكيف أو  
في الأئين أو يتابع <sup>(٨)</sup> لأحد هذه . لكن متى غايرت الصورة المادة فقد  
وجدت بالفعل تلك الصورة وهي ما هي متخاذة بوجود يخصها <sup>(٩)</sup> ، وهي غير

- (١) راجع النص ورقة ١٤٩ ب : ... أو كان لها موضوع - ....
- (٢) قارن ابن باجة : ورقة ٦٤ الف : والتغير سببته تغير إذ ينزل هذا التغير منزلة التغير المفروض . أيضاً ورقة ٥٧ الف : فيكون قبل كل تغير مفروض تغير يتقدم من ذلك النوع . وراجع أرسطو : Arist. : Phys. VIII, 2. 252 b 9 .
- (٣) قال أرسطو : كل ما يتغير ينقسم . راجع : Arist. : Phys. VI, 4. 234 b 10 .
- (٤) راجع النص ورقة ١٤٧ ب : لأنها غير منقسمة ....
- (٥) المخطوطة : فكذلك .
- (٦) أيضاً ، ورقة ١٤٩ الف : .... كان لها التغير بالمرض : ورقة ١٥٢ الف : ويتغير في المرض .
- (٧) أيضاً ، ورقة ١٤٣ الف : كما بين ذلك في الثامنة الخ .
- (٨) المخطوطة : مانع .
- (٩) أيضاً ، آخر ورقة ١٤٦ الف : متخاذة بنفسها الخ . ورقة ١٥٠ ب : وجود الصورة التي يخصها ..

ما كانت عند وجودها في المادة القابلة لها . فان كانت موجودة<sup>(١)</sup> لم تتكون  
لزم عن ذلك محال ، وهو أن تكون صورة المشار اليه قبل وجوده ، إِمَّا في  
الحس والتفيل وذلك غير ممكن ، وإِمَّا في العقل فقد يظن أن ذلك ممكن ،  
لكن سنبين هذا عندما نفحص عن القوة الناطقة .

فبين أن الإحساس حادث . وكل حادث فهو بالقوة قبل أن يحدث .  
فكيف يمكن أن يكون الإحساس صورة مفارقة ويكون حادثاً ، لأن  
الحادث إنما هو من قبل الهيولى ؟

فنقول : إن قولنا « هيولى » في القوة النفسانية وفي قوى الجسم باشتراك ،  
فإن الهيولى وجودها في الأجسام على أنها تتشكل بتلك الصورة ويصيران  
( ورقة ١٥٣ ) شيئاً واحداً يستفعل الفعل الذي في طباع ذلك الموجودان بفعله  
كما تبين قبل هذا . وقولنا هنا « هيولى » إنما نعني به قبول المعنى وهو الذي  
يكون به الجسم الذي له مثل هذه القوة حساساً ، فإن القوة الهيولانية والقوة  
التي هي نفس ، كلاهما يقبلان اللون ، واللون في الهيولى هو صورة ، وهو  
والهيولى شيء واحد ، لا وجود لتلك اللون محضة أصلاً . واللون في القوة  
الحساسة موجود بما يخصه . قد فارق هيولاء وصار شيئاً مشاراً اليه . ولذلك  
لم يمكن أن يقبل الهيولى المتضادين كالبياض والسواد المتغايرين فانها<sup>(٢)</sup> لو  
قبلتهما<sup>(٣)</sup> لكانا فيها متغايرين ، ولا تغاير بينهما أصلاً ، وهما متغايران ذاتا<sup>(٤)</sup> ،  
فانها صورتان في ذات أحدهما ، أو كلتاهما<sup>(٥)</sup> مغايرة إحداهما للأخرى ، فلذلك

(١) أيضاً ، ورقة ١٥٠ ب : فان وجدت الخ .

(٢) المخطوطة : فانها .

(٣) المخطوطة : قبلها .

(٤) المخطوطة : داتا .

(٥) المخطوطة : كلاهما .

لا يمكن وجودهما (١) إلا على نحوين . أما في موضوعين ، فإن ذلك ممكن ،  
وأما أن كانا في موضوع واحد ففي وقتين من غير أن يجتمعا معاً في موضوع  
واحد . ولما كانا في القوة الحساسة موجودين مفارقين لم يمتنع وجودهما معاً ،  
وانما يستحيل وجودهما في موضوع واحد معاً ، وليس انما بوجودان معاً في  
الجنس ، وبالجملة ففي قوى النفس ، بل قد يوجد ذلك في الهيولى في الألوان  
فقط . فإن الهواء الواحد بعينه الكائن بين الأبيض والأسود معاً ، وذلك  
ان صورهما لبست في الهواء على ما هي الصورة في المادة بل بنحو متوسط بين  
القبول الهولاني وبين قبول القوة النفسانية .

ولما كانت القوى انما تتحد بنسب الموضوع الى الملكة وبذلك تتميز قوة قوة  
في ذاتها ، فالقوة الحساسة هي الاستعداد الذي في الحاسة ، الذي يصير معنى  
ذلك المدرك . والفرق بين المعنى والصورة (٢) ان الصورة تصير مع الهيولى  
شيئاً واحداً ولا يكون هنالك مغايرة . ومعنى المدرك هو صورة منفردة عن  
المادة (٣) . فالمعنى هو الصورة المنفردة عن المادة . فقبول (٤) قوة (٥) النفس  
معنى يجب أن يكون قبولاً له وهو معنى فالتقابل هو معنى ما بالقوة . وكذلك

(١) المخطوطة : وجودها .

(٢) وابن سينا ميمز بين الصورة والمعنى فقال : ( شفا ، ورقة ١٨٢ ب ١١ ) :

وقد جردت المادة بأن يسمى مدرك الحس صورة ومدرك الوجود معنى .

(٣) وأوضح ابن سينا معنى الإدراك فقال ( شفا ، ورقة ١٦٣ ب ٩ ) : « يشبه

أن يكون كل إدراك هو أخذ صورة المدرك بنحو من الأنحاء ، فان كان  
الإدراك ادراكاً لشيء مادي فهو أخذ صورته مجردة عن المادة تجريداً ما ،  
إلا ان أصناف التجريد مختلفة ، ومراتبها متفاوتة ، فان الصورة المادية يمرض  
لها بسبب المادة احوال وأمور ليست هي لها بذاتها من جهة ما هي تلك الصورة ،  
فتارة يكون النزاع عن المادة نزاعاً مع تلك العلايق كلها أو بعضها ، وتارة  
يكون النزاع نزاعاً كاملاً وذلك بأن مجرد المعنى عن المادة وعن الواحق التي لها  
من جهة المادة » .

(٤) المخطوطة : فتناول .

(٥) المخطوطة : قوي ، وبالهامش ، قوة .

ليس إدراك النفس انفعالاً بوجه . وأما هل يكون بانفعال فسنبين بعد هذا .  
فالمفعل قد يظن به أنه يقبل الصورة فقط ، وأن الحار بالقوة إذا صار حاراً  
بالفعل فلم يقبل معنى السكاين في المحرك ، والأشياء منه على ما قلناه قبل <sup>(١)</sup> .  
وإنما قبل حرّاً آخر فصار حاراً آخر شبيهاً بالأول ولا نسبة بين الحر الموجود  
في أحدهما إلى الآخر بوجه . وإنما النسبة التي بينهما هي أن صورتها إذا تجردت  
كانت واحدة بالعدد . والمغايرة التي بين صورتيهما الشخصية . إن جاز أن  
يقال لشخص الحر صورة - فإنه لا تغاير بينهما وبين ( ورقة ١٥٤ الف ) الهبولي  
عندما يكون شيئاً ، وقد خلص هذا في غير هذا الموضع <sup>(٢)</sup> . ولذلك حر  
أحدهما ليس معنى « حر » أن يكون مع الهبولي فيكون شيئاً [ الحر ]  
بمعناه في النفس .

ولما كان معنى الشيء هو الشيء وكان معنى الشيء هو ما وجوده بالفعل ،  
ولذلك إذا حصل عندنا معنى شخص ما كان عندنا أن ذلك الشخص قد أدر كناه  
بتلك القوى التي < هي > لنا .

وظاهر أن الإدراكات الحاصلة من الموجودات الهبولانية حادثة ، فإنها إن  
لم تكن حادثة فهي أزلية . فإن كانت أزلية لزم من ذلك أن يكون ضرورة  
« زيد » قبل « زيد » ، وهذا الحار <sup>(٣)</sup> قبل هذا الحار . ولزم أيضاً أن  
تكون متحركة في المكان ، إلى غير ذلك من المحالات اللازمة .

(١) أي الأشياء من المحرك ، لعل ابن باجة يريد ما قال ان الصناعة من المحرك  
( راجع النص ورقة ١٣٩ الف ، منه أو هو الصناعة . ) أو يريد ما قال :  
ان القوة المحركة . . تفعل بالذات وأولاً ما هو من نوعها ، وتفعل ثانياً  
وبالعرض شيئاً آخر ( راجع النص ، ورقة ، والقوة المحركة فإنها تفعل بالذات  
وأولاً النح ) والمعنى ان الأشياء من المحرك ، وإلا فلم يقل ابن باجة بهذه  
الألفاظ في هذا الكتاب .

(٢) لظاهر ان المصنف أشار إلى ما قال ان المادة غير متعازة بالفعل عن الصور  
كما ان الصورة غير متعازة عن المادة بالفعل ( النص ورقة ١٤٦ الف ) .

(٣) المخطوطة : الحر .

وأيضاً فن الأمور الدائمة ان الاحساسات حادثة وهو متيقن عندما نتأمل  
أيسر تأمل . وكل حادث فقد كان ممكناً وجوده قبل أن يوجد ، والإمكان  
والقوة على ما قلنا قبل <sup>(١)</sup> متلازمان . فهذه القوة هي في هيولى ضرورة ، وهذه  
الهيولى هي هيولى لمثل هذا الوجود . وقد جرت العادة أن تسمى روحانياً <sup>(٢)</sup> <sup>(٣)</sup>  
وغير جسماني وما أشبه هذه الألفاظ من الدلالة ولذلك لا تصير مع الادراك  
جسماً ، لأن الجسم إنما يكون متى كانت الصورة غير مغايرة أصلاً ، وذلك  
أن نكون موجودة غير مجردة .

وقد يسأل سائل عن الإدراكات فيقول : هل هي في الهيولى التي لها مغايرة  
لها . فإن كان ذلك فالهيولى موجودة بالفعل وليست هيولى . وكيف يتصل  
ما ليس بجسم بما هو جسم إلا بأن نكون صورة فيه . وإن لم يكن مغايرة ما  
والأمر فيها مثل وجودها في الهيولى لم تكن مجردة .

فنقول : أما ان الإدراكات في موضوع فذلك يتن . لأنه لو لم تكن  
في موضوع لما كانت كائنة . وأما انها والموضوع شيء واحد فذلك أنها  
كذلك ، وبذلك صار الإدراك شخصاً . فإنها لو كانت غير الموضوع جملة  
لكانت نوعاً أو عقلاً . وسنبين ذلك إذا صرنا إلى القول في القوة الناطقة ،  
لأن القول هنا هو في النفس وقواها .

وأما ان الصورة يلزم عمّا وضع أن تكون غير موجودة مغايرة للهيولى

(١) راجع النص ، ورقة ١٤٣ الف : فذلك تلازماً .

(٢) « الروحاني » عند المتألفين منسوب إلى الروح ، ويدلّون به على الجواهر  
الساكنة المحركة لسواها ، وهذه ضرورة ليست أجساماً ، بل هي صور لأجسام ،  
وشكل هذه اللفظة غير عربي وهي دخيلة في لسان العرب في الصنف الذي  
جاء على غير قياس عند نحوي العرب ، فان القيسة عندهم أن يقال روحي ....  
تدبير التوحيد ، نشر آسين ، ص ١٨ .

(٣) المخطوطة : روحاني .

فذلك غير لازم عما وضع . لكن يقتضي التشكيك أن يجري للوجود فيها <sup>(١)</sup> تغير وذلك ان الهيولى كما قلنا قبل انما هي موجودة بالنسبة الى ما هي هيولى له . والقوة على الإدراك هي قبول الصورة مخازة بوجود يخصها . فهىولى الإدراك مطبوعة على قبول معاني المدركات ، ومحركها المدرك من جهة ما هو مدرك . فإن هذه < الصور > الهيولانية بيتن من أمرها أن لها في ذاتها وهي هيولانية هذه القوة ، وهذا التحريك هو لها من أجل وجودها الخاص . ولذلك توجد هذه في الفاعلة منها كالحرارة والبرودة ( ورقة ١٥٤ ب ) وفي المنفعة كالصلابة واللين . وان ما يحرك الحركة المنسوبة الى الانفعال فانما يحركه أيضا وهو في موضوع ويحرك هيولى أخرى من نوع الهيولى التي هي فيه . ونسبتها الى ذلك المعنى نسبة الهيولى التي في ذلك المحرك الى الصورة بعينها في النوع . وهيولى الإدراك نسبتها الى الصورة نسبة أخرى تخصها ، فلذلك هي هيولى باشتراك الاسم . وهيولى المدركات يقال لها هيولى بالتقديم وانما يقال لهذه هيولى بالتأخير ، وعلى طريق النسبة بالمحسوس المحرك كالحار والبارد .

فله أولاً نوعان من التحريك لصنفين من الهيولى أحدهما <sup>(٢)</sup> للهيولى <sup>(٣)</sup> من نوع هيولاه ، والآخر لهذه الهيولى التي بها يكون محسوسا . وهذا التحريك هو لذي الجسم لا من حيث أنه ذلك الجسم . ولذلك <sup>(٤)</sup> إدراك الجسم الصغير والكبير واحد <sup>(٥)</sup> لاسيما التخيل ، وسنبين لم كان ذلك فيما بعد .

(١) المخطوطة : معنا .

(٢) المخطوطة : احدهما .

(٣) المخطوطة : الهيولى .

(٤) المخطوطة : وكذلك .

(٥) وهذا ما سرده ابن رشد ( كتاب النفس ، الأهواني ، ص ٧٤ وحيدراباد ،

ص ٦٩ ) : ونخص الصورة الحية انها منقسمة بانقسام الهيولى بالمعنى الذي به

نقسم الصور المزاجية ، ولذلك أمكن فيها ان تقبل المتضادين معاً . والصغير

والكبير على حالة واحدة .

وإنما بثفاضل الإدراك من جهة أنه شديد أو ضعيف .

فقد قلنا ما القوة المدركة في الجملة . وهذه القوة هي نفس موجودة في الجسم المتنفس وهي <sup>(١)</sup> صورة مزاج المتنفس . والجسم الممتزج الذي له هذه القوة هو متنفس وحى .

ولما كان كلّ تكوّن فهو إمّا تغير أو تابع لتغير على ما تبين في السماع <sup>(٢)</sup> وجب أن يكون الإدراك كذلك . ولما كان كل متغير فهو بنفسه <sup>(٣)</sup> ، وهذا ليس منقسم لزم ضرورة أن تكون هذه القوة مقترنة بجسم إمّا بنفسها أو بتوسط مقترن .

والادراكات النفسانية جنسان - حس وتخيل . ولا يمكن أن يتخيل ما لم يحس . ولذلك <sup>(٤)</sup> لا يمكن أن يتخيل اللون ، فالحس يتقدم بالطبع للتخيل لأنه كاللادة للتخيل . فالحس هو أول إدراك مقترن بالجسم فواجب ضرورة أن لا يكون حس دون تخيل ، إلا أن التغير ليس في المحسوس . والتغير صورة الحاس فالحاس ضرورة جسم صورته القوة الحاسة . فالحس بالجملة هو قوة لجسم يتفعل عن المحسوس يقترن بكأله كال القوة النفسانية التي < هي > فيه . ولذلك يلزم ضرورة أن يكون المحسوس محتبلاً والحاس متخيلاً <sup>(٥)</sup> . فلذلك الحر والبرد محسوسان بأنفسهما <sup>(٦)</sup> وأولاً . وأما الصلابة واللين والخشونة والملاسة فسنبين أمرها في القول على القوة اللمسية ، فهذا هو القول في الحس بالجملة .

(١) المخطوطة : هو .

(٢) وابن باجة يبين معنى « تابع لتغير » بالداخله في السماع ، ورنه ٢٩ ب :

« ويكون للنسب تغير تابع لتغير فلذلك يكون في الآن . وكذلك فسادها » .

(٣) فارن أرسطو : Arist. : Phys. VI. 4. 234 b 10 .

(٤) المخطوطة : وكذلك .

(٥) المخطوطة : مستحيلاً .

(٦) المخطوطة : بأنفسها .



ولمّا<sup>(١)</sup> كان لبس كل قوة تحرك كل جسم ، وكانت الحركات كثيرة كانت الحواس كثيرة معاذة للحركات . ولما كانت التحريك الذي به الحس إنما هو من أجل المعنى . والمعنى قوامه من أشياء كثيرة ، لذلك لزم ضرورة أن ترسم (ورقه ١٥٥ الف) في الحس تلك المعاني غير منفصلة بعضها من بعض . ولمّا كان ما به قوام الشيء إما مشتركة وإمّا خاصة<sup>(٢)</sup> . فالخاصة إنما تدرك بخاصة واحدة ، والمشاركة تدرك بالحواس التي يلحقها ذلك الأمر المشترك . فلذلك هو محسوس غير أول وهذا هو كالأطوال والأشكال .

ولمّا كان المعنى تلحقه أشياء آخر بالعرض لذلك لا ترسم في الخاصة تلك الأشياء . هي محسوسة بالعرض كاللون فانه يقترن به أنه في الكاتب . فلذلك يقال ان الكاتب مبصر بالعرض . في هذه يغلط الحيوان الحاس<sup>(٣)</sup> كثيراً . فأمّا وجود هذه القوة في الحيوان ، فقد قيل كيف ذلك في القول في تكون الحيوان وذلك في السادسة عشر من كتاب الحيوان<sup>(٤)</sup> .

فهذا في الحس بالجملة .

والمحسوسات بالجملة كما قيل منها مشتركة ومنها خاصة . فالخاصة كما تبين ما انفعّل عنها الخاصة . والعالم<sup>(٥)</sup> ما لم ينفعّل عنه الخاصة . وإنما حصل بقوة عند حصول المعنى . ولذلك قيل ان المحسوسات المشتركة إنما يدركها الحس المشترك

(١) المخطوطة : وكما .

(٢) أيضاً : Arist. : De An. II. 7. 418 a 15 sq. : ابن رشد : كتاب النفس

ص ٢٧ ، حيدرآباد ص ٢٣ .

(٣) بالهامش : الحساس .

(٤) أيضاً : Arist. : De Gen. An. I. 23. 731 a 30 sq.

(٥) المخطوطة : العالم .

إذ لا تفعل عنها الحاسة . إنما هي لتلك القوة < لا > لأنها هي مقترنة بالحاسة بل من أجل أنها بالفعل . فإن القوة إذا انفردت عن الحاسة كانت هي الحس المشترك . وإنما تنفرد عن الحاسة إذا صارت شيئاً ما . وذلك بأن تدرك محسوساً ما . فالحاسة ضرورة الوجود في الحس على ما تبين قبل <sup>(١)</sup> . ولذلك لا يمكن أن تخلو <sup>(٢)</sup> هذه القوة من المحسوسات جملة . لأنها موجودة في الجسم . وإنما المحال بأن توجد هذه مفارقة لا تقترن بجسم ، وهذا هو أحد المحالات التي لزمها التشكك المكتوب قبل هذا .

فلنقل في أصناف الحس .

(يتبع)

محمد صغير حسن المعصومي

—•••••—

(١) راجع النص ورقة ١٥٠ ألف : ووجوده محركاً ظاهراً بنفسه والمتحرك هو الحاسة الخ .

(٢) انعطولة : تخطوا .

# التعريف والنقد

ديوان ابن الخطيب

تحقيق الأستاذ الرئيس خليل مردم بك

طبعة المجمع العلمي العربي، بدمشق ١٩٥٨ في ٣٤٨ صفحة + ٤٩ صفحة للقدمة ،  
مع عشرة ألواح مصورة

سعى المجمع العلمي العربي بدمشق ، منذ نشأته ، إلى حماية اللغة العربية ، والعمل لإحياء آثارها ، فكتب أعضاؤه في مجلته مقالات ضافية في التبصير فيها ، والتعريف ببلاغتها ، وتنقيح مفرداتها ، واختراع كلمات أو مشتقات لما يعرض على المجمع ، أصبحت كلها مرجع العلماء والدارسين . وعمل الأعضاء كذلك على نشر الدخائر العربية في ميادين الشعر والفلسفة والتاريخ والآثار نشرأ بحمده العارفون ويشيدون بأبادي المجمع في السعي له على إخلاص ووفاء .

ولرئيس المجمع العلمي العربي الأستاذ خليل مردم بك يد طولى في إخراج التراث العربي وتحقيقه ودراسته . فقد ألف رسائل في أدياء العرب وشعرائهم وخص شعراء الشام بعنايته وحبه ، يريد أن يصور هذه الحلقة البارعة منذ القرن الرابع إلى سقوط الشعر في عصر الانحطاط ، ون يسجل تطور الشعر في هذه البلاد ، وأن يصف أعلامه ، لأن الدراسات المعاصرة لتاريخ الأدب ظلت أكثر هؤلاء الشعراء ، فلم ترمم أثرهم ولم تتحدث عن دواوينهم ، وكاد شبابنا يجهلون كل شيء عن هذه الحقبة من أدبنا ، وأصبح كثير منهم يتهم ثروتنا الفكرية والأدبية ، وينصرف عنها إلى غيرها من الآداب الغربية المنظمة المبهمة المبسرة .

وقد قام الأستاذ مردم بك بهذه المهمة لبسدة هذه الثغرة ، في أناة وصبر ودقة ، فأجال النظر في الدواوين ، وأطال البحث في عرضها وضبطها ، والتقديم لها بدراسات دقيقة مفصلة ، فأخرج دواوين علي بن الجهم وابن حيوس وابن الخياط وابن عنين ، وهو في سبيل إخراج ابن القيسراني . والدواوين الأربعة الأخيرة حلقة متكاملة تمثل شعر الشام من أواخر القرن الرابع الهجري إلى أواسط القرن السابع ، أي منذ ( سنة ٣٩٤ هـ — إلى سنة ٦٣٠ هـ ) خلال ما يزيد على قرنين .

وهؤلاء الشعراء أمسكوا بزمام الشعر في دمشق بعد الحمدانيين في حلب ، وأصبحت هذه الحاضرة العربية على وشك أن تعيد لهذه الربوع مجدها القديم في الأدب . فلمع ابن حيوس ( ٣٩٤ — ٤٧٣ ) ، وابن الخياط ( ٤٥٠ — ٥١٧ ) وابن القيسراني ( ٤٧٨ — ٥٤٨ ) وابن عنين ( ٥٤٩ — ٦٣٠ ) كما لمع ابن منبر الطرابلسي والغزي وابن الساعاتي . وحملوا الراية عن أساتيدهم وأسلموها إلى أبنائهم ، كما يفعل القادة في الحرب صعيماً وراء النصر والرفعة والمجد . والأدباء النقاد شكروا بد الأستاذ مردم بك في نشر ابن عنين وابن حيوس ، ورأوا في جمعه المخطوطات من أطراف الأرض لها ، وصبره الطويل في تصيّد أخبارهما ، وجمع أشعارهما من المصادر المخطوطة والمطبوعة صبراً وصعيماً يستحقان الحمد والثناء . وصيشكرون له هذه اليد الجديدة في إكمال هذه السلسلة ، والسير قدماً بانحيازها في إخراج ديوان ابن الخياط ، فقد أخذ ابن الخياط عن ابن حيوس ، وخلفه في ميدان الشعر وحدّ مكانه ، وفافقه في نواح كثيرة . وكان عليه أن يعمل له كما عمل لأستاذه ، فصبر وسعى خلال سنوات عدة ، حتى إذا استكمل العدة ، استجاب لنسخه المصورة من أطراف العالم ، فجمع النسخ من المغرب ومدرّيد وكوبنهاغن ودمشق

والمدينة المنورة والقاهرة حتى بلغت ثمانى نسخ هامة ، نُقِلَ جلّها عن الشاعر نفسه على يد تلميذه ابن القيسراني . فقد أُملى عليه شعره واختاره له ، وأسقط منه ما أراد ، فكأنه أشرف بنفسه على طبعه ونشره بين الناس لهذا العصر .

فديوان ابن الخطيب بلغ مرحلة من النسب والرواية والتواتر لم تبلغها إلا القلة من الدواوين ، أملاه الشاعر ورواه التلميذ وحققه المحقق على ما تواتر ، نجاء على ثقة ودقة قلما يصل إليها كتاب أو ديوان إلا في النادرة بعد النادرة . وهذا نصر كبير في إخراج النصوص وتحقيقها ، يطعن إليه العلماء ، ويثق به الأدباء والرواة ، ويركن إليه الدارسون المؤرخون ، فكأنه كما يقول الغريون « طبعة نهائية » عن وثائق ومخطوطات قيمة قديمة ترقى الى عهد الشاعر في القرن السادس ، لم يختلف إليها دس أو إضافة إلا ما كان من عمل النساخ والقراء ، وقد صور المحقق في حواشي الديوان هذا الاختلاف في أمانة بالغة ، ليرسم ما طرأ على النسخ من أمور طفيفة ، لا تكاد تؤثر في جوهر الشعر ، تقع للشاعر نفسه حين يستبدل حرفاً بحرف أو لفظاً بلفظ أو يستحسن تبديل كلمة بكلمة ، كما تفعل حين يؤلف أو ينظم .

فالديوان على هذا صورة لما تركه الشاعر وأراد ، بل انه صورة فوق ما كان يحلم بها الشاعر من طباعة جميلة ، وتوقيع واضح ، وفهرسة قريبة ، كأنه لشاعر معاصر في العرض والاخراج ، أضاف إليه المحقق مقدمة في العصر والرجل جهد فيها ما استطاع ، فوقف دون كثير من أمور حياته وعيشه لأنه بلغ إلى الديوان فحسب ، ولم يبلغ إلى ترجمة له بقلم تلميذه أو تعليق عليه أو شرح له وتفسير ، كما فعل ابن جني للمعني ، وابن خالويه لأبي فراس الحمداني ، بل إنه لم يصل إلى مكثوبات ابن الخطيب في النشر فقد ضاعت .

والشعر في الديوان لا ينير كل شيء ، ولا يعين على المطالب كلها ،  
والترجمون بعده لم يفيضوا في أسر حياته ، لأنهم كانوا يسعون الى الإيجاز  
فيترجمون الأعلام في سطور ، وهمهم أن يجمعوا عدداً كبيراً من التراجم .  
ومن همنا اليوم أن نسأل عن كل شيء من ترجم لهم ونعنى بهم ؛ وكل  
يسعى الى سبيله ويمضي الى غايته . لهذا جهد الأستاذ المحقق جهداً كبيراً ،  
فاستفج من الشعر ، واستنطق المصادر إلى حد بعيد ليخرج من ذلك بدراسة  
جيدة كانت كاحسن ما يستطيع محقق أن يفعل .

قصّ حياة ابن الخطيب منذ الصبا حتى الوفاة . عرفنا منها أن ابن الخطيب  
عاش صغيراً في باب الجابية بدمشق ، وكانت داره على مقربة من دار الأمير  
أبي الفتيان ابن حيوس . وكان عليه أن يتعلم صنعة أبيه ، فيكون خياطاً  
مثله . ولكن الأقدار لفتت الغلام إلى حياة ابن حيوس ، ودفعته إلى  
أن يعجب بموقفه من السلطان والجاه والمال ، وأن يتنى في فرارة نفسه أن  
يكون مثله وأن يقع من قومه موقعه ، فأصبح الفتي يقرأ من شعر القدماء  
ويحفظ من أقوالهم وأخبارهم حتى انقلب عن صنعة أبيه إلى صنعة كانت ندر  
على أصحابها الألقاب والأموال والمناصب . وظل كذلك حتى أتقن صناعة  
الكتابة والنظم ، وأصبح معنياً بها يسعى إلى وظيفة عند الأمراء . فلما  
قامت الفتن في دمشق ، ووقعت فيها المرائق والنهب وغلبت الجاعة هجر كثير  
من أهلها المدينة ، وانتشروا في الأرض ، فأصبح عدد السكان بدمشق  
سنة ٤٦٩ ثلاثة آلاف نسمة ، بعد أن كانوا خمسمائة ألف . وهاجر  
الشعراء والكتاب فبين هاجر ، فنزح ابن حيوس إلى أمراء حلب ، ونزل  
ابن الخطيب بمحاة فعمل كاتباً لا أمير فيها وظل عاكفاً على الشعر بقرضه  
وبسيرة بين الناس . ثم خطر له أن يزور جاره القديم ابن حيوس في حلب ،

فسافر اليه وعرض عليه شعره ، فأعجب به ، ووصله بمال ، ونصحته أن يقصد بني عمار في طرابلس الشام .

فلما بلغ السادسة والعشرين من سنه ، سافر إلى طرابلس عملاً بوصية جاره وأستاذه ، ولث فيها عشر سنوات ، يفيد من خزائنها العامرة وأساتذها وعلمائها ، حتى تمكن لسانه وقوي بيانه واستند ساعده ، فعاد إلى دمشق ولزم وزيرها الأصفهاني ، وصحبه إلى الري وخراسان ، وفعل راجعاً سنة ٤٨٧ وهو في السابعة والثلاثين . وظل في إنشاد الشعر وملازمة الرؤساء والأمرء يعيش بقلعه وشعره حتى مرض ، وقضى في السابعة والستين من عمره ، بدمشق ٥١٧ هـ . ودفن في الأرض التي أحبها وتعلق بها ، وظل مشوقاً إليها في رحلاته ، وقد طارت شهرته وعلت مكانته ، وحل من قومه محل الفحول ، فكان شاعر الشام لعصره كما تمني وأراد .

ولعلنا أسرفنا ولكننا أردنا أن نرسم هذه الخطوط الكبرى عن المقدمة في حياة شاعر تنقل في البلاد ، فزار حماة وصور وحلب وطرابلس والري وخراسان . وعرف الناس وطبائعهم ، وسمع اللهجات واللغات ، ورأى ما رأى وسمع ما سمع ، فخلف مكتوبات في النثر وقصائد في الشعر ، قلنا إن الأولى ضاعت وسلت الثانية ، فكانت من أجود الشعر ، فملك صاحبها ناصية الديباجة ، واستوى مع الفحول ، فحاکم في استعاراته وكنائياته ، وبذ كثيراً منهم برفته وسلاسته حتى قال فيه ابن عساكر : « ختم بابن الخياط ديوان الشعر بدمشق » . وقد استطاع على اضطراب بلده وقلق عيشه ورقة حاله وتنقله في الأمصار وراء العيش أن يكون شاعراً مطبوعاً ، فصيحاً ، جزلاً من غير إغراب ، عليه طلاوة المحسنين وحلاوة المجيدين ، فله بين الشعراء مرتبة ، تعيد إلى دمشق صولجان الشعر ، وتنافس مدرسة الحمدانيين في حلب ، بدل على ذلك قوله :

والمرء من شئت في الأيام غارته      فبادر العيش باللذات وانتهبها  
من شاء <sup>(١)</sup> فليأخذ أيامه فرصاً      فليس يوم بمرودود إذا ذهبها  
هل الصبي غير محبوب ظفرت به      لم أقض من حبه قبل النوى أرباً  
إني لأحسد من طاح الغرام به      وجاذبته حبال الشوق فانجذباً  
والعجز أن أنرك الأوطار مقبلةً      حتى إذا أدبرت حاولتها طلباً  
فهي ألصق بالجميل من الشعر المعاصر في سلاستها . وله في الديوان كثير من  
المرقص المطرب لا يحصيه مقال في النقد معها طال .

هذا هو الشاعر ، وهذا هو الشعر الذي نهض له الأستاذ خليل مردم بك  
بجدود في تحقيقه وإخراجه ، وجود في مقدمته ودراسته ، وأفاض حين وقف له  
ينقد لغته ، ويتناول هنائه في الاشتقاق والاستعمال حتى حسبنا أن الدراسة  
لعالم لغوي في القرن الرابع الهجري وقف ينكر على رصيفه المعاصر ألفاظاً  
تورد عن العرب في المعاني التي استعملها ، يأخذ عليه تجوزة في النحو واللغة  
والبيان ، فيعدد أمثلة من شعره فيها كلمات : « هناء ، وخراد ، والأخص ،  
والانقص ، والنضاج ، والركاز ، الخ . . . » وصححها : « هناءة ،  
وخرائد ، وخميص ، وقص ، والنضج ، والركز » . وليس هذا كل  
ما أخذ عليه ، وإنما ساق أمثلة كثيرة نجعل القارئ فيها إلى المقدمة الممتعة ،  
ليرى معنا أي جهد ساق المحقق ، وأي عناء قامى ، وأي سهر نهض له  
في الدراسة الجديّة التي نراها أقوى ما خرج من قلم الأستاذ خليل مردم بك  
في صدور دواوينه .

ولو جمعت هذه الدراسة في ابن الخطيب إلى دراساته في ابن حيوس

(١) اختار المحقق : « ما شاء » : فخالف سبع نسخ ، ولعلنا نطرب لهذه الصيغة  
التقليدية أكثر من طربنا لما وضع وفضل .



الدكتور سامي الدقمان

( من مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨ م )

هذا الكتاب النفيس غزير المادة ، واضح البيان ، ألفه العلامة الكبير السيد عبد الحلي الحسيني ، والد صديقنا الأستاذ أبي الحسن السيد محمد علي الحسيني الندوي الشهير ، وطبعه بمجتمعا العلمي العربي له ، ووقف على طبعه السيد رضوان الندوي ، من تلامذة الأستاذ أبي الحسن ، وفي طليعة الكتاب ترجمة

لمؤلفه كتبها ابنه الأستاذ أبو الحسن ، وأوضح فيها حسبه ونسبه ، وأسأذته ،  
وعلموه ، ومصنفاته الكثيرة ، وجاءت بعدها مقدمة المؤلف التي أوجز فيها مجمل  
هذا الكتاب ، وقد كان ألف قبله كتابين في موضوعه : ( الأول ) في  
ثماني مجلدات ، ذكر فيه حملة الأخبار ، ونقله السير والآثار ، والفقهاء والحكام ،  
وذوي النحل والآراء من أهل الإسلام ، من ولد أو مات في أرض الهند  
( قبل التقسيم ) ، ( والثاني ) في الجغرافية والتاريخ ، والخطط والآثار . وهذا  
الكتاب الذي عني المجمع بطبعه يقع في ( ٣٥٠ ) صفحة ، ولكنه - على  
اختصاره - يجر لا يمتطي ثبج ، ولا تغطي فوائده وفرائده ؛ فقد ذكر فيه  
أنواع العلوم والفنون ، والمعارف البشرية ، وذكر ما لعلماء الهند في كل منها  
من مصنفات من بعد أن سرد ما لغيرهم فيها ، وأودع مؤلفه هذا تاريخ نظام  
الدرس في الهند جيلاً بعد جيل ، وتاريخ الفنون الأدبية ، فتاريخ العلوم  
الشرعية الدينية ، ثم تاريخ الفنون النظرية كالمنطق ، وعلي الطبيعية والإلهيات ،  
والحكمة العملية ، والفنون الرياضية ، وفي الصناعة الطبية على اختلاف العصور ،  
إلى القرن الرابع عشر ، مع ذكر المصنفين ، وما عرف من تاريخ وفياتهم ،  
وكانت خاتمة هذا الكتاب الجليل في أسماء بعض الكتب العلمية المنقولة .

جمع المصنف رحمه الله كتابه هذا في أربعة أبواب ، الأول منها في  
علوم اللغة والأدب والتاريخ ، والثاني في العلوم الشرعية والدينية ، والثالث في  
العلوم العقلية والفنون النظرية ، والرابع في الشعر والشعراء من أهل الهند .  
وداخل كل باب فصول كثيرة ، وهو يخص كل فصل منها بعلم من تلك العلوم ،  
ويسمي الكتب المؤلفة فيه قديماً وحديثاً ، ويذكر مصنفات علماء الهند المسلمين  
( سنة وشيعة ) وغير المسلمين ، وما ألف أو ترجم في اللغات العربية والفارسية  
والأوردو والإنكليزية ، وكثير من علمائهم يؤلفون بالإنكليزية أو ينقلون  
عنها ، وينقلون عن الفرنسية أيضاً .

وكتابه هذا بفضل في ترتيبه مثل ( كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون ) ، فإن مؤلف ( الكشف ) رحمه الله قد رتب علومه على حروف الهجاء ، بحيث تذكر الألف مع الباء ، ثم مع التاء الخ ٠٠٠ ، فاضطر أن يذكر فصلاً يفرق فيها ما حققه أن يكون مجتمعاً . فقد ذكر في أول علوم القرآن مثلاً ( ص ١٢٠ ) علم إعجاز القرآن وإعصابه ، ثم أورد علوماً كثيرة في حرف الألف مع الغين والفاء والقاف والكاف واللام ، كعلم الآلات الحربية والرصدية ، ثم عاد فذكر في حرف التاء علم التجويد ( ص ٢٥٥ ) وفي التاء مع الشين علم تشبيه القرآن واستعاراته ، ( ص ٢٨٦ ) وبينها فنون مختلفة .

وما يلاحظ - في عرض نماذج من الشعر الهندي في مختلف العصور - أبيات فيها من صؤال المخلوق ، ما لا يقدر عليه إلا الخالق سبحانه ، وما يحرم طلبه من غيره .

ويلاحظ في « تراجم القرآن الكريم » أنها كثيرة بالأورد ، وقليلة بالانكليزية ، « ومنها ما هو ترجمة حرفية » ص ١٦٩ .

وأقول : إن المعقول أن تبلغ دعوة الإسلام إلى كل أمة بلغتها ، وتدرس الخاصة القرآن والعلوم الدينية ، والفنون العربية والأدبية بلغة القرآن ، ليتذوقوا إعجازه وإعجازه ، أما الترجمة الحرفية ، فهي متعذرة في كثير من مكانه ، لا سيما أسماء الله تعالى وصفاته ، وكنت كتبت في مجلة المجمع العلمي : لأن العربية انتشرت - تبعاً للإسلام - في قارات الأرض الثلاث : آسية وإفريقية وأوربية ، ودخلت أعم كثيرة في العروبة والإسلام ، فهل كانت نلاوة القرآن ودراسته بلغته إلا هدى ورحمة وإحساناً وتوفيقاً ، « تأخت فيه شعوب كثيرة ، وتعادت على مدنية كانت زينة الأرض ، وضياء ونوراً لأهلها » . ومؤلفات الأعاجم في لغة العرب تبلغ الألوف الكثيرة ، وحسبك ما أوردته المؤلف منها في كل علم وفن .

وقد رأينا في لاهور عام المؤتمر ( سنة ١٩٥٧ ) وفي العاصمة كراتشي ودلهي من علماء الهند الأجلاء من يلتزمون العربية الفصحى قولاً وكتابة وخطابة ، وهي لغتهم في بيوتهم ومجتمعهم .

ثم نقل المؤلف فصلاً في تاريخ التصوف ونشأته عن مقدمة ابن خلدون ، وآخر في تاريخ الفرق الإسلامية ، كالإمامية ، والجهمية ، والمعتزلة ، والمجسمة ، والقرامطة ، وفي المأمون ، وفتنة المعتزلة ، وأبي الحسن الأشعري ومذهبه وأئمته ، والماتريدي ، وكل ذلك مأخوذ من كتاب « الخطط والآثار » للمعري ، ثم مذهب الشيعة الإمامية ، وكيف ظهر وانتشر في الهند في القرن الثامن ، على يد الشيخ علي الهيدري ، وكيف تشيع الملوك والأمراء ، وأكره عددًا من غير المسلمين على التشيع ، حتى قيل إن ( ٢٤ ) ألفاً من الهنادك تشيعوا ، ثم تسلسل ذلك في الدعاة والسلاطين والرعايا ، وتشيع نظام شاه ( ١٩٤٤ ) على يد الشيخ طاهر بن الرضي المهداني ، ولقنه الولاء والبراء ، وتشيع معه ثلاثة آلاف نفس من رجاله ، وأخرج أسماء الخلفاء الثلاثة من الخطبة ، ووظف اللاحين عليهم في جميع بلاد الدكن ( ص : ٢١٧ - ٢١٨ ) . ثم تفرق الإمامية في بلاد الهند ، وجمع دعائهم الناس على الصلوات الخمس ، ورضي ولائهم في ذلك ( في ١٣ رجب سنة ١٢٠٠ هـ ) وكان آصف الدولة وأخلافه يبذلون العطايا وأفطاح الأرض على التشيعين ، فتشيع كثير من الناس طوعاً وكرهاً ، وكانت فتنة عظيمة ، ثم صنف الشيخ عبد العزيز بن ولي الله المحدث الدهلوي كتابه المشهور ( تحفة اثنا عشرية ) ، وصنف الشيعة في الرد عليه عدة كتب ، وتصدى أئمة السنة لها ، وألفوا كتباً كثيرة في الرد عليها ، وفي « الثقافة الإسلامية » أسماء هذه النقود والردود . ثم الكلام بين النصاري والإسلام ، وبين الإسلام والهنادك ، وديانة القادياني والردود عليها ، ومذهب

النيجريين (الطبيين) ، والمراد بهم أتباع أحمد بن محمد الدهلوي المتوفى  
(سنة ١٣١٥ هـ) ، والردود على تأويلاته العجيبة الغريبة ، ورسائل في السنة  
والبدعة ، والتوحيد والشرك .

ثم علم المناظر (ص ٢٧٢) الذي قال فيه المؤلف رحمه الله : (ومن يريد  
أن يقف على صنائع أهل الهند ، فله أن يذهب إلى اكر ، ودھلي ، وبقرا  
الكتابات في الجوامع والمقابر ، وأن يرى القباب والمنارات ، لاسيما في روضة  
(تاج كنج) (خروج التاج محل) ببلدة اكره ، لعله يتغير منها ، ويطير عقله  
ولبه من حسن الصنعة » . وأقول :

قد زرنا تلك الأماكن ، ورأينا ما يأخذ بالألباب ، وأعجبنا بها كل الإعجاب .  
وهذه النبذة البسيرة لا تغني عن مراجعة هذا الكتاب ، الذي أثبت فيه  
مؤلفه فضلاً كبيراً لأهل الهند في كل علم ، لاسيما في علم الصحة والطب ،  
والكتب في أنواع الأمراض وعلاجها ، والاكتشافات الطبية لأهل الإسلام ،  
من وقف على هذا وغيره - بعد وقوفه على مثل الفهرست لابن النديم ، وكشف  
الظنون ، وما زاده المتأخرون كصديق حسن خان (والمؤلف ينقل عنها وعن  
غيرها) - ير إلى منتصف القرن الرابع عشر للهجرة علوماً وكتباً واسعة ، وفصولاً  
مهمة بارعة ، وما ذكرته قليل من كثير ، ولا يغني عن مطالعة هذا السفر  
الجليل ، فرحم الله المؤلف ، وأثابه عليه أجزل الثواب ، وجزى جمعنا العلمي  
الذي قام بطبعه خير الجزاء .

ديوان السيد موسى الطالقاني ١٢٣٠ - ١٢٩٨ هـ

تحقيق واعتناء : محمد حسن آل طالقاني

مطبعة الفري الحديثة - النجف

الشعر مادة الأدب ، وديوان العرب ، فهو مرآة أخبارهم ، ومجلى آثارهم ، ومحط رحالهم ، وقد قال قائلهم :

إن لم تقل إن نظم الشعر مكرمة فأني مكرمة أقيمت للعرب  
بان الكرام فلا عين ولا أثر إلا أساطير قد سطرن في الكتب  
وأما الآن ديوان الشاعر الناثر العلامة السيد موسى الطالقاني النجفي ، وديوانه هذا كبير الحجم ، مؤلف من ( ٤٣٤ ) صفحة بالقطع المتوسط ، ماعدا الفهارس المتنوعة ، وقد بلغت نحو أربعين صفحة ، منها تسع للمقدمة ، وها هي ذي : فهرس المواضيع ، والقوافي ، والأعلام ، والقبائل ، والأسماء ، والبيوت ، والبلدان ، والأمكنة والبقاع . ومثلها فهارس الديوان ، وفي أوله تقريب للعلامة الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء ، فكلية إهداء من محققه وناشره الأستاذ الأديب السيد محمد حسن الطالقاني النجفي إلى أستاذه الجليل المؤرخ الجليل الشيخ آغا بزرگ طهراني ، وقد زين كتيبه بصورة شيخه ، ثم أتبعها بنشر صورته ، ووصفها بيئتين من شعره .

وفي صدر الديوان وصف لأسمرة الطالقاني ، وكلمات موجزة في تراجم أجداد ناشر الديوان منذ هاجر جدهم الأعلى من طالقان ( بلدة في إيران ) إلى النجف ( من سنة ٩٣٥ إلى عصرنا ١٣٧٦ هـ ) ، وفيه نبذة من ترجمة السيد محمد حسن الطالقاني ، وهذه التراجم بقلم شيخه العلامة طهراني ، وتلي ذلك حياة الشاعر الكبير السيد موسى بقلم المحقق السيد محمد حسن ، مهد لها بكلمة في الشعر

والأدب في البقاع والبلدان ، وخص أدب العراق بما فيه من طيب الأرض ، وحسن المنبت ، ونوه بفضل النجف في ذلك على غيره ، ثم أتى على ترجمة صاحب الديوان ، فذكر نسبه وأمرته ، ونشأته ، وأساتذته ، ومكانته العلمية ، ومنزله الاجتماعية ، وأخلاقه وصفاته ، وشاعريته القوية ، وآثاره ، وأولاده وأحفاده ، وأقوال العلماء والأدباء فيه ، وختمها بوصف النسخ التي قبلها الديوان ، وظروف نشره .

قسم ناشر الديوان هذه المجموعة الكبرى التي اشتملت على نحو ستة آلاف بيت ، والتي عانى في جمعها السيد الحسن ماعاني ، قسمها ووزعها على المدائح والمراثي ، والوجدانيات ، والتهاني ، والموشحات ، والحماسيات ، والتخميس والنشيط ، والمراسلات ، والإخوانيات ، وختمها بالتمهيدات ، وفي هذه الأبواب كلها إبداع وإمتاع ، وشعر يفيض رقة وشعورا ، وغرأ وحماسة ، وشيئا وأباء ، وعزة وعلاء ، وعلاوة على كون مؤلفه من فحول رجال القريض ، فهو من شيوخ العلم الأجل .

وقد ازدان الديوان بما ذبله به ناشره من تعليقاته المفيدة ، وآرائه السديدة ، واستدراكه العديدة ، وقد جاء بحمد الله كما قال : « كتاب تاريخ كما هو ديوان أدب ، حوى كثيراً من التراجم والسير ، والأمثال والحكم ، والشواهد والفوائد ، ومثل هذا اللون هو المطلوب لدى رجال البحث والتحقيق ، ومؤرخي الأدب » . وقد استفدنا من فوائد هذه التعليقات أضعاف ما استفدنا من الأصل ، لا سيما تاريخ الأسر العلمية في النجف ، وكثير من أعلامها ، وقد ذكر المراجع الخطية والمطبوعة منها ، وأشار إلى أجزائها ورفق صفحاتها ، وألمح إلى من سبق المؤلف إلى بعض المعاني البديعة في شعره ، وأورد الشواهد على ذلك من كتب الشعر والأدب والتراجم .

وقد ذكر الأستاذ الناشر طائفة من أقوال العلماء ، وآراء المؤلفين والأدباء في صاحب الديوان وشعره ، وفضله وعلمه ، وأقول : لا شك في أن شعره يشف عن سلامة ذوقه ، وسمو روحه ، وكرم عاطفته ، ونزاهة قصده ، وعفته وزهده بما في أبدي الناس ، فقد كان رحمه الله واسع الحال ، موفور الحظ ، غنيا عما في أبدي الناس بما أسبغ المولى عليه من نعمه ، فقد كان ملاكاً له تخيل وضياح ، تغدق عليه من خيراتها ما يكفل له أطيب عبشة ، كما ذكر في ترجمته : «ولذلك نجد معظم شعره الغزل الذي كان يؤنس به نفسه ، ويفرح قلبه ، ويث أشواقه ، ولم يكن ليفكر بالنظم في غيره ، وقد خلق شاعراً بطبعه ، لأنه بكره مدح الناس» (١) .

وتجد الجواب بعد هذا في المقدمة عن مدحه لقريب أو صديق ، أو ذي شان وسطان ، قال :

شهد المجد أنني است ممن      باع درّ الأشعار بالأنمان  
لا ولم أهده لغير حبيب      ذي وداد في السر والإعلان  
أو لريم يرمي القلوب بطرف      ناعس يوقظ الهوى بقطان  
بات رهن الحسان قلبي وباضيحة قلب يبيت رهن الحسان

وقد استغرقت قصائده الغزلية التي سميت بـ «الوجدانيات» مائة وأربعين صفحة من ديوانه ، وحسي أن أورد شواهد منها تدل على سائرها ، قال (ص ١٠٠) :

أمرتني ذات السوار ولا من      ن لديها ولم أجد من فداء  
عقد زانها يحل قوى الصبر (م) ويوهي - إي والهوى - أعضائي

وقال (ص ١٠٥) :

لقد أصبحت ذا كلف طروباً      وكم منبت نفسي أن أتوباً



ولاح الشيب وهو وفار غيري      وطفل الشوق لا يرعى المشيبا  
فدع عنك نفسك واسقنها      لعلني أن أحسن لها ديبيا  
عقاراً مثل خذ الحب لونا      أرى بين الضلوع لها لميبا  
لئن سبت العقول فكم أزلنا      بها عنا الوساوس والكروبا

وقال (ص ١٠٧) :

كفته عن الحراس ليلاً ذوائبه      وأغنته عن حمل السلاح حواجه  
نسي إلى العاشق أرسل هاديا      إلى الحب بدعو والقلوب تجاوبه  
فسفك الدما والتهيه ، والصد والجفا      ونقض عهد العاشقين مذهبه  
ألا فاسقني من سلسيل رضابه      فياربما يُطفى من القلب لابه

و كنت أرجو ألا أجد في ديوان هذا الشاعر المبدع ما ينأى عن شعره القومي ، وقصده السوي ، وكان له في أبواب الديوان ما يغنيه عن وصف بنت الحان والألحان ، وعن الغواني الخرد الحسان ، وسائر ما يفري بوضفه المستعدين من الشبان ، ولكنها سنة كثير من شعراء العلماء ، فهم يبنون عن احتساء الصباه في كتبهم الدينية ، وبنأون عنها ، وتراهم يغفون بها في قصائدهم ومقطوعاتهم الشعرية ، وكان لهم من مشاهد الكون ومن آياته تعالى في الآفاق وفي الأنفس ، ما بدعو الناشئين إلى الجد في العمل ، وبغني مقلدي شعر الجاهلية عن وصف الطلل ، والوقوف « بسقط الأولى بين الدخول نحومل » .

وبلاحظ في أمر المديح والاطراء ما هو أدخل في الإغراء ، وأخطر في باب الدعاء ، بدعاء من لا يملكون لأنفسهم ضرراً ولا نفعاً ، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً ، وطلب ما لا يطلب إلا من الغني القوي القادر ، القائل : « ادعوني استجب لكم » « وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان » فليستجيبوا لي ، وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون » . وهذه الآيات المفردة تدل على قصائدها ، وعلى ما هو في معناها مما استشهد به من شعر غيره . قال مخاطباً أمير المؤمنين علياً عليه السلام :

أنت الوجود وفيك قد وُجد الوري      ولأنت منظر ربنا والمسمع  
( ص ٩ )

كُرْبُ أَلَمْتُ بالفؤاد      وعندها صدري يضيق  
ولأنت يا غوث الصريح      بكشفها عني حقيق  
( ص ١٠ )

وقال مستغيثاً بالمهدي المنتظر :

رام الزمان هواني      واستصغر الدهر شاني  
فقلت مهلاً سأشكو      إلى إمام زماني  
( ص ١٣ )

وقال مخاطباً الإمام موسى بن جعفر (ع ٠ م) :

تَمَنَّتْ منك أن تُقضى دُبُونِي      وأرجو أن تبتلغها مناهي  
( ص ١٣ )

لا تخف هول تكبير في غد أو منكر      لا ، ولا تخش عذاب الله يوم المحضر  
( ص ٦٢ )

هو عين الله فينا والصراط المستقيم      وهو للجنة والنيران - في الحشر - قسيم  
( ص ٦٣ )

لم يكن آدم لولاه ونوح في الوجود      لا ، ولم تؤمر له الأُملاك يوماً بالعبود  
( ص ٦٣ )

لم يكن لولا عليٍّ مَلِكٌ أو مَلَكٌ      لم تكن لولاه تسري فلكتها والملك  
( ص ٦٣ )

وصي المصطفى حقاً      قسيم النار والجنة

( ص ٣٤١ ) أحد بينين عزاماً للشافعي .

والجواب عن هذه الأبيات الشعرية وما مائلها في قوله تعالى خطاباً لخاتم رسله  
وأفضل خلقه : « قل إني لا أملك لكم ضرراً ولا رشداً » قل إني لن يجيرني

من الله أحد ، ولن أجد من دونه ملتحدا » وقال سبحانه « أم من يجيب المضطر إذا دعاه وبكشف السوء » . وقال : « وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون » وقال : « الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا » فأين تقع هذه الدعاوي الشعرية من هذه الآيات الكريمة القطعية الثبوت والدلالة على معانيها وأين هذا الاغترار بقسمة الجنة والنار ، من قوله تعالى « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ، فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها ، وكفى بنا حاسبين » . وما حق أهل العلم والايمان أن يجاروا العامة في مثل هذه الأمور . وإخواننا الشيعة بدرسون تاريخ الإسلام ، وسيرة الصحابة لا سيما أئمة آل البيت عليهم السلام ، وهم يعلمون أن الصحابة تناظروا بعد وفاة النبي ( ﷺ ) في أمر الخلافة ، وفي جمع القرآن ، وفي المعارك الدامية كوقعة الجمل وصِفِّين ، والنهرवान والحرة ، وتناظر الشيخان في قتال مانعي الزكاة ، وفي لمسال جيش أسامة ، ولم يستغيثوا بسيد الخلق ، في هذه الشدائد ، ولا استفتوه في شيء منها بعد وفاته ، كما كانوا يفعلون في حياته ، وكل هذا معلوم من الدين والتاريخ بالضرورة ، ومن العقل والحس والوجدان بالبداهة ، فيجب رد ما يتجدد من الوقائع والحوادث الى الوحي المنزل ، وما عرف من سنن الصدر الأول . وجدير بالعلماء العاملين في كل مكان ، أن يتخذوا شذرات من سير الأئمة ملائمة لروح المجتحمين ، مغذية لعقولهم ، باعثة على حسن الاستماع والاتباع .

جاء في سيرة السلطان أحمد شاه ( ص ٣ - ٧ من الديوان ) أنه هو الذي ذهب المنارات والقباب ، على ضرائح الأئمة ، ونهب أموال الأئمة ، وأوغل في الفسق والفجور ، وكان الوالي من قبل الدولة العثمانية آنذاك مدحت باشا ، وهو خير من ولي العراق من آل عثمان ( ص ٣٣٩ ) وسجل له التاريخ كثيرا من الآثار . ( قال ) : وبوخذ عليه اهتمامه الكثير وعزمه الشديد على الاستيلاء على خزانة الإمام علي عليه السلام وبيعها ، واستعمال المال في مشاريعه ، وقد

أخفق والله الحمد اه . أقول : ليت الإمام علياً كان حياً لما أهديت إليه هذه الخزانة ، إذآ لرأيت أزهى الزهاد بما فيها ، وأمرعهم في إنفاقها على مستحقها ، فما هو ممن يكتزون الذهب والفضة .

وفي رحلتنا إلى العراق في وفد علمي ( في ١٨ / ٤ / ١٣٧٨ = ١١ / ١ / ١٩٥٨ ) أصعدنا التوفيق بزيارة أئمة آل البيت عليهم السلام ، وشاهدنا المنارات والقباب والأضرحة في كربلاء والكوفة والحلة والنجف ، وكلها مطلية بالفضة الخالصة ، ومغشاة بالذهب وفيها النفائس . ومن حولها الفقراء والضعفاء يذكرنا بقول حافظ إبراهيم رحمه الله :

أحيأونا لا يرزقون بدرهم وبألف ألف ترزق الأموات  
من لي يحظ النائمون بحفرة قامت على أبحارها الصلوات ؟

اعتذر الناشر الكريم عما وقع في الديوان من أغلاط مطبعية ولملائية وفي ضبط بعض حركات الإعراب ، — على بذله في تصحيحه جهداً مضنياً بلمسه الأدباء وأهل الفن كما قال . والحق أنا لمستأ الأفرين معاً : الخطأ الكثير في الأنواع الثلاثة الأولى ، والإجادة في تصحيح كلمات الديوان ثراً وشعراً ونرجو أن يصحح الخطأ كله في طبعة ثانية لأن شاء الله تعالى .

أضيف إلى جدول الخطأ والصواب ما يأتي :

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٤٩ م	١٥	توجدا	توجدان
٥٠	٢٢	القَبَس	المُقْبَس
٥٢	٤	كان . . فيض نفسي	فيضاً نفسياً
٢٠ في الحاشية ٢      أو يوم ذي مسغبة      « أَوْ لَطْعَامٌ فِي يَوْمٍ » الآبة			
وفي الختام نشكر الأديب الكبير الأستاذ السيد محمد حسن آل الطالقاني			
تحقيقه لهذا الديوان ، وعنايته بنشره .			
محمد بريجة البيطار			

# آراء وأبناء

أعضاء المجمع العلمي العربي في سنة ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٩ م

## أعضاء العاملون

١ - الرئيس : الأستاذ خليل مردم بك

٢	الدكتور اسعد الحكيم	١٠	الأستاذ عن الدين التنوخي
٣	الأ مير جعفر الحسني (أمين السر العام)	١١	فارس الخوري
٤	الدكتور جميل صليبا	١٢	الشيخ محمد بهجة البيطار
٥	حسني سنج	١٣	الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي
٦	حكمة هاشم	١٤	محمد كامل عباد
٧	سامي الدهان	١٥	مرشد خاطر
٨	الأستاذ شفيق جبزي	١٦	الأ مير مصطفى الشهابي (نائب الرئيس)
٩	عارف النكدى	١٧	الدكتور منير العجلاني

## أعضاء المراسلون

(الجمهورية العربية المتحدة)		(ج.ع.م. الاقليم الجنوبي)	
الاقليم الشمالي			
١	الدكتور عبد الرحمن الكبيالي	١١	الدكتور عبد الوهاب عنزام
٢	الأستاذ عمر ابوريشة	١٢	الدكتور منصور فهمي
٣	محمد سليمان الاحمد	١٣	الأ مير يوسف كمال
٤	الدكتور قسطنطين زريق	١٤	الأستاذ أنيس المقدسي لبنان
٥	(ج.ع.م. الاقليم الجنوبي)	١٥	بشارة الخوري
٦	الأستاذ احمد حسن الزيات	١٦	الشيخ سليمان ظاهر
٧	الدكتور احمد زكي	١٧	الدكتور صبحي المحمصاني
٨	الأستاذ احمد لطفي السيد	١٨	عمر فروخ
٩	خليل ثابت	١٩	الأستاذ مارون عبود
١٠	الدكتور طاه حسين	٢٠	الأب اس. مرموجي الدومنيكي فلسطين

٢١	الاستاذ قدري حافظ طوقان فلسطين	٤٦	الاستاذ آصف علي أصغر فيضي الهند
٢٢	محمد الشريفي	٤٧	أبو الحسن علي الحسيني الندوي
٢٣	احمد حامد الصراف العراق	٤٨	عبد العزيز الميمني باكستان
٢٤	الدكتور داود الجلي	٤٩	يوسف البتوري
٢٥	الاستاذ ساطع الحصري	٥٠	الدكتور بلاشير (رجيس) فرنسا
٢٦	طه الهاشمي	٥١	كولان (جورج)
٢٧	عباس الزاوي	٥٢	لاوست (هنري)
٢٨	الشيخ كاظم الدجيلي	٥٣	ماسه (هنري)
٢٩	الاستاذ كوركيس عواد	٥٤	ماسينيون (لويس)
٣٠	الشيخ محمد بهجة الاثري	٥٥	أريزي (أ. ج. ٠)
٣١	الاستاذ محمد رضا الشبيبي	٥٦	جيب (٠.١٠.٨. ر. ٠)
٣٢	الدكتور مصطفى جواد	٥٧	غليوم (الفرد)
٣٣	الاستاذ منير القاضي	٥٨	ريتر (هلموت) المانية
٣٤	الشيخ محمد نور الحسن السودان	٥٩	هارتمان (ريشارد)
٣٥	الاستاذ حمد الجاسر الملكة العربية السعودية	٦٠	ديدرنغ (س. ٠) السويد
٣٦	خير الدين الزركلي	٦١	الدكتور ضودج (بيارد) الولايات المتحدة
٣٧	علي الفقيه حسن ليبيا	٦٢	الاستاذ فيليب حتي
٣٨	حسن حسني عبد الوهاب تونس	٦٣	غومر (اميليو غارمينا) اسبانية
٣٩	محمد الطاهر بن عاشور	٦٤	الدكتور اشتولز (كارل) النمسة
٤٠	محمد البشير الابراهيمي الجزائر	٦٥	الاستاذ موجيك (هانز)
٤١	عبد الحفي الكتاني مراکش	٦٦	ماهلر (ادوارد) المجر
٤٢	عبد الله كنون	٦٧	جبراييل (فرنسيسكو) ايطالية
٤٣	علال الفاسي	٦٨	الدكتور شخت (يوسف) هولاندة
٤٤	احمد اتش تركية	٦٩	الاستاذ بدرمن (جون) الدانيمرك
٤٥	الدكتور علي أصغر حكمت ايران	٧٠	كرسيكو (بوخنا هنتن) فنلاندة
		٧١	رشيد سليم الخوري البرازيل

## أعضاء المجمع العلمي العربي الراحلون

(ج.ع.م.٠٠.الاقليم الشمالي)	(ج.ع.م.٠٠.الاقليم الشمالي)
٢٣ الشيخ بدر الدين النعساني	١ الشيخ طاهر الجزائري
٢٤ = راغب الطباخ	٢ = سليم البخاري
٢٥ = عبد الحميد الجابري	٣ = مسعود الكواكبي
٢٦ = عبد الحميد الكيالي	٤ الاستاذ الياس قدمي
٢٧ = محمد زين العابدين	٥ = أنيس سلوم
٢٨ الدكتور صالح قنباز	٦ = جميل العظم
٢٩ الشيخ سليمان الأحمد	٧ = سليم عنخوري
٣٠ الاستاذ ادوار مرقص	٨ = عبد الله رعد
٣١ الشيخ سعيد العرفي	٩ = رشيد بقدونس
٣٢ البطريرك مار اغناطيوس افرام	١٠ = اديب التقي
(ج.ع.م.٠٠.الاقليم الجنوبي)	١١ الشيخ عبد القادر المبارك
٣٣ الاستاذ مصطفى لطفي المنفلوطي	١٢ الاستاذ معروف الأرنؤوط
٣٤ = رفيق العظم	١٣ السيد محسن الأمين
٣٥ = احمد كمال	١٤ الاستاذ الرئيس محمد كرد علي
٣٦ = احمد تيمور	١٥ = محمد البزم
٣٧ = احمد زكي باشا	١٦ = سليم الجندي
٣٨ الدكتور يعقوب صروف	١٧ الشيخ عبد القادر المغربي
٣٩ السيد محمد رشيد رضا	١٨ الأب جرجس شلمحت
٤٠ الاستاذ حافظ ابراهيم	١٩ = جرجس منش
٤١ = احمد شوقي	٢٠ الاستاذ قسطنطين الحمصي
٤٢ الشيخ احمد الاسكندري	٢١ الشيخ كامل الغزي
٤٣ الاستاذ اسعد خليل داغر	٢٢ الاستاذ ميخائيل الصقال
٤٤ = داود بركات	

٦٩	الشيخ ابراهيم المنذر	لبنان
٧٠	الاستاذ جرجي بني	لبنان
٧١	الشيخ احمد رضا	لبنان
٧٢	الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف	لبنان
٧٣	فيليب طرازي	لبنان
٧٤	الشيخ فؤاد الخطيب	لبنان
٧٥	الدكتور نقولا فياض	لبنان
٧٦	الشيخ سعيد الكرمي	فلسطين
٧٧	الاستاذ نخلة زريق	لبنان
٧٨	الشيخ خليل الخالدي	لبنان
٧٩	الاستاذ عبد الله مخلص	لبنان
٨٠	محمد اسعاف النشاشيبي	لبنان
٨١	عادل زعير	لبنان
٨٢	محمود شكري الآلومي	العراق
٨٣	جميل صدي الزهاوي	لبنان
٨٤	معروف الرصافي	لبنان
٨٥	طاهر الراوي	لبنان
٨٦	الاب انستاس ماري الكرملي	لبنان
٨٧	الشيخ محمد بن ابي شنب	الجزائر
٨٨	الاستاذ محمد الحجوي	مراكش
٨٩	زكي مغامر	تركيا
٩٠	الشيخ ابو عبد الله الزنجاني	ايران
٩١	الاستاذ عباس اقبال	لبنان
٩٢	الحكيم محمد اجمال خان	الهند
٩٣	الاستاذ فوان (جبرئيل)	فرنسة
(ج.ع.م. الاقليم الجنوبي)		
٤٥	الدكتور امين المعلوف	لبنان
٤٦	الاستاذ مصطفى صادق الرافعي	لبنان
٤٧	الشيخ عبد العزيز البشري	لبنان
٤٨	الدكتور احمد عيسى	لبنان
٤٩	الأمير عمر طوسون	لبنان
٥٠	الشيخ مصطفى عبد الرازق	لبنان
٥١	الاستاذ انطون الجميل	لبنان
٥٢	خليل مطران	لبنان
٥٣	ابراهيم عبد القادر المازني	لبنان
٥٤	محمد لطفي جمعة	لبنان
٥٥	الدكتور احمد امين	لبنان
٥٦	الاستاذ عبد الحميد العبادي	لبنان
٥٧	الشيخ محمد الخضر حسين	لبنان
٥٨	الاستاذ حسن بيهم	لبنان
٥٩	الأب لويس شيخو	لبنان
٦٠	الشيخ عبد الله البستاني	لبنان
٦١	الاستاذ جبر ضومط	لبنان
٦٢	عبد الباسط فتح الله	لبنان
٦٣	الشيخ عبد الرحمن سلام	لبنان
٦٤	مصطفى الغلاييني	لبنان
٦٥	الاستاذ عمر الفاخوري	لبنان
٦٦	بولص الخولي	لبنان
٦٧	امين الريحاني	لبنان
٦٨	الامير شكيب ارسلان	لبنان



٩٤ الاستاذ هوار (كليمان)	فرنسة	١١٤ الاستاذ هرزفلد (ارنست) الولايات المتحدة
٩٥ = بوفان (لوسيان)	=	١١٥ = سارطون (جورج)
٩٦ = مانجو	=	١١٦ = كرانسكوفسكي (أ) الاتحاد السوفياتي
٩٧ = كي (أ.)	=	١١٧ = برتلز (ابفيكين)
٩٨ = باسه (رينه)	=	١١٨ الاستاذ آسين بلاسيوس (ميكل) اسبانية
٩٩ = ميشو بلير	=	١١٩ = لويس (دافيد) البرتغال
١٠٠ = مارسيه (وليم)	=	١٢٠ = جويدي (اغنازيو) ايطالية
١٠١ = دوسو (رينه)	=	١٢١ = نالينو (كارلو)
١٠٢ = مرجليوث (د. س. ٠) بريطانية	=	١٢٢ = غرينيني (اوجينيو)
١٠٣ = بفن	=	١٢٣ = مونته (ادوارد) سويسرة
١٠٤ = براون (ادوارد)	=	١٢٤ = هس (ج. ٠ ج. ٠)
١٠٥ = كرينكو (فريتز)	=	١٢٥ = كوفالسكي (ت. ٠) بولونية
١٠٦ = هومل المانية	=	١٢٦ = موزل (الوا) تشكوسلوفاكية
١٠٧ = ساخاو (ادوارد)	=	١٢٧ = هورغرينيه (صنوك) هولاندة
١٠٨ = هوروفينز (يوسف)	=	١٢٨ = اراندوك (ك. ٠)
١٠٩ = هارتمان (مارتين)	=	١٢٩ = هوتسا (م. ت. ٠)
١١٠ = مينفوخ (اوجين)	=	١٣٠ = بوهل (ف. م. ب. ٠) الدانمارك
١١١ = بروكين (كارل)	=	١٣١ = استروب (ج. ٠)
١١٢ = غولد صير (اغناطيوس) المجر	=	١٣٢ = ستريتين (ك. ف. ٠) السويد
١١٣ = ماكدونالد (د. ب. ٠) الولايات المتحدة	=	١٣٣ = سعيد ابو حمرة البرازيل

## انتخاب عضو جديد

انتخب المجمع العلمي العربي في جلسته المنعقدة في يوم ٢١ آذار (مارس) سنة ١٩٥٨ برئاسة الأستاذ الرئيس السيد خليل مردم بك الدكتور محمد كامل عياد عضواً عاملاً في المجمع العلمي العربي مكان المرحوم الرئيس محمد كرد علي .

وقد صدر عن رئاسة الجمهورية قرار بتاريخ ١٩ صفر سنة ١٣٧٨ و ٣ ايلول (سبتمبر) سنة ١٩٥٨ رقمه ١٥٤١ لسنة ١٩٥٨ يقر هذا الانتخاب .

### سيدي الزميل<sup>(١)</sup>

يطيب لي أن أستقبلك اليوم في مجتمعنا لا لتعريف بك ، بل لأقول لك ما أمسكته عنك وطويته زماناً طويلاً على قرب الدار ، وكثرة الاتصال بيني وبينك . وما حداني على التصدي لاستقبالك إلا ما أمثله من تشوقك الى معرفة ما يقال فيك . فإذا أقول ، وأنت تعلم أن ما أشعر به من الميل اليك ، على قربك وأنا بك ، لشعور يجعلني كثير الارتباك ، في وصف شمائلك ومزاياك ، هذا مع ما أجده في نفسي من انعقاد اللسان ، وجود الخطر ، وذهاب اليأس . ولكنني سأحاول أن أفي لك بما لم أف به حتى الآن ، على أن يكون لك الفضل عليّ فيما سمحت لي به من حرية القول ، على النحو الذي مرت عليه في كلامك على مؤرخ الشام ، أستاذنا ورئيسنا المرحوم محمد كرد علي . لقد كان رحمه الله أجلّ الناس في زمانه ، وأكرمهم في وقته ، وأعلمهم بترائنا العربي القديم ، فإذا كان المجمع قد دعاك اليوم الى المكان الذي خلا بوفاته ، فهو إنما يدعو مؤرخاً فيلسوفاً الى احتلال كرسيّ كاتب كبير ، وعالم مؤرخ . كان مولدك ، ياسيدي ، فيما أخبرني عن نفسك في مدينة طرابلس الغرب ، وكان والدك الشيخ (علي عياد) أول من مال من أمرتكم الى العلم ، فأثعب نفسه في تحصيله حتى بلغ منه مناه . أما والدتك فكانت من بني المسعودي ، وهم بيت مشهور من أهل طرابلس الغرب ، أدباء وفقهاء ، يتوارثون الفضل كابراً عن كابر ، وتالياً عن غابر ، وقد سَمَّاكَ أبوك ( كاملاً ) على اسم صديقه ( كامل الأصعد ) تيمناً بما يشير اليه هذا الاسم من تقدم وارتقاء . ولعلّ ذلك أن يكون من أسباب إطلاقه اسم ( الترقّي ) على الجريدة التي أصدرها وقتئذ

(١) الكلمة التي ألغها الدكتور جميل صليبا في جلسة استقبال العضو العامل الجديد الدكتور محمد كامل عياد في ٢٠ كانون الأول سنة ١٩٥٨ .

الدعوة الى ما كان يرغب فيه من تقدم واصلاح ، على النحو الذي سار عليه رجال الدولة العثمانية في الآستانة بعد إعلان الدستور . فلما أغار الايطاليون على طرابلس الغرب اضطرر والدك الى الحرب الى ( استنبول ) على ظهر باخرة ألمانية ، فعينه الدولة العثمانية حاكماً على ( مرجعيون ) ، ثم رئيساً لكتاب المحكمة الشرعية في ( حلب ) ، ولم يزل يتقلب في مناصب القضاء بعد جلاء الأتراك عن سورية حتى أصبح عضواً في محكمة التمييز في دمشق .

إن هذه الاشارة السريعة الى حياة والدك تكفي لايبراز ما تعاقب على نشأتك من أحداث ، وما طرأ على حياتك في زمن حداثتك من تغير ، فقد تلقيت علومك الابتدائية في مدارس طرابلس الغرب ، ثم رحلت مع والدك الى ( استنبول ) ، فانتسبت الى المدرسة الرشدية في مدينة ( بورصة ) ، ثم الى المدرسة السلطانية في مدينة ( حلب ) ، ورأى والدك بعد ذلك أن يرسلك الى المدرسة الصلاحية التي أنشأها الأتراك في مدينة ( القدس ) لإعداد الدعاة ، فانتسبت اليها وتوجت رأسك بالعمامة خلال أربعة أشهر ، ثم جلوت عن القدس مع من جلا عنها في أواخر الحرب العالمية الأولى ، وعدت الى المدرسة السلطانية في حلب لإتمام دراستك الثانوية ، فلما حزت شهادتها تذكرك الباخرة الألمانية التي تقلتك مع والدك الى استنبول ، فرحلت الى ألمانيا ، ودخلت جامعة براين ، فما من علم اجتماعي أو فلسفي إلا وقد أخذت منه هناك بأوفر نصيب ، وحصلت منه على أعلى ذروة .

سألتك مرة عن العلم الذي كنت تميل اليه في المدرسة الثانوية فقلت لي : العلم الرياضي ، فلم أجد سبباً لتحوُّلك عن هذا العلم الى الفلسفة إلا ما يجده بعض علماء النفس من علاقة بين الاستعداد للرياضيات ، والاستعداد للفلسفة . وربما كان من نقائص حياتك أن تهوى بعد ذلك دراسة التاريخ ، لأن موضوع التاريخ الحوادث الجزئية ، وموضوع الفلسفة الحقائق الكلية . وكمن فيلسوف

أنكر دراسة التاريخ لاعتقاده أن العلوم التي تستند الى الذاكرة لا تبلغ من الضبط العلمي ما تبلغه علوم العقل . ولكنك باسيدي لم تقنع من دراسة التاريخ بوصف الوقائع وذكر الأعداد ، والجيوش والمعارك ، بل تعمقت في بواطن الأمور ، وبحثت عن العوامل الطبيعية والنفسية والاقتصادية المؤثرة في التطور ، شأنك في ذلك شأن فلاسفة التاريخ الذين يبحثون عن القوانين الكلية المحيطة بالحوادث الجزئية .

ويسرني أن أقول لك الآن إن كتاب فلسفة ابن خلدون الذي ألفه بالألمانية ، قد تضمن الكثير من فلسفة التاريخ التي أخذت بها فيما بعد . فقد ذكرت في هذا الكتاب أن ابن خلدون أراد أن يربط علم التاريخ بعلم الاجتماع ، فحدد موضوع هذا العلم ، وطريقة بحثه ، ويين أن الحوادث التاريخية والاجتماعية خاضعة لمبدأ السببية ، ثم تصدّبت بعد ذلك لبحث فلسفة ابن خلدون في التاريخ والاجتماع والتطور ، فأشرت الى العوامل المؤثرة في التاريخ ، والى أسس الحياة الاجتماعية ، فذكرت منها الميل الغريزي الى الاجتماع ، والميل الى التقليد ، وختمت بحثك هذا بالكلام على المنظمات الاجتماعية كالأُسرة والقبيلة والدولة وغيرها . وأملك أردت من بحث فلسفة ابن خلدون الاجتماعية أن ترضي من حاجات نفسك حاجتين ، وأن تحقق بذلك غايتين : الأولى هي ميلك الى تحليل الوقائع التاريخية بالعوامل المؤثرة فيها ، والثانية هي اعتزازك بقوميتك ورغبتك في تعريف قراء الألمانية بأساطين الفكر العربي . وقد تم لك هذا فكان كتابك في الألمانية عمدة المستشرقين ، ومرجعاً من مراجع العلماء والباحثين .

ويشاء القدر بعد إنهاء دراستك في ألمانيا أن تعود الى سورية في أشد أيام الاستعمار قسوة ، وأكثرها ظلاماً واضطراباً ، فتحاول أن تعمل في الصحافة ، فتجد الصحافة مقيدة ، وتحاول أن تنخرط في سلك الموظفين ، فتجد الأبواب موصدة في وجه الذين تلقوا علومهم في ألمانيا ، ولكن حاجتك الى كسب الرزق

بعد إحالة والدك على التقاعد اضطررت الى طرق أبواب التعليم في شروط قاسية ، فلما فتحت أمامك أبواب المدارس الثانوية أظهرت من البراعة في التعليم ما دل على استعدادك القديم له . لقد كنت تعتقد إذ ذاك أنك صاحب رسالة ، وأن خير وسيلة لتأدية رسالتك تعليم النشء ، وثقيف أبناء الشعب ، ولا أزال أذكر حتى الآن اجتماعنا في مدرسة التجهيز في دمشق ، يوم كنا نعقد الحلقات للمذاكرة والمسامرة ، وتداول الكتب والمجلات للمطالعة والمناقشة ، وتبادل وجوه النظر في المناهج التربوية ، والأحداث السياسية والاجتماعية .

لبس في صفاتك ياسيدي ، صفة أدل على سميتك من حبك للتعليم ، إنك تحب تعليم الصغار كما تحب تعليم الكبار ، ولم أر بين إخواني المعلمين من أحب تلاميذه أكثر منك ، إنك تحبهم لبراءتهم وطهارتهم وضعفهم وقلة تجاربهم ، وهم يحبونك لملك وإخلاصك وجرأتك وتفانيك في خدمتهم ، أنت معلم ومرب معاً ، لم نزل تعلم أبناء هذا الجيل حتى أصبحت لهم والداً ، ونحن كان الله لم يمن عليك بعد بولد من صلبك ، لقد كان لك من أبناء هذا الجيل طلاب كثيرين أحبك كما يحب الأولاد والديهم ، لقد علمت الفلسفة والتربية والتاريخ في مدارس دمشق الثانوية ، وفي دار المعلمين العالية في بغداد ، وفي كليتي التربية والآداب في جامعة دمشق خلال ربع قرن ، فتخرج على يدك الكثيرون من قادة هذا الجيل ، وإذا كان يسرُّك الآن أن يسير بعض هؤلاء التلاميذ على خطتك ويحققوا ما دعوت اليه كل أيام حياتك من مبادئ سامية ، فإنه ليخزنتك أن ينكر بعضهم تعليمك وإرشادك ، ويضع في دولاب التطور عصاً تمنعهم من الدوران . ومهما يكن من أمر فإن تبعة ذلك لا تقع عليك ، لأن السحاب الذي يحود بالغيث على الأرض لا يسأل عن إنباتها الشوك والخنظل ، وأنت كذلك لا تسأل عما يتصف به بعض هؤلاء من فطانة براء ، وكياسة خرقاء .

وهل أنت باسيدي إلا من عنصر أولئك العلماء الذين قرنوا العلم بالعمل ، تعلمت العلم وعلمته ، ثم ألفت فيه عدة تصانيف ، اشتركت معي في تأليف أحد كتب المنطق ، وفي نشر بعض النصوص الفلسفية ، واشتركت مع الدكتور جورج حداد ، والدكتور نظم الموصلي في تأليف بعض كتب التاريخ للمدارس الثانوية ، وانفردت بتأليف كتاب الأخلاق ، وترجمة رسالة عنوانها كتب التاريخ والتفاهم الدولي ، ولك تصانيف أخرى لم تطبع بعد ، ككتاب تاريخ اليونان ، وتاريخ التربية ، وغيرهما . وإذا ذكرت الآن هذه التصانيف ، ذكرت معها ما كان من حرصك على جمعها للطلاب ، فأنت لم تؤلف كتبك لطلب الشهرة والمثالة ، ولا لعقد الرئاسة بين الناس ، أو مدح الجاه عندهم ، بل ألفتها لتقر عينك بانتفاع الطلاب بها ، وكأني بك تقول في نفسك إن العلماء لا يدركون السعادة إلا بنشر العلم ، فان احتاجوا الى العلم في خاصة أنفسهم فهذا من فضل الله ، وان احتاجوا اليه للناس فهذا خير وأبقى ، ولو علمت أن الناس لا يمكنهم الانتفاع بكتبك ، لكساد سوق العلم ، لأحرقتها لقله جدواها كما فعل أبو حيان قبلك ، ولكنك تعتقد لحسن الحظ أن الحقيقة يجب أن تذاع بين الناس ، وأن من كان قابضاً على الحقيقة ، ولم يعمل على نشرها لم يكن عالماً حقيقياً ، فلا غرو اذا عملت على نشر الحقيقة بتعليم الطلاب وتأليف الكتب لهم ، ولولا اضطراب حياتك وكثرة العوائق المحيطة بك لأنجزت من التصانيف ما يجز الكثيرون عن انجازه ، ولكنك باسيدي لم تجد في المجتمع الذي تعيش فيه أي مشجع لك على بلوغ غايتك ، فقاومت ما استطعت المقاومة ، وجاهدت ما استطعت الجهاد . رأيت مرة أن تلتحق بالإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية ، لتوصيح نطاق عملك ، فلم تلق فيها ما هو مؤمل منها ، فأوردك ذلك بأماً من الإصلاح ، حجب اليك العزلة والبعد عن الناس ، قلت لي في كتاب بعث إلي به من القاهرة : « ليس عندي من جديد أذكره

عن حياتي هنا ، فقد طابت لي العزلة التي وجدت نفسي فيها ، ولذلك تراني  
أنحاشي كل ما يمكن أن يفسدها » ، ولكن أنى لك أن تلقي عصا الترحال  
وتستريح الى عزلتك ، وفي نفسك ما فيها من حب العمل والنضال والاصلاح ،  
ألم تعد بعد ذلك إلى دمشق لمتابعة نضالك في الحقل الاجتماعي ؟ ألم تستأنف  
محاضراتك ومقالاتك التي كنا نتشوق إليها في زمان عزلتك ؟ . وهل لرجل  
مثلك أن يشعر بأمراض المجتمع ولا يعمل على شفاؤه منها ؟ لقد دعوت كل  
أيام حياتك الى حربة الفكر ، والعدل الاجتماعي ، ودعوت الى السلام والصدقة ،  
ودافعت عن النظام الديمقراطي ، وناديت بالاشتراكية والتعاون ، فكنت في  
كل ما دعوت اليه إماماً يقتدى به ، ويهتدى بهديه .

لم أر قط بين أقرانك من أحب الكتب والعلوم أكثر منك ، فانه لم يقع  
بين يديك كتاب إلا استوفيت قراءته كأنك ما كان ، وما دخلت عليك مرة  
إلا رأيتك تنظر في كتاب أو تقرأ مجلة أو صحيفة يومية . وسبب ذلك  
أنك تحب الاطلاع على كل ما يكتب في زماننا من آراء ، وما ينشر فيه  
من مذاهب ، وما يحدث فيه من واقعات ، وقد وهبك الله ميلاً الى استطلاع  
الأخبار ، واستقصاء الحقائق والآثار ، لأنك مؤرخ وصحافي معاً . وهذا الميل  
الى الصحافة يوضح لنا الكثير من مراحل حياتك ، فقد عملت في جريدة  
الشرق ، باشراف رئيسنا المرحوم محمد كرد علي ، وزملائنا المرحومين الأمير  
شكيب أرسلان ، والشيخ عبد القادر المغربي ، والشيخ بدر الدين النصفاني ،  
وعملت بعد ذلك في جريدة ( العرب ) التي أصدرها الأستاذ سامي السراج  
في حلب ، ثم سافرت الى طرابلس الغرب ، فأصدرت باسم والدك جريدة اللواء  
الطرابلسي ، ثم أصدرت في ألمانيا مع بعض الزملاء مجلة الحمامة ، وجريد صدى  
الاسلام ، فنشرت فيها عدة مقالات فلسفية واجتماعية وسياسية ، وكنت خلال  
إقامتك في ألمانيا ترسل جريدة ( المفتبس ) ، فلما عدت إلى سورية أسهمت



في تحرير جريدة فتى العرب ، وجريدة الأيام ، فكنت فيها من أحسن المحررين والمترجمين ، ثم أصدرت معي ومع الزميل عن الدين التتوخي ، وبعض الزملاء مجلة المعلمين والمعلمات ، واشتركت معي ومع أساتذنا الرئيس خليل مردم بك والدكتور كاظم الداغستاني في إصدار مجلة الثقافة ، وأصبحت مع بعض الأدباء في إصدار مجلة الطليعة في دمشق ، ومجلة الطريق في بيروت ، وكتب في مجلة العلم الجديد ، ومجلة المعلم العربي عدة مقالات تربوية ، وتوليت بعد ذلك تحرير مجلة كاية التريية ، ولا تزال حتى الآن تنشر في صحف دمشق اليومية والأسبوعية آراءك الاجتماعية والسياسية ، فهذا كله يدل على أنك خلقت صحافياً ومعلماً ، لم تقتصر على نشر أفكارك بواسطة التعليم في المدارس ، بل عملت أيضاً على نشرها بواسطة الصحافة .

أنت باسيدي ممنع المحاضرة ، الا أنك لا تتصدى للارتجال ، فلا تتكلم في موضوع إلا إذا هبأته ، وهذا فيما أعتقد خير من ارتجال الكلام بغير ترتيب ، إن كلامك في محاضراتك كثير الخلوة ، مفعم بالطلاوة ، لأنك تتفرد بموضوعات لا يتناولها غيرك ، فتجمل معانيك قريبة من الأذهان بما تضمنها إياه من النوادر اللطيفة ، والاشارات الطريفة ، ولا يكاد أحد يراك في كلامك جافاً ، جامد الفكر ، وإنما أنت في جميع محاضراتك مستوف فنون القول ، كأنك موج لجة ، أو سبيل مخدر . لقد حوت محاضراتك من أصناف العلم أحسنه ، ومن فنون الثقافة أجودها ، وإذا كان من الصعب عليّ الآن أن أذكر جميع الموضوعات التي حاضرت فيها ، فإنه إن يفوتني ذكر محاضراتك التي ألفتها في جمعية المقاصد الخيرية والجامعة الاميركية في بيروت ، ودار الكتب الوطنية في حاب ، عن الانسان الحديث ، ومستقبل الثقافة ، ورسالة الجامعة .

قلت في محاضرتك عن الانسان الحديث : « إنه محصول تطور تاريخي طويل ، فقد تقلبت عليه حوادث كثيرة واجتاز مراحل عديدة ، وتمرّض

لأزمات متنوعة ، وكان من أثر ذلك أن كثرت عناصر شخصيته وتضاربت وأصبحت نفسيته كما نشاهدها اليوم في منتهى التعقيد والاضطراب » .

فالإنسان الحديث في نظرك هو الإنسان الذي يحاول أن يخضع الواقع لسيطرة العقل ، وهو يختلف عن الإنسان القديم باتجاهه الديني المطلق ، وبمجمله أفكاره وعواطفه وأفعاله في الحياة الواقعية ، وكأني بك عندما نصف هذا الإنسان ، ونبين تطوره ، ندعونا إلى النسيج على منواله ، لأنك تقول إننا لا نستطيع أن نبني لأنفسنا حضارة مستقلة إلا إذا عرفنا الإنسان الحديث حق المعرفة ، ودرسنا تطوره الفكري ومنازعه العلمية . ومع أنك تجد في أفعال هذا الإنسان ما يدعو إلى الحجل والاشمئزاز ، وما يثير الشفقة والخوف ، فانك تعتقد أن الأزمة التي تعانيها الحضارة الحديثة ستنتهي لا محالة ، كالطفل الذي يجتاز عهد المراهقة ، فيماني أزمة حادة ، ثم ينتقل بعدها إلى حالة الاستقرار والطمأنينة .

فأنت ترى إذن أن الحضارة الحديثة تقوم على العلم والبحث العلمي ، وأن العلم الحديث المستند إلى المشاهدة والتجربة والتأمل العقلي ، هو السبب في الازدهار الاقتصادي ، والتقدم الاجتماعي . وإذا كان هنالك ، في الحياة الحديثة مشكلات ، فإن هذه المشكلات لم تنشأ عن طبيعة الإنسان وأنانيته ، بل نشأت عن فساد الأوضاع الاجتماعية التي لا تلائم طرق التفكير العلمي الحديث ، ولا طرق الانتاج العصرية .

وقلت في محاضرتك عن مستقبل الثقافة : « لاحظ العرب منذ أوائل القرن التاسع عشر ما تمتاز به الحضارة الغربية من وسائل القوة المادية ، وأدركوا أنهم لن يستطيعوا مقاومة الاستعمار الغربي إلا باصطناع الوسائل ذاتها . من هنا قامت الدعوة في البلاد العربية إلى ضرورة اقتباس الثقافة الحديثة ، لأنها أساس

النهضة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعسكرية» (ص ٥) وقلت أيضاً :  
 «إن الحضارة الحديثة هي التي تسيطر اليوم على العالم ، ولا سبيل لأي شعب  
 أن يحافظ على كيانه دون مجاراة هذه الحضارة» (ص ٣٢) . وقلت أخيراً :  
 « هناك فئة تسمي نفسها بالمعتدلة ، تريد أن يقتصر الاقتباس على محاسن  
 الحضارة الغربية ، وعلى تلك النواحي من ثقافتها التي تتلاءم مع خصائصنا  
 وتقاليدنا وعاداتنا . ونقطة الضعف في هذا الرأي هي الصعوبة في تحديد الصفات  
 والتقاليد والعادات التي نختص بها والتي يجب أن نحافظ عليها ، ثم الاختلاف  
 حول المعيار الذي يميز المحاسن من المساوي » . لقد اجتاحت حضارة الغرب  
 بلادنا بصناعاتها وأنظمتها ومذاهبها ، ولست المشكلة الآن أن نبحث ونناقش في  
 هذا التطور ، هل هو خير أم شر ، وأن نقابله بالاستمسان أو الاستهجان ،  
 ولكن المشكلة هي أن نعلم ماذا يجب أن نعمل للسيطرة على الأوضاع الجديدة ،  
 وجوابك على ذلك أن من واجبنا في الظروف الحاضرة أن نعمل على زيادة  
 الانتاج ، وتنمية الثروة العامة ، وتلبية حاجات الحضارة ، وهذا كله يحتاج الى  
 الأخذ بأسباب العلم الحديث وطرق بحثه . اننا نقاخر ونعتز بما انصفت به  
 الثقافة العربية في عهود ازدهارها من المرونة ، والقدرة على التكيف ، واتساع  
 الآفاق ، ومجاراة التطور ، فلماذا لا ننسج اليوم على منوال أجدادنا في اقتباس  
 الحضارات والثقافات الأجنبية . لقد سارع أجدادنا الى الاقتباس عن جميع  
 الأمم على أوسع مقياس ، ومن واجبنا في العصر الحاضر أن نعمل على اقتباس  
 الثقافات الأجنبية كما فعل أجدادنا في الماضي ، وأهم ما نحتاج اليه من هذه  
 الثقافات التفكير العلمي ، والنظر العقلي ، لا التفكير الصوفي أو الروحي الذي  
 يريده لنا المستعمرون ، ولا بكفي في نظرك أن تبنى النخبة الممتازة في بلادنا  
 ثقافة الغرب وحضارته ، بل ينبغي كذلك أن تنتشر هذه الثقافة في الجماهير الكادحة

من عمال وفلاحين ، لأنه لا فائدة من تجهيز الفلاحين بالآلات الزراعية إذا هم لم يتعلموا قبل ذلك كيف يحسنون استخدامها ويحافظون عليها .

وليس ما قلته ياسبيدي عن اقتباس الثقافة الغربية بخافٍ على الناس ، ولكن أكثرهم لا يجروون على التصريح به كما فعلت . ومع أنك تدعو الى الأخذ بثقافة الغرب ، وأسباب حضارته ، فإنك لا تهمل تراثنا الثقافي القديم . إن محاسن هذا التراث بادية لعينيك ، بارزة في دروسك ومحاضراتك ، ولكنك لا تريد أن تأخذ منها إلا الأعمدة القوية ، والعناصر المتينة الصالحة للبناء الجديد .

وما قلته في كلامك على رسالة الجامعة : « ليس البحث العلمي مجرد فعالية فكرية مستقلة عن الزمان والمكان ، والدراسة الجامعية نطل عقيقةً ونصبح عبثاً ثقيلاً إذا هي لم تجهز الشباب بالوسائل اللازمة لفهم العالم الذي يعيشون فيه ، وتفسير الحوادث التي تجري حولهم » . فإذا اقتصرنا الجامعة على البحث النظري المجرد لم تقم بوظيفتها الاجتماعية ، وإذا طلب العلم لذاته ، دون أن يتخذ وسيلة لإصلاح المجتمع والسيطرة على الطبيعة ، كان عبثاً ثقيلاً ، لانقطاع الصلة بينه وبين الحياة الواقعية .

نعم إن مفهوم الجامعة يتضمن في نظرك الإخلاص للعلم والحقيقة ، وإن الجامعة لا تبلغ غايتها « إلا إذا تدرَّب طلابها على طريقة البحث العلمي وتعودوا النقد الصريح ، وشعروا بالمسؤولية ، واحترموا حرية الفكر والقول ، وانصفوا بالنساح » ، ولكن الجامعة التي لا تخرج من عزلتها ، ولا تشارك في الحياة العامة مشاركة فعالة ، ولا تنشر العلم بين الناس ، ليست جامعةً كاملة ، فأهداف الجامعة في نظرك إذن هي التعليم والبحث العلمي ، والإعداد المهني ، والتدريب المسلي ، وتربية الشخصية وتنقيتها ، ونشر الثقافة في جمهور الشعب .

ذلك بعض ما جاء في محاضراتك من إشارات صادقة وأقوال نافعة ،

وأنت لي أن أحيط الآن بجميع ما تضمنته محاضراتك وأحاديثك من دعوة إلى الإصلاح . فقد حملت على ما في واقعنا الأليم من فساد ، ودعوت إلى إصلاح هذا الفساد بالتعليم والتربية والإرشاد ، ولما بدا لك أن الإصلاح بطريق التربية يحتاج إلى زمانٍ طويل ، عمدت إلى نشر أفكارك في الجماهير بطريق الصحافة ، ثم عملت بعد ذلك على تأسيس الجمعيات العلمية والفنية والأدبية فانجذبتا متنفسا لمازعتك الاجتماعية والانسانية ، ولو لم تجد إلا في هذه الجمعيات متنفسا لنشاطك الثقافي لكفى ، فكيف بك وقد سافرت في رحلات ثقافية إلى ألمانيا ، والاتحاد السوفياتي ، ورومانيا ، وبولونيا ، وتشيكوسلوفاكيا ، وفرنسة ، وإيطاليا ، واسبانيا ، وسويسرة ، اطلعت فيها على ما جد من المسائل العلية والاتجاهات الفكرية ، ونقلته إلى طلابك ومريديك ليعملوا به ، فالعلم كما تقول إنما يراد للعمل ، فإذا كان العمل قاصراً عن العلم ، كان العلم مصيبةً على الفرد والمجتمع .

لذلك رأيت باسيدي أن تفرق العلم بالعمل ، وأن تتولى التوجيه والإرشاد ، **فكنت عالماً ومعلماً ، مؤلفاً وصحافياً ، عالماً وكاتباً ، فيلسوفاً ومؤرخاً معاً ،** وما نشرته حتى الآن من الكتب والمقالات والمحاضرات يكفي لرفعك إلى الدرجات العلى بين مفكري العرب المعاصرين ، فكيف بك وقد عنزت على إتمام رسالتك العلمية والأدبية بانضمامك إلى مجتمعا ؟ .

إن في أسلوبك باسيدي تموجاً يشبه تموج أفكارك ، جملة تموجاً ليدل على ما في تفكيرك من حياة ، وعلى ما في حياتك من قوة ، ولو شئت أن تكون جامداً كالجلجل المشرف على أمواج البحر ، لما عجزت عن رصف أفكارك رصفاً هندسياً محكماً . ولكنك آيت أن تكون كاملاً فأشبهت معبد الفلسفة الذي أنشئ بالقرب من ضريح (جان جاك روسو) ، ترك أحد أجنحته ناقصاً للاستدلال به على أن عمل الفلسفة لم يتم بعد . ألم تؤلف كتاباً في الأخلاق

شبيهاً بهذا المعبود الفلسفي ، ألم تتكلم فيه على الوجدان ، والحق ، والواجب ، والشفقة ، والاحسان ، والتضامن ، والتعاون ، والحربة ، والكرامة ، والتقدم ، والصدق ، والصرامة ، والنزاهة ، والامسرة ، والعزل ، والاقتصاد ، دون أن تتم فيه كلامك على الحياة السياسية ، والعلاقات الدولية ، فكأنني بك ، وقد رأيت ما يمتور العلاقات الدولية من اضطرابٍ وتبدل ، لم تشأ أن تحكم عليها حكماً نهائياً فاصلاً ، تاركاً لغيرك من المتأخرين أن يتمحوا ما بدأت به من أحكامٍ مربعةٍ صادقة ، وتنبهات نافعةٍ محكمة .

أنت ياسيدي كثير العلم والاستقصاء ، محقق في الخبر والاثـر ، فاذا أردت تقرير الحجة في عقول الجماهير ، وتخفيف المؤنة على المستمعين ، عمدت الى الأمثال الحسية ، والنكتات اللطيفة ، والأفكار المقبولة في الأذهان ، فاخترت لها أسهل الألفاظ ، وصغتها في قالب مجسِّد الى النفس ، بعيد عن التكلف ، ولا تزال تزداد من هذه السهولة والمذوبة حتى تجيء ألفاظك في وزن اشاراتك ، ومعانيك في طبقة ألفاظك ، وأنا ما قرأت لك كلاماً إلا وجدت ألفاظك أسرع الى ذهني ، من معانيك إلى قلبي ، لأنك تطلق لقلبك العنان ، في غير خطل ولا إملال ، فتبلغ بسهولة اللفظ ، وحرية القول ما لا يبلغه غيرك بالفصاحة والبلاغة ، وإذا قيل ان في أسلوبك انعطافاً يشبه تعاطفك في مشيتك ، فعذرك في ذلك أنك مطبوع على البساطة والصرامة ، بعيد عن التكلف ، تفضل جوهر القول على صورته ، وحقيقته على لفظه .

أنت ياسيدي لا تشعني أن تعيش في نظامٍ كالنظام الذي فرضه الفيلسوف ( كانت ) على نفسه ، ولا تحب أن تكون مقيداً بقيود العادات والتقاليد . أنت تعتقد أن كل شيء في الحياة يتبدل ويتغير ويرتقي من حالٍ الى حال ، فكـم من كربة فادحة صبرت عليها لملك أنها زائلة ، وكـم من مشكلة تغلبت عليها

باستغفارك بها ، ولعل ذلك أن يكون من نتائج الثقافة التاريخية التي ملأت بها نفسك ، لقد ثقت التاريخ ، والفلسفة ، وعلم الاجتماع ، فأدركت ذلك مرونة فكرية حببت اليك النظر الى الأشياء من جهات مختلفة . وأنت ياسيدي عجيب الغراسة ملهم ، صادق الحدس نقاب ، رفيق المسلك فطن ، قد زرك الله من قوة التحليل ، وكثرة الاستقصاء والتعليل ما جعلك نقاداً ، تشك في كل فكرة ، وتبحث عن نقاط الضعف في كل مذهب . ولكنك مع ذلك لا تتعصب لأمر ولا تفرط في رأي ، وهذا ياسيدي تأويل حيي لك ، إني أحبك لشكك وتسامحك واختلاف وجوه نظرك . وأنا أحمد الله على أن كانت مرتبتك في النقد والدعوة الى الحق فوق مرتبتك في التسامح . وقد كان لك علي بانتصارك للحق نعمة أذاقتني طعم العز ، ألم تستغل من وظائف التدريس احتجاجاً على نقلي من وزارة المعارف ، ألم ترحل الى العراق احتجاجاً على تعسف المستشار الفرنسي ، ألم تنجبر بالحق لما مسخ الله أخلاق زماننا فلم يترك فيها مثابه من الأخلاق . أنك تؤثر أن تعيش حراً كريماً ، ولا أعلم صفة أجمع لمزاياك من العزة والكرامة . هذا ياسيدي بعض ما بدا لي أن أقوله في يوم دخولك مجمعنا ، فاذا قصرت في وصف مزاياك وتحليل سببائك ، فمذري أنني أعرفك كما أعرف نفسي ، ومن الصعب على الإنسان أن يتجرد من العاطفة في وصف نفسه . وهبني استطعت أن أتجرد من العاطفة وأن أفق منك موقف العالم من الشيء الخارجي ، فإني إن استطعت أن أوفيك حقك من الوصف في خطاب واحد . وما ذنبني اذا أغفلت كثيراً من صفاتك هرباً من الإطالة ، أو صيانة للقلم من رسم ما لا حاجة الى التحدث به . ان الشيء اذا استعلن استجنى ، والشمس اذا نفذ شعاعها الى العين دفعة واحدة أعشاها .

ومن حسن حظي يا سيدي أن يشرفني المجمع بتقديمك في هذا المساء ،  
فما توخيت من هذا التقديم إلا التعريف بفضلك ، وإلا الإشارة إلى ما ينتج  
في صدرك من حب العلم والأدب . وإذا كنت قد أنسبت في حديثي عنك  
الكثير من جوانب حياتك الغنية بالفضائل ، فانه لن يفوتني التنويه بما انطوت  
عليه نفسك من كرم وإباء ، وصدق ووفاء ، وإيمان بالعروبة والإنسانية .

ويسرني الآن أن أقول لك أنني متفائل باستقبالك في مجعنا بين عهدين ،  
عهد المجمع العلمي العربي الذي انتجبت عضواً فيه ، وعهد المجمع العربي للجمهورية  
العربية المتحدة . ففي انضمامك إلى مجعنا ريج لنا ، وفي انضمامنا إلى إخواننا في  
القاهرة لتأليف مجمع واحد ريج للغة العربية ، والقومية العربية ، فأت آخر  
السابقين وأول اللاحقين ، وكمن تقدم أحرزناه بانضمام اللاحقين إلى السابقين  
الخالدين ! وأنا أقترح عليك الآن أن تكتب لنا تاريخاً تضمنه كفاح الشعوب  
العربية الحديثة في سبيل استقلالها ووحدتها ، وانضالها في سبيل لغتها وثقافتها ،  
لأنك يا سيدي مؤرخ وفيلسوف معاً ، أحببت التاريخ كابن خلدون لعلك  
أن التاريخ ، وهو علم العبر ، يذكر الأمم بماضيها ويدعوها إلى الاعتزاز  
بتراثها ، وأحببت الفلسفة كما أحبها سقراط لعلك أن الفلسفة تعرف الإنسان  
بنفسه ، وتكشف له عن حقيقته وغايته .

جميل صليبا



سادتي الأفاضل<sup>(١)</sup>

يجز لساني عن التعبير عن عواطف الشكر والامتنان التي أشعر بها لما أوليتموني من شرف الانساب الى جمعكم الكريم . وبقيني أنكم تعلمون تقصيري في ميادين الفصاحة والبلاغة وأنكم لذلك سوف تنظرون الى كلتي هذه بما اشتهر عنكم من اللطف والانساح .

ولا يساورني أدنى شك في أنكم لا تنتظرون مني بحثاً شاملاً عن الأستاذ الرئيس (محمد كرد علي) ، فقد عاشتموه زمناً طويلاً وعرفتم عنه كل شيء . وقد أجاد عضو الجمع المحترم الدكتور سامي الدهان في كلمة الذكرى التي كتبها عن الأستاذ الرئيس فأبدع في تصوير شخصيته الجذابة وتعداد مزاياه السامية ووصف حياته الحافلة والاشارة الى آثاره الجليلة . ثم أقدم عميد الأدب في الشام الأستاذ الكبير شفيق جبري على إلقاء محاضراته عن (محمد كرد علي) بمعهد الدراسات العربية العالية في القاهرة فبلغ منتهى الكمال في الاستقصاء والتحليل . وقد عادت هذه المحاضرات بالذاكرة الى العصر الذي نشأ فيه (محمد كرد علي) وكشفت عن أثر ذلك العصر في تحديد ثقافته وتوجيه تفكيره وتقرير منهجه في العمل . واستفاضت المحاضرات في بيان الممارك التي خاضها (محمد كرد علي) في سبيل الإصلاح والتقدم ، فوصفت لنا جهاده العنيف في ميدان الصحافة ودفاعه الجيد عن العرب والإسلام . وقد برهن الأستاذ شفيق جبري على براعة فائقة في تحليل تأليف (محمد كرد علي) وإبراز محاسنها الكثيرة دون اخفاء عيوبها القليلة ، كما انه لم يتستر على نقائص الأستاذ الرئيس وشدة

(١) الكلمة التي ألقاها الدكتور محمد كامل عياد في جلسة استقباله عضواً عادلاً ، مترجماً لها سلفه المرحوم الأستاذ الرئيس محمد كرد علي .

عصبته وصعوبة مزاجه ، لأن هذه العيوب والتناقض والاندفاعات لا تقلل من الإعجاب بنبوغه وفضله وجهاده .

أيها السادة !

لقد قبض لكم أن تعيشوا مع الأستاذ ( محمد كرد علي ) فوجدتم فيه رائداً وقائداً ناخلاً وضحياً في سبيل تأسيس المجمع العلمي العربي ودافع عن كيانه وبذل جهوداً جبارة لتنظيم أعماله وإعلاء شأنه .

وقد تقدمتم أشواطاً بعيدة في الطريق التي نهجها ، وكان لكم الفضل في تحقيق الكثير من الأهداف التي وجه الأفكار إليها .

وأظن أنكم انما تكرمتم بانتخابي زميلاً لكم كي أشارك معكم ، بقدر استطاعتي ، في العمل على بلوغ جزء آخر من تلك الأهداف .

هذه المهمة تفرض علي أن أتحدث إليكم عن بعض النواحي من نشاط الأستاذ الرئيس ومباحثه التي استرعت انتباهي واستطعت الإلمام بها .

عرفت الأستاذ ( محمد كرد علي ) منذ سنة ١٩١٧ ، عندما كان يحرر في جريدة ( الشرق ) . ومن المعلوم أن هذه الجريدة كان قد أسسها القائد التركي ( جمال باشا ) وحشد عدداً من كبار الكتاب للاشتراك في تحريرها مثل الأستاذ ( محمد كرد علي ) والأمير شكيب أرسلان والشيخ عبد القادر المغربي والشيخ بدر الدين النعساني . وقد اشتغلت فيها ، وأنا تلميذ ، بترجمة الأخبار من الألمانية إلى العربية . وهكذا سخرت لي الفرصة لتدرب على الصحافة تحت إشراف الأستاذ ( محمد كرد علي ) . كما قمت بعد ذلك بمراسلة جريدته ( المقتبس ) أثناء دراستي في جامعة برلين بين سنة ١٩٢٢ و ١٩٢٨ .

في غمار الصحافة :

كان الأستاذ ( محمد كرد علي ) صحافياً في الدرجة الأولى . ولا بد لنا من تذكّر هذه الحقيقة عند البحث في تفكيره وأعماله وفي الحكم على شخصيته . لقد مارس الصحافة منذ أول شبابه إذ أخذ يكتب المقالات في الجرائد وهو ابن ست عشرة سنة ، حسب قوله . ثم تولى ، وهو في الثانية والعشرين من عمره ، تحرير جريدة ( الشام ) ، واصل أثناء ذلك بمجلة المقنطف ونشر فيها بعض المقالات .

وفي مصر تولى تحرير جريدة ( الرائد المصري ) ثم جريدة ( الظاهر ) وكتب في جريدة ( المؤيد ) المشهورة ، كما أسس مجلة ( المقنن ) الشهيرة . وبعد الانقلاب العثماني سنة ١٩٠٨ عاد الى دمشق ونقل اليها المجلة وأصدر الى جانبها جريدة يومية بالاسم ذاته . . . رأى الأستاذ ( محمد كرد علي ) في الصحافة وسيلة فعالة للإصلاح . فانصرف الى هذه المهنة بكل قواه وسعى جهده الى رفع مستواها ونجح في ذلك نجاحاً باهراً .

كانت دعوته منذ بادى الأمر تتلخص ، كما يقول ، في « حفز العرب الى العمل النافع والتذرع بالمشاريع المنتجة » وبعث القرائح واستخدام الكفاءات ونشر التعليم بين الطبقات الجاهلة » . ( المذكرات ، الجزء الأول صفحة ٦١ ) . انه كان يتصور الصحف « كمدارس سيارة تنير الأفكار وتعرف الناس معاني المدنية وتطلمهم على أحوال الأمم ونهوضها ، والدول وصياستها ، ونحمل اليهم مجلات من العلوم والآداب » . ( « أقوالنا وأفعالنا » ص : ١٢٠ ) .

وقد أشاد الأستاذ الرئيس بالجهود التي بذلتها الجرائد والمجلات في بلاد الشام لغرس الروح الوطنية في المجتمع وتلقين الشعب تربية سياسية صالحة ،

وقال انها علت الجماهير « استعمار المستعمرين وتدليس المدلسين ، وأن أممهم كانت شيئاً مذكوراً فيما مضى وأنه لا حياة لأحفادها بدون الاخذ من سيرة الأجداد والانتباس من المدنية الحديثة كل ما لا ينزع منهم مشغصاتهم ومقدساتهم ، وأن لا قيام لأمرهم إلا بالقومية العربية ، وأن نعمة الدين وحدها لا تنجيهم مما هم فيه لأن التساهل بأمور الدنيا يذهب بالدين والدنيا معاً ، كما علمتهم أن القرب لا يريد خيراً للشرق وأن الشرق شرق والغرب غرب . . . » (خطط الشام الجزء : ٤ ص : ٦٠) .

ألا ان الأسناذ (محمد كرد علي) قد لاحظ أيضاً ما طرأ على الصحافة من فساد وانحراف فقال ان هناك صحفاً تضل العقول وتريد في ظلمة الأفكار وتدعو الى أكثر من مذهب سيامي وتتناول معونات من عدة دول حتى توهم الناس أنها آلة للنكسب والتدجيل ، لا أداة للوعظ والإرشاد والتعليم . لذلك كان ينتقد الحكومات لتساهلها في منح الطفيليين امتيازات اصدار الصحف .

### صفات الصحافي :

وكان يشترط في الصحافي أن يكون على علم كثير وخبرة واسعة وأن يتقن لغة أو لغتين من لغات العلم والسياسة وأن يكون من طبقة تحسن استعمال عقلها والاحتفاظ بكرامتها وبمن عانى اليأس والدرس وتذوق الشرائع وأحاط بتاريخ أمته واجتماعها وحياتها الاقتصادية وثوراتها وضعفها وقوتها وأوضاعها وأحزابها وتقاليداتها وشركاؤها .

ويصف الصحافي بأنه « قاض يتجدد على الأيام ما يعرض عليه من قضايا وتنقضية أحكامه ذوقاً سليماً وتقداً عادلاً وأدباً غنياً » . ويرى أن الصحافي « صاحب دعوة تفسد بأقل هوى يتبعه وأنه صربي عقول ونفوس ومفشي أمة وعمران » . ويقول عنه « انه معلم لا انتهاه لمهنته الا بانتهاء عمره » ومهنته

تتلون كل ساعة بلون ويطلب من صاحبها أبدأ أن يطلع على قرائه كل يوم  
يجدبد . . هو يجمع الى عمل القاضي عمل الباحث والى صنعة الفنان صنعة النقاد  
والى صفة الأديب صفة الاقتصادي والى مروح الأدباء حكمة الحكماء . ويحتاج  
الى بديهة ، والى روبة ، والى مرعة ، والى أناة ، يراقب كل صاحب سلطة  
ويدافع عن كل مظلوم وينفذ الى أحشاء كل أمر . هو صديق الحكومات  
وعدوم وخطيب القوم ولسانهم ومؤرخهم ومؤدبهم ، يلقن ذوقاً وبلقح عقلاً  
ويدعو الى واجب ، يردد ما يرضي وما يغضب ، لا يكتم حقاً ولا ينشر الا  
عرفاً . ( أقوالنا وأفعالنا من : ١٧٥ ) .

ألا يخجل اليك ، أيها السادة ، ان الأستاذ الرئيس عندما كتب هذه  
العبارات كان كأنما يصف نفسه ؟

كان الأستاذ ( محمد كرد علي ) صحافياً مثالياً ، مخلصاً لعمله ، شريفاً في  
مقاصده ، مدركاً لمسؤوليته ، صريحاً في إبداء آرائه . إلا أنه كان ، من  
جهة ثانية ، عاطفياً يغمس بسرعة ويندفع بسهولة ويميل الى الشدة في نقد الفساد  
والانحراف ومكافحة الشر والفضلال . وقد اعترف هو نفسه بأنه كان يغلو في  
الإنكار على المخربين حتى أصبح ذمهم ملكة مستحكمة فيه لا يستطيع الرجوع عنها ،  
وقال : « لا أنكر أن التيار كان يأخذني أحياناً ويشط بي القلم على غير عادي » .  
( المذكرات الجزء الأول : صفحة : ٦١٢ ) إلا انه يستدرك قائلاً : « لكنني  
لم ألبأ الى الطعن الشخصي بأحد » . وهو يعني بذلك انه ، عند مهاجمة الأشخاص  
الذين يعتقد فسادهم ، لم يكن يذكر أسماءهم . ولكن المقصودين بالنقد كانوا  
يعرفون أنفسهم ويعرفهم الناس .

كان طبعياً أن يتعرض الأستاذ ( محمد كرد علي ) بسبب هذا النقد الى  
الأخطار وأن يضطهده رجال الحكم وبغضب عليه أهوانهم . إلا أنه من جهة

أخرى نال شهرة واسعة ومكانة مرموقة في المجتمع لما انصف به من صراحة في القول وجراً في النقد وحماسة في سبيل الإصلاح . . .

من المؤسف أن الأستاذ (محمد كرد علي) قد انتهى به الأمر بعد الحرب العالمية الأولى إلى كره الصحافة وإلى إغلاق جريدته (المقتبس) لأسباب سياسية ذكرها في مذكراته . (الجزء الأول صفحة : ٦٢ - ٦٣) .

ومعها كان الأمر فاق اشتغال الأستاذ (محمد كرد علي) بالصحافة مدة طويلة قد ترك أثراً بالغاً في طريقة تفكيره وبحثه : أنه أصبح واقعياً ، على صلة وثيقة بشؤون الحياة ومشاكل الناس ، بعيداً عن الأمور الخيالية والمفاهيم المجردة ، يميل في أسلوبه إلى الوضوح والسهولة والابحاز . إلا أن ممارسة الصحافة قد نجمت عنها صفات أخرى تدعو إلى النقد مثل التسرع وعدم التعمق والتنافس . وقد سعى الأستاذ (محمد كرد علي) إلى التحرر من هذه العيوب عندما انصرف أخيراً إلى البحث العلمي .

ظل الأستاذ الرئيس ، بعد الحرب العالمية الأولى ، يدعو إلى الإصلاح والتقدم وإلى الأخذ بأسباب القوة واستمر يعمل بنشاط لا مثيل له في المجتمع العلمي العربي ، بدير شؤونته وبكتبه المقالات في مجلته ويلقي المحاضرات في قاعته ، كما كان في الوقت نفسه يؤلف الكتب وينشرها .

### أسس الإصلاح :

إن الدعوة إلى الإصلاح عند الأستاذ (محمد كرد علي) تتركز على بضعة أسس عامة ، محدودة ، مترابطة بدور بحثه دوماً حولها في كتبه ومقالاته ومحاضراته وأحاديثه وهي : (١) إحياء تراث العرب والمسلمين ، محاربة الجور عند المشايخ وتنقية الدين من البدع والقشور ، (٢) تهذيب الأخلاق والعادات ،

٤) اتباع العقل والاهتمام بالأمور العملية ، ( اقتباس كل ما ينفع عن المدينة الغربية الحديثة . . .

كان للأستاذ فضل كبير في إحياء التراث العربي - الإسلامي ، فقد قام بتحقيق ونشر عدد من الكتب العربية القديمة في العلم والأدب كما شجع غيره على الاقتداء به في هذا . كذلك نشر مختارات نفسية من مؤلفات كبار القدماء عني بشرحها وبيان قيمتها . ولا جدال في فائدة هذا العمل وضرورته . فانه لا بد لنا في نهضتنا الحديثة من الاستناد الى تقاليدنا التاريخية . الا انه لن يتيسر لنا الاستفادة كما ينبغي من تراثنا القديم الا إذا أقدمنا على دراسة هذا التراث دراسة تحليلية ، انتقادية ونوصلنا الى تمييز ما هو صالح للحياة من الجامد البالي . .

### الإصلاح الديني :

لم يتوقف الأستاذ ( محمد كرد علي ) منذ نشأته حتى آخر حياته عن مهاجمة الدجالين من رجال الدين ، وقد قال انه لا يبغض المشايخ لجرد أنهم مشايخ ، فقد درس على نخبة منهم أمثال الشيخ طاهر الجزائري والشيخ محمد المبارك والشيخ سليم البخاري ، الذين أخذ عنهم واستفاد كثيراً من نصائحهم وكانت دوماً يشعر فحومهم بالحب والاعجاب والاحترام . الا أنه كان يسيء الظن بالمشايخ على الأجمال ويمقت الكثيرين منهم ، وينتقد مظاهر الفساد بينهم . وقد دافع الأستاذ بحماسة زائدة عن حركة الإصلاح التي قام بها جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده في مصر ثم الشيخ طاهر الجزائري في الشام ، وأشاد بذكر الإمام ابن تيمية الذي يسميه « أعظم مصلح في القرن الثامن وفي قرون كثيرة من قبله ومن بعده » والذي أراد ارجاع الدين الى نضرته الأولى وتعريفه من القشور التي ألصقها به الجهلة المتحمسون » . ( خطط الشام جزء ٤ ص ٥٠ ) ويقول عنه في مكان آخر : « لو عمت دعوته . . . . . لسلم هذا

الدين من تخويف المخرفين على الدهر ، ولما سمعنا أحداً في الديار الإسلامية يدعو لغير الله ، ولا ضريحاً تشد إليه الرحال بما يخالف الشرع ، ولا يعتقد بالكوامات على ما ينكره دين أتى للتوحيد لا للشرك ، ولسلامة العقول لا للخيال والخيال » . ( كنوز الأجداد ، ص : ٣٦٧ ) .

وذهب الأستاذ الى أن « من أعظم مآدع الى انحطاط المسلمين غراهم في حضور التدلي بصبح معظم أمور الحياة بصيغة دينية » . فهو يريد فصل الشؤون الدينية عن الدين على نحو ما جرى في الغرب .

### اصلاح الأخلاق :

لم تقتصر حملات الأستاذ ( محمد كرد علي ) على المفسدين من رجال الدين ، بل انه أطلق العنان لقلبه في نقد الفئات الأخرى من الأمة أيضاً . وقد أغرق في وصف مظاهر التأخر والانحطاط والتفسخ والانحراف في سلوك كثيرين من الأشخاص الذين عاشهم أو سمع عنهم . هكذا نراه في آخر الجزء السادس من ( الخطط ) بعقد فصلاً طويلاً بعنوان « رأي في الأخلاق الشامية » يرسم فيه صورة مظلمة عن طبقات المجتمع كافة . وفي كتابه ( أقوالنا وأفعالنا ) ، ثم في ( المذكرات ) يروي حوادث لا تحصى عن فساد أخلاق الناس في هذا العصر ويشكو من انتشار الكذب والتفاق والحسد والغرور والمكر . وهو يعتقد أن السكوت عن العيوب عيب كبير وأنه لا سبيل الى النهضة قبل تقويم الأخلاق . على أن الكثيرين من الذين أيدوا دعوة الأستاذ الرئيس الى تهذيب الأخلاق والعادات قد ساءرتهم الشكوك في جدوى طريقته في الإصلاح القائمة على التشجيع السافر والنقد اللاذع والتقريع العنيف . بل ان بعض الباحثين يؤكدون أن أساليب الوعظ والإرشاد ، مهما اختلف مظهرها ، لا تؤدي وحدها الى إصلاح الفساد الأخلاقي ، ويقول هؤلاء ان أخلاق الأفراد انما تعكس



أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية وانه لا يمكن لذلك تبديل هذه الاخلاق إلا بتغيير تلك الأوضاع .

وقد أهمل الأستاذ ( محمد كرد علي ) العلاقة بين الاخلاق وبين العوامل الاقتصادية والاجتماعية . لذلك لا غرابة اذا رأينا ان يستسلم في آخر الأمر الى التشاؤم والبأس فيصرخ في أول كتابه ( أفوالنا وأفعالنا ) قائلاً :

« ليقبل علماء الدين ما يقولون ، وليقرر علماء النفس ما يقررون ، وليكرر علماء الاخلاق ما يكررون ، فأنا أكره الشر ولا أقصد الآن الى مداواة صاحبه وأعشق العدل ولا أغضي عن يهدم عموده ، وأرغب في النظم السليمة ولا أغالط النفس في استصلاح الفاسد . . . ومن يقل للصالحات استعداداه ، أنت لا تخلق ما حرمته الفطرة إياه ، ولو جهدت كل جهدك » . ثم أضاف يقول : « وطال الأمد على هذه الدعوة وانقضى العمر في أمل لم يتحقق منه بعض ما كان يرتجى وصرفت في هذه السبيل جهود لم يسترد منها عشرها ، فهل من مطعم بعد هذا في أن نجعل من جذع يابس غصناً نظيراً ، ومن جسم ميت كائناً حياً ؟ » .

ولئن رأينا الأستاذ يقول في ختام هذا البحث : « ولقد كنت ، كلما منيت النفس ، بأن الخير سيكون في الجيل الذي يلي . بعد الذي أنا أشكو منه ، أرى الزمان هو الزمان ، والناس هم الناس ، واذا الالباء بنشأون على غرار الآباء ، واذا اللؤم والحسد والدناءة عسيرة العلاج . . » — ، لئن رأينا الأستاذ يقول ذلك فلا يسعنا إلا أن نخالفه وندعي بأن الإصلاح ليس مستحيلاً ، وان كان عسيراً حقاً وأن الأجيال التي تعاقبت في الفترة الأخيرة قد ازدادت تقريباً من الخير وأن مواظب الأستاذ ( محمد كرد علي ) وارشاداته نفسها قد كان لها بعض الفضل في ذلك الى جانب المؤثرات الأخرى . . .

الزعة العقلية :

كان الأستاذ (محمد كرد علي) ، على الرغم من طبيعته العاطفية ، الانفعالية يؤمن بالعقل ويدعو الى سيطرته في حياة الفرد ونظام المجتمع . وقد جاء في كتبه بشواهد كثيرة من التاريخ تدل على أصالة هذه الزعة بين كبار المفكرين العرب والمسلمين الذين كان يريد الافتداء بهم . فنراه مثلاً يقول عن الجاحظ انه « المعلم الأول » ، يعلم الناس أن لا يؤمنوا بشيء الا اذا صح في نظام العقل ويربدهم على أن تدق ملاحظتهم ويرهف حسهم ، يعلم حربة النظر والبحث ولسان حاله : ان الدين لا يصلح بغير الدنيا وان الشريعة جاءت لإصلاح الأولى والاخرى » . (أمراء البيان جزء ٢ ص ٤٢٩) .

والسبب في إعجاب الأستاذ بالمدينة الغرية الحديثة يرجع الى اعتقاده بأنها قائمة على العقل والعلم . وفي رأيه انما تنجلي المدنية ، قبل كل شيء ، في السيطرة على الطبيعة وفي التقدم المادي . وقد قال : « الماديات هي السلم الموصل الى بلوغ القوة ، وأي معنويات لمن تجرد من المادة ؟ » (أقوالنا وأفعالنا ، ص : ٣١٢) . انه كان في كل المناسبات يطالب بتوجيه الاهتمام الى الأمور المادية العملية المفيدة ، والابتعاد عن الخيالات والأوهام ، وكان يحارب المشتغلين بالمسائل الروحية والغيبية . واليك ما كتبه في الجزء الرابع من المذكرات (صفحة ١٠٤٤) بعنوان « كتب الخيالات » ، قال :

« في العهد الأخير انصرف همم بعض من يشتغلون بالفلسفة واللاهيات من رجال الجامعات العربية الى نشر بعض كتب قدماء الفلاسفة والمتصوفة . وكانت بعض النفوس تشوف للوقوف عليها ، يتخيلون أن فيها أسراراً لو ظهرت لكشفت من نواويس الطبيعة ما تتقدم به الإنسانية وتعضي الأرواح من كثافتها وينجو البشر من القتل والتزوير والسرقة والكذب والظلم . ولما ظهرت أسفار المتصوفة

في حللها الجديدة من العناية تجلى الأنظار أنها تافهة إلا من العبث الذي أحب  
بثه عشاق الغرائب والمولعون بالجهولات على الأيام ، فضاعت فيها أعمارهم وأضاعوا  
أعمارهم من اشتغلوا بها » .

وفي الواقع كان الأستاذ ( محمد كرد علي ) لا يميل الى الفلسفة ولا يستسيغ  
البحث في مشاكلها ، ويبدو أنه قد تأثر بالانجازات الفكرية التي كانت سائدة  
لدى الغربيين في أواخر القرن التاسع عشر والتي كان معظمها ينسكركم للفلسفة  
والإلهيات ولا يعترف إلا بالعلوم المادية . . .

### الدعوة الى الاقتباس من الغرب :

ظل الأستاذ ( محمد كرد علي ) في جميع أدوار حياته يدعو الى الاقتباس  
عن المدنية الغربية الحديثة . نلاحظ اندفاعه وراء هذه الدعوة بوجه خاص  
في كتاب « غرائب الغرب » الذي يعتبر من أحسن مؤلفاته .

تكلم الأستاذ الرئيس في هذا الكتاب عن رحلاته الثلاث الى مختلف  
البلاد الأوروبية ، وعلى الأخص فرنسا وسويسرا والاندلس في سنة ١٩٠٩  
ثم سنة ١٩١٣ وسنة ١٩٢١ . ولم يقتصر على وصف مشاهداته الذاتية ، بل  
أضاف الى ذلك كثيراً من المعلومات التي نقلها من الكتب أو الأشخاص العارفين .  
وقد بين في مذكراته ( الجزء الأول صفحة ١٨٤ ) أنه ما كان بدخل بلدة  
قبل أن يطالع في وصفها كتاباً أو كتباً حتى يستفيد من زيارتها استفادة  
حقيقية . لذلك استطاع أن يتكلم بأسهاب عن مختلف مظاهر الطبيعة والحياة  
البشرية في البلاد التي زارها ، على الرغم من أن مدة الإقامة فيها كانت قصيرة .  
فأطول فترة ، وهي التي قضاها في باريس ، لم تزيد على الشهرين خلال الرحلة  
الاولى ثم على الشهر الواحد في سنة ١٩٢١ .

كتب الأستاذ (محمد كرد علي) في مذكراته يقول : « كانت الغاية من رحلاتي تجديد مارث من قواي وترويض الجسم وتسلية الروح والتعرف الى مدنية الغرب ودرصها في أرضها درساً عملياً » . ولا شك في أن الرغبة في الدرس والاطلاع كانت من أقوى الدوافع ، كما أشار الى ذلك أيضاً في الفصل الأول من كتاب « غرائب الغرب » ، إذ قال : « كنت من أعظم أماني النفس منذ بضع سنين أن أرحل الى أوروبا رحلة علمية أقضي فيها راحة من الدهر للتوفر على دراسة حضارة الغرب في منبعها واستطلاع طلع المعاهد التي منها نشأ المخترعون والمكتشفون والفلاسفة المزهرون والعلماء والعاملون والساسة المستعمرون والقادة والغازون والتجار والصناع والزراعي والماليون ، وهم على التحقيق مادة تلك المدنية وهبولاها » .

وكانت الغاية من رحلته الثانية سنة ١٩١٣ هي ، على التخصيص ، زيارة مكتبة المشرق الطلياني الأمير (قابتاني) للبحث في المخطوطات التاريخية العربية التي اشتهرت بها في العالم أجمع ، وقد استغرقت هذه الزيارة مدة شهر جمع الأستاذ (محمد كرد علي) خلالها مادة غنية لكتاب « خطط الشام » الذي كان يذكر دوماً في تأليفه ويستعمل له منذ سنوات .

صور لنا الأستاذ الرئيس في كتاب « غرائب الغرب » مظاهر الحضارة الأوروبية التي تركت أعمق الاثر في نفسه . وقد أخذته الدهشة في الدرجة الاولى لمشاهدة (باريس) ، فأرسل اليها تحية حارة تفصح عما كان يشعر به من إعجاب وتقدير . وتتضمن هذه التحية (غرائب الغرب ، الجزء الأول صفحة ٤٨ — ٤٩) المبادئ العامة التي كان يؤمن بها . فنراه يسمي (باريس) « معلمة العالم كيف يكون الخلاص من الظالمين » ويقول انها « هذبت طبائع البشر حتى غدوا يشعرون باللطف والدوق وفائدة العلم والعمل » ، وانه « اتبع

منها تمجيد العقل ، بل تأليهه » ، ثم يخاطبها بقوله : « يا واضحة حقوق الإنسان والداعية الى ثل عروش الجبارين والمخربين . . . يا ملقنة الخلق معنى الإخاء والحربة والمساواة ليتعاشروا بالمعروف ويقوم نظام اجتماعهم على تبادل المنافع » . لا بد أن نستولي الدهشة علينا ، نحن بدورنا ، عندما نقرأ اليوم هذه التحية . هل يمكن أن توصف ( باريس ) حقاً بأنها « مرصعة الحكمة وروح الانقلابات الاجتماعية والسياسية ومحبة المدنية الأصلية في الأفطار الغريبة والشرقية » ؟ لا نعتقد أن الأستاذ الرئيس نفسه كان في السنوات الأخيرة من حياته يرضى باطلاق هذه الصفات على عاصمة الفرنسيين بعد أن تكشفت حقيقتها واقتضح زيفها وتفسخها . ولكن في الوقت الذي كتبت فيه تلك العبارات ، أي قبل الحرب العالمية الأولى ، كان أكثر الناس ما زالوا يؤمنون بمبادئ الثورة الفرنسية ويمسنون الظن بفرنسا وينظرون انبعاث النور من باريس . ولا ننسى أن مبادئ الثورة الفرنسية كانت منبع الهام لمعظم المفكرين والمصلحين والكتاب العرب في القرن التاسع عشر . على أن الأستاذ ( محمد كرد علي ) قام بعد انتهاء رحلته الأولى فألقى خطاباً في المنتدى الأدبي باستانبول قال فيه انه أثناء إقامته في ( باريس ) سمع محاضرات وخطباً لم ير في أكثرها إلا تعصباً على الشرق وغمطاً لحقوقه . وذكر ، على وجه التخصيص ، محاضرتين : الأولى لعالم أثري كان قد عاد من الشقيب في تركستان الصينية وادعى بأن التعصب انتشر هناك بانتشار الاسلام في القرن الحادي عشر وأتى على الآثار بجملتها . وعلق الأستاذ ( محمد كرد علي ) على المحاضرة بقوله : ان جسمه قد تكهوب بها وتأثرت عواطفه لأنه سمع مهانة أمته بأذنيه . والمحاضرة الثانية ألقاها السيد ( تارديو ) ، وهو من كبار السياسيين الفرنسيين ، على طلاب مدرسة اللغات الشرقية الحية فبحث في نشأة الامتيازات الأجنبية وعلاقة فرنسا بالشرق ، وأشار الى أن فرنسا في كل دور من أدوارها استخدمت الدولة العثمانية لمقاصدها وأنها

لا تقصر كل حين في بتر عضو من أعضاء هذه الدولة حتى تموت وتنفى .  
وقد لاحظ الأستاذ (محمد كرد علي) بأن سياسة المنافع والمصالح كانت تلوح  
صراحة من خلال المحاضرة ثم صرخ قائلاً : « فيا إخواني » أيسمع عثمان في  
هذا الكلام ولا تجبش نفسه بالبكاء ولا تذوب كمداً وحسرة ولا تسود الدنيا  
في عينيه ؟ » ، (غرائب الغرب ، الجزء الأول صفحة ١٥٩) .

لم يكن الأستاذ الرئيس يجهل الأخطار التي تهددنا من الاستعمار الغربي  
وكان يذهب الى أننا لا نستطيع حفظ كياناتنا الا اذا قاتلنا من يريدون قتلنا  
بالسيف الذي يقاتلوننا به ، أي سيف العلم . ثم كان يقول : « لا يكفي  
أن نذكر مجدنا القديم ونورد الشواهد على أيماننا الغر المحجلة في تاريخ المدينة  
السعيدة ، فحضارة الغرب اليوم لا تبق على ضعيف . لذلك يقتضي علينا أن  
نأخذ من تلك المدينة الغربية التي تدهشنا كل ما ينفعنا لقيام مجتمعنا » .  
(غرائب الغرب ، الجزء الأول ، صفحة ١٥٨ - ١٥٩) .

وقد وصف الأستاذ (محمد كرد علي) آثار الحضارة الغربية في التنظيم  
السياسي والاجتماعي وفي الصناعة والزراعة والتجارة ، واهتم على الأخص بمبادئ  
التربية والتعليم والمكتبات العامة والمجامع العلمية . ونراه في كل مناسبة يضرب  
الأمثلة على عناية الأوروبيين بالعلوم والفنون والآداب ، وعلى حبهم للعمل  
وعلى تضامنهم والتعاون بين حكوماتهم وشعوبهم عسى أن يكون في ذلك عبرة  
لبنينا قومه وقدوة يحتذونها .

فالأستاذ (محمد كرد علي) إنما كتب (غرائب الغرب) ليستنهض المحمم  
ويدعو الى الإصلاح . وهذا ما يعلل اقتضاره على وصف الدواحي الجميلة من  
الحضارة الغربية والإشادة بمظاهرها وتقدمها وتفوقها . وهو يذكر لنا أن بعض  
أصحابه قد لاه على ذلك وأنه قد رد عليه بقوله : « إني كنت أريد أن أعرف  
قومي بالחסنات ينسجون على منوالها وما كنت أطمح في أن أشغل الأذهان

بأمور لا يخلو منها بلد الخط أو ارتقى ، وعندنا مما يائنها ما لا ينفع تدوينه ونحمر خجلاً من ذكره . ومن العدل أن يقال أننا بقدر ما نرى في المدينة الحديثة من فضائل نرى فيها ما يقابلها من رذائل ، والفضائل تربو على غيرها كثيراً . فالأمثل بقومنا أن يقتبسوا الخير ويغضوا الطرف عن الشر » . ( أقوالنا وأفعالنا ، صفحة ١١٢ ) .

### آراء الأستاذ كرد علي السياسية :

كان الأستاذ ( كرد علي ) بدعو العرب والمسلمين الى الانقياس عن الحضارة الحديثة لاعتقاده بأن ذلك هو السبيل الى القوة والى استعادة المجد القديم . وغرى الأستاذ لا يفصل أبداً بين العرب والإسلام ، وبشكهم في كثير من الأحيان عن الوطنية والقومية العربية . وقد اشتغل بالصحافة مدة طويلة وعالج الشؤون العامة وتولى منصب الوزارة أكثر من مرة . فما هي آراؤه السياسية ؟ كيف كان يتصور مستقبل بلاده ، وما هي الوسائل وأساليب العمل التي كان يعتقد بأنها صالحة لتحقيق الأهداف القومية ؟

من المؤكد أن آراء الأستاذ الرئيس السياسية قد تطورت مع مجرى الحوادث واختلاف الظروف وتقلب الأوضاع . وهذا أمر طبيعي . ولا شك في أن الأستاذ ( محمد كرد علي ) كان ، منذ أول نشأته ، على يقين من فساد الحكم التركي وتدهور الدولة العثمانية . وهو ربما يكون بعد الانقلاب العثماني سنة ١٩٠٨ قد اعتقد مع الكثيرين من أبناء جيله بأن الدولة العثمانية يمكن إصلاحها وبقاؤها . ولكن لم تنقض فترة من الزمن حتى أدرك أن سياسة حزب الاتحاد والترقي الحاكم سوف تؤدي الى انهيار الدولة وتقطيع أوصالها ، وقد انضم الى حزب الحرية والائتلاف المعارض الذي كان يجاهر بضرورة احترام حقوق العناصر غير التركية في الدولة ، وعلى الأخص العرب . ونراه بعد رحلته الثانية الى

الغرب يلقي خطاباً جديداً في المنتدى الأدبي في شهر شباط من سنة ١٩١٤. يدعو فيه الطلاب العرب الى التمسك بقوميتهم . قال : « إننا لانحيا إلا بقوميتنا على نحو ما كان أجدادنا أمس وحال أمم الحضارة الحديثة اليوم . ولكن هذا اللفظ الجميل - لفظ القومية - لا يطابق معناه مبناه الا باتخاذ جميع أسبابه على نحو ما يعمل المجر والبولونيون . . . وما يجري من منافسة محدودة بين الفالونيين والفلامنديين في البلجيكي والالمانيين والفرنساويين في سويسرة » . ( غرائب الغرب ، الجزء الاول ، ص ٢٢٩ ) فالأستاذ ( محمد كرد علي ) لم يكن يقصد بالقومية مفهومها السيامي ، بل أراد بها أن تتساوى مختلف الشعوب في الحقوق ويحتفظ كل منها ببلقته وتقاليده ضمن الدولة العثمانية . ومن الواضح أن هذا الرأي في القومية كان يتعارض مع المفهوم الذي أخذ يبلور إذ ذاك لدى العرب والذي يتضمن ، قبل كل شيء الانفصال عن الدولة العثمانية وتوحيد الأقطار العربية في دولة مستقلة .

نشأ الأستاذ ( محمد كرد علي ) في عهد انتشار الدعوة الى الجامعة الإسلامية وتأثر بآراء المدافعين عن هذه الجامعة . ولكن تفكيره الواقعي منعه من الاندفاع وراء الدعوة ، فكذب يقول : « الى عهد قريب كان بعض المتحمسين يدعون الى الجامعة الإسلامية بدون أن يعدوا لها عدتها ، وبعلمون على تأليفها أعظم الآمال . ولقد كنت ، كلما سمعت هذه النغمة استبعد تحقيق الأمنية . ولذا لم أكتب في هذه الجامعة سطراً واحداً بالتعديل ولا بالتجريح . وكيف ، لعمرى ، تتحقق الجامعة الإسلامية والمسلمون تحت سلطان دول متنوعة مشتتون في ثلاث قارات ، تباعد أصقاعهم ألوفاً من الأميال ولا يكادون يتفاهمون اذا اجتمعوا ؟ » ( أقوالنا وأفعالنا ، صفحة ٢٣٥ - ٢٣٦ ) . انه كان يفتي قيام جامعة إسلامية في شكل من الأشكال ، ولكنه يربد في



بادئ الأمر التمسيد لذلك بالدعوة الى التعارف والتآلف وتقوية الروابط المعنوية والصلات الروحية بين المسلمين .

ولم يكن الأستاذ (محمد كرد علي) يرى أي تعارض بين الإسلام والقومية العربية . فالإسلام ، حسب تعبيره ، « هو الذي جمع شمل العرب بعد نشنتهم وأخى بينهم مؤاخاة ماعهدوها وهذب نفوسهم حتى سلس قيادهم بعد شماسه ، وثقفهم ثقافة أفادوا بها . . . وهو الذي جعل في العرب خاصة في أخلاقها ساقنتها الى العمل الصالح فوحد بين مقاصدها ووجهها الى هدف واحد » . (الإسلام والحضارة العربية ، الجزء الأول صفحة ١٣٥ - ١٣٧) . ولكن لابد من الملاحظة بأن الفكرة الإسلامية عند الأستاذ (محمد كرد علي) كانت مجردة كل التجرد عن التعصب ولا تسمح أبداً بالتفريق بين المسلمين وغيرهم من أهل الأديان . واختلاف الدين ، في رأيه ، لا يتنافى مع الرابطة الوطنية والقومية .

كذلك فإن التباين في أنظمة الحكم ومستوى الحضارة والتطور الاجتماعي لا يمنع من قيام الوحدة القومية بين أقطار عديدة اذا جمعت بينها ذكريات التاريخ ووحدة اللغة والمصالح والأهداف . وفي حديث من إذاعة القدس سنة ١٩٤٤ اعتبر الأستاذ (محمد كرد علي) تأسيس جامعة الدول العربية خطوة كبيرة في طريق الوحدة العربية . فذكر أن هذه الوحدة كانت أمنية العرب منذ عشرات السنين وان بعضهم كان يعدّها حلاً من الأحلام ووهماً ان تحققه الليالي والأيام ولكن تبين أن ليس في السياسة المستحيل وأن الأمور مرهونة بأوقاتها » . ثم قال : « وعلينا ، معاشر العرب ، أن ندعو الى هذه الأمنية بالطرق العلنية نورد لمن لا يعرفنا صفحات من ماضينا وحاضرنا ليكون لنا من شعوب أوروبا وأمريكا نفسها أنصار يوافقونا على إتمام رغائبنا التي هي رغائب البشرية » . (أقوالنا وأفعالنا ، صفحة ٣٤٤) .

من هذه الأقوال يتبين لنا أن الأستاذ (محمد كرد علي) كان من أنصار الجامعة الإسلامية كرابطة روحية وأنه كان يدعو إلى الوحدة العربية كفكرة قومية مدفوعاً بعاطفة الحب للعرب والإسلام دون أن يتعرض إلى النضال السيامي - الشعبي ، لأنه كان دوماً يرغب في الانصراف إلى الحياة الفكرية . وقد اعتقد أن أفضل وسيلة يخدم بها بلاده هي العمل على نشر المعرفة وتقديم العلوم والآداب . فأنجبه بكل قواه إلى العناية باللغة العربية وآدابها وإلى البحث في تاريخ العرب والإسلام وعلى الأخص تاريخ بلاد الشام ، وكان يؤمن بأن نهضة العرب والمسلمين تتوقف على دراسة تاريخهم وأحياء تراثهم .

ليس من شأني أن أنكم عن مؤلفات الأستاذ الرئيس في آداب اللغة العربية مثل مختاراته في كتاب « رسائل البلغاء » أو دراساته في كتاب « أمراء البيان » . إنما لا بد لي من الإشادة بتأثير هذين الكتابين في تنمية الذوق الأدبي ونهذيب أساليب الكتابة لدى الناشئة العربية في هذا العصر .

انني سوف أقتصر على استعراض دراسات الأستاذ التاريخية ، ولا سيما كتاب « خطط الشام » ثم كتاب « الإسلام والحضارة العربية » .

### تاريخ الشام :

يتألف كتاب « خطط الشام » من ستة أجزاء ، وهو عبارة عن موسوعة أو دائرة معارف تحيط بكل الأخبار عن تاريخ الديار الشامية وحضارتها من أقدم العصور حتى سنة ١٩٢٥ .

كان الأستاذ (محمد كرد علي) قد نشر في سنة ١٨٩٩ في مجلة المقتطف تسع مقالات عن (عمران دمشق) صادفت استحساناً لدى القراء ، فدفعه ذلك إلى التفكير في أن يتوسع في هذا البحث وأن يكتب عن عمران الشام كله . ومنذ ذلك الوقت أخذ يتصفح كل ما ظفر به من المخطوطات والمطبوعات باللغات

العربية والتركية والفرنسية . وكان يقصد دور الكتب الخاصة والعامة في الشام ومصر واستانبول للفتيش عن مصادر جديدة . ولهذا الغاية في الدرجة الأولى قام برحلاته الثلاث الى البلاد الأوروبية وزار المكتبات المشهورة فيها .

على أن الأستاذ كان كلما استكثر من المطالعة تنجلي أمامه صعوبة العمل . وقد ظل مدة من الزمن مختاراً في كيفية ترتيب الموضوع : هل يجعل التاريخ السيامي حسب السنين أم حسب الدول ، وهل يتكلم على القطر عامة أم على كل إقليم بافليحه ، ثم لما انتهى في سنة ١٩٢٥ من التأليف ، بالحاج من أصدقائه ، تردد في طبع الكتاب . وهو يقول في ذلك : « ولقد وددت ، لما تبسر وضع خطط الشام على هذه الصورة ، لو صاغ لي أن أصبر عليه زمناً آخر حتى يتم التحقيق فيه على ما يجب ، ولكن رأيت ، بعد طول التأمل ، أن من الحزم الاكتفاء بما تنهأ في هذه السنين ، والتحصيص بجزء لا ساحل له ، فأبرزته . . . وأنا موقن بأن فوق ما طالعت وبحيث غايات لم يمكنني الزمان والمكان من بلوغها ، وعسى أن يقوم غيري بعدي فيتم هذه الخطوط التي رسمتها من بنيان كتاب الخطط ويصلح بما يتوفر له من المواد ما ربما وقعت فيه من الغلط والسطط » . ( مقدمة الخطط : صفحة ٩ ) .

وقد اضطر الأستاذ الى الاكتفاء بخلاصة قصيرة عن تاريخ الشام القديم لا تزيد على ( ١٨ ) صفحة وقال : « كنت أحب التوسع أكثر من ذلك لولا الخوف من الوقوع في نقل ما لم يتفق الباحثون عليه . والتعرض للمجهولات يؤدي الى سقوط في غلطات أو خيالات أو حكايات متناقضات . ولعل عناية علماء العاديات في عصرنا توصلهم الى اكتشاف ما كان مجهولاً من تاريخ هذه الديار كما أوغلوا في حفرياتهم » . ( خطط الشام ، الجزء الأول ، صفحة ١٠٤ ) ثم هو يعترف بأن الكلام جاء ناقصاً في بعض الدوار المتأخرة وأن بعض مواضع مهمة ذات صلة بمدينة الشام لم تنكشف له . ( انظر : الخطط ،

الجزء الأول صفحة ٧) ولما رأى الأستاذ أن وصف التطور الحديث للزراعة والتجارة والصناعة في بلاد الشام يحتاج الى دراسة اختصاصية لم يتردد في الاستعانة بالاختصاصيين من أصدقائه فطلب اليهم كتابة بعض الفصول أو تزويده بالمعلومات الفنية .

إن الأستاذ الرئيس لم يذكر الصعوبات التي اعترضت طريقه ونقاط الضعف البارزة في كتابه على سبيل المبالاة واصطناع التواضع ، بل بدافع الاخلاص للعلم وحبا في الإصلاح . فهو يعرف أن مهمة المؤرخ في هذا العصر قد أصبحت عسيرة جداً لأنه يحتاج الى الاستعانة بكثير من العلوم ، مثل علم النفس وعلم الاجتماع وعلم الاقتصاد والسياسة بالإضافة الى دراسة الوثائق والكتابات والنقود والخط . . . وكان لذلك يرى ضرورة التعاون بين الاختصاصيين عند كتابة التاريخ العام . كما انه لم يكن يجهل العوامل التي تدفع المؤرخين الى التحيز والتعصب والمبالغة والتحريف .

ولكنه كان يعتقد بأن واجب المؤرخ هو أن يتحرر من تأثير الأهواء السياسية والدينية فيسمى الى معرفة الواقع ويبسط لأمنه حقائق ماضيها وحاضرها ويقفها على جلية أمر الحسن والمسيء ويروض قلبها على قبول الحق . وفي الواقع كان الأستاذ الرئيس بكمه التقية ويحب الصراحة . وقد ذكر قول بعض الفقهاء « ونسكت عما شجر بينهم ، أي بين الصحابة » فوصفه بأنه « كلام من لا أرب له في غير العافية » وأضاف قائلاً ، « ولو شابهناهم على هذا الرأي لأضللنا طريق الهدى في قيام أمرنا » . ( أقوالنا وأفعالنا ، صفحة ٢٣٥ ) . كذلك فان الأستاذ قد هاجم ابن خلدون لأنه نها عن الخوض في موضوع الخلاف بين الصحابة ولا سيما بين عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب فقال : « نزع ابن خلدون ثوب المؤرخ ولبس ثوب الواعظ القصاص أو هو يريد أن

يتأدب أدب السياسي المذهب مع الجماعة لا يقول لصاحب الأمر ما يرضيه فيرضى بالحالة الحاضرة على علاتها ويحاول أن يكسب أفواه الرعية لأنها اذا قالت فعلت ، وما حسب حساباً للأهواء البشرية والمطامع الدنيوية ، فكأنهم ما أخطأوا في نظره وكأنه يزعم أنهم لا دخل لإرادتهم التي خلقها الله لهم فيما قضاوا وأمضوا . . . » ( كنوز الأجداد ، صفحة ٣٩٤ ) اعتقد أن الأستاذ ( محمد كرد علي ) قد ظلم ابن خلدون واتهمه بما هو بريء منه ، ولكن كلامه يساعدنا على معرفة نظرتة الى التاريخ ويستحق ان نشير اليه . وقد تعرض الأستاذ نفسه الى سياسة الخلفاء الراشدين والى الخلاف بين علي ومعاوية فكيف عالج هو الموضوع ؟ قال الأستاذ الرئيس في كتابه « الإسلام والحضارة العربية » ( الجزء الثاني صفحة ٣٨٦ ) : « . . . وبعد فان الخلفاء الراشدين قاموا بخلافة النبوة على أكمل وجه أمكن ، واذا لاحظنا اليوم أنه وقع من بعضهم شيء فهو منهم محض اجتهاد ، والمجتهد يصيب ويخطئ ، والسياسة صعبة المراس على كل الناس ، وما كان للبشر أن يتجسس أعمالهم تامة من كل الوجوه . . . » فهل يختلف هذا الرأي كثيراً عن رأي ابن خلدون ؟

ثم ان الأستاذ قد نشر في آخر المجلد السادس من « خطط الشام » الملاحظات التي أبدتها بعض الناقدين على كتابه ، وبين هؤلاء الأمير شكيب أرسلان والأستاذ عارف النكدي ، اللذان اتهماه بالتعصب لبني أمية .

وفي الحقيقة دافع الأستاذ ( محمد كرد علي ) عن إسناد الخلافة الى يزيد ابن معاوية ، كما انه وقف الى جانب الأمويين في نزاعهم مع العلويين . ولكن لا يمكننا الادعاء بأن الأستاذ قد اندفع هنا مع عواطفه وتأثر « بالعمرة الشامية » . فهو قد بحث الموضوع كما يجب أن يبحثه كل مؤرخ : انه قد ذكر جميع الروايات المنقولة والآراء المتضاربة وسعى الى الكشف عن

أسباب الوقائع ولم يصدر حكمه إلا بعد مناقشة الموضوع من كل الوجوه ، وبذلك كان خلاصاً للنظرة الموضوعية العلمية . وما يسترعي النظر أنه قد اتفق مع ابن خلدون في تعليقه لإقدام معاوية على إيثارة ابنه يزيد بولاية العهد دون سواء ، إذ قال إن السبب في ذلك هو مراعاة المصلحة في اجتماع الناس على بني أمية أصحاب أقوى عصبية في قريش . ( المخطوط ، الجزء الأول ، صفحة ١٤١ ) .

أما موقفه من الخلاف بين الأمويين والعلويين فيتفق أيضاً مع النظرة العلمية في التاريخ . يقول الأستاذ : « ان الخلاف بين الأمويين وخصومهم من العلويين ما يزال بقوة ويضعف ، وما هو الا خلاف سياسي نشأ من النزاع على الملك ولبس من الدين في شيء . فلبس إذاً من العقل أن تسلسل هذه الأحقاد في الأمة وتنفق شيعاً وتظهر بمظهر التعصب والتشيع . . » ثم يزيد رأيه وضوحاً إذ يقول : « إن مسألة الخلاف بين علي ومعاوية قد مضى عليها الزمن وكان لكل منهما اجتياحه ، وهي من المسائل المؤلمة في تاريخنا يجب أن ندرسها بانصاف . . . فالأمة يجب عليها أن تعرف مواطن الضعف والقوة من جسمها وتكشف حقائق ماضيها لأنها ابنة حوادث ماضية ، والواجب في البحث أن لا يثير في النفوس أحقاداً . . . » ( المخطوط ، الجزء الأول ، صفحة ١٦٦ ) .

نبين لنا من ذلك أن الأستاذ الرئيس لم يقتصر في كتاب « خطط الشام » على جمع الكثير من الأخبار والمعلومات المتصلة بتاريخ هذا القطر وتطوره الحديث والتي كانت مبعثرة في مئات المراجع القديمة والحديثة ، بل أقدم أيضاً على تحليل بعض الحوادث الهامة واستخلاص العبر منها . فهو إنما انصرف الى البحث التاريخي لإيمانه بأن نهضتنا في الحاضر والمستقبل تتوقف على معرفة الماضي معرفة صحيحة والاستفادة من تجاربه .

## الدفاع عن العرب والإسلام :

يروي الأستاذ ( محمد كرد علي ) في مقدمة كتابه « الإسلام والحضارة العربية » ثم في « المذكرات » ( الجزء الأول ، صفحة ٣١٦ ) انه عندما دعي الى مؤتمر المنشرفين في ( لندن ) سنة ١٩٣١ ، اقترح عليه أعضاء مجمعكم المحترمون أن بوجه الأنظار إلى ما يبدية بعض المؤلفين في الغرب من تحامل على الإسلام والعرب ومن ظمن بتاريخهم وحضارتهم . وقد عدل الأستاذ بعد ذلك عن السفر ولكن موضوع الرد على خصوم العرب والإسلام كان قد استموى فؤاده فانقطع الى دراسته وتشعبت به مسالك البحث فلم يقف عند مناقشة هؤلاء الخصوم ونقض أقوالهم ، بل أتبع ذلك بوصف مدينة العرب المدينة للإسلام بأنبعاثها وحسناتها ، فتكلم عن تمثل العرب للحضارة وعنايتهم بالعلوم والآداب والفنون وعن انتشار لغتهم وقارن بين حالة العرب وحالة الغرب في القرون الوسطى وكشف عن أثر الثقافة العربية في أوروبا وعقد فصلاً خاصة لمدينة العرب في الأندلس وصقلية وبحث في الحروب الصليبية وفي غزوات المغول والأتراك ثم في غارات المستعمرين الغربيين على البلاد الإسلامية . وقد جمع هذه المباحث في الجزء الأول من كتابه « الإسلام والحضارة العربية » ، أما في الجزء الثاني الذي يؤلف وحده مجلداً ضخماً فقد ألقي الأستاذ نظرة اجمالية على العلوم والمذاهب عند المسلمين ثم استرسل في الكلام على الإدارة والسياسة في الإسلام .

ان الكثيرين من الذين طالعوا كتاب « الإسلام والحضارة العربية » قد أبدوا رأي الأمير شكيب أرسلان في أنه خير ما كتب الأستاذ ( محمد كرد علي ) وأنه كفى الناس مؤونة نشدان الأدلة من هنا وهناك لرد على المغالطين والمكابرين والتجاهلين . ولا غرابة في ذلك ، فقد سلخ الأستاذ في تأليفه ثلاث سنين يعمل على التوالي وبجاسة ورجع الى أكثر من خمسمائة مصنف لجمع مواد .

ويمكن القول انه لم يترك شاردة ولا واردة إلا ذكرها من الأخبار المتعلقة بأساليب الإدارة والسياسة عند خلفاء المسلمين وملوكهم . كذلك استقصى الأستاذ المسائل التي يرددها خصوم العرب والإسلام وكشف عن العوامل التي تدفع بعض المستشرقين الى تشويه الوقائع ومخالفة الحقائق من تعصب ديني وطمع استعماري وأوهام موروثية وجعل مقصود وقد جاء بشواهد كثيرة من مؤلفات الغربيين الذين أنصفوا الإسلام والعرب ، وفي مقدمتهم ( غوستاف لوبون ) لتفنيد أقوال المغرضين .

ولما كان الكثيرون من الذين يهاجمون العرب والإسلام لا يتقيدون في المعناد بقواعد البحث العلمي وشروطه ولا يهتمون بالوقائع والبراهين فقد اضطر الأستاذ ( محمد كرد علي ) الى أن يستخدم مع هؤلاء طريقة الجدل والهجوم المعاكس . هكذا عندما رأى مؤرخاً أمريكياً اسمه ( كوفن Gowen ) يتهم الشريعة الإسلامية بأنها « حفظت في تضاعيفها ضروراً اجتماعية تئن منها الإنسانية » ، قام يرد عليه بقوله : « إن الكاتب الأمريكي ربما قال هذه الجملة وهو لم ير في حياته مسلماً ولا قرأ كتاباً معتمداً من كتب العرب ، قالها بدافع هو يعرفه أو فاه بها ليأتي بالغريب ، وأميركا مهد الغرائب . وهو ، لو أنصف لفسر هذه الشرور التي اتهم بها الإسلام وأثبت منها الإنسانية . كأن الإنسانية لم تكن مثلاً من معاملة الجنس الأبيض للأسود في أميركا . . . . . وكان الإنسانية لم تكن من الحروب الدينية التي أهلكت فيها الامبراطورة ( نيودورا ) وحدها نحو مائة ألف من المازويين في أواسط القرن التاسع . . . . . وكان الإنسانية راضية عن أعمال دهبان الفحقيق الديني الذي قتل في اسبانيا وحدها ، كما قال « ريتناخ » نحو مائة ألف انسان على أقل تعديل . . . » ( الاسلام والحضارة العربية ، الجزء الأول ، صفحة ١٣ - ١٥ ) .



كان الأستاذ ( محمد كرد علي ) يندفع مع العاطفة ويغضب أشد الغضب اذا ما شعر بأدنى تحامل على العرب والاسلام . إلا أنه لم يكن ، من جهة ثانية ، يميل ما يتطلبه البحث العلمي من حياد ونجود وانصاف . وقد كان همه الأول تحري الحقيقة والدفاع عنها بحماسة وقوة . فهو يقول : « والمهم في تاريخنا أن نغلب كل مقلب لا ندلس فيه ولا نوالس لتتعرف الحقائق في صورتها الجلية النافعة » . ( الاسلام والحضارة العربية ، الجزء الثاني ، صفحة ٩٢ ) ثم يصرح قائلاً : « واذا أدلع العرب بتاريخهم فليس معنى ذلك أنهم يدعون أنهم كانوا أول من أرخ لهم من الأمم أو أنهم كانوا البادئين بأسس المدنية . وما ادعى المسلمون قط أنهم نزلوا بحضارتهم من السماء ، بل ادعوا وأثبتوا دعواهم أنهم أخذوا حضارات الأمم القديمة وزادوا عليها ما وسعتهم الزيادة فأوصلوها بأمانة الى أهل المدينيات الحديثة » . ( الاسلام والحضارة العربية ، الجزء الأول ، صفحة ٥٥ ) .

وقد استحسن الأستاذ كل الاستحسان الجهود المبذولة بعد الحرب العالمية الاولى « لتوحيد التاريخ في العالم وتقليل مصادر الأحقاد بين الأمم » ، وأعرب عن اتفاقه في الرأي مع « طائفة من العقلاء في الغرب ترى نبذ كل ما يثير الحقد ويدعو الى الظنة وبفك عرى الالفة » . ثم قال : « وإن يتم قيام هذا المجتمع الحديث إلا بتعاون الشرق مع الغرب تعاوناً حقيقياً يقوم على الحرمة المتبادلة والمصلحة المشتركة والعدل الذي لا ينجز . وللبشر اليوم مقصد أسنى من الخلافات والمناقشات التي جاءت القرون اثر القرون وما زالت يجالها لم تورث النفوس إلا اثمئزازاً . البشر بعد هذا التقارب في المواصلات والافكار أحوج ما كانوا الى التعارف والتعاطف وانصاف بعضهم بعضاً ليقوم نظامهم على الوئام والسلام » . ( الاسلام والحضارة العربية ، الجزء الأول ، صفحة ١١ - ١٢ ) .

هذا الكلام دليل قاطع على تحرر الأستاذ من التخيز والتعصب الاعمى كما أنه يشير الى ما انصف به من تفكير علمي وروح إنسانية .

صادقي الأفاضل !

إن الأجيال المختلفة لا تتعاقب فحسب ، بل هي كذلك يندثق بعضها عن بعض . فالجيل الناشئ يتلقى من الجيل السابق معظم تقاليده وعاداته ومفاهيمه وأفكاره وعقائده ، كما يرث عنه الكثير من المشاكل . وتتوقف سرعة تطور المجتمع على مقدرة الجيل الناشئ في حل هذه المشاكل وتحويل تلك العادات والتقاليد ثم في ابداع عقائد وأفكار ومفاهيم خاصة تستمد عناصرها من الماضي وتبلاءهم مع الحاجات والأوضاع الجديدة . فالصلة بين الأجيال المتعاقبة قد تضعف أحياناً ولكنها لا يمكن أن تنقطع مادام المجتمع قائماً ومحافظاً على كيانه . .

كان الأستاذ ( محمد كرد علي ) من الأفاضل النابغين الذين يمثلون جيلهم أحسن تمثيل وبمعبود عن مشاعره بأفصح لسان . لقد أخذ عن الجيل الذي قبله خلاصة ثقافته وأضاف إليها الكثير من المعلومات والمفاهيم عن طريق المطالعة والدراسة الشخصية . وقد تأثر بالتيارات السياسية والاتجاهات الفكرية التي سادت في مختلف أدوار حياته فلم يتردد في أن يخوض غمارها ويلعب دوراً هاماً فيها . وبذلك كان له تأثير عميق في أبناء جيله والجيل الذي بعده . ومن مناه أيها السادة ، لم يقنيس من أنوار الأستاذ الرئيس ولم ينهل من معينه ؟ لم يكن الأستاذ ( محمد كرد علي ) صلة الوصل بيننا وبين الجيل الماضي ، جيل محمد عبده وطاهر الجزائري فحسب ، بل أيضاً بين عصرنا والعصور الغائرة من تاريخ العرب والإسلام التي أعادها الى الحياة في كتبه وكشف لنا عن روحها وهادانا الى معرفة حقيقتها وجوهرها .

وإذا كانت الأستاذ قد بدرت منه في بعض الظروف انتفاضات عنيفة  
وإذا كان قد وقع أحياناً في تناقضات صارخة ، فذلك أمر طبيعي ، لأنه  
عاش في زمن كله ثورات وتناقضات وكان أولى الناس بالتعبير عن هذه الثورات  
والتناقضات ، شأنه في ذلك شأن كل العباقرة والناخبين الذين تتبلور فيهم  
حياة عصرهم وتنعكس جميع التيارات والاتجاهات . ومن حق العباقرة  
والناخبين أن يفتحوا لجج التناقضات لأنهم وحدهم يستطيعون التغلب عليها .  
وإذا كنا عاجزين عن التخليق مع الأستاذ الرئيس في الأجواء الصاخبة  
فما أجدرنا بأن نسترشده في متابعة الطرق التي مهدها لنا وفي تحقيق الأهداف  
التي رسمها .

وأقصى ما أرجوه هو أن أستطيع القيام بقسط متواضع من هذا الواجب  
فأكون بذلك عند حسن ظنكم والسلام عليكم . . .

محمد كامل عباد

## الإفصاح عن أبيات مشكلة الإفصاح للفارقي

ولا

## توجيه إعراب أبيات مُفَصَّرة الإعراب للرّماني

كُنَّا أنا والسيدان عن الدين التبوخي وسعيد الأفغاني في بونية الماضي تفرّج في  
متنزه المهاجرين بدمشق وتجاذب أطراف أحايث في الدن من السلوى لدى  
كل عارف . وسأت الصديق الكريم الأفغاني عما سقط عليه من طرائف  
الأعلاق وضئان الأسفار في رحلته إلى الغرب والمغرب سنة ١٩٥٦ هـ فأخبرني  
بكتاب الرّماني هذا ولم يزدني فيه شيئاً .

إذ جاءني كتاب من معالي الأستاذ الزركلي من الرباط أخبرني فيه  
بصدوره من المطبع ثم لم يمض أيام الاً وكتاب الصديق مائلٌ أمام عيني  
٢٣ / ٩ / ٥٨ م دالاً على وده وصفائه .

ومنذ تناولت نسخته ما زالت الشكوك تحالطني والريب والأوهام تساورني .  
ولما تفلّغت إلى أعمامه وعرفت أن صاحب الكتاب يروي عن أبي علي الفارسي  
( م ٣٧٧ ) وأبي سعيد السيرافي ( ٣٦٨ هـ ) ، والرّماني ( ٣٨٨ ) عصرهما<sup>(١)</sup>  
وفي طبقتها ، وزاد ضيقاً على إبالة أنه شرح 'لمع ابن جنبي' ( صاحب أبي علي  
الذي نبغ في آخر حياة الرّماني وبعيد وفاته ) - جزم بأنه ليس للرّماني البقّة .  
وكنت أذكر للحسن بن أسد الفارقي أبي نصر الشاعر الكاتب النحوي  
المقتول سنة ٤٨٧ هـ الذي 'ترجم له في الأدباء' ( ٤٧ / ٣ - ٥٤ ) والأبناء  
( ٢٩٤ / ١ - ٢٩٨ ) وعنهما في الفوات والشذرات وغيرهما - مؤلفاً في المعنى .

(١) واخذ عن أبي بكر السراج وابن دريد كما اخذا عنها .

فراجعت 'جزازاتي التي كنت علّقتها في رحلة سنة ١٩٣٦ وفهرست دار الكتب ومجلة المجمع فوجدت :

أن الإفصاح عن آيات مشكلة الإفصاح للفارقي توجد منه نسخ ومعظمها أجل وأقدم من نسخة باريس . إحداها بولي الدين بايزيد برقم ٢٨١٨ بقطع صغير في ٨٥ ورقة . وأخرى بالدار (فهرس النخو ١٢٠) أولها : أطال الله بقاءك وأدام عزك ونعماءك<sup>(١)</sup> وحرس نفسك وعلاءك الخ . وهي من مقتنيات الشنقيطي في ٢٧١ ص والمسطرة ١٥ عن نسخة كتبت سنة ٦١٣ هـ . وفيها ص ١٥٨ جاء ذكر مختصر للإفصاح سمي فيه الأصل ألقاها الإصراب في مجموعة للشنقيطي برقم ٣٦ . ولعل هذا المختصر لمراد الدين الزنجاني (والريحاني تصحيف) المتوفى سنة ٦٥٤ . ومنه نسخة في خزانة بيت الجوهري بنابلس جاء ذكره في مجلة المجمع ص ٤٥٥ سنة ٢٤ م نسخ سنة ٦٦٠ . كما جاء فيه ذكر نسخة أخرى في ٩٧/٥ ولكنني لست أملك هذه المجلدة .

فظهر أن هذا خطأ عظيم أفسد على الصديق عمله وحرّمه المعارضة بعدة نسخ جليلة كانت منه على طرف الثمام قريبة المتناول . كما حرّم الفارقي البانس المسكين مؤلفين له من أنبل ما كتبه في حياته وذكرهما كل من ترجم له فلم يبق ما يدل على حياته . هذا على أن إضافتهما إلى ثبت مؤلفات الرماني وهو في صفحتين مكثرتين ما كان ليفني عنه فتبلاً . إذ لم يُعرف له ألف سنة مضت على وفاته وقد نال دونها شهرة لا يستهان بها . فلم يذكرهما له أحد ممن ترجم له . والثابت على نسخة باريس ليس بخط الأصل كما هو ظاهر . فإما أن يكون هذا الكاتب المتأخر اختلط عليه الحابل بالنابل أي الفارقي بالرماني . أو أن يكون لما وجد الكتاب 'غفلاً' أثبت عليه اسم كُتِيب للرماني

(١) والأسباع الثلاثة بالمد لا بالصر كما في المطبوع م (١٣)

في المعنى نفسه إن ثبت أنه له . وذلك أن فهرست الدار المذكورة نفسها تذكر في ص ٧٩ الألفاظ النحوية للرّماني أوله : الحمد لله على فضله وكرمه الخ ٣٠ ش مخطوطة بقلم مغربي ، وهذا كما ترى غير المطبوع ، ثم رآه بروكلمان فتبعه ولم يوفق لاستيلاء الحقيقة وربما يكون عرف إفصح الفارقي فذكره في كتابه ولم يفرغ للعراض فقلّده من أتي بعده ، ثم إلى اليوم هلمّ جراً .

وهذه بعض ملاحظات على المطبوع :

١- قوله في ص ١٢ : لا يعرف من مؤلفات الرّماني غير ثلاثة - زد إليها رابعاً وهو شرح أصول ابن السّراج ومنه قطعة في مجموعة برقم ١٠٧٧ بكتبخانة سليم آغا في اسكندار من ق ٢٩٥ - ٣٢٦ . وخامساً وهو ثلاثة أجزاء من شرح الكتاب الثاني والرابع والخامس بأرقام ١٩٨٤ و ١٩٨٧ و ١٩٨٦ في ١٨١ و ١٩٧ و ٢٩٧ ورقة ولأء بكتبخانة فيض الله ، أملاء سنة ١٣٦٧ هـ .

٢- على قوله ص ٢٥ : هنا فرق كبير بين أبيات المعاني وبين الألفاظ النحوية التي ألفت فيها الإفصاح . وقد كان الرّماني سبقه بالتأليف فيها وتأخر عنه ابن هشام وخالد الأزهرى وقد طبع كتاباهما ولائي سعيد بن لُبّ منظومة مشروحة طبعت في <sup>(١)</sup> الأشباه للسيوطي . ولابن عربشاه كتاب فيها إلى غيرهم . باليت صدقي كان عارض عمله بها وقارنت .

٣- قوله ص ٣٠ : يمتد إلى مائة سنة - ولكن ذلك لا يحتاج إلى امتداد في عمره وإنما ينقل كلام ثعلب كما نقله نحن الآن من دون أن نذكره .

٤- في ص ٧١ : . - ام ليلى تجلّى همي

غير موزن ولا متقن . وهو شطّ روف في الكامل ٧٩ :

فنام ليلى وتجلّى همي

(١) ٣٠٢ / ٢ ولم يعرف لمن هي وقد عرفنا صاحبها من الحزاة ٣ / ٤٦٦ . وترى في الأشباه جزءاً كبيراً في الألفاظ .

وكذا الصواب من النوم في الكلمات الآتية على ما في الأصل لا كما غيره في المتن .  
 والبيت برقم ٥٥ لرجل من لصوص البحرين على ما في الكامل ٧٠٠ طبعة ريط .  
 ٥ - في ص ١٣٤ : وجه الكلام وصوابه : أنشدناه أبو اسحاق ( يريد  
 الزجاج لا غير ) [ في ] المصنف لأبي عبيد . والبيت برقم ١٢٦ من معروف  
 شعر عنتره في طبقات ديوانه وسمط اللآلي ٤٨٣ وحامسة ابن الشجري ومشروحا  
 في الخزانه ٣/٣٦٢ والعيني ٣/١٧٥ .

٦ - في ص ١٨٥ : في بيت الربيع بن ضبّع وجاء مصحفاً ( ولا أسادوا )  
 ولم أجد مع طول البحث المقطوعة التي منها البيت لمعرف أهو من همزته  
 أو دالته ٨١ - المقطوعة همزية معروفة وكنت نشرتها في مجلة الزهراء ٤/٢٣٥  
 عن التيجان قبل نشره وهي في طبعته هذه ١١٩ وهي في المعمرين برقم ٦  
 والمرئسي ١/٢٥٥ وشرحي أدب الكتاب لابن السيد والجواليقي ٣٦٩ و ٤٦٦  
 والخزانة ٣/٣٠٦ . والبيت منها اذا عاش الفقى ، البيت من شواهد الكتاب  
 كتاب سيبويه .

٧ - في ص ٢٠٣ : البيت برقم ١٨٣ لطفيال الضوي من قصيدة في ديوانه  
 برقم ٩ ومنها ثلاثة أبيات في الحماسة فريتاخ ١٣٦ وبولاق ١/١٤٦ .  
 ٨ - في ص ٢١٢ : الحافظو عودة ، البيت لبس لابن الخطيم وإنما هو من  
 كلمة في الروي لعمر بن قيس الخزرجي وقد خرجته في الخزانة السلفية  
 ٤/٢٠٥ .

٩ - في ص ٢٣٠ البيت لعمر بن معد بكرب الزبيدي عزاء إليه سيبويه  
 ١/٢٠٠ . وفستية فيه مصغر فتاة ولا يجوز فتنه فان البيت لا يترن معه .

عبد العزيز الميني

( كراتشي ) ١٩٥٨/٩/٢٦

## مستدرك

## على تصويبات في الوافي بالوفيات

اطلعت في العدد الأخير من مجلة مجمعنا العلمي العربي (المجلد ٣٣ ص ٦٩٢) على الملاحظات القيحة التي أبدأها السيد الأستاذ رشدي الحكيم على أوهام حصلت في الجزء الثالث من الوافي بالوفيات للصفدي ، فنذكرت أني كنت علفت بهامش الجزئين المطبوعين (الثاني والثالث) من هذا الكتاب تصويبات قليلة تخص الأعلام والجغرافية ، فرجعت إليها ونقلتها ، وهي التي أبادر بتقديمها الى المجلة عسى أن تفيد الناشر المحقق اذا ما أعاد طبع الجزئين المتقدمين من « الوافي » .

الجزء الثاني :

جاء في ص ١٥ سطر ١٩ - قوله : « أشدنا له أبو يحيى بن عريضة » ، والصواب : ابن عريضة ، وهو أديب تونسي مشهور ، رحل الى المشرق واجتمع بوجوه من أعلام كتابه وأدبائه ، وعاد الى بلده <sup>(١)</sup> .

ص ٣٩ سطر ١٤ - (في ترجمة أبي العرب الإفريقي الماسكي) وقد عذ من مصنفاته . . « فضائل مكة » ،

والصواب : « فضائل مالك » بن أنس الإمام المدني صاحب المذهب .

ص ٢٥٧ سطر ١٥ - في ترجمة (محمد بن بكسون الظاهري) قال . . . « وكان كاتباً مطبقاً كتب الكثير من المجلدات والربعات الفصاح » ،

(١) هو عثمان بن عتيق القيسي المعروف بابن عريضة ، أبو عمرو ، ولد بتونس وبها توفي سنة ٦٥٩ هـ ( ترجمه النجاشي في رحلته وكذا البدر في تقييد رحلته ) .



والصواب : ٠٠ كذب الكثير من المجلدات والربعات بالفصاح ، وهو نوع من الخط المنسوب في الأفلام السبعة التي كانت شائعة في عصر المماليك ، وقبل سمي بذلك لأنه بفضح صاحبه اذا كتب به ولم يجده . والغريب ان في الأصل المنسوخ منه وردت الكلمة على صوابها وصححها الناشر بما تقدم ، والمعنى لا يستقيم إذ لا معنى للربعات الفصاح .

### في الجزء الثالث :

ص ٤٧ سطر ٣ — ( في ترجمة محمد بن خلوفا ) . . . « من أشرف أهل ناحية القمح ورؤسائها » ،  
والصواب : ٠٠ من أشرف ( باجة القمح ) وهي من المدائن المشهورة بالبلاد التونسية من ناحيتها الغربية ، وإنما نسبت باجة هذه الى القمح لاشتهار أرضها بانتاج هذا النوع من الحبوب ، وأيضاً للتفريق بينها وبين ( باجة الزيت ) بلدة صغيرة بالساحل التونسي معروفة بكثرة زيتونها وبصنع الزيت ( راجع معجم البلدان لياقوت — في باجة ) .

ص ٦٩ سطر ١٨ — ( في ترجمة محمد بن ربيع ) جاء انه من قرية تونس ،  
والصواب : من قرية بنونش ، وكانت موجودة بالساحل الشرقي من القطر التونسي بقرية من بلدة الشابة اليوم ( راجع معجم البلدان — في بنونش )  
أما مدينة تونس وهي عاصمة البلاد فلا يصح أن يصفها الصفدي بقرية .

حسن حسني عبد الوهاب

( تونس )

ملاحظات<sup>(١)</sup>

على الجزء الثالث من كتاب الوافي بالوفيات

لصلاح الدين خليل بن ايبك الصفي

باعثاء الأسناذ ( ديدريغ )

- ٢ -

ص ١٢١ : في ترجمة ابن حيوس أنه استُخلف من قبيل الحكماء على الفرائض والتزويجات : مكان ( من قبيل الحكماء ) .

ص ١٢٤ : في ترجمة الحناط الرعيني الأديب الأندلسي ( وكان بنادي أبا عامر بن شهيد ) : والصحيح ( كان بناوي ) كما جاء في ترجمته في كتاب المغرب في حلى المغرب لابن سعيد . والحناط بالطاء المهمل لا بالظاء .  
ص ١٢٩ : محمد بن سليمان الغاني ، والصحيح الغاني بالباء لا بالنون نسبة إلى الغابة قريبة من كورة اشبيلية . وله ترجمة في المغرب لابن سعيد ١ : ٢٩٥ .  
ص ١٢٩ :

وكم يكيد له الذكري هوى نفيت منه صباية عهد غير معهود  
بما ارقته وما زالت تميد به إلى التصابي عيون الخرد الفيد  
لعله في البيت الأول : ( وكم بعيد له الذكري ) . وفي البيت الثاني :  
( وما زالت تميل به ) باللام .

ص ١٣٥ :

أين الثنايا التي اذا ابتسمت أو نطقت لاح لؤلؤ نَضْدُ  
وقد وضع تحت الضاد من نضد كسرة والصحيح نَضْدُ محركة .

(١) تمة ما نشر في ( المجلد ٣٣ ، الجزء ٤ ، ص ٦٩٢ - ٦٩٤ ) من هذه المجلة .

ص ۱۵۲ :

جاذبت دُرّی وقد أَضَدَّتْهُ کَلَامًا یروق سمع الوری درآ بمنقلب  
وهی مُخْتَلَب .

ص ۱۵۲ : لَأَن نَاصِر الدین شافعاً کان قد عمی بآخره رحمه الله کَلَاً :  
والصّحیح ( کان قد عمی بآخره رحمه الله کلا ) وأخره محرّکة وبأخرة آخر  
کل شيء کافي القاموس ، والصّلاح الصفدي يستعملها كثيراً فی نکت الحمیان .  
ورحم الله کَلَاً أي کَلَاً من ابن الوحید وناصر الدین شافع .

ص ۱۵۵ :

فالنار ما اشتملت علیه ضلوعه والماء ما سمعت به أجنانه  
والصّحیح ( ما سمعت ) علی ما فی الأغاني وغيره .

ص ۱۵۹ :

أبا حسن هل جاز فی الحب قبلها لمستسلم من أن يطاح له دم  
والأصحّ ( من أن يفاح ) بالفاء لا بالطاء .

ص ۱۶۵ : وأضر بآخره . والأصحّ ( وأضر بأخرة ) .  
ص ۱۶۷ : قال ابن الجوزي فی المرأة : والمرأة لسبط ابن الجوزي .  
ص ۱۹۲ : — لكنها خطرات من وساوسه — بكسر الطاء والصواب  
خطرات بفتحها .

ص ۱۹۶ :

کانت القصد من إحدا ث أزمانيّ ازماني  
ربما کان الأولی ( من أحداث ازماني ازماني ) . أحداث جمع حدث و ازماني  
مصدر من أزمته أصابه بعاة .

ص ۲۰۴ :

أفي کل صدر منك صدر کتابة وفي کل حرف غارة وکين  
ولعل الأولی ( صدر منه ) والضمير عائد للکتاب .

ص ٢١٢ : طالما كثر الأضرار يوم اليأس ، والصواب ( يوم البأس ) بالباء .

ص ٢١٢ : والوصايا كثيرة والتقوى زمامها وإمامها ، إذا تقدم كل جماعة  
إمامها وإمامها .

أرجح أن (إمامها) الأولى بضم الأول بمعنى الجامع للخير ، (وكل)  
بالنصب على أنه مفعول لتقدم والفاعل (إمامها) الثانية .

ص ٢٣٠ : سنة خمس عشر : (سنة خمس عشرة) .

ص ٢٣٩ : وتزوج بآخره : (وتزوج بآخره) .

ص ٢٣٩ : وبكتب خطأ ردئا : (ردبئا) .

ص ٢٤٣ : وسمع بقراءتي معجم الشيخ علي بن العطار . ولعله (معجم الشيخ

علي ابن العطار) ، وعلى هنا حرف لام .

ص ٢٤٧ : وتم تصنيف الأحكام : (ونم أو أتم) .

ص ٢٥١ :

أنقب ظهر الأرض ناشد صادق صديق فهل من منشد فيشأبا

(فيشأبا) بالثاء .

ص ٢٥٣ : وله أصحاب ومریدین : (ومريدون) .

ص ٢٦٥ :

روبدك يا بدر التام فانني أرى العيش حسرى والكواكب ظلما

ولعل الشطر : (أرى الشمس حسرى والكواكب ظلما) بالظاء .

ص ٢٧٣ :

أم السماء أناجئنا زواهرها أم محقق الروض قد أهدى لنا زهره

لعل الصواب (أباحتنا) .

ص ۲۷۶ :

والجد قل عابد الرحمن لا أَلْفَ من قبل باء وصكن بابه نصب  
(وصكن بابه) فاذا حذفنا الألف من عابد الرحمن وصكننا الباء يخرج معنا  
حاصل الضرب والطرح عبد الرحمن اسم جده .

ص ۲۷۹ :

خرجنا ينبغي مكة حجاجاً وعماراً  
فلما بلغ الحيرة حادي جملي حاراً  
فصادفنا بها ديراً ورهباناً وخماراً  
هذه الابیات الثلاثة أثبتت ثبوتاً في حين كان ينبغي أن تثبت شعراً .

ص ۳۸۰ :

لا تيا من اذا حوت فضيلة من العلم من نيل المرام الأبعد  
والصواب (في العلم) ليستقيم البیت .

ص ۲۹۲ :

ووجد أناخت بالبود ركاب له حين زمت للجيب ركاب  
والصواب (بالفؤاد) بالقاء ولعلها خطأ مطبعي .

ص ۲۹۲ :

وفكري وصبري ذاك تردد وصله وهذا له عني نوى وذهاب  
ولعل الأولى (يزداد وصله) .

ص ۲۹۴ :

أبا صريم لولا حسين تطالعت عليك سهام من أخ غير قابل  
ولعلها (تطلعت) بالقاف .

ص ۳۱۰ :

اذا كنت عند الجد في الجد عمدة ولا أنت عند الهزل تصلح للهزل  
وأرجح أن تكون (فلا أنت عند الجد) .

ص ٣٢٣ : وكان شجاعاً جريئاً : ( جريئاً ) .

ص ٣٢٤ :

فكم أنت تنهى ولا تنهى وتسمع وعظما ولا تسمع  
فياجر الشخذ حتى متى تسن الخديد ولا تقطع  
وربما الأصح ( ولا تسمع ولا تقطع ) لابناء للمعلوم .

ص ٣٢٤ : ماهذه دار سلام : ولعلها ( ماهذه دار إسلام ) .

ص ٣٢٦ ص ١٧ : الى أن حان الليل بينهم : والأولى ( حال ) باللام .  
ص ٣٢٨ :

لا تقبل المدح ثم تعوقه فتنام والشعراء غير نيام  
بتشديد الواو من تعوقه ، ولعل الصواب تعوقه بالتخفيف .

ص ٣٣٥ :

وان يوما أراه فيه أحسبه أمر يوما من الدنيا وأبركه  
والصواب ( أمر يوم ) .

ص ٣٣٥ :

إذا جانب مقتدراً عليها كبائر ما جنت كف الاثم  
فلا تستكثري لمي فاني سأقدم في الحساب على كريم  
وكتبت جانباً بضمير المخاطب وانما هي بضمير المتكلم .

ص ٣٣٨ : مع حظ وافر من الأدب وحفظ الأشعار والطب ، والأقرب  
أن تكون ( والخطب ) .

ص ٣٣٨ ص ١٨ : وربما تغذى معه : والأقرب أن تكون تغذى  
بالدال المهملة .

ص ۳۴۱ :

ولقد توسط فی الأرومة منزل وسطاً فصار موازياً للكوکب  
( منزلاً ) .

ص ۳۴۲ :

وان ترفعوا عنا بد الظلم تجنبوا لطاعتكم منا نصيباً . وخرأ  
ولعل الصواب ( تجنبوا لطاعتكم ) و ( نصيباً موفراً ) بالفاء .

ص ۳۴۲ : أطعم طعاماً فأت منه مبطوناً بالخضرة سنة أربع عشرة وأربع مائة  
مشرفاً على السنين واتهم به جماعة ممن كان هجاء . والصواب ( ممن كان هجاء )  
والترجمة واردة بالحرف الواحد في نكت الحميان .

ص ۳۴۳ : قال علي يوماً لفاطمة وهي تبكي لم تبكين أأخذت منك فذك ؟ :  
والصواب فذك بالفاء لا فذك بمعنى انتهى .

ص ۳۵۲ س ۱۴ : وجاوز بكّة سنين عديدة . ( وجادر ) وهي من  
خطأ الطبع .

ص ۳۶۳ :

اقصر فقد صحت ثنائة أهله ومن الثغور كما علمت الأئير  
وصوابها ( الأئير ) بالغاء .

ص ۳۶۸ :

يا أيها الملك المنصور قد كسرت جنودك المقل كسر ماله جبر  
( كسراً ) .

رشدی الحکیم



## العنوان

في ضبط مواليد ووفيات أهل الزمان

لمؤرخ دمشق النعيمي

عني عبد القادر بن محمد بن عمر بن محمد النعيمي الدمشقي (المتوفى سنة ٩٢٧ هـ) بالحديث وبالتاريخ ، فلقبه معاصروه بمؤرخ دمشق ، وبشيخ السنّة النبوية بها <sup>(١)</sup> . اشتهر بكتابه « تنبيه الطالب » الذي ذكر فيه ما كان بدمشق من المدارس والزوايا والربط والمساجد <sup>(٢)</sup> . وهو كتاب نادر ، لا نجد بين أبدينا اليوم مثله عن العواصم العربية الأخرى .

خلف النعيمي آثاراً في التاريخ فقدت . وقد عثرنا له أخيراً ، في الخزانة التيمورية بالقاهرة ، على كتاب اسمه « العنوان في ضبط مواليد ووفيات أهل الزمان » فرأينا أن نعرف به ها هنا .

بترجم النعيمي في كتابه هذا لعدد كبير من العلماء الذين أدرّكهم في دمشق ومصر ، في القرن التاسع وأوائل القرن العاشر الهجريين . وقد بدأ كتابه بقوله : « وبعد ، فهذه الورقات سميتها العنوان في ضبط مواليد ووفيات أهل الزمان . نذكرهم على وجه الاختصار . ومن أراد بسط ذلك فعليه بكتابي « التبيين » في تراجم العلماء والصالحين » ، وبكتابي « تذكرة الإخوان بمحوادث الزمان » .

(١) انظر عنه كتابنا : المؤرخون الدمشقيون وآثارهم المخطوطة ، والمصادر المذكورة فيه - وكذلك مقدمتنا لكتاب فضاء دمشق لابن طولون .

(٢) طبع بتعليق الأمير جعفر الحنفي باسم « المدارس في تاريخ المدارس » . صدر في دمشق عام ١٩٤٩ و ١٩٥١ ( مطبوعات المجمع العلمي العربي ) .



رتب النعيمي التراجم على طبقات فقال :

«وأنا أرتب من أدركت على ثلاث طبقات :

«الأولى : فمن أخذت عنه علماً ، أو رويت عنه شيئاً ، إجازة ،

«أو إذناً ، أو حضوراً ، أو سماعاً ، أو قراءة ، أو نحو ذلك .

«الثانية : في الأصحاب والأقران .

«الثالثة : في الاتباع .»

فيكون الرجال المترجم لهم من الذين عاشوا في النصف الثاني من القرن

التاسع والربع الأول من القرن العاشر .

وقد رتب النعيمي هذه التراجم حسب مولدها . قال : «وأنا أرتبهم على

حسب موالدهم .» ولكن يبدو أن هذا الترتيب كان في مسودة المصنف ،

ثم بدله بعض الطلبة . بقول النعيمي :

«وقد استعارها مني بعض فضلاء الطلبة المصريين ، فرتبهم على حروف

المجم ، فقدم المؤخر وأخر المقدم ، على حسب ما أراد . ولا قوة إلا بالله .»

وقوله : لا قوة إلا بالله ، يشعر بأنه غير راضٍ عما فعله الطلبة المصريون .

ثم وقعت هذه النسخة لابن المؤلف يحيى . فذبل على أبيه بخطه فائلاً :

«يقول كاتبه العبد الفقير الى الله تعالى أبو زكريا يحيى ابن المؤلف ،

مؤلف هذا الكتاب المسمى ذلك بالعنوان في ضبط مواليد ووفيات أهل الزمان ،

جمع والد كاتبه هو سيدنا ومولانا العبد الفقير الى الله تعالى الشيخ الإمام

العلامة المصنف . . . . .

«استخزن الله تعالى بأن ألحق بهذا المؤلف مواليد جماعة من الصالحاء

والفضلاء الذين انتشروا (كذا) في هذا الزمان وغيره . . . . .»

وقد صارت هذه النسخة المخطوطة الى أحمد رافع الطهطاوي . وكأنه وقع على مسودة المصنف نفسه ، فعارض النسخة بها وصححها ، وبه في الحواشي على أخطاء كثيرة وردت في النص .

وما نحن أولاء نقدم أنموذجين من ترجمات النعيمي ، وملاحظات الطهطاوي .

### - ١ -

« ومنهم قاضي القضاة حافظ العصر شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي ابن محمد بن علي بن محمود بن أحمد بن حجر ، وبه اشتهر ، ابن أحمد ، المسقلاني الأصل ، المصري ، الشافعي .

« مولده بمصر العتيقة . وميلاده ثالث عشرين شعبان سنة ثلاث وسبعين وسبع مئة . وأول سماعه الحديث كان بمكة سنة خمس وثمان مئة . وتوفي ليلة السبت ثامن عشر ذي الحجة سنة اثنتين وخمسين وثمان مئة بالقاهرة . وقد ذكرت له ترجمة بخطي في كراسين بأول شرحه فتح الباري .

( حاشية بخط الطهطاوي : قوله سنة خمس وثمان مئة صوابه خمس وثمانين وسبع مئة . وكان عمره إذ ذاك اثني عشرة سنة . ذكره الحافظ ابن حجر نفسه في الجمع المؤسس <sup>(١)</sup> . كتبه أحمد بن رافع الطهطاوي الحنفي عني عنه . )

(١) يعني الجمع المؤسس للجمع المهرس الذي جمع فيه أسامي شيوخه وهو ما يزال .

مخطوطاً . انظر فهرس المخطوطات المصورة . التاريخ ١ : ٢٣٠ .

- ٢ -

« ومنهم العلامة فاضل القضاة المالكية بدمشق علم الدين وبُقَال انير (كذا) الدين ، أبو النجاء سالم بن ابراهيم بن عيسى الصنهاجي المغربي <sup>(١)</sup> .  
 « ميلاده سنة سبع وأربعين وسبع مئة . وتولى [ قضاء ] قضاة المالكية بدمشق في سنة ثلاث وأربعين وثمان مئة . وتوفي بالمدرسة الشراييشية <sup>(٢)</sup> قبل الأُسدية ، داخل دمشق ، في تاسع صفر سنة ثلاث وسبعين وثمان مئة ، ودُفِن من جانب ( كذا ) الشمالي من مقبرة الحمدية <sup>(٣)</sup> ( كذا ) .  
 ( حاشية بخط الطهطاوي : الذي بخط المؤلف : وبُقَال زين الدين .  
 كتبه أحمد رافع عُنِي عنه ) .



والخطوط في ٦٠ صفحة . ومن ص ٦١ يبدأ ذيل ابن المؤلف وينتهي في ص ٦٥ . وقد وقفه أحمد بن اسماعيل بن محمد قنبر . ورقه في التيمورية ٢١٩٣ تاريخ . والكتاب يُكَلِّ التصوص التي بين أيدنا عن تراجم رجال القرن التاسع والقرن العاشر ، كالضوء للسخاوي ، والكواكب للغزي ، وتراجم الأعيان للبوريني ، وذخائر القصر لابن طولون ، وغيرها .

صلاح الدين المنجد



- (١) انظر : قضاة دمشق لابن طولون ( من تحقيقنا ) رقم ٢٠٠ . وهذه الترجمة تكمل ما ذكره ابن طولون .  
 (٢) انظر عنها الدارس لنسيبي ٧ : ٢ .  
 (٣) صوابها « الحمزية » . عرفت كذلك في الدون التاسع ، وهي مقبرة الجبreen . انظر عنها كتابنا خطط دمشق ص ١٢٦ : وتاريخ دمشق ، المجلد التاسع ( تحقيقنا ) ص ٩١ ، ١٤٤ .

## فهرس الجزء الأول من المجلد الرابع والثلاثين

صفحة

٣	قصيدة منصور الشمرى في الرشيد	لأستاذ خليل سرمد بك
١٤	أحباء الشهور في العربية	للأستاذ مصطفى الشباني
٢٠	الطلاقات الجوهرية بين الفتن العربية والارامية	للطهران غرينوريوس بولس بربان
٣٥	مهرجان أحد شوقي	للأستاذ سامي الدمان
٤٢	شاعر الدرب	للأستاذ شفيق جبري
٤٨	الوصف والفتول في شعر شوقي	للأستاذ سامي الدمان
٦٦	نثر شوقي	للأستاذ شكري فيصل
٨٨	معجم المصطلحات العلمية للكثير اللغات	للأستاذ حمدي سبع
١٠٠	غنايات ما لم ينشر من شعر البحتري (١)	للأستاذ صالح الأختري
١١٢	كتاب النفس لابن باجة الأندلسي (٥)	للأستاذ محمد صفيح حسن المصوي

### التعريف والنقد

١٢٧	ديوان ابن الخطيب	للأستاذ سامي الدمان
١٣٣	الثقافة الإسلامية في الهند	للأستاذ محمد بهجة البيطار
١٣٨	ديوان السيد موسى الخالقي	

### آراء وأنباء

١٤٤	أعضاء الجمع العلمي العربي في سنة ١٣٧٨ هـ = ١٩٥٩ م	
١٤٥	الأعضاء الماملون	
١٤٥	الأعضاء المرسلون	
١٤٧	الأعضاء الراحلون	
١٥٠	انتخاب عضو جديد	
١٥١	كلية الدكتور جميل سليبا في جلسة استقبال الدكتور محمد كامل عياد عضواً عاملاً	
١٦٥	كلية الدكتور محمد كامل عياد	
١٩٢	الإيضاح من أبيات مشكلة الإيضاح للفاروق	لأستاذ عبد العزيز الميحي
١٩٦	مستدرك على قصويات في الوافي بالوفيات	لأستاذ حسن حسني عبد الوهاب
١٩٨	ملاحظات على الجزء الثالث من كتاب الوافي بالوفيات (٢)	لأستاذ رشدي الحكيم
٢٠٤	النون في ضبط مواليد ووفيات أهل الزمان	للأستاذ صلاح الدين المنجد

# مجلة المجمع العلمي العربي

١ نيسان سنة ١٩٥٩ م

٢٣ شهر رمضان سنة ١٣٧٨ هـ

## سخرية الشدياق

كنت كلما ألقب النظر في صور رجالات العصر الحديث أحبس هذا النظر على صورة أولعت بها الومع كله ، أرى طربوشاً حميداً مخدراً الى الأذنين كأنه بقطينة على رأس صاحبه وعينين ان لم تكونا مثل حبين من حمص ذابل فانها مثل جوزتين خضراوين ناضرتين بشيع الخبث فيها وأرى لحية قد بعثرت شعراتها على الخدين ومن تحتها عقدة ملتفة من العنق الى الصدر يجسبها الانسان لا ذل وهلة ضفدعاً على منضدة النشرج أرى هذا كله وأرى وقفة تشبه وقفة الأسد فأقول : على أي شيء تنطوي هذه الصورة ، وأنا غير مطلع على علم الهيئة !

صاحب الصورة أحمد فارس الشدياق •

طلع القرن التاسع عشر فطلعت فيه عبقرية لا أبالغ اذا قلت انها أعظم عبقرية نشأت في تلك الأيام واذا كان المجال لا يتسع للكلام على هذه العبقرية من مجامع نواحيها فاني أرجو أن يتسع للكلام على ناحية واحدة منها انفرديها صاحبها وهي السخرية •

غير أني لا أستطيع التبسط في هذه السخرية والاشارة الى مختلف مظاهرها إلا اذا أوجزت في الإشارة الى العصر الذي عاش فيه الشدياق لأن بين أوضاع ذلك العصر وبين سخرية الشدياق نسبةً مستحكمة لا وأصر ، لقد هدم وبني ولكنه لم يستخدم في بنيانه إلا السخرية وحدها ، ثار ثورة على عصره إن لم تنفجر فيها الدماء فقد انفجر فيها شيء أرب من سفك الدماء ، انفجرت فيها سخرية كان وقعها في الأفهام أشد من وقع السهام في الأجسام .



راقب الشدياق عصره في أكثر جوانبه ، فلم يغفل عن شيء مما كان يجري في ذلك العصر ، لقد تولى في كتابه : الساق على الساق تدوين سيرته ولكن قد يتخلل هذا التدوين استطراد الى ذكر أمور تتصل بعصره مثل أمور الرهبان والكتاتيب والحكام والأمرأ والأغنياء والنساء والحياة الاجتماعية ومعاملة الترك للشعب وبعض الطوائف والأديان أو ذكر أمور فنية كالشعر والموسيقى وغيرهما ، وإذا ما قابلنا بين العصر الذي عاش فيه الشدياق وبين العصر الذي نعيش فيه استطعنا أن ندرك هذا الأمر الذي تسرعه حياتنا الى السكال ، فلولا الشدياق وأمثاله من أصحاب العيون الثاقبة والأذهان النافذة لما كدنا نحيط بتلك الظلمات غير البعيدة عنا ونقابل بينها وبين هذا الضياء الساطع في حياة أيماننا .

راقب الشدياق الرهبان في أديارهم وقد كان سبب هذه المراقبة اضطهاد الموارنة لأخيه أسعد الذي كان يحبه حباً جماً ، تنبع زلاتهم وبحث عن خفايا أمورهم وكشف الغطاء عن سيرتهم فلم يجد في الأديار إلا جهالة جهلاء وضلالة عمياء .

ثم رجال الدين على نحو ما قال لنا أن يتعلموا بعض قواعد في اللغتين العربية والسريانية لجرّد العلم بها فقط من دون فائدة إذ لم يعلم الى الآن أن أحداً منهم ترجم كتاباً أو كرّاسة مفيدة في هاتين اللغتين ولا أن البطرك

أمر بطبع كتاب فيها وإنما كان ينفق دخله على الولائم والمآدب التي يهونها لزواره وأمره الجليل ومشايخه .

إلا أنه لم يقتصر على التنديد بجهل الرهبان وإنما ندّد بمفتهم فحال في هذا الباب مجالاً لا حاجة بنا الى الدخول في تفاصيله .

خرج الشدياق من الأديار فضرب بعينه في الكتابات فرأى المعلمين في كتابات الجبل لم يطالعوا مدّة حياتهم كلها سوى كتاب الزبور وهو الذي يتعلمه الأولاد هناك لا غير من دون أن يفهموه بل فهم معانيه على ما وضعه الشدياق محظور ولماذا هذه الأساليب الرقيقة في التعليم لقد شرح لنا ذلك فقال : « والظاهر أن سادتنا رؤساء الدين والدنيا لا يريدون لرعيتهن المساكين أن يتفقهوا بل يحاولون ما أمكن أن يغادروهم متسكعين في مهامه الجهل والغبادة » . غادر الأديار والكتاتيب فدخل السرايا فرأى أن الحكام لا يقلدون الوظائف إلا ناساً جهلاء وهذه هي الصورة التي خلفها لنا في هذا المعنى :

« لم يكن حاكم البلاد يستخدم من الكتاب الأ من بذات العين خطه وعاف الذوق السليم كلامه اشعاراً بأن الحظ لا يتوقف على الخط وإن إدارة الأحكام لا تنفقر الى تهذيب الكلام وإن كثيراً قد نالوا المراتب السامية والمناصب السنية وهم لا يحسنون توقيع اسمهم الشريف » .

أديار تكاد الحياة تكون فيها فسحة ، وكتاتيب تعلم القراءة من غير فهم المعاني وحكام يتقلبون في الجهل فكيف لا ينشأ عن حالات مثل هذه الحالات ظلم واستبداد فإذا تعدى أحد الناس على أحد وفر من القصاص أخذ بذنبه على نحو مارواه الشدياق أحد أهله أو جيرانه أو ماشيته أو ماعونه وقطع شجرة وأحرق منزله .

وكانت للحكام حالة خاصة في الاستملاء فإذا سأل الأمير أحد الناس

عن شيء وتلثم في الجواب أو تروى فيه سب آباءه وأجداده ولعنه وتهدده بالصلب أو بسحل عينيه .

تغلغل الشدياق بعد هذا كله في طبقات الشعب فوجد أن الأغنياء لا يسافرون ولا يجتنبون أحوال الأمم وعاداتهم وأطوارهم وأخلاقهم ومذاهبهم وصيانتهم ووجد أن المرأة أمية في عزلة عن المجتمع لا تعاشر أحداً سوى الخوادم وأهل البيت فكانت تحصل معارفها كلها من الخوادم لا غير .

إلا أنه رأى في المرأة طبائع حسنة فصورها على هذا الوجه :

« من طبع هؤلاء المخلوقات المباركات سلامة النية وصفاء العقيدة والتقرب الى الرجال لا عن فجور فترى المرأة منهن متزوجة كانت أو ثيبه تجلس الى جانب الرجل وتأخذ بيده وتلقي يدها على كتفه وتسندها على صدره وتبسم له وتوأسه في الحديث وتحنه ببعض ما تصل اليه يدها . كل ذلك عن صفاء نية وخلوص مودة وأحسن ما يرى فيهن البلاهة فانها في النساء خير من الفكر والدهاء » .

لقد أمعن الشدياق في تصوير المرأة في عصره تنبها في كل شيء ، في محاسنها وأحاديثها وهو مولع بالمقابلات بين نساء ونساء وبين ثياب وثياب ، دخل دمشق فوصف نساءها فقال :

« فأما نساء المسلمين فقد ظهر لي في بادئ الرأي أنهن أجمل من نساء النصراني كما أن الرجال من المسلمين أجمل من النصراني وأقصر لهجة وكذا هم في سائر البلاد الإسلامية ولون النساء عموماً البياض المشرب بالحمرة والغالب عليهن الطول والشطاط غير أن هذا الإزار الأبيض التي يتزرن به عند خروجهن من ديارهن لا يحلو للمين كحبر نساء مصر وكلاهما مخف للحاسن القدر وللمهن بلبسن ذلك عمداً لتأمن الرجال فتنتهن فلهن الشكر عليه ! »



ولم يكشف بوصف أمة المرأة وطبائعها وهيئتها في عصره وإنما دخل عليها الدور والمنازل فرأى كيف تأكل وكيف تجلس وحسبنا أن نعرف أن النساء كنّ يقعدن على الأرض وهي عادة ألفتها ولا يرين فيها عيباً وأكثرهنّ تبدي نديها .

واذا فرغ من مراقبة المرأة في جلستها وأكلها انصرف الى مراقبة الأمراء فقال فيهم : « انهم يقعدون على الحصير وعند النوم يرقدون فوقه على فراش واحد وربما اجتزاؤا بالبيض والأرز واللبن عن الحمام والفراخ والدجاج من دون شراب ولا فاكهة ولا ثقل وأرجلهم ظاهرة فاذا قعدوا على الحصير خلعوا نعلهم بالقرب منه فثبتي برأى منهم وترى بعض خدمهم يقوم على رؤسهم أي بازائهم لا فوقها وفي حزامه الملعقة وآخر في جيبه الطاس من فضة إشارة الى غنى الأمير والى كونه أحد الناس غير مستغن عن اللعق والشرب وهو قاعد مطرق لا كتاب عنده فيطالع له ولا سمير له فيسارمه ولا آلة لهو تطربه وهو يقضي ساعات من النهار هكذا بل يوماً وأياماً ولا يرى من امرأة أصلاً »

لم يغفل الشدياق عن ناحية من نواحي عصره في وطنه ولما ذهب الى مصر عاد الى دأبه من المراقبة والتتبع كان للترك في مصر سلطنة . كان لهم سطوة على العرب وتجيبر وصفها الشدياق فقال : « حتى ان العربي لا يحيل له أن ينظر الى وجه تركي كما لا يحيل له أن ينظر الى حرم غيره واذا اتفق في نواذر الدهر ان تركياً وعربياً تماشيا أخذ العربي بالسنة المفروضة وهي أن يمشي عن يسار التركي محشماً خاشعاً فاذا عطس التركي قال له العربي : رحمك الله ! واذا تنحنح قال : حرمك الله ! واذا غلط قال : وراك الله ! واذا عثر عثر الآخر معه اجلاًلاً له فقال : نمشك الله لانمشنا ! »

هذه طائفة يسيرة من أوضاع عصر الشدياق ظلمات بعضها فوق بعض ،

ظلمات في الأدبار والكتائب ظلمات في حياة الرجل والمرأة ظلمات في الحكم والسياسة ظلمات في الحياة الاجتماعية بمخاديرها . . . لقد نثر الشدياق على هذا كله ولكن ما هو المسلك الذي سلكه في نثرته . هذا هو موضوع حديثنا .

\*  
\*\*

إذا كانت السخرية في قديم الدهر طريقة بسيطة من طرق المناظرة لجأ إليها سقراط فنسب إليها اسمه فقد أصبحت بومنا هذا طريقة من الطرائق التي تنقي بها المواطنين العنيفة وتدفع بها عن أنفسنا الأهواء العميقة فنحن نخاف أن نألم ، نخاف أن نتلف ، نخاف أن يزعمونا في عاداتنا وهدوئنا فنسخر بدلاً من أن يكدرنا مكدر ، فنضع بهذه السخرية كل أمر من أمور الناس في نصابه ونعلمهم كيف نحكم على سيرتهم ، أنا لا نجراً على أن نخرج الناس جرحاً مكشوقاً ولكننا نقصد إلى أساليب ثمانية من هذه الأساليب : السخرية .

هذه خلاصة ما قاله أحد رجال الأكاديمية في باريز ، ولقد لجأ الشدياق إلى هذه الأساليب التي لا تخرج جرحاً مكشوقاً ، يقول قولبير : إذا أردت القضاء على خصمك فاجعله 'هزأة' ، لقد جعل الشدياق عصره كله هزأة ارادة منه أن يهدمه ويبيد بدلاً منه عصره كاملاً من كل الوجوه .

لم يكن الشدياق من طبقة الكتّاب الذين يراقبون عصورهم فيشهدون مفاصلها وما اختلف من أوضاعها فيقتصرون على تهديم ما عوج من هذه الأوضاع دون التفكير في شيء من تقويم الاعوجاج والتنبيه على ما فيه صلاح المجتمع ، وقعت عينه على مساوي عصره بأجمعها فاستعمل كل ما أناء الله من مواهب السخرية والأدب والعقل في اصلاح الدين وتقويض ما أحاط به من حياة فسخة في الأديار وجعل مستفيض في الرهبان والشعب والحكام والأشرار والشيوخ وفساد في العادات والتقاليد والآداب وفسادة في معاملة الولاة للرعية واستبداد

بأمور السياسة وزهد في الفنون اللطيفة وجود في بعض مذاهب الأدب وفي غير هذا كله من أمور الحياة ، لقد ثار على كل مفاسد عصره ولكنه لم يفكر في لفظ من ألفاظه ولا في جملة من جملة ولا في فصل من فصوله في الاغراء بسفك الدماء . لقد كانت ثورته هادئة هدوء نسيم الفجر ، صافية صفاء الينابيع ، آلمه خصام الناس وخلافهم وعداؤهم فدعاهم الى ضروب من الأخلاق لا خصام فيها ولا خلاف ولا عدا ، دعاهم الى بناء الأخلاق على العلم فقال :

« ما بال علماء الرياضة والهندسة والتنجيم لا يختلفون في أدلتهم وان اختلفوا لم يشبوا ناراً لتحقيق نحلهم » .

ثار على الرهبان ثورة شديدة ، ثار على جهلهم ، ولكن كيف كان يسخر بهذا الجهل ، كان يلجأ الى طريقة خبيثة في الدلالة عليه تشبه طريقة الجاحظ في القديم فهو يورد النكتة الناطقة عن جهل الرهبان دون ذكر هذا الجهل . أعمل فكره وهو في دير من الأديار في نظم بيتين في العدس فالتبست عليه لفظة فقام في طلب القاموس فطرق باب جاره وكان من المتحمسين في الدين فقال له : هل عندك ياسيدي القاموس ، قال : ما عندنا بالدير جاموس بل ثيران ، فطرق باب آخر وكان أشد منه خشونة فقال له : هل لك في أن تعيرني القاموس ساعة قال : اصبر علي الى نصف الليل فان الكابوس لا يأتيني إلا في هذا الوقت ، ففضى الى غيره وأعاد عليه السؤال فقال له : أي شيء هو هذا القاموس يا ماعوص !

وهكذا سخر بجهل رجال الأديار دون شيء من الشتم والقذف وقد أعانته على هذا تبحره في اللغة ووقوفه على غرائب الألفاظ التي تنفخ روحاً في النكتة في بعض الأوقات .

وكما هنأ بجهل الرهبان فكذلك هنأ بالأمرء والحكام ، أراد أن يصور

استعلاءهم وبعدهم عن طبقات الشعب فقال : ان الأمير في ذلك العصر لا يرى منه إلا قذاله من بعد ولا يتاح لكل واحد تقبيل يده الشريفة .  
وقد أضاف الى هذه الصورة صورة أخرى فقال :

واتفق أن زارني في صباح ذلك اليوم بعض الأمراء الذين ينبغي أن يقال لما أئبتوه : نعم ، في موضع لا ، ولما نفوه : لا ، في موضع نعم .

هكذا كانت عقول أمراء الجبل في عصر الشدياق واذا كان الناس على دين ملوكهم فقد كان كتاب الأمراء على دين الأمراء أنفسهم ، سأل الشدياق أحدهم مسألة تتصل بخير الحياة وشرها ، بلذتها وألمها فصلها ابن حزم في بعض كتبه فقال كاتب الأمير : ان سعادتي في الكون هي أن أرضى عن أميري ويرضى عني ، وشقائي هي أن أغضب منه وبغضب مني وقد نسبت كل ما جرى علي من الغضب لكثرة المشادة والمفتضى فان صبرت علي في المسانف شهراً لا أقيد في دفترى ما ألقاه منه حلواً ومرراً ، ونفعاً وضراً أفدتك الجواب !

ولا شك في أن هذا النخط من الكتاب أشد موافقة لهذا النخط من الأمراء . ولقد كانت سخريته بالناس الذين كانوا يزهدون في تعليم المرأة مثل سخريته بالزهاد والأمراء وكتابتهم ، لماذا زهد الناس في هذا التعليم ، لأنهم على نحو ما قال الشدياق يزعمون ان علم القراءة مفسدة للنساء وان المرأة أوّل ما نستطيع ضمّ حرف الى حرف تجعل منها كتاباً الى عاشقها .

فهل من كلام أبلغ في السخرية من قوله : ضمّ حرف الى حرف أو قوله : تجعل منها كتاباً الى عاشقها ، في سطر واحد صور جهل عصره بهذا فيره وصبّ سخريته على هذا الجهل .

انتقل من السخرية بالزهد في تعليم المرأة الى السخرية بالزهد في الفنون اللطيفة ، كان أهل عصره يعتقدون على نحو ما قال ان صنعة الألحان والعزف

بالملاهي يتسم صاحبها بالشين لما في ذلك من التطريب والتصبي والنشويق والقوم  
يجذرون من كل ما بلذ الحواس. ولذلك لا يشاؤون أن يتعلموا الغناء والعزف  
باحدى آلات الطرب أو يستعملوها في معابدهم وصلواتهم كما تفعل مشايخ الافرنجة  
خشية أن يفضي بهم ذلك الى الالحاد .

غادر هذه الطبقات وتغلغل في المجتمع فوقعت عينه على الأطباء والأطباء  
لم يسلموا من شر الأدياء لافي القديم ولا في الحديث قال الشدياق فيهم :  
فاني أرى هؤلاء الأطباء يعالجون الأمراض بالحرص والتخمين فما يهتدون  
الى العلة والمعلول الأبعد أن تبلغ الروح الحلقوم فيجربون مرّة دواء ومرّة  
أخرى غيره ثم يخلص رأيه فيهم في قوله :

غير أن الطبيب رسول عزرائيل منفي من الحركة .

فما أظن أن الهجاء الشديد يعدل قوله : رسول عزرائيل !  
وهل كانت الشدياق رؤفاً بأصحاب الجنس الأنيس ، رفيقاً بالقوارير ،  
أراد أن يظهر طبيعة من طبائع النساء ، ماهي هذه الطبيعة ، ولعنّ بالثناء  
والمديح فهو يعرف أنهم يجملن القراءة وعلى الرغم من هذه المعرفة قال فيهن :  
لا شيء يصعب على فهمنّ مما يؤول الى ذكر الوصال والحب والغرام فهنّ  
يستوعبنه وبتلقنه من دون تعلم ولا قصور وحسي أن يبلغ مسامعنّ قولـ  
القائل : ان فلاناً قد ألف في النساء كتاباً فضلهن به على سائر المخلوقات فقال :  
انهنّ زخرف الكون ونعيم الدنيا وزواها وغبطة الحياة ومنها وسرور النفس  
ومشتهها . . . فاذا قدر الله بلوغ هذا الخبير المطرب سماع احدى سيداتي  
هؤلاء الجيلات وسرّته به وفرحت ورقعت ومرحت رجوت منها وأنا باسط  
بد الضراعة ان تبليغه أيضاً مسامع جاريتها وأملت من هذه أيضاً أن تطالع به  
صاحبها حتى لا يمضي أسبوع واحد إلا ويكون خبر الكتاب قد ذاع في  
المدينة كلها .

هذا النوع من السخرية البارعة شهر الشدياق ناحية من نواحي النساء .  
وكثيراً ما كان يجري على أصول الجاحظ في سخريته ببعض المعتقدات ففي  
فصل من الفصول استفاضة طائفة من الأفكار تتعلق بالحياة وفلسفتها فنقل  
شبهاً مما يتناظر فيه الناس ويتجادلون ، من ذلك قوله :

فقال بعض : ألا ان درجات السماء مائة وخمس فقال غيره : ألا انها مائة  
وأربع فقال آخر : لقد كذبتا واستوجبنا قطع اللسان وسمل العينين وصل  
الأنثيين : انما هي مائة وست !

ان اثبات أمثال هذه المجادلات والمناظرات على هذا الشكل لا يخلو من  
سخرية خبيثة ، فهو لا يتعرض لها ولا ينقدها أو يناظر فيها وانما يقتصر على  
ذكرها دون ابداء الرأي فيها ويترك للقارىء الحرية في الحكم عليها .

والخلاصة لم يترك الشدياق أحداً في عصره حتى ان الأدباء والشعراء  
والفلسفيين لم ينجوا من سخريته كما لم تنج منها بعض عناصر الثقافة وفي مقدمتها  
النحو . روى كلاماً على لسان بعض الأسماءة يتصل بتطوير أبواب النحو وأظنه  
هو صاحب هذا الكلام قال : قد ظالمنا كان يخامرني الرب في قضية خلود  
النفس فكنت أميل الى ما قالته الفلاسفة من أنه كل ما كان له ابتداء فهو متناهي  
فلما رأيت النحو له ابتداء وليس له انتهاء فست النفس عليه فزال عني والحمد لله  
ذلك الإيهام !

أما في باب السياسة القومية فقد لجأ الى تحريك العرب بشكل من السخرية  
هز الجهاد قال : وقد سمعت ان الترك هنا ، أي في الاسكندرية ، عقدوا  
مجلس شوري استقر رأيهم فيه لدى المذاكرة على أن يتخذوا لهم مركباً وطبناً  
من ظهور العرب فانهم جربوا مروج الخيل وبراذع الجمال وأكفها وأفتاب  
الأميل وبواصرها وحصرها وسائر أنواع المحامل فوجدوها كلها لا تصلح لهم . . .

وما أظن أن كلاماً يستفزّ العزائم أقوى من هذا الكلام ثم استمرّ في هذا النخو من السخرية فقال :

ولم أدر ما سبب تكبر هؤلاء الترك على العرب مع أن النبي (ﷺ) كان عربياً والقرآن أنزل باللسان العربي والأئمة والخلفاء الراشدين والعلماء كانوا كلهم عرباً غير أني أظن أن أكثر الترك يجهل ذلك فيحسبون أن النبي (ﷺ) كان يقول : شوبله ! بويله ! أو : بقالم ! بقالم ! لا والله ما كان هذا لسان النبي ولا لسان الصحابة والتابعين والأئمة الراشدين ، رضي الله عنهم أجمعين إلى يوم الدين . آمين ! آمين ! وبعده آمين !

خلق الشدياق خفيف الروح والظل ومن نظر إلى صورته في شيوخه فلا بدّ له من أن يرى في تضاعيفها شيئاً من هذه الخفة على أنه لم ينشأ في صدر حياته على النعيم والترف وإنما ذاق كثيراً من مرارة الحياة قبل أن يصل إلى حلاوتها ونضارتها فقد كان على نحو ما قال 'بكب' على النسخ وفي طلعته مبادئ المسخ فكان 'يرى' غائر العينين ذاوي اليدين ناقٍ عظم الخدين زائف الجلد كالظل حتى كان يرثى لحاله وأظن أن خشونة حياته مرراً كبيراً في سخريته إلا أن مزاجه غلب على مصاعب الحياة وكان مرح نفسه أقوى من كآبتها فما كانت تمرّ به فرصة دون اغتنامها للتخفيف من كربه ومن بدري فقد تكون شدة الحياة على بعض النفوس باعثاً لها على النشاط والضحك والاصحاح نشأ كما مرّ بنا في عصر ظلماته بعضها فوق بعض فاستعان على الخروج من هذه الظلمات وعلى إخراج أهل عصره منها بالسخرية فهو لم يشبه أولئك الكتاب الذين تسود الدنيا في عيونهم فيسودونها في عيون الناس . انه على الرغم من كل ما عاناه في أول حياته ضحكك للدنيا وما زال يضحك لها حتى ضحكك له فصار في اكتماله إلى النعيم وأورثنا بفضل مزاجه المرح الضاحك الساخر ميراثاً من الأدب يظلّ خالداً على مرّ السنين .

ولم يقتصر على السخرية بمجتمعهم وحده وإنما رحل الى مالطة والى بلاد الانكليز فأفرغ سخريته على كل ما انحرف عن سواء السبيل في كل أمر من أمور الحياة فقد أصبحت السخرية ملكته الغالبة وسلطانته القاهر . تنبع أهل مالطة في كل شيء ، تنبعهم في طبيعة بلادهم وتحدّاهم في طائفة من معتقداتهم وعاداتهم في الزواج وآدابهم في الأكل والمخاطبات ونقراً عن بلادة عقولهم وعن ضيق لغتهم وعن تقاليدهم ولم ينبج من قلمه البغايا أنفسهم .

سخر بآدابهم في الأكل فقال : واذا دعوت أحداً منهم الى مأدبة لم يكن منه في خلال التهامه ما يبين يديه إلاّ الثناء على نفسه بأنه قليل الأكل . ولكنني أرى أن كل أنواع السخرية بأهل مالطة في كفة وان النوع الآتي من السخرية بالبغايا في كفة وحدها ، قال فيهن :

« وحين بأنين الفاحشة يخطين وجوه صور القديسين التي في حجرهن »  
ويقلبنها نادياً وتورعا .

ما أطبعه على روح السخرية ، أي تأدب أم أي تورع في مقام مثل هذا المقام ؟

ولما ذهب الشدياق الى بلاد الانكليز ائتمت آفاق سخريته راقبهم في حركاتهم وسكناتهم ، سخر بالأصاففة كما سخر بالشرفاء ، فرغ من هذه الطبقة فأنصرف الى جامعات الانكليز فلم يسلم المنشرفون وطلّاب الجامعة من تهكمه كما لم يسلم من هذا التهكم كذاب الصكوك في انكثرة ولم يعف عن النساء في بعض الأوقات .

بعد هذا كله التفت الى مجتمعات الانكليز فاستهزأ ببعض آدابهم في المآدب وبعض عاداتهم وسخر بآكلهم وطبخهم ودخل دورهم فسخر بمعاملة سيدات الدور للخدام خرج من الدور فراقب الانكليز في لهوهم وحظهم ومراكمهم فلم يوفر



لم أذواقهم في هذا اللهو وهذا الحظ وهذه المراكب ثم حرف نظره الى هيآت الانكليز فسخر بهذه الهيآت وبيعض ثياب أصحابها كما سخر بيلادة الانكليز وطبائعهم وتحياتهم واجتماعاتهم ومعتقداتهم ومعاملاتهم الرسمية .

واذا تعذر الاستقصاء في أنواع هذه السخرية كلها فلا أقل من الإشارة الى بعضها .

مساكين هؤلاء الرهبان الذين وقعوا في لسانه ، كان يتكلم على الأساقفة في قري الانكليز وعلى منزلتهم في الناس فقابل بين ترفهم ونعيمهم وبين حضم للناس على التقشف فقال :

وربما بلغ دخل أحدهم ألف ليرة فترى له أحسن الديار وعنده خدمة وعاجلة فاخرة وخادم يسوقها وعلى يربطته شريطة من ذهب كخدمة الأسماء ثم اذا صعد المنبر وعظ المساكين المحتاجين الى القوت الضروري بالزهد في الدنيا وتجنب شهواتها ! . . .

أي مقابلة أبلغ من المقابلة بين ترف هذا الأسقف في حياته وبين دعوة الناس الى الخشونة . . .

أما طبقة الشرفاء في بلاد الانكليز فكانت سخريته بسخافاتهم فهي اذا خلت من الأذى فانها لا تخلو من الإضحك ، وهذه هي مراسم زيارتهم .  
« وينبغي لمن أكرمه الله عز وجل بزيارة أحد هؤلاء الأبحاد والماجداث إلا بذهب إلا في وقت الزيارة المعلوم وهو بعد الضحى وأن يكون مجتلاً باللباس الفاخر نظيف الثياب حلقاً شاربية مرجلاً شعر رأسه بارداً أظافيره ماسحة نعليه سائراً كفتيه يجلد أبيض فان قولنا : المرء بأصغريه ، ولا تكلمك العبادة وانما يملك صاحبها ، ورب حرر نوبه خلق لا محل له من الإصراب عندهم » .

وقد تكون اللفظة في بعض الأوقات هي التي توجي الى الشدياق روح السخرية فمن قوله بعد أن وصف ما وصف من عادات أبحاد الانكليز وتقاليدهم : وفي الجملة فإن معاشره هؤلاء الرؤس نتعب الرأس والرجل معاً وتضيع كثيراً من الوقت والمال وربما دعاك أحدهم الى غداء فقام عليك ذلك الغداء مقام عشرة أغذية . .

أما نساء الانكليز فقد ضربهن في المقاتل لما تعرض لعفتين . كان يصف الزواج ومراسمه فقال :

ولا بدّ للمتزوجة أن تلبس خاتم الزواج في ينصر يدها اليسرى ومن لم يكن لها خاتم لم تحسب متزوجة وان كان لها خمسة بعول .

ولم تكن سخريته بالمجتمع الانكليزي أقل من سخريته بالانكليز أنفسهم فقد راقب في هذا المجتمع آداب القوم في المآدب وبعض عاداتهم فوجد فيها مادة للسخرية . قال في بعض هذه المآدب .

أدبي أو أدب طربوشي أحد الوجوه في كبريج الى أن أشرب الشاي معه فقال : هل لك في أن تشرب الشاي معنا في إحدى الليالي ولكن بعد ثلاثة أسابيع قلت : نعم ، حتى اذا مررتُ اليه لم أجد على المائدة غير الصنف المعتاد منه مع أني كنت أظن أن توفيت تلك المدة انما كان لجلبه من بعض البلاد . ولئن سخر بغرابة عادات الانكليز في مآدبهم فقد سخر ببخاهم فقال لزوجه : ثم ينبغي لك اذا دعينا الى وليمة عند أحد أكلهم أن تأكلي هنا من قبل أن تذهبي فان المدعوين لا يأكلون عند أدبهم حتى يشبعوا ولكن يشبعون حتى يأكلوا . . .

ولقد كانت سخريته بما يتعلق بالمآدب والطعام خصبة فمن عادة الانكليز أن يدخروا صنوفاً من الطعام فقال الشدياق : فربما كان عمر السمكة بعد صيدها أطول منه قبله .

وكيف يمرّ الشدياق بالانكليز فيرى حياتهم ولا يفتن الى ثيابهم فمن  
سخريته بخياطة هذه الثياب قوله :

فان من يشتري ثوبا مخيطا في لندرة يلزمه أن يستأجر معه خياطاً يصلحه  
له في كل يوم .

والخلاصة اذا لم يجد الشدياق أحداً يسخر به يسخر بنفسه من ذلك سخريته  
في مقدمة فصل عنوانه : الثلج :

لاضرو أن يجد بعض القارئین كلامي في هذا الفصل بارداً لاني كتبت  
في يوم عبوس فطير ذي زمهرير !

\*  
\*\*  
\*

أكنفي بما أشرت اليه من أنماط سخريّة الشدياق ولم أعرض هذه النماذج  
لمجرد العرض وحده وانما أحببت أن أستخرج من كل ما ذكرت أن الشدياق  
اذا خلق في ظلمات القرن التاسع عشر فقد عاش بعقله في ضياء القرن العشرين .  
لقد سبق عصره وتمدّاه وانتقل بعقريته الى العصر الذي بعده فلئن كان نائراً  
في مقدمة الثائرين فقد كان مجدّداً في طليعة المجدّدين ومصلحاً على رأس المصلحين .

يقول « اندره موروا » في فصل من كتابه : دراسات أميركية : من  
الكتب كتب تنزل حين صدورها منزلة الآيات البيّنات ثم لا تلبث أن تموت  
بعد بضع سنين وأن ينساها الناس على وجه الدهر ، ومن الكتب كتب ثلث  
الشعور حين صدورها فلم ترق الناس إلا أنها احتفظت بشباب عجيب ودخلت  
جنّات الخالدين .

فاذا صحّ هذا القول وأظنه صحيحاً فان كتابات الشدياق جرحت بعض

الشعور حين ظهورها إلا أنها على الرغم من ذلك احتفظت بشبابها وإذا لم تدخل حتى اليوم جنات الخالدين فقد آن لها أن تدخل هذه الجنات .

لقد أبدع الشدياق في كتاباته حلاً للحياة الاجتماعية في القرن التاسع عشر ولكنه أبدع هذا الحل بروح جديدة في الأدب وهي السخرية ، أنا نعيش في عصر تبانت فيه العقائد وتباعدت المذاهب وتفاوتت مهاب الأفكار الحديثة وكل واحد يدافع عن عقيدته ويناضل دون مذهبه ويرامي دون مهاب أفكاره ولكن كل واحد لا يستطيع أن يضبط من جراح بيانه أو لسانه وإذا قبح شيء في هذا الدفاع وهذا النضال وهذه المراماة فلا يقيح شيء مثل جراح البيان واللسان فإذا علّمنا الشدياق أمراً فقد علّمنا هذه السخرية في تقويم كل اعوجاج واصلاح كل فساد ولا شك في أنها تعمل في العقول ما لا يعمله أي جراح كان .

مخفي جيري

## العلاقات الجوهرية

بين اللغتين العربية والآرامية « السريانية »

في النواحي التاريخية والفنية واللغوية والأدبية

- ٣ -

ونحن نخالفهم جميعاً لسببين : الأول لأنهم اختلفوا جميعاً ولم تكن آراؤهم إلا من قبيل الحدس والتخمين ، ولا يمكن بناء حقيقة لغوية وتاريخية على الظن والحدس والتخمين ، والثاني لأنني لا نرى موجبا في هذه الحادثة يحمل امراً القيس أمير العرب على أن يجعل « بنيه » فوارس « للروم أو للفرس » ، ولا سيما أن الأستاذ رودنسون درس امكان انجياز امرى القيس هذا الى جانب الروم والفرس ، وخرج بنتائج مبهمة متناقضة رغم تحرياته الكثيرة ، ولذلك اضطر الى سبر غور هذه الجملة ( فرسو لروم ) في اللغة السريانية فنقول :

يحتمل التصور أن تكون كلمة « فرسو » مستمدة من كلمة ( الفارس ) العربية أو من كلمة ( هُتْمَا ) السريانية ، إلا أن ( هُتْمَا ) فرسو في حالتها الحاضرة بعيدة عن هذا المعنى بالنسبة الى صيغتها الفعلية ، لأنها أي ( فرسو ) ( هُتْمَا ) فعل ماضٍ لجمع الغائب ومعناها بالضبط ( بسطوا ، نشروا ، مدوا ، انشروا ، سموا ) .  
وأما الكلمة الثانية من الجملة فهي ( لروم لاصح ) ومعناها العلي والمعالى وما الى ذلك ، وتكون القراءة الصحيحة لهذه الجملة « فسحوا الى العلي أو المعالى » ، ولا سيما أنها أردفت بالجملة العربية الفصيحة وهي « فلم يبلغ ملك مبلغه » .  
ونستطيع هنا الخروج بالنتيجة الأخيرة وهي أن هذه الجملة جملة آرامية توضح سمو الانتصار الذي أحرزه ( امرؤ القيس ) لقبيلته وبنيه ، وهي عندنا أصح من

كل المعاني التي أضفاها عليها علماء الساميات لجهلهم روح اللغة الآرامية ، وترجمة ألفاظها بدقة .

٥ - بقيت لدينا الكلمة الأولى من السطر الخامس من هذا الرقيم الهام وهي (عكدى) ، وقد أثبتنا الأستاذ ولفسون في « الحول » (عكدى) ، وقرأها الأستاذ رودانسون « قط وهلك » ونحن نخالفهما في ذلك ونقول إن الكلمة هي « عكرى » لا « عكدى » كالقلم السابقة « عكرى » ، ولكن يختلف معناها بالآرامية عن الأولى ، فعلنا أن تلك معناها « منع ، عطل » ، أما هذه فهي مستمدة من كلمة « عكرا حضا » ومعناها « ذرية ، سلالة » قبيلة « منها ( ص ٤٤٠ ) . ونحن نميل الى إعطائها أحد هذه المعاني ، وتكون قراءة الجملة كما أثبتناها : « وذريته أو قبيلته ، وهلك سنة ٠٠٠ » ، وهي معطوفة على الجملة السابقة : ( فلم يبلغ ملك مبلغه وذريته أو مبلغ ذريته وقبيلته ) . تبلغ هذه الكتابة زهاء ٤٨ كلمة تتخللها إحدى عشرة كلمة آرامية وهي من الجمل البليغة بالآرامية كجملة ( امر التاج ههنا ) و ( فر » ههنا » سموا الى العلى ) وغير ذلك من دقائق الآرامية ، وما عدا ذلك فإن وضع كثير من الكلمات العربية يشبه الوضع الآرامي الغربي ، أي بالإمالة الى الضمة الأخيرة كقوله : « نزارو ، معدو ، كلهن - كهن » أي كلهم ، فرسو » ، وهنا يجب أن نعلن أن في هذا الرقيم تجمعت مادة من اللغتين الشقيقتين وهو ما يؤيد تعاونهما وسيرهما جنباً الى جنب في مختلف عصور التاريخ .

واذا تقدمنا نحو الجنوب ، نجد هناك مدينة كاملة آرامية وعربية هي مدينة الانباط التي ظهرت في شبه جزيرة طور سيناء على أنقاض المملكة الآدومية ، وكانت عاصمتها ( سلع ) وهذه كلمة آرامية وعبرية معناها الصخرة الناتئة (١) .

(١) قاموس أودر السرياني ص ١٩٨٢ وقاموس منا السرياني العربي ص ٧٩٥

وسماها اليونان بـ Petra كما عرفها العرب بـ (البطراء) أخذاً عن الكلمة اليونانية ، وتوسعت مملكة الأنباط (أو النبط أو النبط) فانحدرت الى بلاد الحجاز من جهة ، ثم صعدت شمالاً حتى بلغت صحراء سورية وشملت دمشق ووصلت الى أطراف نهر الفرات .

أصبحت هذه المملكة بين القرنين الرابع والخامس ق . م ، وقروها الرومان سنة ١٠٦ م ولعبت أدواراً هامة في تأريخ الشرق العربي .

يمتد علماء الساميات أن النبط خليط من أقوام آرامية وعربية<sup>(١)</sup> ، لانتشارهم في بلاد عربية واسعة حتى عرفت مملكتهم في طور سيناء باسم بـترا العربية ، ولأن لغتهم الآرامية تخللها ألفاظ كثيرة عربية ، ولوجود أعلام كثيرة شبيهة بالعربية في تاريخهم ، وكذلك أسماء الأصنام العربية .

أما لغة حضارتها فهي الآرامية رغم تغلب العناصر العربية على العناصر الآرامية المؤسسة لهذه الدولة في أيامها الأخيرة ، وإذا أضفنا الى كل ذلك أسماء الاعلام المستمدة من العربية كأذينة ، وعبد ، وأوس ، وأسد ، ومعن ، وجذيمة ، وأوس الله ، وعمرو ، وعمر ، وعميرة ، وبرغوث ، وبكر ، وحضل ، ورجب ، ولظم ، وكعب ، ووهب . (وقد ذكرها جميعاً الأستاذ ليتمان في بحثه في الاعلام النبطية بالإضافة الى جملة أعلام مستمدة من مصادر يونانية ورومانية وفارسية)<sup>(٢)</sup> ، نستطيع القول ان اللغة العربية سارت مع الآرامية في هذه المملكة جنباً الى جنب كل تلك المدة الطويلة ، وتأثرت كل منهما بالأخرى ، ولعمري انها لغة طويلة المدى استطاعت ان تقدم للتاريخ مدنية خاصة آرامية عربية أو عربية آرامية .

وقد قرر علماء الساميات أن لغة النبط الآرامية والآرامية وارتباطها بالعرب اتصالاً مباشراً أثر تأثيراً واضحاً في الحضارة العربية الوثنية القديمة ، وأفادت منه اللغة العربية فوائد عظيمة في شمال الجزيرة <sup>(١)</sup> .

ووجدت آثار اللغة النبطية ( الآرامية والعربية ) في جميع المناطق التي تبوأها هذه الدولة ، وظهر بعضها في منطقة بصرى الشام ، وبعضها في منطقة البتراء نفسها ، والبعض الآخر في العلى بالحجاز ، وهي آثار متشابهة إلا أن الرقيم المكتشفة في بصرى تمتاز عن بقية الرقيم بظهور مسحة رومانية عليها ، وهذا لا يشوه كيانها الخاص الآرامي العربي . ونستدل من هذه الآثار على أن اللغة الآرامية ، وإن تخللتها عناصر عربية هامة ، قد حافظت على كيانها ، بل طبعت العناصر العربية بطابعها الخاص . مما أدى إلى إمداد العربية بمادة آرامية غنية . وأقدم الرقيم النبطية يعود تاريخه إلى سنة ٣٣ ق . م ، وأحدثها بعد زوال الدولة سنة ١٠٦ م .

درس الأستاذ ليمان آثار النبط دراسة دقيقة ، وخرج بنتائج هامة تاريخية ولغوية ، واننا نستمد هذه الآثار الكتابية ، وهي آثار ضاربة غالباً درسها كثير من علماء الساميات <sup>(٢)</sup> وهذا أحدها :

#### (١) رقيم فهر وجذيمة

يتكون هذا الرقيم من ثلاثة أسطر قصيرة ، وقد وُجد في أم الجمال من أعمال شرقي الأردن ، وذهب الأستاذ ليمان إلى أنه دُون في عهد غير بعيد من العهد الذي دُون فيه رقيم النمارة الآنف الذكر ، واليك ذلك كما ورد بعد قراءته :

(١) Corpus Inscript. Semitic, Pars 11 nos 157—189. وراجع أيضاً ص ٢١٥ من

. Cooknorth : Semitic Inscriptions

Monnaies Nabatiennes. Revue Numismatique 1905.

(٢)



وهذه ترجمته<sup>(١)</sup>

## الأصل

- (١) دنه نقشو فهر (١) هذا قبر فهر  
 (٢) بر سلي ربو جذبة (٢) ابن المحارب العظيم جذبة  
 (٣) ملك تنوخ (٣) ملك تنوخ

استعرضنا هذا الرقيم في كتاب اللغات السامية للدكتور ولفسون ، فارتبنا في ترجمة السطر الثاني منه لورود كلمة (ربو) وضنا ( بعد لفظة (سلي) ) وقد أثبت معنى (ربو) ، ربي ، وهذا المعنى ليس صحيحاً لهذه الكلمة فان معناها الصحيح هو (العظيم ، الكبير وما إليها) . فاذا وضعناها في معناها الصحيح بعد كلمة (سلي) واعتقدنا «سلي» علماً يفسد معنى السطر كله تماماً . لذلك اضطررنا الى الشك أيضاً في كون كلمة (سلي) علماً ، وعدنا الى معاجم اللغة السريانية نستقصي معنى (سلي) فوجدنا أنها لا يجب أن تقرأ (سلي) بل (شلي) بالشين . وقد توهم من قرأها بالسين ، ونحن نعذره لأن حرفي السين والشين لها رسم واحد في الأبيدية النبطية ، والشاهد على ذلك أن الحرف ذاته وبصورته هذه قرأوه في رقيم آخر (شينا) لا (سينا) ، وعلى ذلك يكون تقديرنا بكونه (شلي) صحيحاً . ثم نعود الى كلمة (شلي) نفسها فلا نجد لها علماً بل صفة تابعة للعلم (فهر) ومعناها (المحارب) أو (المقاتل) ، وهي مستمدة من كلمة (حككا) شلولو أي (معركة ، اشتباك الحرب ، الحرب)<sup>(٢)</sup> . أما فعلها فقد ضاع في السريانية ، وبكل تأكيد كان موجوداً في الآرامية سابقاً . ونقدر أن يكون (حـ شل) فتكون كلمة (شلي) مأخوذة من

(١) ان كلمة «نقشو» بالسريانية ما عدا النفس تني أيضاً . هـ م . قبة مدفن .

منا ص ٤٦٠ ، وهي كما عراها الآراميون سابقاً تماماً .

(٢) قاموس أودو السرياني ص ٩٨٢ استناداً على شرح القوي الآرامي بن شرويشون ،

وقاموس منا السرياني العربي ص ٧٩٠ .

فعل ( شل - الحرب ) ومعناها بالضبط ( المحارب ) ؛ وإذا شفعناها بكلمة ( ربو ) يستقيم المعنى تماماً ، لأن ( ربو ) العظيم وضعت صفةً للمحارب ، فنقول ( المحارب العظيم ) كما أثبتناها ، ويكون الرقيم إذا « افش فهر بن جذيمة » لا « فهر بن سلي » كما أثبتنا ولفنسون<sup>(١)</sup> .

أما اثباتنا في عدم صحة الترجمة في السطر الثاني فهو في محله ، لأن هناك آراء مختلفة حول ( سلمي ) ، فذهب الأستاذ ليمان الى أن لفظ سلي بمحتمل أن يكون مشتقاً من ( سليم ) العربية ؛ وبفضل نولدكه أن يكون هذا اللفظ ( سلاه ) ؛ وبوثر الأستاذ ولفنسون أن يكون من ( الأسماء الآرامية الأصلية )<sup>(٢)</sup> ، وهو نعمت ( لا علم ) كما أثبتناه ، وما يلاحظ أن هذا الرقيم صيغت ككلمته بحسب اللهجة الآرامية العربية أي بالإمالة نحو الضمة الخفيفة ( الزقاف ) .

وقد أثبت الأستاذ ولفنسون في كتابه ( اللغات السامية )<sup>(٣)</sup> رقماً أخرى من الرقم النبطية ، وهي كالرقيم السابق ضاربجة كلها ، ولم نر حاجة إلى إثباتها لأن جميع هذه الرقم لا تتمدى أن تكون لغتها آرامية ، وفي بعضها جنوح الى الأسلوب العربي ، وفي البعض الآخر أسماء أكنام عربية ، وهذه الأمور تفيدنا في إثبات أن اللغتين الآرامية والعربية تفاعلتا في مدينة الأنباط ، فكونتنا هذه اللهجة الخاصة التي نراها في هذه النقوش .

وهناك لون جديد آخر في المدينة الآرامية العربية ، وهذا يظهر لنا في آثار مدينة تدمر ، وهي أحدث عهداً من المدينه النبطية ، فان نقوشها الاثرية لا تتجاوز القرن الأول قبل الميلاد ، ويمتد تاريخها الى القرن الثالث ، ولكنها مفيدة جداً بالنسبة الى موضوعنا هذا .

(١) تاريخ اللغات السامية ص ١٣٩ .

(٢) اللغات السامية ص ١٤٠ .

(٣) اللغات السامية ص ١٤١ - ١٤٤ .

إن كلمة « تدمر » لاصححة « آرامية معناها « الأفعوية » ، وهي من المدن القديمة جداً ، ذكر سفر الملوك الأول أن سليمان الملك بناها في البرية ، ومما يكن الأمر فأنها أقدم جداً من الآثار المنقوشة الباقية على أنقاض هياكلها القديمة وأساطينها التي ما زال بعضها واقفاً . واشتهرت تدمر بتجارها الواسعة فأمرها التجار من الهند والفرس والعراق وسورية وفلسطين ومصر وأوربة ، وكانت رومة سيده العالم القديم تهاب جانبا فنحتها حقوقاً خاصة لم تمنحها لغيرها من مدن الشرق الخاضعة لسلطانها .

وما بهنما في موضوعنا هذا لغتها وتعاون لهجتها هي واللغة العربية ، وقد كانت القبائل التدمرية من العنصر الآرامي امتزجت به بعض العناصر العربية ، وهو ما أبقي من لهجتها الآرامية آثاراً عربية بيّنة ، كما أثرت لغتها الآرامية باللغة العربية تأثيراً مهماً ، وأعظم ناحية عربية في لغة تدمر هي الأعلام العربية وما إليها بالإضافة الى تأثرها بألفاظ يونانية ورومانية كثيرة .

ظهرت معظم الآثار التدمرية في منطقة تدمر ، ووجدت نقوش تدمرية في إفريقية ورومة وإلاد الحجر وانكلترا لأن جموعاً كثيرة من التدمريين دخلوا الجيش الروماني <sup>(١)</sup> .

ومما تجدر الإشارة إليه أن الأستاذ ولفسون ذهب الى أن لغة تدمر « تشبه اللهجات الغربية الآرامية على أن ألفاظاً كثيرة كانت في نطقها قريبة من النطق المألوف في الآرامية الشرقية » <sup>(٢)</sup> ، وكنا قد علقنا على هذه النظرية في لمحتنا « تحقيقات تاريخية لغوية في حقل اللغات السامية » وقلنا إن اللهجة التدمرية هي لهجة آرامية غربية صرفة ، وسبب ظهور بعض الألفاظ بمسحة اللهجة الشرقية يرجع الى اتصالها باللغة العربية <sup>(٣)</sup> . والآن نؤيد رأينا نظراً لما نراه في هذه اللهجة من الصبغة الغربية الصرفة .

(١) شابو تعريب الأستاذ شكري لورنس ، نشره الأستاذ مراد سري جلي ص ٢٨ .

(٢) ولفسون ص ١٢٨ .

(٣) تحقيقات تاريخية لغوية ص ٣٦ .

ان لغة تدمر الأولى ، وإن كانت خالية من اللفاظ العربية ، بعكس اللغة النبطية ، إلا أننا نعتقد أن عناصر عربية دخلتها بعد امتزاج العناصر العربية بقياتها الآرامية ، وعلى الأخص بعد سنة ٢٧٢ م حينما انتهت سيادة المدينة بأمر ملكتها بالأسلة الزباء <sup>(١)</sup> إذ كثرت العناصر العربية رويداً رويداً ، وتحول الشيء الكثير فيها الى اللون العربي ، ومن الطبيعي أن تتأثر اللغتان الآرامية والعربية بهذا التمازج العنصري الشديد .

وقد درس علماء الساميات لغة تدمر الآرامية دراسة وافية ، واستخرجوا منها فوائد لغوية وتاريخية هامة ، وأشهر الذين درسوها ونشروها الأستاذ ليدزبارسكي <sup>(٢)</sup> ، وكايرمونغانو ، وود الذي نشر رقماً تدمرية هامة <sup>(٣)</sup> ، وودي فوغوبه <sup>(٤)</sup> وغيرهم . ونجد مدينة آرامية عربية أخرى في مدينة الحضر العراقية مشابهة تمام المشابهة لمدينة تدمر ومعاصرة لها ، فلغتها آرامية صرفة إلا أن الأقوام التي عمّرت هذه المدينة كانوا على الأرجح خليطاً من الآراميين والعرب كما كانت الحال في تدمر وفي البتراء ، وقد ذهب المؤرخ جورج رولنسون الى أبعد من ذلك فأورد آراء المؤرخين القدماء ، وذهب الى أن سكان الحضر كانوا عرباً خالصاً . ومعنى ذلك أنهم كانوا يتكلمون العربية بطبيعة الحال لكونهم عرباً ، ولكنهم كانوا يدونون أخبارهم بالآرامية ، بدليل ظهور آثار آرامية صرفة في هذه المنطقة ، وقد نقل صديقنا الأستاذ فؤاد سفر في مقاله النفيس « حفريات الموسم الأول - الحضر » المنشور في مجلة « سومر » التي تصدرها مديرية الآثار القديمة العامة في بغداد ، نقل كلام المؤرخ المشار اليه ، ونحن ننقله هنا لفائدته

(١) ولندسون ص ١٣٣ .

(٢) Handbuch der Nordsemitischen Epigraphik

(٣) Wood : Les Ruines de Palmyre, Londres in — Fol.

(٤) M. de Vogüé : Syrie Centrale Inscriptions Sémitiques « 105 Nos. »

الكبرى في موضوعنا هذا . قال : « الحضرة عاصمة لمجتمع عربي في عصر الانباط طربانس ، فقد استوطنت القبائل العربية مناطق من الجزيرة منذ أقدم الأزمان ، وعدة زنفون الأرضين المحصورة بين الخابور وبلاد بابل جزءاً من جزيرة العرب ، وعدتها سطرابوت فسماً من العريّة الصحراوية ، وظهر العرب في الجزيرة العليا في زمن بوهي ، وذكر بلوطارخ وايان أن سكان مملكة الرها كانوا عرباً ، وذكر كرت الحضرة في حروب طربانس لأول مرة ، وقيل عن أهلها كلما ذكروا منذ تلك الحرب بأنهم عرب <sup>(١)</sup> » ، وأضاف الأستاذ سفر بقوله : « وشخصهم عرباً ديوكاسيوس أشهر من كتب من الرومان عن الحروب بين الفرس والرومان » .

ثم يعود الأستاذ سفر فيعلق على هذا معللاً سبب وجود اللغة الآرامية في آثار الحضرة فيقول : « ولا يمكن أن نتخذ الكتابة الآرامية المكتشفة في الحضرة دليلاً على أن الحضرة بين كانوا آراميين ، لأن الآرامية كانت سبب تلك العصور لغة المعاملات التجارية والتداول والتراسل ، بين شعوب الشرق على اختلاف ألسنتهم ، فقد كتب بها ملوك الفرس الاشكانيين ( الاشكانيون ) ، وكذلك ملوك الدويلات التابعة لهم ، ويحتمل جد الاحتمال أن دون بها العرب الحضرة عرباً ، ونترصد في التنقيبات المقبلة في هذه المدينة الى أدلة تاريخية قد تليق ضوءاً على هذا الموضوع » <sup>(٢)</sup> .

ونحن لا حاجة بنا الى مناقشة هذه النظرة لعدم وجود مصادر ثابتة الى الآن تؤيدها او تنفيها ، وإن كان المؤرخون القدامى قرروا ذلك ، وحاجتنا فقط الى

(١) نواد سفر عن المؤرخ جورج رولنسون من كتابه The sixth Great Monarchy

ص ٣٣٤ - ٥ .

(٢) مجلة سومر الجزء الأول المجلد الثامن سنة ١٩٥٢ ص ٤٦ .

التصريح بأنه سواء كان سكان الحضر مزيجاً من الآراميين والعرب شأن  
سكان تدمر والبطراء ومملكتيهما ، أو كانوا عرباً خالصاً ، فمن المؤكد وجود  
اللغتين الآرامية والعربية في هذه المدينة جنباً الى جنب . ومن المؤكد حدوث  
التقاء طويل وتفاعل كامل بينهما في هذا الصعيد الموحد ، ولا بد لهذا التفاعل  
من ترك آثاره في كلتا اللغتين حسبما شاهدنا في مملكتي تدمر والبتراء .

ومع ذلك لا نرى الا أن سكان الحضر كانوا مزيجاً من العرب والآراميين ،  
شأنهم شأن سكان البتراء وتدمر . وبما يقوي رأينا هذا ورود اشارات تاريخية  
صريحة عند بعض الكتبة وهي أن ( الساطرون ) كان جرمقانيا <sup>(١)</sup> وقومه  
جرماقة <sup>(٢)</sup> ، والجرامقة اراميون بشهادة كثير من المؤرخين <sup>(٣)</sup> ، ونولدكه وهو  
من المستشرقين يؤكد أن ( الجرامقة ) من أصل آرامي او نبطي <sup>(٤)</sup> ، وطبعاً  
لا يمكن الجزم بأن جميع السكان كانوا ( جرامقة ) . وقد ذكر الأصهباني  
أن العباد من قضاة ، وم نصارى العرب ، نزلوا الحيرة ، فهزمهم شابور ، فصار  
معظمهم ومن فيه نهوض الى الحضر من الجزيرة بقودم الضيزن بن معاوية  
التنوخى ، ففضى حتى نزل الحضر ، وهنا الساطرون الجرمقاني فاقاموا به <sup>(٥)</sup> .  
وهذا يكفي الآن للدلالة على وجود الأقوام الآرامية ، ثم على ورود موجة  
عربية من قضاة وتزودهم عليهم ، مع العلم أنه أطلق على أحد الضيازن اسم  
( برشيبا حاصلاً ) ومعناه ( ابن السماء ) فتأمل .

(١) الاغاثي الجزء ١١ ص ١٦٢ ومعجم البلدان ( مادة الحضر ) .

(٢) ابن خلدون الجزء الثاني ص ٢٤٩ .

(٣) احمد ابن الفقيه الهمداني مختصر كتاب البلدان ص ٧٧ و ١٣٦ .

(٤) مجلة لغة العرب السنة الثالثة ( ١٩١٣ - ١٩١٤ ) ص ١٧٢ ، التنبيه والاشراق  
للسودى ص ٦٨ .

(٥) الاغاثي جزء ١١ ص ١٦٢ .

الى الآن كنا نتكلم عن المدينة المشتركة بين العرب والآراميين في عهد الوثنية ، وقد رأينا هاتين الأمتين الشقيقتين متلازميتين متجاورتين منذ أبعد عصور تاريخها الموحد ، كما رأينا لعتيها منساندتين متعاونتين منذ نشوئها الى عهد النضج والانتاج ، والآت ننقل الى العهد المسيحي لتجد اللفتين الساميتين متأسكتين في عروة وثقى لا تنفصم .

ثم هذا اللقاء في مدينة الحيرة العراقية ، وكانت تبعد عن الكوفة ثلاثة أميال الى جنوبها <sup>(١)</sup> ، وعن النجف مسيرة ساعة للفراس الى جنوبية الشرقي <sup>(٢)</sup> وفي هذه المدينة تجتمعت قبائل عربية كثيرة من العنصر العربي ، وحكمتها سلالتان عربيتان هما التوخيون والخصميون ، وورد ذكر بعض قبائلها العربية مثل مذحج وطى وكنب ونعيم <sup>(٣)</sup> ومن المؤكد أن النصرانية سادت في الحيرة قبل القرن الرابع الميلادي <sup>(٤)</sup> . والى جانب هذه الجموع العربية العربية في القدم كنا نرى في فجر تاريخها طوائف كثيرة من النبط <sup>(٥)</sup> ، وهم لا شك آراميون عنصراً ولغة ، وما يؤيد تمازج العرب وهؤلاء الآراميين ما ورد في أمالي السيد المرتضى أن خالد بن الوليد ( رضي الله عنه ) لما فتح الحيرة سأل عبد المسيح ابن بقبلة : أعرب أنتم أم نبط ؟ أجابه عرب استنبطنا ، ونبط استعربنا <sup>(٦)</sup> وكان هناك أقلية فارسية <sup>(٧)</sup> وجالية يهودية <sup>(٨)</sup> ، إلا أن الأثرة الساحقة

(١) معجم البلدان ( مادة حيرة ) .

(٢) لامنس ( المعلقة الاسلامية مادة حيرة ) .

(٣) معجم البلدان ( مادة حيرة ) .

(٤) النصرانية وآدابها لشيخو ص ٤٥٢ - ٤٥٣ .

(٥) الاغانى ١٦ : ٥١ .

(٦) امالي السيد المرتضى ١ : ١٨٨ .

(٧) كلهو اثور الجزء ٢ : ٢٦٦ .

(٨) الطبري ٨ : ٢٤٨ .

من سكانها كانوا من العرب والآراميين ( النبط ) . وقد أطلق المؤرخون العرب اسم ( نبط العراق ) على بقايا البابليين والآراميين في العراق ، وهم الذين يتكلمون الآرامية <sup>(١)</sup> ، وسماها المؤرخون النصارى ( يث أرميا ) أي ديار الآراميين <sup>(٢)</sup> .

من هذا كله نستنتج أن اللغتين الآرامية والعربية تصاختا في هذه المدينة أيضاً ، وحصل امتزاج بين سكانها المنتسبين إلى هاتين الأمتين العربيتين ، الأمر الذي يؤكد انما-حقيقة تأثر اللغتين احدهما بالآخرى ، إلا أن اللغة العربية على ما يظهر كانت لغة الأدب والدوائر الرسمية وإلى جانبها اللغة الآرامية في كثير من مرافق الحياة .

ومن المؤكد ان العلم والأدب كانا زاهرين في الحيرة إبان مجدها ، وقد ورد في المزمع للسيوطي أن أول من كتب بالعربية حرب بن أمية بن عبد شمس تعلم من أهل الحيرة <sup>(٣)</sup> . وقد وردت نصوص تاريخية زاخرة تروي اخبار مدارس الحيرة منذ اقدم عصورها ، وحدثننا صاحب الاغانى أن المرقش الأكبر وهو ابو عمر الشيباني ، وأخاه حرملة ، درسا الكتابة على نصيراني من أهل الحيرة <sup>(٤)</sup> ، وقصة ( صحيفة المتلمس ) الشاعر الجاهلي مشهورة في الأدب العربي ولجلل الشاعر القراءة طلب إلى صبي من أهل الحيرة قراءة الصحيفة المشؤومة <sup>(٥)</sup> .

وكان الحيريون يدرسون اللغة العربية لكونها لغتهم العنصرية ، ويدرسون الآرامية السريانية وهي لغة طقوسهم الدينية وبها كانوا يجبرون شعائرهم الروحية

(١) مروج الذهب للمسعودي ١ : ٨٥ .

(٢) السهادرسات الشرقية ، طبعة شابر من ١٩٦٧ .

(٣) المزمع للسيوطي ٢ : ٢١٥ .

(٤) الاغانى ٥ : ١٨١ .

(٥) الاغانى ٢١ : ١٢٥ .



وهي أيضاً لغة قسم عظيم منهم يتكلمونها في يوغتهم ، وتخرج كثيرون من العلماء في الحيرة يتقنون اللغتين الشقيقتين أمثال حنين بن أسحاق العبادي الحيري ، مؤلف المعجم الآرامي الشهير ، ومترجم العلوم اليونانية الى الآرامية والعربية <sup>(١)</sup> والأسقف الحيري حناني يشوع مؤلف المعجم الآرامي العربي الذي استند عليه كثير ابن جلول في معجمه الشهير <sup>(٢)</sup> .

وعما لا شك فيه ان كنائس الحيرة ودبورنها <sup>(٣)</sup> الكثيرة العدد ساهمت مساهمة فعالة في نشر العلوم والآداب العربية والآرامية جنباً الى جنب بآث واحد ، لأن المعروف عن الديورة منذ فجر وجودها أنها معاهد لشق العلوم والمعارف البشرية ، واذا استعرضنا قائمة خريجي هذه الديورة ورؤسائها على

(١) أخبار العلماء لقفطي ص ١١٧ والنهرست ص ٤٠٩ .

(٢) راجع معجم ابن جلول ودوقال ، الآداب السريانية ص ٣٨٦ .

(٣) ذكر الشابشي في كتابه (الديارات) خمسة من ديورة الحيرة هي دير ابن شرعوق ص ١٤٨ ودير الحريق ص ١٤٨ ودير هند ص ١٥٧ وديارات الأسقف ص ١٥٢ وقبة الشتيق ص ١٥٥ ( من طبعة بغداد بتعليق الأديب الفاضل الأستاذ كوركيس عواد عضو المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٥١ ) ، وأورد ياقوت الحموي عشرين ديراً من أديرة الحيرة مع شيء من أخبارها بما فيها الحجة التي ذكرها الشابشي ، إلا أن الكتّابين تجنيا على حرمة الديورة وقداصة الزهادة في أخبارها ، وديورة الحيرة التي ذكرها ياقوت هي : دير ابن براق ص ١٢٠ ، ودير ابن ضاح ص ١٢٠ ، ديارات الأسقف ص ١٢٢ ، دير الأسكوك ( الأصح : الاسكول ) ص ١٢٣ ، ودير بني سريتا ص ١٢٧ ، دير الجوعة أو هو دير عبد المسيح ص ١٣٠ و ١٥٤ ، ودير الحريق ص ١٣٣ ، دير حفظة ص ٣٥ ، دير حنة ص ١٣٥ ، دير الاكبراج ص ١٣٥ ، دير السوا ص ١٥٠ ، دير البذاري ص ١٥٧ ، دير الملف ( زعم انه دير المنذاري لنفسه ص ١٥٨ ) ، دير علفقة ص ١٥٨ ، دير الحج ص ١٦٧ ، دير مارت سريم ص ١٦٨ ، دير مارغالبون ( الأصح بليون ) ص ١٦٩ ، دير الوصوق ص ١٧٧ ، دير هند الصغرى ص ١٨٢ ، دير هند الكبرى ص ١٨٣ ( معجم البلدان الطبعة الأولى في مصر سنة ١٩٠٦ المجلد الرابع ) .

الأخص نجدهم مزيجاً من العرب والآراميين اتحدوا اتحاداً كاملاً وساروا في طريق الدراسة والانتاج الأدبي جنباً إلى جنب ، وهو ما هياً جواً ملائماً لسير اللغتين إلى هدف واحد ، ولا نرى حاجة إلى ذكر خريجي هذه الأديرة جميعهم لأن ذلك ليس من صلب موضوعنا .

هذا ما نجد من الاتصال بين اللغتين العربية والآرامية في مدينة الحيرة وضواحيها ، وهو كاف لتعاون اللغتين واستمداد إحداهما من الأخرى معنى ولفظاً وأسلوباً .

وإذا ذكرنا تلاقى اللغتين العربية والآرامية في حيرة المناذرة اللغيين في العراق وفي ضواحيها ومدارسها وكنائسها وديورتها ، لا بد لنا أن نذكر إلى جانب ذلك تلاقيهما في قبائل أندادم الفساسنة ، الذين ذهبوا صعداً في معارج المعارف الروحية والأدبية ، واهتموا ببناء الكنائس والديورة أكثر من المناذرة الأمر الذي يفيدنا فوائد عظيمة في موضوعنا هذا .

فالفساسنة أو الفسانيون قبائل عربية يمنية وهم بنو مازن من الأسد من خزاعة تزححت من منابتها في حادثة سيل العرم نحو سنة ١٢٠ م ، وسكنت أولاً في منطقة من حوران وبادية الشام <sup>(١)</sup> ، ونزلت على ماء بين زيد وزمعة يقال له ( غسان ) ، فمن شرب منه فهو ( غساني ) <sup>(٢)</sup> ، ولذلك سموا ( الفساسنة ) أو ( بني غسان ) . وكانوا يدينون بال نصرانية <sup>(٣)</sup> ، وأسسوا لهم دولة عربية في هذه المنطقة ، وكانت عاصمتها ( الجابية ) في الجولان <sup>(٤)</sup> ، وامتدت دولتهم

(١) شرح مجاني الأدب ١ م ص ٥١٣ .

(٢) المقبل الفريد ج ٣ ص ٣٣١ .

(٣) حمزة الإصهاني في مجاني الأدب ج ٣ ص ٣١٢ .

(٤) المشرق م ٣ ص ٤٤١ .

بين دمشق وتدمر<sup>(١)</sup> ، ثم توسعت فامتدت من دمشق الى الرصافة على شاطئ<sup>(٢)</sup> الفرات .

والمنطقة التي سكنها الفساحنة في أول أمرهم كانت منطقة ( باسان او باشان ) المذكورة في أسفار العهد القديم<sup>(٣)</sup> ، وكان يحدها بادية سوريا شرقاً ، وغور الأردن غرباً ، وأراضي دمشق شمالاً ، وأرض جلعاد جنوباً<sup>(٤)</sup> ، وحسبما تدل المصادر الغربية أن اسمهم اشتق من اسم الماء ( غسان ) الذي نزلوا عليه . و ( غسان ) كما هو معلوم تسمية آرامية منحدرة من فعل « Gso » بمعنى فاض نبع ، تدفق<sup>(٥)</sup> ، ومن الراهن أن هذه القبائل العربية امتزجت ببقايا الآراميين الضاربين في هذه الربوع منذ أقدم العصور ، وأن منهم كانت ممالك البتراء وتدمر والممالك الآرامية القديمة في دمشق وما جاورها من المناطق السورية المحوفة وما يحيط بها<sup>(٦)</sup> . ولما كانوا يدينون بالنصرانية كما علمنا ، ويتفوقونهم ونصارى هذه البلاد بالعقيدة والطقوس الكنسية ، استحووا بنفوس متحمدين مع الآراميين سكان البلاد القدماء ويتبادلون اللغة والمذهب الديني على ما هو معلوم لدينا ، وبما لا ريب فيه أن سكان هذه المناطق من النصارى كانوا يجبرون طقوسهم الدينية باللغة الآرامية ، سواء كانوا عرباً او آراميين ، حتى الخارجين على الكنيسة السريانية انفسهم<sup>(٧)</sup> . وبما يزيد في تأصل العلاقات واستمرارها

(١) فيه ص ٢٧٣ .

(٢) المجلة البطريركية السريانية في القدس م ٥ ص ٢٠٦ - ٢١٨ سنة ١٩٣٨ .

(٣) سفر العدد . الاصحاح ٢١ العدد ٣٣ .

(٤) سفر يشوع . الاصحاح ١٣ العدد ٣٠ . وسفر الزامير ٢١ : ١٣ و ٦٧ : ١٦ .

(٥) قاموس منا السرياني الرمي ص ١١٧ وقاموس اودو السرياني ( الفل نفسه ) .

(٦) تاريخ لبنان للارتين ص ٣٦٠ - ٣٦٢ .

(٧) القصة الشبية . ليوسف داود ص ٦٨ وتقرير البطريرك مكاريوس الثالث المكي ( ١٦٤٧ - ١٦٧٢ ) . ودليل المخطوطات العربية في مكتبة باريس الأهلية

رقم ٢٢٤ .

بين العرب الفسائنة والسريان الآراميين وحدتهم الكنيسة واستعمالهم اللغتين العربية والآرامية السريانية جنباً الى جنب في سائر مصافق حياتهم الدينية والدنيوية وما لا ريب فيه أن هؤلاء العرب كانوا يتكلمون العربية في بيوتهم ، ويستعملون الآرامية في شعائر عبادتهم ، ولم يعدوا أقواماً منهم كانوا يتكلمون لغتهم الآرامية الأصلية في بيوتهم ، ويخطبون اخوانهم العرب ومواطنيهم بالعربية ، وهو ما يجمع بين اللغتين في صعيد واحد . وأما ثلاثة أمور هامة تؤيد امتزاج العرب بالسريان الآراميين وهي :

اولاً — سلاسل الاساقفة الذين تولوا أمور الفسائنة الروحية في مختلف عصورهم . وقد أوردنا المؤرخون السريان وعلى الأخص المؤرخ ميخائيل الكبير فأننا نجد هؤلاء الاساقفة مزيجاً من العرب في جميع الأبرشيات الفسائية ، فيودور رفيق يعقوب البرادعي مثلاً كان عربياً خالصاً <sup>(١)</sup> . وقد رسم ، بناءً على طلب الحارث بن جبلة الفسائي ، مع البرادعي نفسه برعاية الملكة تيودورة <sup>(٢)</sup> وكانت ولايته الروحية تشمل بلاد اليمن والمغرب والأقطار العربية وفلسطين وأورشليم <sup>(٣)</sup> ، وكانت كرسية في مدينة بصرى ، وذكر التاريخ غيره من الاساقفة المحدثين من محد عربي أمثال ( بطرس أسقف العرب ) و ( فالغ أسقف قبيلة منذر ) و ( توما أسقف يبرود ) و ( يوحنا أسقف يبرود ) و ( يوحنا أسقف حواريين ) <sup>(٤)</sup> .

(١) أخبار يوحنا أسقف آسيا خبر ٤٩ ص ٦٩٠ طبعة لاند .

(٢) فيه خبر ٢ ص ٣٧٠ .

(٣) فيه ج ٢ ص ٢٥٤ و ٣٧٠ .

(٤) تاريخ ميخائيل الكبير ص ٢٧٤ - ٣١٠ وتاريخ البطاركة لابن المبري في ترجمة بطريركيين سرجيس الثاني وخلقه بولس .

وقد ذكر المؤرخ ميخائيل الكبير كثيرين من أساقفة هؤلاء العرب في سلسله التاريخية في مختلف أبرشياتهم في درعا ، ومينونيا حوران ، والرصافة ، والرقه وغيرها <sup>(١)</sup> . ومن تعداد أسماء هؤلاء الأساقفة ومواطن تخرجهم نتأكد أن بعضهم كانوا عرباً خلاصاً والبعض الآخر كانوا آراميين أفحاحا . ولا نرى حاجة الى ذكر أسمائهم هنا لأن ذلك ليس من صلب موضوعنا .

ثانياً — ثبت الدبورة الكثيرة التي أسسها او أعاد أيام مجدها ملوك العرب الفساسنة في بواديهم وحواضرهم ؛ ومعظم أسماء هذه الدبورة عربية كدير ( العرب ) ودير ( طي ) ودير ( البنين ) ودير ( عمر ) ودير ( هند ) و ( دير جفنة ) و ( دير العقبة ) و ( دير الزنبق ) و ( دير البرج ) و ( دير عقرب ) و ( دير اللبان ) و ( دير اللوز ) وغيرها وغيرها <sup>(٢)</sup> .

وكانت هذه الدبورة رباطاً للعلم والفضيلة عصوراً طويلة احتوت بين جدرانها رهباناً وطلاباً للعلم والمعرفة من العرب والآراميين جنباً الى جنب ، ارتشفوا العلوم على مقاعد مدرسية واحدة ، ونشدوا الأدب باللغتين العربية والآرامية معاً ، وتسقف كثيرون منهم في جميع الأبرشيات العربية الآرامية التي ذكرناها وفي غيرها من الأبرشيات السريانية الواسعة النطاق في تلك العصور ، وفي دبورتها الكثيرة ، وكنائسها المنتشرة في كل مدينة وقربة من مدن سورية وبلاد العرب وما بين النهرين وغيرها .

ثالثاً — دفاع الملوك الفساسنة العرب عن الايمان الأرثوذكسي العريق بكل ما أوتوا من نفوذ وسؤدد وقوة ، ونفورهم من الذين كانوا يضطهدونهم في مملكة بيزنطية ، وقد روى المؤرخون وعلى الأخص يوحنا أسقف آسيا بطولتهم المنقطعة النظر في هذا الميدان ؛ وأهم ذلك الحملة التي جردها المنذر

(١) سلسل الاساقفة في نهاية تاريخ ميخائيل الكبير .

(٢) فيه ص ٨ والمشرق م ١ ص ٦٣ سنة ١٨٩٨ وليم م ١٠ ص ٥٢٣ سنة ١٩٠٧ .

ملك الفساسنة على بلاد الروم منتقياً منهم أعظم انتقام <sup>(١)</sup> ، واهتمام ملوك غسان بأمر سلام الكنيسة السريانية ونجاحها <sup>(٢)</sup> ، ورفضهم الميل الى مضطهديها <sup>(٣)</sup> . ولم تكلف الكنيسة السريانية بخدمة العرب الفساسنة المتحضرين ، بل بالغت في خدمة سائر العرب المسيحيين الرحل ، فأنشأت لهم طقوساً خاصة بالسريانية والعربية ، وترجمت لهم الانجيل الى العربية ، وأعطت أولادهم جميع التعاليم باللغتين العربية والسريانية ، مما يؤيد اتحاد العرب بأخوانهم السريان منذ أقدم عصور المسيحية ، وقد ذكر المؤرخ ميخائيل الكبير أساقفة كثيرين من كلاً منهم ( أسقف العرب ) ، وكان هؤلاء الأساقفة ينتقلون مع القبائل العربية النصرانية في فلولائها ، ويقومون لهم الشعائر الدينية في بيوت الشعر ، وكانوا يخدمون ( القداس ) مترجماً الى اللغة العربية عن أصله السرياني <sup>(٤)</sup> .

وبعد انقراض الدولة الفسانية ظل العرب الفساسنة متحدين بالكنيسة السريانية ومخلصين لها أشد الاخلاص ، وآثروا السكنى في المدن والخواصر والقرى في بلاد سورية ، ونزح بعضهم الى العراق وبلاد أنور <sup>(٥)</sup> ، وحدثنا عنهم العلامة ابن العبري قال : « ظل الفساسنة من ذلك الحين حتى اليوم - القرن الثالث عشر - متمسكين بمقيدة الطبيعة الواحدة ولا سيما في الحديثة وفي بلاد باعرباي ( المنطقة الممتدة بين الموصل وسنجار ونصيبين ) وفي القريش والنبك وسائر أطرافها » <sup>(٦)</sup> .

( يتبع ) ( الموصل ) غريغوريوس بولس برننام

- (١) تاريخ عثمير الدول لابن العبري ص ١٤٨ .
- (٢) تاريخ البطارقة لابن العبري ترجمة البطريك فولا .
- (٣) تاريخ ميخائيل الكبير ص ٢٨٢ .
- (٤) النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية . شيخو القسم ٢ ص ٤١٤ .
- (٥) تاريخ يوحنا اسقف آسيا ص ٣ ص ١٨٢ طبعة باريس .
- (٦) ابن العبري ، تاريخ الدول السرياني ص ٨٩ .

# الايلاف

أو

## المعونات غير المشروطة

كان أستاذنا العلامة المرحوم سليم الجندي أول من نبه أذهان هذا الجيل قبل ثلاثين عاماً إلى أن العصر الجاهلي ، إنما سُمي كذلك ، من الجهل ضد الحلم ، لا من الجهل ضد العلم ، وكان الطلاب إلى أن يستمعوا دروس العلامة الجندي قد وقر في أذهانهم ، من كتب التاريخ الاسلامي المدرسية ، وبما تلقفوا عن أساتذتهم أن العصر الجاهلي كان عصر البداوة والفطرة ، لم تزبه آثار الحضارة ، ولا معالم المدنية ، ولم يعرف أهله من العلوم الا ما دعت حياة الصحراء لمعرفته .

كان استاذنا الجندي يبدأ دروسه في تاريخ الأدب العربي بالتأكيد على نظريته هذه ، لأن الكتاب الأوحى الذي كان يستعين به الطلاب يومئذ وهو « الوسيط في تاريخ الأدب العربي » قد تضمن ما يشبه هذا المذهب الذي كان يفنده ، اذ تعرض لبحث أغراض اللغة في العصر الجاهلي ، فأشار إلى أن أغراضها لم تعد ما تقتضيه حياة البداوة والفطرة .

وكان العلامة الجندي يدال على نظريته هذه بأدلة كثيرة أذكر منها :

١ - ان اشتقاق لفظ « الجاهلية » من الجهل ضد الحلم قد ورد في بيت جاهلي شهير :

ألا لا يجهل أحد علينا فجهل فوق جهل الجاهلينا

٢ - أن لفظ « الجاهلية » لم يقترن على لسان أكثر الأئمة الا بالفاظ

« الحمية » و « العصبية » الخ ٠٠٠٠ فقالوا : عصبية الجاهلية ، وحمية الجاهلية <sup>(١)</sup>

٣ — أن اللغة العربية ، قد بلغت أوجها من النضج والاكتمال ، حين نزول القرآن الكريم بها . واللغة هي العنوان الأوضح على حضارة الأمة ورقبيتها ومدنيتها ، لأنها هي وسيلة التعبير عن مظاهر الحياة العقلية والارادية وال عاطفية <sup>(٢)</sup>

واحدة العرب التي وعنتها الدواوين والمعاجم ، والنصوص الثابتة القطعية ، تدل مفرداتها على أن العرب في جاهليتهم ، لم يكونوا قوما جهلاء ، وإنما كانوا قوما قد بلغوا من العلم والعرفان مبلغا تحسدهم عليه أكثر الأمم المعاصرة .

واذكر ان العلامة الجندي قد مضى في التدليل على نظريته هذه ، فأورد من الأمثلة والشواهد ، ما لا بدع قولاً لقائل :

فمنها — أنه وجد أن العرب قد وضعوا أربعين لفظة مختلفة المعاني لثمرة « العنب » منذ أن يبدأ زهرة الى أن يصبح زيباً . وهذا يدل على التنبع العلمي والاستقصاء ، وصرافة النبات وثمره وزهره وما بينهما .

ومنها — أن العرب لم يدعوا في التشریح صفيرة ولا كبيرة الا أحصوها ووضعوا أسماء لجميع المسحيات .

وقد كشف عن هذا الجهد العلمي الرائع أساتذة كلية الطب في جامعة

(١) ورد هذا المعنى في حديث رواه مسلم في صحيحه ، ج ٤ ، ص ٢١٣٤ ، رقم ٥٦ ( طبعة الحلبي ) إذ جاء به على لسان السيدة عائشة : « سمعنا بن عياية ، وهو سيد الخزرج ، وكان رجلاً صالحاً ، ولكن أجشَّه كَلَّتْهُ الحمية » أي استغفنه وأغضبته وحلته على الجبل .

(٢) قال ابن سيده في الخصاص ، ج ١ ، ص ٦ : « حدة اللغة أنها أصوات يميز بها كل قوم عن أغراضهم ، وهذا حدة دائره على حدوده ، يحيط به لا يلحقه خلل ، اذ كل صوت يميز به عن المعنى المتصور في النفس لغة . وكل لغة فهي صوت يميز به عن المعنى المتصور في النفس .

وقال مثله ابن جني في الخصائص ، ج ١ ، ص ٣٣ ، طبعة دار الكتب : « أما حدة اللغة لأنها أصوات يميز بها كل قوم عن أغراضهم » .



دمشق منذ انشائها حتى اليوم ، وكان لهم في ذلك فضل عظيم على اللغة العلمية في العصر الحديث .

ومنها — أنهم قد عرفوا من علم الفلك ما عرف معاصروهم ، ولا أدل على ذلك من أن أسماء أكثر السيارات ، وبعض المجموعات الفلكية قد وضع في الجاهلية .

وقل مثل ذلك في أكثر العلوم الأخرى .

هذا فضلا عن أن الحجة القاطعة هي القرآن الكريم ، ونصه ثابت ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وقد جاءت آياته المحكمات ، دليلا قاطعا على أن اللغة العربية ، التي نزل بها كتاب الله ، كانت أيام البعثة ، قادرة على التعبير عن كل مرافق الحياة :

١ — ففيها قصص التاريخ على أروع صورة ، وأبلغ أسلوب ، تحكي قصص الأمم الغابرة ، وكأنها موصيقي تتدفق الى النفس ، فتعلق بها ، من عمق أثرها عليها .

٢ — وفيها تصوير للحياة العاطفية ، يعبر عن أعمق المعاني الانسانية الخالدة .

٣ — وفيها تفصيل لحياة الأسرة ، ونظامها الاجتماعي ، حتى كأنه بناء كامل للنواة الأولى للأمة .

٤ — وفيها تشريع لأنظمة الدولة في الحقوق العامة والخاصة .

٥ — وفيها ترغيب بدفع الى الخير ، في أحلى أشكاله ، وأروع صوره .

٦ — وفيها ترهيب بمنع من الشر ، ويحذر من مغابه وآثامه .

٧ — وفيها كل ما يلزم للفرد والأسرة والمجتمع والدولة والأمة في الدنيا والآخرة ( ما فرطنا في الكتاب من شيء ) صدق الله العظيم .

والواقع الذي لا خلاف فيه ، أن لغة العرب ، قد أضحت من اللغات الحية ،

في عصر النبوة ، نظمت ألقاظها وُصفت وفرق بين المعاني اللغوية والاصطلاحية ، واكنسبت صفة الحياة الدائمة ، بمعنى أنها أصبحت قابلة للتطور ، بعيدة عن الجمود نستطيع أن نساير رقي المجتمع العربي والاسلامي ، دون أن يصيبها العجز عن مسايرة الحاجات . وبقيت اللغة العربية كذلك خلال أربعة عشر قرناً ، أعانها على البقاء والصمود ، رغم التيارات السياسية العديدة ، قدرتها على الاشتقاق والنحت والوضع والتعريب وغير ذلك مما توفر على الاشتغال به أئمة اللغة والدين خلال هذه القرون الطويلة .

واقدر كانت مصطلحات الحقوق الدولية العامة والخاصة ، في جملة ما شغل علماء القانون ، منذ أن أسست كليات الحقوق في العالم العربي . وما من شك في أن كلية دمشق أكثر هذه الكليات جهداً ، بما بذل أسانذتها ، حين تصدوا للتأليف ، في البحث عن الألفاظ العربية القديمة ، وامكان مطابقتها للمفاهيم الحديثة ، وما زالت الجامعات العلمية ، والمؤلفون في كليات الحقوق ، والعلماء ، وأصحاب الاختصاص ما زال هؤلاء جميعاً يبحثون ، ويدرسون ، ويبدلون الجهد الصادق في البحث عن المصطلحات الحديثة التي تبدعها الحوادث السياسية ، في ميدان الحقوق الدولية العامة كل يوم .

من هذه المفاهيم الحديثة ، التي نسمعها في كل يوم على لسان رجال السياسة تعبير ذلوا انه : « المساعدات غير المشروطة » ويعنون بها مساعدة الدول الكبرى للصغرى ، دون أن يكون لهذه المساعدة مساس بجزية الدول الصغرى أو بسيادتها واستقلالها .

وكأنني بالعرب في جاهليتهم ، قبل الاسلام ، قد عرفوا هذا النوع من العقود ، فسموه « إبلاناً » ونزلت به السورة الكريمة المعروفة :

لَا يَلْفَ قُرَيْشٍ إِلَّا فِيهِمْ . رَحْلَةَ الشَّتَاءِ وَالصَّيْفِ .  
فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ . الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ ،  
وَأَمَّنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ .

وفد تلتبت بحث « الابلاف » في كتب التفسير ، وكتب اللغة وكتب  
الأدب ، وفي السطور التالية خلاصة لهذا البحث :

### ١ - الابلاف في كتب التفسير

آ - ففي تفسير الطبري ج ٢٠ ص ١٧٠ عن مجاهد : ابلاف قريش :  
نعمتي على قريش .

ب - وفي تفسير ابن كثير ج ٩ ص ٣٠٥ : عن محمد بن اسحاق  
وعبد الرحمن بن زيد : أي لائثلافهم واجتماعهم في بلدهم آمنين .  
وقيل : المراد ما كانوا يألفونه من الرحلة في الشتاء الى اليمن ، وفي الصيف  
الى الشام .

ج - وفي تفسير البغوي ج ٩ ص ٣٠٦ : قال عطاء عن ابن عباس :  
كانت قريش في 'ضر' ومجاعة حتى جمعهم هاشم على الرحلتين ، وكانوا يقسمون  
ربهم بين الفقير والغني ، حتى كان فقيرهم كغنيهم !  
ولم أجد بين المفسرين المشهورين من أشار الى تفسير الابلاف بمعنى :  
« الأمان من غير حلف » .

### ٢ - الابلاف في كتب اللغة :

آ - في القاموس : والابلاف في التنزيل العهد ، وشبه الاجازة بالخفارة .  
وأول من أخذها هاشم من ملك الشام ، وتأديله أنهم كانوا سكان الحرم آمنين

في امتياعهم وتنقلاتهم ، شتاءً وصيفاً ، والناس يتخطفون من حولهم ، فإذا عرض لهم عارض قالوا : نحن أهل حرم الله ، فلا يتعرض لهم أحد . أو اللام للتعجب أي : اعجبوا لا بلال قريش . وكان هاشم يؤلف إلى الشام . . . . . وكان تجار قريش يختلفون إلى هذه الأمصار بجبال هذه الاخوة ، فلا يتعرض لهم ، وكان كل أخ منهم أخذ حبلاً من ملك ناحية سفره أماناً له .

ب — وفي التاج : عن ابن عرفة : الايلاف : انما هو العهود التي كانوا يأخذونها اذا خرجوا في التجارات ، فيأمنون بها .

وفيه : الايلاف : من يؤلفون ، أي يهبتون ويجهزون .

ج — وفي اللسان : الايلاف الاستجارة — العهد والدمام — الجمع بين الرحلتين .

د — وفي النهاية ج ١ ص ٤٨ الايلاف : العهد والدمام كان هاشم بن عبد مناف أخذه من الملوك لقريش .

د — وفي الفائق للزمخشري ج ١ ص ٤٠ : لقد علمت قريش أن أول من أخذ لها الايلاف وأجاز لها العيرات لهاشم .

وفيه : الايلاف : الحبل . أي : العهد الذي أخذه هاشم بن عبد مناف من قيسر وأشرف أحياء العرب لقومه بأن لا يتعرض لهم في مجتازاتهم ومسالكتهم في رحلتهم . وهو مصدر من آلفه ، بمعنى ألفه . لأن في العهد ألفة واجتماع كلمة . وهكذا نرى أيضاً أن كتب اللغة لم تشر إلى المعنى المقصود من « الايلاف »

### ٣ — الايلاف في كتب الأدب :

ورد حديث الايلاف في كثير من كتب الأدب والتاريخ ، وسنقتصر على مقارنة ثلاثة منها ، هي في نظرنا أهمها وأجدرها بالبحث :

أ — أبو علي الفاي :

في الصفحة ١٩٩ من كتاب النوادر ( طبعة دار الكتب ) ١٩٢٦ لأبي علي الفاي النص التالي :

« قال أبو علي : حدثنا ٠٠٠ العتيبي ومحمد بن سلام ، كلاهما قال : كانت قريش تجارا وكانت تجارهم لا تعدو مكة ، إنما تقدم عليها الأعاجم بالسلع فيشترونها منهم ثم يبيعونها بينهم ، ويبيعونها على من حولهم من العرب . فكانوا كذلك ، حتى ركب هاشم بن عبد مناف إلى الشام ، فنزل بقيصر ، فكان يذبح كل يوم شاة ، ويصنع جفنة ثريد ، ويجمع من حوله فياً كلون . وكان هاشم من أجل الناس وأتمهم ، فذكر لقيصر ف قيل له : ها هنا رجل من قريش يهشم الخبز ثم يصب عليه المرق ويفرغ عليه اللحم - وإنما كانت العجم تصب المرق في الصحاف ثم تأتدم بالخبز - فدعا به قيصر ، فلما رآه أعجب به فكان يبعث إليه في كل يوم ، فيدخل عليه ويحدثه فلما رأى نفسه تمكن عنده قال له : أيها الملك ! ان قومي تجار العرب ، فان رأيت لي كتاباً تؤمن تجارتهم ، فيقدموا عليك بما يستطرف من أدم الحجاز وثيابه ، فتباع عندهم ، فهو أرخص عليكم . فكتب له كتاب أمان لمن يقدم منهم . فأقبل هاشم بذلك الكتاب ، فجعل كلما مرّ بهي من العرب بطريق الشام ، أخذ من أشرافهم ابلافاً - والابلاف أن يأمنوا عندهم في أرضهم بغير حلف ، إنما هو أمان الطريق - وعلى أن قريشا تحمل اليهم بضائع فيكونهم حلالها ، ويؤدون اليهم رؤوس أموالهم ويرجعهم . فأصلح هاشم بذلك الابلاف بينهم وبين أهل الشام ، حتى قدم مكة ، فاتاهم بأعظم شيء أتوا به بركة ، فخرجوا بتجارة عظيمة ، وخرج هاشم معهم يمجّزهم و يوفّيهم ابلافهم الذي أخذ لهم من العرب ، حتى أوردتهم الشام ، وأحلهم فراها ، ومات في ذلك السفر بغزة . وخرج المطلب ابن عبد مناف إلى اليمن ، فأخذ من ملوكهم عهداً ؟ لمن تجر اليهم من قريش ، وأخذ الابلاف كفعل هاشم ، وكان المطلب أكبر ولد عبد مناف ، وكان يسمى الفيض وهلك بردمان من اليمن . وخرج عبد شمس بن عبد مناف إلى

الحبشة ، فأخذ ايلافا كفعل هاشم والمطلب ، وهلك عبد شمس بمكة فقبره بالحجون . وخرج نوفل بن عبد مناف ، وكان أصغر ولد أبيه ، وأخذ عهدا من كسرى لتجار قريش ، وايلافا من مر به من العرب ، ثم تقدم مكة ورجع الى العراق ، فمات بسلام . واتسعت تجارة قريش في التجارة في الجاهلية ، وكثرت أموالها . . . . . »

والواضح من هذا النص أن « الايلاف » كان بين العرب أنفسهم ، لا بين العرب ومن جاورهم من الأمم . وقد فرّق صاحب الحديث - العيني وابن سلام - بين الاتفاقات التي جرت بين العرب بعضهم بمضا فسميها « ايلافا » ، وبين الاتفاقات التي جرت بين العرب وقيصر وملوك اليمن والحبشة وكسرى ، فسميها « عهدا » . وأما مضمون « العهد » فلا يتعدى الأمان ، على ما في هذا الحديث ، وإن كان مفهومه اللغوي والاصطلاحي أعم وأشمل .

وأما « الايلاف » فهو الأمان بغير حلف ، وإنما يترتب على تجار قريش أن يحملوا بضائع من في طريقهم من الأحياء والقبائل ، فيتجروا بها ، وفي عودتهم يؤدون اليهم - أي الى من في طريقهم - رؤوس أموالهم ورجيمهم .

#### ب - ابن حبيب في المتنق

نقل الأستاذ محمد حميد الله نصاً مشايهاً عن كتاب المتنق لابن حبيب المخطوط <sup>(١)</sup> وما نحن أولاء ، نورد الفقرة التي فيها بعض الخلاف مما يسر موضوعنا : « قال هاشم : أيها الملك ! إن لي قوماً ، وهم تجار العرب . فإن رأيت أن تكتب لهم كتاباً تؤمنهم ، وتؤمن تجارتهم ، فيقدموا عليك بما يستطرف من أدم الحجاز وثيابه ، فيسكونوا يبيعونه عندك ، فهو أرخص عليكم .

(١) راجع :

فكتب له كتابا بأمان من أتى منهم من أشرفهم ايلافا . فابلافا ( ؟ فالابلاف )  
 ان بأمنوا عندهم في أرضهم بغير حلف عليهم . وإنما هو أمان الناس . وعلى أن  
 قريشا تحمل لهم بضائعهم فيكونهم حملانها ، ويردون اليهم رأس مالهم ويرجمهم  
 فهذا الابلاف من بينه وبين الشام . »

« وخرج هاشم يجوزم ويوفيههم ابلافهم الذي أخذ لهم من العرب »  
 « وخرج المطلب الى اليمن . . . ثم أقبل بأخذ الابلاف عن مر به العرب  
 « وخرج عبد شمس . . . ثم أخذ الابلاف من بينه وبين العرب . »  
 « وخرج نوفل . . . ثم أقبل بأخذ الابلاف عن يمر به من العرب .  
 أما بقية النص ، فالخلاف فيه يسير ، والمحدث فيه ابن الكلبي .  
 والمفهوم من هذا النص أن « الابلاف » يشمل أمان الأعاجم والعرب  
 للقرشيين على السواء . »

### ج — ابن أبي الحديد في شرح النهج

حديث ابن أبي الحديد في الجزء الثالث ص ٤٥٨ من شرح نهج البلاغة  
 رواية الزبير ، عن محمد بن حسن عن محمد بن طلحة عن عثمان بن عبد الرحمن  
 قال : قال عبد الله بن عباس :  
 « والله لقد علمت قريش أن أول من أخذ الابلاف وأجاز لها العيرات  
 لهاشم . . . . . وكان من أحسن الناس خلقا وتما ، فذكر لقيصر ، فلما رآه  
 سأله أن يأذن لقريش في القدوم عليه بالمتاجر ، وأن يكتب لهم كتب الأمان  
 فيما بينهم وبينه ففعل . . .  
 هذه هي أهم النصوص الموجودة في كتب الأدب حول موضوع « الابلاف »  
 ومن مقارنتها يتبين :

١ — أن القالي قد جزم نقلا عن العنبي ومحمد بن سلام بأن الابلاف هو الأمان بغير حلف وأنه عهد وقع بين القرشيين وقبائل العرب التي كان القرشيون يبرون بها ، كان من مقتضاء أن يحمل القرشيون بضائع من يبرون بهم ، وأن يتاجروا بها ، وأن يردوا إليهم رأس مالها ويربجها .

ومن الضروري في بحثنا أن نعرف ماذا عنى هؤلاء الرواة من لفظ «حلف» فأما المعاجم فإنها لا تفيدنا في هذا الموضوع ، بل تزيد البحث تشويشا ، إذ أن الحلف هو العهد ، أو الأمان من القدر ، ولا يمكن أن يكون لهذين المفهومين في بحثنا من موضع للتطبيق .

والذي يتبادر للذهن استنتاجا من سياق الحديث أن المراد بلفظ «حلف» هو ما نسميه اليوم بلغة الحقوق الدولية العامة «الالتزامات» . بمعنى أن القرشيين قد نالوا أمان الطريق ، دون أن يكون لهذا الأمان مقابل في حرياتهم أو أموالهم ، أو حقهم المطلق في التصرف بشؤونهم . وبكلمة جامعة : دون أن يكون هنالك ما يُنقص من حقوقهم .

أما العهد بالاتجار بأموال القبائل ، ورد رأس المال مع الأرباح ، فهو وإن كان في الواقع التزاما ، إلا أنه يدل من جهة على الثقة بأمانة القرشيين ، كما يدل من جهة أخرى على أنه لم يكن بعد في ذلك العصر انتقااصا للحرية .

٢ — إن ابن حبيب وهو أقدم من القالي ، قد عرّف «الابلاف» نقلا عن ابن الكلبي بأنه الأمان من العرب والاعاجم ، وإن كان قد عاد فأكد أنه أمان من العرب وحدهم .

وفي رأينا أن النص الذي أورده ابن حبيب في المنقى مشوش ، ولعل بد النسخ قد امتدت الى تحريفه ، أو أن ذاكرة راويه قد قصرت في حفظه ، لأنه يكاد يكون متطابقا مع نص القالي إلا في هذا الموضع . وعمرى أن



نص القايي أكثر انسجاماً ، وأصح لغة ، وأقرب لمنطق الحديث . ولهذا  
 فائناً نرجع أنه أقرب الى الصواب من نص ابن حبيب .  
 ٣- أما نص ابن أبي الحديد ، فإنه أخصر من النصين السابقين ، ولم يرد  
 فيه لفظ الابلاف « إلا في مطلعته ، واقتصر في خاتمته على لفظ « الأمان » .  
 وهو في روحه ، وكثير من ألفاظه لا يخرج عن النصين السابقين .

#### د - الأفغاني في أسواق العرب

ان أول من تناول موضوع « الابلاف » يبحث علمي مطول على ما نعلم  
 هو الأستاذ المحقق سعيد الأفغاني في كتابه أسواق العرب ( ص ١٢٣ وما بعدها )  
 المطبوع في دمشق ١٩٣٧ .

وقد استشهد الأستاذ الأفغاني بكثير من النصوص ، وأقوال أئمة اللغة ،  
 إلا أنه أهمل أقوال الأئمة من المفسرين ، وجنح الى تسمية الابلاف بلغة  
 عصرنا ( المعاهدات التجارية ) .

وما من شك في أن الغرض من الابلاف تجاري ، أو أنه يؤدي الى ضمان  
 حرية تنقل القوافل التجارية ، ولكنه لا يمكن أن يسمى ( المعاهدات التجارية ) ،  
 لأن هذه تقتضي اتفاقاً على تبادل السلع ، وطريقة دفع قيمها ، أو مكوسها  
 ( جماركها ) أو غير ذلك . أما أمان الطريق بغير حلف ، فلا يمكن أن  
 يسمى بلغة العصر إلا « المساعدات غير المشروطة » Aides inconditionnés .

#### هـ - حميد الله في مختارات ماسينيون

الأستاذ محمد حميد الله ، عالم هندي فاضل ، له آثار معروفة . عقد فصلاً  
 باللغة الفرنسية في الكتاب الذي نشره المعهد الفرنسي بدمشق تحت عنوان  
 « مختارات لويس ماسينيون » عام ١٩٥٧ ج ٢ ص ٢٩٣ وما بعدها ، سماه :

الإبلاف أو العلاقات الاقتصادية — السياسية في مكة قبل الإسلام .

Les rapports économique - politiques de la Mecque pré - islamique.

تضمن هذا الفصل دراسة جيدة عن الإبلاف ، انتهى بها واضعها الى أن الوحدة الاقتصادية التي قامت قبل الإسلام بفعل التقاليد الجاهلية القديمة ، كالأشهر الحرم ، والبسّط ، والأسواق الدورية الدائمة ، والإبلاف ، قد مهدت للوحدة السياسية التي حققها الرسول الأعظم ﷺ . وفكرة الأستاذ حميد الله هذه ، وإن لم تكن من الأفكار المبكرة ، إلا أنه أحسن عرضها وتنسيقها على شكل تكاد تبدو معه على القارئ العربي جديدة . وقد اعتقد الأستاذ حميد الله بأن النص الذي نقله ابن حبيب في المنق عن ابن الكلبي نص جديد ، ولم يسمع به أحد من قبل ، فقال : « ولما كان كتاب المنق لابن حبيب لم يطبع حتى الآن ، ولا في متناول العلماء بسهولة ، فإننا نعتقد أنه من المفيد أن ننشر منه فصلين بنصهما ، أشرنا اليهما سابقاً ( وأورد النصين ) .

وقد سبق أن بينا أن أحد النصين معروف لدى جميع المشتغلين بالأدب ، لأنه ورد في أحد كتب الأربعة الشهيرة ، ونعني به أمالي القاضي ، المطبوع في عام ١٩٢٦ ، والذي لم يتخل منه مكتبة عامة في القديم ولا في الحديث ، وازدادت به أكثر المكتبات الخاصة . ودراسة ' الأستاذ حميد الله ، بعد ، جديدة بأن تنقل الى لغة العرب ، لأنها رائعة حقاً في أسلوبها وعمقها وتفكير صاحبها وكم أتمنى أن أجد فراغاً من وقتي لأقوم بهذه الخدمة العلية .

### الختام

وبعد فقد استلهمنا هذا البحث من روح أستاذنا العلامة سليم الجندي رحمه الله .  
وفي بقیفنا أننا أضفنا دليلاً جديداً الى نظريته ، وبرهنا فيه أن لغتنا العربية ،  
لم تكن ضيقة الآفاق في القرن الرابع والخامس الميلادي ، بل اتسعت لمعان  
لم تعرف إلا في القرن العشرين ، وفي ميدان الحقوق الدولية العامة ، وهو  
من أضييق الميادين ، واستعارة اللغات الأوربية لمصطلحاته بعضها من بعض  
معروف ومشهور .

ونختم هذا البحث باقتراح اطلاق لفظ الأيلاف على المساعدات غير المشروطة  
Aides inconditionnées التي أصبحت مبدءاً أساسياً تنادي به الأمم الصغيرة ،  
حفاظاً على حريتها وسيادتها .

ظافر القاسمي

# الزجاجي

حياته وآثاره

ومذهبه النحوي من خلال كتابه «الإيضاح»<sup>(١)</sup>

( ١ )

حياة الزجاجي

نسبه :

هو أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق ، وبقي نسبُه عند أبيه فلا يذكر أحد شيئاً عنه بعد ذلك على كثرة الذين ترجموا له ، ولعل لأصله الفارسي أثراً في ذلك إذ لو كان عربياً لما ضاع عنا نسبُه نظراً لما عرف عن العرب من العناية بالأنساب ، وعلى كلِّ حال فإن ضياع معالم النسب أمر نلاحظه عند كثير من لم يشتهرهم نسبهم أو ترفعهم أمرهم ، وإنما سَمَوْا بأنفسهم وشهَرَتهم أعمالهم .  
والزجاجي واحد من هؤلاء ، حتى إنه لم ينسب إلى أسرته وإنما نسب إلى أستاذه إبراهيم بن السريّ الزجاج فعُرف به .

ولد أبو القاسم بنهاوند - جنوبي همذان - وقيل في الصَّيْمَرَة ، وهي في جنوب همذان أيضاً ، ولذلك نسبوه إلى بنهاوند ، قال ابن خلكان : « هو البغدادي داراً ونشأة ، النهاوندي أصلاً ومولداً »<sup>(٢)</sup> . ونسبوه إلى الصَّيْمَرَة

---

(١) بحث مفصل في حياة أبي القاسم الزجاجي المتوفى سنة ٣٣٧ هـ ووصف مؤلفاته ، وعرض لكتابه «الإيضاح في علل النحو» ومذهبه النحوي به .

(٢) وفيات الأعيان ١ : ٣٤٩

كما ذكر السيوطي<sup>(١)</sup> ، وجمع الففطي النسبته فقال « هو نهاوندي من اهل الصيخرة<sup>(٢)</sup> . »  
نشأته :

وتدل سيرة الزجاجة على أنه كان محباً للعلم بكثرة السعي والرحلة في سبيله فقد غادر مسقط رأسه الى العراق ، واستقر في بغداد ونشأ فيها ، ثم غادرها إلى الشام فأقام مدة بحلب ، وانتقل بعد ذلك الى دمشق فدرس فيها وأفاد ، وقيل إنه خرج بعد ذلك الى طبرية ومات فيها .  
وكانت حياة أبي القاسم حركة دائمة وعلماً متصلاً ، فهو - حيثما يقم - تليد متطلع مستفيد أو معلم يجلس للدرس والإملاء ، وذلك ما تؤيده صلاته الشديدة المستمرة بشيوخه وتلاميذه .

وأجمع الذين تحدثوا عن الزجاجة أنه كان ورعاً تقياً ، وقالوا في تأليفه كتاب الجمل إنه ألفه بمكة وكان لا يضع باباً منه أو مسألة من مسائله إلا وهو على طهارة ، فإذا انتهى من وضعه طاف به حول الكعبة أسبوعاً<sup>(٣)</sup> بدعو الله أن ينفع به . . . وذكر بعضهم أنه كان مثيباً وكان محباً للنظافة معنياً ببيئته ، حسن الشارة مليح البزة<sup>(٤)</sup> .

وكان ثقته يؤخذ عنه الحديث ويتردد اسمه في الأسانيد . قال الحافظ ابن عساكر « وحدث عن جماعة واسند حديثاً كثيراً<sup>(٥)</sup> » . وروى ابن عساكر أخباراً كثيرة كان للزجاجة في أسانيدنا نصيب كبير<sup>(٦)</sup> .

(١) بنية الوعاة : ٢٩٧

(٢) إنباء الرواة ٢ : ١٦٠

(٣) أي سبع مرات

(٤) غطوطة إشارة التمين . الورقة : ٢٦

(٥) تاريخ ابن عساكر ٩ : ٤٣٣

(٦) المصدر السابق ٩ : ٤٣٢

## وفاته :

وأما وفاته فكانت على الأرجح في سنة ٣٣٧ هـ في طبرية . وكان أبو بكر الزبيدي <sup>(١)</sup> أقدم من ذكر هذا التاريخ عن ترجوا الزجاجي ، ورجعه ابن خلكان وقال هو الأصح <sup>(٢)</sup> وزعم ابن تغري بردي أن وفاته كانت سنة ٣٣٩ <sup>(٣)</sup> وتردد ابن الأثير بين هذين التاريخين <sup>(٤)</sup> وجزم الففطي <sup>(٥)</sup> وابن العماد الحنبلي <sup>(٦)</sup> وابن شاكر الكتبي <sup>(٧)</sup> واليحيى <sup>(٨)</sup> أن وفاة الزجاجي كانت في سنة ٣٤٠ وأيدم في ذلك ابن عساكر فقال « أخبرنا أبو محمد بن الاكفاني : أخبرنا عبد العزيز بن احمد قال : توفي أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي النخوي بطبرية في شهر رمضان من سنة سنة اربعين وثلاثمائة » ثم قال « ورأيت في كتاب عتيق : مات أبو القاسم الزجاجي بالشام بطبرية في رجب سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة . قال ابن الاكفاني : وهو خطأ <sup>(٩)</sup> »

وهكذا ينحصر اختلافهم في تاريخ وفاته بين سنتي ٣٣٧ و ٣٤٠ وهو أمر يسير لا يترتب عليه شيء ذو بال وأياً كانت سنة وفاة الزجاجي فهو قد عاصر من خلفاء العباسيين المعتز والقاهر بالله والرازي والمعتقي والمستكفي ومات في خلافة المطيع حين كانت مقاليد الحكم بيد بني بويه .

(١) طبقات الفويين والنمعة : ١٢٩

(٢) وفيات الأعيان : ١ : ٣٨٩

(٣) النجوم الزاهرة : ٣ : ٣٠٢

(٤) الكامل : ٨ : ١٩٤

(٥) ادباء الرواة : ٢ : ١٦٠

(٦) غدرات الذهب : ٢ : ٣٥٧

(٧) حيون التواريخ

(٨) اشارة التبيين

(٩) تاريخ ابن عساكر : ٩ : ٤٣٣

أسانذته :

حب الزجاجة للعلم جعله يكثر الأخذ عن شيوخ العلم وأربابه حتى بلغ الذين أخذ عنهم عشرين أستاذاً ، وكأنه أحب أن يجمع ما يستطيع من ثقافة عصره فما نزل بلداً إلا تلقى على مشايخه وأخذ عن أسانذته ولو كانوا ذوي آراء متعددة ومذاهب مختلفة ، وكان اثر هذا الاختلاف والتعدد جلياً واضحاً في ثقافته وآرائه .

في طليعة أسانذته من غير شك ذلك الأستاذ الذي لازمه أبو القاسم حتى نسب إليه وعرف به وهو أبو اسحاق ابراهيم بن السري بن سهل الزجاج المتوفى سنة ٣١١ وقد عدّه الزجاجي في مقدمة الذين ذكرهم من أسانذته وشيوخه حين يتحدث عنهم فقال :

« فن العلماء الذين لقيتهم وقرأت عليهم شيخنا أبو اسحاق ابراهيم بن السري الزجاج رحمه الله . وأبو جعفر محمد بن رستم الطبري غلام أبي عثمان المازني وأبو الحسن بن كبسان ، وأبو بكر أحمد بن الحسين بن العباس المعروف بابن شقير ، وأبو بكر محمد بن أحمد بن منصور المعروف بابن الخطّاط ، وأبو بكر ابن السراج ، وأبو الحسن علي بن سليمان الأخفش »

ثم قال « ..... وأبو بكر بن الأنباري ، وأبو مومي المعروف بالحامض وكان الأغلب عليه علم اللغة إلا أنا قد أخذنا عنه حكايات يسيرة ، وأبو الفضل الملقّب بزبيل وأبو محمد عبد الملك بن مالك الضرير وغير هؤلاء ممن لم يشهر من الكوفيين <sup>(١)</sup> . »

وذكر الذين تحدّثوا عن الزجاجي أنه أخذ عن علماء آخرين وكان ممن أخذ عنهم أبو عبد الله ابراهيم بن محمد بن عرفة المعروف بنفطويه المتوفى سنة ٣٢٣

(١) الإيضاح : باب المستحق للاعراب من الأسماء والأفعال والحروف .

وأبو بكر محمد بن الحسن بن دريد المتوفى سنة ٣٢١ وأبو عبد الله محمد بن العباس  
 البزدي المتوفى سنة ٣١٦ وأبو بكر محمد بن يحيى الصولي المتوفى سنة ٣٣٥  
 وأبو عبد الرحمن عبد الله بن هانيء النيسابوري وأبو العلاء أحمد بن عبيد الله  
 ابن الحسن بن شقيب البغدادي وأبو جعفر أحمد بن عبد الله بن مسلم بن قنينة  
 المتوفى سنة ٣٢٢ وأبو العباس أحمد بن عبيد الله بن عمار الثقفي المتوفى سنة  
 ٣١٤ وأبو القاسم جعفر بن قدامة الكاتب المتوفى سنة ٣١٩ .

وزاد ابن عساكر على هؤلاء أستاذين آخرين ، هما أبو عبد الله الحسين بن  
 محمد الرازي وأبو علي الحسن بن علي العنبري <sup>(١)</sup> .

هؤلاء هم الأعلام الذين أخذ الزجاجي عنهم وتخرج على أيديهم ولا بد  
 من الإشارة إلى أنه كان منهم البصريون كما كان منهم الكوفيون وكان  
 لذلك آثار ظهرت في آراء الزجاجي ومؤلفاته كما سنرى .

#### تلامذته :

وأما تلامذته فمنهم من أخذ عنه مباشرة ، ومنهم من انتفع بكتبه ، وقد  
 كان يحب أن ينفع الله الناس بعلمه فما يؤلف حتى يطهر ويطوف ويدعو .  
 وكان ممن أخذ عنه محمد بن سابقه الفخوي ، وعبد الرحمن بن محمد بن أبي نصر  
 وعبد الرحمن بن عمر بن نصر ، وأحمد بن محمد بن سلامة (أو سلمة) الدهشقيون  
 وأبو الحسن علي بن محمد بن اسماعيل بن محمد التميمي الأنطاكي وهو الذي  
 روى عنه كتابه مختصر الزاهر <sup>(٢)</sup> وذكر ابن عساكر أن من حدث عن  
 الزجاجي أيضاً أبا يعقوب اسحاق بن أحمد الطائي <sup>(٣)</sup> .

(١) تاريخ دمشق ٩ : ٣٤٢

(٢) فهرسة ابن خير : ٣٤٣

(٣) ابن عساكر ٢ : ٤٠٠



ونلاحظ أن أكثر تلامذة الزجاجي كانوا من دمشق ، ولعل سبب ذلك أنه أقام في دمشق أكثر مما أقام في غيرها وفيها حدث وأمل وألف . قال عمق كتاب الجمل « ثم سكن دمشق وطبرية وأبلة فأملی وحدث ولا سيما بدمشق <sup>(١)</sup> وقال القفطي « وانتقل الى الشام فأقام بحلب مدة ثم انتقل إلى دمشق فأقام بها وصنف <sup>(٢)</sup> وكذلك ذكر ابن عساكر <sup>(٣)</sup> والسيوطي <sup>(٤)</sup> . وجاء في (إشارة التبيين) أنه كان يدرس بجامع دمشق .

وأما الذين انتفعوا بتأليفه فقد شاع على الألسن أنهم كثيرون . وكان المؤلفين لما سمعوا خبر ورعه وتقواه ودعائه أن ينفع الله الناس بعلمه وقهوا تحت تأثيره وتنافلوا خبر النفع بكتبه حتى أنه ما من أحد منهم ذكر كتاب الجمل للزجاجي إلا وصفه بالبركة والنفع العميم .

قال ابن خلكان « وكتابه الجمل من الكتب المباركة لم يشتغل به أحد إلا وانتفع به » ثم يقول - وكأنه يعمل - « ويقال إنه صنفه بمكة حرصاً الله تعالى وكان إذا فرغ من باب طاف به أسبوعاً ودعا الله تعالى أن يغفر له وأن ينفع به قارئه » <sup>(٥)</sup> .

وقال الياقوبي : « وسكن دمشق وانتفع به الناس وانتفع بكتابه خلق لا يحصون » ثم ذكر ما ذكره ابن خلكان من أمر الطواف والدعاء ووصف كتاب الجمل بالوضوح وأنه مبارك ما اشتغل به أحد إلا انتفع وأن نفعه عم بلاد الإسلام <sup>(٦)</sup> .

(١) مقدمة الجمل

(٢) الانباه ٢ : ١٦٠

(٣) تاريخ دمشق ٩ : ٤٣٢

(٤) البنية : ٢٩٧

(٥) إشارة التبيين و ٢٦

(٦) وفيات ١ : ٣٨٩

(٧) سرة الجنان ٢ : ٣٣٢

وقال صاحب كشف الظنون في معرض حديثه عن كتاب الجمل « وهو كتاب نافع ومفيد » .

وجاء في شذرات الذهب أنه « انتفع بكتابه خلق لا يحصون . . . » (١) .  
وجاء في الانباء ما يوضح هذا الربط بين دعاء الرجل وانتفاع الناس بعلمه  
إذ روى القفطي الخبر الآتي « سمعت من لفظ الشيخ أبي البقاء صالح بن عادي  
النوري الأنطاقي النحوي تزيل فقط ان الزجاجي - رحمه الله - صنف الجمل  
بمكة حماها الله وكان اذا فرغ من باب طاف به أسبوعاً ودعا الله ان يغفر له  
وان ينفع به قارئه ولهذا انتفع به الطلبة . . . » (٢)

#### ثقافته :

لقد كانت ثقافة الزجاجي ثقافة رجل عاش في أواخر القرن الهجري الثالث  
وأدرك أربعين سنة من القرن الرابع ، هذا القرن الذي حفل بنتاج خصب  
للعقليات الإسلامية في أوج انضجها ورقبها ، فعاصر الأخفش علي بن سليمان  
والزجاج وابن السراج وابن الانباري والسيرافي وابن دريد ، وغيرهم ، وكان  
أحداً منهم ، بل من أكثرهم نشاطاً في العلم والتأليف .

وتظهر لنا سعة ثقافته في مؤلفاته الكثيرة ، وما تنصف به من طاق وتنوع  
وكانه جمع في نفسه ما تفرق عند أساتذته من فنون العلوم ؛ فقد كان منهم  
من اتسع أفقه في النحو كالأخفش علي بن سليمان وابن الخياط وابن شقير  
وابن كبسان فكان الزجاجي مثلهم في سعة العلم بالنحو وما يتصل به من اختلاف  
المذاهب وتشعب الآراء . وكان منهم من غلب عليه علم اللغة كابن دريد  
وأبي مومي الحامض ، فكان الزجاجي كذلك لغوياً كما هو في أماليه .

(١) الشذرات ٢ : ٣٥٧

(٢) الانباء ٢ : ١٦١

ونرى الزجاجي اذا تعرض للنقد نافداً بصيراً بمواطن الضعف عارفاً بمحاسن التأليف ، فهو بكره الجمع والتقليد ، ويجب الإبداع والابتكار ، والوضوح والسلامة من الخطأ ، وبقدّر تعب المؤلف وجهده . . . . . ويتضح هذا في نقده للمفضل صاحب كتاب « الفاهر » ولابن الأنباري صاحب « الزاهر » حين أتى على ذكر هذين الكتابين في مقدمة « مختصر الزاهر »<sup>(١)</sup> .

وقد اشتهر الزجاجي بكثرة تأليفه حتى عرف بصاحب التصانيف<sup>(٢)</sup> ، وكانت تصانيفه متنوعة الموضوعات ففيها النحو والصرف وحروف المجاء والمعاني والقوافي والشعر واللغة والأدب ، وسيأتي الحديث عن هذه الآثار مفصلاً فيما بعد .

ولم تكن ثقافة أبي القاسم عربية فحسب ، إذ كانت عارفاً لبعض اللغات الأخرى وقد ذكر ذلك دون أن يصرح بهذه اللغات أو يعينها فقال في معرض حديثه عن أقسام الكلام وكونها لا تخرج عن أمم وفعل وحرف : « وقد اعتبرنا ذلك في عدة لغات عرفناها سوى العربية فوجدناه كذلك »<sup>(٣)</sup> . وكم كنا نودّ لو أنه عين هذه اللغات أو لجأ خلال حديثه عن العربية إلى شيء من الموازنة بينها فكانت تكون معرفته لغير العربية أعود بالنفع والفائدة .

ولا بد لنا ونحن بصدد تقويم ثقافة الزجاجي من وقفة قصيرة عند رأي أبي علي الفارسي الذي نقلوا عنه أنه قال : « لو سمع الزجاجي كلامنا في النحو لاستحيا أن يتكلم فيه »<sup>(٤)</sup> .

(١) ص ٢١ من هذا البحث

(٢) شذرات الذهب ٢ : ٣٥٧

(٣) الايضاح : ٦

(٤) نزهة الألبا : ٣٧٩ . وإنباء الرواة ٢ : ١٦٠

لم ينقل هذا القول أحد من عاصر الرجلين وترجم لهما كالزبيدي وابن النديم وإنما نقله المتأخرون كابن الأنباري (٨٥٧٧) والقفطي (٨٦٤٦) ومع ذلك فإذا صح صدر هذا القول عن الفارسي - وما أراه غريباً عنه - فيجب أن نعرف دوافعه ونبين مدى الحق فيه .

لقد كان الفارسي أسناذ عصره ومتقدّم أهل الصنعة في زمانه وأنحى من جاء بعد سيديوه ولم يكن الزجاجي ندّاً له على الرغم من أن ابن الأنباري يمدّه في طبقته . إلا أن تأخر الزجاجي عن مرتبة الفارسي لا يبرز هذا الاذراء به والطمع عليه ، فكتب الرجل شهادة بعلمه ، وأقوال العلماء فيه وإقبالهم على آثاره دليل على مكانته وفضله . وما أظن رأي الفارسي فيه إلا من قبيل عداوة الصنعة والطمع على أهلها والحرص على مكان الصدارة فيها ، وقد اعتاد الفارسي أن يطلق مثل هذا القول في زملائه ونظرائه ، وقد قال ما يشبهه في أبي الحسن الرماني حين زعم أنه إن كان الفخو ما عند الرماني فليس عنده منه شيء ، وإن كان الفخو ما عند الفارسي فليس عند الرماني منه شيء . وذكرت عنه أقوال ينال بها من ابن الخياط وابن خالويه والسيرافي . . . وغيرهم <sup>(١)</sup> وقد نستطيع أن نضيف إلى هذا العامل النفسي عاملاً آخر هو أن أبا علي كان يحب سيديوه ويعجب به ويتعصّب له ، والزجاجي لم يكن - على إعجابه بسيديوه واتصاره له - ليقبل كل آرائه بل لقد مال عن بعضها وقال بخلافه <sup>(٢)</sup> أفيغضي الفارسي عيناً عن هذا الرجل يتطاول على مقام سيديوه ؟

وقد أودث الفارسي حبه لسيديوه وتعصبه له تلازمه من بعده ، فكان ابن جني كثير الإعجاب بسيديوه شديد الحماسة له عنيقاً في الذود عنه ، وقد

(١) انظر رسالة الفارسي إلى سيف الدولة الحمداني في معجم الأدباء ٧ : ٢٥٧

(٢) انظر مثلاً باب الصفة المشبهة في كتاب الجمل .

ظهر هذا العنف حين ردَّ على المبرد لأنه تعقب على سيبويه فعدَّه واحماً بل جعل المغالطة في آراء سيبويه عادة سار عليها المبرد<sup>(١)</sup> (١). على حين نجد الزجاجي في كثير من الأحيان معجباً بالمبرد ينتصر له وبنحز بابتكار الحجج لتأييده وتثبيت رأيه<sup>(٢)</sup>. ثم إن الزجاجي تلميذ الزجاج ، والزجاج تلميذ المبرد المقدم وهو الذي أحبه وتعصب له وهجر شيخه تلميذاً لأجله بل ألف في الرد عليه أفلا يعقل في طباع البشر أن يكون إعجاب الزجاجي بأستاذه وانتصاره لشيخ أستاذه سبباً في سخط الساخطين على الأستاذ وشيخه ؟

مما يمكن من أمر ، وسواء كان الفارسي مخلصاً في رأيه أو غير مخلص فقد كان هذا الرأي مجانباً للحق بعيداً عن الصواب .

#### مذهبه النحوي :

لم يكن الزجاجي غريباً في العصر الذي عاش فيه ، ولا بعيداً عن جو البيئة التي نشأ فيها ، وإنما كان ابن عصره وبيئته . أما العصر الذي عاش فيه فقد كان يتميز بفتور حدة التعصب المذهبي في النحو . وأما بيئته فقد قامت فيها طبقة جديدة من العلماء جمعتهما مساجد بغداد ، وحلقات العلم فيها ، ووصل إليها علم البصرة والكوفة ، فإذا هي لا تميل إلى قول إحداهما كل الميل ولكنها تأخذ من كل من القولين بطرف مع شيء من التفاوت في مقدار ما تأخذ . والزجاجي واحد من هؤلاء الذين تلقوا علم البصرة والكوفة ، وبسطوا أقوال علماء المذهبين جميعاً منتخبين منها ما يرون أنه الحق ، وكان بعد ذلك أميل إلى البصريين في آرائه وأحكامه .

وليس غريباً أن يكون الزجاجي بغدادي النزعة مع ميله إلى الأخذ بأقوال

(١) انظر سر صناعة الإعراب : ٢١١

(٢) انظر باب معرفة حد الاسم والفعل والحرف في كتاب الإيضاح .

البصريين . ولا عجب في أن يحيط علماً بالمذهبيين البصري والكوفي ، وأن يعتدل بينهما فلا يتعصب لأحدهما فقد كان معظم أساتذته كذلك ؛ فاستأذه الأخفش كان قد قرأ على ثعلب كما قرأ على المبرد <sup>(١)</sup> ، واستأذه ابن الخياط كان يخط المذهبيين ، ويمزج نحو البصريين بنحو الكوفيين <sup>(٢)</sup> ، وكذلك كان استأذه ابن شقير الذي خلط علم البصريين بعلم الكوفيين <sup>(٣)</sup> ، وابن كيسان الذي كان بصرياً كوفياً يحفظ القولين ويعرف المذهبيين وقد أخذ عن ثعلب والمبرد <sup>(٤)</sup> ، وكان قياً بمذهب البصريين والكوفيين <sup>(٥)</sup> . وأبو بكر بن السراج الذي أخذ عن المبرد وإليه آلت رئاسة النحو بعده ، ولكنه عول على مسائل الأخفش والكوفيين ، وخالف أصول البصريين في مسائل كثيرة <sup>(٦)</sup> . بل ندع هؤلاء وننظر في سيرة الزجاج نفسه وهو الذي كان أبو القاسم شديد الصلة به ، كثير الملازمة له ، ألم يكن من تلامذة ثعلب ثم غداً بعد ذلك بصرياً من أبرع أصحاب المبرد ؟ قال الزبيدي : « لما قتل المتوكل بسر من رأى ، رحل المبرد إلى بغداد ، فقدم بلداً لا عهد له بأهله ، فاختل وأدركه الحاجة ، فتوخى شهود صلاة الجمعة ، فلما قضيت الصلاة أقبل على بعض من حضره وسأله أن يفتحه السؤال ، لينسب له القول ، فلم يكن عند من حضره علم ، فلما رأى ذلك رفع صوته وطفق بفسر ، يوم بذلك أنه قد سئل ، فصارت حلقته وأبو العباس يصل في ذلك كلامه ، فنشوت أبو العباس

(١) معجم الأدباء : ١٣ : ٢٤٦

(٢) نزهة الألباء : ٣١٢ والفهرست : ١٢١

(٣) أخبار النحويين البصريين : ١٠٩

(٤) طبقات الزبيدي : ١٧٠

(٥) نزهة الألباء : ٣٠١

(٦) نزهة الألباء : ٣١٣ ، ومعجم الأدباء : ٨ : ١٩٧

أحمد بن يحيى إلى الحلقة ، وكان كثيراً ما يرد الجامع قوم خراسانيون من ذوي النظر ، فيتكلّمون ويجتمع الناس حولهم ، فإذا بصر بهم ثعلب أرسل من تلاميذه من يقاتشهم ، فإذا انقطعوا عن الجواب انقضّ الناس عنهم . فلما نظر ثعلب إلى من حول أبي العباس أمر إبراهيم بن السري الزجاج وابن الحائك بالتهوض ، وقال لهما : فاضاً حلقة هذا الرجل . ونهض معها من حضر من أصحابه ، فلما صارا بين يديه قال له إبراهيم بن السري : أئاذن - أعزّك الله - في المفاتشة ؟ فقال له أبو العباس : سل عمّا أحببت . فسأله عن مسألة فأجابها فيها بجواب أفنمه ، فنظر الزجاج في وجوه أصحابه متمجّبا من تجوّد أبي العباس للجواب . فلما انقضى ذلك قال له أبو العباس : أقيمت بالجواب ؟ فقال : نعم . قال : فإن قال لك قائل في جوابنا هذا كذا ، ما أنت راجع إليه ؟ وجعل أبو العباس يوهي جواب المسألة ويفسده ويمتلّ فيه ، فبقي إبراهيم سادراً لا يُجيب جواباً ، ثم قال : إن رأى الشيخ - أعزّه الله - أن يقول سيفي ذلك ؟ فقال أبو العباس فإن القول على نحو كذا . . . فصحح الجواب الأول وأوهي ما كان أفسده به ، فبقي الزجاج مبهوتاً ، ثم قال في نفسه قد يجوز أن يتقدّم له حفظ هذه المسألة واتفاق القول فيها ثم يتفق أن أسأله عنها . فأورد عليه مسألة ثانية ، ففعل أبو العباس فيها بنحو فعله في المسألة الأولى حتى والى بين أربع عشرة مسألة يجيب عن كل واحدة منها بما يقتنع ، ثم يفسد الجواب ، ثم يعود إلى تصحيح القول الأول . فلما رأى ذلك إبراهيم بن السري قال لأصحابه : عودوا إلى الشيخ ، فليست مفارقاً هذا الرجل ، ولا بدّ لي من ملازمته ، فعاتبه أصحابه وقالوا : تأخذ عن مجهول لا تعرف اسمه ، وتدع من قد شهِر علمه وانتشر في الآفاق ذكره ؟ فقال لهم : لست أقول بالذكر والخمول ولكنني أقول بالعلم والنظر . فلزم أبا العباس ، وسأله عن حاله ، فأعلمه برغبته

في النظر وأنه قد حبس نفسه على ذلك إلا ما يشغله من صناعة الزجاج في كل خمسة أيام من الشهر ، فبتقوَّت بذلك الشهر كله . ثم أجرى عليه في الشهر ثلاثين درهماً ، وأمره أبو العباس باطراح كتب الكوفيين . ولم يزل ملازماً له . وأخذاً عنه حتى برع من بين أصحابه <sup>(١)</sup> .

على أن هذا لا يعني أن أساتذة الزجاجي كلهم كانوا بين البصريين والكوفيين وإنما كان بعضهم ذا مذهب أو اتجاه واضح ، كابن الأنباري الذي كان كوفياً ، بل « أحفظ من تقدم من الكوفيين » <sup>(٢)</sup> ، وأعلم الناس بنحوهم <sup>(٣)</sup> ، وشديد الولاء لمذهبهم « حتى إنه تعصب ضد ابن كيسان ، لأن هذا خلط بين المذهبين . وكانني موصي الحامض الذي كان يتعصب على البصريين مع أنه خلط القولين » <sup>(٤)</sup> على عكس ابن كيسان الذي كان ميله إلى مذهب البصريين أكثر <sup>(٥)</sup> .

فخلَّ أساتذة الزجاجي إذاً من خلط المذهبين ، وإن كان لبعضهم ميل إلى آراء البصريين أو الكوفيين . وهو لا يختلف عن هؤلاء الأساتذة الأحرار الذين لم تستبعدهم أقوال فئة معينة من النخبة ، وإنما كانوا يطلعون على القولين ، ويختارون من المذهبين .

لقد كان الزجاجي مستقلاً الشخصية حرّاً الفكر لا هو بالبصري المحض ، ولا بالكوفي المحض ؛ يرى الرأي فلا يخشى أن يخالف فيه من سبقه كوفياً كان أو بصرياً . وقد يذكر الرأي ثم ينعت أحدهما بما يدل على تأييده للثاني

(١) طبقات الزبيدي : ١١٨

(٢) المصدر السابق : ١٧١

(٣) معجم الأدباء ٨ : ٣٠٦

(٤) بنية الوعاة : ٢٦٢

(٥) طبقات الزبيدي : ١٧٠



كأن يقول : « وإن قلت كذا كان فيهما » . وأهل البصرة لا يميزونه <sup>(١)</sup> .  
 أو أن يقول بعد ذكر رأيه : « هذا هو الوجه الجيد <sup>(٢)</sup> » . وقد يعرض  
 لأكثر من رأي واحد ، فيصنف الآراء تصنيفاً يسير فيه بحسب القوة والضعف  
 في رأيه ، كأن يقول : « الأجود في هذا الباب كذا » ، وبعد ذلك كذا . . . .  
 ودون ذلك كله كذا . . . » <sup>(٣)</sup>

وأما إذا أردنا أن نتعرف إلى مذهب الزجاجي النحوي من خلال استعماله  
 للمصطلحات ، وقد كان لكل من البصريين والكوفيين مصطلحاتهم ، فإننا نجد  
 العالم العدل الذي لا تهمه الأسماء ، بل يهتم أن يوضح مراده ، ويُدلي المعنى من  
 الفهم ، فنراه يستعمل الأسماء المختلفة المسماة الواحد ، كقوله : « الفصل ويسمى  
 الكوفيون العباد » <sup>(٤)</sup> . ونراه يصريح بتغيير ألفاظ الدين يحكي عنهم فيقول : « وإنما  
 نذكر هذه الأجوبة عن الكوفيين . . . إلا أن العبارة عن ذلك بغير ألفاظهم » .  
 وهو لا يفعل ذلك تمسكاً بغيره بل رغبة منه في التوضيح كما يقول : « لأنه  
 » لو تكلفنا حكاية ألفاظهم بأعيانها ، لكان في نقل ذلك مشقة علينا من غير  
 زيادة في الفائدة ، بل لعل أكثر ألفاظهم لا يفهمها من لم ينظر في كتبهم » <sup>(٥)</sup> .

الخلاصة إذاً أن الزجاجي كان كأكثر أساتذته الذين لم يكونوا بصريين  
 خلصاً ولا كوفيين خلصاً ، وإنما كانوا ذوي نزعة تجديدية تمزج بين نحوي  
 البصرة والكوفة ، وتأخذ من محاسنها ، تاركة العصبية المذهبية جانباً ، فلم  
 تكن ثقافتهم النحوية بصرية محضاً ، وإنما كانت مزاجاً من الثقافتين واتقاء

(١) الجمل : ١٥٠

(٢) الجمل : ١٦٩

(٣) الجمل : ٢١٨

(٤) الجمل : ١٥٢

(٥) الايضاح : ٧٢

من المذهبين ، وإن كان أخذها من أحدهما بتفاوت قوة وضعفها ، وكثرة وقلة .  
 هذا التفاوت في الميل إلى أحد المذهبين كان عند الزجاجي في جانب البصرة ؛  
 فعلى الرغم من أن معظم أساتذته كانوا على صلة وثيقة بشيوخ الكوفة ، ومذهب  
 علمائها ، وأنهم أخذوا عن ثعلب ، وكان منهم ابن الأنباري والحامض الكوفيان  
 فقد ظهر ميل أبي القاسم إلى البصريين حين اعتبر نفسه منهم فقال : « أصحابنا  
 البصريون <sup>(١)</sup> » ؛ وقال : « وليست هذه المسألة مسطرة لأصحابنا في شيء من  
 كتبهم البتة ، وهي مسطرة في كتب الكوفيين <sup>(٢)</sup> » . وظهر ميله هذا حين  
 كان يؤيد رأيهم كما في قوله عن الزاهر : « ووجدت فيه أيضاً مواضع من  
 النحو وعلمه ومن التصاريف على مذهب البصريين ودلت على صحة مزاعمهم دون  
 مذهب الكوفيين <sup>(٣)</sup> » .

وأهل هذا الميل إلى آراء البصريين يرجع إلى تأثير الزجاج في تلميذه ،  
 فن الواضح أن نسبته إليه تدلّ على أنه كان أستاذه المفضلّ وشيخه الأول ،  
 وقد رأينا كيف مال الزجاج عن ثعلب وهجره إلى المبرد الذي أوصاه بطرح  
 كتب الكوفيين .

ومن حق الزجاجي علينا أن نبيّن أخيراً أن هذا الميل لا يعني أبداً أنه  
 كان متعصباً ضد الكوفيين ، فقد كانت حدة التعصب فترت من جهة ،  
 وكانت نفسه — من جهة أخرى — أسى من أن يعميها التعصب عن الحق .  
 إن « بصريّة » الزجاجي لم تحل دون استعماله مصطلحات في مصنفاته . وهو  
 يبسط آراء الكوفيين ، ويذكر أحسن احتجاجاتهم ، ولا يغلظ لهم القول إن  
 ردّ عليهم ، شأنه في ذلك شأن العالم المنصف المتزن ، لقد كان أبو القاسم

(٢٧١) الأعيان والنظائر ٣ : ٤٦

(٣) مختصر الزاهر : الورقة ١

« زجاجياً » حقاً ، والزجاج هو الذي قال حين عوقب على تركه ثعلباً والتزامه المبرّد : « لست أقول بالذکر والخمول ، ولكنني أقول بالعلم والنظر » . وكذلك كان تلميذه أبو القاسم لا يقول بالليل والهوى ولكنه يقول بالعلم والحق .

#### أصوله :

وكان الزجاجي ذا أسلوب رصين ، ومنطقي محكم متين ، ونفس طويل ، يلج ميادين الجدل ، بل يفتح على نفسه أبوابها ، ويختلق لخصومه الحجج ، بالنقض ، وعلى العلل بالابطال ، صنيع علماء المنطق في إيراد أدلة خصومهم لهدمها وبناء آرائهم على أنقاضها ، كما كان يمتاز بدقة العالم وأمانته ، فهو لا ينسى إذا كان في صدد الاستشهاد بلفظ أو بيت أن يعنى بالسند العناية اللازمة كما فعل في الأمالي . وهو لا يذكر خبراً إلا يعزوه إلى مصدره ويذكر عن أخذه ويزداد تقديرنا لهذه الصفة إذا علمنا أن جلّ مسائله التي ذكرها لم تكن مدوّنة في الكتب وإنما أخذها مشافهة عن شيوخه وأساتذته . قال في مقدمة الإيضاح : « ونفهم إلى العلل بعد تقديمها ، مسائل مجموعة منشورة من سائر الحدود ، منها ما استغفرجناء من كتب العلماء وبسطناه وهذبناه وقرّبناه ، ومنها ما تلقيناه من علمائنا رضي الله عنهم تلقياً ومشافهة مما لم يودعوه كتبهم ولا يوجد فيها البتة . » وقال في آخر جوابه عن مسألة وردت عليه : « ولبست هذه المسألة مسطرة لأصحابنا في شيء من كتبهم البتة وهي مسطرة في كتب الكوفيين ، ولكنني سألت عنها أبا بكر بن الخياط ، وابن شقير ، فأجاباني بما ذكرته لك <sup>(١)</sup> . » ومثل ذلك ما ذكره في مقدمة الإذكار بالمسائل الفقهية . « من إيضاح للمصادر التي استقى منها <sup>(٢)</sup> . » مما يجعلنا نقدر فيه دقة العالم وأمانة المؤلف .

(١) الأشباه والنظائر ٣ : ١٤٦

(٢) هذا البحث ص ١

وخلاصة القول أن أبا القاسم الزجاجي ، كان من أفاضل الأئمة في النحو واللغة والأدب . شهد له العلماء بالفضل ، وعدّوه في طبقة أبي سعيد السيرافي وأبي علي الفارسي <sup>(١)</sup> . وحسبه ما عرفت عنه من شيوخ مؤلفاته وعموم نفعها ، وأن كتابه « الجُحَل » كان عليه المعول في مرحلة من مراحل تأريخ النحو حتى قبل فيه : هو كتاب المصريين ، وأهل المغرب ، وأهل الحجاز ، واليمن والشام ، إلى أن اشتغل الناس بالألمع <sup>(٢)</sup> لابن جني والايضاح <sup>(٣)</sup> لأبي علي الفارسي <sup>(٤)</sup> . «

مازله المبارك

( يتبع )

(١) نزهة الألبا : ٣٧٩

(٢) كتاب الألمع لأبي الفتح عثمان بن جني ، وهو كتاب صغير في النحو ، منه نسخة في دار الكتب بالقاهرة رقها / ١٧١٩ نحو / كتبت سنة ٦٨٠ في بغداد عدد أوراقها / ٦٤ . ولكتاب ألمع عدة شروح .

(٣) الايضاح كتاب شامل في النحو لأبي علي الحسن بن أحمد ابن عبد الغفار الفارسي منه نسخة في دار الكتب بالقاهرة رقها / ١٠٠٦ نحو / كتبت بخط مغربي سنة ٥٦٦ هـ وهي في جزأين .

(٤) إنباه الرواة ٢ : ١٦١

# كتاب شرح الالفات

لأبي بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري السعدي

توطئة :

المخطوطات القيمة التي حازتها خزانة المجمع الآسيوي بـكلكتا ( بنغالا - الهند ) عثرتُ من بينها على مجموع <sup>(١)</sup> عتيق رقمه A. 120 يحوي على رسائل عدد ٤ في القراءة ووجوهها ٤ منها أثر لطيف ، لأبي محمد بن القاسم بن محمد ابن بشار الأنباري السعدي اللغوي الشهير ، المتوفى سنة ٣٢٨/٧ ( ٩٣٩/٨ م ) وهو كتاب شرح الالفات ، الذي استغرق نحو تسع ورقات ٤ من بين ثلاث وسبعين ورقة من المجموع .

أما بقية الرسائل ، ففيها كتاب نهاية الاتقان في تجويد تلاوة القرآن ، لأبي الحسن شريح <sup>(٢)</sup> بن محمد بن شريح الرعي ، المتوفى سنة ٥٣٧ ( ١١٤٢ م ) وذلك من رواية : محمد بن مؤمن بن سعد الأنصاري ، عن مؤلفه أبي الحسن شريح المذكور ، سمعاً منه عليه ، في منزله بمدينة اشبيلية ، حماها الله ، سنة تسع عشرة وخمسمائة <sup>(٣)</sup> ( ٥١٩/١١٢٤ م ) وهو في طبعة المجموع ، وقد وردت

---

(١) راجع : فهرس المخطوطات العربية في خزانة المجمع الآسيوي ( ص ٤٧ - ٤٨ ، سنة ١٩٣٩ م كلكتا ) .

(٢) راجع : غاية النهاية ، ج ١ ص ٣٢٤ ، رقم ١٤١٨ .

(٣) العبارة بنصها عن ظهر المخطوط من كتاب نهاية الاتقان ، وقد جاءت في أسطر وآخر السطر الرابع ما نصه : بسم الله وإيانا يذك - ومحمد بن مؤمن هذا لم يترجم له ابن الجوزي كما لم يذكره في من أخذ عن أبي الحسن شريح ؛

في مواضع من هوامشه <sup>(١)</sup> ، خطوط وتوقيعات بقلم المقرئ ابراهيم <sup>(٢)</sup> بن محمد ابن وثيق الاموي ، المتوفى سنة ٦٥٤ ( ١٢٥٦ م ) بالاسكندرية ، وكان رحمه الله قرأ على حبيب <sup>(٣)</sup> بن محمد بن حبيب ، ابي الحسن الجبيري الاشبيلي ، سبط المقرئ ابي الحسن شريح الرعييني المقدم الذكر .

ومنها رسالة في الحروف ، لابن وثيق الاموي الاشبيلي الآنف الذكر .  
ومنها قطعة من كتاب لابي عمرو <sup>(٤)</sup> عثمان بن سعيد الداني الاموي ، المتوفى سنة ٤٤٤ ( ١٠٥٢ م ) ، ومعظم المجموع عبارة عن تلك القطعة :  
ومنها ، أوراق عدة ، تختلف عن جملة الرسائل المذكورة ، وهي من كتاب لا يمكن العثور على عنوانه ورسمه ، فضلا عن معرفته ومؤلفه واسمه :

تلك الرسائل كلها : مبنورة ، ناقصة ، مخرومة ، أكلت منها الليالي أكلًا لما ، ما عدا كتاب شرح الالفات ، لابن الانباري ، والورقات مختلفة الترتيب ، جاس بعضها خلال بعض ، فتصفحت المجموع ، وأعمنت النظر فيه ورقة ورقة حتى عثرت على جملة أوراق من كتاب شرح الالفات ، وقد جاءت تسعة ، بلا نقص ولا زياد ، على هذا الترتيب : الورقة الـ ٨ / ب - ١١ ، ٥ - ٤ ، ٣ ، ٢٥ ، ٢٢ / ظ ، ولم يفتنا شيء من هذا الأثر النفيس ، فالحمد لله على ذلك .

هذا المجموع على اختلاف ما تضمن من خروم الرسائل ، راجع إلى القرن السابع ، بحكم القرائن الخطية والآثار الشاهدة بلسانها على التقدم ، والخروم كلها

(١) الورقة الـ ٢٤ ظ ، والـ ٣٠ ب ، والـ ٣٢ ب ، والـ ٣٥ ظ .

(٢) راجع غاية النهاية ، ج ١ ص ٢٤ ، رقم ١٠١ .

(٣) المرجع السابق : ج ١ ص ٢٠٢ ، رقم ٩٣٢ .

(٤) راجع : غاية النهاية ، ج ١ ص ٥٠٣ ، رقم ٢٠٩١ .

مغربية السوس ، عتيقة اللبوس ، خطوطها متراوحة<sup>(١)</sup> بين النسخي والجوهر المألوف عند المغاربة ، والنشابه الخطي بين كتاب شرح الالفات وبين قطعي الرعيبي وابن وثيق الأموي ، أشد وأقوى ، حتى يغلب على الظن ان المجموع قضى برهنة من الزمان ، في حوزة ابن وثيق هذا ، ويؤيده ما ورد في حواشي كتاب نهاية الاتقان من خطوط<sup>(٢)</sup> ، بقلم ابن وثيق موقعة بما نصه - « قال ذلك ابن وثيق » - و - « قال ذلك ابراهيم بن محمد بن وثيق » -

أما كتاب شرح الالفات : فقد سماه ابن النديم<sup>(٣)</sup> ، في عداد مؤلفات ابن الانباري بكتاب الالفات ، وتبعه ياقوت ، في إرشاد<sup>(٤)</sup> الأريب ، فلم يعرفاه بشرح الالفات كما لم يذكرنا عن مقداره ، وفصوله ، شيئاً نستمدُّ به ، في القطع بان كتاب الالفات ، الذي ذكرناه ، هو ليس غير هذه النسخة المرسومة ، بشرح الالفات ، على أني لا أتمارى في عزو شرح الالفات هذا ، الى ابن الانباري ، والذي نستند اليه وثيق به ، في ذلك هو السند المزبور في طليعة النسخة ، فانه بنيء القراء ، عن قدر هذا الأثر بين العلماء الجلة ، حيث تناقله بعضهم عن بعض منذ عصر مؤلفه ، ابن الانباري ، الى منتصف القرن السابع ، وكلهم اعلام ، معارف ، على اختلاف عصورهم ، لا ينكر فضلهم ، ولا يشق غبارهم ، وسُرد اسمائهم في موضعها من السند ؛ ويؤيده ما ورد ، في اللسان<sup>(٥)</sup> والتاج ، من كلام ابن الانباري في ترجمة الألف ، وسبأني التنبيه الى ذلك في غير موضع ، من نص الكتاب ؛ ثم الذي يزيدني ثقة بما اعتقدت ، ان بعض ما وصل إلينا من مؤلفات المتقدمين ، ربما لا يتجاوز بضع ورفات .

(١) راجع كتاب الفهرست : ص ١١٢ طبعة مصر ،

(٢) انظر الارشاد : ج ٧ ص ٧٧ طبعة تذكارتغيب .

(٣) راجع اللسان : ج ٢٠ ص ٣١٣ ، وقاج المروس : ج ١٠ ص ٤٢٣ .

قد تصفحت من فهرس النسخ الخطية ، ما وصلت اليه يدي ، بحثا عن مخطوط آخر من هذا الكتاب ، فاطلعت على نسخة ، منه ، عتيقة ، في خزانة برلين ، في ضمن مجموع <sup>(١)</sup> ، برقم ٦٨٥٦ ، عنوانها : شرح الالفاظ المبتدئات في الاسماء والافعال وهي تستغرق نحو سبع أوراق من المجموع ( الورقة الم - ال ٧ / ظ ) وانسخها عبد الواحد بن احمد الثقفي ، في شهر شعبان ، سنة ٥٠٨ ( ١١١٥ م ) وقد اورد منها اهلوردت عدة اسطر بنصها ، فاستدللت بها ان النسخة لا تختلف عن نسختنا الاسبوية ، في شيء . وهذه النسخة ، أغفلها برلمان الألماني ، في تأليفه الحافل ، ولكنه عرّفني بمخطوط <sup>(٢)</sup> آخر من الكتاب رسمه « المختصر في ذكر الالفاظ » وهو محفوظ في خزانة لاليلي ، باستنبول وضمنه هناك أيضا مجموع مسجل برقم ٣٧٤٠ ، وهو يحتوي على رسائل من تأليف مشاهير الكتاب أمثال الزمخشري ، وابن الحاجب وهذا المختصر ، هو العاشر في الترتيب ، في نحو ست أوراق ( الورقة الم ١٠٣ - ١٠٨ ) وهاكم عبارة ختامه كما وردت في مجلة <sup>(٣)</sup> Le Monde Oriental : « تم الكتاب لاربع ليال خلون من شوال ، سنة اثنتين وثمانين وستمائة ( ٦٨٢ / ١٢٨٣ ) وبقلب الظن ان هذا المخطوط ، أيضا ، لا يختلف عن اصلنا المخطوط في شيء من البنية ، أما اختلاف النسخ المتعددة ، فيما بينها ، فهو أمر بين ، غير مدفوع بحكم البداهة :

قد رجحت النسخة الالمانية ، وفاقته أختها ، باعتبار التاريخ ، وكذلك نسخة استنبول تطبي القلوب ، اذ جاءت مسجلة بعمرها ، فلا ريب انها بهذا الاعتبار

(١) انظر فهرسة اهلوردت : ج ٦ ص ٢٠٠ ( سنة ١٨٩٤ م ) .

(٢) راجع تاريخ الآداب العربية - التتمة : ج ١ ص ١٨٢ .

(٣) راجع العدد الرابع ( مقال الأستاذ ريشتر O. Rescher ) ص ١٠٧ سنة ١٩١٣ م .



تفوقان نسخة المجمع الاسيوي بكلكنا ، واكتها نسخة لا تتأخر عن القرن السابع ولست دونها في القيمة بل هي تزداد ثمننا ، بما تضمنت من سلسلة إسنادها الى المؤلف ، وذلك يدل على صلة الكتاب بطبقة العلماء الأفاضل ، فقد رواه عن ابن الانباري ابو عمرو الرزاز ، المتوفى سنة ٣٦٧ ورواه عنه ، ابو الحسن الحمّامي ، المقرئ المتوفى سنة ٤١٧ ، ورواه عنه أبو الحسن العلاف ، المتوفى سنة ٥٠٥ ، ورواه عنه ، الحافظ ، السّافّي ، المتوفى سنة ٥٧٦ ، ورواه عنه ، ابن رواج القرشي الاسكندراني ، المتوفى سنة ٦٤٨ .

وتلك منزلة ، محرماتها كالتا النسختين فيما يظهر ، ولا يخفى ان النص الذي انتقل اليها عن الرواة الثقات ، لا يساويه ، ما انسخه الوراقون ، في مصحف غير مروية ، وان كانوا ذوي روية ؟

ثم يجب الانباء الى أمور ، أولا ، ان موضوع الكتاب ، ليس ببديع ولا غامض . ولكنه أثر عتيق يستحق التنويه لما تضمن من طريقة البحث للمتقدمين في ذلك ، وقد ألف في موضوع الألفات وغيرها من الحروف ، رجال القرون المتقدمة ، على اختلاف طبقاتهم ومناحيهم في مسائل التصريف والإعراب ، منهم المازني ابو عثمان بكر بن محمد البصري ، المتوفى سنة ٢٤٩/٨ ( ٨٦٣/٢ م ) له كتاب <sup>(١)</sup> الألف واللام وكان الرّماني شرحه <sup>(٢)</sup> ، والسيرافي ابو سعيد الحسن بن عبد الله ، المتوفى سنة ٣٦٨ ( ٩٧٨ م ) ، صاحب كتاب الفات الوصل <sup>(٣)</sup> والقطع ، والجمع ابو بكر ، صاحب ابن كيسان ، له كتاب

(١) انظر كتاب الفهرست : ص ٨٥ ، والوفيات ، لابن خلكان : رقم ١١٧ ( طبعة غوتنبرج ) .

(٢) راجع الفهرست : ص ٩٥ .

(٣) الفهرست : ص ٩٣ ، وابن خلكان : رقم ١٦١ .

الألفات <sup>(١)</sup> ، وابن خالويه اللغوي ، المتوفى سنة ٣٧٠ ( ٩٨٠ م ) له كتاب الألفات <sup>(٢)</sup> وهو من أصحاب أبي بكر بن الأنباري ، والرماني أبو الحسن علي بن عيسى ، المتوفى سنة ٣٨٢ ( ٩٩٢ م ) له كتاب الألفات <sup>(٣)</sup> في القرآن وأمثالهم .

وانتصر ابن الأنباري - في كتابه هذا - من الألفات على أصولها التي تأتي في أوائل الأفعال ، والأسماء ، والادوات ، مع إلمامه ببعض النوابع ، وخص لكل صنف ، باباً فتم الكتاب في ثلاثة أبواب قصيرة ، والذين حاولوا التوسع في الموضوع ، واستفاضوا في البحث عن النوابع ، ذكروا الألف وجوهاً ، وأحصوا لها ، ضرورياً ، مع زيادة بعضهم على بعض ، وتجدها مشروحة ، موجهة في كتاب منازل <sup>(٤)</sup> الحروف ، المنسوب إلى الرماني أبي الحسن علي بن عيسى ( المتوفى سنة ٣٨٢ ) وفي رسالة <sup>(٥)</sup> الحروف ، المنسوبة إلى النضر بن شميل المتوفى سنة ٢٠٤/٣ ( ٨١٩/٨ م ) وفي كتاب مرر العربية للثعالبي ، المتوفى سنة ٤٢٩ ( ١٠٣٧ م ) وفي غير ذلك من كتبهم في الباب .

والثاني أن المؤلف ، يلقب المحزة بالألف . وليس ذلك توهم منه بل انهم جميعاً ، يتجاوزن في تسمية المحزة بالألف وقد أتى كلامهم في المعنى على أتو واحد .

والثالث انهم اختلفوا في بيان التقسيم الاولي للالف ، فذهبت طائفة الى ان

- (١) الفهرست : ص ١٢٢ .
- (٢) الفهرست : ص ١٢٤ ، والوفيات : رقم ١٩٣ وقد أحال على كتاب الألفات هذا ، في كتابه : اعراب ثلاثين سورة .
- (٣) راجع الفهرست : ص ٩٤ - ٩٥ .
- (٤) هذا الكتاب ، نشره ، الفاضل غلام مصطفى ، مجلة كلية الآلثة الشرفية بمدينة لاهور ، المدة ال ٢ المجلد ال ٧ : ص ١٨ - ٤٢ .
- (٥) راجع البغة في شذور الة : ص ١٦٠ طبعة بيروت سنة ١٩١٤ م .

الالف على ضربين ، الف القطع والف الوصل ، ومنهم السيرافي ابو سعيد ، كما يظهر من ترجمة كتابه فيما تقدم ، والجوهري <sup>(١)</sup> ، صاحب الصحاح ، وهؤلاء يعتبرون القطعية أنها قد تكون زائدة وقد تكون أصلية ، ومنهم من زعم القطعية ، أصلية فلحقها الف الاصل وقد ذهب الى ذلك ابو جعفر بن سعدان ، وخلف بن هشام البزار ، ورد عليها ابن الانباري في كتابه هذا . وطائفة اخرى تقول ، ان الالفات ثلاث ، أصلية ، وقطعية ، ووصلية وهو مذهب ابي العباس احمد بن يحيى ، ومحمد بن يزيد ، فيما روى عنها <sup>(٢)</sup> الازهري واختاره ابن الانباري فهؤلاء يحسبون الأصلية ضرباً برأسها .

واذا كانت التسخنان - الألمانية ، والاستنبولية - من الكتاب ، تقطعت دونها الأسباب والوسائل ، عوّلت على النسخة الاسيادية ، وحدها ، وهي في حد ذاتها ، نسخة جيدة ، مضبوطة ، مصححة ، وفورنت مع نسخة أخرى لا أعرفها ، وقد نبه صاحب اصلنا المخطوط ، على اختلاف ما بينها وسيرد ما 'حكي عنها في موضعه من التعليقات .

في حاشية الاصل ، أيضاً ، زيادات ، أثبتتها الناسخ بخطه ، لا يتم الكلام ، بدونها ، فأدجبتها ، في سياق المتن ، حيثما يقتضيها سداد نظم الكلام ، وجعلتها بين القوسين .

وجاءت في موضع من الكتاب ، عبارة طويلة ، تستغرق هوامش الورقتين الـ ١٠ / ب - الورقة الـ ١١ / ظ ، علقها الناسخ من كتاب الوقف والابتداء ، لابن الانباري أيضاً ، حولتها ، عن موضعها من الهامش ، وقيدتها في آخر نسختنا ، لكونها فائدة برأسها .

(١) انظر صحاح اللغة - ج ٢ ص ٥٧١ .

(٢) انظر تلحج العروس - ج ١٠ ص ٢٢٢ .

وقد عاث العث ، في غير موضع من المخطوط ، فشوش حروفاً ، وأذهب  
التغليظ والترقيق ، طائفة منها ، فوضعت كل ما رأيت ، صواباً ، في تلك  
المواضع ، بين المربعين وقد زدت ، في أكثر من موضع ، لفظاً أو لفظين ،  
بمقتضى السياق والسباق ، فما جاء على هذا المثال ، يحيط به العكفان .

وطول المخطوط ١٧ سنتيمتراً ونصف في عرض ١٣ سنتيمتراً والقسم المكتوب  
من كل صفحة طوله ١٢ سنتيمتراً في عرض ٩ س . وفي كل صفحة ١٧  
سطراً وفي الصفحة الأخيرة ٨ سطراً فقط .

(الهند)

أبو محفوظ الكريم مصوري

## كتاب شرح الألفات

[ ورقة ال ٨ / ب ] **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**

صلى الله على محمد ،

قال ، ثنا ، الشيخ ، الفقيه ، الراوية <sup>(١)</sup> ، ابو محمد عبد الوهاب بن ظافر القرشي ، عرف والده ، برواج <sup>(٢)</sup> ،  
قال ، ثنا ، الشيخ الفقيه ، الحافظ ، أبو الطاهر احمد <sup>(٣)</sup> بن محمد

(١) الاصل : الرواية .

(٢) المحدث ابن رواج ، رشيد الدين ، ابو محمد ، عبد الوهاب بن ظافر بن علي ابن توج الاسكندراني المالكي ، ولد سنة ٥٥٤ هـ ( ١١٥٩ م ) وتوفي سنة ٦٤٨ / ١٢٥٠ م .

له ترجمة في تذكرة الحفاظ ، للذهبي ( ج ٤ ص ٩٢ ) وفي حـسن المحاضرة للسيوطي ( ج ١ ص ١٥٩ - ١٦٠ ، طبعة الشرقية ، ١٣٣٧ هـ ) وفي شذرات الذهب ( ج ٥ ص ٢٤٢ ) وعن أخيه عنه محمد بن يوسف المقدسي ، المتوفى سنة ٧٠٣ / ١٣٠٣ م ( غاية النهاية ج ٢ ص ٢٨٨ ) والشيخ بديع الدين المصري علي بن محمد المتوفى سنة ٦٨٦ / ١٢٨٧ م ( بـقية الوعاة : ص ٣٥١ ) وفي بعض المطابع : ابن رواج بجاء ، مصحفاً ؛ وابن رواج هذا ، يروي عن الحافظ البيهقي ، كتاب المحدث الفاضل بين الراوي والواعي ، تأليف القاضي ، أبي محمد الحسن ابن محمد بن خلاد الرامهرمزي - بساءه عليه في شهر رمضان ، سنة ٥٧٤ / ١١٧٨ م ( انظر فهرس النسخ الخطية باسكوريال ، تأليف . دـيرن بورغ : ج ٣ رقم ١٦٠٨ ) .

(٣) هو من جـلة الحفاظ ، توفي يوم الجمعة ، خامس عشر ، ربيع الآخر سنة ست وسبعين وخمسمائة ( ٥٧٦ / ١١٨٠ م ) له ترجمة في الباب السمعاني ( الورقة ، الـ ٣٠٢ ) والوفيات ( رقم ٤٣ - طبعة غوتنبـرغ ) وتذكرة الحفاظ ( ج ٤ ص ٩٠ ) وطبقات الشافعية ، للسبكي ( ج ٤ ص ٤٣ ) وغاية النهاية ( ج ١ ص ١٠٢ رقم ٤٧٢ ) وشذرات الذهب ، ( ج ٤ ص ٢٥٥ ) وقـاج البروس ( ج ٦ ص ١٤٤ ) .

السيلفي<sup>(١)</sup> ، رضي الله عنه .

قال ، أنا ، الحجاب ، ابو الحسن علي<sup>(٢)</sup> بن محمد بن علي بن يوسف  
ابن العلاف ، المقرئ ، ببغداد ، قراءة عليه ، بها ، سنة أربع<sup>(٣)</sup> وأسمين<sup>(٤)</sup>  
وأربع مائة ،

قال ، أنا ، ابو الحسن [علي]<sup>(٥)</sup> بن احمد بن عمرو بن حفص ، المقرئ ، الحماني  
< قال > ثنا ، ابو عمرو<sup>(٥)</sup> عثمان بن احمد بن سمعان ،

(١) شكله في الأصل أيضاً ، بكسر السين مع علامة الإهمال تحتهما ، ويفتح اللام  
وكتب فوقه صح وكذا ضبطه ابن الجوّاني بكسر ففتح ويؤيده ما وجد بخط يوسف  
ابن شاهين ، وهذه النسبة الى سلفه تمريب سهليه بالفارسية أي ذو ثلاث  
شفاه ، وهو جده ، وكان مشغوق الشفة وفي قول الزركشي ، شلفه بالشين معجمة ،  
أو النسبة الى قرية بامصفهان وهو غلط وقيل الى بني السلف من حمير ذكره  
ابن الجوّاني ومال اليه الزبيدي ( راجع تلج المروس والمراجع السابقة ) .  
(٢) هو آخر من روى عن الحماني . ولد سنة ٤٠٦ / ١١٠٥ م وتوفي عن مائة  
إلا سنة ، في المحرم سنة ٥٠٥ / ١١١١ م . له ترجمة في شذرات الذهب  
( ج ٤ ص ١٠ ) .

(٣) ٤٩٤ / ١١٠٠ م وكانت رحلة السيلفي الى بغداد في رمضان سنة ٤٩٣ / ١٠٩٩ م ،  
ثم حج وعاد اليها ، فتفقه ، واشتغل بالعربية ( راجع طبقات الشافعية ) .

(٤) الحماني يفتح الحاء المهملة ، وتشديد الميم روى عنه الخطيب والبيهقي وأبو الحسن  
ابن العلاف ، توفي سنة ٤١٧ / ١٠٢٦ م وقال السمعاني في حدود سنة ٤٢٠ /  
١٠٢٩ م وهو متفرد بهذا .

له ترجمة في تاريخ بغداد ( ج ١١ ص ٣٢٩ رقم ٦١٥٦ ) وأنساب السمعاني  
( الورقة ال ١٧٤ ب ) وغاية النهاية ( ج ١ ص ٥٢١ رقم ٢١٥٧ ) وشذرات  
الذهب ( ج ٣ ص ٢٠٨ ) وتلج المروس ( ج ٨ ص ٢٦٠ ) .

(٥) هو الرزاز ، البغدادي ، ويعرف بالحماني يفتح الميم والجيم وبعدها الألف وفي  
آخرها الشين المعجمة ، وفي أنساب السمعاني « البزار » وفي غاية النهاية « النجاشي »  
بالنون ، مصنفين ، توفي سنة ٣٦٧ ( ٩٧٧ م ) راجع له تاريخ بغداد  
( ج ١١ ص ٣٠٦ رقم ٦١٠١ ) والألساب ( الورقة ال ٥٠٨ ) وغاية النهاية  
( ج ١ ص ٥٠١ رقم ٢٠٨٣ ) .

قال ، قال ، أبو بكر محمد <sup>(١)</sup> بن القاسم بن بشار الانباري النحوي

### باب <sup>(٢)</sup> ذكر الألفات التي يُبتدأ بها في أوائل الأفعال

وانما قدمناها ، على ألفات الأسماء ، والأدوات ، لقرب أصولها ، على المستفيدين وسهولة التفريع منها ، وقلة التباس العلل فيها ، عليهم ؛ اعلم ، ان الألفات المبتدأ بها ، في أوائل الأفعال ، ست :  
الف أصل ، والف قطع ، والف وصل ، والف <sup>(٣)</sup> الاستفهام ، والف المخبر عن نفسه ، والف ما لم يُسم فاعله ،

فأما الف الأصل ، فانها تعرف ، بان ترى فاءً من الفعل <sup>(٤)</sup> ، ثابتة في المستقبل ، كقوله تعالى ، أتى امرؤ الله فلا تستعجلوه <sup>(٥)</sup> ،  
الف أتى ، الف الأصل ، لأن وزن أتى ، من الفعل ، قَعَلَ <sup>(٦)</sup> ، فالحزمة ، فاء الفعل ، والمستقبل يأتي ، فالالف موجودة فيه ، ومثل أتى ، أمروا <sup>(٧)</sup> وأرى ، وأذن ، وأبقى ، وأسن ، وما أشبههن ؛

(١) هو مؤلف الكتاب ، يضرب به المثل في حضور البديهة وسرعة الجواب وصفوه بنهاية الذكاء والبطنة ، وجودة الفريضة وسرعة الحفظ وأكثر ما كان عليه من غير دفتر ولا كتاب ، مات عن دون الخمسين وتوفي سنة ٣٢٨/٧ ( ٩٣٩/٨ م ) .  
له ترجمة في الفهرست ( ص ١١٢ ) وقارنغ بغداد ( ج ٣ ص ١٨١ رقم ١٢٢٤ ) ومجمع الادباء ( ج ٧ ص ٧٣ ) ونزهة الالباء ( ص ٣٣٠ - طبعة مصر ، سنة ١٢٩٤ ) والوفيات ( رقم ٦٥٣ ) وتذكرة الحفاظ ( ج ٣ ص ٥٧٦ ) وطبقات الخبائلا لابن أبي يعلى ( ص ٣٢٧ ) والأنساب ( الورقة ال ٤٩ ب ) وبغية الوعاة ( ص ٩١ - ٩٢ ) وشذرات الذهب ( ج ٢ ص ٣١٥ ) .

(٢) مخطوط برلين : « ذكر الألفات » [ فهرسة اهلوردت ] .

(٣) المرجع المذكور : « الف استفهام » .

(٤) يعني الماضي .

(٥) ص ١٦ ، الآية ال ١ .

(٦) الأصل : « قَعَلَ » .

(٧) كذا بصيغة الجمع في الأصل ، ولو كان « امر » لكان أليط بسباق الكلام .

والف القطع ، 'تفتح في الماضي ، والامر ، وتكسر<sup>(١)</sup> في المصدر ، تعرف [ الورقة الـ ٩ / ظ ] بضم اول المستقبل ، كقوله عنّ وجل ، ألهاكم<sup>(٢)</sup> التكاثر ، ألف ألهاكم ، الف قطع ، لان ( اول المستقبل ) مضوم ، وهي الياء ، في 'يلهي ، وألهمي<sup>(٣)</sup> ، فعل ماض ، ومثله ، أحسن ، وأعطى ، وأقال ، وأنعم ، وأخلق ، وأقفل ،

وتبتدى . ، قوله عنّ وجل ، وقال الذي اشتراه من مصر لاسرته أكرمي مثواه<sup>(٤)</sup> ، أكرمي بالفتح ، لانها الف قطع ، معروفة بضم اول المستقبل ، وهو 'بكرم ، وأكرمني ، وكذلك ، أدخاني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق<sup>(٥)</sup> ، وبأسماء أفلعي<sup>(٦)</sup> ،

وتبتدى . ، قوله عنّ وجل ، ويخرجكم إخراجا<sup>(٧)</sup> ، بكسر الالف ، لانها الف قطع ، في المصدر ، اول مستقبلها مضوم ، وهو 'يخرج ، وكذلك ، إعطاء ، وإحسان ، وإنعام ،

وأما اختاروا لها ، الكسر ، وعدلوا فيها ، عن الفتح ، كراهية ان يلتبس المصدر ، بالجمع ، اذ أخرج<sup>(٨)</sup> ، جمع 'خرج ، وأحسان<sup>(٩)</sup> جمع 'حسن ،

(١) موضع خرم في الأصل .

(٢) س ١٠٢ ، الآية الـ ١ .

(٣) رسمه في الأصل : ألها .

(٤) س ١٢ ، ع ٣ ، الآية الـ ١ .

(٥) س ١٧ ، ع ٩ ، الآية الـ ٣ .

(٦) س ١١ ، ع ٤ ، الآية الـ ٩ .

(٧) س ٧١ ، ع ١ ، الآية الـ ١٩ .

(٨) ابن خالويه : فان قيل ، لم كسرت الالف ، في المصدر ( الإخراج ) قل : لتلا يلتبس بالف الجمع مثل أخرج ، جمع خريج ، ( اعراب ثلاثين سورة : س ١٥٢ ) .

(٩) أغفله أصحاب المعاجم . والمدروف في الجمع عاسن ، وهو جمع لا واحد له عند جمهور أهل اللغة والنحو .



وأعطاء (١) جمع 'عطو' ، وأنعام جمع 'نعم' (٢) ،

وكان أبو جعفر ، محمد (٣) بن سعدان ، وخلف (٤) بن هشام ، البرّار (٥) ،  
يلقبان ، الف القطع ، الف الأصل ، وليس ذلك بصحيح عندنا ، من قبل  
أن الف الوصل (٦) ، هي التي تكون فاءً من الفعل والف القطع ، ليست فاءً  
من الفعل ، ولا عيناً ، ولا لاماً ، وما هذا صفته ، فهو زائده ، غير أصلي ،  
والف الوصل ، تعرف ، بسقوطها من الدرّج ، وبفتح أول المستقبل ،

(١) هذا الحرف مثلث وكندوي ، وظي' عطو' : يتناول الى الشجر ، لينناول  
منه ( عن القاموس ) .

(٢) كذا يسكون العين ، في الأصل ، وقال الجدي : وقد يسكن عينه .

(٣) هو من النحاة الكوفيين ، ولد سنة ١٦١ / ٧٧٧ م ببغداد وتوفي سنة ٢٣١ /  
٨٤٥ م . له ترجمة ، في الفهرست ( ص : ١٠٤ ) وغاية النهاية ( ج ٣ ص ١٤٣  
رقم ٣٠١٩ ) وبغية الوعاة ( ص : ٤٥ ) .

(٤) أبو محمد ، البرّار ، ببغداد ، أصله من قم الصليح ، ولد سنة ١٥٠ / ٧٦٧ م ،  
وتوفي ، سنة ٢٢٩ / ٨٤٣ م ، وهو مخفّر من الجهيّة ؛

له ترجمة ، في تاريخ بغداد ( ج ٨ ، ص ٣٢٢ ، رقم ٤٤١٧ ) وغاية النهاية  
( ج ١ ، ص ٢٧٢ ، رقم ١٢٣٥ ) وتاريخ الخبائبة لابن أبي يعلّى ( اختصار  
التاليسي ، ص : ١١٢ ) ومفتاح السعادة ( ج ١ ، ص ٣٧٩ ) .

(٥) عبارة الأصل هكذا : « . . . وخلف بن هشام ، يلقبان ، الثوار ، الف القطع  
الف الأصل » ، والثوار ، مصحّف عن البرّار ، ثم هو مدرج في غير موضعه ،  
والصواب ما قرأته ، أن شاء الله .

(٦) كذا في الأصل ، وهو غلط ، وجاء في الحاشية ، الأصل صح ، وهذا هو  
الصواب بلا امتراء ، وهذا الخطأ فيه قديم جدّاً ، فقد ورد في ما حكاه ،  
ابن منظور ، عن ابن الأباري ، ما نصه : والفرق ، بين الف القطع ،  
والف الوصل ، أن الف الوصل ، فاء من الفعل ، وألف القطع ، ليست  
فاءً ، ولا عيناً ، ولا لاماً ( اطلب اللسان ، ج ٢٠ ص ٣١٣ ) وكذا ،  
عند المرفعي الزبيدي ، ولفظه ، والفرق ، بين الف القطع ، والوصل ، أن  
ألف الوصل ، فاء من الفعل النح ( انظر تاج العروس ، ج ١٠ ، ص ٤٢٣ )  
والصواب الظاهر ، أن الكلام ، هنا ، في الفرق بين الف القطع والف الأصل .

وهي مبنية على ثالث المستقبل ، ان كان الثالث مكسوراً ، او مفتوحاً ، كُسرت  
وان كان مضموماً ، ضمنت ،

فتبتدئ ، قوله عن وصل ، ان اضرب بعصاك <sup>(١)</sup> ، بكسر الف اضرب  
لأنها مبنية ( على الراء ، في يضرب ، وهي ) [ الورقة ال ٩ / ب ] الف  
وصل ، اذ كانت ساقطة ، في الوصل ، مفتوحاً اول مستقبلها ، يضرب ،  
وانما بنيت ، على ثالث المستقبل ، ولم تُبنَ ، على الاول ، منه ولا الثاني ،  
ولا الرابع ، لان الاول زائد ، والزائد لا يُبنى عليه ، والثاني ساكن  
والساكن <sup>(٢)</sup> يتبدأ به ، والرابع لا يثبت على إعرابه واحد ، اذ كان مضموماً ،  
في الرفع ، او مكنى في الجزم ، مفتوحاً في النصب ، فبنيت من اجل ذلك ،  
على الذي اعرابه لازم ، غير منقل ، وهو الثالث ، مثل اضرب ، نستعين <sup>(٣)</sup>  
اهدنا ، بتدئ به <sup>(٤)</sup> اهدنا ، لأنها الف وصل ، مبنية على كسرة الدال ،  
في يهدي ، والضمة الموجودة في الوصل ، هي ضمة نون نستعين ، والف اهدنا ،  
معدومة ، من اللفظ ، عند الوصل ، ومثله ، ارجعوا <sup>(٥)</sup> الى ايكم ، ابن لي  
صريحاً <sup>(٦)</sup> ، امضوا ، ابتوا <sup>(٧)</sup> صفاً ،

فان قال ، قائل ، التاء في ابتوا ، مضومة ، ومثلها الضاد ، من امضوا ،  
قبل له ، التاء على تاء ، يأتي ، و < الضاد ، على > ضاد يضي <sup>(٨)</sup> ، والاصل

(١) س ٢٦ ، ع ٤ ، الآية ال ١١

(٢) دلّ الأصل : لا يتبدأ به ، وهو الصواب

(٣) الفاعلة - الآية ال ٤ - هـ

(٤) يعني بالكسر

(٥) س ١٢ ، ع ١٠ ، الآية ال ٢

(٦) س ٤٠ ، ع ٤ ، الآية ال ٩

(٧) س ٢٠ ، ع ٣ ، الآية ال ٦٤

(٨) الاصل ، يضي

في امضوا<sup>(١)</sup> وابثوا ، امضيو<sup>(٢)</sup> ، وانثيو<sup>(٣)</sup> ، فاستثقلوا الضمة ، على الياء ، فاقوها ، على الضاد ، والناء ، بعد ان أزالوا ، عنها الكسرة ، واسقطوا الياء ، لسكونها ، وسكون الواو ؟

وتبتدي ، قوله عز وجل ، اشكر<sup>(٤)</sup> لي ، أشكر > بضم الالف < لانها ، الف وصل ، مبنية على كاف يشكر ، ومثله أعبدوا<sup>(٥)</sup> ، أدخل ، أخرج ، اقبل ، اكتب ، وما أشبههن ،

وتبتدي ، قوله تعالى ، ان اصنع<sup>(٦)</sup> الفلك ، اصنع ، بكسر الالف ، لانها مبنية على الثالث ، وهو النون ، في يصنع ؟

فان قال ، قائل ، هلا<sup>(٧)</sup> ففتحها ، اذا كان الثالث مفتوحاً ، كما تكسرهما ، اذا كان الثالث<sup>(٨)</sup> ، مكسوراً<sup>(٩)</sup> ، [ الورقة الـ ١٠ / ظ ] أو نضجها ، اذا كان الثالث مضموماً ، فقل ، كرهت ان افصحها ، فليتبس ( الامر بالخبر ، ألا ترى ( انك لو قلت ، في الامر ، اذهب يا رجل ، اصنع<sup>(١٠)</sup> يا رجل ، لالتبس بقولي في الخبر ، انا اذهب ، انا اصنع ،

فكسرناها ، لما بطل فيها الفتح ، لان الكسر ، اخو الفتح ، وذلك ان

(١) الاصل ، امضوا

(٢) الاصل ، أمضيو

(٣) الاصل ، أنثيو

(٤) س ٣١ ، ع ٢ ، الآية الـ ١٤

(٥) لو كان أعبد ، لكان ألبط بالنسق ، لله : ألبق

(٦) س ٢٣ ، ع ٢ ، الآية الـ ٢٧

(٧) الاصل : هلا

(٨) اكلته الارضة

(٩) جاء بالهامش : بادت المعاملة

(١٠) في حاشية الاصل ، ما اصبه ، وفي نسخة اخرى ، الا ترى انك لو قلت ،

اصنع ، بفتح الالف ، لالتبس ، بالاخبار عن النفس ، كقولك ، انا اصنع ،

صح في اخرى .

الحركات ، ثلاث فتحة ، وكسرة ، وضمة ، فالفتحة ، اخف الحركات ، ثم الكسرة ثلثها ، والضمة اقل الحركات ، فحركات الالف بالكسر ، لما كانت الكسرة تقرب من الفتحة ؛

ومثله ، ائذن <sup>(١)</sup> لي ، اذهبوا <sup>(٢)</sup> بقميحي ، اقرأ باسم <sup>(٣)</sup> ربك ، ابلعي <sup>(٤)</sup> ماءك ، اعلم ان الله ،

وتبتدي\* ، قوله عز وجل ، اذا السماء <sup>(٥)</sup> انفطرت ، < انفطرت > بكسر الالف ، لانها الف وصل ، مبنية على الطاء ، في ينفطر ؛

فان قال ، قائل ، بفتحها على الطاء ، والطاء رابعة ، لان ينفطر ، وزنه ينفعل ، فالنون زائدة ، لا يلتفت إليها ، والبناء على عين الفعل ، أين كانت وتبتدي\* ، ايضا ، قوله عز وجل ، الكاذبون <sup>(٦)</sup> استخوذ ، استخوذ [ بكسر ] الالف لانها مبنية ، على عين الفعل ، وهي الواو ، في يستخوذ ، يستفعل والبناء والسين زائدة ، لا يلتفت إليها ؛

وتبتدي\* ، قوله ، اذا السماء <sup>(٧)</sup> انشقت ، انشقت ، بكسر الالف ، لانها الف وصل ، مبنية ، على عين الفعل ، وهي القاف المدغمة ، في تنشق ، تنشقي على وزن تنفعل فاستثقل الجمع ، بين حرفين متحركين من جنس واحد ، واسكنت القاف الأولى ، وادغمت في التي بعدها ( فصارنا ، فاننا مشددة ) [ الورقة الـ ١٠ / ب ] والنون ، في تنشق ، زائدة ، لا يقبل عليها ؛

(١) س ٩ ، ع ٧ ، الآية الـ ٦

(٢) س ١٢ ، ع ١٠ ، الآية الـ ٩٣

(٣) س ٩٦ ، الآية الـ ١

(٤) س ١١ ، ع ٤ ، الآية الـ ٤٤

(٥) س ٨٢ ، الآية الـ ١

(٦) س ٥٨ ، ع ٣ ، الآية ١٨ - ١٩

(٧) س ٨٤ ، الآية الـ ١

وتبتدي ، قوله عز وجل ، [ الماء ] اهتزت <sup>(١)</sup> ، اهتزت ، بكسر  
الالف ، لانها ، الف وصل مبنية على عين الفعل « وهي الزاي المدغمة في  
تهتز ، من قبل ان اصل تهتز ، تهتزز » ، على مثل فتعمل ، فاستثقل الجمع بين  
زايين ، مخرج كمين <sup>(٢)</sup> ، فاستكنت الزاي الأولى ، وأدغمت ، في التي بعدها ،  
والياء التي في تهتز ، زائدة ، لا يعمل عليها ؛

والف وصل ، في الماضي ، على مثال ما هي عليه في الامر ، تبنى على العين ،  
لا غير ، والمحمزة الموجودة عند وصل الكلام ، في قوله ، الماء اهتزت ساफطة .  
وتبتدي ، قوله ، عز وجل ، آمنوا [ استمعينوا ] <sup>(٣)</sup> ، < استمعينوا >  
بالكسر ، لانها الف وصل مبنية على عين الفعل ، وهي الواو ، في استمعين ،  
قبل ان تقلب ياء ، والاصل في استمعين ، يستمعون ، على مثال نستخرج ،  
فاستثقلت الكسرة في الواو ، فألقيت على العين ، وجعلت [ الواو ] ياء  
لانكسار الالف ؛

وتبتدي ، قوله عز وجل ، وانا اخترتك <sup>(٤)</sup> ، (اخترتك) <sup>(٥)</sup> < بالكسر >  
لانها الف وصل مبنية على عين الفعل ، وهي الياء في يختار ، قبل ان تقلب  
ألفا ، لان اصله يختير على مثال يكتب ، فصارت الياء ، ألفا ، تخرجها ،  
وانفتح ما قبلها ،

وان سأل ، سائل ، عن قوله عز وجل ، لقائنا ائت ، بقرآن غير هذا <sup>(٦)</sup>

(١) س ٢٢ ، ع ١ ، الآية الـ ٥ ، س ٤١ ، ع ٥ ، الآية الـ ٣٩

(٢) الاصل : متحركين

(٣) س ٢ ، ع ١٩ ، الآية الـ ١٥٣

(٤) س ٤٥ ، ع ١ ، الآية الـ ١٣

(٥) جاء فوقه « صح »

م (٦)

(٦) س ١٠ ، ع ٢ ، الآية الـ ١٥

فقال كيف الابتداء [ به ] ، فقل ، إئت ، بكسر الالف ، لأنها الف وصل ، مبنية على تاء يأتي ، فإن [ الورقة ال ١١ / ط ] قال <sup>(١)</sup> ، قد وجدنا الألفات ، ثابتة في المستقبل ، وهي إحدى علامتي الف ( الاصل ، فيقال له ) الف الوصل ، داخلة على الف الاصل ، في هذا الحرف واصله اذا اردت الابتداء به ، إبتوا <sup>(٢)</sup> ، بالكسر ، فصارت المحمزة الساكنة ، ياء ، لانكسار الف الوصل ، واذا وصلت ، فقلت ، لقائنا إئت ، سقطت الف الوصل ، الموجودة في الابتداء مكسورة ، ورجعت المحمزة التي توجد في الابتداء مكسورة ساكنة ،

وتبتدي ، قوله عز وجل ، إطيرونا <sup>(٣)</sup> ، بالكسر ، لأنها الف وصل ، مبنية على عين الفعل ، المفتوحة ، وهي الياء ، في يطير ، واصله تطيرنا ، فابدلوا من التاء طاء ، لأنها أشبه بالطاء التي بعدها ، ثم اسكنوها ، وأدغموها ، في الطاء الثانية ، فلم يصلح الابتداء بساكن ، فادخلوا ألفاً ، يقع بها الابتداء ، ومثله اذاركوا <sup>(٤)</sup> ،

وتبتدي ، قوله عز وجل ، إني اصطفيتك <sup>(٥)</sup> ، < اصطفيتك > بالكسر لأنها الف وصل مبنية على عين الفعل ، وهي الفاء في يصطفي ، ولا تلتفت الى وقوع الفاء رابعة ، لان الطاء لا يعمل عليها ، من اجل ان اصل الحرف ، يصتفي ، يفتعل من الصفوة ، فابدلت الطاء من التاء ، لأنها أشبه بالصاد ، واخف على اللسان بعدها ، وتاء الافعال غير معمول عليها ،

( ينفع )

(١) غرور

(٢) لو كان « إئت » لكان أوفى بالسباق ، وهنا وردت تعليقه من كتاب الوقف والابتداء ، استنقرت حاشية الورقة ال ١١ / ط ثم وردت بقيتها بهامش الورقة ال ١٠ / ب ، وستأتي في آخر الكتاب

(٣) س ٢٧ ، ع ٤ ، الآية ال ٤٧

(٤) س ٧ ، ع ٤ ، الآية ال ٣٨

(٥) س ٧ ، ع ١٦ ، الآية ال ١٤٤

# رسالة ابن حزم

في أمهات الخلفاء

نمريه

ألف ابن حزم القرطبي <sup>(١)</sup> ( المتوفى سنة ٤٥٦ / ١٠٦٤ م ) في التاريخ  
كما صنف في الفلاسفة والشريعة وعلوم الدين . فما ألفه في التاريخ « جمهرة أنساب

(١) انظر عن ابن حزم ما يلي :

أ - من المصادر الأندلسية

الحبيدي ، جذوة القنيس ، ص ٢٩٠ ، رقم ٧٠٨ ( نشرة محمد بن تلويت الطنجي )  
ابن بشكوال ، الصلة ( مدريد ١٨٨٢ ) رقم ٨٨٨  
ابن خاقان ، مطمح الأنفس ، ص ٦٣ ( مطبعة السادة )  
ابن بشام ، الذخيرة ، القسم الأول من المجلد الأول ، ص ١٤٠  
ابن ساعد ، طبقات الأمم ( المطبعة الكاثوليكية ، ١٩١٢ ) ص ٧٥  
ابن سديد ، المغرب ١ : ٤٤ و ٤٥ ( دار المعارف بمصر )

ب - من المصادر المشرقية

ابن خلدان ، وفيات الأعيان ٣ : ١٣ ( ط . محبي الدين )  
الذهبي ، سير أعلام النبلاء ( مخطوطة أحمد الثالث )  
الصفدي ، الوافي بالوفيات ( مخطوطة أحمد الثالث )  
ابن العماد ، شذرات الذهب ٣ : ٢٩٩

ج - من المصادر الأجنبية

Brockelman, GAL

Asin Palacios, *Aben Hazem de Cordoba y su historia de las Ideas Religiosas*. Madrid, 1927—1932, 5 vol.

À. Gonzalez Palencia, *Historia de la Litteratura Arabigo — Espanôla*.

ترجم بالعربية باسم تاريخ الفكر الأندلسي . انظر ص ٢٢٠ خاصة .

العرب « ، و « بيان فضل الأندلس وذكر علمائه » ، و « نقط العروس في تواريخ الخلفاء » . وقد نشرت هذه الكتب الثلاثة .

لكن كتابه الكبير في التاريخ هو « الإمامة والخلافة وصراتها » <sup>(١)</sup> ، وهو كتاب لم نعتز عليه . وكان نُشر لابن حزم منذ عامين كتاب باسم « جوامع السيرة » <sup>(٢)</sup> . وهذا الاسم اخترعه المحققان اللذان حققا الكتاب . وقد أثبت على النسخة المخطوطة التي كننا عثرنا عليها في جامع الزيتونة بتونس « المرتبة الرابعة في نسب رسول الله وسيره ومغازيه وحمل من التاريخ » . وكنا ذكرنا في نقدنا هذه الفشرة أن الكتاب هو جزء من كتاب آخر . ونحن نميل الآن الى اعتباره جزءاً من الإمامة والخلافة وصراتها .

هذا ما نعرفه الى الآن عن تواليف ابن حزم في التاريخ . وقد عثرنا في معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية على رسالة مخطوطة لابن حزم كتب عليها « الأمهات » <sup>(٣)</sup> . ونقع في ورقتين كانتا ملحقتين بمخطوطة كتاب نقط العروس . ومصدرها مكتبة بايزيد عمومية في استانبول . وهما بخط قديم لعلها من أواخر القرن الخامس .

ولم نستطع أن نعلم هل كانت هاتان الورقتان رسالة خاصة أم باباً من أبواب كتاب آخر ؟ وكيف كانت الأمر ، فإنها تقدمان لنا نصاً جديداً من النصوص التي تركها ابن حزم في التاريخ .

وبدور الموضوع فيها حول أسماء أمهات الخلفاء الراشدين ، والامويين في

(١) انظر بلانكا ، تاريخ الفكر الأندلسي ص ٢٢٠ .

(٢) انظر نقدنا هذا الكتاب في مجلة معهد المخطوطات العربية . المجلد الثاني ( ١٩٥٦ ) ،

ص ١٨٩ - ١٩٣

(٣) انظر فهرس المخطوطات المصورة ، ( الجزء الثاني ، القسم الثاني من التاريخ ) ،

رقم ٦٨٢ ، ف ٨٥٣



الشرق ، وبعض الأمويين في الغرب ، وبعض الخلفاء العباسيين <sup>(١)</sup> .  
ونلاحظ أنه وقف عند الطائع في الخلفاء العباسيين . وكان توفي سنة  
٤٠٠ هـ . أما الخلفاء الأمويون في الأندلس فلا يذكرهم على الترتيب ، ويقف  
عند المستكفي .

ونفيدنا هذه الرسالة أن أمهات الخلفاء الراشدين ، والأمويين في المشرق  
كن حرائر ، عدا أم يزيد وإبراهيم ابني الوليد . أما العباسيون فأمهاتهم أمهات  
أولاد ، حاشا السقاج والمهدي والأمين . أما أمويو الأندلس فما ولي الخلافة  
منهم من أمه حرة أصلاً وكان ابن حزم قد ذكر هذه النتيجة في كتابه  
نقط العروس <sup>(٢)</sup> .

ونحن نقدم هذه الرسالة بعد أن قابلنا الأسماء الواردة فيها بما ورد في  
المصادر . وجعلنا بين عضادتين [ ] ما أضفناه منها ، وبيناً في الهامش سني  
تولية الخلفاء ، ووفياتهم ، لا وفيات أمهاتهم .

وهاكم الرسالة :

(١) ألفت في القديم ابن حبيب ( المتوفى سنة ٢٤٥ هـ ) رسالة في « أمهات النبي »  
أثرها حسين علي مخلوط . بغداد ١٣٧٢ هـ .  
(٢) انظر نقط العروس لابن حزم . ( مجلة كلية الآداب بالقاهرة ، المجلد ١٣  
« ١٩٥١ » ص ٨٨ )

## الأمهات

قال أبو محمد بن حزم :

أم النبي ﷺ (١) آمنَةُ بنتُ وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب  
ابن مرة .

وأم أبي بكر (٢) ، رضي الله عنه ، أم الخير ، مسلمة فاضلة ، سلمى  
بنت صخر بن عمر بن عامر بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة .

أم عمر (٣) ، رضي الله عنه ، حننمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله  
ابن عمر بن مخزوم بن بقظة بن مرة . كافرة .

وأم عثمان (٤) ، رضي الله عنه ، أروى بنت كرز (٥) بن ربيعة بن  
حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف .

وأم علي (٦) ، رضي الله عنه ، فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف .  
مسلمة فاضلة مهاجرة .

أم الحسن (٧) ، رضي الله عنه ، فاطمة بنت رسول الله ﷺ ورضي عنها .

(١) توفي سنة ١١ لهجرة

(٢) ( ١١ - ١٣ / ١٣ - ١٤ )

(٣) ( ١٣ - ٢٣ / ٢٣ - ٢٤ )

(٤) ( ٢٣ - ٣٥ / ٣٥ - ٣٦ )

(٥) في جوامع السيرة « كرز »

(٦) ( ٣٥ - ٤٠ / ٤٠ - ٤١ )

(٧) ( ٤٠ - ٤١ / ٤١ - ٤٢ )

أم معاوية <sup>(١)</sup> ، رضي الله عنه ، هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس  
ابن عبد مناف . مسيلة مبيعة .

أم يزيد <sup>(٢)</sup> ميسون بنت بحدل الكلبية .

أم عبد الله بن الزبير <sup>(٣)</sup> أسماء بنت أبي بكر الصديق .

أم معاوية بن يزيد <sup>(٤)</sup> أم خالد بنت هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس .

أم مروان بن الحكم <sup>(٥)</sup> الزرقاء الكنانية .

أم عبد الملك <sup>(٦)</sup> عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاصي بن أمية .

أم [ الوليد <sup>(٧)</sup> و ] سليمان <sup>(٨)</sup> ولادة بنت العباس بن جزء بن الحارث

ابن زهير بن جذيمة العبسي .

أم عمر بن <sup>(٩)</sup> عبد العزيز ، رضي الله عنه ، أم عاصم بنت عاصم بن عمر

ابن الخطاب .

[ أم يزيد بن عبد الملك <sup>(١٠)</sup> ] عائكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان .

أم هشام <sup>(١١)</sup> أم هشام بنت هشام بن اسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة

ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم .

(١) ( ٤١ - ٦٠ / ٦٠ هـ )

(٢) ( ٦٠ - ٦٤ / ٦٤ هـ )

(٣) ( ٦٤ - ٧٣ / هـ )

(٤) ( ٦٤ هـ / ٦٤ هـ )

(٥) ( ٦٤ - ٦٥ / ٦٥ هـ )

(٦) ( ٦٥ - ٨٦ / ٨٦ هـ )

(٧) ( ٨٦ - ٩٥ / ٩٥ هـ )

(٨) ( ٩٥ - ٩٩ / ٩٩ هـ )

(٩) ( ٩٩ - ١٠١ / ١٠١ هـ )

(١٠) ( ١٠١ - ١٠٥ / ١٠٥ هـ )

(١١) ( ١٠٥ - ١٢٥ / ١٢٥ هـ )

- [ أم الوليد بن يزيد <sup>(١)</sup> ] بنت محمد بن يوسف أخي الحجاج بن يوسف الثقفي .  
 [ أم يزيد بن الوليد <sup>(٢)</sup> ] شاهربد بنت خسرو بن فيروز بن يزدجرد  
 ابن شهریار بن كسرى ابرویز .  
 [ أم ابراهيم بن الوليد <sup>(٣)</sup> ] أم ولد لا أفف الآن على اسمها .  
 وأم مروان <sup>(٤)</sup> اختلف فيها . فقیل أم ولد اسمها ربّا . وقيل بنت جعدة  
 ابن كلب من بني عامر بن صعصعة .  
 أم السفاح <sup>(٥)</sup> رائطة <sup>(٦)</sup> بنت زياد بن عبد الله الحارثي ، من بني الحارث  
 ابن كعب .  
 أم المنصور <sup>(٧)</sup> سلامة البربرية من نقرة . وقيل من [ صنهاجة ] .  
 أم المهدي <sup>(٨)</sup> أم مومى بنت منصور الحميري .  
 أم الهادي <sup>(٩)</sup> وهارون <sup>(١٠)</sup> الخبزان ، مولدة كوفية .  
 وأم المؤمنين <sup>(١١)</sup> أم جعفر زبيدة بنت جعفر الأكبر بن أبي جعفر المنصور  
 وأم ابراهيم بن المهدي <sup>(١٢)</sup> شكالة ، ظفرية .

(١) ( ١٢٥ - ١٢٦ / ١٢٦ • )

(٢) ( ١٢٦ - ١٢٦ / ١٢٦ • )

(٣) ( ١٢٦ - ١٢٦ / ١٢٦ • )

(٤) ( ١٢٧ - ١٣٢ / ١٣٢ • )

(٥) ( ١٣٢ - ١٣٦ / ١٣٦ • )

(٦) في سروج الذهب : بنت عبيد الله بن عبد المدان الحارمية .

(٧) ( ١٣٦ - ١٥٨ / ١٥٨ • )

(٨) ( ١٥٨ - ١٦٩ / ١٦٩ • )

(٩) ( ١٦٩ - ١٧٠ / ١٧٠ • )

(١٠) ( ١٧٠ - ١٩٣ / ١٩٣ • )

(١١) ( ١٩٣ - ١٩٨ / ١٩٨ • )

(١٢) ( ٢٠٢ - ٢٢٤ / ٢٠٣ • )

- وَأُمّ المأمون <sup>(١)</sup> سراجُ ، رومية .  
 وَأُمّ المعتصم <sup>(٢)</sup> ماردة ، مولدة كوفية .  
 وَأُمّ الواثق <sup>(٣)</sup> قراطيسُ ، رومية .  
 وَأُمّ المتوكل <sup>(٤)</sup> شجاع ، تركية .  
 وَأُمّ المنتصر <sup>(٥)</sup> اسمها حبشية ، رومية .  
 وَأُمّ المستعين <sup>(٦)</sup> مخارق ، رومية أم ولد . وقيل إنها بنت عبيد من أهل  
 دَوْ مَر <sup>(٧)</sup> قرية بالموصل .  
 وَأُمّ المعتز <sup>(٨)</sup> اسمها قبيحة ، صقلية .  
 وَأُمّ المهدي <sup>(٩)</sup> قُربُ ، رومية .  
 وَأُمّ المعتد <sup>(١٠)</sup> فتيان ، أم ولد .  
 وَأُمّ المعتضد <sup>(١١)</sup> ضرار ، من دار محمد بن عبد الله بن طاهر .  
 وَأُمّ المكتفي <sup>(١٢)</sup> خاضع <sup>(١٣)</sup> .

(١) ( ١٩٨ - ٢١٨ / ٢١٨ )

(٢) ( ٢١٨ - ٢٢٧ / ٢٢٧ )

(٣) ( ٢٢٧ - ٢٣٢ / ٢٣٢ )

(٤) ( ٢٣٢ - ٢٤٧ / ٢٤٧ )

(٥) ( ٢٤٧ - ٢٤٨ / ٢٤٨ )

(٦) ( ٢٤٨ - ٢٥٢ / ٢٥٢ )

(٧) قال ياقوت : قرية قرب صفين على الفرات . وذكر لي من اعتمد على رأيه  
 أنها قلعة جبر لنفسها أو ربضها ( معجم البلدان )

(٨) ( ٢٥٢ - ٢٥٥ / ٢٥٥ )

(٩) ( ٢٥٥ - ٢٥٦ / ٢٥٦ )

(١٠) ( ٢٥٦ - ٢٧٩ / ٢٧٩ )

(١١) ( ٢٧٩ - ٢٨٩ / ٢٨٩ )

(١٢) ( ٢٨٩ - ٢٩٤ / ٢٩٤ )

(١٣) كذا في الاصل . وفي الطبري ١١ : ٤٠٤ « جيجك »

- وأمّ المقتدر <sup>(١)</sup> شغب ، أمّ ولد .
- وأمّ القاهر <sup>(٢)</sup> قَتُول ، أمّ ولد .
- وأمّ الراضي <sup>(٣)</sup> ظَلُوم ، أمّ ولد .
- وأمّ المتَّقِي <sup>(٤)</sup> خَلُوب .
- وأمّ المستكفي <sup>(٥)</sup> مُغْنَن ، أمّ ولد .
- وأمّ المطيع <sup>(٦)</sup> شَعْلَة ، من دار العباس بن الحسن .
- ولا أدري اسم أم الطائع <sup>(٧)</sup> .

### أول أمراء بني أمية بالأندلس

- وأم عبد الرحمن بن معاوية <sup>(٨)</sup> راح ، نَزْبَة .
- وأم هشام <sup>(٩)</sup> [ بن عبد الرحمن ] حوراء .
- وأم الحكم <sup>(١٠)</sup> [ بن هشام ] زغوف .
- وأم محمد <sup>(١١)</sup> [ بن عبد الرحمن ] تهنّز .

(١) ( ٢٩٤ - ٣٢٠ / ٣٢٠ هـ )

(٢) ( ٣٢٠ - ٣٢٣ / ٣٢٣ هـ )

(٣) ( ٣٢٣ - ٣٢٩ / ٣٢٩ هـ )

(٤) ( ٢٢٩ - ٣٢٣ / ٣٢٣ هـ )

(٥) ( ٣٣٣ - ٣٣٩ / ٣٣٩ هـ )

(٦) ( ٣٣٤ - ٣٦٣ / ٣٦٣ هـ )

(٧) ( ٣٦٣ - ٤٠٠ / ٣٨٠ هـ )

(٨) ( ١٣٨ - ١٧٢ / ١٧٢ هـ )

(٩) ( ١٧٢ - ١٨٠ / ١٨٠ هـ )

(١٠) ( ١٨٠ - ٢٠٦ / ٢٠٦ هـ )

(١١) ( ٢٣٨ - ٢٧٣ / ٢٧٣ هـ )

- وأم المنذر <sup>(١)</sup> [ بن محمد ] أتل .  
 وأم الناصر <sup>(٢)</sup> [ عبد الرحمن بن محمد ] حزم .  
 وأم الحكم <sup>(٣)</sup> [ بن عبد الرحمن ] مرجان .  
 وأم المهدي <sup>(٤)</sup> مزنفة .  
 وأم سليمان <sup>(٥)</sup> [ بن الحكم ] ظبيّة .  
 وأم المستظهر <sup>(٦)</sup> [ عبد الرحمن بن هشام ] غايّة .  
 وأم المستكفي <sup>(٧)</sup> [ محمد بن عبد الرحمن ] حور .

آخره : والله الحمد والمنة

والصلاة على محمد وآله والسلام

الدكتور صلاح الدين المجيد



- (١) ( ٢٧٣ - ٢٧٥ / ٢٧٥ هـ )  
 (٢) ( ٣٠٠ - ٣٥٠ / ٣٥٠ هـ )  
 (٣) ( ٣٥٠ - ٣٦٦ / ٣٦٦ هـ )  
 (٤) هو محمد بن هشام ( ٣٦٦ - ٤٠٠ / ٤٠٠ هـ )  
 (٥) ( ٤٠٠ و ٤٠٣ - ٤٠٧ هـ ) وهو المستين  
 (٦) ( ٤١٤ - ٤١٤ / ٤١٤ هـ )  
 (٧) ( ٤١٤ - ٤١٨ / ٤١٥ هـ )

## نظرة في

المذكتور ا. ل. كليزفيل  
 لله الى السرية الأستاذة مرشد خاطر وأحمد حمدي الحياط  
 ومحمد صلاح الدين الكواكي  
 ( لجنة المصطلحات العلمية في كلية الطب من جامعة دمشق )

- 5 -

(١) في اللسان : المَهْرَجُ والمَهْرَاجُ والإِهْرَاجُ شدة السوق وسرعة المَكْدُو ، وأمرع الرجلُ خف وأرعد من مرعة وخوف أو حرص أو غضب أو حمى ، إلى أن قال أمرع الرجلُ إِهْرَاجاً إذا أتاك وهو يَرْعَدُ من البرد ، وقد يكون مُهْرَاجاً من الحمى والغضب ، وقوله تعالى : « وم على آثَارِمْ يُهْرَعُونَ » أي يسعون عَجَلاً . ورجل هَرَجٌ سَريعُ المشي وَهَرَجٌ أيضاً سريعُ البكاء ، والمهروعُ المجنون الذي يهرع يقال وهو مَهْرُوعٌ مَحْفُوقٌ تَمَسَّسٌ والنح .



من المستدركات بعضها شيعي سبق لي أن استعملته في كتيبي ودرومي وبعضها الآخر مما توصلت اليه مؤخراً وإن لم أبتح لي بعد اثباته .  
وقد أحسنت اللجنة صنعا باستدراكها نصوب بعض الأخطاء الواردة في المعجم فأثبتت الصواب في جدول قدمته على منن المعجم ، وعلى الباحث عن إحدى الكلمات أن ينتبه الى ذلك إبان بحثه عن ترجمتها .

### رأبي في مصطلحات المعجم

أدرج فيما يلي رأبي الخاص في مفردات المعجم حسب ما جاء في أرقام المصطلحات وترتيبها على الحروف الفرعية .

#### حرف A

رقم المصطلح	رقم المصطلح
5	محفظة الشدق ؛ خد مدلى
Abajoue; Bajoue;	
joue pendante	
<p>جاء في الترجمة الانكليزية الكلمة ( Abajoue ) وما يليها ( Cheek pouch ) ( جيب الخد ) وفي الألمانية ( Backentasche ) ( جيب الخد ) و ( Hange-backe ) ( الخد المعلق أو المدلى ) وفي اللاتينية ( Sacculus buccalis ) جريب الفم .</p>	

وما يقصد من ( Abajoue ) و ( Bajoue ) كما جاء في معجم لاروس للقرن العشرين : جيب يتكون من أثناء الغشاء المخاطي من جانبي الفم وفي بعض الحيوانات ( القردة ومجترات الأيدي<sup>(١)</sup> ) . الخد الضخم والمدلى . وذكر

(١) معجم المصطلحات الزراعية ترجمة ( Chiloptères ) .

أن هذه الجيوب تتخذ مداخراً للأغذية قبل أكلها وأنها في الخفافيش تهوت الطيران بسماحها بدخول الهواء في النسيج الخلوي تحت الجلد .

هذا والشِدْق جانب الفم ، والكلمان الأولى والثانية يقصد منهما جوف الخد أو جُرْبِيب الفم ومجازاً الخد المدلّ ( Joue pendante ) والأفضل المجتج فقد جاء في المختص المجتج استرخاء الشدقين نحو ما يعرض للشيخ إذا هرم .

٧ أَيْن (عدم القدرة على المشي) قُعَاد Abasie 7

إن المدلول اللغوي للفظ الفرنسي هو فقد المشي . أما المدلول العلمي فتطلق اللفظة على حالة مرضية تصاحب في الغالب بعض الاضطرابات النفسانية ، ولا يشترط فيها أن يكون المصاب مشلولاً أو ذا زمانة أو علة عضوية . وما يلاحظ آنذاك أن العليل باستطاعته أن يحرك طرفيه السفليين تحريكاً صحيحاً إلا أنه ليس بوسعه أن يخطو بها وهو مع ذلك يستطيع الوقوف . وإذا ترافقت الحال بعدم الوقوف دُعِيت ( Astasie - abasie ) .

الأَيْن لغة الإعياء والتعب ، والقُعَاد الداء الذي 'يقعد' ورجل 'مُقَعَد' إذا ازمنه داء في جسده حتى لا حراك به . مما يبعد هذين اللفظين الأَيْن والقُعَاد عن مدلول الكلمة المذكورة ، وعدم القدرة على المشي (وقد جاء بين هلالين) تعبير صحيح إلا أنه يتألف من أربع كلمات ، وأفضل منه ما وضعه مجمع اللغة العربية وهو امتناع الخطو ، وليس ما يمنع أن نختصر أكثر من ذلك لنقول : لا خطو .

٨ سُلَابَة (عُفَاشَة الأَحْشَاء) Abats 8

لم أعثر على كلمة 'سُلَابَة' في المعجمات التي توصلت إلى مراجعتها ، وما أجمعت عليه المراجع التي فتشت فيها عن هذه الكلمة ما جاء في لسان العرب والقاموس : سَلَبُ الدَّبِيحَةِ إِهَابُهَا وَأَكْرَاعُهَا وَبَطْنُهَا . واللفظ الفرنسي ( Abats ) لا يشغل

الإهاب ( الجلد ) ويضم الكوارع والأكباد والأطحلة والأدمغة والقلوب والرئات . وقد سبق للرازي أن أطلق على هذه الأجزاء أعضاء الحيوان <sup>(١)</sup> ، والمجتمعي صاحب كامل الصناعة أحشاء المواشي ، وكلاهما مفضل على سلب غير الدارجة ، فضلاً عن أن هذه الكلمة القاموسية لا تدل على المعنى المذكور تماماً . أما عفاشة الأحشاء فلم أعر عليها في المعجمات <sup>(٢)</sup> .

10 خامد ضعيف Abattu, ue

وفي الترجمة الانكليزية للمعجم الأصلي ( -dejected; depressed low-spirited ) والأفضل أن يقال خائر فقد جاء في اللسان الخور الضعف وخار الرجل فهو خائر .

تخمدت النار تخمد مخمداً سكن لمبها ولم يطفأ جمرها ، وتمددت ممدوداً إذا أطفئ جمرها البتة . وأخذ فلان ناره ، وقوم خامدون لا نسمع لهم حساً ومن ذلك في التنزيل العزيز : « إن كانت إلا صيحة واحدة فاذا هم خامدون » ، قال الزجاج : فاذا هم ساكتون قد ماتوا وصاروا بمنزلة الرماد ، والخامد الهامد . وقال أيضاً وتخمّد المريض أغمي عليه أو مات .

11 بعيد عن المحور Abaxial, ale

أو بجانب المحور وصوابه ( Abaxial ) غلط مطبعي لم يصب .

12 ناقص Abcéder

(١) الصفحة ٢٦ من منافع الأغذية ودفع مضارها لابي بكر محمد بن زكريا الرازي ، طبع المطبعة الخيرية سنة ١٣٠٥ من الهجرة ، وشمل أعضاء الحيوان : الرؤوس والأكارع والبطن والأكباد والأطحلة والكلى والرئات والقلوب والأدمغة والخصايا والنعيم والنعيم .

(٢) ولعلها ( عفاجة ) بالجم المعجمة ، وهي من الفجع ، قال اليت : الفجع من إيماء البطن لكل ما لا يجتر ، والجمع اعفاج . ( لجنة البجلة )

ومدلول الكلمة الفرنجية هو التحول الى خراج . وتقصع الدم بالصدید اذا امتلأ منه ، وقصع مثله ( اللسان ) ، وعندی أن لسنا بحاجة الى هذه الكلمة القاموسية الجديدة والاكتفاء بتقيح أو أصدأ<sup>(١)</sup> اذا درجنا على استعمال الصدید .

١٦ خراج عظمي المنشأ  
16 Abscès par congestion ou ossifluent

والترجمة يجب أن تكون خراج بالاحتقان أو من منشأ عظمي .

١٧ خراج في ظاهر الأنجافية  
17 Abscès extradural

وأرى أن تبقى الأم الجافية ولا حاجة هنا الى الدغم .

١٩ خراج بارد ، لاطئة  
19 Abscès froid

قد تدل اللاطئة على الخراج البارد ولا أرى حاجة الى هذه الكلمة الجديدة القاموسية لانه جاء في اللسان اللاطئة خراج يخرج بالانسان لا يكاد يبرأ منه ويزعمون أنه من لسع الشظاة ( العنكبوت ) .

٣٥ منحرف انظر حائد  
35 Aberrant, te; v. dévié

المشهور عن ( Aberrant ) تائه و ( dévié ) حائد .

٥٥ إفسنت  
55 Absinthe

كذا جاءت اللفظة بشكها الكامل وأكبر الظن أنه خطأ مطبعي لم ينتبه الى نصوبيه لأن المعروف هو أفسنت بالفتح ، وجاء ضبطها في معجم المصطلحات الزراعية أفسنت .

٥٩ انقطاع ، انكفاف  
59 Abstinence

والأفضل الامتناع .

(١) جاء في اللغة : أصدأه جعله صدأ ، وأصد الجرح قتيح أو سال صديده فلعل  
الهدزة الأخيرة زائدة .  
( لجنة الجملة )

- ٦٢ نقص تفحمن الدم Acapnie 62  
وبقصد منه نقص حمض الكربون من الدم ، وأرى الفحم غير الكربون ،  
هذا ما ذهب اليه بجمع اللغة العربية أيضاً .
- ٦٩ اشتداد أصوات القلب Accentuation des bruits 69  
cardiaques  
والأفضل أن يقال ( اشتداد دَقَي القلب ) ، وذلك لأنَّ للقلب دقتين  
لا ثلاث دقات كما يفهم من صيغة الجمع الواردة في أصوات . ودقة القلب  
خير من صوته .
- ٧٣ نوبة اضطرابية صرعية Accès émotif épileptique 73  
أرى الأفضل أن يقال : ( نوبة انفعالية صرعية ) فلفظة ( Emotion )  
بقابلها الانفعال وهي كلمة مؤلدة ودارجة في المصطلحات الفلسفية ، وينبغي أن  
يقنصر في كلمة اضطراب على ( Trouble ) شأن ما فعلته اللجنة في ترجمة  
الكلمة الفرنسية المذكورة ( المصطلح ذو الرقم ١٣٧٦٠ )
- ٧٤ نوبة حَنَق Accès de fureur 74  
أرجح أن يقال ( سورة الغضب ) أو ( التهييج ) حسب اختلاف دلالة كلمة  
( fureur ) إذ الكلمة الأخيرة بنقل استعمالها في الحيوان . وكذلك يمكن أن  
يقال حمياً الغضب وسورة التهييج ( في الحيوان ) ولسنا ملزمين بترجمة ( Accès )  
بنوبة دوماً .
- ٧٥ نوبة جنون شديد ، هذيان صَرَض Accée de folie 75  
furieuse, frénésie  
وأرجح هنا أن يقال ( ثورة جنون سَبْعِي ) ، ولم أعتد الى مدلول هذيان  
صَرَض ولم أرَ تصويهاً لهذه اللفظة في الجدول . والجنون السبعي مصطلح  
استعمله أطباء العرب في معظم كتبهم . م (٧)

- ٨٦ طارىء العمل Accident du travail 86 وأرجح أن يقال إصابة العمل .
- ٩٩ ولادة توأم Accouchement gémellaire 99 والأفضل ان نستعمل كلمة واحدة وهي ( إِتَام ) ، ففي اللسان أتأمت المرأة اذا ولدت اثنين في بطن واحد .
- ١٠٧ ولادة باليعاد Accouchement à terme 107 أرجح أن يقال ( ولادة لتأم وتِتام ) . وأتمت المرأة وهي متم دنا ولادها ، وأتمت الحبل في مته اذا تم أيام حملها ، ويقال امرأة متم للحامل اذا شارفت الوضع وولدت المولود لتأم وتِتام ( اللسان ) .
- ١٠٨ ولادة بعد الميعاد Accouchement après terme 108 ويُعرف هذا النوع من الولادة بـ ( الجرّ ) ، فقد جاء في اللسان : وجرت المرأة ولدها جرّاً وجرت به وهو أن يموز ولادها عن تسعة أشهر فيجاوزها بأربعة أيام أو ثلاثة فينضج ويتم في الرحم . والجرُّ أن تجر الناقة ولدها بعد تمام السنة شهراً أو شهرين أو أربعين يوماً فقط . والجرور من الحوامل وفي المحكم من الاول التي تجر ولدها الى أقصى الغاية أو تجاوزها .
- ١١٩ مذخرة Accumulateur 119
- ١٢٠ ادخار ، خزن ، جمع Accumulation 120 Stockage, emmagasinage
- ١٢١ ادخر ، جمع ، خزن Accumuler 121 لقد أفر جمع اللغة العربية ( المِرْكَم ) لـ ( Accumulateur ) وكذلك أركم وركم .
- فقد جاء في اللسان أركم جمعك شيئاً فوق شيء حتى يجعله ركماً مركوماً

كركام الرمل والسحاب ونحو ذلك من الشيء المرتكم بعضه على بعض ،  
ركم الشيء يركمه اذا جمعه وألقى بعضه على بعض وهو مركوم بعضه من بعض  
وارتكم الشيء وثراكم اذا اجتمع .

فالأفضل أن تستعمل كلمة (الركم) وهي أخف من المذخرة التي سبق  
للمرحوم الأستاذ جميل الخاني ان استعمالها .

١١٧ انعدام الصفراء Acholie 137

وأرجح أن يقال عدم الصفراء أو فقدها .

سبق للأستاذ خاطر أن نبّه كاتب هذه السطور سنة ١٩٣٥ عندما استعمل  
كلمة انعدام في الجزء الأول من علم الأمراض الباطنة ، نبيه الى خطأ استعمالها  
بأن ليس لمصدر عدم مطاوع انعدام ، وقد شكرته على هذا التنبيه ولم استعملها  
منذ ذاك الحين ، ولا أظن الأمر قد تغير الآن .

١٥١ حمضامين Acide aminé 151

والأفضل أن يقال حمض أميني .

١٦٧ حمض الفحم Acide carbonique 167

وأرجح حمض الكربون .

١٧٣ حمض السنامكي Acide chrysophanique 173

وأرجح حمض كريسوفان أو الحمض الكريسوفاني باعتباره من الحموض  
التركيبية ، وليس سنامكي وحده يحويه بل ان عدة نباتات تشاطره في ذلك  
ولا سيما الراوند الذي يحتوي عليه أكثر من سنامكي .

١٨٠ حمض الصفراء المخفّس Acide déhydrocholique 180

(المخسوف الهيدروجين) dycholium

وأفضل منه أن يقال حمض ديهيدروكولي لاسيما وقد تقدم في اللفظة

ذات الرقم ١٧١ استعمال حمض كولايلي (Acide cholalique) وحمض كولايك وكولاليك كلاهما حمض الصفراء .

١٨٤ حمض الفولي (حمض ورق الاسفاناخ) Acide folique 184  
بتدروئيل غلوتاميك Pteroylglutamique

والأفضل في هذا الحمض وأضرابه أن تعرب باللفظ الأفرنجي فيقال حمض الفوليك لأن الفولي قد يلتبس بالفاظ عربية تشابهه . وهذا الحمض وإن بدا في الورق من أكثر النباتات فليس خاصاً بها إذ يبدو في الكبد وفي خميرة الجعة بكمية وافرة .

١٨٥ حمض النمل<sup>(١)</sup> Acide formique 185

وأرى تعريبه بقولنا حمض الفورميك وهذا ما جنح اليه مجمع اللغة العربية .

٢٠٠ حمض التبغ، طليعة الحليمين ب ب Acide nicotinique 200  
Provitamine P P

وأرى التعريب بالنسبة للحمض فيقال حمض النيكوتينيك أما الحليمين فما لا شك فيه أن كلمة الفيتامين الأسمية و P P أفضل من ب ب في هذا المجال ، فيقال ( طليعة الفيتامين P P ) .

٢١٦ حمض الحِصْرَم الناري Acide pyruvique 216

إن هذا الحمض من الحموض التي تحضر بطريقة التريكيب ، وتتراكم في البدن من جراء عَوَز الفيتامين B ولا أظن أن له أي صلة بالحِصْرَم ولا بالنار ، وأرى تعريبه فيقال حمض بيروفيك .

٢١٧ حمض الوردي Acide rosolique 217

الأرجح إذا لم يعرب (والتعريب أفضل) أن يدعى بالحمض الوردي أو

(١) ( حمض النمل ) أول ، لأن لفظة Formique منخوبة الى Fourmi النملة ، فنكون في ( حمض النمل ) حذونا حذو اللغة الفرنسية . ( لجنة المجلة )



المرجاني أو الذهبي وذلك لأن لونه أصفر ضارب الى الحمرة مع لمعان أخضر  
لذا يعرف بـ ( Aurin ) و ( Corallin ) <sup>(١)</sup> أيضاً .

٢٤٢ أوج ، اشتداد المرض Acmé, Fastigium 242

Période d'état دور الصولة

في اللسان ( البرحاء ) الشدة والمشقة وخص بعضهم به شدة الحمى وبرحاءيا  
في هذا المعنى ، وبرحاء الحمى وغيرها شدة الاذى وبقال للمحموم الشديد  
الحمى أصابه البرحاء .

وقد درجت في مؤلفاتي <sup>(٢)</sup> على إطلاق 'برحاء' الحمى لـ ( Acmé )  
( thermique ) ، كما درجت على إطلاق طور التوقف على ( Période d'état )  
وطور الصولة على ( Période d'invasion ) .

٢٦٤ كلثة ، ضخامة الأطراف ، عَبل Acromégalie 264

وأفر مجمع اللغة ( فرواحية ) كبير الأطراف .

وبُعد من هذا اللفظ الحالة المرضية الناجمة عن آفة في الغدة النخامية  
والبادية بلفظ نهايات الأطراف والأنف والدقن وما الى ذلك من الأجزاء  
الناثئة فهي حرّية بأن ندعى ( ضخامة النهايات ) لا الأطراف .

أما الكلثة فقد جاء في اللسان اجتماع لحم الوجه ، وجارية مكثمة حسنة  
دوائر الوجه ، ذات وجنتين فاتتها سهولة الخدين ولم تلتزمها جُومة القبح ، ووجه  
'مكثم' مستدير كثير اللحم وفيه كالجوز من اللحم .

وأما العَبل ففي اللسان أيضاً الورق الساقط والمَدَبُ وكل ورق مفتول  
غير منبسط . كما أن العَبل في اللسان : الضخم من كل شيء ، والأثنى عَبلَة

(١) معجم بلاكستون Blakiston's في مادة ( Rosolic acid ) .

(٢) الصفحتان ٨٥ و ٦٥٩ من الجزء الثاني لم الأمراض الباطنة طبع سنة ١٩٣٦ .

إلى أن قال وامرأة عَظْبَةٌ أي تامة الخلق ، مما يبعد العَبْلَ والعَبْلَ عن المعنى المقصود ( Acromégalie ) .

وأما القرواحية فلم أعتد الى اشتقاقها ولا الى معناها ، وكَبَّرَ الأطراف لا يعني الضخامة .

٣٠٨ حمضيل ( جذر ) Acyle ( radical ) 308 وأرجح التعريب فأقول أَسِيل .

٣١٠ توفيق ، توافق Adaptation, ajustement 310 Accomodation

التوافق لغة الاتفاق والتظاهر ، وَفَّقَ الشيء ما لازمه ، وقد وافقه موافقة ووفقاً ، واتفق معه وتوافقاً . إلا أنه مما جد في استعمال ( Adaptation ) ما يدل على التكيف والتطبيع <sup>(١)</sup> شأن ما يكون في تناذر التطبيع ( Syndrome d'adaptation ) الذي نبه اليه سَلْي ( Sely ) والذي يتميز بحدوث ظواهر جديدة في البدن من شأنها أن تدعم كفاحه حيال ما أصابه من مصيبة ( Stress ) ميكانيكية كانت أو أحيائية أو نفسانية .

٣١١ استرقاق العلاج Addiction, Asservissement 311 à l'usage d'une drogue

استخواذ العلاج

وأرجح تيم العلاج ، ففي اللسان التيم أن يستعبده الهوى وذهاب العقل من الهوى ، ورجل متميم ، وقيل التيم ذهاب العقل وفساده . والمعنى الأصلي للفظ يساعد على نقله الى معنى الاسترقاق في المصطلح المذكور .

٣١٨ تظاهرات نظيرة الغدة Adénoïdisme 318 وقد دعاها بجمع اللغة ( الغُدانية ) وهذه أفضل .

(١) في قاموس تطبيع بطباعه نخلق باخلاقه وفي الأساس وهو متطبيع بكفا .

- ٣٢٤ تام ، مُعَادِل Adéquat, te 324  
وتأتي بمعنى مطابق وموافق أيضاً .
- ٣٦٥ انحراف للهواء Aérotropisme 365  
أرجح ترجمة الكاسمة (Tropisme) بميل تاركاً انحراف إلى (déviation)  
فأقول (الميل الى الهواء) .
- ٣٦٦ بلاحمى ، إقلاعي Afébrile 366  
والأفضل أن يقال لا حمري أما (الإقلاع) فهو طور أخذ الحمى بالهبوط  
ويخصص لـ (Défervescence) وقد فعلت اللجنة كذلك في هذه اللفظة  
ذات الرقم ٣٨٥٢ .
- ٣٦٧ مُضَعَف ، مضعوف Affaibli, e 367  
وكذلك منهوك فإنها تفي بالمقصود أيضاً .
- ٣٧٠ ضَعَف السمع Affaiblissement de l'ouïe 370  
وهو (الوَقْر) . ففي فقه اللغة ذكر الثعالبي في ترتيب الصَّحَم : يقال بأذنه  
وَقْر فاذا زاد فهو صَحَم . وفي اللسان الوَقْر نقل في الأذن .
- ٣٧٤ آفة تجاوزية المنشأ Affection d'origine allergique 374  
وأرجح أن يقال آفة آليرجائية المنشأ وسأعود الى الشرح في لفظة  
(Allergie) ذات الرقم ٥٢٨ .
- ٣٧٦ انفعالية ، إحساس Affectivité, sensibilité 376  
عاطفة وعاطفية (مجمع اللغة) ، وانفعالية يرجع أن تكون ترجمة  
لـ (Emotivité) شأن ما فعلته اللجنة في هذه اللفظة ذات الرقم ٤٨١٧ .
- ٣٧٧ وارد ، جَبَدَان Afférent, ente; centripète 377

ان ( وارد ) لفظة أفرها مجمع اللغة أما جبذان ففي اللسان جبذ لغة - في جذب ، وأقر المجمع اللفظ ( Centripète ) جاذبة الى المركز .

٣٧٩ فيض ، وفّر Affluence, Afflux 379

أرجح أن يقال الحشد والاحتشاد ثم البَيْغ لكلمة ( Afflux ) نقد جاء في اللسان البَيْغ توقد الدم حتى يظهرَ في العروق وهو ما يفيد معنى هذه اللفظة تماماً .

٣٨٠ ورود الى القطب السلي Afflux cathodique 380  
وأرجح هنا التوجه أو الاتجاه الى القطب السلي .

٣٨١ ورود الدم ، هجوم الدم Afflux sanguin 381  
وهو البيغ على نحو ما تقدم في ٣٧٩ .

٣٩٠ عِنانة ، نقص أعضاء الجنين Agénésie ou atrophie 390  
ولادة congénitale

المقصود من ( Agénésie ) هو عدم التكوين أو النمو أو فقدهما و ( Atrophie congénitale ) أي الضحور الولادي أو الخلقي وهو أن يضر أحد الأعضاء في الحياة الجنينية فيأتي الوليد والعضو ضامراً . وقد أقر مجمع اللغة عدم النمو أو قصوره في ترجمة كلمة ( Agénésie ) .

أما العِنانة فإذا كانت بالكسر كما جاءت بالرسم المبين أعلاه فهي سير اللجام الذي تملك به الدابة وإذا كانت بالفتح فهي السحابة أو العنة اسم من العنين . وكلتاها لا تفيد المعنى المطلوب والضحور الولادي أو الخلقي أراه افضل من نقص أعضاء الجنين ولادة .

٤١٤ خوف من الفضاء Agoraphobie 414

رقد أقر مجمع اللغة العربية رُبة الخلاء وهذه أفضل .

- ٤١٦ غيبة الكريات المحببة Agranulocytose , aneutrophilie  
غيبة المعتدلات ، نقص الكريات granulocytopenie  
الخبث .

وقد أفر مجمع اللغة انعدام مشكلة النوى وأفضل أن يقال في ترجمة هذه المصطلحات فقد الكريات المحببة ، فقد المعتدلات ، نقص الكريات المحببة .

- ٤٢١ تسبيخ هذيانى Agrypnose 421

إن معنى ( Agrypnose ) هو المأرق وكذلك ( Agrypnose ) لأن ( Agrypnie ) هو الأرق .

أما التسبيخ فقد قال عنه صاحب فقه اللغة أشد النوم ، وفي اللسان التسبيخ النوم الشديد ، أما الهذيانى فلا أظنه إلا زائداً .

- ٤٣٤ أجنحة الحرقفة Ailes iliaques 434

والأصح أن يقال جناحا الحرقفة لأنها اثنان لا ثالث لهما .

- ٤٣٥ أجنحة الأنف ، خناباه Ailes du nez 435

وأفر مجمع اللغة غرضاً الأنف<sup>(١)</sup> ، وإذا جاز استعمال جناح في هذا المعنى فهما جناحان ، أما الخنابان فالأحسن تخصيصها بالحرقين ، أي الفوهتين كما جاء في اللسان .

- ٤٣٦ أجنحة العظم الوتدي Ailes de l'os sphénoïde 436  
( الكبيرة ) ( Grandes )

وهما جناحان لا ثلاثة .

(١) في اللسان : والفرضان من الفرس ما انحدر من قصبه الأنف من جانبيها ولها عرق البهر . وقال أبو عبيدة في الأنف فرضان وهما ما انحدر من قصبه الأنف من جانبيه جميعاً .

- 437 Ailes de l'os sphénoïde جَنِيَّاتُ الْعِظَمِ الْوَتْدِي ٤٣٧  
( Petite )

وَمَا جَنِيَّحَانِ أَيْضًا .

- 445 Aire, région, zone فضاء ، سطح ، محيط ٤٤٥  
وَأَرْجَحُ أَنْ يُقَالَ بُقْعَةٌ ، نَاحِيَةٌ ، مَنَاطِقَةٌ .

- 446 Aire de matité سطح الصَّمَمِ ٤٤٦  
بُقْعَةُ الصَّمَمِ أَوْ بَاحْتِهِ ( يَجْمَعُ اللَّغَةَ ) .

- 482 Alcoolique غَوْلِي ٤٨٢

- 483 Alcoolisme, éthylisme إِنْسَامُ غَوْلِي ، أَتْبِيلِيَّةٌ ، اِدْمَان ٤٨٣  
السُّكْرُ ، عِلَّةُ  
ivrognérie

أَرْجَحُ كَلِمَةَ غَوْلِي ( Alcoolique ) وَهِيَ نِسْبَةٌ إِلَى الْغَوْلِ وَقَدْ تَسْتَعْمَلُ بِهَذَا الْمَعْنَى كَمَا أَنَّهُ بِمَعْنَى بَهَا السُّكْتِيرُ أَوْ خَمْتِيرٌ وَهُوَ شَرِّبُ الْخَمْرِ دَائِمًا ( الْإِسَانُ )  
أَمَّا الْإِنْسَامُ الْغَوْلِي فَفَنُ الْجَائِزِ أَنْ نَدْعُوهُ بِالْقَوْلِيَّةِ نَظِيرَ الْأَتْبِيلِيَّةِ ، وَأَمَّا إِدْمَانُ السُّكْرِ وَالْعِلَّةُ فَقَدْ جَاءَ فِي الْإِسَانِ الْخُمَارُ بَقِيَّةُ السُّكْرِ تَقُولُ مِنْهُ رَجُلٌ خَمْرٌ أَيْ فِي عَقِبِ خَمَارٍ وَرَجُلٌ مَخْمُورٌ بِهِ خَمَارٌ ، أَمَّا الْعِلَّةُ فَكَمَا جَاءَ فِي الْإِسَانِ أَيْضًا خَبَثُ النَّفْسِ وَضَعْفُهَا وَهُوَ أَيْضًا أَذَى الْخَمَارِ . لَذَا أَرْجَحُ الْخَمَارَ لِـ ( Ivrognérie ) .

- 489 Alexie, cécité verbale حَصَرٌ ، عَمَى نُطْقِي ، عَمَى ٤٨٩

لَمْ تَكُنْ كَلِمَةُ حَصَرٍ فِي أَصْلِ الْمَتْنِ مِنَ الْمَعْجَمِ بَلْ أُضِيفَتْ مَعَهُ مَا أُضَافَتْهُ اللَّبَنَةُ فِي كَلِمَاتِ جَدُولِ تَصْوِيبِ الْأَخْطَاءِ الْوَارِدَةِ فِي الْمَعْجَمِ .

وَالْحَصَرُ كَمَا جَاءَ فِي الْإِسَانِ ضَرْبٌ مِنَ الْعَمَى حَصَرُ الرَّجُلِ حَصَرًا فَهُوَ حَصَرٌ عَمَى فِي مَنَاطِقِهِ وَقِيلَ حَصَرٌ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْكَلَامِ .

أَقُولُ إِنَّ مَعْنَى ( Alexie ) هُوَ عَدَمُ امْكَانِ فَهْمِ الْكَلِمَاتِ وَالْآرَاءِ الْمَرْسُومَةِ

كتابة ، لذا ترجمتها بفقد القراءة <sup>(١)</sup> و (Cécité verbale) هو عمى الكلام لا النطق ، ويراد من هذا ان العليل المصاب بهذه العاهة يكون صحيح البصر إلا أنه لا يفقه ولا يفهم مدلول الكلمات المكتوبة ، لآفة في الدماغ أصابت المركز الموكل اليه إدراك معنى الكلمات المكتوبة أو المطبوعة .

وأقر مجمع اللغة مقابل كلمة (Alexia) (عمه المكتوبات) وأراه تعبيراً حسناً لأن العمه لغة التخير والتردد ، وقيل العمه في البصيرة كالعمى في البصر . وأنا أطلق العمه على ما يقابل (Agnosie) (وقد أفرها مجمع اللغة) مرجحاً لـ (Alexie) فقد القراءة . ولم يأت ذكر كلمة (Agnosie) بين ألفاظ معجم مصطلحاتنا الطبية الكثير اللغات .

٤٩٦ انجذاب ، انجذاب نفسي Aliénation 496  
Aliénation mentale

لم أعر على استعمال الانجذاب في هذا المعنى في كتب الطب القديمة التي اطلعت عليها ولا في كتب اللغة ، وأغلب الظن أنها من الكلمات المولدة أو العامية ، وربما رجعت في الأصل الى تأويل وهمي . وأرى الأفضل أن نترجم بالـس أو الجنون أو خلل العقل لاسيما اننا بحاجة الى كلمة انجذاب في مواطن أخرى وأفضل أن تكون النسبة الى (Mentale) : عقلي أو ذهني .

٤٩٨ انجذاب هومي معي Aliénation maniaque 498  
dépressive

في اللسان الهوس طرف من الجنون . وفي القانون وغيره من كتب الطب العربية القديمة تعريب لكلمة (Manie) د : المانيا ويرادفها الجنون السامي . والاعياء التعب الشديد و (Dépression) الهود . والمراد من هذا المصطلح

(١) الصفحة ٨٢ من الجزء الأول من علم الأمراض الباطنة طبع سنة ١٩٣٥ .

حالة مرضية نفسية يتراوح الأمر في المصاب بها بين الطيش والحمود ،  
وتنساب في هاتين الحالتين ، لذا أرجح أن يقال فيها ( الجنون السبعي المهودي )  
( أو الخبلي ) أو مانبا همودية .

٤٩٩ مجذوب Alniée 499

لقد تقدم تفضيلي كلمة مجنوث .

٥٠٦ تغذية عن غير طريق الهضم Alimentation parentérale 506  
وأرجح أن يقال مجانية الهضم . ففي القاموس جانب متعقباً وجانبه مجانية  
وجانباً صار الى جنبه وباعده ، ضد . وعليه فلفظة بجانب تفيد المعنى المطلوب  
سواء عني بها في جنب الهضم أو بعيداً عنه ، ولا أظن إلا أن كلمة واحدة  
دارجة خير من ثلاث .

٥١٣ أغذية صخمة Aliments de lest 513

وأرجح أن يقال أغذية الملء . إذ المقصود من كلمة ( lest ) هي المواد  
الثقيلة التي يلقى بها في أسفل البواخر والسفن<sup>(١)</sup> والمتايد لحفظ التوازن فيها  
( Larousse ) . والمقصود هنا من هذا النوع من الاغذية هي التي تؤكل  
لكي تشغل حيزاً في المعدة أو الأمعاء من شأنه أن يبطل حس الجوع من  
المعدة أو يحرض حركة التعوي في الأمعاء ومنه تهويته إفراغ ما فيها ، هذا  
ما يدعى بالانكليزبة ( Bulkage )<sup>(٢)</sup> شأن الحال في بعض المواد الغرائية التي  
تنتفخ ويصبح حجمها أضعاف ما كان عليه إثر تماسها الماء أو عصارة المعدة والمعي .  
وفي القاموس الملء الكظة من كثرة الأكل .

(١) وهذه الأتقال تسمى في العربية ( الصابورة ) فقد جاء في تعريفها : ما يوضع في باطن  
المركب من الزئبق ليلطف ولا يميل الى جانبيه . ( لجنة المجلة )

(٢) تراجع هذه الكلمة في ( Dorland, The American illustrated medical dictionary )



514	Aliments énergétiques	أغذية مولدة للقُدرة ، أغذية أبدية	٥١٤
		أو مولدة للطاقة وأرجح أن تخصص أبدية لمقوية ( Tonique )	
515	Aliments d'épargne	أغذية ادخارية	٥١٥
	Antiderpeditours dynamophores, substances d'épargne	مواد ادخارية	

وهذان اللفظان لأجل المصطلحين الأول والأخير ، وأملت اللجنة ترجمة

اللفظين الثاني والثالث .

إن المقصود من هذه الأغذية هي بعض المواد ( كالقهوة والشاي والكمولة والكوكة والماتة Mate والغول وصرق اللحم ) عندما نؤم بعض الباحثين أن احتساء قليل منها من شأنه أن يساعد البدن في الإتيان<sup>(١)</sup> ببعض العمل ، ولو كان بمجاللة الحرمان دون أي غذاء آخر ، ذاهبين إلى أن من خواص هذه المواد أن تبعث النشاط في العمل العضلي ، وفي الطاقة عامة ، منقصة ما تصرف العضلة من طاقة . إلا أن الأثر المزعوم لما يثبت في معظم تلك المواد ، ما عدا الغول الذي يبدو له بعض الأثر الغذائي لاحتراقه في البدن بنسبة ( ٩٠ - ٩٥ ٪ ) وإن ما ينشأ من الطاقة إبان هذا الاحتراق يحول دون استهلاك الأغذية وصرفها ، ومنه العمل الاقتصادي لهذا الاحتراق لتجنيب البدن الرجوع إلى ما يحويه من مواد غذائية ، وذلك بنسبة ما يوازي ما نشره الغول من حرارة . وأرى لو جاز لنا استعمال الكلمة المولدة ( توفير ) لكان أفضل ما ندعو به هذه المواد هو ( أغذية التوفير ) ، وإلا فمن الجائز أن نقول أغذية الاقتصاد أما ( الأغذية الادخارية ) فأخشى أن يفهم منها الأغذية التي تدخر في البدن ، وأغذية الدخر تكون أقل التباساً من الأغذية الادخارية .

(١) فلسفة الطب لكاتب هذه السطور الصفحة ٢٣٤ من الطبعة الثانية ١٩٤٥ .

أما (Antidéperditeurs) فترجمتها مضادات الضياع (باعتبار ان هذا النوع من المواد يحول دون ضياع الأغذية الحقيقية المدخرة في البدن) وأما (dynamophores) فعناها الباعثة على النشاط أو المشطة أو المحرزة للديناميكية (بعد أن عرّب مجمع اللغة كلمة ديناميك) .

٥٢٢ وشيقة ، مضيدة Allantoïde 522

(Allantoïde) أحد أغشية الجنين ، وقد جاء في مصطلحات علم التشريح التي أقرها مجمع اللغة الغشاء اللاقائي مقابل (Allantoic membrane) واقترح المرحوم الأب أنستاس الكرملي تسميته باللافائي (الجزء الثالث من مجلة مجمع اللغة العربية) . أما الوشيقة فقد جاء في اللسان : الوشيق والوشيقة لحم 'بغلي في ماء ملح ثم يرفع وقيل 'بقدّ ويحمل في الأسفار وهي أبقى قدبد يكون . وأما المضيدة<sup>(١)</sup> فلم أعتز عليها في المعاجم التي راجعتها . وعليه فاني أفضل كلمة اللافائي في ترجمة (Allantoïde) ولا أظنها إلا مولدة .

٥٢٧ باعثة التجاوب ، 'مكونة الضد Allergène, corps antigénique 527

٥٢٨ تجاوب غذائي Allergie alimentaire 528

الآليرجيا : حالة خاصة تبدو في بعض الناس وأقر مجمع اللغة كلمة تحساس ترجمة لها ، وأنا أفضل تعريب هذه اللفظة بقولي آليرجيا والنسبة اليها آليرجياي وإذا شئت آليرجياوي ؛ وظهورها في بعض الناس انما يكون بسائق التأهب السابق والاستعداد ، أما التجاوب فخري<sup>٢</sup> به أن يكون شاملاً للجميع لاعتباره ارتكاساً لكل مؤثر ، وليس الأمر كذلك في الآليرجيا . وأما (التحساس) فأفضل أن تخصص لـ (Hypersensibilité) عوضاً عن 'فرط الاحساس .

(١) ان ما جاء في اللسان والتاج : المضيدة لغة في تخنيد الرأس يمانية ، تصدّ ومضد اذا جمع .

٥٣٩ سَهَيْفٌ؛ صَادِرٌ ، صَدِرٌ Altéré, ée qui a soif 539  
 (Altéré) في الفرنسية و (Thirsty) في الانكليزية و (Durstig) في  
 الألمانية معنى كل ذلك عَطَشَانٌ أو عَطِشٌ . أما السَهْفُ فهو شدة العطش  
 كما جاء في المخصص وفي اللسان السَهْفُ والسُهَافُ شدة العطش سَهْفٌ صَهْفٌ  
 ورجل ساهفٌ ومسهورٌ عطشانٌ ولم أعثر على استعمال السَهْفِ . وأنا مع اللجنة  
 في تخصيص كلمة سُهَافٌ وسَهْفٌ ترجمة لكلمة (Polydipsie) شأنها في رقم  
 المصطلح ١٠٦١٨ وأن يقتصر هنا على عطشانٌ أو عَطِشٌ . وأما الصدى فقد  
 جاء في المخصص شدة العطش صَدَى كَتَعِبَ فهو صَدِرٌ وصادِرٌ وصَدْيَانٌ ،  
 فلا مجال اذن لاستعمالها هنا .

٥٤٩ دُرْدُرِي ، نُخْرُوبِي Alvéolaire 549  
 ٥٥٠ نُخْرُوب Alvéole 550  
 ٥٥١ دُرْدُر Alvéole dentaire 551  
 ٥٥٢ نُخْرُوب رُئَوِي Alvéole pulmonaire 552

وأقرت لجنة مجمع اللغة الدُرْدُر<sup>(١)</sup> لـ (Alvéole dentaire) واستعملت  
 السِنْخِ في مواطن مماثلة كالقناة السِنْخِيَّة (Alveolar canal) وأما في  
 الرئة فقد دعتها الاستناخ تارة (Pulmonum alveoli) والحجيرات الرئوية  
 (Pulmonum alveoli) أخرى . والنخروب واحد النخارب وجاء في اللسان خروج  
 كبيوت الزنابير ، وقبل هي الثقب المهيأة من الشمع وهي التي تمجُ النخلُ العسلَ

(١) في اللسان : الدُرْدُرُ كمنبت الأسنان عامة وقيل منبتا قبل نباتها وبعد سقوطها ، وقيل  
 هي مفارزها من الصبي والجمع الدرداء . والسِنْخُ الأصل من كل شيء والجمع استناخ  
 وسنوخ وسينخ كل شيء أصله . أقول وهذه تدعى الجذور وقد دعاها ابن سينا  
 في قانونه الرؤوس .

فيها ، وكذلك الثقب في كل شيء تخروب ، وتخرب القادح الشجرة ثقبها وهي شقوق الحجر وشجرة منخربة اذا بليت وصارت فيها تخاريب .  
لذا أرجح الكلمة ( Alvéole ) في الأسنان دُرْدُر وفي الرئة حجيرات .  
أما الاسناخ فهي الجذور .

٥٥٣ مَسَائِي ، إِسْهَالِي Alvin, ine 553

( Alvin ) نسبة إلى ( Alvus ) وهو أسفل البطن <sup>(١)</sup> ويقصد منه ما يعود الى الجزء النهائي من الأمعاء ولا سبجا المفرغات . أما المشاء فقد جاء في القاموس هو الدواء المسهل . وجاء في الترجمة الألمانية ( zum Unterleibe gehörend ) أي ما يعود الى الجذر السفلي من البطن .  
لذا أرجح أن يقال 'مسرمي' والمسرّم مخرج الثفل وهو طرف المعى المستقيم .  
هذا ولا يشترط في المفرغ أن يكون اسهالاً .

( للبحث صلة )  
الركنور مسني سبع

—•••••—

## مختارات مما لم يُنشر من شعر البحرى

- ٢ -

قال البحرى <sup>(١)</sup> يمدح المتوكل على الله <sup>(٢)</sup> :  
نَصَبَ <sup>(٣)</sup> إِلَى طَيْبِ الْعِرَاقِ وَحُسْنِهَا <sup>(٤)</sup> وَيَمْتَنِعُ مِنْهَا قَيْظُهَا وَحَرُّوْهَا <sup>(٥)</sup>

(١) القصيدة من الطويل ، عدد أبياتها ١٢ ، نقلناها من مخطوطة ديوان البحرى بالمكتبة الوطنية بباريس (رقم ٣٠٦٨ من القسم العربى) الورقة : ١٧٧ ظ ،  
وبما يؤكد صحة نسبتها إلى البحرى أن ياقوت أورد الأبيات (١ - ٨) منها وقدم لها بقوله : وقال البحرى بفضل الشام على العراق (معجم البلدان ، بيروت :  
٣ / ٣١٤ - ٣١٥) .

(٢) هو جعفر بن المنعم ، عاش الخلفاء العباسيين ، امتدت خلافته خمس عشرة سنة (٢٣٢ - ٢٤٧ هـ) قضاها في نضال دائم للقضاء على استبداد الأتراك ونفوذهم ، وكان عهده المرحلة الذهبية في حياة البحرى ، وشعر البحرى سجل حافل بكل ما جرى في خلافة المتوكل من أحداث ، ومنها هذه الرحلة التي قام بها المتوكل إلى دمشق ، وكان البحرى في موكب حاشيته .

(٣) صَبَبْنَا - نَصَبَ : من الصبابة ، وهي الشوق ورقة الهوى .

(٤) ياقوت : . . . أرض العراق وحسنه . . . ويمتنع عنها . . .

(٥) الحرور : الريح الحارة بالليل ، وقد تكون بالنهار ، والحرور : الحرارة وهي هنا ليست بشيء لأن في ذكر القبط غنى عنها ؛ أما شكوى الشاعر من قَيْظِ العراق فهو بعلتها منذ خروج المتوكل من سامراء :

قد رحلنا عن العراق وعن قَيْظِهَا التَّكْدِ

(الديوان ، الجواب : ٩ / ١ ، والقصيدة من مجزوء الخفيف ، وفي الديوان «قطبها التكد» وهو تصحيف) .

م (٨)

هي الأرض نهواها إذا طابَ فصلها      ونهربُ منها حينَ يَحْجَى هَجِيرُها  
 عشيقَتنا الأولى وخَلَّتْنا التي      نَحْبُ وإنْ أَضَحَّتْ دِمَشْقُ تُغَيِّرُها<sup>(١)</sup>  
 عَنيتُ بشرقِ الأرضِ قَدَمًا وغَرْبِها      أَجَوِّبُ في آفاقِها<sup>(٢)</sup> وأَسِيرُها  
 فلم أَرِ مثلَ الشامِ دارَ إقامَةٍ<sup>(٣)</sup>      لِراحِ مُغادِيبِها وكَأْسِ مُنْذِيرُها<sup>(٤)</sup>  
 مَصَحَّةُ أبدانٍ ونُزْهَةٌ أَعِينِ      وَلَهُوَ نَفوسٍ دائِمٌ وسُرورُها  
 مقدَّسةٌ جادَ الرِيسُ بِبلادِها      فَمَني مُكَلِّ دارٍ روضةٌ وغديرُها

(١) في مخطوطة الديوان : (تَغيرها) : من عاره إذا عابه ، ولبست بشي ، وقد آثرنا رواية ياقوت (تُغيرها) وهي بمعنى تثير غيرتها ، لأنها من أغار أهلَه إذا تزوج عليها فغارت ، وبذلك يتم ربط عجز البيت بمعنى صدره .

(٢) أكثر الجعري من التطواف في أرجاء الامبراطورية العباسية المترامية الأطراف ، برّها وبحرها (انظر ما كتبناه في مقدمة أخبار الجعري للصولي ص : ٥) .

(٣) يزبن الشاعر للمتوكل أن يتخذ من دمشق دار إقامة ، وكثيراً ما كان الجعري يُطاري للخليفة محاسن دمشق ، ويدعوه إلى أن يؤثرها بهواه :

وكيف لا نُؤثرُها بالهوى      وصيفُها مثلُ شتاءِ العراقِ

(الديوان ، الجواب : ١/ ١٧٣ والقصيدة من السريع) ويبدو أن المتوكل استجاب لشاعره فعزم على « نقل دواوين الملك إلى دمشق » (انظر الطبري وابن الأثير : حوادث سنة ٢٤٤) لولا أن الجند شغبوا عليه (انظر المسعودي : مروج الذهب :

الهيئة بمصر ١٣٤٦ : ٢ / ٣٨٩ — ٣٩٠) .

(٤) ياقوت : لراحِ أَغادِيبِها وكَأْسِ أَدِيرُها

تَبَاشَرَ قُطْرَاهَا وَأَضْمَفَ حَسَنُهَا      بَأَنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَزُورُهَا  
تَوَجَّهَتْ مَصْحُوبًا إِلَيْهَا بِعَزْمَةٍ      مَضَى بِسَدَادٍ بَدْوُهَا وَأَخْبَرُهَا  
وَفِي سَنَةٍ <sup>(١)</sup> قَدْ طَالَمَتِكَ سُمُودُهَا      وَقَالَ بَلَّكَ النَّيْرُوزُ <sup>(٢)</sup> وَهُوَ بِشِيرُهَا  
فَصَلَّيْنَا بِأَعْوَامٍ تَوَالِي <sup>(٣)</sup> وَلَا تَرَلْ      مَقْدَسَةً أَيَّامُهَا وَشُهُورُهَا  
وَعِشْ أَبَدًا لِلْمَكْرُمَاتِ وَلِلْعَلَا      فَأَنْتَ ضِيَاءُ الْمَكْرُمَاتِ وَنُورُهَا

\* \* \*

(١) غادر المتوكل سامرا لعشر بقين من ذي القعدة من عام ٢٤٣ هـ إلى دمشق عن طريق الموصل ، ووصل إلى دمشق لثمان بقين من صفر عام ٢٤٤ هـ وأقام فيها ثمانية وثلاثين يوما ( انظر تاريخ اليعقوبي ، ليدن ١٨٨٣ : ٢ / ٦٠٠ ) .

(٢) النيروز والنوروز اسم فارسي معرب معناه اليوم الجديد ، وهو أعظم أعياد الفرس ، وزمانه اليوم الأول من السنة الفارسية التي تبدئ بالانقلاب الصيفي ، وقد شهد المتوكل في دمشق مقدم الصيف ، لأن إقامته فيها من صفر إلى أول ربيع الثاني من عام ٢٤٤ هـ أي من أيار إلى تموز من عام ٨٥٨ م .

(٣) أصلها ( تتوالى ) فحذف التاء ، واليجتري بكرر هنا ثانية دعوة الخليفة إلى إطالة البقاء في دمشق .

## ملاحظات ونظرات

١ - هذه القصيدة واحدة من خمس ، نظمها الجعري كلها أثناء رحلة المتوكل إلى دمشق ، وفي هذه القصائد يتغنى شاعر المتوكل بطيب العيش في دمشق وباعتدال أقليمها ، وبفضلها لذلك على العراق وقبيلها ، ودبوان الجعري يحوي القصائد الأربع الأخرى (الدبوان ، الجوائب : ٩ / ١ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢) أما هذه الرائية فنُشر كاملة لأول مرة .

٢ - تحديد تاريخ نظم القصيدة إذاً ممكن ، ذلك أن المؤرخين القدماء عُنوا بالكلام على رحلة المتوكل إلى الشام ، وهي الرحلة الوحيدة التي قام بها هذا الخليفة العباسي إلى خارج العراق طوال مدة خلافته ، ولهذا نستطيع أن نؤكد بالدقة أن الجعري نظم القصيدة سنة ٢٤٤ هـ ، وفي الربع الأول منها ، عندما كان المتوكل في دمشق .

٣ - لهذه الرحلة شأن بعيد المآزى في سياسة المتوكل ، ولكن مؤرخينا القدماء لم يبدقوا في هذا الحدث الخطير ، واكتفوا عند الحديث عن عودة الخليفة إلى العراق بإيراد بعض الأسباب الاقليمية والغذائية ، فالطبري يذكر أن المتوكل استوباً دمشق لأن الهواء بها بارد ندي ، والماء ثقیل ، والريح تهب فيها مع العصر فلا تزال تشتد حتى يمضي عامة الليل ، وهي كثيرة البراغيث . ويتحدث الطبري عن غلاء الأسعار في الشام وعن حيلولة التاج دون السابلة والميرة ، ويتابع ابن الأثير الطبري دون تحقيق ، والتحقيق أن المتوكل لم ينزل دمشق ليستولي سكنائها ، وإنما نزل في قصر المأمون بداريا ، على بعد ساعة من دمشق ، وهذا الموضع في أعلى الأرض - كما يقول المسعودي - يشرف على دمشق وأكثر الغوطه (مروج الذهب : ٢ / ٣٨٩) ، والتحقيق أيضاً أن المتوكل كان في دمشق في وسط الصيف ، بين أيار وتموز - كما قدمنا -



فن أين تنزلكم الثلوج وتحول دون وصول الميرة! المؤرخون المحدثون استطاعوا أن يدركوا أن وراء عودة المتوكل المفاجئة إلى العراق ، بعد عزله على نقل دواوين الخلافة إلى دمشق ، سرّاً لم يكشف عنه أسلافهم ، فهذه الرحلة مظهر من مظاهر النزاع بين المتوكل والأتراك ، وقد حاول الخليفة بهما أن يتخلص من النفوذ التركي الخائف في سامرا بنقل مركز الخلافة إلى منطقة نفوذ عربية ، إلى دمشق ، ولكن الأتراك انتهبوا إلى هذه الخطة وخطرها ، فنفذوا على المتوكل ، وحاولوا اغتياله ، وأجبروه على العودة . ( انظر دراسات في العصور العباسية المتأخرة لعبد العزيز الدوري ، بغداد ١٩٤٥ : ص ٤٥ وما بعدها ) .

٤ - ويعتقد بعض الباحثين أن البحتري قد أسهم في دعم سياسة المتوكل للخلاص من نفوذ الأتراك ، فهو منذ بعيد يطري للخليفة محاسن الشام ، ويشير شوقه إلى فتنة طبيعتها ، إلى أن عزله المتوكل على الرحلة إليها ، ولهذا يقول له البحتري في إحدى قصائد الرحلة : ( الديوان ، الجواب : ١١ / ١ ) :  
أما دمشق فقد أبدت محاسنها وقد وفي لك مطربها بما وعدا

وقد بذل البحتري جهده ليحبب دمشق إلى المتوكل ، وبدفعه إلى إثباتها على العراق ، وليس بعيداً أن يكون البحتري هو الذي حمل المتوكل على المقام بالشام ونقل دواوين الملك إلى دمشق . ( انظر : في الأدب العباسي للدكتور محمد مهدي البصير ، بغداد ١٩٤٩ : ص ٢٣٤ ) .

٥ - أبيات القصيدة تنبض بحب الشاعر الشامي لوطنه ، فهو يفضل الشام على العراق ، ولا يعدل بدمشق داراً أخرى أسكنه ، ولا يرى في الأرض كلها ، شرقها وغربها ، مثيلاً لها في إفادة اللهو والسرور ، فهي صحة البدن ونزعة العين وطمع النفس ، وهو يتنى أن ينقل المتوكل سريره ملكه إليها ، ولهذا نجاهه يبحث الخليفة على إطالة البقاء فيها ، وبلغته إلى عيذاتها ، فهي أرض

مقدسة ، أهدى الربيع كل دار من دورها روضةً وغديراً ، وصتزداد محاسنها اشراقاً بهذه الزيارة لها ، وتطيب أيامها وشهورها كلما طال مكث المتوكل فيها ، وهذه القصيدة أرادها البحتري في مدح المتوكل ، فعالبه حبه للشام على إرادته فجاءت قصيدته نتيجة إعجاب وحب لدمشق ومفانن الطبيعة فيها .

٦ - تمتاز القصيدة إذاً بوحدة موضوعها ، فالأبيات كلها تتحدث عن جمال الطبيعة في دمشق ، وتمجيدها وتفضيلها على العراق وحث الخليفة على البقاء فيها ، وهي من جيد شعر البحتري في المتوكل ، وشعره في المتوكل أجود شعره وأصفاه .

### - ٣ -

وقال البحتري <sup>(١)</sup> يمدح محمد بن حميد الطوسي <sup>(٢)</sup> :

- (١) القصيدة من الخفيف ، عدد أبياتها ٢٣ ، نقلناها من مخطوطة الديوان بالمكتبة الوطنية بباريس ، الورقة ١٤٣ و - ظ ، إلا البيت الخامس منها فقد نقلناه من ( المختار من دواوين المتنبّي والبحتري وأبي تمام لعبد القاهر الجرجاني ، بتحقيق السيد عبد العزيز اليميني : الطرائف الأدبية مصر ١٩٣٧ : ص ٢٤٣ ) وقد وجدنا في هذا ( المختار ) البيتين الرابع والخامس ، وذلك يؤكد صحة نسبة القصيدة إلى البحتري .
- (٢) هو أبو نهشل الطائي ، محمد بن حميد بن عبد الحميد الطوسي ، ممدوح أبي تمام والبحتري ، وقد مدحه البحتري بشعر كثير ، وآل حميد بيت شجاعة وفروسية وأدب ومجد ، منح الخلافة العباسية عدداً من كبار قادة جيوشها ، وقد مدحهم شعراء عصرهم ورتّبوا مصارع الأبطال منهم عند الثغور ، وأخبارهم منشورة في كتب التاريخ ( وانظر معجم الشعراء للمرزباني ص : ٢٧ ، والأغاني ، بولاق :
- ١٠٢/٩ - ١٠٣ ) .

بعض<sup>(١)</sup> هذا الملام والتفنيد<sup>(٢)</sup> ليس هجر النوى كمجر الصدود  
 زعم العاذلون أن الذي يُضـم إليه<sup>(٣)</sup> يُجـل العيون غير وشيد  
 كذب العاذلون قد يحسن الحب بمن ليس قلبه من حديد  
 ياربوع الديار إني على ما قد أراه منكن غير جليد  
 [أخلق الدهر عهد كن وللهـ صروف يُخـافن كل جديـ<sup>(٤)</sup>]  
 فرقت شملنا النوى بعد ما كنا جميعاً في ظل عيش حميد  
 لو<sup>(٥)</sup> ترانا عند الوداع وقد لو<sup>(٦)</sup> (م) ذ سكب الدموع ورد الحدود  
 حين سادوا بغايات وسام<sup>(٧)</sup> آنسات حور المدامع غيد  
 يتلفتن من بعيد وينظرن استراقاً إلى الحب العميد<sup>(٨)</sup>

(١) للبحري قصيدة يمدح بها الوزير محمد بن عبد الملك الزيات ، ومطلعها مماثل لهذا

المطلع : ( الديوان ، الجواب : ١٩٣ / ٢ ) :

بعض هذا العتاب والتفنيد ليس ذم الوفاء بالحمود

(٢) التفنيد : التكذيب وتخطئة الرأي وتضعيف القول .

(٣) أصباه : شافه وفتنه ودعاه إلى الصبا .

(٤) البيت زيادة من ( المختار . . ) للبرجاني .

(٥) لو : هنا ليست للشرط ، فلا جواب لها ، وتحتل التمني والعرض .

(٦) وسام : جمع وسمة ، والوسامة أثر الحسن .

(٧) العميد والمعمود والمعمد : الذي هداه العشق وأضناه .

يَتَهَادَيْنَ حَوْلَ مُخَوَّرَةِ الْعِيْنَيْنِ مَصْفَرَّةِ التَّرَائِبِ <sup>(١)</sup> رُودِ <sup>(٢)</sup>  
 أَعْجَلَتْهَا النَّوَى فَمَا نَلْتُ مِنْهَا طَائِلًا غَيْرَ نَظَرَةٍ مِنْ بَعِيدِ  
 سَوْفٍ أُعْطِيَ السَّلَوُ وَالْعَبْرَ مَا أُمْنَعُ <sup>(٣)</sup> مِنْ طَارِفِ الْهَوَى وَتَلِيدِ  
 بِالْمَهَارَى <sup>(٤)</sup> يَلْبَسْنَ ثَوْبًا جَدِيدًا مُسْتَفَادًا فِي كُلِّ وَقْتٍ جَدِيدِ  
 وَهِيَ طَوَّلَ النَّهَارِ بَيْضٌ وَطَوَّلَ <sup>(٥)</sup> اللَّيْلَ فِي أَقْصَى مِنَ اللَّيْلِ سُودِ  
 طَالِبَاتٍ فِي الْغَوْثِ غَوَا سَكُوبًا وَحَمِيدًا فِي آلِ عَبْدِ الْحَمِيدِ <sup>(٦)</sup>  
 جَادَ حَتَّى لَوْ أَسْتَزِيدَ مِنَ الْجُوِّ دَلِمَا كَانَ هُنْدَهُ مِنْ مَزِيدِ  
 خُلُقٍ بِأَمْعَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ حُزَنَهُ عَنْ أَبَوَةٍ وَجَدُودِ

(١) الترائب : موضع القلادة من الجسم أو ما بين الثديين ، ويريد الشاعر من اصفرار الترائب أنها مصبوعة بالزعفران ، وهو من الطيب ، وقيل : أهلك النساء الأصفران : الذهب والزعفران .

(٢) رُود مسهلة من رُود وهي الفتاة الحسنة الشباب ، تشبهاً لها بالفضن الرطب الرخص .  
 (٣) في الأصل : ما ، ولا يستقيم بها معنى البيت وإعرابه ، و ( ما أُمْنَع ) ما مصدرية ظرفية ، ومعنى البيت أنني سأمدو عن فاروقني ، مدة ما يمنع عني جديدُ الهوى وقد يمد ، برحلة إلى المدوح ، أركب المهاري . . إلخ . .

(٤) المهاري الإبل المهرية ، وهي المنسوبة إلى قبيلة مَهْرَة .

(٥) في الأصل : طوال ، وهو خطأ ، ولا يستقيم الوزن به .

(٦) المدوح اسمه محمد بن حميد بن عبد الحميد .

يَشْهَدُ الْحَرْبَ مِنْكَ لَيْثٌ عَرِينٍ      غَيْرُ هَيَّابَةٍ وَلَا رَعْدِيدٍ  
أَسَدٌ يَرْكَبُ السَّيْفَ إِذَا مَا      فُلٌّ تَحْتَ السَّيْفِ صَبْرُ الْأَسْوَدِ  
يَتَخَطَّى فِيهَا رِقَابَ الْمَنَابِيا      غَيْرَ مَا نَاكِيلٍ وَلَا مَزْوُودٍ<sup>(١)</sup>  
فِي نَهَارٍ مِنَ السَّيْفِ مُضِيٍّ      تَحْتَ لَيْلٍ مِنْ مُسْتَنَارِ الصَّعِيدِ<sup>(٢)</sup>  
وَعَوَانٍ<sup>(٣)</sup> تُحْمَلُ تَحْتَ وَغَاهَا      مُعْقَدَةُ الْفَارِسِ الشَّجَاعِ النَّجِيدِ<sup>(٤)</sup>  
يَجْرَسُ الدَّارِعُونَ فِيهَا فَا يُسْمَعُ فِيهَا إِلَّا كَلَامُ الْحَدِيدِ

\* \* \*

(١) المزوود : المذخور ، من زأده : أنزعه .

(٢) الصعيد : التراب ، والتراب المثار كناية عن المعركة .

(٣) العوان من الحروب ، الحرب التي قوتل فيها مرة بعد الأخرى ، كأنهم جعلوا

الأولى بكرة ، لأن العوان من النساء هي الثيب .

(٤) النجيد والنجند والنجد : الشجاع الماضي فيما يُعجز غيره .

## ملاحظات ونظرات

١ - ممدوح البحتري في هذه القصيدة محمد بن حميد ، الفائد العباسي ، شخصية كبرى من شخصيات شعر البحتري ، وهو شاعر مقل ( الفهرست ، الرحمانية بمصر ١٣٤٨ هـ : ص ٢٣٥ ) يروي صاحب الأغانى بعض أخباره ( ج ٩ / ١٠٢ - ١٠٣ ) ، وقد مدحه البحتري بقصائد كثيرة ، منها ١٥ قصيدة في ديوانه المطبوع ، وقصائد أخرى لم تنزل إلى اليوم مخطوطة ، ومنها هذه القصيدة .

٢ - ليس سهلاً تحديد تاريخ نظم القصيدة ، ذلك أن البحتري اتصل بآل حميد في بغداد ، في حياة أستاذه أبي تمام الذي كان يستجيد شعر البحتري فيهم ( أخبار البحتري : ٦٩ ) ، وفي خلافة المتوكل أيضاً ؛ وليس في القصيدة ما يُبين على تأريخها ، ولعلّ في حرارة أبيات الغزل وما يذكر الشاعر فيها من تعلق الغائبات به وتلفتن إليه عند الرحيل ما يسمح لنا بأن نرجح أن تكون القصيدة من نواج مرحلة الشباب .

٣ - يمكن أن نلاحظ في القصيدة أقساماً ثلاثة :

أ - النسب : ويشغل الأبيات ( ١ - ١١ ) وقد أغناه الشاعر بالحلة على العذال ، وبالحنين إلى ديار المحبوبة ، وبوصف بعض الذكريات الباكية لساعة الفراق والرحيل ، وبوصف خاطف لبعض مفاتن المحبوبة ذات العينين الحوراوين ، والترائب الفواحة بطيب الزعفران ، والقامة المتأودة كالفضن الرخص .

ب - وصف الأول : ويشغل الأبيات ( ١٢ - ١٤ ) وهي الركائب التي حملت الشاعر إلى الممدوح ، وهي إبل مَهْرِيَّةٌ تُغَيِّدُ السير ، وتطوي الليل والنهار ، لتبلغ ديار الممدوح .

ج - المديح : وبشغل الأبيات الباقية ( ١٥ - ٢٣ ) وهو الغرض الرئيسي من القصيدة ، والبحثري 'يقدم فيه للممدوح صورة تقليدية لا تكاد تبدو فيها ملامح خاصة تميز محمد بن حميد الطوسي من غيره من ممدوحى البحتري ، على أنه جمع فيها أفانيم المديح الثلاثة ( الكرم وشرف النسب والشجاعة ) فالممدوح غوث مكروب ، يجود بكل ماله ، وهو شريف في بيته ، ورث الكرم عن أبوته وجدوده ، وهو في الحرب ليث مقدم ، يخوض المعارك الطاحنة ، ويخطى فيها أرقاب المنايا ، غير هيأب ولا ناكل ، وكل من في المعركة هادئ صامت أخرس ، فلا يسمع غير قعقة السلاح و صليل السيوف .

٤ - 'يلاحظ أن النسب قد استأثر بأكثر الأبيات وطفى على حصة المديح ، وهو الغرض الرئيسي ، كما نلاحظ أن البحتري قد أحسن التخلص هذه المرة من النسب إلى المديح ، فلم يكن انتقاله إليه مفاجئاً كما عودنا أن يفعل ، وهكذا كان وصفه للأبل التي حملته إلى الممدوح وسيلة لفرض فني ، هو ما يسميه البلاغيون بحسن التخلص ، وعلى الرغم من أن هذه الوسيلة تقليدية معروفة في الشعر القديم ، فإن عرض البحتري الحي السريع المحكم لها خفف من ابتذالها .

٥ - استوفى البحتري في أبيات المديح جزئيات الصورة التقليدية للممدوح ، وعرضها عرضاً خاطفاً مريباً ، ولكنه ألح على تصوير شجاعة ممدوحه وثباته في المعارك ، حتى شغل بذلك الأبيات الستة الأخيرة ، ولم يترك للكرم وشرف النسب مجتمعة غير أبيات ثلاثة ! ومثل هذا الإلحاح على تصوير شجاعة الممدوح أمرٌ طبيعي فصورة محمد بن حميد القائد العباسي لا بد لها من أن تطغى - في عيني شاعر مصور كالبحثري - على مزاياه الأخرى .

٦ - القصيدة من جيد شعر البحتري ، اجتمع لها رقة اللفظ وسهولة ، وبساطة التركيب وقوته ، وموسيقى الصياغة وعفويتها ، وجمال الصورة ووضوحها ، ولو توفر لها غنى المنصر الفكري وطول النفس لكانت من مختار الشعر العباسي ومستجاده .

# كتاب النفس

لابن باجة الأندلسي

- ٦ -

## الفصل الرابع

### القول في البصر

وقد تبين فيما قد تقدم<sup>(١)</sup> ان النفس هي الاستكمال الأول الذي هيولاه المزاج .  
وأعني بقولي « الأول »<sup>(٢)</sup> كما يقال في المهندس حينما لا يستعمل عمله بالهندسة ،  
والموسيقار<sup>(٣)</sup> < حينما لا يستعمل صناعة الموسيقى . والأخير مثل ما يقال  
في الموسيقار حين يستعمل اللحن . فإن الصنف < الأول > من الاستكمال  
أبدأ هو كالمبولى للكمال الأخير ، ولذلك يحتاج ضرورة إلى شيء آخر يخرج  
إلى الفعل وهو المحرك ، لأن كل محرك فله محرك ، غير أن المحرك<sup>(٤)</sup> في  
هذه يخفى والمحرك في الحس ظاهر أمره كالذي بعرض في المِرآة الصقيلة .  
(ورقة ١٥٥ ب) فإن الصفاة هي الكمال الأول فلذلك متى حضر المرئي  
ارتسخت فيها الصورة من غير أن تتغير هي الى وجود آخر تكون به أقرب  
كالذي بعرض في الحديد وهو حديد<sup>(٥)</sup> أنه استكمال أول . والاستكمال

---

(١) راجع النص ، آخر ورقة ١٣٩ ب واول ورقة ١٤٠ الف : والنفس هي  
الاستكمال الاول .

(٢) لقد صرح ارسطو ان الشيء يقال له باجه ، اولاً من حيث صورته وثانياً من حيث  
المادة ، انظر 13 - 9 a 414 De An II, 2 : والتعليق ٣٨ ، الاصل الاول .

(٣) المخطوطة : الموسيقى .

(٤) المخطوطة : المتحرك .

(٥) فان الحديد بذاته ليس بصقيل ، وانما يصير سقاء بعد الصقل .



الأول بالجملة هو ما كان الجسم مستعداً لقبول شيء ما غير أن يتغير بالذات لا بالعرض ، فإن المرءة قد تتغير مثل أن تنتقل الى مقابلة المرئي .  
 فقرة البصر هي استكمال أول للعين وهي النفس الباصرة . وإذا أبصرت صارت بصرآ وهذا هو اسمها من حيث هي <sup>(١)</sup> بالكمال الأخير . وكذلك سايرها .  
 فإنها اذا انفردت وكانت قوة فقط كانت نفساً . ولذلك يقال في الجنين ذو نفس <sup>(٢)</sup> وفي النائم ، واذا فعلت أفعالها كانت حساً . فالقوة التي يكون بها البصر هي بالقوة المبصرات .

والمحسوسات كما قيل <sup>(٣)</sup> « أول » وهي الخاصة بجاسة حاسة - ومنها مشتركة ومنها بالعرض .

والمحسوس الأول للبصر هو اللون ، ولذلك لا بدركه إلا البصر . ولذلك ما وجد فيه إدراك اللون فذلك العضو فيه بصر حيث كان وأي صورة كان ، فان الجسم يحيد بفانيته ، ولذلك لا يكون الصنم إنساناً ، ولا ما اتخذ من السمع سكينا اذا لم يفعل أفعال الأنواع المشاركة لها في الاسم <sup>(٤)</sup> . ولذلك قيل ان العين يقال على عين الحي وعين الميث باشتراك لا بتواطؤ .  
 فالنفس الباصرة هي القوة الموجودة في العين التي تدرك بها اللون . وهي

(١) المخطوطة : هو ، وبالهامش : هي .

(٢) ان الجنين له نفس نباتية كما يظهر من اقوال ابن باجة الآتية : ورقة ٢١٦

ب ( رسالة الاتصال ، الاندلس ، ميدرد ، ج ٧ ، ١٩٤٢ م ، ص ١٢ ) .

وذلك في الزمان الذي يحتوي عليه الرحم ، فانه يتخلق اولاً فاذا اكمل تخلقه

اغتنى وغنى ( = غنما ) .

(٣) راجع النص ورقة ١٥٥ الف : « منها خاصة ومنها مشتركة » .

(٤) المخطوطة : الجسم ، وبالهامش : الاسم . - فـارن ارسطو : Arist. : Meteo

IV. 12. 390 a 10; De An. ii. I. 412 b 12 - 21; 8. 420 b 1; De Gen.

Anim. ii. I. 735 a 8

في الرطوبة الجليدية<sup>(١)</sup> . وذلك بين من العوارض التي تعرض لمن ينزل الماء في عينيه . فلذلك يجب أن نفحص عن اللون ما هو ؟

فنقول : إن اللون لا يمكن إدراكه إلا بتوسط الهواء . ولذلك لو وضع اللون على البصر لما أدركه<sup>(٢)</sup> . ولا يمكن للهواء أن يخدم البصر في إدراكه إلا مع الضوء<sup>(٣)</sup> ، إما لأن الألوان في الظلام بالقوة ولا وجود لها ، أو لأن الهواء إنما يقبل الألوان بالبصر الذي تكون فيه .

أما إن اللون في الظلام فذلك بين عند تأمل الألوان في الظل ، وفي الشمس ، وفي الحال التي تعرض للنبات عند مرور السحاب عليه حائلة بينه وبين الشمس ، فإن ألوانها تختلف اختلافا شديداً . وقد تلخص ذلك في الحسن والمحسوس<sup>(٤)</sup> ، فالواجب أن نتقدم<sup>(٥)</sup> فنلخص أي شيء هو ؟

(١) لعل الحق مع ابن باجة حين يقول : إن القوة الباصرة في الرطوبة الجليدية التي هي آلة البصر عند اليونانيين ( ماريوف ، Mayerhof ، المقالات العشر في العين لحنين بن اسحاق ، ص ١٢٠ : وأما آلة البصر وهي الرطوبة الجليدية . ) أما ابن سينا فانه يقول ان هذه القوة هي في العصبية المجوفة ( انظر ، فضل الرحمن Avicenna's Psychology ، ص ٢٦ . والشفاء مخطوط بودليانا ، بوكك Poc ١٢٥ ، ورقة ١٦٠ ب : فنها البصر وهي قوة مرتبة في العصبية المجوفة تدرك صورة ما ينطبع في الرطوبة الجليدية من اشباح الاجسام . ) . ولقد صرح حنين ان قوة البصر تنبعث من الدماغ في العصبية المجوفة ، المقالات العشر في العين المنسوب لحنين ، ص ١٢٠ .

(٢) قاون ارسطو : Arist. : De An. : II. 7. 419 a 13; II. 423 b 20

(٣) ما قال ارسطو قط ان الهواء يخدم البصر ، ولكنه بين ان الماء والهواء شفافان يجتريان على جوهر مضي . كأن الضوء هو لون الشفاف ، راجع

De An. : II. 7. 418 b 1 - 12

(٤) يصف ارسطو ان انواعا من الالوان تعرض لمن يرى الشمس منقطة بالضباب او الدخان ، فنرى كأنها بيضاء قد اختلطت بالحمرة ، راجع

Arist. : De Sensu : 3. 440 a 7 . وابن رشد قريب من ابن باجة في البيان ،

انظر تلخيص كتاب النفس ، الاهواني : ص ٣٣ ، وحيدرو اباد ، ص ٢٩ .

(٥) المخطوطة : يح ان نتقدم .

والمضيء هو مفيد للضوء ، والمستضيء هو الذي فيه الضوء - والضوء هو كمال المستضيء من جهة ما هو مستضيء .

والمضيء يقال على نحوين <sup>(١)</sup> : تقديم ( ورقة ١٥٦ الف ) وتأخير . فالأول هو المعنى الذي نظن أن الشمس تشترك فيه مع النار . والمقول بتأخير <sup>(٢)</sup> هو الذي يضيء بأن يستضيء . وذلك بأن ينعكس الضوء عنه ، كما بعرض في القمر وفي الأجسام الصقيلة . وهذه أصناف . أما أن يكون ذلك بحيث < لا > بقدر أن يعمل غيره مرئياً <sup>(٣)</sup> فهذه <sup>(٤)</sup> أصناف الأرضيات كالمرئي في الماء عند وقوع المجاديف بالليل ، وفي قشر بعض السمك ، ونار الجبابج ، وهذه ليست ألواناً <sup>(٥)</sup> ولكنها انفعالات في العين ، وقد تلخص أمرها في غير هذا الموضع .

(١) والظاهر أن ابن رشد اتبع ابن باجة في قوله « أن المضيء على نحوين : القديم وتأخير » . أما أرسطو فإنه لم يعرج بهذا التقسيم ، ولكنه ذكر في كتاب النفس ( ٤٢٨ و - ١٠ ، راجع تلخيص كتاب النفس ، تحقيق الاهواني ص ٣١ ) « أن الأجسام المضيئة تخرج من القوة إلى الفعل بتأثير النار ، أو شيء شبيه بالأجسام الملوية ، ولعل اصطلاح « شيء شبيه بالأجسام الملوية » ظهر في قول ابن رشد « بالجسم الإلهي » ، وفي شرح القديس توماس الأكويني « بالأجسام الملوية » . وقد صرح ابن باجة بهذا الجسم حين ذكر الشمس . راجع أرسطو : De An. ii. 7. 418 b 12

(٢) المخطوطة : وتأخر .

(٣) المخطوطة : قريباً . راجع أرسطو : De An. ii. 7. 419 a 3 . وابن رشد قريب من ابن باجة جداً في البيان ، انظر تلخيص كتاب النفس تحقيق الاهواني ، ص ٣١ ، حيدر آباد ص ٢٢ .

(٤) المخطوطة : وهذه .

(٥) انظر أرسطو : De An. ii. 7. 419 a 1-5 : ابن رشد : تلخيص كتاب النفس تحقيق الاهواني ص ٣٢ ، حيدر آباد ص ٢٧ .

فالضوء إذن هو الذي يكون في الهواء عند حضور جسم له هذه الحال في المستضيء .

فأما هل الشمس هي تلك بعينها أم أثرها في المحيط بالحيوان ففي ذلك موضع فحص ، وعويص شديد حقاً . فإن الكائن في الماء يرى الشمس في بسيط الماء ويراها قريباً حتى يظن أنها في بسيط الماء . وكذلك يعرض لمن في شاطئ البحر عند الطلوع والغروب إذا اتفق كون بخار غليظ مرتفع من موضع قريب من الناظر أن يظن أن الشمس في سطح ذلك البخار ، ولذلك يراها كبيرة ويراها حمراء وصفراء . وأيضاً إذا نظرنا في النار وأحوالها التي بها تكون مضيئة وجدنا فيها أن ذلك يكون بنوسط في الغلظ والرفة . وذلك بين فيما قبل <sup>(١)</sup> في النيازك وأذئاب الكواكب . لكن الأمر على ما يقوله أرسطو في سابعة عشر الحيوان <sup>(٢)</sup> أن صورة النار مرئية <sup>(٣)</sup> حين وعدنا بالفحص عنها - فليترك إلى ذلك الموضع الذي يليق به أن يفحص عنه عن أمثال هذه الأمور . والمقبول بلحقه دائماً لواحق في القابل ، ولذلك قيل : ع « كأنه ناظر في السيف بالطول » <sup>(٤)</sup> ، وكما يعرض في الأطوال ، وقد تلخص هذا في كتاب المناظر والظلال التعليمية <sup>(٥)</sup> ، وأعطيت أسبابها .

(١) وذكر أرسطو أسباب الشهاب الثاقب ، ومنظر الاحترق وحقيقة المذنب والمجرة

في كتاب الآثار العلوية : Meteo. i, 5-6. 342 b 22 .

(٢) انظر أرسطو : De Gen. An. iii II. 791 b 20 .

(٣) المخطوطة : قربه .

(٤) وقامه « ذاك الوزم الذي طالت علاوته كأنه ناظر في السيف بالطول »

والبيت من قصيدة لأبي نواس نظمها في مدح جعفر بن يحيى البرمكي ، وما

وجدته في الديوان . راجع كتاب الوزراء والكتّاب لأبي عبد الله محمد بن

عبدروس الجشباري تحقيق مصطفى السقا ، إبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلي ،

١٩٣٨ م ، مصر ص ٢١٥ .

(٥) الله تصنيف لابن باجة في الهندسة ، وقد فقد .

وظاهر بين أن الذي يقبله الهواء من النار هو بسيطها إما أولاً أو بتوسط معنى فيه . وذلك المعنى ، إن قيل له « كون » فباشتراك .  
ولما كان المتقابلان لا يوجدان معاً في موضوع واحد كالحَرِّ والبرد فمن هذه ما لا يوجدان في موضوع واحد بالاطلاق كالزوج والفرد فإن الخمسة لا تكون زوجاً أصلاً . ومنها ما لا يوجدان <sup>(١)</sup> في موضوع واحد في وقت واحد مثل الحار والبارد والعمى والبصر . ومنها ما يوجدان في موضوع واحد في وقت واحد وذلك في كثير من أنواع الإضافة ، منها أصناف الوضع المضاف كالتيامن والتيامس ، ولذلك لا يكون حدوث في موضوعاتها تغييراً ( ورقة ١٥٧ ب ) بل تابعاً لتغير <sup>(٢)</sup> . ويوجد في الآن <sup>(٣)</sup> ولا يكون في زمان أصلاً ، وقد تبين كيف ذلك في السماع .

والوضع فالمضاف منه بالذات وهو الذي بالطبيعة . والذي بالطبع كوضع بعض أعضاء الحيوان من بعض ، فذلك نجد الطبيعة قد حصلت في كل واحد منها أو في أحدهما أمراً <sup>(٤)</sup> يتم بذلك الوضع . وما بالعرض ليس كذلك كوضع زيد من عمرو . والوضع على ما تلخص في السماع ، ليس من القوى الشائعة في الجسم <sup>(٥)</sup> ، فإن وضع آمن جب كوضعه من أحد ، وأي

(١) المخطوطة : ومنها فلا يوجدان .

(٢) وابن باجة بين معنى « تابع لتغير » بالفاظه في السماع ، ورقة ٢٩ ب : « ويكون قلب تغير تابع لتغير فذلك يكون في الآن وكذلك فسادها » .

(٣) ولفظ « الآن » عند ابن باجة معناه « متبى الحركة » ، ورقة ٢٩ الف : « فلي الآن الذي هو متبى الحركة » . ولكنه أيضاً صرح بين آخر فقال : ورقة ٢٩ ب : « الآن الذي هو نهاية السكون ومبدأ الحركة أو نهاية الحركة ومبدأ السكون » .

(٤) المخطوطة : أمر .

(٥) هذا مبني على ما قال أرسطو من أن أوضاع الحيوان وأوصاف حركته ليست

جزء أخذ من آجبّ كان وضع آمنه ضرورة<sup>(١)</sup> ذلك الوضع بعينه .  
 والمضيء من المستضيء صورة ذو مضاف . والأجسام إنما تكون ذات وضع  
 بالاطلاق ببسائطها المطيعة بها الخارجة . فلذلك تكون ذوات وضع بهذه البسائط .  
 والمضافات قد لا يوجد بين موضوعين منها شخصان من نوع واحد من  
 الإضافة كالتوليد فإن المولّد لا يكون مولّدًا للمولّد له . وقد يكون  
 بينها شخصان من ذلك النوع كالتضارب والتصادق . والذي لا يوجد بينها  
 شخصان قد يكون نوع الإضافة التي<sup>(٢)</sup> بينها فصلها<sup>(٣)</sup> من كليهما كتيامن  
 حيوان من حيوان . فإن حَ اذا كان متيامنًا عن بَ كان بَ متيامرًا<sup>(٤)</sup>  
 عن حَ<sup>(٥)</sup> . لأن لكليهما اليمين والبسار . وأما ما ليس بحيوان فليس<sup>(٦)</sup>  
 كذلك ، فإن التيامن للجبل فليس يتيامر عن الجبل ، إذ ليس للجبل يمين ولا  
 يسار إلاّ بالاعتباس .

والمضيء له إلى المستضيء وضع مضاف<sup>٧</sup> ولذلك اذا حضر وجب أن يكون  
 ذلك له ، وقوله ذلك الوضع منه بالطبع هو إضافة . والمنير ماله مثل  
 هذه الطبيعة .

والإضافة من حيث هي إضافة فلا تنقسم بأقسام الجسم ، لأنّ الإضافة  
 طبيعة عامة لما هو جسم ولما < هو > ليس بجسم . فلذلك قد لا تنقسم بأقسام  
 الجسم بذاتها .

(١) المخطوطة : ضرورة .

(٢) المخطوطة : الذي .

(٣) المخطوطة : فصلها .

(٤) المخطوطة : متيامر .

(٥) المخطوطة : دَ .

(٦) المخطوطة : وليس .

ولما كانت الإضاءة مضافة بين جسمين من طريق ما هي تلك الأجسام ، فإن لكل جزء من المنبر عند جزء من المستنير تلك الإضافة - أمكن أو لا أمكن . ولذلك لا يضيء كل مستضيء فأني قدر ، كان قدراً واحداً من الإضافة ، بل قد لا يضيئه كله لكن يضيء ضرورة ما يجاوره . وقد تختص كيف ذلك في القول في انعكاس الأضواء <sup>(١)</sup> . فقد قلنا ما الضوء ، وما المستضيء ، وما المضيء .

وتبين بذلك كيف يوجد في الهواء الضوء من غير أن يوجد زمان ، وكيف يستضيء الهواء عن الشمس والسراج في قدر واحد من الزمان - إن قيل لذلك زمان - وتفاصيل الأبعاد على ما هي عليه . وكيف يوجد الهواء الواحد يستضيء عن نورين ولا يبين أثره إذا تخالفا في الوصف . مثل أن يكون كل واحد (ورقة ١٥٧ الف) منها على طرف ضلع المربع ويكون بينهما حاجز عن مستضيء ، فإن المركز وحده يستضيء بالضوءين معاً ، فإن لم ينعكس الشعاع لم يكن على استقامة قطر حال المضيء الذي على القطر الآخر . وكذلك لا يتبين لمن كان على وسط ضلع المربع حال واحد من المضيئين .

ولما كان اللون إنما هو على ما تبين في الحس والحسوس <sup>(٢)</sup> باختلاط المستضيء بالجسم ذي اللون على الجهة سمت هنالك كان اللون أيضاً ضئيلاً بوجه ومحركاً للهواء <sup>(٣)</sup> . فاللون محرك للمستضيء لكن من جهة ما هو مستضيء ، لأن المستضيء هو المحرك لذلك اللون .

فأما كيف قيل إن اللون يحرك المشف بال فعل فذلك من جهة أن قبول اللون إنما هو من جهة ما هو مستضيء وقبول المضيء هو إضافة إضاءة . فتحرّكه

(١) لعل ابن باجة يشير إلى كتاب صنفه في انعكاس الضوء ، وقد شهد .

(٢) راجع أرسطو : Arist : De Sensu iii. 440 b 1-18; 439 b II; De An. ii. 7.

419 a 14

(٣) المخطوطة : للهوى .

ايام إضاءة وإشفاق . وهنالك استنبان خطأ من رأى <sup>(١)</sup> أن الابصار كانت بالخللاء <sup>(٢)</sup> ، أمكن لما يظهر الحس في الماء والهواء ، بل الأمر على عكس ما ظنه ديمقراطيس ، فإن الهواء لو ارتفع لارتفع الابصار جملة . وكما أن اللون لا يدرك دون ضوء <sup>(٣)</sup> ، فكذلك الضوء لا يدرك إلا مقترناً بلون . وذلك بين بما قلناه قبل <sup>(٤)</sup> .

فاللون هو البسيط ، والبسيط هو ذو شكل ضرورة ، فلذلك يدرك البصر الشكل والطول ، وبالجمله فكل ما يوجد في قوام اللون او قوام ما يكون به قوام اللون . فلذلك يدرك البصر الجواهر الموضوعة للألوان . ولما كانت الأسباب منها قريبة ، وهي التي تخص الذاتية ، ومنها بعيدة وتعمد فيها بالعرض ، وكان المبهترات كذلك مثل الأطوال أو ما يجري مجراها ، انها للبصر بالذات ، والجواهر أنها بالعرض .

وأما <sup>(٥)</sup> ما بالعرض على الخصوص فما يدركه بتوسط قوة أخرى ، مثال ذلك أن الأبيض اثر عندنا <sup>(٦)</sup> قلبس للبصر لا قريباً ولا بعيداً .

وقد يظن أن كثيراً ما < ما > بالذات يوجد في المراتب <sup>(٧)</sup> ، فإن الشكل والحركة قد تظهر فيها وأشياء أخر من أحوال الملون ، لكن ليس ذلك فيها من جهة واحدة ، وقد تلخص أمرها في غير هذا الموضع ، والحركة الظاهرة

(١) وقد ذكر أرسطو رأى ديمقراطيس في كتابه في النفس : De An. ii. 7. 419 a 15

(٢) المخطوطة : بلون بالخللاء .

(٣) أيضاً : 419 a 9 .

(٤) أيضاً : 419 a 21 . وراجع النص بنفسه : ما وجد به إدراك اللون النح

( ورقة ١٥٥ ب ) .

(٥) المخطوطة : وكان المبهترات كذلك مثل الأطوال وما جرى مجراها انها للبصر

بالذات واما النح .

(٦) المخطوطة : عندما .

(٧) المراتب جمع المبراة .



فيها ليست حركة حدثت بل أشياء شعاعية<sup>(١)</sup> ، لأن الجزء الظاهر عند آ  
لبس هو بعينه الذي ظهر عند ب . فيكون ذلك حركة . وإنما ذلك كظل  
المتحرك فإنه عدم لضوء لا لحركة ، فإن الظل لا حركة له .  
والحسن لما كان هوبل تقبل معنى المحسوس على ما قبل<sup>(٢)</sup> لذلك ارتسم في  
الحسن ما به قوام ذلك المعنى ، كيف كان . وأما المِرآة فليست تقبل المعنى  
الكن تقبل أمثال بعض لواحق ذي المعنى<sup>(٣)</sup> .

\* \* \*

### الفصل الخامس

( ورقة ١٥٧ ب ) القول في السمع

والقوة السامعة هي استكمال حاسة السمع ، وفعلها<sup>(٤)</sup> ادراك الأثر الحادث  
في الهواء عن تصادم جسمين متقاومين . وهذه الحال هي التي يكون بها  
الشيء مسموحا وإحساسها هو سماع . وذلك ان كل الأجسام المحدثه للصوت  
إما صلبة وإما رطبة . فان كانت صلبة فاذا قرعها<sup>(٥)</sup> فارع حدث عنها<sup>(٦)</sup>

(١) المخطوطة : شائعة .

(٢) راجع النص : فهوبل الادراك مطبوعة على قبول معاني المدركات : ( ورقة  
ورقة ١٥٤ ألف ، آخرها ) .

(٣) المخطوطة : « هذا مضي » ، لعله من زيادة ابن الامام او الكاتب .

(٤) للصوت ، كما يثبت أرسطو ، بالفعل والقوة . والأول يحدث من التصادم ،  
للا بد له من جسم فارغ وجسم مقروص ، والصوت لا يكون إلا بحركة من  
الضارب والمضروب ، راجع : De An. ii. 8. 419 b 5-13 .

(٥) المخطوطة : قرعه .

(٦) المخطوطة : هته .

صوت . وأما إن كان رطباً<sup>(١)</sup> فإنه لا يحدث عنه صوت إلا بأن تكون حركة القارع الى المقروع أسرع<sup>(٢)</sup> من انخراق ذلك الرطب فتقاومه . فيتحرك الذي فيه تلك الحركة وينبوء عنها ، وتندفع منه إلى جميع الجهات التي تلي المكان الذي التقى فيه القارع والمقروع . والهواء مع أنه يتدفع عن القارع يقبل<sup>(٣)</sup> عن القارع أثراً خاصاً به ، كما يظهر ذلك من الأجسام المهتزة . وبين أثر ذلك الحس في أوتار العود ، فإنا نجد متى حركنا البم في تسوية المطلق تحرك < ما > على المثني فلم يتحرك ما على الزير ، ولا ما على المثلث . وكذلك إذا اهتز المثلث لم يهتز الزير . وإن وضعنا الاصبع على سبابة الزير تحرك ما عليه ؛ وكذلك بعرض في المتساوية الطبقة ، لأنها متشابهة . وكذلك عرض الأمر بعينه فيما بالكل < و > الذي بالكل متشابه وليس متساوي<sup>(٤)</sup> . والمحسوس الأول هو ذلك الأثر<sup>(٥)</sup> الذي في الهواء والماء الحادث عن القرع ؛ لكنه مقرون بحركة ولا يمكن أن يحس دون تحرك ذلك الهواء . فلذلك هو أثر مقترن به تحركه في الأثر<sup>(٦)</sup> ، فلذلك بلحقه عن ما يرجع عن جسم ان يرجع بعينه ولكن لا على تلك الحالة . فلذلك يلزم للضدين<sup>(٧)</sup> تغير ما ، لكن يبقى الأثر واحداً بعينه .

(١) اللفظ المقابل للرطب في هذا المعنى غير موجود في كتب أرسطو ولكنه بين « ليس كل أجسام تحدث الصوت بالمقارعة ، فالقرب على القطن مثلاً لا يحدث صوتاً ولكن النحاس والأجسام المجوطة والملاء تحدث » ، راجع :

De An. ii. 8. 419 b 14-15

(٢) انظر أرسطو : De An. 8. 419 b 23 ؛ ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، تحقيق الاهواني ، ص ٣٥ .

(٣) المخطوطة : ويقبل .

(٤) (متساوياً) خير ليس . (لجنة المحلة)

(٥) راجع أرسطو : De An. 8. 419 b 18-20 .

(٦) أي الصوت أثر متحرك بالهواء الذي حدث الأثر به .

(٧) المخطوطة : للضدان .

وكذلك في أذن الإنسان خاصة ، لما كانت كثيرة التقارع ، عرض للهواء هنالك أصناف من الرجوع <sup>(١)</sup> ، وبقي الصوت ، كما يعرض في الآلات المصوتة ، كالعود . وبذلك يكون الصوت نغمة . فان النغمة صوت يبقى زماناً محسوساً ، ولذلك لم يكن كل صوت نغمة ، فلذلك متى يردفه صوت آخر امتزج الهواءان وهما بأحوال مختلفة ، فحدثت نغمة ممتزجة ، إما ملائمة وإما منافرة . وهذا هو السبب الذي كانت الإيقاعات تصير به <sup>(٢)</sup> الملائمة والمنافرة ملائمة . وهذا هو < في > عود أنينها <sup>(٣)</sup> النغم . وقد فصل ذلك كله في مواضع آخر . ولما كان الموضع الأول للسمع هو الهواء ، لأنه القابل الأول للصوت ، لذلك كان المتقارعان <sup>(٤)</sup> محسوسين بالعرض ، ولذلك يقع الغلط للسمع فيهما ، كما يقع للبصر فيما لموضوعه بالعرض ، وقد تلخص ذلك قبل <sup>(٥)</sup> . فلذلك قد تعرض أصوات كثيرة لأجسام متباينة ( ورقة ١٥٨ الف ) يظن بها أنها واحدة ، كمثل وقوع الماء في جسم أجوف صلب أن يكون الصوت المدرك منه وصوت وتر العود واحداً <sup>(٦)</sup> بعينه حتى يظن من سمعه ولم يشاهده أن عوداً يقرع بعض أوتاره . وبهذا يقتدر المشعبدون على تخيل رعود ، والمحاكوت على اسماع أصوات أجسام مختلفة فنظن بذلك وجود تلك الأجسام من غير أن توجد .

ومن شأن ما هو لحاسة ما بالعرض أن يتعاون عليها الحواس ، وعند ذلك يحصل ذلك المحسوس . وسنبين بعد هذا كيف ذلك ولائي قوة هو .

(١) راجع أرسطو : De An. ii. 8. 419 b 26; 420 a 4 .

(٢) المخطوطة : نصره .

(٣) الصواب ( انينه النغم ) . ( لجنة المجلة )

(٤) المخطوطة : المتقارعين .

(٥) لا يذكر ابن باجة في كتاب النفس واضحاً أنه يقع للبصر غلط .

(٦) المخطوطة : واحد .

والأجسام منها مصوّنة ومنها غير مصوّنة . فالمصوّنة هي التي لها آلة توجد الصوت ، ومحركها هو الانفعال الحادث في أنفسها . ومثل هذه فهي ذوات الأنفس<sup>(١)</sup> ومن ذوات الأنفس ماله ربة<sup>(٢)</sup> ، وهو ما ينتفس<sup>(٣)</sup> .  
فأما الحيوان المعروف بالصرار وصرار الليل فليس مصوّناً<sup>(٤)</sup> على هذه الجهة ، بل هو مصوّت<sup>(٥)</sup> بالعرض . لأن الهواء يخرج من بين خروقي جوفه<sup>(٦)</sup> فيحدث له صوت .

وأما ما هو غير منتفس فليس يحدث صوتاً لو بقرعه فارغ . هذا وجود الصوت . ولما كان الحسّ يلحق معنى المحسوس ، كما قلنا ، كان السمع يلحق هذا المعنى الكائن في الهواء وما به وجوده ، فلذلك يلحق الجهة التي منها كانت الصوت وسائر ما يلحقه . ولا يلحق الشكل ولا غير ذلك مما يلحقه البصر إذ<sup>(٧)</sup> لم يكن في قوام الصوت .

محمد صغير حسن المعصومي

(يتبع)

(١) راجع أرسطو : De An. ii. 8. 420 b 5 .

(٢) المخطوطة : ربه .

(٣) المخطوطة : ما ينتقى .

(٤) ذكر أرسطو الصوت الحادث اتفاقاً فائلاً : « الصوت الذي هو للسك وما أشبهه

انما يحدثه بخيشومه أو بضو آخر له : De An. ii. 8. 420 b II . يظهر أن ابن باجة

خالف أرسطو حين قال ان الصوت من صرار الليل مثلاً يحدث بالعرض ، فان الهواء

يخرج من بين خروقي جوفه ، ولكنه يوافق أرسطو حين يذكر التنفس ،

فاخراج الهواء يحتاج الى الاستئناق أولاً : De An. ii. 8. 420 b 15 .

Hist. An. IV. 9. 535 a 27—536 b 24 ، وفي هذه المواضع ذكر أرسطو الحيوان

المصوّت ، صرار الليل . وابن رشد يتبع ابن باجة ، راجع : تلخيص كتاب

النفس ، الاخواني ، ص ٣٨ .

(٥) المخطوطة : هي مصونة .

(٦) المخطوطة : جوفها .

(٧) المخطوطة : إذا .

# التعريف والنقد

## الحياة الجنسية عند العرب

الدكتور صلاح الدين النجد

كلما تصفحت معجماً من معجمات لغتنا دهشت من كثرة هذه الألفاظ الدالة على مانسحبه في عصرنا هذا : الحياة الجنسية ، فلا أشأ أن أعرف وضعاً من أوضاع المرأة أو الرجل في هذا الباب إلا عرفت ولا أشأ أن أعتدي الى لفظ يدل عليه إلا أعتدت ، وكنت أسأل نفسي هذا السؤال : هل نجد في لغة من لغات العالم ، قديمها وحديثها مانجده في لغتنا في هذا المعنى ، وهل عنت أمة من أمم هذا العالم بمثل ما عبتنا به في الحياة الجنسية ، ولست أعرف السر في هذا الأمر ، هل هذا كله راجع الى طبيعة البيئة التي نشأ فيها العرب في ماضي الدهر ، واذا نظرنا في الأخبار التي تنهاى إلينا عن بعض المترفين في هذه البيئة يومنا هذا أدركنا انسجاماً غريباً في هذه العناية بالحياة الجنسية في مواضي الأيام وبواقها .

فهل من بدعة في جمع أخبار هذه الحياة التي ملئت بها كتب أدبنا القديم ، أفلا تؤولف هذا الأخبار جزءاً عظيماً من هذا الأدب ، في منظوم القول ومنشوره ، أفلا يجب علينا أن نهتم بكل جزء من أجزاء هذا الأدب حتى نعرف خصائص طبائعنا وأمزجتنا .

هذا ما فعله الدكتور صلاح الدين النجد مدير معهد المخطوطات في جامعة الدول العربية ، في كتابه : الحياة الجنسية عند العرب ، فقد استقصى في أخبار هذه الحياة من أيام الجاهلية المتأخرة الى منتهى قرن الهجرة الرابع ، وما أظن أن أحداً جمع ما جمعه في هذا المجال ، فقد تكلم على الحياة الجنسية في العصر الجاهلي والإسلام وأيام بني أمية وبني العباس وانحدر الى طبقات الشعب

فنتبع قصص هذه الطبقات في هذا الموضوع ، ثم أشار الى لغتنا الجنسية وقد أعانه مركزه في معهد المخطوطات على الاطلاع على ما لم يطلع عليه إلا القليل مما يتصل بوصف الحياة الجنسية .

لم تعوز الدكتور صلاح الدين النجد الجراءة على هذا التأليف كما لم تعوزه من قبل الجراءة على تأليف كتابه : جمال المرأة عند العرب ، وقد تولى الدفاع عن عمله بقوة عجيبة من الحجج والمنطق حتى كاد يقطع السبيل على كل من تحدّثه نفسه بشيء من التنطس أو التوقر ، فقد دافع في مقدمة كتابه عن طبيعة تأليفه دفاعاً لا أكاد أجِد فيه مغزراً من المغامر وأبد دفاعه بطائفة من الاستشهادات واسعة الآفاق لا أرى فيها مجازاً الى الاعتراض .

ولست أرى حاجة الى أن أذكر أنه رصف أخباره رصفاً صامتاً فيه لغته وسهلت تراكيبه بحيث خلا من كل غمضة أو هجمة ، أنا نعيش في عصر أصبحت فيه مواجهة الحياة الواقعة أمراً لا مندوحة عنه وأظن أن الحرب من هذه الحياة الواقعة إنما هو من خطأ الأمور ، فلماذا نهرب من أمر نجمله أحاديثنا في مجالسنا وخلواتنا ، ولا سيما اذا خلت هذه المجالس من كل كلفة أو تصنع ، لماذا نهرب من أمر عليه مدار الحياة كلها ، ولست أعني بهذا أنه يلزمنا أن نقصر كل همنا وفكرنا على الحياة الجنسية فلا نهتم بآفاق الحياة الباقية ولا تفكر فيها ، وإنما أعني بكل ما قلته أنه لا ينبغي لنا أن نتظاهر بالعفة في أمر من أمورنا ونحن نحلم بهذا الأمر في اليقظة والمنام .

وهل عليّ من حرج اذا قذفت برأي خاص في هذه السبيل ، فاني أعتقد أن أدباءنا في القديم اذا كثرت مؤلفاتهم الأدبية هذه الكثيرة مما لا نكاد نجد له شبيهاً في العالم ، فالسبب في وفرة إنتاجهم أو من أسباب هذه الوفرة نشاط غرائزهم ولو كانوا يعانون ما نسميه كبت الغريزة لعصيت قلوبهم وصدئت خواطرهم ولما نعم ميراثنا الأدبي اليوم بما ينعم به من مؤلفات منقطعة النظير .

## محاضرات عن الأمير شكيب أرسلان

### ألقاها الدكتور سامي الدهان

من محاضرات هذا العصر أن يُنشأ فيه معهد للدراسات العربية العالية يتولى إحياء عصرنا الحديث من مجامع نواحيه ولا سيما من ناحيته الأدبية ، فإن المعهد يكتف كل سنة أساتذة أكثرهم من الطراز الأول أن يحاضروا بالموضوعات التي يُنصون فيها .

في مجلة هؤلاء الأساتذة الدكتور سامي الدهان عضو مجمعنا العلمي العربي وعضو المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، فقد ألقى في السنة الماضية على طلبة قسم الدراسات الأدبية في المعهد محاضرات تتصل بالأمير شكيب أرسلان .

وقبل أن أشير الى موضوعات هذه المحاضرات لا أجد لي مندوحة عن الإشارة الى عبارة وردت في التصدير ، فقد قال المحاضر حفظه الله : « من الخير أن يتلفت الجيل العربي الصاعد الى سير أعلامه وآثاره ليقبض من أنوارها الهدى » .

ما أظن أن كلمة القومية رزقت في لبتنا من الشبوع ما رزقته في عصرنا هذا فهي على لسان كل خطيب وكل كاتب وكل شاعر ، فإذا كان هذا العصر انما هو عصر القومية بالنسبة الى العرب فلا ريب في أن إحياء آثار رجال الأدب والفكر في القديم والحديث إنما هو في مقدمة الأعمال التي تزيد في قوة هذه القومية ، فلا أكاد أفهم كيف تنفخ بالقومية ونحن لا نتفنى بآثار رجالنا في الماضي والحاضر ، فالقومية ليست غرس هذه الأيام وانما هي غرس الماضي فهو الذي خلقها وهو الذي تمهدها حتى زكا غرسها واستطال وحتى أتى أكله

في أيامنا وإذا كان لهذا العصر فضل فإن فضله في الحرص عليها والفناء في سبيلها .  
ولا نستطيع أن نهتم بالقومية العربية دون أن نهتم بالأمير شكيب أرسلان  
فالآدب واللغة من أعظم عناصر هذه القومية والأمير شكيب نصر الله عظامه  
إمام من أجل أئمة هذا الأدب وهذه اللغة ونحن نحمد الله تعالى إذ يسر لهذا  
الإمام أستاذاً يهتدي إلى خصائص عبريته فيبعث هذه العبقريّة من مدافنها  
ويلجأ إلى كل سر من أسرارها حتى يكاد الإنسان يحيط بها من كل أطرافها .  
لقد تكلم الدكتور سامي الدهان على عصر الأمير شكيب ثم فصل هذا  
الكلام بخاض في نواحي حياته وشعره ونثره وأدبه ودفاعه عن العرب والإسلام  
ومؤلفاته وثقافته بحيث لا يفرغ القارئ من هذه الفصول إلا وهو يحس بأن  
الأمير أرسلان ملء سمعه وبصره .

قال المحاضر في تصديره :

« وهذه المحاضرات التي ألقيت لدراسة الرجل الأديب والكاظم المصلح  
لا تسنفد القول في أدبه وجهده لأنهما واسعان أشد السعة ولكنها تهدف إلى  
إثارة الدارسين في العناية بهذا السيامي العالم والمعكوف عليه والرجوع إلى مصادر  
أخرى كثيرة لم نذكرها في هذه الفصول . . »

إذا كان المحاضر يرى أن هذه المحاضرات لا تفي بالغرض الذي يتصور  
أفقه الواسع فنحن نرى أنها محاضرات مكثفة يستطيع القارئ أن يجد فيها  
ما ينتفع به على أوجز وجه وأقرب وأظن أن المعهد ما لجأ إلى أمثال هذه المحاضرات  
إلا لأنها خالية من كل حشو يتعب الذهن ، مشتملة على كل زبدة وهذا هو  
فضل كثير من المحاضرات التي تلقى في معهد الدراسات العربية العالية في القاهرة .



## كتاب الشرح والإبانة ، على أصول السنة والديانة لابن بطة العكبري

إن أقوى ما يلتمسه المسلمون من الوسائل لاستعادة مجدهم الباهر ، ومدنيّتهم الزاهرة ، هو العود إلى العمل بالكتاب والسنة ، والافتباس من نورهما في عصر غلبت فيه الأثرة ، وركب الناس في سبيل شهواتهم وأطاعهم من عمياء « ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور » ألا وإن الأصلين الكريمين هما مستقرّ الحياة الطيبة للمسلمين ، وهما سبيل النجاة من آفات المدنية الحديثة وغوائلها . وهذا كتاب الشرح والإبانة على أصول الشنّة والديانة ، للشيخ الإمام أبي عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان بن بطة العكبري رحمه الله ، وهو كتاب جليل في نحو مئة صفحة ، فيه الدعوة الصادقة التي لا هَوادة فيها إلى لزوم الجماعة ، والمباينة لأهل التفريط والإضاعة ، والتزام هَدْي السلف الصالح ، والتحذير من مخالطة أهل البدع ، والبعد عن كل قول مبتدع ، ورأي مخترع ، وهوى متبّع . ثم بيان حقيقة السنة وأقوال الأئمة الثقات في مبناها ومعناها . وفي الجملة : إن هذا الكتاب عبارة عن عقائد وعبادات ومعاملات وأخلاق ، معزّزاً بالشواهد من القرآن الكريم ، والحديث النبوي وأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة . ولكنه يأتي بالأحاديث مُعرّاة من الأسانيد ، غير معزّوة إلى كتب الصحاح أو السنن والمسانيد ، وقال ( ص ٦ ) تركت أسانيداً روماً للاختصار ، ولينه عنائها إلى مخزّجها ليبحث عن درجتها من الصحة والضعف . وقد ذكر الفرق الإسلامية ورؤساءها ، وطعن واعن ، وكفر ونفّر منهم ، ثم قال ( ص ٦٣ ) : « وقد أجمعت العلماء - لا خلاف بينهم - أنه لا يكفر أحد من أهل القبلة » . وقال ص ٩١ : « وكل العلماء يقولون في من سمّياه : إنهم أئمة الكفر ، ورؤساء الضلالة » .

وإنما يعرف ما في هذا الكتاب من خطأ وضواب ، من كان واسع الاطلاع على النصوص ، ومناشئ الفرق ومذهبيها ، وقربها من الحق أو بعدها عنه ، « وما يذكر إلا أولو الألباب » .

وهذه شذرة بقلم المؤلف في وصف كتابه :

« وقد أجمعت العلماء من أهل الفقه والعلم والنسك والعباد والزهاد منذ أول هذه الأمة الى وقتنا هذا ، أن صلاة الجمعة والعيدين ومغنى وعمرات ، والغزو ، والحج ، والهدي ، مع كل أمير بر وفاجر ، وإعطاءهم الخراج والصدقات والأعشار جائز ، والصلاة في المساجد العظام التي بنوها ، والمشي على القناطر والجسور التي عقدوها ، والبيع والشراء وسائر التجارة والزراعة والصنائع كلها ، في كل عصر ، ومع كل أمير ، جائز على حكم الكتاب والسنة ، لا يضر المختلط لدينه ، والتمسك بسنة نبيه ( ﷺ ) ظلم ظالم ، ولا جور جائر ، إذا كان ما يأتيه هو على حكم الكتاب والسنة ، كما أنه لو باع واشترى في زمن الإمام العادل بيعاً يخالف الكتاب والسنة ، لم ينفعه عدل الأئمة . والمحاكمة إلى قضائهم ، ورفع الحدود ، والقصاص ، وانتزاع الحقوق من أيدي الظلمة بأمرائهم وشرطهم ، والسمع والطاعة لمن ولوه وإن كان عبداً حبشياً ، إلا في معصية الله عز وجل ، فليس لمخلوق فيها طاعة . »

وقد طبعت معه ترجمته بالفرنسية مع مقدمته بها البالغة عشرات الصفحات ، وتحقيقاته وتعليقاته وفهارسه المفصلة ، وقد بلغ كله نحو مائتي صفحة ( أي ضعفي الأصل ) . وكل ذلك بقلم محققه وطابعه الأستاذ هنري لاوست الكاتب المستشرق وأحد أعضاء مجمعنا العلمي بدمشق ، واني أدع وصفه المفصل لمن يكتب عنه بدقة وعناية . وقد أشار الأستاذ لاوست في ذيل الصفحات الى الاختلاف اليسير الواقع بين النسختين اللتين طبع عنهما ، والى ما زاد أو نقص في إحدهما عن الثانية ، ولكن الإيضاح بالفرنسية دون العربية ، ومثاله

(ص ٨٣) كلمات ، [ أدب ، ونظافة ، ووقاية . ] فقد كتب في ذيل الصفحة ما يأتي :

D) Membre de phrase effacé dans D; donné par R.

ومثلها اسم الكتاب فقد كتب على أحد الوجهين من كل ورقة بالفرنسية ، وكان الأولى أن يكتب بالعربية .

والآيات الكريمة مشكولة كلها شكلاً صحيحاً ، ولكن سها النظر عن أحروف يسيرة نشير إليها : (ص ١٢ س ١) وإن هذا صوابه «وَأَنَّ» . (ص ١٩/١٣) وَعَمَلٌ : «وَعَمِلَ» . (ص ١٥/٦٢) لِيَتَغَفَّرَ : «لِيَتَغَفَّرَ» . وجاء في (ص ٥/٣٠) إِذَا خَرَجْتَ : إِذَا ائْتَمَرْتَ .

وفي الختام نشكر الأستاذ لادست على ما يخرجه من كتبنا السلفية ، وبمعنى به عناية بالغة .

### (الأئمة الاثنا عشر)

لمؤرخ دمشق شمس الدين محمد بن طولون ١٥٤٦-٩٣٥ م (ص ١٤٣)

تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد

بيروت ١٣٧٧ هـ = ١٩٥٨ م

يسرُّنا جداً أن يظهر في عالم الطباعة والنشر مثل هذا الكتاب لمفخرة الشام والإسلام شمس الدين محمد بن طولون الدمشقي (م ٩٣٥ هـ) الذي أحصيت مؤلفاته قبلت (٢٤٦) كتاباً ، وعدَّ منها ما ألفه في التاريخ والتراجم وأسماء الرجال قبلت (٦٠) مؤلفاً . وهذا الكتاب في تراجم الأئمة الاثني عشر ، وهو المسمى بـ «الشذرات الذهبية» في تراجم الأئمة الاثني عشر عند الإمامية (وم : الإمام علي بن أبي طالب ، ولدها الحسن والحسين ، وعلي زين العابدين ،

ومحمد الباقر ، وجعفر الصادق ، ، وموسى الكاظم ، وعلي الرضا ، ومحمد الجواد ، وعلي الهادي ، والحسن العسكري ، والحجة المهدي عليهم السلام والرضوان ، وهم الذين يسميهم الشيعة الإمامية : الحُجُج ، ويمتقدون أنهم معصومون . وقد قام بتحقيق هذا الكتاب الدكتور صلاح الدين المنجد . فبدأه بمقدمة عدَّة فيها مصادر ترجمة ابن طولون ، المخطوطة والمطبوعة فبلغت عشرة ، اثنان منها أجنبيان . ثم أخذ يترجم له منذ حداثة سنه ، الى أن اضج عقله ، وكل علمه ، واتسعت دائرته في العلوم العقلية والنقلية ، الدينية والطبيعية والرياضية ، وذكر ما عهد اليه به من الاعمال الكثيرة من أيام الصبا إلى أن جاوز السبعين من عمره ، مرتبة على سني حياته . وقد وصف كتابه هذا في التراجم ، وأنه ناقل غير قائل ، وذكر المراجع التي جمع المصنف « الشذرات » منها ، وصوّر الورقة الأولى من المخطوطة التي طبع عنها ، ونهج تحقيقه فيها ، وأردف النص بفهارس للأعلام ، والأماكن والمصادر التي استند إليها .

وقد استهل ابن طولون ذكر الأئمة الاثني عشر بقصيدة في وصفهم ، وذكر أسمائهم ، والشوق إلى لقاءهم ، من نظم أبي الفضل يحيى بن سلامة الحصكفي (م ٥٥١ أو ٥٥٣) وهو مثل ابن طولون من علماء السنة . ومن قصيدته هذه قوله :

ومصرع السبط فلا أذكره      وفي الحشا منه لبيبٌ يقدُّ  
يرى الفرات ابن الرسول ظامئاً      يلقي الردي وابن الردي يردُّ  
حسبك من هذا وحسب من بقى      عليهم يوم المعاد الصمدُ

ومن (ص ٤٦) بدت تراجم الأئمة ، وفي أول كل ترجمة ذكر المراجع التي استند إليها الأستاذ الدكتور المنجد في تحقيقاته ، وختم ابن طولون مصنفه هذا بذكر أسانيده وروايانه المتصلة بهؤلاء الأئمة الأعلام ، أئمة آل البيت عليهم التحية والسلام .

وكنتي في الختام : هي أن السنة والشيعة هما أكبر مظهر للإسلام ، وهم المرجعون لورثة تلك الوحدة الدينية ، وتجديد ذلك المجد الدارس علماً ودينياً وأخلاقاً ، وإن أضرب شيئاً علينا هو هذه العصبية الموروثة ، والعداوة المحقونة ، والتفرق الديني القديم ، « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء » وبمثل هذا الكتاب والتصيدة في تراجم هؤلاء الأئمة ، من جانب علماء السنة ، ووصف مفاخرهم ومآثرهم ، يرجى زوال تلك الإحسان ، وتوحيد الكلمة ، والتعاون على إنشاء دور للعلم مشتركة ، وإحياء ذكرى أئمة البيت عليهم السلام ، وتجديد هديهم وإصلاحهم ، لمن شاء الله تعالى .

وقد بلغ التحقيق والطبع الغاية في الإتقان والإبداع ، فلا أستاذ المحقق الدكتور صلاح الدين أطيب التناء وأخلص الدعاء ، ولداري صادر وبيروت أعطر الشكر .

### تفسير القرآن الكريم

التحرير والتنوير . المقدمات ، وتفسير سورة الفاتحة وجزء عم

تأليف المولى الإمام ، الأستاذ الأكبر ، فضيلة الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور

شيخ الجامع الأعظم وفروعه . منشورات دار الكتب الشريعة . تونس

لمن خير عمل يقوم به رجال الدين والعلم والإصلاح في هذا العصر ، هو هداية الأمة إلى ما فيه إسعادها ، في معاشها ومعادها ، هداية مقتبسة من نور الحنيفية السمحة والقرآن المجيد ، الذي « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » تنزيل من حكيم حميد » وتفيهم أصول الإسلام الراسخة ، وعقائده الصحيحة ، على وجه يشرب قلوبهم حبه والعمل به ، وإن جميع ما شرعه الله

للناس فهو خير مجتمعهم الإنساني ، ولدفع الشرور والقوائيل عنهم . وناهيك  
بمصرنا الذي كثر فيه اختلاط الأمم بعضها ببعض ، وتنوعت فيه مطالب  
الحياة ، واقتبس الشرق من الغرب مزاياء ورزايا ، وفتحت أبواب العلوم والفضائل ،  
كما فتحت أبواب الفجور والمنكرات .

وهذا التفسير الجليل ، لهذا الإمام الكبير ، هو مدد قوي لأولي العلم  
والعرفان ، والبر والاحسان ، فيما يرجون من خير الأمة في هذا الزمان .  
استعمله مؤلفه بمقدمات عشر ، هي من أصول التفسير ومقتضياته ، ( فالأولى )  
في التفسير والتأويل ، وكون التفسير علماً . ( والثانية ) في استمداد علم التفسير .  
( والثالثة ) في صحة التفسير بغير المأثور ، ومعنى التفسير بالرأي وغيره .  
( والرابعة ) في غرض المفسر . ( والخامسة ) في أسباب النزول . ( والسادسة )  
في القراءات . ( والسابعة ) في قصص القرآن . ( والثامنة ) في آي القرآن  
وسوره وترتيبها . ( والتاسعة ) في أن المعاني التي تصلح 'جمل' القرآن للحمل عليها  
ينبغي أن تعدّ مرادة . ( والمقدمة العاشرة ) في إعجاز القرآن ومبتكراته .  
وقد بلغت هذه المقدمات نحو مائة صفحة . وجاء في المقدمة التاسعة ( ص ٧١ ) :  
« إن المعاني التي تصلح 'جمل' القرآن أن تحمل عليها ، ينبغي أن تعتبر مرادة ،  
وضرب لذلك الأمثال ، منها ( ص ٧٥ و ٧٦ ) قوله تعالى : « استجيبوا لله  
والرسل إذا دعاكم لما يحْيِيكُمْ » ومثله : « استجيبوا لله وللرسل » والمراد في  
الآيتين الامثال والهداية ، وقد حمل النبي ﷺ الاستجابة على المعنى الحقيقي ،  
وهو إجابة النداء في حديث أبي سعيد بن المَعْلَى الذي ناداه الرسول وهو في  
الصلاة ، فلم 'يحيه' حتى فرغ من صلاته اه باختصار . ومن هذا القليل قوله  
( ﷺ ) « لَأَمْ كُتُبُكُمْ بَنَتْ عَقِبَةَ بْنِ أَبِي مَعِيْطٍ حِينَ جَاءَتْ مُسَلِّمَةً مُهَاجِرَةً إِلَى  
الْمَدِينَةِ ، وَأَبَتْ أَنْ تَرْجِعَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ . قَرَأَ النَّبِيُّ قَوْلَهُ تَعَالَى : « يُخْرِجُ  
الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ » .

ويقول كاتب هذه السطور - بناءً على ما تقدّم - : إن ما يأتي هو ما يصلح أن تحمل 'جمل' القرآن عليه ، وباعتبار مراداً ، وهو في قوله تعالى : **وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ** ولا يخفى أن (ما) من الفاظ العموم عند علماء العربية والأصول ، فقوله (وأعدوا) هو أمر عام موجب على الأمة والدولة بذل أقصى المستطاع في إعداد القوة والدفاع عن الملة والحوزة ، وقد جاء اللفظ منكراً «من قوّة» ليشمل كل قوّة ، وهي تختلف باختلاف الزمان والمكان . وفي عصرنا تعمّ بمعوم اللفظين ، - (ما) استطعتم من (قوّة) - القوى البرية والبحرية والجويّة . ومن معناها قوله تعالى «فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم» فهي أسرة بصدد كل عدوان يصدر من المجرمين ، أو الأعداء المحاربين ، وبإعداد سلاح من جنس سلاحهم مما اختلف أنواعه ، وتعددت أسماؤه ، وفي صحيح مسلم من حديث عقبة بن عامر أنه سمع النبي (ﷺ) - وقد تلا هذه الآية - يقول : **ألا إن القوة الرمي** ، فالها ثلاثاً ، ولفظ الرمي - كما يدلّ على قذيفة السهم والمخنيق ، فهو يشمل القذائف النارية التي تقذف من المدافع والطائرات وغيرها .

ونحن لا نقول إن النصوص دلت على هذه القوى والأسلحة بأعيانها ، أو سمّتها بأسمائها ، بل نقول : لأنها شملتها بعمومها لأنها من أفراد هذا العموم . وفي سورة (يُس) : **«وَأَيُّهُمُ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ»** وخلقنا لهم من مثله ما يركبون» وهذه الآية كما تدلّ على (سافرين برّ والسرايب بجارها) تدلّ بعمومها على القطر الحديدية ، والسيارات البرية ، والسفن الهوائية ، وغيرها مما ظهر وسيظهر في عالم الوجود . ومثلها آية «ويخلق ما لا تعلمون» . أفما يصحّ أن يكون هذا الإيجاز الشامل طريقاً من طرق

الإعجاز ؟ بلى ! وإلا فما معنى كون القرآن لكل زمان ومكان ،  
وكونه لا تنناهى عجائبه <sup>(١)</sup> ؟ .

وإني مورد شذرة من أسلوب الأستاذ في تفسيره ، قال حفظه الله في تفسير :  
« إياك نعبد وإياك نستعين » : تهيأ لأصحاب هذه المناجاة أن يسعوا لتحصيل  
حظوظهم الشريفة من طلب الهداية ، فانهم لما حمدوا الله وصفوه بصفات الجلال ،  
ثم أتبعوا ذلك بقولهم : « إياك نعبد ، وإياك نستعين » الذي ظاهره خبر ،  
وفيه تمييز بالطلب ، لأن الحمد ، الحظ فيه للحمد ، بخلاف قولهم :  
إياك نعبد ، وإياك نستعين ، ففيه ثناء على الله تعالى بأنه المخصوص بالعبادة ،  
والاستعانة ، وفيه حظ للعبد بأنه عابد ومستعين ، وانه قاصر على الله تعالى ،  
فكان ذلك واسطة بين الثناء وبين الطلب ، - انتقلوا به من ثناء إلى واسطة ،  
حتى إذا ظنوا ببرهم الإقبال عليهم ، ورجوا ذلك من فضله ، أفضوا إلى  
سؤالهم ، فلذلك قالوا « اهدنا الصراط المستقيم » وهذا الوجه هو المناسب لكون  
الفاتحة ديباجة القرآن الذي جاء ليهدي الطالبين للهدى والرحمة ، فقوله : « اهدنا  
الصراط المستقيم » هو حظ الطالب خاصة ، ومشروع في طلب ما ينفعه عاجلاً  
وآجلاً .

كتب شيخ الجامع الأعظم الزيتوني في تفسير هذه السورة ما يقرب من  
ثلاثين صفحة ، ولا يستكثر هذا على سمة علمه ، وفي التفسير القيم للإمام  
ابن القيم ( م ١٢٥١ ) استغرق الكلام على « إياك نعبد » ما يقرب من خمسين  
صفحة ، وهل يعجب القارئ من هذا من بعد أن يعلم أن هذا الإمام يرى  
أن « سر الخلق والأمر والشرائع والثواب والعقاب انتهى إلى « إياك نعبد ،  
وإياك نستعين » وانه قد شرح « منازل السائر إلى الله » لأبي إسماعيل الهروي

(١) من مقال لنا في إعجاز القرآن ، نشرناه في مجلة الجمع العلمي ( م ٣٠ / ١٩٦٠ -



بثلاثة مجلدات كبير ، وسمى شرحه : ( مدارج السالكين ، بين منازل :  
إياك نعبد وإياك نستعين ) ومن وقف على هذه المنازل ، ذكر قول القائل :  
( لك يا منازل في القلوب منازل ) .

وقد بلغ هذا التفسير ، المسمى بالتحريير والتنوير ، ( ٣٧٨ صفحة ) .  
وذكر الأستاذ في مقدمته أمّ كتب التفسير المطبوعة ، وقال : ولقصدا الاختصار  
أعرض عن العزو إليها ، وقد ميّزت ما يفتح الله لي من فهم في معاني كتابه ،  
وما أجلبه من المسائل العلمية ، وأقوال العلماء ، بما لم يذكره المفسرون - بعلامة  
نجم في ابتدائه ، ونقطة غليظة في انتهائه اه .

قلت : لم يعجز الأستاذ الأكبر بحمد الله أن يكون مصداق المثل السائر :  
( كم ترك الأول للآخر ) مدّ الله في حياته ، وبارك في أوقاته . وكنا نودّ  
أن تكون الآيات الكريمة المنسّرة مشكولة شكلاً تاماً ، ومثلها آيات الشواهد ،  
مرفقة بأرقامها وأسماء سورها ، ليسهل الرجوع إليها ، وأن ترمي الأحاديث  
النبوية إلى مخرجها أصحاب الصحاح والسُنن والمسانيد ، وأن يُضاف إلى إصلاح  
الأغلاط في الكتاب ما يأتي : ( ص ٨٥ س ٢١ ) بقصاحته : بفصاحته .  
( ١٢ / ٩٦ ) لو كان فيهم : فيها . ( ٢٠ / ٢٦٣ ) إخوانه الصغار وأخوانه : إخوانه  
وأخوانه . ( ١ / ٣٤٥ ) صحبجات مال : صحبجات ( ٢٣ / ٣٤٥ ) طرقه :  
طرقه ( ٢٥ / ٣٥٧ ) المانعون : الماعوف .

ولعلّ صديقنا الأستاذ « الفاضل » نجل أستاذنا الأكبر يتولى ذلك كلّ  
في طبعة ثانية برعاية والده الإمام وعنايته ، إن شاء الله تعالى .

## أنا والشعر

للأستاذ شفيق جبيري

وهو يشتمل على عشر محاضرات ألقاها المؤلف على طلبة قسم الدراسات  
الأدبية والفنية في معهد الدراسات العربية العالية . طبع في القاهرة  
سنة ١٩٥٩ ، عدد صفحاته ١٣٥ من القطع الوسط

لم أرَ أحداً من شعراء العرب في القديم والحديث كان أذكر لتجاربه الشعرية  
من صديقي الأستاذ شفيق جبيري . فقد ذكر في هذا الكتاب تجاربه الشعرية  
بمتنهي الإخلاص والصراحة ، فتكلم على أول عهده بنظم الشعر ، وعلى تجربته  
الشخصية في الشعر الوطني والشعر الغنائي والمرثي ، وعلى مذهبه في النظم من  
حيث وحدة القصيدة وصيغتها والفكر الرياضي في أدبنا ، وختم محاضراته هذه  
بالكلام على سحر العبقرية الفنية بوجه عام ، وعلى مستقبل الشعر بوجه خاص .  
أما أول عهده بالشعر فيرجع إلى سنة ١٩١٣ وهي السنة التي ترك فيها المدرسة  
الثانوية وانصرف إلى مطالعته الخاصة ، فحفظ شعر المتنبي وطائفة من شعر المعلقات ،  
وقرأ شعر الجعفري والشريف الرضي ، وعاشر فريقاً من الأسماء الذين تتفاوت  
أذواقهم في فهم الشعر النقي الخالص كخير الدين الزركلي ، والشيخ فؤاد الخطيب  
والشيخ رضا الشببي وغيرهم ، وتدرج في ذلك حتى أكسبه الحفظ ملكة شعرية  
راسخة ، فنشر أولى قصائده وهو دون العشرين من سنه ، وهي قصيدة في الرثاء  
قلد فيها رثاء الشريف الرضي لأبي اسحق الصائبي - ولا عيب في ذلك فإن  
المتنبي والجعفري كانا بقلدان أبا تمام . والتقليد كثيراً ما يقع في أول نشأة  
الشاعر ، ثم يأتي بعده الاستقلال والانفراد . ثم إنه لما فرغ من هذه القصيدة  
يبحث عن مصدر آخر يستلهمه الشعر فرأى أن يستعين بنظرات المنفلوطي لعله  
يجد فيها ما يلهمه شعراً ، فوقع على أول نظره من نظراته وعنوانها ( الغد )

فنظم قصيدته (خيال الغد) ضمّتها بعض معاني المنفلوطي ولكنه لم يتقيد فيها بكل ما جاء في نظراته . ثم بحث عن مصدر آخر يقتبس منه فكرة جديدة فوجد في مختارات من الأدب الفرنسي قطعة لـ (ماسيون) عنوانها الزمان فألحمته موضوع قصيدة لم يأت فيها بشيء مما جاء في تلك القطعة ، ولكنه وصف فيها الزمان على النحو الذي ألفه شعراؤنا في الماضي . وهكذا كان شفيق جبيري في أول عهده بالشعر يقتبس أفكاره من الكتاب والشعراء ويصوغها في قالب شخصي يبتكر صورده كما يشاء بحسب ذوقه وفنّه ، وبفرغها في ألفاظ موسيقية جميلة بمعنى يرصفها عنابة بالغة ، ولا غرو فان حكم المعاني كما يقول الجاحظ «خلاف حكم الألفاظ» لأن المعاني مبسوطة الى غير غاية وممتدة الى غير نهاية ، وأسماء المعاني مقصورة معدودة ومحصلة محدودة» وانما تحيا تلك المعاني في الألفاظ ، فهي التي تجعل المجهول معروفاً والوحشي مألوفاً ، وعلى قدر وضوح الألفاظ يكون إظهار المعنى .

هذا ما ذهب اليه شفيق جبيري في شعره الوطني وشعره الغنائي وفي مرثياته . لقد كان شعره الوطني في أول عهده تحريضاً على الأجنبي ، وحثاً على الثورة ، ودعوة الى القومية العربية ، فانقلب بعد ذلك الى شعر غنائي يتغنى فيه الشاعر بجمال بلاده تارة ، وبلنجه الى أحضان الطبيعة تارة ، وينفس بذلك كله عن النار المتأججة في قلبه بشعر هادي في ظاهره حماسي في باطنه موسيقي في ألفاظه . فلم يكن التجاؤز الى الطبيعة إلا أسلوباً في التعبير عن ألم البلاد ، والا سبيلاً الى التوح والتغنى بأشجان الوطن وآماله . انظر الى قصيدته التي قالها في نوح العندليب على أثر أزمة عاطفية :

دع العندليب على غصنه يردد على الغصن أحزانه

فان هذه القصيدة التي صور بها شعوره وعاطفته وآلامه الشخصية انقلبت في نهايتها الى شعور وطني يكي فيه الشاعر وطنه نخمها بقوله :

أتبكي العنادل أوطانها ولا يندب المرء أوطانه

لقد غابت هذه النزعة الوطنية على نفس الشاعر فكان كما أتبع له الإفصاح عن شعوره الوطني في حفلة من حفلات الشكريم أو التأبين تغنى بوحدة العرب وقوميتهم ، فكان غايته الأولى من شعره التعبير عن آلام بلاده لا عن آلام نفسه ، ومع أنه ليس من الضروري أن يجس الشاعر نفسه على التغني بالوطن ، ولا أن يتكلم على نزعاته الخاصة ويصور أفراحه وأحزانه الخاصة دون أن يصور آلام بلاده ، فإنَّ الفرص التي أتبع لشفيق جبري فيها الإفصاح عن حبه وخواج نفسه كانت قليلة جداً في حياته . لقد أحب الطبيعة حتى ملكت عليه مشاعره ، ولكنه لم يعط هذه الطبيعة التي أحبها ما تستحقه من العناية ، بل كان إذا صور جبالها وسهولها وأنهارها وبحارها وأوديتها وغاباتها لا يصور إلاَّ حالة وطنه النفسية والاجتماعية ، فلم يستطع أن ينظر الى الطبيعة نظرة مجردة ، وإنما كانت الطبيعة سبيلاً الى تصوير شعوره الوطني .

وكما أحب شاعرنا الطبيعة فكذلك أولع بالمرأة ووقع في أزمت عاطفية عنيفة ، ولكن أثر ذلك في شعره قليل جداً . لقد نظم في المرأة عدة قصائد ، ولكن المرأة التي تحبها في هذه القصائد لم تكن إلاَّ ذلك المخلوق الضعيف الذي حرمه المجتمع أبسط حقوقه الطبيعية ، فكان يرمز بمقام المرأة في المجتمع الى مقامها في قلبه ، وبكثفي بهذا الأسلوب الرمزي للتنفيس عما يشعر به . ولعل ذلك ان يكون من تأثير الحياة الاجتماعية في نفسه ، أو من فرط حسه ، أو من شدة شعوره الوطني . لم يجب أحد أمه مقدار حبه لأمه فشغل حبها كل ناحية من نواحي قلبه فلما توفاه الله لم يقل فيها إلا أربعة أبيات ، ومن أغرق في الحزن غرقت نفسه فيه فلم يجد في اللغة أنفاظاً يعبر بها عنه ولا في الشعر صوراً تسكن لواعج قلبه . أما القصائد التي رثى بها شفيق جبري طائفة من رجال الأدب والشعر والسياسة فقد حاول أن يبرز فيها خصائص كل رجل على حدة بحيث تكون هذه الخصائص عبرة للناس . فجاءت كل قصيدة من هذه القصائد مشتملة على صور لا تنطبق إلاَّ على الرجل الذي قيلت فيه ، ومشتملة في الوقت نفسه على

أطوار متصلة بالصورة الأصلية . فإذا رثى شاعراً كولي الدين يكن اغتنم الفرصة للتغني بمنزلة الشعر في الأسم ، وإذا رثى فوزي الغزي تكلم على ثورة الشام وبتولائها ، وإذا رثى ( سعد زغلول ) تكلم على الزعامة وأثرها في توحيد كلمة الشعب . وأنت إذا قرأت قصيدته في رثاء حافظ إبراهيم رأيت أن الصفة البارزة التي صورها في رثائه هي بؤس حافظ ، وإذا قرأت قصائده في المتنبي والمري وشوقي رأيت يحاول أن يصور حياة كل واحد منهم من جميع نواحيها . فالتنبي في نظره شاعر مفروط الحس شديد القلق والاضطراب ، همه ادراك المعالي والابتعاد عن اللذات الخسيسة ، والمري شبيه بالتنبي في فرط حسه ، ولكنه متقشف في حياته زاهد في الدنيا الخ .

ولم يكن لشفيق جبري شرط خاص في نظم الشعر ، فقد نظم الشعر في أمكنة مختلفة وشروط مختلفة ، ولكن المهم كما يقول ان يهتدي الشاعر الى مطلع جديد ، فإذا جاء المطلع على النحو الذي يرضيه هانت عليه القصيدة . فالمطلع في نظره هو مفتاح القصيدة ، ولكنه لا يكفي للايهام بجميع المعاني التي يحتاج اليها الموضوع ، فلا بد إذن من الفكر لتصور بنية القصيدة تصوراً كاملاً . لقد كانت قصائد شفيق جبري الأولى بالرغم من تماسك الأجزاء في مقاطعها خالية من التخطيط والتنسيق ، لأنها كانت تعبر عن الثورة المتأججة في قلبه ، فكانت نفسه تتورفتأني القصيدة بحسب هذه الثورة . أما قصائده الأخيرة فقد تخيل فيها أجزاء الموضوع ورتبها ترتيباً منطقياً فجاءت مشتملة على وحدة تامة لا تجد فيها بيتاً يحسن تقديمه أو تأخير ، وهذا للمري فتح جديد في الشعر العربي ، لأن أكثر شعرائنا في الماضي لم يمتثلوا بوحدة القصيدة ، ولا خطر ببالهم تنسيق أجزائها ، مع أن التنسيق ضروري لتجديد أجزاء الموضوع واستيعاب جميع أقسامه . ومتى رتب الشاعر هذه الأجزاء استطاع أن يلم في كل جزء منها بالصورة اللازمة له ، ولا يزال ينتقل من جزء الى جزء حتى تظهر وحدة القصيدة في أكل وجه .

أما مذهبه في صيغة القصيدة فيقوم على تصور الموضوع وجمع الصور وتخمير الأفكار وانتقاء الألفاظ ، فإذا تم له ذلك يبحث عن البحر المناسب لمعاني القصيدة ، فإذا اهتدى إلى هذا البحر فنش عن القافية المناسبة ، ثم إذا اجتمع له البحر والقافية يبحث عن المطالع المناسب ، وفي هذا البحث كما ترى جهد فكري ، نعم أن الشاعر قد يبلغ هذه الأمور عفواً كما حدث ذلك لشفيق جبري في أول عهده بالشعر ، ولكنه لا يبلغ السكال إلا بهذا الجهد الفكري المبسوغ . لا يعرف هذا الجهد إلا من يعانيه ، فهو الذي يخطر الأفكار ، وهو الذي يفجر نتائج الصور ، ويكشف عن تناسقها العميق وانسجامها الدقيق . نعم أن الشاعر في أول عهده لا يفكر في التنقيح والتنسيق ، ولكنه إذا أدرك سر الإبداع فطن لما بين الأفكار من تناسب هندسي ، ولا يزال يفكر في هذا التناصب حتى يجذف المنافر والمذاني . أما العناية بالألفاظ فهي ضرورة للشاعر في كل مرحلة من مراحل شعره ، لأن الألفاظ كما يقول شفيق جبري هي سر الشعر وروحه . فهي التي تبرز صورته وتظهر محاسنها . أن بينها وبين الصور صلة روحية عميقة ، ومهما تكن الصورة جميلة فإذا لم ترزق لفظاً جميلاً يشاكلها فيضها ويلها فقدت الشيء الكثير من جمالها .

وسهولة اللغة في نظر صديقنا الشاعر أساس البلاغة ، قال : « لقد شبهوا هذه السهولة بضياء الشمس ، فقد يبدو شعاع الشمس للعيون أبيض صافياً ، ولكننا إذا حللنا عناصره وكشفنا عن الطيف الشمسي وصلنا إلى ألوانه الزاهية المعجبية ، ألا أن هذه الألوان قد اختفت وراء بياض الشعاع الناصع ، وكذلك سهولة اللغة فإنها تخفي وراءها عناصر البلاغة التي أنشأت هذه السهولة ومهدت السبيل إليها » ، ( ص ٩٨ ) فوراء الألفاظ اذن عدد لا نهاية له من الصور ، والإبداع الفني إنما هو إظهار الصور المخزونة في الذهن بواسطة الألفاظ المتخيرة . كأن اللفظ الموسيقي هو الذي يقدم بالذهن فنخرج منه النار ،

ولولا ذلك لما ظهرت الصور ، ولما رأينا ألوانها المتسقة العجيبة . وهذا طبيعي في الشعر ، لأن الشاعر لا ينتقل من المجرد الى المحسوس ، بل ينتقل من المحسوس الى المحسوس ، حتى اذا تجلّى له المحسوس بجميع صورته وألوانه ارتقى منه الى فكرة عامة مجردة تحيط بذلك المحسوس احاطة تامة . وجمال اللفظ في الشعر انما يكون بافترانه بلفظ آخر يناسبه ، فلا تدب فيه الحياة الا اذا انتزع من موضعه في المعجم وقرن في الشعر أو في النثر بلفظ بمثله .

والكن كيف يهتدي الشاعر الى الصورة ، فهل نجيبه الصورة ثم يمينه اللفظ أم اللفظ هو الذي يوحى اليه بالصورة . يقول شفيق جبري في الجواب على هذا السؤال إن الألفاظ هي التي تستدعي الصور ، وهذا أمر مجرب يعرفه علماء النفس كما يعرفه الشعراء ، ولكن كثيراً ما تجيء الصور والألفاظ معاً دون أن يفصل بينهما زمان ، وسبب ذلك ارتباط الصورة باللفظ ارتباطاً محكماً . وما قيمة الصورة التي لا نستطيع أن ندل عليها بلفظ يناسبها ، إنها لا تثبت في الذهن بل تبقى غامضة كالليل مموجة كالسحاب .

فأنت ترى أن كتاب ( أنا والشعر ) الذي أتحدثنا به صدقنا الشاعر يشتمل على تجارب جميلة واعترافات صادقة وملاحظات نفسية عميقة . وهو أول كتاب نجد فيه شاعراً عربياً يحلل تجاربه الشعرية ، ويكشف عن أسرار فنه بمنتهى الصدق والصراحة ، ومن حسن ذوق المؤلف انه مثل لنا تجاربه الشعرية بأشعار مختصرة ، فجاءت هذه الأشعار معبرة عن فنه أحسن تعبير . بيد أن تجارب شفيق جبري كثيرة لم ينسج كتابه لذكرها كلها ، وقد رزقه الله من قوة الخيال وحسن التعبير وصدق العاطفة ودقة التصوير ما جعله مصوراً حاذقاً يقف من تجاربه الشخصية موقف العالم من حوادث الطبيعة ، فنرجو أن تتاح له الفرصة لتأليف كتاب جديد يضمه تجاربه في النثر ، ولا شك أننا سنجد في قراءة هذا الكتاب الجديد ما وجدناه في مطالعة الكتاب الأول من لذة ومتعة وفائدة .

## تاريخ قبة الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى المبارك

تأليف عارف العارف

طبع الكتاب بمطبعة دار الأيتام الإسلامية الصناعية بالقدس ،  
في ( ٢٤٨ ) صفحة من القطع الوسط

نشر الأستاذ المؤلف قبل سنين كتاب ( تاريخ الحرم القدسي ) ثم ظهر له فيما بعد نواح جديدة لا بد من استجلاء غوامضها ، والتوسع في دراساتها ، على ضوء ما انتهى اليه تحقيقه ، وما توصل اليه في هذا البحث غيره من المؤلفين والباحثين ، فأعاد طبعه باسم جديد وهو ( تاريخ قبة الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى المبارك ) ، وأضاف اليه لمحة من تاريخ بيت المقدس أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين .

يحتوي الكتاب على خمسة فصول ، تناول في الأول تاريخ القدس ، وبحث في الثاني عن قبة الصخرة المشرفة ، وخص الفصل الثالث بالمسجد الأقصى المبارك ، ووصف في الرابع الحرم القدسي في يومه وأمه ، وذكر في الخامس المعتقدات التي نشأت في تكريم هذه الأماكن المقدسة والأساطير التي نسجت حولها ، وما قيل في استنكار رجال الدين لأكثرها .

وقد دعم أبحاثه بنصوص نقلها عن السلف أو بما عثر عليه منقوشاً على جدران الحرم ، كما اعتمد على آراء أهل المعرفة وذوي الاختصاص .

وقد جاء هذا الكتاب على أكمل وجه بدقة أبحاثه وسعة محتوياته - جمع فيه المؤلف زبدة الأقوال والأبحاث والدراسات ، ودون معلوماته الشخصية التي رافقها وشارك الرأي فيها ، بحكم منصبه آنذاك في رئاسة بلدية مدينة القدس . ومن الملاحظات البسيطة التي عثرت عليها في ضبط بعض الأعلام ويحسن



التنبية اليها وإن كانت لا تنفي على القارئ ، منها : في ( ص ٢٥ ) المرقال بن هشام وصوابها المرقال هشام بن عتبة ، والمرقال هو لقبه . وعروة بن مهلهل بن زيد الخيل ، صوابها عروة بن زيد الخيل بن مهلهل ، ومسبب الفزاري صوابها مسبب الفزاري .

تشهد أبحاث الكتاب عن تمكن المؤلف من موضوعه ، فنشكر له جهده وعنايته .

## ٥٥ ألف كيلومتر على دراجة نارية

للرحالة العربي عدنان حسني تملو

كتاب في ( ٢٨٩ ) صفحة من قطع الوسط مزودان بالصور والمخططات  
طبع في مطبعة الإنشاء بدمشق

إن حب الأسفار للاستطلاع أو الكسب هو خلق أصيل في نفوس العرب ، نجده عند حضرم وبدوم على حد سواء . وأكثر ما تنجلي هذه النزعة عند عربان البادية ، فهم أبدأ على سفر ، لا يستقر لهم قرار ، لا صيفاً ولا شتاء ، فقد آثروا هذه الحياة المشردة بقرها وحرها وشظف عيشها ، على حياة الحضر وسكونها يسر معاشها . وقد فرض الله تعالى على من له قدرة من عباده أن يسير في الأرض لينظر ويعتبر ، ويعلم غيره بما علم . وأطنب شعراء العرب بمدح الخلفاء والملوك والأمراء بالسير في البلاد ومعرفة الأمصار ، وتنافس بذلك رواد السلف ، كابن فضلان ، وابن جبير ، والبكري ، والهمداني ، وابن بطوطة ، وياقوت ، فحفظوا آثاراً خالدة بما شاهدوه في رحلاتهم وحصيله تطوافهم .

وجاء حين من الزمن خمدت فيه الهمم ، وزهد الناس بالرحلات العلمية على

يسرها في عصرنا ، واستعاضوا عنها بأسفار المتعة والترويح عن النفس ، كأن  
ليس لهم قلوب تمقل ولا عيون تبصر ، يستأثرون بمشاهداتهم ، ولا ينفتح  
بها أحد .

وأراد صاحب هذه الرحلة الشاب الجريء السيد عدنان تلاو أن يصل ما انقطع  
من سيرة السلف ، وأن يكون من الرواد العاملين ، فضرب بقدره على  
باقدامه وصمو غايته ، وحزم أمره على مقامرة ، وهو لا يملك من أسبابها إلا  
عزيمة الشباب وقوة الإيمان ، فطاف بوسائله الخاصة على دراجته النارية بلاد  
الأردن ، والعراق ، وإيران ، وبباكستان ، والهند ، وأفغانستان ، والاتحاد  
السوفياتي ، وفنلندة ، والسويد ، والنرويج ، والدانمرك ، وألمانية ، وبولونية ،  
وتشيكوسلوفاكية ، وهنغارية ، والنمسا ، وهولندة ، وبالجيك ، وسويسرة ،  
وايطالية ، وأصبانية ، والبرتغال ، والمغرب العربي ، وتونس ، وليبيا . وكان  
حيث حل ، خير رسول ، وأفضل ممثل للشباب العربي الوثاب ، ورجع الى  
بلده مزوداً بأطراف الأخبار عن رحلته ، أودع حوادثها هذا الكتاب ، وقد  
وصف فيه طبيعة البلاد التي زارها ، وحدثنا عن تقاليد سكانها ، وروى  
ملافاً من ترحيب واعراض ، وما كابده من عسر وعناء . وقد وجدناه  
بعد عودته من هذه المشاق أمضى عزيمة ، وأقوى شكيحة ، عما كان عليه  
قبل هذه الرحلة ، وهو مصمم على مواصلة رسالته لتعريف العالم بالبعث  
العربي الوثاب .

جعفر الحسني

## الإمام الصادق ملهم الكيمياء الدكتور محمد مجي الهاشمي

تفضل المجمع العلمي الموقر وكلفني بالتعريف بهذا الكتاب الذي سبق لي أن اطلعت على بعض محتوياته حين أهداني مؤلفه نسخة من الطبعة الأولى .  
ولما كنت قد قرأت النسخة الأولى بإمعان وتلا ذلك سفرات الى مناهل العلم في القاهرة تمت خلالها مناقشات في هذا الموضوع بيني وبين المرحوم الدكتور عبد الحميد أحمد عضو جمعية تاريخ العلوم عند العرب فقد تكونت لدي فكرة جيدة عن هذا الكتاب خرجت منها بأن كل ما ذكر عن علاقة الإمام جعفر الصادق بالكيمياء وهم لا صحة له وأن الكتب التي نسبت اليه ألُفَت بعد وقت طويل من وفاة الإمام .

وان جابر بن حيان نفسه لم يصرح بوضوح أنه ألهم الكيمياء من الإمام الصادق بل كل ما هنالك ، ان صبح وجود علاقة بينهما ، إلهامات روحية ودينية لا تمت للكيمياء بصلة ما .

والطبعة الثانية من الكتاب حوت مقدمة كبيرة استعرضت تقدم العلوم عند العرب وتناولت أبحاثا يشكر عليها المؤلف كعرضه لنظرية روسكا وتدقيق هويارد . ولا أظن المؤلف إلا مشاركي في الرأي بأن التعرض لتشيع أبي العلاء وتصوف جابر كلها بعيدة كل البعد عن الغرض من وضع الكتاب وموضوعه .  
وعلى كل فلامؤلف الشكر على الجهود التي صرفها لنشر هذا الكتاب ولعل من يثلوه ينتفع ببعض ما به .

حسن السقا

# آراء وأبناء

الدكتور عبد الوهاب عزام

١٨٩٤ — ١٩٥٩

اغتنالت المنية علماً من أجل أعلامنا ، هو الزميل الراحل الدكتور عبد الوهاب عزام ، جزعت له نفوس عارفي فضله وأخلاقه ، وعم الأممي الأوصاط العلمية في دنيا العرب ، فقد ترك المرحوم بموته في الثقافة العربية صدقاً قد يطول جبره ، انفرد بين العرب المعاصرين باختصاص زهد به غيره ، وقد دأب على دراسة الثقافة التركية والفارسية والاردنية فتبحر في آدابها وتاريخها ، ونقل الى العربية روائع آثارها .

وكان رحمه الله فضلاً عن علمه الفزير ، يتجلى بالشئائل الطيبة ، والأخلاق الحميدة ، والمروءة الصادقة ، وكان وفيّاً لزملائه ، أميناً لعلمه ومترفعاً عن استنثاره . وهو عضو بالمجمع اللغوي المصري والجامع العلمية في سورية والعراق وإيران . ولد المرحوم سنة ١٨٩٤ في شوبك الغربي في الاقليم المصري وأسرته ليبية الأصل وتخرج بمدرسة القضاء الشرعي ، وعين مدرساً بها سنة ١٩٢٠ ، ثم عهد اليه الإمامة في السفارة المصرية في لندن ، ونال سنة ١٩٢٣ إجازته في الآداب من الجامعة المصرية ، والتحق سنة ١٩٢٤ بجامعة لندن ودرس اللغة الفارسية ، فنال شهادتها بدرجة أستاذ في الآداب سنة ١٩٢٧ . ثم عين مدرساً في جامعة فؤاد الأول ، وتولى فيها تدريس الأدب العربي واللغة الفارسية والتركية ، ونال شهادة الدكتوراه برسالة عن الشاهنامة . ولما أنشئ معهد اللغات

الشرقية في جامعة فؤاد الأول تولى رئاسته ، ثم صار عميداً لكلية الآداب  
سنة ١٩٤٥ .

ثم انتقل من أمرة التعليم الى السلك السيامي الخارجي فعين سفير مصر في  
المملكة السعودية وبباكستان ، ولما تقاعد من مناصبه الحكومية استدعته حكومة  
المملكة السعودية لأجل تأسيس جامعة في الرياض حيث توفاه الله وهو على  
رأس عمله وبأتم نشاطه .

كان رحمه الله يجيد اللغة الفرنسية والانكليزية والفارسية والاردية والتركية ،  
وزار بلاد فرنسا وبريطانية وإيطالية وسويسرة وبلجيكا وتركيا وباكستان  
وايران وجميع الأقطار العربية . وله زهاء عشرين كتاباً في التاريخ والآداب  
العربية والفارسية والتركية والاردية ، بعضها مترجم من الفارسية والاردية منها :

- ١ - ترجمة كتاب الشاهنامة الى العربية .
- ٢ - كتاب التصديق وفريد الدين العطار .
- ٣ - كتاب فصول المتنوي .
- ٤ - خلاصة تاريخ الأدب الفارسي .
- ٥ - ترجمة جواهر مقالة الى العربية .
- ٦ - ذكرى أبي الطيب المتنبي بعد ألف عام .
- ٧ - نشر ديوان المتنبي مع مقدمة وافية .
- ٨ - نشر كتاب كليله ودمنة مع تعليق ومقدمة وافية .
- ٩ - كتاب الرحلات .
- ١٠ - مقالات أدبية ومنظومات .
- ١١ - نشر رسائل صاحب بن عباد .
- ١٢ - الشوارد .

١٣ - الثاني .

١٤ - مجالس السلطان الغوري .

١٥ - محمد اقبال .

١٦ - مذكرات في تاريخ الأمة العربية .

١٧ - مهد العرب .

١٨ - موقع عكاظ .

وغير ذلك من المؤلفات والمناظرات والمقالات في المجلات ، وعناؤنا بالفقيد  
الراحل ما خلفه لأئمة من آثار خالدة تحيي ذكراه رحمه الله رحمة واسعة  
وضاعف حسناته .

## علاوة خامسة في فوائد تاريخية وعلمية

### من حياة : شيخ الإسلام ابن تيمية

كنت نشرت فصولاً في مجلدات مجمعا علمي بدمشق في حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ، ثم طبعت تلك الفصول مستقلة في الجزء الثاني من محاضرات المجمع العلمي الذي طبع ( سنة ١٣٧٣ هـ = ١٩٥٤ م ) ص ٦١ - ١٢٩ من بعد أن حاضرت فيها في قاعة المجمع ، وهذه الفصول والعلاوات أولها : تاريخي علمي تضمن دفع الفرية التي وردت في رحلة ابن بطوطة ، عن حديث نزول الرب كل ليلة إلى سماء الدنيا ، وأنه قال - وهو يخاطب الجمعة على منبر دمشق - كنزولي هذا ، ورددناها بثلاثة أمور : الأول أن ابن تيمية لم يكن خطيب المسجد ، بل كان واعظاً ومدرساً . والثاني أن ابن بطوطة لم يره ولم يجتمع به ، إذ كان وصول ابن بطوطة إلى دمشق في أواخر شهر رمضان سنة ٧٢٦ هـ وابن تيمية دخل قلعة دمشق في أوائل شعبان ( سنة ٧٢٦ هـ ) ولبت فيها إلى أن توفاه الله تعالى سنة ٧٢٨ هـ . والثالث أنه ذكر حديث النزول في مواضع من كتبه ولم يقل فيها كنزولي هذا .

العلاوة الثانية : في اختياراته ومنها قضية الطلاق في الإسلام .

(٣) ترجيحه لمذهب السلف في أمر المعتقد .

(٤) تحقيقه لوحدة الأدب ، وأخوة الرسل الكرام ، عليهم السلام .

ثم رأيت لبعض مؤرخي عصرنا المحققين كتاباً مستقلاً في حياة الشيخ ، وفيه مباحث تاريخية علمية دينية ، تتعلق بسيرته رحمه الله وفيها وهم واشتباه ، فكان علي أن أنه إلى ذلك ، لتكون حياته الطيبة خالية من الشوائب التي علفت بها ، وإن لم يكن معصوماً ، ولتكون ( علاوة خامسة ) على العلاوات الأربع التي نشرت مع المحاضرة

(ص ٦١ - ١٢٩ ج ٢ من محاضرات المجمع العلمي) ففنها دعوى منه زيارة القبور ، لاسيما قبور الصالحين ، وأعظمها قبور الأنبياء والمرسلين ، لاسيما خاتم النبيين ، عليهم جميعاً أفضل الصلاة والتسليم . وقد أجاب عن هذا بقلمه ، ودفع الغربة بنفسه ، فقال : « إن السفر إلى مسجده ، وزيارة قبره - كما يذكروه أئمة المسلمين في مناصك الحج - عمل صالح مستحب . . بل هذا من أفضل الأعمال الصالحة ، ولا في شيء من كلامي وكلام غيري نهي عن ذلك ، ولا نهي عن المشروع في زيارة قبور الأنبياء والصالحين ، ولا عن المشروع في زيارة سائر القبور ، بل قد ذكرت في غير موضع استحباب زيارة القبور كما كان النبي ﷺ يزور سككات البقيع وشهداء أحد ، وإذا كانت زيارة قبور عموم المؤمنين مشروعة ، فزيارة قبور الأنبياء والصالحين أولى » (١) .

وقد ذكر في كتاب التوصل والوسيلة كيفية الزيارة وأدبها ، وكذا في كثير من رسائله ، وإنما منع أحسين اثنين : الزيارة الشركية المبتدعة ، وشدة الرحل لجرد الزيارة (أي بلا نية شدة الرحل إلى المسجد النبوي والصلاة فيه) . وقد وهم بعض المؤرخين فظن أن الروضة هي بيت السيدة عائشة الذي دفن فيه النبي ﷺ ) أو هو جزء منها ، والصواب أنها بين منبره وبيته كما هو نص الحديث الصحيح : « ما بين منبري وبيتي روضة من رياض الجنة » والصلاة فيها مطلوبة ، ولا دخل للقبر الشريف في مكان الصلاة أصلاً ، ولم يكن بيت أم المؤمنين مصلى للناس في عهده (ﷺ) فكيف بعد أن دفن فيه ، وقد قال : « اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » .

اتهم شيخ الإسلام بتشبيه الله تعالى بخلقه أو التجسيم ، على كثرة ردوده

(١) ص ١٤ و ١٥ من الجواب الباهر في زوار المقابر لابن تيمية .



على المشبهة والمجسمة ، كما كان يردّ على القدرية والجهمية والمعتزلة وغيرهم من المؤولة والمعتلة ، وهو لا يزيد على ما وصف تعالى به نفسه ، في مثل قوله : « ليس كذله شيء وهو السميع البصير » فقد أثبت في هذه الآية لنفسه ذاتاً وصفات ، وفيها التنزيه عن المماثلة :

لا ذاته تشبهها الذوات ولا حكمت صفاته الصفات

وهو سبحانه كما وصف نفسه بقوله : « رفيع الدرجات ذو العرش » أي إنه سبحانه أرفع المخلوقات ذاتاً وصفات ، وأعظمها شأنًا ، وأعزها سلطانًا ، وكل شيء محتاج إليه ، وهو مستغنى عما عداه ، وهو مالك العرش ومدبره ، فهو مستول على عالم الأجسام ، وأعظمها العرش ، كما هو مستول على عالم الروحانيات وهي مسخرة له .

ألا وإنّ هذا العصر الذي نعيش فيه ، هو عصر الصعود والارتفاع ، عصر الأقمار الصناعية والصواريخ ، يتبارى الشرق والغرب في إطلاق هذه الكواكب المصطنعة في الفضاء ، تترفع في الساعة الواحدة ألوفاً كثيرة من الأميال ، ولكنها مهما علت فلن تبلغ السموات العلى ، لأنّ بيتنا وبينها ملايين الأميال ، فأين مرعة هذه الأقمار الأرضية والصواريخ من مرعة هذا الضوء أو النور الإلهي « الله نور السموات والأرض » .

وقد صرّح بعض أقطاب الفلك بأن مرعة الضوء ، قد قدرّت بثلاثمائة ألف كيلومتر في الثانية ، وأن الضوء في مرعته هذه يطوف المحيط الأرضي الاستوائي - وهو أطول محيط من الأرض - بطوفه سبع مرات ونصف مرة في ثانية واحدة ، وضوء الشمس يصل إلى الأرض بثلاثي دقائق واثنتي عشرة ثانية ، على بعدها الشاسع عنا البالغ ( ١٤٩ ) مليون كيلومتر ، على أن هذه المسافة بيننا وبين الشمس لا يقطعها قطار مرعته ( ٩٠ ) كيلومتراً في الساعة إلاّ بمدة ( ١٧٧ ) سنة . والله تعالى عال فوق سمواته ومخلوقاته ، لا يحل فيهم ،

ولا يمتزج بهم ، وعلمه وسمعه وبصره وقدرته مدركة لكل شيء ، وذلك معنى قوله : « وهو معكم أينما كنتم » .

قال عبد الرحمن بن أبي حاتم : سألت أبي وأبا زرعة رحمهما الله تعالى عن مذهب أهل السنة في أصول الدين ، وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار ، وما يعتقدان من ذلك ، فقالا : أدركنا العلماء في جميع الأمصار حجازاً وعراقاً ومصر وشاماً ويمناً ، فكان من مذهبهم أن الله تبارك وتعالى على عرشه بائن من خلقه بلا كيف ، أحاط بكل شيء علماً .

قال ذلك العالم المؤرخ الذي أشرنا إليه في صدر هذا الحديث : هل العبارات المروية عن أولئك الأئمة الأعلام صريحة في إثبات جهة العلو والاستواء بمعنى من جنس معنى الجلوس ؟ إن العبارات المروية عنهم إلى التفويض أقرب منها إلى التفسير وإبداء الرأي في معنى معين .

والجواب أنا قدمنا بعض العبارات الصريحة لأولئك الأئمة الأعلام في إثبات صفة العلو المطلق ( لا النسبي ) لله تعالى على خلقه ، وأنه عال على عرشه ومستغن عنه كاستغنائه عن سائر المخلوقات ، فلا جلوس ولا مماسة ولا استقرار . وأما التفويض ففي الكيفية ، لا في أصل المعنى ، كما اشتهر عن الإمام مالك قوله : « الاستواء معلوم والكيف مجهول » أي إن معنى ( الاستواء ) معلوم وهو العروج والصعود والارتفاع ، ولكن الكيفية مجهولة .

وحسبنا في ذلك قصة المعراج وهي متواترة ، وفيها تجاوز النبي ( ﷺ ) السموات سماء سماء ، حتى انتهى إلى ربه تعالى ، فقربه وأدناه ، وفرض عليه الصلوات . وقد اعتذر هذا المؤرخ عن دراسة كتاب ( الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ) لكيلا يشغله عما هو فيه من دراسة فقه الإمام .

وأقول : إني قد درست هذا الكتاب دراسة مفصلة ، وكتبت عنه في مجلة مجمعنا العلمي فصلاً مطوّلاً ، في مجلة الفصول التي نشرتها عنه في المجلة في بضع سنين .

وأما الاستغاثة بالحضرة المحمدية بعد الموت فقد أجاب عنها الإمام ابن تيمية في كتاب التوسل والوسيلة بقوله :

ولو كانت الاستغاثة بعد الموت ثابتة ثبوتها في الحياة ، لطلب من النبي ( ﷺ ) أن يقوم بالإمامة في الصلاة والإمامة في الغزو ، وإرسال البعث وعقد الأتوية ، والشعائر في الحرب ، وإقامة الحدود ، وإبصال الحقوق ، وقسم الموارث والغنائم ، والنفى ، والصدقات الخ<sup>(١)</sup> .

وأقول - تأييداً لما ذكره شيخ الإسلام : إن الصحابة الكرام قد تناظروا بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام ، في أمر الخلافة ، وفي جمع القرآن ، وفي المعارك الدامية كوقعة الجمل وصفين والنهروان ، وتناظر الشيخان في قتال مانعي الزكاة ، وفي إرسال جيش أسامة ، ولم يستفيشوا به في هذه الشدائد ، ولم يستفتوه في شيء منها ، وكل هذا معلوم من الدين والتاريخ بالضرورة ، ومن العقل والحس والوجدان بالبدهاة ، فيجب رد ما يتجدد من الوقائع والحوادث إلى الوحي المنزل ، وما عرف من سنن الصدر الأول للإسلام .

تصحيح : جاء في أواخر الكتاب الذي نوّهنا به في هذا المقال - في ابن تيمية - استطراد ، ذكر فيه أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب تزوج بنت الأمير محمد آل سعود ، والصواب أنه ( رحمه الله ) قد تزوج بجمهرة بنت عثمان بن معتمر ، كما ترى في الكتب التي ترجمت له .

محمد بهجة البيطار



## أسرار العربية لكمال الدين الأنباري

تمتاز كتب كمال الدين الأنباري بأسلوبها المبسوط وعباراتها الواضحة .  
لا يقصد في كتابه إلى الإيجاز والإلفاظ ولا بكنفي بالمحبة الدالة والإشارة المفهومة  
فلا عجب في أن كان أسلوب كمال الدين نسيج وحده بين الأساليب العلمية .  
وقد عرف المشرقون من علماء أوربة فضل كتب الأنباري فسبقونا إلى  
طبعها ونشرها .

فكتابته الإيضاح في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين طبع أول  
ما طبع في ألمانيا وقد صنع له ناشره مقدمة طويلة باللغة الألمانية وهي تعتبر  
كتاباً مستقلاً جديراً بالنشر . ولما تعذر الظفر بنسخة من الإيضاح قام أستاذنا  
الشيخ محمد محيي الدين بطبعه مرات في سنوات فبسر النفع به كما جعل اقتناءه  
على طرف الثمام وحبل الذراع وبقيت مقدمته الألمانية بعيدة منا مطوية عنا  
وما أشد حاجتنا إلى أن نعرف ما اشتملت عليه من البحوث وما عاجلته من المسائل .  
وقد علق بظني بعد أن قرأت الإيضاح أن هوى كمال الدين مع البصريين  
إذ لم ينتصر للكوفيين إلا في سبع مسائل من ١٢٠ مسألة وقلت إن مذهب  
الكوفيين وصل إلينا عن طريق كتب هواها بصري ولو وصل إلينا بأقلام  
كوفية لتغير تقديرنا له ونظرتنا إليه .

والكني بعد أن قرأت في معاني القرآن للفراء ومجالس ثعلب ورأيت كيف  
بهر الكوفيون عن آرائهم ويدافعون عنها ويحتجون لها - أبقت أن صاحب  
الإيضاح أفصح بياناً وأوضح برهاناً .

يمثل لنا ثعلب لحذف المضاف بقوله الفقه أبو حنيفة والنحو الكسائي ولكنه

لا يعرض علينا أنماطاً رائعة وصوراً بارعة لهذا النحو الكسائي حتى يحملنا على أن نؤمن له بأنه لا نحو إلا نحو الكسائي .  
كذلك طبع كتاب أمرار العربية في أوربة سنة ١٨٨٦ م دونه مقدمة باللغة الألمانية أيضاً .

ولما نفذت نسخته قام المجمع العلمي العربي بدمشق بطبعه ونشره ولقد كان المجمع أرحمياً في إخراجه لهذا الكتاب أخرجه في أبهى حلة وأجمل صورة طباعة أنيقة وورق غاية في الجودة .

موضوع الكتاب : عالج ٦٧ باباً من أبواب النحو والصرف .

اختار من كل باب طرفاً من مسائله وعال لها بعبارة مبسطة كل البسط واضحة كل الوضوح .

والتعليل لقواعد النحو صاحب وضع قواعده وقد أثر عن الخليل بن أحمد حديث طريف أرى من الخير أن أسوقه هنا .

سأل سائل الخليل فقال له أعن العرب أخذت هذه التعليلات أم اخترعتها من نفسك فقال : إن العرب نطقت على سميتها وطباعها وعرفت مواقع كلامها وقامت في عقولها علله وإن لم ينقل ذلك عنها وعلمت أنا بما عندي أنه علة لما علمته به فإن أكن أصبت العلة فهو الذي التمس وإن تكن هناك علة غير ما ذكرت فالذي ذكرته محتمل أن يكون علة له ومثلي في ذلك مثل حكيم دخل داراً محكمة البناء عجيبه النظم والأقسام وقد صحت عنده حكمة بانبيها بالخبر الصادق والبراهين الواضحة فكلمنا وقف هذا الرجل الداخل الدار على شيء منها قال إنما فعل هذا هكذا لعله هي كذا لعله سنحت له وخطرت فنجائز أن يكون الحكميم الباني للدار فعل ذلك للعلة التي ذكرها هذا الذي دخل الدار وجائز

أن يكون فعله لغير تلك العلة إلا أن ما ذكره هذا الرجل محتمل أن يكون علة ؛ ثم قال فإن صحت لغيري علة لما علمته من النحو هي أليق مما ذكرته بالمعلول فليأت بها .

وقد عرض سبويه والذين جاءوا من بعده لكثير من التعليقات ولكن الأنباري يتنازع بالأسلوب المبسوط والعبارة الواضحة .

الصلة بين الإيضاح وأسرار العربية : كتاب الإيضاح أسبق بالتأليف وقد أحال كمال الدين في أسرار العربية على الإيضاح في خمسة مواضع وكان يعبر عنه بمسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين وأحياناً بالمسائل الخلافية . وقد أخصيت المسائل المشتركة بين الكتابين فبلغت نحو أربعين مسألة لم يختلف الحديث عنها في الكتابين لأسلوباً ولا عرضاً ، ولولا خوف الإطالة لأشرت إلى الصفحات والأوراق المشتركة بينها .

عهد المجمع العلمي إلى أحد أعضائه وهو الأستاذ محمد بهجة البيطار بتحقيق كتاب أسرار العربية فقام الأستاذ بما عهد إليه خير قيام ، فأخرج لنا نسخة صحيحة من بين نسختين مخطوطتين وثلاثة مطبوعة ؛ كما عني بتفسير اللغة وشرح الشواهد وعزودها إلى قائلها ، وصنع للكتاب فهرس مفصلة وترجم لكثير من أعلامه .

ويجمل بي أن أسجل هنا بعض الخواطر التي بدت لي أثناء قراءة أسرار العربية استكمالاً للفائدة :

بذكر النحويون أن اسم لا النافية للجنس لا بد أن يكون نكرة متصلاً بها فإن فصل عنها بفصل أو وقعت المعرفة بعدها أمهات لا ووجب تكرارها . وقد جاءت المعرفة بعد لا من غير تكرير للا في قولهم لا نولك أن تفعل فاعتذر النحويون بأن عدم تكرير لا في هذا الأسلوب إنما يرجع إلى أن

المصدر هنا بمعنى الفعل المضارع فمعنى لا نولك أن تفعل لا ينبغي لك أن تفعل وهذه هي نصوص الفخوين في كتاب سيبويه ج ١ ص ٣٥٧ - وقالوا لا نولك أن تفعل لأنهم جعلوه معاقباً لقوله لا ينبغي لك أن تفعل كذا وكذا وصار بدلاً منه فدخل فيه ما دخل في ينبغي .

ثم قال أيضاً في الجزء الثاني ص ٣١١ - وأما نول فتقول نولك أن تفعل كذا وكذا أي ينبغي لك فعل كذا وكذا وأصله من التناول كأنه يقول - تناولك كذا وكذا .

وإذا قال لا نولك فكأنه قال أقصر ولكنه صار معنى لا ينبغي لك . وفي أمالي الشجري ١/ ٢٣٧ - ونولك في قولهم لا نولك أن تفعل كذا مأخوذ من التناول للشيء . وهم يريدون به الاختيار فإذا قالوا نولك أن تفعل فعناه ينبغي لك أن تفعل والاختيار لك أن تفعل ، ويقولون لا نولك أن تفعل كذا ومعناه لا ينبغي لك أن تفعل ولم يلزم تكريره وإن كان معرفة لأنه بمعنى لا ينبغي لك فلم يلزم تكريره كما لا يلزم تكرير الفعل إذا دخلت عليه لا . وقد أعاد هذا الحديث في الجزء الثاني ص ٢٢٥ .

وفي المفصل للزمخشري ٢/ ١١١ - وقولهم لا نولك أن تفعل كذا موضوع موضع لا ينبغي لك أن تفعل كذا .

ومثل هذا في شرح الكافية للرضي ١/ ٢٣٧ وفي التصريح على التوضيح وفي لسان العرب وغير ذلك من كتب الفخر واللغة .

وفي أمرار العربية أخذ كمال الدين يعال لوجوب تكرير لا إن وقعت المعرفة بعدها ثم أخذ يبين العلة التي من أجلها لم تكرر ( لا ) في قولهم لا نولك أن تفعل فقال وإنما لم تكرر ( لا ) لأنه بمنزلة لا ينبغي لك .

وقد أثبت الأستاذ البيطار مكان لا نولك أن تفعل لفظاً مصحفاً هو لا بد لك أن تفعل ثم قطع بأن النص المثبت في النسخة الأخرى وهو لا نولك أن تفعل سهو والنصوص التي ذكرناها والمقام الذي تحدث فيه الأنباري كل ذلك بقطع بأن لا نولك أن تفعل هي العبارة الصحيحة المتعينة في هذا المقام وليست من قبيل السهو كما يقول الأستاذ البيطار ثم ماصلة لا بد لك أن تفعل بهذا المعنى لا ينبغي لك أن تفعل فضلاً عن المقام وموضوع الحديث وهو تكرير لا، يراجع ص ٢٥٠ — ٢٥١ .

نسب الأستاذ البيطار الشعر إلى قائله وفي أبيات كثيرة قال الأستاذ عنها لم أعرف قائلها .

ولما كان بعض هذه الأبيات معروف القائل رأيت من الخير أن أنسبها لقائلها مبنياً مصادرهما .

١ - في ص ٩٧ في باب نعم وبئس قال عن البيت :

أست بنعم الجار يولف بيته أخا قلة أو معدم المال مصرما  
لم أعثر على هذا البيت ولا على قائله . وقد نسب الأنباري في الإصناف في باب نعم وبئس أيضاً هذا البيت إلى حسان بن ثابت ٦٧ ونسبه أيضاً الشجري في أماليه إلى حسان ١٤٧/٢ .

والبيت في ديوان حسان ١٩٨ برواية :

أست بنعم الجار بولف بيته لذي العرف ذا مال كثير ومعدما

٢ - في ص ٢٩٩ قال عن البيت :

لقد كان في حول ثواء ثوبته تقفى لبانات وبسام سائم

لم أقف على قائله - وهذا البيت من شواهد معني اللبيب ونسبه ابن هشام الأعشى في باب الأشياء التي تحتاج إلى رابط ١٢٦/٢ وهو بديوان الأعشى الكبير



ميون بن قيس ص ٢٧ من شرح الدكتور محمد حسين في هجاء يزيد الشيباني  
من قصيدة مطلعها :

هريرة ودعها وإن لام لائم غداة غد أم أنت للبين ساجم

٣ - في ص ١٠٣ قال عن البيت :

كأنني بفتخاء الجناحين لقوة على عجل مني أطأطي<sup>١</sup> شماللي

لم أعلم قائله - وهذا البيت لامرئ القيس من قصيدته المشهورة التي مطلعها :

ألا عم صباحاً أيها الطلل البالي وهل يعمن<sup>(١)</sup> كان في العصر الخالي

ورواية الدبوان :

كأنني بفتخاء الجناحين لقوة صيود من العقبان طأطأت شماللي

الدبوان ١١٢ وشرحه للوزير أبي بكر عاصم ٦٣ .

٤ - في ص ٤٢٩ قال عن البيت :

غداة طفت علماء بكر بن وائل وعجنا صدور الخيل شطر تميم

لم أقف على قائله - وقد نسب الشجري في أماليه ٤/٢ هذا البيت إلى قطري

ابن الفجاءة وأورده المبرد في الكامل في قصيدة لقطري مطلعها :

لمعرك إني من الحياء لزاهد وفي العيش مالم ألق أم حكيم

وهو أيضاً من شواهد الشافية وقد تكلم البغدادي في شرح شواهداها على قائله

ص ٤٩٨ .

٥ - في ص ٣٨٥ قال عن البيت :

سائل فوارس يربوع بشدتنا أهل رأونا بسفح القاع ذي الأكم

(١) والصواب : « وهل يعمن ( من ) كان في العصر الخالي » كما ورد في

( البيطار )

الدبوان ( ص ٢٧ ) .

لم أعرف قائله - «البيت من شواهد المغني» في حديثه عن هل ٢٨/٢ ونسبه شراحه إلى زيد الخيل الطائي .

وذكره أبو الفتح بن جني في الخصائص ٤٦٣/٢ وقد نسبه إلى قائله .  
وذكر قصة أبياته ومواطنها محقق الخصائص ومجلتها أستاذنا الشيخ النجار .

٦- قال عن البيت :

لكنه شافه أن قيل ذا رجب يالبت عدة حول كله رجب  
لم أقف على قائله - والآنباري يذكر في الأسرار أن القصيدة منصوبة للقوافي  
وكذلك ذكرها ثعلب في مجالسه ٤٧٤/٢ - ٤٧٥ ومطامها :

ياللرجال ليوم الأربعاء أما بنفك يبعث<sup>(١)</sup> لي بعد النهى طربا

ونسبها لعبد الله بن مسلم بن جندب وروى بيت الشاهد هكذا :

لكنه شافه أن قيل ذا رجب يالبت عدة دهرى كله رجب  
وقد ذكر مطلع هذه القصيدة المبرد في الكامل أيضا . وساق القصيدة بأكملها  
ونسبها الشيخ المرصفي في رغبة الآمل ٢١٤/٢ .

٧- قال الأستاذ البيطار في ص ١٤٤ لم أقف على ترجمة عبد بن الحساس ،  
وهي في صدر ديوانه المطبوع .

هذا وأعود مرة أخرى إلى الإشادة بمجد الأستاذ البيطار وبأريحية المجمع  
العلمي العربي بدمشق .

وأسأل الله الكريم أن يهيئ لسائر الدخائر والأعلاق المخطوطة من يقوم  
بنشرها ونيسير النفع بها .

محمد عبد الحالى عصفية

(١) الرواية في مجالس ثعلب : ( يحدث ) بدلاً من ( يبعث ) . «البيطار»

## تعليق على المقال لمحمد بهجة البيطار

كان كتب الأستاذ الجليل الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة المدرس في كلية اللغة العربية - في مجلة الحج التي تصدر بمكة المكرمة - تعريفاً وتقديراً لكتاب «الموفي في النحو الكوفي» وشرحه ، جاء فيه : «وعرض لنا نصوصاً نحوية من كتب مختلفة ، شرحت غوامضه ، وأغنت قاري الكتاب عن أن يتطلبها في مظانها» وقد وصف (الموفي وشرحه) بذلك أحسن وصف . واكتفى - على ما يظهر - بمراجعته دون غيره في تعليقاته عليه ، وأجبناه على منتقاداته من نفس الكتاب ، ثم قلت في الختام : «والظاهر أن الأستاذ قد أملى ما أملاه من ذاكرته وحفظه ، إذ لم نر له عزواً إلى صفحة أو جزء من كتاب بعينه ، وعلى كلِّ فله منا أعطر الشكر» ، ( مجلة المجمع العلمي م ٢٧ / ٦٢٣ ) .

والآن ورد على المجمع العلمي العربي بدمشق هذا المقال الجليل ، ذو الفوائد الجمة والمباحث المهمة ، في اللغة والنحو والأدب ، وفي آخره مستدركات على كاتب هذه السطور ، في تعليقاته على «الأسرار» مع الدلالة على أماكنها ونقل عني في (ص ١٤٤) قولي : لم أقف على ترجمة عبد بني الحسحاس ، وهذا صحيح ، لكنني استدركت في (ص ٤٣٥) فأثبت ترجمته تحت الرقم (١٤) فلتراجع .

وإني أعلن شكري الخالص للأستاذ عضيمة ، جزاء المولى عن أخيه وعن القراء أفضل الجزاء ، وزاده إحساناً وتوفيقاً .

محمد بهجة البيطار

## فهرس الجزء الثاني من المجلد الرابع والثلاثين

صفحة

٢٠٩	سخرية الشدياق	لأستاذ شفيق جبري
٢٢٥	العلاقات الجوهرية بين المذتين العربية والآرامية	للطهران غريغوريوس بولس بهنام
	« السريانية » (٣)	
٢٤٣	الإيلاف أو المومات غير المشروطة	لأستاذ ظاهر القاسمي
٢٥٦	الرجاسي : حياته وآثاره (١)	لأستاذ مازن المبارك
٢٧٣	كتاب شرح الألفاظ (١)	لأستاذ أبو عذوة الكرمي مصوي
٢٩١	رسالة ابن حزم في أمهات الخلفاء	للككتور صلاح الدين المنجد
٣٠٠	انظرة في معجم المصطلحات الطبية الكثيرة الفئات (٢)	للككتور حسي سبيح
٣٢١	مختارات مما لم ينشر من شعر البستري (٢)	للككتور صالح الأشتر
٣٣٢	كتاب النفس لابن باجة الأندلسي (١)	للككتور محمد صدير حسن المصوي

### التعريف والنقد

٣٤٥	الحياة الجنسية عند العرب	لأستاذ شفيق جبري
٣٤٧	محاضرات عن الأمير شكيب أرسلان	
٣٤٩	كتاب الترح والإفاقة على أصول السنة والديانة	لأستاذ محمد بهجة البيطار
٣٥١	الأمة الاثنا عشر	
٣٥٣	تفسير القرآن الكريم	
٣٥٨	أنا والشر	للككتور جيل صليبا
٣٦٤	تاريخ قبة الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى المبارك	للامير جعفر الحسني
٣٦٥	(٥٥) ألف كيلومتر على دراجة نارية	
٣٦٧	الإمام الصادق عليه السلام الكيمياء	لأستاذ حسن النما

### آراء وأنباء

٣٦٨	الدكتور عبد الوهاب عزام (وفاته)	
٣٧١	علاوة خامسة من حياة شيخ الإسلام ابن تيمية	لأستاذ محمد بهجة البيطار
٣٧٦	أسرار العربية كشال الدين الأديري	لأستاذ محمد عبد الخالق مضيفة
٣٨٣	تطبيق على مقال الأستاذ محمد عبد الخالق مضيفة	لأستاذ محمد بهجة البيطار

# مجلة المجمع العلمي العربي

٢٥ ذي الحجة سنة ١٣٧٨ هـ

١ تموز سنة ١٩٥٩ م

## ثلاث رحلات

الطهطاوي — الشدياق — كردعلي

إذا بحثنا عن بدء نهضتنا الحديثة فلا مندوحة لنا عن الإشارة الى ثلاث رحلات كانت لأصحابها أعمق الأثر في هذه النهضة ، فقد وقفوا على أشياء كثيرة من خصائص الغرب وأخلاق أهله وعاداتهم ومذاهبهم في السياسة والفن والأدب ، فعملوا كتباً أودعوا ما وقفوا عليه وما دهشوا منه فتركت هذه الكتب في آفاقهم آثاراً شتى ، ولئن اختلفوا بعض الاختلاف في نظراتهم الى الأمور على قدر أمرجتهم وأذواقهم ومداركهم فقد اتفقوا في غاياتهم من رحلاتهم ، فقد كانت غاياتهم منها ايقاظ الشرق من رقدته وحشه على الأخذ بأسباب العلم والحضارة وكان لكل واحد منهم أسلوب خاص في التنبيه والإرشاد . أما الرحلات الثلاث فأصحابها رافعة الطهطاوي وأحمد فارس الشدياق ومحمد كردعلي ، وقد وضع كل منهم في مقدمة رحلته غايته من الرحلة أكل توضيح .

خرج الطهطاوي من مصر سنة ١٢٤١ ووضعت كتاباً سماه : تلخيص الاوبريز في تلخيص باريز طبع الطبعة الأولى في بولاق سنة ١٢٥٠ واذا رجعنا إلى مقدمة الكتاب وجدنا فيها ما يدلنا على الغرض من رحلة صاحبه فقد أرسل من قبل والي مصر محمد علي إلى باريز في جملة من أرسل : « ليتعلم العلوم والفنون الموجودة بهذه المدينة البهية » هذا ما قاله الطهطاوي ، إلا أنه كانت له غايات أبعد فصلها في قول آخر :

« فلما رسم اسمي في جملة المسافرين وعزمت على التوجه أشار علي بعض الأقارب والمحبين لاسمنا شيخنا العطار ، فانه مولع بسماع عجائب الأخبار والاطلاع على غرائب الآثار أن أنه على ما يقع من هذه السفرة وعلى ما أراه وما أصادفه من الأمور الغريبة والأشياء العجيبة وأن أقيده ليكون نافعاً في كشف القناع عن محيّا هذه البقاع . . . . . فما قصرت في أن قيّدت في سفري رحلة صغيرة نزّهتها عن خلل التساهل والتخامل وبرأتها عن زلل التكاسل والتفاضل ووشحتها ببعض استطرادات نافعة واستظهارات ساطعة وأنطقها ببحث ديار الاسلام على البحث عن العلوم البرانية والفنون والصنائع فان كمال ذلك ببلاد الافرنج أمر ثابت شائع والحق أحق أن يتبع ، ولعمر الله إنني مدّة اقامتي بهذه البلاد في حيرة على تمتعها بذلك وخلوّ ممالك الاسلام منه ، وأياك أن تجد ما أذكره لك خارجاً عن عادتك فيعسر عليك تصديقه ، فتظنه من باب المذر والخرافات أو من جنس الافراط والمبالغات . . . »

وقد أشهدت الله سبحانه وتعالى على ألاّ أحميد في جميع ما أقوله عن طريق الحق وأن أفشي ما سمح به خاطري من الحكم باستحسان بعض أمور هذه البلاد وعوائدها على حسب ما يقتضيه الحال ومن المعلوم اني لا أستحسن إلاّ ما لم يخالف نص الشريعة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة وأشرف التحيّة . . »

وختم مقدمته بقوله :

« وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل هذا الكتاب مقبولا لدى الخاص والعام وأن يوقظ به من نوم الغفلة سائر أمم الإسلام من عرب وعجم . »  
من هذه المقدمة يتبين لنا أن الطهطاوي قد توخى في رحلته في جملة ما توخاه من طلب العلوم والفنون حث ديار الإسلام ، عربها وعجمها على الانصراف الى هذه العلوم والفنون وإيقاظ أهل هذه الديار من غفلتهم وهذا ما يثبت لنا أن رحلته الى الغرب كانت عاملاً من عوامل نهضة الحديثة فقد رمى فيها الى الإيقاظ والتنبيه .

ولم تكن هذه الفكرة فكرة الطهطاوي وحده فان الذين فكروا في أول بعثة الى الغرب كانت غايتهم إحياء العمران والعلوم والفنون في بلادهم ، فهم في تفكيرهم هذا وفي إنقاذ هذا التفكير من أعظم الباعثين على النهضة الحديثة وقد وضع الطهطاوي هذه الفكرة في الباب الأول من رحلته فقال :  
« ولهذا تنبه المتولي على بلاد مصر أن يرجع اليها شبابها القديم ويحيي رونقها الرميم ، فن مبدئ توليته وهو يعالج في مداواة دائها الذي لولاه كان عضالاً ويصلح فسادها الذي قد كاد يكون زواله محالاً . »

ثم أفاض الطهطاوي بعد ذلك في مدح والي مصر والتنبيه على ميله الى العمران ونشر العلوم والفنون والصناعات .

لا أريد التوسع في الكلام على رحلة الطهطاوي وعلى خصائصها في مثل هذا المقام وانما الذي رميت إليه أن أبين أن هذه الرحلة كانت عاملاً من عوامل النهضة الحديثة فقد رجع صاحبها الى مصر ونشر كتابه بين ظهرائي قومه وقد تضمن هذا الكتاب ما وقعت عليه عينه في الغرب من أكثر أمور الحياة ، ولا سيما حربة الرأي فكان الكثير من مشاهداته تأثير في العقول ، فبدأت النهضة الحديثة .

واذا فرغنا من مطالعة تخلص الأبريز وانصرفنا الى مطالعة كتابي الشدياق :  
 الواسطة في معرفة أحوال مالطة وكشف الخبايا عن فنون أوربا وجدنا أن غابة  
 الشدياق من رحلته الى الغرب لا تختلف كثيراً عن غابة الطهطاوي ، ماذا يقول  
 الشدياق في مقدمة رحلته التي طبعت الطبعة الثانية في قسطنطينية سنة ١٢٩٩ :  
 « ويعلم الله اني مع كثرة ما شاهدت في تلك البلاد من الغرائب وأدركت  
 فيها من الرغائب كنت أبدأ منقّص العيش مكذّره كمن فقد طوره ولزمته معسرة ،  
 لا يروفي نضار ولا نصرة ، ولا نعمة ولا مسرة ولا طرب ولا هو ولا حسن  
 ولا زهو لما أني كنت دائم التفكير في خلوة بلادنا عمّا عندهم من التمدّن  
 والبراعة والفنن ثم تعرض لي عوارض من السلوان بأن أهل بلادنا قد اختصوا  
 بأخلاق حسان وكرم يغطّي العيوب ويستر ما شان ولا سباً الغيرة على الحرم  
 وصون العرض عمّا من هذا الصوب بؤم ثم أعود الى التفكير في المصالح المدنية  
 والأسباب المعاشية وانتشار المعارف العمومية والى إتقان الصنائع وتعميم الفوائد  
 والمنافع فيفضل ذلك السلوان وأعود الى الأتّحان . »

هذا كلام صريح ، فقد رحل الشدياق الى مالطة وفرنسة وانكثرة وقابل  
 بين بلادنا وبلادهم في أبواب التمدّن والعلوم والصناعات فكانت هذه المقابلة  
 تدخل الحزن على قلبه لخلوة بلاده مما اشتملت عليه بلاد الافرنجة ، تكثر المقابلات  
 والموازنات في رحلة الشدياق فهو يقابل بين أخلاق وأخلاق وبين عادات وعادات  
 وبين طبائع وطبائع ، يقابل بين زواج وزواج ، وبين لباس ولباس وبين طعام  
 وطعام فينقد ويحكم ويسخر ولكنه في كل نقده وحكمه وسخريته لا يتوخى إلا  
 الإصلاح والإرشاد ، إصلاح ما اعوجّ من أخلاق بلاده وعاداتها وإرشادها  
 الى محاسن الأخلاق والعادات ، لقد نقل الشدياق الى الشرق كثيراً من محاسن  
 الأمور التي رآها في الغرب فكانت عنصراً قوياً من عناصر النهضة الحديثة  
 فهو مصلح اجتماعي من أكبر المصلحين ولم يعرف بعد مقامه في هذا الإصلاح



حق المعرفة حتى بومنا هذا فلا تزال الظلمات تغطي على ضياء عقله الراجح وأفقّه الواسع .

قابل مرّة في رحلته بين بعض أوضاعنا وبعض أوضاع الافرنجة ، تكلم على العلم في بلاد الانكليز فقال :

« غير أن العلم عندهم لا يكون بمعرفة قواعد النحو والصرف أو بنظم قصائد وإنما هو مطالعة اللغتين اليونانية واللاتينية ومعرفة أدبها ومعرفة التاريخ والفلسفة والهندسة والرياضيات » .

هذه المقابلات التي كانت تجري خلال رحلته كان يرمي فيها الى إرشاد أهل بلاده الى حقائق الأمور فلم يترك فرصة تمرّ به دون أن ينتهزها لا يبقاظ قومه ، كان يتكلم على الوظائف في بلاد الانكليز وعلى ترتيب أصناف الناس فقال وقد خطرت بباله حالة بلاده :

« فأما في بلادنا حرصها الله فان ناظر المدايع جدير بأن ينظر في جلود بني آدم ويصنفها بلون الدرّة والسوط أو يسر ما هي عليه من الطراوة والنعومة ، والمحسب خليق بأن يزن أعمال عباد الله وأموالهم في بيوتهم ويوز ما في عياب صدورهم من الخواطر والأفكار وللحاكم أو للمطران أن يسقط حق الحق لحرف أسقطه في الكلام وللضابط أن يبيّت الناس في مضاجعهم وللشرطي أن يقبض على أي شخص كان والضابط العسكر أن يفتتق سبيله على أي عنق سخط له وللبطرك أن يحرم أي شخص كان من رعيته حتى لا يعود لأحد من أفراده وأهل بلدته استطاعة على مخاطبته ومبايعته » .

وبعد أن أحصى هذه الأمور كلها التي كانت تجري في عصره ، عصر الظلمات ، بعد أن قابل بينها وبين الأمور التي رآها في الغرب صرخ هذه الصرخة :

« وإلى من المشنكي وأين المصير وأين المجهز ، فياليت شعري متى نصير نحن ولد آدم كهؤلاء البشر ومتى نعرف الحقوق الواجبة لنا وعلينا ، أنخال أن معنى

التمدن هو أن يكون الناس في مدينة وفيها ذئاب وسباع ، كلاً ثم كلاً ،  
جدير أن اجتماع الذئب والخروف في مرعى واحد ليوجب على اليهود أن يؤمنوا  
بأن المسيح قد جاء .

فاذا تفتت العقول في نهضتنا الحديثة فانها لم تنفبه إلا بمثل هذه الأفكار  
التي اشتملت عليها كتب الرحلات وبمثل هذه المقابلات ، فالشدياق كان في مقدمة  
الذين نبهوا الناس في نهضتنا .

أما كردعلي فقد سمي رحلته : غرائب الغرب ، قال في مقدمته :

« هذه فصول ومقالات ، بل آهات وتأوهات ، كتبها في وصف معالم  
الغرب وما لقيته فيه وقد زرت ثلاث مرات ٠٠٠٠ وأنا على مثل اليقين بأنها  
لا تحمل في مطايعها في تلك المدينة الساحرة إلا بقدر ما نصل اليه يد غير  
سبيل وبتفطن لما النزبل والدخيل » .

لاشك في أن كلمة آهات وتأوهات تدلنا على أن كردعلي يهره ما رأى من  
مدينة الغرب فحسّر على خلوه بلاد من هذه المدينة ، ولئن لم يوضح في هذه  
المقدمة غايته من الرحلة فقد وضحها في أول فصل من فصول كتابه إذ قال :  
« كان من أعظم أمانني النفس منذ بضع سنين أن أرحل الى أوربا رحلة  
علمية ، أقضي فيها راحة من الدهر للتوفر على دراسة حضارة الغرب في منبثها  
واستطلاع طلاع المعاهد التي منها نشأ المخترعون والمكتشفون والفلاسفة المنزهون  
والعلماء العاملون والساسة المستعمرون والقادة والغازون والتجار والصناع والزراعي  
والماليون وهم على التحقيق مادة تلك المدينة وهيولوها » .

غاية كردعلي في هذا الكلام واضحة فانهم التوفر على دراسة حضارة  
الغرب ولكن ما هو غرضه من هذه الدراسة ، إنه هو إلا الإصلاح ، شأنه

في ذلك شأن الشدياق من قبله الذي سبقه الى الغرب ، لقد كثرت أوهاته وتأوهاته في الغرب ، من ذلك قوله :

« ومن الأصف العظيم أننا لو أحصينا عدد ما يصدر من جميع الجرائد والمجلات العربية والتركية والفارسية في البلاد المصرية والعثمانية والایرانية لا يبلغ بكيفته قدر ما نطبع كل يوم جريدة : البقي مارسييلية ، إحدى جرائد ولايات فرنسا ، وعلى هذه النسبة قس ولا تخف درجة ارتقائنا وارتقاء الفرنسيين وسجل علينا بالفقر المدقع في كل شيء ، ولا سيما في الأمور العقلية » .

شرع كرد علي في المقابلات على نحو ما فعله الشدياق في رحلته ، فهو يقابل بين انتشار الصحافة في مصر وتركيا وإيران وبين انتشارها في مدينة واحدة من مدن فرنسا ويستخرج من هذه المقابلة درجة ارتقاء بلاده وارتقاء الفرنسيين وتؤدي به هذه المقابلة الى الحكم بالخطأ الشرق في كل شيء ، ولا سيما في الأمور العقلية ، ليس غرضنا في هذا المقال المناقشة والمجادلة ، فقد يخطئ كرد علي في حكمه ، ان بلاد الشرق التي ذكرها كانت في أوّل نهضتها ولذلك فان عدد صحافتها قليل ، أمّا فرنسا فقد كانت في أيام رحلته تذوق نعمة الحرية من زمن بعيد ، فلا تصح المقابلة بين بلاد في أوّل نهضتها وبين بلاد في عزّ النهضة ، غير أن كرد علي لم يتحسّر هذا التحسّر إلا ليحمل بلاده على الأخذ بأسباب حضارة الغرب ، فهو لم يرحل الى الغرب إلا ليعود الى بلاده وينفخ فيها روح الاقتباس .

لقد كثرت دهشات كرد علي في رحلته ، دهش من حضارة الغرب حتى كاد يحسبها من باب الحلم والخيال ، ولا غرابة في ذلك فقد خرج من بلاد كلها ظلمات ، الى بلاد يستفيض فيها النور ، فقابل على حين لا تصحّ المقابلة في هذا الوجه ، ولكنه لم يقابل إلا ليحضر أبناء وطنه على الاقتباس من مدينة الغرب على نحو ما أشرت إليه ، ولا بدّ من الإشارة في هذا المقام الى أن فرنسا التي

دهش كرد علي من حضارتها في رحلته اليها من نصف قرن كانت سمعتها تملأ الأرض ، فلم يكن الناس يعرفون عنها في تلك الأيتام ما عرفوه عنها في هذا العصر من أساليبها في الاستعمار .

ليس هذا موضوعنا ، انرجع الى لب الموضوع ، لقد كان لاتصال الشرق بالغرب أثر قوي في نهضتنا الحديثة ، كان كرد علي يرى ما يرى من سياسة الغرب ومذاهبه في الاجتماع والعلم والصناعة والزراعة والاقتصاد وغير ذلك من مظاهر الحياة فيدرس ويختبر ثم يستنبط من دراسته واختباره عبرة صالحة لينفع بها قومه ومجتمعه ، فالكتاب الثلاثة الذين أشرنا إليهم في هذا المقال غرضهم من رحلاتهم الرجوع بخواطر وأفكار تنهض ببلادهم ، وكما تحسّر الشدياق على تأخر بلاده فكذلك تحسّر كرد علي :

« فيارب ! ما هذه الروح التي تجرّد منها جسم الشرق ومسرّت في عظام الغرب وشرابينه ، فأنى أهله بالعظام ونحن بقينا جامدين ، مبهوتين ، منحلّتين ، متضائلين ! »

وإئن كان هؤلاء الكتاب الثلاثة مادّة خصبة من مواد نهضتنا الحديثة بسبب رحلاتهم لقد كان لكل واحد منهم أسلوب خاص في النظر الى حضارة الغرب والحكم عليها ودرجة الاستفادة منها والافتباس عنها ، فالطهطاوي غلبت عليه نزعة دينية ، فقد تمسكّ باسلامه فلم يستحسن من أمور الافرنجة إلا ما كان الاسلام يسمح باستحسانه والشدياق غلبت عليه السخرية فهو يسخر بالغرب اذا رأى ما يحمل على السخرية وبِعَظَم منه ما يستوجب التعظيم وأما كرد علي فقد بلغت دهشته من حضارة الغرب كل مبلغ بحيث كاد لا يرى فيها إلا حسنات ، وكيف كان الأمر فإن هؤلاء الأئمة الثلاثة كانوا في مقدمة من بنوا نهضتنا الحديثة ، فقد نقلوا الى الشرق ما وقفوا عليه من كثير من أمور الغرب في كل باب من الأبواب ، فكان لرحلاتهم انعكاس على عقول أهل البلاد .

## ثقافة الأطباء عند العرب

لم أعر في الكتب العربية الطبية على بحث خاص يربنا كيف كان أطباء العرب في عصورهم العلمية وحضارتهم الزاهية يهينون أنفسهم لدراسة علم الطب وماذا يتعلمون من كتبه الموجودة في زمنهم .

وانا وان كنا نعرف الكثير عن البجاستانات والمشافي وأقسامها وفروعها وإدارتها وأطبائها وما يلحق بها من معاهد للتدريس والتعليم ، ولكننا لا نعرف بالضبط ما هي العلوم التي كانوا يدرسونها وكيف كانت تجري امتحاناتهم ؟ .

ولأهمية الموضوع وجدت ضرورة للبحث في مختلف المراجع القديمة والتراجم الطبية<sup>(١)</sup> علني أهندي اليه ، وإلى معرفة العوامل التي أدت إلى ازدهار العلوم الطبية والعلوم الطبيعية وغيرها وما كان لأطباء العرب من نصيب في هذا المضمار . والذي انضح لي بعد كل جهد أن أطباء العرب في القرون الخمسة الأولى من حضارتهم كانوا ( انسكلوبيدين ) أي ( موسوعيين ) بمعنى أنهم كانوا يتعلمون

- 
- (١) كمبون الأنباء في طبقات الأطباء لموفق الدين أبو المباس بن أبي أصيمة المتوفى سنة ٥٦٨٨ هـ - ٢ - وتاريخ الحكماء لظهر الدين البيهقي المتوفى عام ٥٦٥ هـ .  
٣ - وإخبار العلماء بأخبار الحكماء لجلي الدين اللقطي المتوفى عام ٦٤٦ هـ .  
٤ - وكتاب البجاستانات في الاسلام للدكتور أحمد عيسى . ٥ - والطب عند العرب للأستاذ خير الله . ٦ - وكتاب الأعلام لحبير الدين الزركلي .  
٧ - والحضارة الإسلامية لكردي علي . ٨ - وتاريخ التمدن الإسلامي لجرمي زيدان .  
٩ - ودائرة المعارف البريطانية ١٠ - وكتاب وفيات الأعيان لابن خلكان .  
١١ - وقانون حوراني المؤلف .

علومًا عديدة يضيفونها الى ثقافتهم الطبية العامة والخاصة التي بلغوا فيها شأواً عظيماً<sup>١</sup> ما زالت آثاره الخالدة مسطرة في كتبهم ومعاهدهم ومؤسستهم .

واذا نساء لنا لماذا كانوا يتعلمون تلك العلوم التي كان أولها وأهمها اللغة العربية والصرف والنحو والإعراب والبيان والبديع والبلاغة ، ثم العلوم الأدبية كالشعر والأدب والروايات ، ثم العلوم الاجتماعية كال تاريخ والتراجم والسيرة والقانون والقضاء ، ثم العلوم السياسية كنظام الحكم وأصول الإدارة والعلاقات الدبلوماسية ، ثم العلوم الفلسفية كالمنطق وعلم النفس وما وراء الطبيعة وعلم الأخلاق واللاهوت . ثم العلوم الرياضية كالحساب والجبر والهندسة والفلك والمثلثات ، ثم العلوم الطبيعية كالكيمياء والنباتات والحيوانات وعلم المعادن وعلم الأقاليم والمياه ، ثم يتعلمون العلوم الطبية كالقتريج ، والطب الداخلي وأمراض الجلد ، وعلم الجراحة وعلم الولادة وأمراض النساء ، وعلم الفسيولوجيا ، والصحة ، وأمراض العيون ، ومفردات الطب ، والأقرباذين ، والصيدلة وغيرها<sup>(١)</sup> . أقول اذا نساء لنا عن السبب لم نجد جواباً إلا أن عصرهم كان يحتم على أكثرهم دراسة هذه العلوم مع علوم الطب تبعاً لأصول التحصيل الجاري في زمنهم ، واستجابة لحاجات الناس الذين يعتبرون الطبيب ملماً وعارفاً بكل شيء . أما كيف وصلوا الى غاياتهم فكتب التاريخ والتراجم تدلنا على أن أطباء العرب اتبعوا أساليب اليونان في ثقافتهم التي لم تقتصر على الطب والطبابة بل تناولت ما ذكرناه من العلوم

(١) ومع تداخل المهنة الطبية كان بينهم من اشتغل في السياسة والوزارة ، ومنهم من كان ندياً خاصاً للوك والأمرء والوزراء ، ومنهم من كان معلماً منفصلاً للعلم والبحث والتجربة والاستقراء ، ومنهم من تداخل الطب ثم تركه واشتغل في الفقه والتدريس ، ومنهم من تصوف والقطع عن الدنيا ، ومنهم من كان موسيقاراً أو شاعراً ، ومنهم من اشتغل في الفلك والرصد والرياضيات .

المتعددة والفنون المشهورة كما هو المعروف عن أبقراط<sup>(١)</sup> ، وسقراط<sup>(٢)</sup> ، وأفلاطون<sup>(٣)</sup> ، وأرسطو<sup>(٤)</sup> ، وجالينوس<sup>(٥)</sup> أئمة العصور اليونانية والرومانية وكما هو معروف عن أئمة أطبائنا كالفارابي ، وابن رشد ، وابن سينا ، والرازي ، والزهرى ، والزهرادى ، وابن البيطار ، وابن حزم ، وابن أبي أصيبعة ، وابن خلدون وغيرهم .

وسببه كما قلنا تأثير المجتمع وحاجات الزمن وطبيعة الثقافة التي فرضت على الطبيب أن يكون حكيماً عبقراً بما وصلت اليه معارف الزمن ، ماهراً في صنعه ، ذكياً في تدقيقاته وتحرياتة ، فيلسوفاً في أفكاره ، وتصرفاته ، إنسانياً في معاملاته ، مدنياً في أخلاقه ، وعليه أن يمثل الفضيلة في سيرته ، وأن يتصف بالخصائل التي تجعله قدوة في النظافة وأدب المحادثة ، وجدبة العناية ، وكنم السر ، وخدمة المحتاج .

وعليه أن يكون بعيداً عن الأذى والضرر وسوء النية ، لا يقصر في معونة من يحتاجون الى علمه ، ورأيه وتدبيره ، كفوفاً في صنعه ، شريفاً في معاملاته . وكما صفات حميدة لا يستغرب من المجتمع الانساني إن تطلبها من أطبائه

(١) أبقراط Hippocrátés يعتبر أبا الطب وواضع أساماته ، ولد عام ٤٥٠ ق.م

(٢) سقراط Socrátés أشهر حكماء اليونان ولد عام ٤١٨ ق.م وتوفي عام ٣٩٩ ، وعلم في أثينا وكان يلقى دروسه في الأزقة والشوارع وبين الجماعات ثم تألب عليه السوفسطائيون وجروه أمام الحكم فحكم عليه بشرب السم وهو في السجن فشربه ومات .

(٣) أفلاطون Platon فيلسوف وطبيب يوناني ولد عام ٤٣٠ ق.م وتوفي عام ٣٤٧ قبل الميلاد .

(٤) أرسطو Aresto فيلسوف وطبيب من أكبر فلاسفة اليونان ولد في عام ٣٨٤ ق.م وتوفي عام ٣٢٢ ق.م

(٥) جالينوس Galinus من اعظم أطباء اليونان ولد عام ١٣١ بعد الميلاد وتوفي عام ٢٠١ .

فما مضى والآن ، لأن علم الطب كان في جميع العصور التي مرت على تطوّر البشرية ورفي الإنسان معدوداً من أرقى العلوم وأهمها ، ومعاطاة الطب كانت ولا تزال من أشرف المهن ، والطبيب العالم الخاذق الفاضل كان ولا يزال صاحب الاعتبار والتقدير في مجتمعه وبين أفراده ، لأن يده تخفيف الألم وإزالة شفاء السقام أو تعديله ، وجبر الكسر ، وبتر الفاسد ، ومداداة العلة ، وحفظ الصحة ، ووقاية الجسم ، وتشخيص المرض ، ومحاربة الوباء ، ومعالجة الجروح ، وإعادة النفوس العليلة الى حالها الطبيعي .

وإذا كانت تلك الخصال والمزايا والعلوم من ضرورات العصر اليوناني ومن ضرورات العصور العربية ، وكانت أيضاً من ضرورات العصر المصري والبابلي والآشوري والایراني فلماذا لا تكون من ضرورات عصرنا وإن تطوّرت وتنوعت ثقافة أطبائنا وأصبحت ذات فروع وذات اختصاص ، ولها معاهد ومؤسسات ومختبرات ، ولها أدوات ومعدات ؟ أليست الفضائل التي كانت مطلوبة من الأطباء الأقدمين هي ذات الفضائل التي تتطلبها ويجب أن نتطلبها من كل طبيب اليوم وغداً وفي يدهم أرواحنا وحياتنا ؟ وإذا كانت أساليب تعليمنا الطب قد تغيّرت اليوم وفاقت ما كانت عليه ، وثقافتنا الطبية قد اتسعت آفاقها وارتقت مقاييسها العلمية فهل من الضروري أن تتغير أخلاقنا الطبية وخصالنا المهنية ، وواجباتنا الأدبية ؟

قبل الإجابة على هذا السؤال المهم سلباً أو إيجاباً ، وقبل بيان ماهية ثقافة أطبائنا العرب ، يتحتم علينا - ولو بصورة وجيزة - استعراض نشأة الطب من أقدم الأزمنة حتى أيام العرب الزاهية ، وبيان ما كانت عليه نظرة المجتمع الى الأطباء ومهنتهم ، وما هي مجمل الفضائل التي كانوا يتحلّون بها ؟ .

تذكر كتب التاريخ والحضارة أن الكهنة في مصر وابل وآشور والهند



والصين كانوا يمارسون الطب ويعلمونه ويعرفون خواص الأعشاب وكيفية استعمالها ، وكانوا يتوارثون المعرفة والمهنة خلفاً عن سلف ، ويتعلمون معها السحر والتنجيم وعلم الكيمياء ، وعلوم الدين وما يتصل بالعبادات والطقوس والشرائع ، ويتعاطون التطبيب كما يتعاطون خدمة الهياكل والمعابد ، والآلهة والأصنام .

وكان لهؤلاء الكهنة الأطباء وسدنة الهياكل والمعابد صفة القداسة وسلطة القضاء والحكم بين الناس .

وكان الكهنة يعتبرون الطب والطبابة ومعرفة الكيمياء من الأمور السرية المقدسة التي لا يجوز إباحتها لكل طالب ، لأن لها أسرارها وأصالتها ، وأدعيتها ، وتعاونيها ، فلا يعلمونها إلا من كان من أولاد الملوك أو الأمراء أو من طبقة الأشراف النبلاء ، ويتحلقون بالصفات المؤهلة التي تمكنهم من أن يكونوا خدمة الآلهة والملوك وخدمة الطبابة تقديساً للعلم والطب والطبابة ورفعاً لدرجاتها واعتبارها .

وفي أيام البابليين كانت أهل المرضى يضعون مرضاهم في الشوارع العامة ويعرضونهم على المارة لعل واحداً منهم يكون قد أصيب بما أصيب به المريض ثم شفي من دائه فيصف للواقفين ما استعمله من العقاقير والأدوية والأعشاب والتعاونيد والأدعية حتى زال عنه المرض وتخلص من الروح الشريرة التي كانت سبباً لمرضه ، فيدونون ما قاله على ألواح مشوبة من الآجر ويسلمونها الى سدنة الهياكل ليحفظوها ويضيفوها الى غيرها من الألواح التي اكتشف علماء الآثار الكثير منها .

ولعل ما حدث في الماضي السحيق يحدث مثله اليوم بين القبائل المتوحشة التي تعيش في حالة بدئية في مجاهل افريقيا وأمريكا الجنوبية ، وفي صحارى

أستراليا ، وفي آسيا وجزر الهند ، فان مرضاهم يلجأون الى الكهنة والسحرة لمدادواتهم وطرد الأرواح الشريرة عنهم .

وعما خلَّده المصريون والبابليون والهنود من آثار وكتب وروايات نستطيع أن نقول بأن تاريخ الطب قد بدأ في عصور تلك الأمم وأمثالها ومن أتى بعدها . وبدلنا تاريخ اليونان على أن الطب أيام (اسقولايبوس<sup>(١)</sup>) انحصر فيه وفي أولاده وعائلته التي انحدر منها (أبقراط<sup>(٢)</sup>) ، وتدلنا وصية أبقراط وهي الميثاق الخالد في عالم الطب على وجود النظام الوراثي في تعاطي الطب ومعاطاته . على أن هذا الانحصار العائلي لم يتبدل إلا في زمن (أفلاطون<sup>(٣)</sup>) الذي أنشأ (الأكاديمية) للعلوم والطب والفلسفة والرياضيات في (أثينا) وخصها بتلامذته ومريديه يؤمنونها ويحضرون دروسه . وكانت أبواب (الأكاديمية) مفتوحة لأبناء الشعب ولكن لا ينتسب إليها إلا من توجد فيه الأهلية والجدارة لتحصيل العلم من أبناء اليونان .

وجاء في المصادر المصرية بأن سكان مصر هم أقدم من تعاطى صناعة الطب لاعتقاد ملوكهم وكهنتهم وعلمائهم أن الروح عائدة الى الجسم بعد مفارقتها له اذا بقيت الأجسام سليمة من الفناء .

وبدافع هذه العقيدة اشتغلوا بأمر التحنيط واكتشفوا ما يلزم له من مواد كالزبوت العطرية ، والراتنجية ، والدهنية ، والمعدنية ، وكانوا يستعملون معها

(١) أسقولايبوس Asclepius إله أسطوري عند اليونان ويقال انه ابن «أبوللو» أبو الآلهة . وكانت أمه حورية اسمها كوروليس ، ووصفه هوسر بأنه طبيب ماهر وكان يمثل في المابد ويعبد ، وله ابنة هي إلهة الصحة اسمها هياجين وولده هو إله الشفاء .

(٢) أبقراط Hippocrátès .

(٣) أفلاطون Platone عاش في سني ٤٣٠ - ٣٤٧ ق.م

الكافور وزيت الصندل ، والمر ، وحصى اللبان ، ومر كبات الزبيق ، ومر كبات الذهب ، والأتنيحون ، والأرسنيك الطبيعي ، وأملاح الكور والصوديوم والبوتاس ، والرصاص ، والبور كس والنطرون وغيرها من المواد العضوية وغير العضوية لاحكام عملياتهم الكيميائية الدقيقة المعقدة .

وأشهر من عرف من أطباهم (هرمس الأول<sup>(١)</sup>) الذي ألف اثنين وأربعين كتاباً مقدساً كان منها ستة في الطب وتركيب البدن وأعضائه ، ولا سيما في العينين وفي الجراحة والآلات الجراحية المستخدمة لتوليد النساء ، ومعالجة أمراضهن . وكان يعتقد أن المعارف والمقتنيات والحقن من مقصات المرض وموجبات الشفاء .

ثم جاء من بعده وسار على منواله الهرماسة الثلاثة الذين أورد ذكرهم صاحب طبقات الأطباء وكان أقدم كتاب طبي عرف عند المصريين « رسالة في التشريح » ورسائل طبية عديدة تأليف (أنوثيس بن متيا) من ملوك الدولة الأولى المصرية .

وتدلنا شريعة حمورابي المؤرخة في حدود عام (٢٠٨٤ - ٢٠٨٠) قبل الميلاد على أن البابليين كان لهم أطباء وجراحون ، وكحالون ، وبياطرة ، وكانت أجرة الطبيب والجراح والبيطري معينة ومنصوصاً عليها في مواد الشريعة ، وكذلك ورد فيها عقاب من يسيء عمله عمداً أو جهلاً .

وفي القرن السابع من الميلاد اكتشفت فيما بين النهرين (دجلة والفرات) إحدى المدارس التي كان يدرس فيها الطب .

(١) هرمس Hermés هو الاسم اليوناني للإله (طوت أونوت) المصري ويقال الاسم أيضاً لرجل من حكماء مصر نسب إليه بعض الكتب الطبية . والهرماسة عدة أشخاص اشتهروا كلهم بالطب والعرب تسمي (هرمس الأول) ادريس وهو من بابل .

والبابليون أول من بنى أساسات المعالجة على الأمزجة الأربعة<sup>(١)</sup> والأخلاق الأربعة<sup>(٢)</sup> وأول من مارس الاختصاص في مهنة الطب . وكانوا كالمصريين يستعملون بالأدوية والتعاويذ والرقى والسحر لشفاء الأمراض وطرد الأوبئة وإخراج الأرواح الخبيثة من المصابين بالصرع أو الجنون . وكان التنجيم عندهم من جملة الوسائل لشرب الدواء وقطف الزهور وجمع الأعشاب وتعيين وقت العمل ووقت تناول ، ووقت الفصد والحجامة .

ولما ازدهرت حضارة اليونان كان «أبقراط» المولود عام ٤٦٠ قبل الميلاد أول من ألّف كتب الطب وأول من فصله عن الدين ، وأول من جعل مصدر الأمراض الغذاء والهواء . وكان طبيباً ماهراً وله مدرسة يدرس فيها الطب ، وعيادة خاصة يداوي فيها مرضاه . وقد عرف عنه أنه كان يعتمد في معالجة المرض ومداواته على المشاهدة والتجربة . ومن تعاليمه : ( أن الأمزجة<sup>(٣)</sup> أربعة ، والعناصر<sup>(٤)</sup> أربعة ، وخواص الأشياء<sup>(٥)</sup> أربعة ) ، وكان يعتني بالصحة والتشخيص ، وبمعاطى التشريح والجراحة ، وامتاز في عملياته .

وذكر التاريخ أن «أبقراط» سكن مدينة حمص ، وذهب منها الى دمشق ، وأقام فيها في بستان غربي الصالحية في محل يسمى ( قبة اليسار<sup>(٦)</sup> ) . وهو واضح

(١) الأمزجة الأربعة : المزاج الصفراوي ، والمزاج الدموي ، المزاج البلغمي ، والمزاج السوداوي .

(٢) الأخلاق الأربعة : الدم ، والبلغم ، والمرّة الصفراء ، والمرّة السوداء .

(٣) الأمزجة الأربعة : الدموي ، والبلغمي ، والصفراوي ، والسوداوي .

(٤) العناصر الأربعة : هي النار ، والهواء ، والماء ، والتراب .

(٥) خواص الأشياء الأربعة : حار ، بارد ، ورطب ، ويابس .

(٦) قبة اليسار ( ولها اليسار ) : محل بالقرب من (دير سريان) ذكره القفطي في أخبار الحكماء وفي معجم البلدان ( ٤ - ١٧٢ ) هو الدير السكاني بالقرب من دمشق على تل مشرف على ضارح الزعفران ورياض حسنة وبنائه بالجبس وأكثر فرشته بالبلاط الملون وهو دير كبير وفيه رهبان ومدحه الصوري . ويوجد دير آخر بهذا الاسم واقع على جبل يشرف على ( كفرطاب ) قرب المرة ، ويقال ان فيه قبر عمر بن عبد العزيز .

الميثاق الطبي الشهير الذي طلب من تلامذته أن بقسحوا عليه ويعملوا بموجبيه ، وقد بقي منذ ذلك العهد حتى زمننا الحاضر عهداً يقسم عليه الأطباء في كلياتهم وجامعاتهم أمام أساتذتهم قبل أن يخرجوا ويمارسوا مهنتهم .

ما هو هذا القسم ؟

جاء في كتاب (طبقات الأطباء) للطبيب ابن أبي أصيبعة أن محتويات القسم هي ما يأتي :

« اني أقسم بالله رب الحياة والموت وواهب الصحة وخالق الشفاء ، وكل علاج ، وأقسم بأسقليوس ، وأقسم بأولياء الله من الرجال والنساء جميعاً وأشهدهم جميعاً ، على اني اني بهذا العهد وهذا الشرط ، وأرى أن المعلم لي هذه الصناعة بمنزلة أبي وأواسيه في معاشي واذا احتاج الى مال واسبته وواصلته من مالي الخاص ، وأما الجنس المتنازل منه فأرى أنه مساو لاخوتي ، وأعلمهم هذه الصناعة ان احتاجوا الى تعلمها بغير أجره ولا شرط ، وأشرك أولادي وأولاد المعلم لي والتلاميذ الذين كتب عليهم الشرط وحلفوا بالناموس الطبي في الوصايا والعلم وصائر ما في الصنعة ، وأما غير هؤلاء فلا أفل به ذلك ، وأقصد في جميع التدبير بقدر طاقتي منفعة المرضى ، وأما الأشياء التي تضرهم وتدني بالجور عليهم فأمنع منها بحسب رأبي ، ولا أعطي اذا طلب مني دواء قتالا ولا أشير أيضاً بمثل هذه المشورة ، وكذلك أيضاً لا أرى أن أدني من النسوة فرزجة<sup>(١)</sup> نسقط الجنين وأحفظ في نفسي في تدبيري وصناعتي على الذكاء والطهارة ، ولا أشق أيضاً عمن في مثاته حجارة ولكن أترك ذلك الى من كانت حرفته هذا العمل .

(١) الفرزجة : هي التعميلة التي تحملها المرأة لاسقاط الجنين وفي الغالب تكون من

« وكل المنازل التي أدخلها إنما أدخل إليها لمنفعة المرضى ، وأنا بحال خارجة عن كل جور وظلم وفساد ارادي مقصود اليه في سائر الأشياء ، وفي الجماع للنساء والرجال الأحرار منهم والعبيد . وأما الأشياء التي أعاينها في أوقات علاج المرضى أو أسمعا في غير أوقات علاجهم في تصرف الناس من الأشياء التي لا ينطق بها خارجا فأمسك عنها وأرى أن مثالها لا ينطق به » .

ويظهر أن أبيقراط لم يكتف بهذا القسم بل توكدأ له وضع ناموساً لتعاطي الطب ، ووضع وصايا لمن يريد أن يكون طبيباً وأبداه العرب في قسمه وناموسه ووصاياه واتبعوها قولاً وعملاً .

أما الناموس<sup>(١)</sup> فقد قال فيه : « ان الطب أشرف الصنائع كلها ، إلا أن نقص فهم من ينتحلها صار سبباً لسلب الناس إياها لأنه لا يوجد لها في جميع المدن عيب غير جهل من بدعيها من ليس بأهل للتسمي بها . إذا كانوا يشبهون الأشباح التي يضرها أصحاب الحكاية ليلهاوا الناس بها ، فكما أنها صور لا حقيقة لها ، كذلك هؤلاء الأطباء بالامم كثيرون وبالفعل قليل جداً . وينبغي لمن أراد تعلم صناعة الطب أن يكون ذا طبيعة جيدة مؤاتية وحرص شديد ورغبة تامة ، وأفضل ذلك كله الطبيعة لأنها إذا كانت مؤاتية فينبغي أن يقبل على التعليم ولا يضجر لينطبع في فكره ويثر ثماراً حسنة مثل ما يرى في نبات الأرض . أما الطبيعة فمثل التربة وأما منفعة التعليم فمثل الزرع ، وأما تربية التعليم فمثل وقوع البذر في الأرض الجيدة ، فتمت العناية في صناعة الطب بما ذكرنا ثم صاروا الى المدن لم يكونوا أطباء بالامم بل بالفعل . والعلم بالطب كنز جيد وذخيرة فاخرة لمن علمه مملوء سروراً ، مرآ وجهر ، والجهل به لمن انقلبه صناعة سوء وذخيرة ردية عديم السرور ، ودائم الجزع ، والتهور ، والجزع دليل على الضعف ، والتهور دليل على قلة الخبرة بالصناعة » .

(١) نقلاً عن ابن أبي أصيبعة : ١ - ٢٦ .

وفي الرصية قال : « ينبغي أن يكون المتعلم للطب في جنسه حراً ، وفي طبعه جيداً ، حديث السن ، معتدل القامة ، متناسب الأعضاء ، جيد الفهم ، حسن الحديث ، صحيح الرأي عند المشورة ، عفيفاً ، شجاعاً ، غير محب للمال ، مالكاً لنفسه عند الغضب ، ولا يكون تاركاً له في الغاية ، ولا يكون بليداً ، وينبغي أن يكون مشاركاً للعليل ، مشفقاً عليه ، حافظاً للأسرار ، لأن كثيراً من المرضى يوقفونا على أمراض بهم لا يحبون أن يقف عليها غيرهم ، وينبغي أن يكون محتملاً للشذبة لأن قوماً من المبرسمين <sup>(١)</sup> وأصحاب الوسواس - السيداوي ) يقابلوننا بذلك . وينبغي أن نحتلمهم عليه ونفهم أنه ليس منهم ، وأن السبب فيه المرض الخارج عن الطبيعة ، وينبغي أن تكون ثيابه نقية ومعشره سالياً » . وتأيداً لما تقدم أذكر اعتقاد أطباء العرب فيمن يريد أن يكون طبيباً . قال الطبيب مذهب الدين أبو الحسن علي بن أحمد بن علي بن هبل البغدادي المتوفى عام ( ٦٢٠ ) هجري في كتابه « المختارات الطبية » <sup>(٢)</sup> :

- (١) المبرسم : مشتق من البرسام - وهو التهاب في الحاجز الواقع بين الكبد والأمعاء ، والمبرسم من يصاب بهذا الداء . وأصل الكلمة دخيل على العربية وهي مركبة من « بر » ومعناه الصدر بالفارسية و « سام » ومعناه ( الموت ) .
- (٢) وما جاء في وصايا البغدادي يتفق مع ما جاء في وصايا عميد أطباء القاهرة ( ابن رضوان ) الذي اشترط على الطبيب أن يكون متحلياً بسبع خصال ، هي :
- « ١ - أن يكون تام الخلق صحيح الأعضاء ، حسن الذكاء ، جيد الرؤية ، عاقلاً ، ذكوراً ، خيراً الطبع . ٢ - أن يكون كفوياً لأسرار المرضى لا يروج بشيء من أمراضهم . ٣ - أن يكون حسن اللبس ، طيب الرائحة نظيف البدن والثوب . ٤ - أن تكون رغبته في إبراء المرضى أكثر من رغبته فيما يطمسه من الأجرة ، ورغبته في علاج الفقراء أكثر من رغبته في علاج الأغنياء . ٥ - أن يكون حريصاً على التعاليم والمبالغة في منافع الناس . ٦ - أن يكون سليم القلب ، عفيف النظر ، صادق الهمجة ، لا يخطو بياله شيء من أمور النساء والأموال التي شاهدها في منازل الأعلام فضلاً عن أن يتعرض لها أو إلى شيء منها . ٧ - أن يكون مأموناً ثقة على الأرواح والأموال ولا يصف دواء قتالاً ولا يسهله . ولا دواء يسقط الأجنة . يعالج عدوه بنية صادقة كما يعالج حبيه . » ابن أبي أصيبعة - جزء ٢ ص ١٠٢ - ١٠٣ .

« ان لكل واحد من الناس حداً من الاستعداد في قبول العلوم والصنائع بحسبه يكون مطبوعاً فيها ، فاذا توفر على ما هو مستعد له ومطبوع فيه انتفع به ونفع ، وان بعداه الى غيره ضرر واستضرر ، والصنائع والعلوم تنمى وتزيد بوقوعها الى المستعدين المطبوعين فيها ، وتنقص وتفسد بوقوعها الى غيرهم . ويعرف المطبوع في الحكمة بصحة مزاجه وتناسب أعضائه وطهارة أخلاقه » .

« مجلد ٢ ص ٦ » .

ويضيف على قوله :

« وما يتمتع به حتى يوثق بعلمه وعمله أن ينظر فيما اذا أنفق زمانه في الماضي في الاشتغال بهذه الصناعة وملازمة خدمة الكبراء من هو أهل لها ، وطول ملازمتهم والقراءة عليهم والعلاج بين أيديهم ، والتدرب في الدخول على المرضى في بيوتهم ، وملازمة خدمة البيمارستانات التي يجتمع فيها حذاق الأطباء وكثرة نظره الى معالجة الأستاذ فيشار اليه ويعول عليه . وكذلك هل يبني عليه الناس لحسن سيرته وديانته ، وان همته اذا خلا في بيته مطالعة الكتب ودراسة هذه الصناعة ، وأنه غير مشتغل باللهو واللعب والشرب وموازرة السكر ، ولا يبعث هذه الخلل المذمومة التي تستغرق الزمان بالتضييع ، والخطار بالتوزيع ، فان كان ينسب الى شيء من ذلك فلا ينبغي أن يوثق اليه ولا يعول عليه في هذه الصناعة » .

وهو قول اذا نظرنا اليه بعين تلك الزمن وبعين زماننا وبعين التحليل السيكولوجي والصحي والمسلكي نجده متوافقاً مع قسم ابيقراط ومع ناموصه الطبي ومع وصاياه ومع ما كانت تتطلبه المصور العربية في معاهدها وبيمارستاناتها من أطباء ، ومع ما نسعى الى تحقيقه والعمل به معاهدنا العلمية الحديثة في تنشئة الأطباء وتهذيب أخلاقهم وتربيتهم الصناعية لأنه قول صادر عن تجربة وعلم ، ونفس



نذرت نفسها للتعليم والتدريب والتفتيش وخدمة المهنة ، وخدمة الإنسان والإنسانية . وبعد هذا لنعد الى متابعة بحثنا عن تطور الطب ونشأة الأطباء ، فأقول : ومن بعد أفلاطون ظهر أريسطو الذي ولد في عام ٣٨٤ قبل الميلاد ومات في عام ٣٢٢ وكان من أعظم فلاسفة اليونان وهو وإن لم يكن طبيباً ولكن تعاليمه أثرت تأثيراً عميقاً في تقدم الطب وفي ذهنية العرب فدعوه المعلم الأول . ويذكر متنبع حيانته وآثاره أنه ألف في مواضيع عديدة تتعلق بالطب كعلم الأحياء ، وعلم التشريح المقارن ، وعلم الفسيولوجيا ، وعلم الأجنة ، وعلم الحيوان ، وعلم النباتات ، علاوة على ما ألفه في الفلسفة والمنطق والبيان والسياسة وعلم النفس وعلم الأخلاق .

وكان أستاذاً مصرياً لاسكندر الكبير في صغره ولما تولى اسكندر زمام الحكم ، وقاد جيشه لفتوحات اتخذ معلمه مشاوراً له في إجراءاته وأموره السياسية . وقد اشتهر أريسطو بالولع العلمي والتحري الواسع والدقة العلمية والتهج الرتيب . وفي أيامه أنشأ الاسكندر مدينة الاسكندرية عام ٣٣١ قبل الميلاد وأنشأ معها مدرسة الاسكندرية التي ارتقت ارتقاءً عظيماً في عهد البطالسة وبقيت مناراً للعلم ونشره ومعهداً لتخريج العلماء والفلاسفة والأطباء والحقوقيين حتى الفتح الاسلامي عام ٦٤٢ ميلادية . ومن هذه المدرسة تخرج الأطباء ( هيروفيلس ، وارسطرارطس ) واشتهروا بترقية علمي التشريح والفسيولوجيا ، وتخرج منها ( جالينوس <sup>(١)</sup> ) أعظم طبيب ترجم له العرب وأخذوا عنه أيام الأمويين لأنه كان خاتمة الأطباء الكبار الثانية الذين اشتهروا في هذه المدرسة .

وفي طبقات الأطباء يقول الطبيب ابن أبي أصيبعة : « ان جالينوس لما ظهر وجد صناعة الطب قد كثرت فيها أقوال الأطباء السوفسطائيين ، وانمحت

(١) جالينوس Galinus ولد عام ١٣١ وتوفي عام ٢٠١ . له اكتشافات خطيرة في التشريح ، اهتم به أئمة أطباء العرب .

محاسنها ، فانتدب لذلك وأبطل آراء أولئك وشيد أقوال (أيقراط) وآراءه وآراء التابعين له ، وصنف في ذلك كتباً كثيرة كشف فيها عن مكنون هذه الصناعة ، وأفصح عن حقائقها ونصر القول الحق فيها ، ولم يجي بعده من الأطباء إلا من هو دون منزلته ومتعلم منه » .

وكانت مدة حياة جالينوس على رأي الطبيب النحوي سبعة وثمانين سنة ، منها صبي ومتعلم (١٧) سنة ، وعالم ومتعلم (٧٠) سنة . ولكن جالينوس يقول عن نفسه في كتابه (مراتب قراءة كتبه) : «ان أبي لم يزل يؤدبني بما كان يحسنه من علم الهندسة والحساب والرياضيات التي تؤدب بها الأحداث حتى انتهت من السن إلى خمس عشرة سنة ، ثم انه أسلمني في تعليم المنطق وقصدني حينئذ في تعليم الفلسفة وحدها ، ثم رأى رؤيا دعتني الى تعليمي الطب فأسلمني في تعليمه وقد أتت علي سبع عشرة سنة ، وبعدها تعلمت الطب ونعاطيته حتى بلغت الثماني وثلاثين سنة .

وكان جالينوس عبقرياً واسع المعلومات ، ذرب اللسان ، كتب الكثير في مختلف المواضيع الطبية المعروفة في زمانه انما كان ينقصها سلاسة أبيقراط ووضوحه . وكان في حياته ومعبشته يحب الفخفخة ، وطالما ساقه عقله المولّد الى الدخول في عالم الخيال والفلسفة ، ولذلك أتى ببعض الآراء الوهمية غير المعقولة ، وأنت مؤلفاته صعبة الدرس والفهم ، ومع هذا فقد كانت بين المؤلفات الأولى التي نقلت الى العربية ، ترجمها حنين بن اسحق وولده اسحق وابن اخيه حبيبش الأعسم . وكانت مدرسة الاسكندرية جمعت تآليف جالينوس كلها وبوّبتها ووضعتها في ١٦ مجلداً ليسهل درسها ، وذكر ابن أبي أصيبعة أن هذه المجموعة من الكتب المترجمة الى العربية كانت المتداولة بين الناس وفي أيديهم والمعتمد عليها في دراسة الطب ( ككتاب الفرق الطبية ، وكتاب الصناعات الصغيرة ، وكتاب النبط الصغير ، وكتاب «غلوقن» الذي معناه الأزرق كتبه في الثماني اشقاء

الأمراض ، وكتاب في الطعام ، وكتاب في العضل وتشريح العصب ، وتشريح العروق غير الضوارب ، وتشريح العروق الضوارب ، وكتاب الأسطوانات<sup>(١)</sup> وهو يبين جميع الأجسام التي تقبل السكون والفساد وهي أبدان الحيوانات والنبات ، والأجسام التي تنولد في بطن الأرض ، وكتاب المزاج ، وكتاب القوى الطبيعية ، وكتاب العمل والأمراض ، وكتاب تعريف عمل الأعضاء الباطنة « باثولوجيا » ، وكتاب النبض الكبير ، وكتاب أصناف الحميات ، وكتاب البحران ، وكتاب حيلة البرء ، وكتاب علاج التشريح الكبير ، وكتاب فيسيولوجيا الأعضاء ، وكتاب في قوى الأدوية المسهلة ، وكتاب في العادات ، وكتاب في الأدوية المفردة ، وله كتب أخرى في أمور طبية ومسائل تتعلق بالتداوي نظر فيها وفسرها من جاء بعده من الأطباء الاسكندرانيين كاصطفان ، وانقيلانوس ، وجاسيوس ، ومارينوس ، ونادوسسيوس ، وديسقوريدس ، ويحيى الفخوري الذي عاش وخلق زمن عمرو بن العاص في مصر وله كتب عديدة ترجمت الى العربية أيضاً مع كتب ديسقوريدس صاحب الفضل في تعليم وتصنيف مفردات الطب .

وبعد ما انشقت الامبراطورية الرومانية<sup>(٢)</sup> الى مملكتين واضطهد رؤساء الفساطرة السريان الذين كانوا في مدارس أثينا هاجر النسطوريون الى الشرق وكانوا من العلماء والفلاسفة والأطباء وحملوا معهم العلوم اليونانية وثقافتها وسكنوا بلاد الرها وما جاورها وأقاموا فيها مدارسهم .

(١) الاسطوانات : معناها العناصر . وهي عند الأقدمين . ( الماء والأرض والهواء والنار ) وأصلها مأخوذة من اليونانية .

(٢) لم يكن العصر الروماني البيزنطي الممتد من عام ٤٧٦ الى ٧٣٢ بعد الميلاد من العصور التي لها أثر كبير على العرب ، بل كانت المدنية اليونانية خلالها في المحطات والمخمرات تلاميذ أيمرات ، وسوقراط ، وجالينوس في الإدارة .

ومنهم من سكن في نصيبين ، وفنسرين ، وميافارقين ، وأسسوا فيها مدارس علمية وطبية أخرى بلغت خمسين مدرسة ، ومنهم من هاجروا الى جنديسابور من بلاد العجم وأوجدوا أيضا مدرستهم الشهيرة التي تخرج منها الطبيب العربي الشهير الحارث بن كادة أول طبيب في الجاهلية قابل كسرى أنوشروان مع وفد من رؤساء العرب وتحدث اليه ووصف له فضائل العرب ومكارمهم وأجابه على عدة أسئلة سأله عنها ليمنحن معرفته .

وكان الفساطرة ترجوا العلوم اليونانية الى السريانية ، ولما فتح العرب بلاد سورية والعراق ويران ، وفتحوا قلوبهم للعلم وبذلوا الأموال للحصول عليه وصرفوا حياتهم للحصول على كتبه وترجمتها وسافروا لأجل ذلك الى بلاد اليونان ويران والهند والصين وعملوا على ترجمتها ، واستقدموا العلماء والتراجمه لهذه الغاية وللتعليم والتدريس والطبيب ، كانت هؤلاء الفساطرة وغيرهم من خير ما ساعد على ذلك .

والذي نستطيع استنتاجه من كل ما تقدم أن أطباء العرب بدأوا تعلم الطب من الذين كانوا في مدرسة الاسكندرية ابان فتح مصر ، ثم من أطباء الفساطرة الذين كانوا يدرسون في مدارس الرها وغيرها مما ذكرنا أسماءها .

( يتبع )

عبد الرحمن السكيالي

## العلاقات الجوهرية

بين اللغتين العربية والآرامية « السريانية »  
في النواحي التاريخية والفنية واللغوية والأدبية

— ٤ —

ان المرحلة الطويلة التي عاش فيها العرب الفساسة متعدين بالسريان في مناطق سورية وغيرها ، أتاحت أعظم فرصة للقاء اللغتين العربية والآرامية السريانية ولا تصالهما الطويل ، مما كان له الأثر الفعال في كليهما ، وعلى الأخص في بلاد سورية ، وقد بقيت آثاره الى اليوم دائرة على الألسن السورية ، إذ اصطفت اللغة العربية المحكية فيها بصفات سريانية كثيرة منذ تلك العصور الى يومنا هذا .  
وأم الآثار السريانية الآرامية في اللغة العربية المحكية في بلاد الشام على الأخص هي ما يأتي :

١ - قلب (ميم الجمع) الى نون في ضميري المخاطبين والغائبين مثل (أبوكن ، أخوكن ، بيتكن) ، عوض (أبوكم ، أخوكم ، بيتكم) ، ومثل (أبوهم ، أخوهم ، بيتهم) عوض (أبوهم ، أخوهم ، بيتهم) . وذلك مستمد من السريانية الآرامية اذ يقال ( احمص ، اسمص ، حاصص ) كما يقال ( احمص ، اسمص ، حاصص ) وهي صيغة سريانية لا غير .

٢ - اسكان الحرف المتحرك بحركة الاختلاس في وسط الكلمة ، وقد تنقل حركته الى الحرف الذي قبله مثال ذلك : ( علثتك ، عمثتك . ونمته ، زلفته ) وما اليها عوض ( علثتك ، عمثتك . نمته ، زلفته ) كما هي الحال في بقية البلاد العربية .

٣ - اسكان المتحرك في أول الكلمة وفي مواضع أخرى من ذلك :  
( كَنْبِير ، صَنْغِير ، كَبَار ، نَروح ) وهذه توجد في لغة الموصل العامية  
أيضاً ، وهي مستمدة من السريانية لا غير ، لأن هذه الحالة لا توجد إلا في  
اللغة السريانية .

٤ - اعتماد لغة الشام العربية المحكية الى الآن كلمات كثيرة سريانية صرفة  
من ذلك : دَقَر أي ( صَدَم ) ، سَكِر ( أُلغى الباب ونحوه ) ، دَنَق ( نظر ) ،  
فَقَعَ ( انفجر ) ، دَاف ( بمعنى وكف ) ، شَمَط ( استل السيف ونحوه ) ،  
شَطَح ( بسط ، مد ، وامتد ) فَلَش ( هدم ) ، وهذه توجد في عامية الموصل أيضاً ،  
شَقَل ( نقل ، أخذ ) . ومن الأسماء : شوب ( الحر ) ، شَرش ( جذر ) ،  
شَكَارَة ( ما يزرع لأجل القوت القليل ، وهذه توجد في عامية الموصل أيضاً ) ،  
القَاتول ( القاتل ) ، الشَافول ( ما يستعمله الممار لوزن استقامة البناء ) ، القَرطب  
( نوع من الشوك معروف ) .

كل هذه الأفعال والأسماء مستمد من السريانية الآرامية ، وهي فيها في  
هذه الصيغة . ونحن لا ندعي أنها موجودة من عهد الفساسنة العرب كلها ،  
فلا بد أن هنالك ألفاظاً واصطلاحات دخلت اللغة العربية منذ انتشارها بعد  
هروب السريانية من الأُسنة السورية ، ومن هذا القبيل أيضاً أسماء كثير من  
القرى والأنهار والأماكن التي ورثت أسماءها من اللغة الآرامية القديمة .  
وهذه الأمور تكفي للدلالة على تأثير اللغتين احدهما بالأخرى في سيرهما  
جنباً الى جنب كل هذه المدة الطويلة ، وتمازج أهلها في مختلف العصور التاريخية .  
والآن ننقل الى منطقة عربية أخرى هي منطقة نجران في بلاد اليمن السعيدة ،  
فقد تبوأها العرب المسيحيون منذ أقدم العصور المسيحية ، وكانوا متحدنين مع  
الكنيسة السريانية الآرامية في بلاد سورية وغيرها ، وهو ما جعل اتصالاً آخر  
مباشراً بين اللغتين العربية والآرامية بعد الانصالات القديمة التي عرفناها سابقاً .

في مدينة نجران العربية ازدهرت المسيحية <sup>(١)</sup> ، وأقيمت الكنائس الجليلة فيها وفي بقية المدن اليمنية أمثال مأرب والمجران <sup>(٢)</sup> ، وأصابها الشدة بين سنتي ٥١٩ — ٥٢٤ م ذاهما ذو نواس اليهودي فمات فيها وفي سائر المدن المجاورة تقتيلاً وتفظيماً ، واشتهر من الشهداء المسيحيين العرب الشجعان الحارث بن كعب وبضع مئات من الرجال والنساء والأطفال <sup>(٣)</sup> . وكذلك اشتهرت من الشهيدات عقيلة الحارث الشريفة (رومي) ، وقد أثبت خبر شجاعته المؤرخ ميخائيل الكبير نقلاً عن رسالة شمعون الأورشليمي معاصر هذه الحوادث الدامية <sup>(٤)</sup> .

ان المسيحية في نجران والمدن المجاورة لها كانت مسيحية عربية آرامية بآن واحد ، كما كانت قبلها الوثنية وثنية عربية آرامية حيث عبد العرب وعلى الأخص قبائل حمير (الشمس) <sup>(٥)</sup> وهو (شمس) الإله الآرامي القديم ، فنكسرت القبائل العربية في هذه المنطقة متعلقة بالآرامية في عهدها الوثني والمسيحي ، لأن الفرصة أنبتت في كلا المهدين لقاء اللغتين العربية والآرامية ، غير أنه في العهد المسيحي قويت العلاقة بين هاتين اللغتين الشقيقتين ، لأن أهل حمير أخذوا يكتبون بالقلم الآرامي السرياني بدلاً من الخط المسند الشائع عندهم قبل ذلك <sup>(٦)</sup> .

ويظهر من سياق حوادث التاريخ أن أهل نجران كان فيهم كثيرون من بقراؤن اللغة الآرامية ويفهمونها . وقد وجه إليهم العلامة بمقوب السروجي الملفان رسالة ضافية يشجعهم فيها على الثبات في إيمانهم ومكافحة المعتدي الأثيم

(١) الطبري جلد ١ ص ٩١٨ وابن خلدون ، المعبر ٢ ص ٥٩ .

(٢) الدرر النفيسة لفظة البطريك أفرام برصوم ص ٣٩٣ و ٤٩١ - ٤٩٢ .

(٣) ميخائيل الكبير ص ٢٧٤ .

(٤) ميخائيل الكبير ص ٢٧٣ - ٢٧٦ .

(٥) ابن العبري مختصر الدول ص ١٥٩ .

(٦) المكتبة الشرقية للسماوي المجلد ٣ ص ٦٠٣ .

بالصحود في حومة الاسنشهد وذلك في شدة ذي نواس اليهودي سنة ٥١٩ م .  
 وكتبت هذه الرسالة بالسريانية وهذا مطلعها : « الى المجاهدين المختارين ،  
 محبي النصر الحقبي ، عبيد الله المؤمنين الصادقين . . . . في نجران مدينة  
 الحميريين » <sup>(١)</sup> وذكر من أساقفة نجران العرب قس بن ساعدة ( الخطيب العربي  
 المشهور ) كما ذكر من أساقفتها السريان الأسقف فولا الذي كان قد توفي  
 قبل اضطهاد ذي نواس ، فأخرجت عظامه من القبر وأحرقت بأمر هذا الطاغية <sup>(٢)</sup> .  
 وعلى ذكر كتابة الحميريين بالخط السرياني الآرامي تعود فنقول مع الأستاذ  
 ولفسون : إن العرب في عهد جاهليتهم الوثنية كانوا يستعملون الخط النبطي  
 الآرامي المتأخر ، وكانت حضارة العرب الوثنية مرتبطة بالنبط ارتباطاً وثيقاً ،  
 وكان نصارى العرب يستعملون الكتابة النبطية واللغة الآرامية التي كانت  
 لغة العمران والدين عند نصارى الشرق ، وكان أهل نجران على الأخص ،  
 وهم عرب خلص ، يعرفون اللغة الآرامية <sup>(٣)</sup> ، وعلى الأخص في طقوسهم الدينية ،  
 واتصلهم بالكنيسة الأم في سورية وفي غيرها من الأصقاع الكنسية <sup>(٤)</sup> ،  
 وهذا كاف لتأييد رأينا في اتصال اللغتين الساميتين ، وتبادل المادة بينهما كما  
 سنرى فيما يأتي :

وكانت في العراق قبائل عربية كثيرة تسير تحت راية الكنيسة السريانية  
 الأرثوذكسية متحدة معها بالإيمان والعمل ، وأشهرها قبائل تغلب وطي وغمر  
 واباد ، ومن أشهر أساقفتها الأقدمين العلامة الفيلسوف أحودامه ، وكان أسقفاً  
 للمنطقة المعروفة بـ ( باعرباي ) أي ديار العرب ، وهي الواقعة بين الموصل وسنجار

(١) المتحف البريطاني - المخطوطات السريانية رقم ٤٧٢٦ ١١ وورق الرسالة في هذه

المجموعة ١٥ وختال الريحان بقلنا ص ٤٣ - ٤٥ .

(٢) ميخائيل الكبير ص ٢٧٤ .

(٣) ولفسون ص ٢٠٢ .

(٤) تحقيقات تاريخية ص ٢٧ .



ونصيبين<sup>(١)</sup> ، وبعد أن قلده مار يعقوب البرداعي مطرانية بلاد المشرق العامة سنة ٥٥٩ م سار بنفسه الى جنوبي العراق ، فدعى بقية العرب الرحل الى النصرانية ، فهدى جماهير كثيرة منهم الى المسيحية ، وأنشأ لهم دبرين وعدة كنائس<sup>(٢)</sup> . وهذا يدل على أن هذا المبشر كان يتكلم العربية كما كان يتقن لغته السريانية ، ومن المؤكد أنه أنشأ لهم الشعائر الدينية ، هو والكهنة الذين رسمهم لهؤلاء العرب ، باللغة العربية ، كما اشتهر بعده من الأساقفة العرب جرجس أصف العرب الفيلسوف الذائع الصيت<sup>(٣)</sup> ، وسنكتب عنه دراسة وافية إن شاء الله .

على أن أشهر القبائل العربية العراقية هي قبيلة تغلب ، وقد حدثنا التاريخ عن وحدتها مع الكنيسة السريانية الأم في العراق ؛ ورسم البطارقة الانطاكيون السريان لما أساقفة كثيرين ، يتصل بعضهم بنسب عربي والبعض الآخر ينحدر من محمد مربياني ، ومن أولئك الأساقفة يوسف التغلبي الذي رسمه البطريرك بوليان الثالث (٦٨٨ - ٧٠٩ م)<sup>(٤)</sup> . ورسم البطريرك قرياقس التكريتي (٧٩٣ - ٨١٧) ثلاثة أساقفة لهؤلاء العرب ، أولهم الأسقف يوحنا للكوفة ، ثم الأسقف داود ، ورسمه في (دقلا)<sup>(٥)</sup> عاصمة التغالبة ، والأسقف عثمان العربي ، وهو الخامس والأربعون في عداد أساقفته<sup>(٦)</sup> ، ورسم البطريرك التلمحري (٨١٨ - ٨٤٥) خمسة أساقفة للعرب التغالبة هم : يوحنا من دير فرقنسا ، وتوما من دير ببرقوم ، وحبيب من دير كنوشيا ، ويوسف ويسمي (مرزوق) ، وجرجس ، وكذلك رسم لبقية العرب أساقفة آخرين

(١) الأوّل المنشور من ٩٥٩ الطبعة الأولى وقصته السريانية المخطوطة .

(٢) قصته السريانية المخطوطة .

(٣) الأوّل المنشور من ٣٢٢ - ٣٢٣ .

(٤) التاريخ الكنسي لابن العربي ، ترجمة البطريرك بوليان الثالث .

(٥) دقلا كلمة سريانية معناها النخل .

(٦) ثبت البطارقة والأساقفة في تاريخ ميخائيل الكبير من ٧٥٢ - ٧٦٩ .

أشهرهم يوحنا أسقف العرب الرحل ، ويوحنا أسقف تدمر ، وسبرو من دير أطو<sup>(١)</sup> . ورسم البطريك يوحنا الخامس ( ٨٤٧ — ٨٩٤ م ) سبعة أساقفة للعرب من بني معد والتغالبة والنجرانيين ( هم بقايا مسيحيي نجران الذين شتتتهم ذو نواس اليهودي في اضطهاده لهم سنة ٥١٩ — ٥٢٤ م ) وهم : الأسقف يعقوب للتغالبة وأحودامه أسقف بني معد ، وطيرمي لبني معد ، وشمعون لبني نجران وبني معد من دير كنوشيا ، وماكوس للتغالبة ، ويوحنا من دير مار زكي لبني معد ، ويوحنا للتغالبة الضاربين في بادية الموصل ، ومثلها فعل البطارقة أغناطيوس الثاني ، وتيودوسيوس ، ودبونسوس الثاني ، ويوحنا السادس ، وباسيل الثاني من سنة ٨٧٨ الى سنة ٩٣٥ م<sup>(٢)</sup> ، فرسموا أساقفة كثيرين لهذه القبائل العربية المتحدة بالكنيسة السريانية في سورية والعراق .

وكان معظم هؤلاء الأساقفة ينتقلون مع قبائلهم من دار الى دار ، يسكنون الخيام ، ويقعّمون الشعائر الدينية في بيوت الشعر ، وقد حدّثنا الفيلسوف يحيى بن جرير التكريتي منهم قال : « وقد كان في العرب نصارى كثي تغلب وقوم من اليمن وغيرهم ، ومعهم أسقف يطوف معهم في الحلل في سفرهم ، وينقل المذبح أعني الدفة المقدسة ( الطليليث )<sup>(٣)</sup> من موضع الى موضع ، الى سنة ثلاثماية للعرب ( ٩١٢ م ) ، فوصل الى تكريت قوم من العرب النصارى وابتاعوا لهم ميرة ليمتاروا بها ، وكان منهم رجل دبن حسن الطريقة فقلده مطران تكريت الأسقفية ، وكان يقدس لهم باللفظ العربي ، وكان يقدس لهم على الإنجيل<sup>(٤)</sup> » .

(١) الثبت نفسه ص ٧٥٤ - ٧٥٥ .

(٢) الثبت نفسه .

(٣) هي قطعة من الخشب تكرس ليوضع عليها القران المقدس .

(٤) كتاب المرشد ليحيى بن جرير التكريتي الباب ٥٤ ( مخطوط ) .

نستنتج من هذا كله أن العربية والآرامية ، سارتا جنباً الى جنب في جميع العصور منذ عهد الوثنية الى قرون عديدة من عهد المسيحية ، حتى بعد انتشار الاسلام ، مما أثر في كليهما تأثيراً عظيماً وعلى الأخص العربية التي أفادت من اختيها الآرامية فوائد عظيمة . قال الأستاذ محمد عطية البراشي : « في الوقت الذي كان للغة الآرامية الغلبة والانتصار أثرت تلك اللغة الآرامية في اللغة العربية تأثيراً عظيماً ، وكلما أمعنا في الفحص والاستقصاء أنضح لنا أن كثيراً من الكلمات العربية التي كانت تستعمل للتعبير عن الأفكار والمواد التي تدل على درجة معينة من المدنية استعيرت من اللغة الآرامية ، ومن هذا نستنبط أن العرب شعروا بالمدنية التي كانت لدى جيرانهم الآراميين في الشمال وأنهم قد تأثرو بها » <sup>(١)</sup> .

ونختم بحث العلاقات التاريخية بين اللغتين العربية والآرامية بقول الأستاذ البراشي أيضاً وهو : « إن اللغة العربية الفصحى . . . نشأت من الآرامية في الشمال والسبئية في الجنوب ، إلا أن آرامية الشمال تغلبت على السبئية في القرون القريبة من الاسلام » <sup>(٢)</sup> . ونضيف عليه قولنا : إن ذلك حدث بفعل الاتصال الدائم الذي رأيناه بين هاتين اللغتين الشقيقتين منذ أقدم عصورهما التاريخية الى العصور المتأخرة .

### ٥ \_ العلاقات الفنية في الأرامية

ان العلاقات الفنية في نشوء الأرامية بين اللغتين الآرامية والعربية هي من الأهمية بمكان عظيم ، بل هي الناحية الأعظم إشراقاً والأرفع شأناً في كيفية

(١) لغة العرب وكيف تنهض بها لعمد عطية البراشي طبع مصر سنة ١٩٤٧ من

١١٤ - ١١٥ والآداب السامية له طبع سنة ١٩٤٦ من ١٠٨ .

(٢) لغة العرب للبراشي من ١٢٢ .

تعاونها وسيرهما جنباً الى جنب في جميع عصورهما التاريخية ، وتأزرهما على الحياة والنمو والتكامل ، وانبثاق القوى الحيوية وانسكابها من إحداهما في الأخرى ، فما هو الحق التاريخي الذي تموزه كل من الأبيديتين ؟ وما هو التسلسل الزمني والفني الذي سار فيه كل من القلمين ، كل ذلك سندرسه في سطورنا التالية :

يذهب علماء الساميات الى أن أقدم أبيدية سامية هي الأبيدية الكنعانية <sup>(١)</sup> ، وعنها نشأت بقية الأبيديات في عصور متفاوتة ، فصدرت الأبيديات الآرامية <sup>(٢)</sup> والعبرية <sup>(٣)</sup> ، وفي العصور القريبة من الإسلام انبثقت الأبيدية العربية منحدرة من الأبيدية النبطية الآرامية <sup>(٤)</sup> ، ونحن لا نهتأ هذا التدرج التاريخي في بحثنا هذا وإن كانت فيه هنات لا يصح التغاضي عنها ، إنما نهتأ العلاقة الوثيقة بين الأبيديتين الآرامية والعربية ليكون بحثنا حائزاً على كل صفاته الموضوعية الكاملة .

من البديهي أن علماء الساميات أصدروا قرارهم السابق بشأن التدرج التاريخي في نشوء الأبيديات السامية استناداً على الكشوف الأثرية التي وجدت الى الآن ، ولكن الكل يعلم أن هذه الكشوف ما زالت قليلة جداً - رغم كثرتها - بالنسبة الى ماسنجدته الكشوف الأثرية القادمة في المستقبل ، لذلك لا يسوغ الركون الى تقرير يستند على مصادر ناقصة ، قد تنقلب رأساً على عقب في لحظة واحدة ، اذا اكتُشف رقيم واحد يضاد معلوماتنا الحاضرة ، هذا من جهة ، ومن جهة ثانية إن تقريراً يستند على مصادر ما زالت آخذة في الازدياد والتكامل يوماً بعد يوم وعاماً بعد عام لا يسوغ أن تبني عليه حقيقة علمية تاريخية

(١) ولفنسون ص ٥٢ .

(٢) فيه .

(٣) فيه ص ٥٣ .

(٤) فيه ص ٢٠١ احمد رضا ص ١٧ و ٣٨

هامة كأصالة الأبجديات ونقدبم بعضها على البعض الآخر ، ولذلك نقول إن لدينا نصوصاً تاريخية هامة من القرن السابق للميلاد والقرنين اللذين يليانه تذهب الى أن الآراميين هم أول من اخترع الكتابة ، وبالتالي فجعل الأبجدية الآرامية أول أبجدية سامية ، وتدعى أن الأبجدية الكنعانية هي الصورة الأولى البسيطة للأبجدية الآرامية ، ونورد هنا نصين من تلك النصوص يحفظ غير جازمين الآن بصحتها المطلقة . قال ديدوروس الصقلي المؤرخ الشهير الذي عاش في القرن السابق للميلاد : « إن اختراع الكتابة يعود الفضل فيه الى الآراميين » . وقال اقليدس الإسكندراني في القرن الثاني للميلاد : « ذهب كثيرون من القدماء الى أن الآراميين هم الذين اخترعوا الكتابة »<sup>(١)</sup> . وعلى هذا الأساس نقول إن لم تكن الأبجدية الآرامية أقدم أبجدية سامية فهي حتماً من أقدمها<sup>(٢)</sup> . أما العلاقة الفنية بين الأبجديتين الآرامية والعربية فننحصر في أربع وجوه هامة هي :

١ - انحدار الأبجدية العربية من الأبجدية الآرامية .

اختلف المؤرخون العرب في المصدر الذي انحدرت منه الأبجدية العربية ، فذكر معظمهم أنها منحدرة من الخط المسند<sup>(٣)</sup> . ولكننا لا نستطيع إقامة دليل ملموس على صحة هذا الرأي ، لأننا لا نحوز آثاراً خطية تؤيده ، وقد ظهرت في الآونة الأخيرة رقم حجرية عثر عليها المستشرقون في فترات متفاوتة من الزمن ، وهي تحوي دلائل ملموسة تنير طريق البحث في هذا الموضوع ، وبعد دراسة هذه الرقم الحجرية الهامة قرر علماء الساميات أن الأبجدية العربية اشتقت من الأبجدية النبطية الآرامية<sup>(٤)</sup> . ولا نعدم شهادة تاريخية عربية هامة تؤيد هذا

(١) اللغة الشبية . لبوسف داود . ج ١ ص ١٠١ - ١٠٢ .

(٢) المؤلث المشور . للبطريك أفرام برسوم ص ٢٦ .

(٣) مقدمة ابن خلدون ص ٤١٨ - مطبعة مصطفى محمد . صبح الاعشى ص ١٣ .

(٤) ويلفونون ص ٢٠١ واحمد رضا ص ١٧ و ٣٨ . (٣)

الرأي . قال البلاذري في فتوح البلدان : « اجتمع ثلاثة نفر من طيء بيقة وهم مرامر بن مرة ، وأسلم بن سدره ، وعامر بن جدوة <sup>(١)</sup> فوضعوا الخط ، وقاصوا هجاء العربية على هجاء السريانية ، فتعلمه منهم قوم من الأنبار ، ثم تعلمه أهل الحيرة من أهل الأنبار ، وكان بشر بن عبد الملك أخو أكيدر ابن عبد الملك بن عبد الجن الكندي ثم السكوني صاحب دوحة الجندل ، يأتي الحيرة ، فيقيم بها الحين ، وكان نصرانياً ، فتعلم بشر الخط العربي من أهل الحيرة ، ثم أتى مكة في بعض شأنه فرآه صفيان بن أمية بن عبد شمس ، وأبو قيس بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب يكتب ، فسألاه أن يعلمها الخط فعلمها الهجاء ، ثم أراهما الخط فكتبها » <sup>(٢)</sup> .

وإذا دققنا هذا النص التاريخي الهام نجد أنفسنا أمام شهادة صريحة تؤيد ما ذهب إليه علماء الساميات وهو أن (النفر) الذين (اجتمعوا) بيقة (وضعوا) الخط وقاصوا هجاء العربية على هجاء السريانية) . والأصح أن يقال أن هؤلاء الثلاثة (تعلموه) لا وضعوه .

أما الخط المسند فانه خط حمير <sup>(٣)</sup> ، ومن المعروف أن الحميريين استبدلوا الخط المسند بالخط السرياني <sup>(٤)</sup> . والمعروف أيضاً أن الخط المسند الحميري هو خط مبيء ، وقيل إن الخط المسند منقول من الخط الكنعاني مباشرة <sup>(٥)</sup> ، إلا أن ثقات المستشرقين ينكرون ذلك ، ويؤيدون أن خطوط شمال بلاد العرب منقولة مباشرة عن الخط الآرامي اعتماداً على ما كان بين الآراميين وهذه القبائل

(١) ذكر ابن خلدون في مقدمته غير هؤلاء (النفر) من ٤١٨ .

(٢) البلاذري . فتوح البلدان من ٤٧١ .

(٣) فهرست لابن النديم من ٨ .

(٤) المكتبة الشرقية للسمالي الجزء ٣ من ٦٠٣ .

(٥) ويلفلسون من ١٧١ .

العربية من القري والجوار<sup>(١)</sup> ، وهذا الرأي نرجحه ، لأن القبائل العربية لم تلتق مطلقاً بالمدينة الكنعانية ، بل امتزجت بالمدينة الآرامية كما رأينا في أوائل بحثنا هذا .

أما صدور الأبجدية العربية من الأبجدية النبطية الآرامية فنرى أنه تم على مراحل وفي فترة تقارب القرنين من الزمن ، وقد ظهرت رقم أثرية هامة أثارنا الطريق أمام الباحث في هذا الموضوع .

إن هذه الرقم الأثرية توضح لنا كيف تولدت الأبجدية العربية من الأبجدية النبطية الآرامية ، ويتم لنا ذلك إذا قارنا بين القلم النبطي المتأخر والقلم العربي القديم ، وأشهر الرقم التي يجب دراستها في هذا المضمار هي خمسة نقلها المستشرقون نيبيه آبوت<sup>(٢)</sup> وسفجت ووايت<sup>(٣)</sup> ، وقد حظينا بدراسة وافية لبعضها قام بها سفجت ووايت وهو ما يساعدنا على الافادة منها في موضوعنا ، ونقلها أيضاً وعلق عليها الأستاذ امرائيل ليفنسون<sup>(٤)</sup> كما نقلها الأستاذ ناصر النقشبندى في مقاله ( منشأ الخط العربي )<sup>(٥)</sup> .

أما كيفية المقابلة بين هذه النصوص الأثرية فتم بملاحظة القلم النبطي المتأخر ، والقلم العربي القديم ، ويمكن وضع هذين الرقيمين ( النبطي المتأخر والعربي القديم ) أنموذجاً للملاحظة والمقابلة والاستنتاج ، أما النبطي المتأخر فانه رقم أم الجبال الأول الذي عُثر عليه في أم الجبال الواقعة في جنوب حوران في شرق الأردن ، وهو يعود الى قبر فهر بن جذيمة ملك تنوخ<sup>(٦)</sup> ، وتاريخه نحو سنة ٢٥٠ م ،

(١) ولفنسون ص ١٧١ .

(٢) نيبيه آبوت لوح ١ ص ٥ .

(٣) سفجت ووايت ص ١ - ٥ .

(٤) ولفنسون ص ١١٠ و ١٩٦ ، ٩٢ .

(٥) مجلة سومر المجلد ٣ الجزء ١ ص ١٣٠ - ١٣٣ كانون الثاني سنة ١٩٤٧ .

(٦) درسنا هذا الرقم سابقاً وترجمناه بحسب نظم اللفة السريانية الحاضرة .

وأما العربي القديم فإنه رقيم النجارة الذي عُثر عليه في موقع النجارة بجبل الدروز وتاريخه نحو سنة ٣٢٨ م ، وهو يعود لقبر امري القبس بن عمرو ملك العرب في الحيرة <sup>(١)</sup> ، وملاحظة هذين الرقيمين تعطينا فكرة كاملة في تولد الخط العربي ، فإن معظم الحروف متشابهة تقريباً ، وهذا التشابه يظهر في شكل الحروف ، ومن المعروف أن الخط النبطي القديم كانت حروفه منفصلة بعضها عن بعض على ما نراه في رقيمي (مرانا ملك النبط) <sup>(٢)</sup> و (مجرس الملك) <sup>(٣)</sup> . أما هذا الرقيم وما إليه <sup>(٤)</sup> فنجد فيه كثيراً من الحروف متصلة بعضها ببعض ، وهو ما يوضح كيفية تطور هذا القلم حتى تولد منه القلم العربي ، ويظهر لنا هذا التطور اذا وضعنا ازاءه رقيم النجارة الذي يُعد أقدم نص عربي ، فحروفه في معظم الأحوال متصلة على غرار الرقم النبطية المتأخرة ، وهي تتشابه تشابهاً عظيماً .

ولنتقل الى دراسة رقيمين آخرين هما رقيم زبد الذي وجد في خربة كنيسة بين قنسرين والفرات بثلاث لغات هي اليونانية والسريانية والعربية ، ويعود تاريخه الى سنة ٥١٢ م ورقيم حران الذي وجد في المنطقة الشمالية من جبل الدروز مكتوباً باليونانية والعربية على حجر فوق كنيسة قديمة ، ويعود تاريخه الى سنة ٥٦٨ م ، وبعتبر أول نص عربي كامل في جميع نكاته وأسلوبه ، ففي دراسة هذين الرقيمين نجد تطوراً عظيماً في أسلوب الخط العربي وسيره أشواطاً هامة في الاستقلال عن مصدره الخط النبطي ، فالحروف في جميع النكات متصلة تماماً ، وقد اتخذت اتجاهها مستقلاً خاصاً ، ولم يبق فيها من الشكل النبطي إلا الشيء القليل ، نجد في بعض الحروف فقط وهو الدلالة الباقية على مصدره الأصلي النبطي .

(١) درسنا هذا الرقيم سابقاً وترجمناه وعللنا عليه سابقاً .

(٢) وليفسون ص ١٤٣ .

(٣) وليفسون ص ١٤٤ .

(٤) وليفسون ص ١٤١ و ١٤٢ .



وإذا تقدمنا في الزمن فاستعرضنا رقيم أم الجبال الثاني ، الذي بعد أحدث نص عربي عُثر عليه حتى الآن ، ويعود تاريخه الى منصرم القرن السادس الميلادي ، نجد أمامنا كتابة عربية مستقلة تمام الاستقلال ، مع الاحتفاظ بأشباح باهتة من الشكل النبطي ، وهذا آخر تطور للخط العربي بعد اتخاذه صيغته الخاصة .

وأقدم صورة للخط العربي المستقل هو الخط الكوفي الذي كان يسمى أيضاً بخط الجزم <sup>(١)</sup> ، وإذا تأملنا هذا الخط نجد فيه الأشباح النبطية لم تزل ماثلة ، ثم انتقل هذا الخط من الحيرة الى مكة ، وقيل وصل من اليمن الى الحيرة والانباء بواسطة كنده والنبط <sup>(٢)</sup> . وهكذا لم يزل الخط العربي يتطور وينحو جانب السهولة والتبسيط حتى وصل الى حاله الحاضرة ، كما أن الخط الآرامي أيضاً تطور تطوراً محسوساً فاشتقت منه عدة أفلام وأشكال مختلفة ذكر بعضها ابن النديم في فهرسته <sup>(٣)</sup> .

وأجل أفلام الخط الآرامي المتأخر الاسطرنجيلي ، ويقال له الخط الرهادي أو الثقيل ، وقد استنبطه بولس بن عرقا أو عثقا الرهادي في مطلع القرن الثالث ، وقد تأثر به الخط الكوفي تأثراً عظيماً ، بل قيل إن أصل الخط العربي الكوفي هو الخط الاسطرنجيلي نفسه <sup>(٤)</sup> . إلا أننا نعتقد أن الخط الاسطرنجيلي هذا انتقل في القرن الثالث الى اليمن فاحتل كتابات آل نجران <sup>(٥)</sup> ثم وصل الى الحيرة القريبة من الكوفة ، والظاهر أن الخط الكوفي بعد أن

(١) صبح الاعشى جزء ٣ ص ١٤ واحد رضا ص ١٣ و ٤٣ و ٦٥ .

(٢) اسرائيل وليفسون ص ١٩٨ واحد رضا ص ٣٩ و ٥٧ .

(٣) الفهرست ص ١٨ .

(٤) المؤلف المشرور ص ٢٦ الطبعة الاولى . حسن سنة ١٩٤٣ .

(٥) المكتبة الشرقية لسماعي ص ٦٠٣ الجزء ٣ .

أخذ عناصر من الخط النبطي تأثر بالخط الآسطنرجيلي وأخذ أشكاله عنه ، وذلك عن طريق نجران والحيرة . وقد علمنا أن الين والحيرة كانتا مركزين للكتابة والثقافة <sup>(١)</sup> وتأثر الخط العربي بهذا الخط الآرامي معقول جداً ، بل إنه صواب ، لأن أشكال الخطين المتقاربة تؤدي ذلك ، وقد دام استعمال الخط الآسطنرجيلي عند السريان الى المئة الرابعة عشرة ، على أنه نشأ من خط سرياني آخر في القرن التاسع ، وهو الخط السرياني الغربي الذي تطور نحو السهولة واحتفظ الآن بالخط الآسطنرجيلي كاملاً لتزيين رؤوس الفصول <sup>(٢)</sup> في الكتب الخطية الهامة ، كما نشأ عن الخط الآسطنرجيلي أيضاً ما يسمى بالخط السرياني الشرقي ، ونشأت أشكال أخرى للخط السرياني مازالت ماثلة في المخطوطات الكثيرة النفيسة التي تملأ خزائن الشرق والغرب .

ولو عدنا مرة أخرى نستعرض هذه النصوص الأثرية الخمسة ، لرأينا أعظم نصر يحققه التعاون الوثيق بين الآرامية والعربية ، فالنص الأول ( رقيم أم الجمل الأول ) هو آرامي الأبجدية واللغة ، شأن عدد كثير من الرق الأثرية المكتشفة في مواطن الآراميين الأول . ولكنه ينقل اليها حادثة عربية صرفة . أو بالحري إنه يعني بتخليد علم عربي خالص ، والنص الثاني ( رقيم النارة ) نجد فيه لوناً جديداً من ألوان الحياة ، فانه آرامي بلقنة وأبجديته ، أي ان اللغة التي كُتب فيها وردت فيها مفردات آرامية الى جانب المفردات العربية ، وأبجديته مازالت محافظة على لونها الآرامي ، إنما ظهرت فيها بوادر أبجدية فنية جديدة هي طلائع الأبجدية العربية ، والنص الثالث ( رقيم زبد ) يشبه النص الذي سبقه بامتزاج اللغتين الآرامية والعربية مادةً وحرفاً ، إلا أننا نلاحظ زيادة في جنوح الناحية العربية الى التبلور والاستقلال ، أما النص

(١) البلاذري . فتوح البلدان ص ٤٧٧ وصبح الاعشى جزء ٣ ص ١٢ و ١٣ و ١٤

(٢) الأوّل المنشور ص ٢٦ و ٢٧ .

الرابع (رقيم حران) فقد زالت منه المفردات الآرامية ، وبقيت فيه صيغتها الحرفية ماثلة ، ومثله النص الخامس (رقيم أم الجبال الثاني) نجد فيه تحرر العربية من الآرامية مادةً وحرفاً ، ما خلا ما بقي من الدلائل الشكلية التي تعيد الى أذهاننا صور الأبجدية الآرامية بشكل ضئيل ، وهذا لعمري أعظم دليل على سير اللغتين الشقيقتين في طريق النمو والاكتمال .

وعند انتشار اللغة العربية في موطن الآراميين في سورية والعراق ، على أثر الفتوحات العربية ، نشأت طريقة جديدة عند الآراميين المسيحيين ، وهم السريان ، لكتابة العربية ، وهي التي تسمى (الكروشوني ، أو الجرشوني بالجييم المصرية) وهي أن تكتب اللغة العربية بالحروف السريانية ، وذلك منذ منتصف القرن السابع الميلادي . وكأني بالسريان أرادوا بهذه الطريقة إعادة مجد أبجديتهم التي كُتبت بها اللغة العربية في عهد كتابتها الأولى . وهذه الطريقة مازالت مستعملة عند عموم طوائف السريان الى يومنا هذا ، فنجد جميع طقوسهم وكتبهم المقدسة الكنسية المترجمة الى العربية 'تكتب بالأبجدية السريانية . ولدينا نسخ كثيرة من هذا النوع قديمة وحديثة في جميع كنائسنا السريانية .

أما لماذا سميت هذه الطريقة من الكتابة بـ (الكروشوني) فلم يتصل بنا تحليلها من السلف ، مع أنها قديمة جداً كما علمنا الآن ، والأظهر أنها اتخذت اسمها (الكروشوني) من (قريش) . ونحن نعلم أن القرشيين في مستهل القرن السابع كانوا يؤمنون أمصار الشام وغيرها لغايات تجارية ، ومن المعلوم أن التجار يحتاجون الى سجلات ودفاتر حسابية وغيرها في عملهم التجاري ، ولما كانت الأبجدية العربية في مستهل القرن السابع غير شهيرة على الأقل ، بكون من المؤكد أن تجار قريش كانوا يكتبون سجلاتهم بالحرف الآرامي واللغة العربية ، وربما شاعت هذه الطريقة في ربوع الشام قبل غيرها ، ولما كان القرشيون هم الذين روجوها واستعملوها أكثر من غيرهم نسبت اليهم . ولكن كلمة

( كرشوني ) لا تحمل طابعاً عربياً في صيغة النسبة بل تحمل طابعاً سريانياً آرامياً صرفاً ، لأن صيغة النسبة باللغة السريانية كثيراً ما تكون بالنون قبل الياء السابقة لألف الإطلاق ، وهكذا وضعت في هذه اللفظة النون قبل الياء السابقة لألف الإطلاق الملقاة ، فتكون لفظة ( كرشوني ) والحالة هذه منسوبة الى فريش العربية ، وبذلك عادت الأبيدية الآرامية السريانية الى معانقة صديقتها القديمة اللغة العربية ، ولما كان حرف ( القاف ) يُقلب في الالهجات العربية المحكية الى ( ج ) كالجيم المصرية ( مثل القاف في : قلب ، قبر ، قصر ، ويقال فيها : كلب ، كبر ، كصر ) ، قيل في نسبة هذه اللفظة ( كرشوني - لافرشوني ) كما كان يجب أن يقال فيها وهذا أوجه تعليل نراه الآت .

ولما كان في الأبيدية السريانية اثنان وعشرون حرفاً فقط ، وهذه ليست كافية لكتابة اللغة العربية التي تحتاج الى ثمانية وعشرين حرفاً ، عمد السريان الى الطريقة التي اعتمدها العرب أولاً عندما استمدوا الأبيدية السريانية الآرامية لغتهم ، فصوروا كل حرفين متجانسين شكلاً بحرف واحد ، فصوروا الثاء والذاء بحرف ( الثاؤ ) ، والذال والذال بحرف ( الدواث ) ، والصاد والضاد بحرف ( الصودي ) ، والطاء والظاء بحرف ( الطيث ) ، والجيم والغين بحرف ( الجومل - بالجيم المصرية ) ، والكاف والطاء بحرف ( الكوف ) . وبيّزوا بين هذه الحروف بطريقة التريق والتفشية السريانية المعروفة عندهم ، فوضعوا نقطة حمراء فوق الحرف القامي كالذال ، ( ونقطة حمراء تحت الحرف اللين كالذال ) وهكذا أعادوا الحروف الآرامية السريانية الى سابق عهدها مع اللغة العربية .

( يتبع ) ( الموصل ) غريغوريوس بولس بهنام

## بطولات العرب<sup>(١)</sup>

يا دامي الجرح ، لا جرح ولا ألم  
امسح دموعك إن ماجت موائجها  
أسا جمع وبطاح الأرض في لجب  
أتحسب الشمس من أبراجها هبطت  
ما صيحة في سواد الليل رابعة  
الله أكبر هذا الصوت من مضر  
في كل غاب ضجيج من مواكبيهم  
كأنهم والأعادي نصب أعينهم  
هل العيون خلال الليل في يقظ  
كلا وربك ما في العين من حلم  
والجرح بعد انتفاض العرب ملتئم  
فكل ثغر على الأيام مبتسم  
كأنما الأرض والأفلاك تصطدم  
فجئت الشمس والأبراج والنجم  
كأنما الليل من أصدائها وجم  
دوى فزلزلت الأطواد والأجم  
وكل طود على هاماته شمم  
سيل يفيض على أعدائهم عرم  
أم العيون على أجفانها حلم  
وانما العرب ثارت فيهم الهمم



(١) القصيدة التي ألقاها الأستاذ شفيق جبوري عضو الجمع العلمي العربي وعضو المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية في مهرجان الشعر في دمشق

في ١٦ مايس ١٩٥٩ .

شتان ما حاضر نزهى بغرته  
 أتت ليال وعين العرب ساهية  
 على بصائرهم إن أرشدوا حجب  
 تكاد تحسبهم في دارهم رمماً  
 تبجح العجم في أوطانهم زمناً  
 فما اللسان لسان العرب إن نطقوا  
 أيصبح العرب في أوطانهم هملاً  
 وغابر فاض فيه الدمع والألم  
 كأنهم في ذرا ذؤبانهم غنم  
 وفي مسامعهم إن خوطبوا صمم  
 وهل تثور على أكفانها الرمم  
 لله ما اعتسفوا فيه وما اجترموا  
 ولا الثغور ثغور العرب إن بسما  
 ويزحم البوم هذا الأفق والرخم



هوّن عليك ، فللايام دولتها  
 أما ترى العرب من إغنائهم نهضوا  
 كأنما بعثوا التاريخ من أمم  
 كانوا العمالق والدنيا تساندهم  
 هذا ابن حمدان والآثار ناطقة  
 حمى الديار ديار العرب فانطلقت  
 سيوفه من دماء الروم قد رويت  
 ملّ البطاريق من غاراته وبدا  
 اضرب بعينك في آيات شاعره  
 تكاد تسمع صوت الروم إن صرخوا  
 فما تدوم على حالاتها لازم  
 من كل فجّ لهم زحف ومقتحم  
 فاليوم مجدهم من عيننا أمم  
 هيات ما يستوي العملاق والقزم  
 فما يعقّي على آثاره القدم  
 له الأناشيد والأوتار والنغم  
 وكاد يشرق منها السيف والقلم  
 على البطاريق من أهوالها السأم  
 تظل تنطق في آياته الكلم  
 وتلمس الخوف إن خافوا وإن وجموا

إما قتل تواري الأرض أضلعه  
لو كان يعبد دون الله من صنم  
أو سالم من سيوف العرب منهزم  
ما كان لي غير سيف الدولة الصنم  
لولا جهاد بني حمدان في حلب  
ما كان للعرب تاريخ ولا علم

\* \* \*

تلك البطولات كالأهرام راسخة  
انهض ورتل صلاح الدين آيتها  
فأين ماطمسوا منها وما هدموا  
جاءوا إليك بجيش يعصمون به  
الأذن مصغية والعين تلتهم  
لو كان همهم قبر المسيح لما  
قبر المسيح فما صانوا ولا عصموا  
أيمنحون بني صهيون تربته  
تهودت منهم ذرية ظلموا  
الحقد يأكل أكلاً من جوانبهم  
ويزعمون التقى، هيات ما زعموا  
عيسى بن مريم في الإسلام حرمة  
والحقد نار على الأكباد تضطرم  
ما في شريعته إلا السلام فهل  
في كل قلب له من أهله حرم  
أين السلام وقد هدوا قواعده  
صموا عن الشرع إنكاراً له وعموا  
محوتهم وبطون الأرض تكتهم  
وانما السلم في أفيائنا عدم  
حطين قد غذيت منهم منابتها  
في كل راية عظم لهم ودم  
أين الحصون وأين النازلون بها  
فاخضوضر الشيخ والقيصوم والسلم  
لم يفتهم عن جماح العرب معتصم  
لو كاد يبلعهم من بعد أن هزموا  
وكيف يغسل هذا العار بعدهم  
ليغسل العار عن شعاء هزمتهم

\* \* \*

ياأمة من تراث الدهر خالدة  
ظنوا اجتياحك مأموناً عواقبه  
كم غارة لهم في الشام عاصفة  
في كل غور من الأغوار معترك  
مضوا وخلوا هشيماً من شبابهم  
حلوا بأرضك حيناً ثم مالبنوا  
مضت ولم تستبح آثارك الأمم  
وما دروا أنهم في ظنهم وهموا  
فلم يصبك على غاراتهم هـرم  
وكل نجد من الأنجاد مصطدم  
نما به العود والغيطان والأكم  
أن غادروا الأرض لم تثبت لهم قدم



لما رأوك وقد أعيت جحافلهم  
كأن أنسالهم من بعدهم حلفوا  
فأقحموا في ديار العرب شردمة  
هذي حضارتهم والشرّ يملؤها  
يشردون شيوخاً من ديارهم  
قوم يموتون من بؤس يشتهم  
خير من العلم جهل تستقرّ به  
هل يبعث الله نوحاً في سفينته  
كأنما الروض من آثامهم ييست

ولوا وقد أورثوا الغيظ الذي كظموا  
أن يبعثوا الحقّ نيراناً وينتقموا  
من آل صهيون لا عهد ولا ذمم  
ماتت على صرحها الأخلق والشيم  
كأنهم في صحارى تيههم بهم  
وآخرون على أظلالهم نعم  
حرية الخلق والأنفاس والنسم  
حتى يعم الورى الطوفان والديم  
فما ينضرها ورد ولا عنم





مهلاً فلا تيأسن اليوم ان عبست  
ما ضرّ موكبك الجرار إن طرحوا  
فما يعوق ضياء الشمس إن سطعت  
تمضي الليالي واسرائيل جائمة  
ذل ومسكنة في كل أعصرهم  
أضحوا جراثيم في الأوطان ناخرة  
تلك الثعابين إن سالت مزاحفها  
فهل تظل سفوح القدس ضائعة  
إذا ضحكنا فما في جدهم ضحك



ألهى بني يعرب عن نصر إخوتهم  
على الفراتين من آثاره ثلم  
كأن دجلة قد ثارت أباطحه  
تخاله معرباً عن نار غضبته  
يبي وبيك يا بغداد واشجة  
أتصرمين حبلاً حاكها نسب  
ماذا تقولين للمنصور إن لمحت  
كانت قصور بني العباس آمنة  
دم يسيل على أطرافها دفعاً

شمل على غمرة الأحداث منقسم  
فسل عبايها هل سدّت الثلم  
أما ترى هذه الأمواج تلتطم  
وللخضمّ لسان معرب وفم  
من الأواصر ما تنفك تلتحم  
من العروبة يا ويح الذي صرموا  
عيناه في حلمه الملك الذي قسموا  
واليوم ألوت بها الأحقاد والنقم  
وأربع ملء عين الناس تهدم

فما تنام عيون تحتها وَّسن  
 في الليل إن جنحت ظلماؤه ظنن  
 كأنما الثورة الحمراء ديدنها  
 فهل يثوب رجال بعدما جهلوا  
 متى أرى حمرة الرايات صائرة  
 ولا تبين شفاه فوقها لجم  
 وفي الصباح على إشراقه تهم  
 ملك على ظله الأرواح تخترم  
 أم هل يثوب رجال بعد ما علموا  
 الى البياض عليها السلم منتظم

\* \* \*

سيندم العرب إن طال الشقاق بهم  
 لم نبن ملكاً ولم نلهج بثورته  
 إن الدماء التي روت جوانبه  
 أيذهب اليوم ما ضحوا به هدرأ  
 أخبث بها نزوة أملى وساوسها  
 وليس ينفع عضّ الكف والندم  
 ليهدم العرب ما نبني ويختصموا  
 يكاد منها يشيب الرأس واللمم  
 أما لنا من هدى ايماننا حكم  
 إيليس حتى يرى منا الذي يصم

\* \* \*

هذا فؤادي وقد هاجت هوائجه  
 ليست قوافي ما غنيتُ سامعها  
 فهل أرى العرب أغصاناً يلفهم  
 حتى يعيدوا ضحى التاريخ خافقة  
 فكان مثل لبيب النار يحتدم  
 وانما عبرات القلب تسجم  
 على الديار بيان العرب والرحم  
 أعلامه فيرف العز والكرم

# الزجاجي

حياته وآثاره

ومذهبه النحوي من خلال كتابه «الايضاح»

( ٢ )

## مؤلفات الزجاجي :

ورد في إنباء الرواة ، وبغية الوعاة ، وكشف الظنون ، وكتاب يروكان كثير من أسماء الكتب التي ألفها أبو القاسم الزجاجي في شتى علوم اللغة . ولكن لم يصل إلينا من هذه الكتب إلا القليل ، ولم يطبع مما وصل منها إلينا إلا كتابان ، وما زال سائرهما ينتظر الجهد والعزيمة لينفض عنه الغبار ، وبأخذ مكانه في المكتبات .

وسنحدث فيما يلي عن هذه الآثار وما يتصف به كل منها ، بادئين بما طبع منها ، ومعقبين بعد ذلك بالمخطوطات من موجودة ومفقودة .

١ - كتاب «الجمال» : وهو أهم كتب الزجاجي ، وموضوعه النحو ، يتحدثوا عنه أكثر مما يتحدثوا عن صاحبه ، وذكروا أنه صنفه بمكة ، وكان إذا فرغ من باب منه طاف به سبع مررات داعياً أن يغفر الله له وأن ينفع بكتابه فارقه <sup>(١)</sup> . وكان عدد الذين انتفعوا به وقرأوا يحمي ، وكلهم وصفه بالبركة حتى عم نفعه بلاد الإسلام <sup>(٢)</sup> .

(١) إنباء الرواة ٢ : ١٦١ ، وكشف الظنون ١ : ٦٥٣ ، وبغية الوعاة ٢٩٧

(٢) مرآة الجنان ٢ : ٣٣٢ ، وغدرات الذهب ٢ : ٣٥٧

ويبدو أنه كانت لهذا الكتاب قيمة علمية كبيرة في عصره ، حتى اشغل به الناس وجعلوا حفظه همهم . قال الفهرري - وهو أحد شراح الجمل - : « أكثر الناس من استعمال « الجمل » ودراسته ، وألزموا أنفسهم حفظه ودرأته ، . . . وإنه تصنيف قد أنجد وغار وطار في الآفاق كل مطار » <sup>(١)</sup> . و « الجمل » هو الكتاب الفهري الذي عوّل عليه الدارسون حتى جاء الفارسي وابن جني فشغلام بكتبها . قال القنطي : « وهو كتاب المصربين ، وأهل المغرب ، وأهل الحجاز واليمن والشام ، إلى أن اشتغل الناس بـ « اللامع » لابن جني ، و « الإيضاح » لأبي علي الفارسي » <sup>(٢)</sup> .

وقد كان الكتاب هذه ، هي التي تفسر لنا هجوم العلماء على شرحه ، وازدحامهم على الكتابة عنه . قال صاحب مرآة الجنان : « أخبرني بعض فضلاء المغاربة بأن عندهم لكتابه - أي للجمل - مائة وعشرين شرحاً » <sup>(٣)</sup> . وكذلك نقل ابن العماد في شذرات الذهب <sup>(٤)</sup> . وقد طوت الألبام معظم هذه الشروح ، ودرست أسماؤها ، فلم يبلغنا إلا أقلها .

أما كتاب « الجمل » نفسه فقد ذكروا أنه كتاب جيد لولا طوله بكثرة الأمثلة . ولعل أحد المتقدمين أطلق هذا الحكم ، بالقياس إلى كتب الفهريين الأولين ، فتناقل المؤلفون هذا الحكم دون تمحيص ، وهو حكم غير مصيب . فالكتاب جيد ومن تمام الجودة فيه وضوح الأمثلة . وقل أن نجد بين كتب الفهريين القديمة مثل كتاب الجمل وضوحاً وبياناً . وليس عيباً أن يخرج الزجاجي عما وضعه سيبويه من منهج في التأليف قائم على الإيجاز والاختصار ، والتكثيف ،

(١) مقدمة وشي الحل .

(٢) إنباء الرواة ٢ : ١٦١

(٣) مرآة الجنان ٢ : ٣٣٢

(٤) شذرات الذهب ٢ : ٣٥٧

والجمل بتوضيح المثال أو إتمامه ، حتى بات « الكتاب » لا يفهمه إلا فقهاء العلم والراسخون فيه .

ثم إن كتب النحو لا توضع كلها لطبقة واحدة من الناس . فلتن كانت كتاب سيبويه وأمثاله يصلح للشيوخ الذين تعمقوا في العلم ، ووقفوا على دقائقه وأسراره ، فإن كتاب الزجاجي وأمثاله لينفع المبتدئين في النحو والمتعلمين الى تعلمه ، وذلك لأنه : « كانت طريقته في النحو متوسطة ، وتصانيفه يقصد بها الإفادة » <sup>(١)</sup> . ولقد شهد له بعض العلماء أنهم بتأليفه فتحوا أنظارهم على النحو ، قال ابن السكيت البطليوسي : « وإنه - أي الزجاجي - من أئمة هذه الصناعة ، فإننا بكتاباه قد افتتحنا النظر في هذا العلم ، وهو الذي رشح بصائرنا لما نفعنا من الفهم » <sup>(٢)</sup> .

ويجدر بنا - ونحن بصدد الحديث عن صعوبة النحو ، وضرورة تيسيره - أن نعود إلى مثل كتاب الجمل ، لنرى النحو فيه واضح العبارة ، قريب المتناول ، سنجياً بالأمثلة ، بعيداً عن التعقيد . وتظهر رغبة الزجاجي في توضيح النحو وتقريبه حين يهجر بعض المصطلحات أو يفسرها ليكون كلامه أقرب الى الفهم ، ويصرح بذلك فيقول : « وليس هذا من ألفاظ البصريين ، ولكنه تقريب على المبتدئ » <sup>(٣)</sup> . وكذلك ينقل أفكار الكوفيين بغير عباراتهم ، لأن ألفاظهم لا يفهمها إلا من تعود النظر في كتبهم <sup>(٤)</sup> . بل هو يشرح كتاب « الزاهر » ويختصره « لأنه كتاب مقصود به المبتدئون للنظر في علم اللغة » <sup>(٥)</sup> .

(١) إنباء الرواة ١ : ١٦٠

(٢) اصلاح الخلل : الورقة ١

(٣) الجمل : ٩٠

(٤) الايضاح

(٥) مختصر الزاهر : الورقة ١

والزجاجي - على عادة القدماء - 'يلحق بالنحو في كتاب الجمل بعض ما يتصل بالأملاء كبابي الهجاء ، وهما بحثان منفصلان في رسم الحروف ، وباب أحكام المحزة في الخط ، وهو بحث في قواعد المحزة الإملائية وما دار حولها من خلاف بين البصريين والكوفيين ، الذين امتدّ اختلافهم في النحو حتى شمل قواعد الخط فكان لكل منهم رأي فيه ! وتعرض في كتابه أيضاً للضرورات الشعرية فخصها بباب عنوانه « ما يجوز للشاعر أن يستعمله في ضرورة الشعر » ، ولكنه كان بحثاً موجزاً خالياً من الشواهد والأمثلة على خلاف العادة . وضمن الكتاب أيضاً بعض البحوث الصوتية كباب الإمالة وباب الإدغام وما يتصل بخصائص الحروف من مضمومة ومجسورة .

ومن كتاب الجمل نسخ خطية كثيرة منشورة في أكثر مكاتب أوربا <sup>(١)</sup> . ومن نافلة القول أن نحدث عن نسخه الخطية بعد أن طبع <sup>(٢)</sup> . وكان طبعه سنة ١٩٢٦ بنفقة كلية الآداب في الجزائر وبحقيق الأستاذ الشيخ ابن أبي شنب . وجاء في هذه النسخة المطبوعة أن المشرق الألماني « يوحنا ثواف » طبع في ليبسغ سنة ١٩٠٤ مقالة لخص فيها كتاب الجمل ، وترجم إلى اللغة الألمانية الأربعة والسنتين شاهداً الأولى <sup>(٣)</sup> .

(١) تاريخ آداب اللغة العربية لزيدان ٢ : ١٨٣

(٢) من الواجب أن أشير هنا إلى وجود نسخة غير معروفة من كتاب الجمل ، للملكة يفتخ بها أحد المشتغلين بالعربية أو الطاعين إلى إعادة طبع « الجمل » بعد أن فقدت نسخة حتى من أشهر المكتبات العامة وهذه النسخة في دار الكتب بالقاهرة مجلدة مع مخطوطات أخرى ، ورقها / ٨٦ ، مجاميع / وهي لا تحمل اسم الجمل ، ولكنها تحمل اسم الزجاجي ، وقد تبين لي لدى قراءتها ومعارضتها بالنسخة المروفة للجمال ذات الرقم / ٦٧ ش / أنها نسخة أخرى كاملة من الكتاب نفسه . وقد كتبت في حلب سنة ١٨٩٥ . وهي تبدأ من الورقة ٩٦ وتنتهي في الورقة ١٧٠ .

(٣) الجمل : ٣٨٣

وأما الكتب التي ألّفت حول الجمل فكثيرة جداً ، منها الشروح ، ومنها شروح الشواهد ، ومنها في التعقيب عليه أو التعليق . . . وقد رأينا أن شروحه بلغت في المغرب وحده مئة وعشرين شرحاً . ولا بدّ من الإشارة هنا إلى أن الجمل نستختان : كبرى وصغرى ، وأن أكثر هذه الشروح كانت للكبرى . ومن شروح الصغرى شرح ابن بابشاذ الذي شرح الجمل وألف كتاباً في الزيادة التي بين الصغرى والكبرى <sup>(١)</sup> . على أن هذه الشروح جميعاً لم يُطبع منها شيء ، فيما أعلم ، وقد ضاع أكثرها ، ولم أستطع أن أعرف منها أكثر من ثمانية وثلاثين كتاباً أقتصر على ذكر أهمها فيما يلي :

أ - شرح الجمل لأبي القاسم الحسين بن الوليد ، المعروف بابن العريف والمتوفى بطليطلة سنة ٣٩٠ <sup>(٢)</sup> .

ب - عَوْنُ الْجَمْل ، وهو شرح لشواهد الجمل ألّفه أبو العلاء أحمد بن عبد الله المعري المتوفى سنة ٤٤٩ لأبي الفتح محمد بن علي بن أبي هاشم . وهو آخر كتاب أملاء أبو العلاء <sup>(٣)</sup> . وللمعري كتابان آخران يتصلان بجمل الزجاجي ، كما ذكر باقوت <sup>(٤)</sup> ، وهما « تعليق الجلبس » <sup>(٥)</sup> و « إسعاف الصديق » .

ج - شرح أبيات الجمل لابن سيده ، علي بن اسماعيل المتوفى سنة ٤٥٨ <sup>(٦)</sup> .

د - شرح الجمل لأبي الحجاج ، بوصف بن سليمان ، المعروف بالأعلم الشنمري ، المتوفى سنة ٤٧٦ . وله أيضاً شرح أبيات الجمل .

(١) مقدمة الجمل .

(٢) منه نسخة خطية في دار الكتب بالقاهرة . رقها / ٤٦٤ نحو / وعدد أوراقها

١٥٥ ورقة .

(٣) معجم الأدباء ٣ : ١٦٠ .

(٤) المصدر السابق ٣ : ١٥٧ و ١٥٨ .

(٥) جاء في إنباء الرواة أنه « تعليق الخلس » ١ : ٦٤ .

(٦) منه نسخة في المكتبة الأحمدية بجامع الزيتونة . رقها ١٤٩٣ .

هـ - إصلاح الخلل الواقع في الجمل<sup>(١)</sup> ، لأبي محمد عبد الله بن السيد البطليوسي المتوفى سنة ٥٢١ هـ . قال عنه صاحب كشف الظنون « إنه أحسن شروح الجمل »<sup>(٢)</sup> .

و - الخلل في شرح أبيات الجمل<sup>(٣)</sup> ، للبطليوسي أيضاً ، وهو يشرح فيه معاني الأبيات وبمزوها الى قائلها . وجدير بي أن أنه على سهو القفطي حين عدّ الكتابين السابقين كتاباً واحداً<sup>(٤)</sup> .

ز - شرح الجمل لأبي الحسن علي بن محمد ، المعروف بابن خروف الأندلسي ، المتوفى سنة ٦٠٦ هـ<sup>(٥)</sup> .

ح - شرح الجمل لأبي الحسن علي بن محمد بن عصفور الاشبيلي ، المتوفى سنة ٦٦٩ هـ<sup>(٦)</sup> .

ط - شرح الجمل لأبي الحسن علي بن محمد بن علي بن يوسف الاشبيلي ، المعروف بابن الضائع ، المتوفى سنة ٦٨٠ هـ<sup>(٧)</sup> . وذكر السيوطي أن

(١) منه نسخة في دار الكتب بالقاهرة ، رقها ١١١٠ نحو . وعدد أوراقها ٧٦ ورقة مكتوبة بخط مغربي . وذكر محقق الجمل أن منه نسخة أخرى في مكتبة ليدن  
(٢) كشف الظنون ١ : ٦٠٣  
(٣) منه نسخة في دار الكتب بالقاهرة ، مجلدة مع كتاب البطليوسي السابق / رقم ١١١٠ نحو / بتدوين من الورقة ٧٧ ولتنهي في الورقة ١٥٠ . ومنه نسخة في المكتبة الأحمدية بجامعة الزيتونة رقها ١٤٩٤ . وقال ناشر الجمل ان منه نسخة في مكتبة برلين .

(٤) إنباء الرواة ٢ : ١٦٠

(٥) ذكره السيوطي في الأشباه والنظائر ٢ : ٣٠ . وأشار إليه بروكلمان . وقال ناشر الجمل إن منه نسخة في مكتبة برلين .

(٦) نقل السيوطي كثيراً منه في الأشباه والنظائر ١ : ٢٠ و ١٠٧ و ١٤٣ و ١٤٩ و ٢١٤ و ٢٩٨ و ٣٣٨ . ج ٢ : ٧٤ و ٨٠ و ٩٨ . ومنه نسخة في المكتبة الأحمدية بجامعة الزيتونة رقها ١٤٩٢ . وقال ناشر الجمل إن منه نسخة في ليدن وأخرى في البروزيانه .

(٧) قيل إنه في ثلاثة أجزاء . ورأيت منه جزأين في دار الكتب بالقاهرة . كتبها سنة ٧٣٥ الأول في ٩٨ ورقة والثاني في ٩٧ ورقة .



أبا الحسن هذا ردّ اعتراضات البطليوسي على الزجاجي .  
 ي- شرح الجمل لجمال الدين عبد الله بن يوسف بن هشام الفخوي ، المتوفى  
 سنة ٧٦٢ .

وقد نقل السيوطي كثيراً من جمل الزجاجي ، وأقوال شارحيه في كتبه  
 ولا سيما الأشباه والنظائر والاقتراح .

### ٣ - كتاب الأمالي :

طبع هذا الكتاب في مصر سنة ١٣٢٤ هـ ، وحققه الأستاذ أحمد بن  
 الأمين الشنقيطي ، إلا أنه لم يكف نفسه عناء التعريف بالكتاب أو بصاحبه ،  
 بل اكتفى بأن ذكر موجزاً لما قاله ابن خلكان عن الزجاجي .  
 وقد جاء ذكر الأمالي في كل الكتب التي تحدثت عن الزجاجي أو آثاره ،  
 كما جاءت نقول عنه في الأشباه والنظائر <sup>(١)</sup> وفي خزانة الأدب <sup>(٢)</sup> . إلا أننا  
 بمراجعة هذه النقول ومعارضتها بالنسخة المطبوعة نتبين أن الأمالي أكثر من  
 نسخة واحدة ، فقد نقل البغدادي في خزانة الأدب عما أسماه بالأمالي الوسطى ،  
 ونحن لا نجد ما نقله في « الأمالي » التي بين أيدينا . وكذلك نقل السيوطي في  
 الأشباه والنظائر كثيراً من أخبار الأمالي مما لا نجد في النسخة المطبوعة إلا  
 بعضه فقط ، كما نظرة أبي حاتم السجستاني والتوزي <sup>(٣)</sup> ، ومناظرة ابن الأعرابي  
 والاصمعي <sup>(٤)</sup> . وقد يكون السبب في ذلك ، أن السيوطي كان ينقل عن  
 نسخ الأمالي المختلفة دون أن يشير إلى ذلك . فما كان منقولاً عن الأمالي  
 الصغرى وجدناه في هذه المطبوعة وما كان عن غيرها لم نجد فيها . وهكذا

(١) خطبة الكتاب . ج ٢ : ٢ و ج ٣ : ٢٢ و ٢٣

(٢) ج ٢ : ١٠٩

(٣) الأمالي : ٧٦ والأشباه والنظائر : ٢٢

(٤) الأمالي : ٣٩ والأشباه والنظائر : ٢٣

فما دنا لم نجد في نسختنا ما نقله البغدادي عن الوسطي ، ولا كثيراً مما نقله السيوطي ، فالأرجح أن تكون النسخة الموجودة هي الأمالي الصغرى . وقد أشار بروكلمان إلى وجود الوسطي والصغرى ، ولم أعثر على غير النسخة المطبوعة التي رجّحت أنها الصغرى ، فلذلك سأقصر حديثي عليها وحدها .

كتاب الأمالي عبارة عن مجموعة أخبار وقصص متتالية متنوعة ، لا نظام لها ، ولا رابطة بينها . ينتقل القارئ فيها من تفسير آية من سورة الكهف مثلاً ، وما قيل فيها من أقوال ، إلى خبر وقع بين معاوية بن أبي سفيان وعامله رَوْح ابن زنباع <sup>(١)</sup> ، ومن شعر لابن أبي ربيعة وجميل بلثينة إلى رثاء قيل في أحمد ابن أبي دؤاد <sup>(٢)</sup> .

ولست أدري ، لعل ذلك يعود إلى أن الشيخ كان يملئ دروسه على طلابه ، فإذا ما انتهى الخبر انتهى معه الدرس ، ثم يأتي الدرس الجديد فيأتي معه الخبر الجديد على نحو ما كان بدور في الدروس القديمة التي تعرف بالمجالس .

على أن هذا التباين في الأخبار لا يعني أن الكتاب أشنات 'جمعت' ، فقد تكون الناحية اللغوية هي التي تنظم كل ما ورد في الكتاب من أخبار وحكايات وأشعار . وعناية الزجاجي باللغة تظهر في هذه الأمالي أكثر من أي ناحية أخرى ، حتى كأنها هي وحدها الغرض من إملائه ، إنه يورد الخبر أحياناً ولا شيء فيه غير اللغة . قال : « أخبرنا أبو عبد الله نبطويه ، عن أحمد بن يحيى ، عن ابن الأعرابي ، قال : الصبر مصدر صبرت . والصبر لغة في الصبر هذا المرة . والصبر الحبس ، يقال صبرت فلاناً على كذا وكذا أي حبسته عليه . وفي الحديث أن رجلاً أمسك رجلاً فقتله آخر ، فقال : اقتلوا القاتل واصبروا الصابر أي احبسوه . والصبر الاجترأ على الشيء ، ومنه قول الله عز وجل :

(١) الأمالي : ٦

(٢) الأمالي : ٥٥ و ٥٦

«فما أصبرم على النار» أي ما أجراًم عليها . وقال المبرد تأويله مادعاهم إلى الصبر عليها (١) . وأشد ابن الأعرابي :

سقينام كاساً سقونا بمثلهما ولكننا كنا على الموت أصبرا  
أي كنا أجراً منهم على الموت فافتحناه (٢) . ومثل هذا كثير جداً  
في الأمازي .

وقد تعرض لبعض المسائل النحوية فيورد أقوال النحاة فيها ثم يذكر رأيه  
وبطله كما فعل حين أورد في بعض الأخبار قصيدة الأحموس التي يقول فيها :

سلام الله يا مطر عليها وليس عليك يا مطر السلام

فقال : «وأما قوله سلام الله يا مطر عليها فإنه منادى مفرد ونونه ضرورة .  
فأما الخليل وسدبويه والمازني فيختارون أن ينوتوه مرفوعاً ويقولون : لما اضطررنا  
إلى تنوينه نوتناه على لفظه . وإلى هذا كان يذهب الفراء ويخاره . وأما أبو عمرو  
ابن العلاء وبونس بن حبيب وعباس بن عمر وأبو عمر صالح بن اسحاق الجرمي  
فينشدونه سلام الله يا مطراً عليها بالنصب والتنوين ، ويقولون : رد التنوين إلى أصله ،  
وأصله النصب ، وهو مثل اسم لا ينصرف ، فإذا اضطر الشاعر إلى تنوينه نوتنه  
وصرفه وردّه إلى أصله . قال الشاعر :

ما إن رأيت ولا أرى في مدني كجواني بلهين بالصحراء

ألا ترى كيف نوتنه وخفضه ؟

قال أبو القاسم الزجاجي رحمه الله : القول عندي قول الخليل وأصحابه ، وتلخيص  
ذلك أن الاسم المنادى المفرد العلم مبني على الضم لمضارعه عند الخليل وأبي عمرو  
وأصحابها للأصوات ، وعند غيرهما لوقوعه موقع المضمر ، فإذا لحقه التنوين في

(١) قال الفراء في هذه الآية وجهان : أحدهما ما الذي صبرم على النار ؟

والوجه الآخر : ما أجراًم على النار . « معاني القرآن » ٦ : ١٠٣

(٢) الأمازي : ٨

ضرورة الشعر فاعلمة التي من أجلها بقي قائمة بعد ، فينون على لفظه ، لانا قد رأينا من المبنيات ما هو منون نحو « ايه وغاق » وما أشبه ذلك ، وليس بمنزلة ما لا ينصرف أصله الصرف . وكثير من العرب لا يمتنع من صرف شيء في ضرورة شعر ولا غيره إلا « أفعل منك » وعلى هذه اللغة قرئ قواريراً قواريراً من فضة بنوينا جميعاً ، فإذا نون فإنما يرد إلى أصله ، والمفرد المنادى العلم لم ينطق به منوناً منصوباً في غير ضرورة شعر وهذا بين واضح . <sup>(١)</sup> »

أما طريقة الزجاجي في هذا الكتاب فهي طريقة من يُعنى بالأسانيد عناية جيدة حتى يكاد لا يخرج من السند خبر من أخبار الكتاب ، كأن يقول : « قال أبو القاسم أخبرنا أبو اسحاق الزجاج قال أخبرنا أبو العباس المبرد عن أبي عثمان المازني عن الأصمعي قال . . . » وهذا أسلوب من اعتقد أن اللغة لا بعدت فيها بالرأي وإنما هي بنت النقل والرواية وللإسناد فيها المكان الأول ، ولما كان الزجاجي في أماليه لغوياً فقد اتبع منهج اللغويين ، أما في غير هذا الكتاب فقد يكون للزجاجي موقف آخر كما هو في الإيضاح ، حيث يحدثك عن مشاكل النحو وعلمه مستغنياً عن السند ، وما ينفعك السند ما دام يحدثك بعلم لك القول حتى يقنعك قوله أكثر مما يقنعك اسم صاحب الخبر ونافله وسلسلة سنده . وبكتاب الأمالي نختم الحديث عن آثار الزجاجي المطبوعة لننتقل إلى الحديث عن آثاره المخطوطة من موجودة ومفقودة .

### ٣ - الإيضاح في طل النحو :

وهو الكتاب الذي سنعرض مادته ونخصه بالحديث بعد قليل .

٤ - شرح مقدمة أدب الكاتب<sup>(١)</sup> :

وهو كتاب شرح الزجاجي فيه خطبة ابن قتيبة في كتابه المعروف بأدب الكاتب . وقد جاء في مقدمة هذا الشرح : « هذا كتاب فيه تفسير رسالة ابن قتيبة في أدب الكتاب ، تأليف أبي القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي » .  
 وبما قاله الزجاجي في المقدمة : « وقد رأيت أن أشرح رسالة الكتاب الموسوم بأدب الكتاب لابن قتيبة ، لأنه ذكر فيها جملاً من الآداب ضريبة ، وأعرض عن شرحها صفحاً يسوغ المقال فيها وينسج الكلام . ففسرت ما تضمنته من اللغة بأشتقاقه وتصريفه ، ومن النحو بعلمه ومقاييسه ، وأوضحت ما أومأ إليه مما ذكر ، لحاجة الكتاب إليه من معرفة المصادر والأبنية ، وانقلاب الياء عن الواو ، والواو عن الياء ، والالف عنها ، وجملاً من التصريف نافعة لمن نظر فيها وتأملها بعين تدبر واستبصار . وفسرت أخبار الرسول ﷺ التي ذكرها ولم يفسرها ووصلت بها ما جانسها . وذكرت معاني الكلام الذي حكاها عن المنطقيين والمهندسين ، وجملاً من المساحة تكفي من نظرها عما سواها . وجعلت جميع ذلك موجزاً غايبة الإيجاز ، ليقول حشوه ، وتكثر فائدته . ولم أخل كل فصل فيه من تضمنه خبراً طريفاً يشاكله ، وأحياناً نادرة ، وبنت معنى ، ليكون هذا الكتاب - باحتوائه على ما ذكرته للمتطلع إلى المعرفة بهذه الأشياء - أحضر فائدة ، وأمرع نفعاً من الكتاب المقصود بالرسالة . وبالله التوفيق »<sup>(٢)</sup> .  
 ( انظر صورة الأصل ) . وبأخذ الزجاجي بعد ذلك بشرح كلام ابن قتيبة .

(١) ورد ذكر هذا الكتاب في : إنباء الرواة ( ٢ : ١٦٠ ) وبغية الوعاة ( ٢٩٧ ) وإشارة التبيين ( ورقة ٢٦ ) وكشف الظنون ( ١ : ٤٨ ) وفهرسة ابن خبير ( ٣٤٤ ) وبروكلمان ( ١ : ١٧١ ) . ومن هذا الكتاب نسخة خطية في دار الكتب بالقاهرة ، رقمها / ٣٩ ش أدب / وهي في ٧٠ ورقة ، كتبت سنة ٥٨٦ هـ بخط عادي ، وعليها شهادة بأنها هورشت بنسخة أخرى عليها خط ابن الحشاش النحوي . وهي نسخة كاملة . صورها معهد المخطوطات تحت الرقم ٣٧٧ . ومنه نسخة أخرى في اسطنبول ، صورها المعهد أيضاً .  
 (٢) شرح مقدمة أدب الكاتب . نسخة دار الكتب رقم ٣٩ ش أدب ، الورقة ٢

• — مختصر الزاهر :

« الزاهر في معاني الكلام الذي يستعمله الناس » كتاب لأبي بكر محمد ابن أبي محمد القاسم الأنباري النحوي المتوفى سنة ٣٢٨ . وهو مجلد شرحه واختصره الشيخ الامام أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي <sup>(١)</sup> « ويحدثنا الزجاجي عن هذا المختصر فيقول : « هذا كتاب جمعت فيه جمل الألفاظ التي ذكرها أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري في كتابه الموسوم بالزاهر ، فشرحتها مختصرة موجزة ، وحذفت منها الشواهد وما يتعلق بها من كلامه المطول . وقد كان المفضل <sup>(٢)</sup> ، صاحب الفراء ، أنشأ كتاباً في هذا المعنى سماه الفاخر <sup>(٣)</sup> ، جمع فيه قطعة من اشتقاق ما بكثير ترداده في المحاورات والمحادثات ، فعمد أبو بكر محمد بن القاسم لذلك الكتاب ، فنقله نقلاً ، وذلل صعبه وبسطه ، وكثره بالشواهد ، وليس للكتاب توصيف ولا نظم مستخرج يتعب فيه المؤلف ، وإنما هي حروف بأعيانها ، منقولة من كتب المتقدمين ، معروفة منها ، فها ومن تكلم في هذه الحروف غيرهما سواء . إلا أنني تدبرت الكتاب الزاهر ، فوجدت فيه من السهو والغلط شيئاً كثيراً ، فرأيت مع اختصاره وتهذيب ألفاظه

(١) كشف الظنون ٢ : ٩٤٧ . وورد ذكر الزاهر في الزهر ( ١ : ٨٧ )  
واهرسة ابن خير ( ٣٤١ ) وبروكمان ( ١ : ١٧١ ) وتاريخ آداب اللغة  
العربية فريدان ( ٢ : ١٨٣ ) .

ومن مختصر الزاهر لزجاجي نسخة خطية في دار الكتب بالقاهرة ، رقها / ٥٥٧  
لغة عربية / كتبت سنة ٦٢٠ هـ بخط مغربي أندلسي . وعدد أوراقها ١٧٩  
ورقة ، متوسطة الحجم .

(٢) لعل الصواب هو « المفضل بن سلمة بن عاصم » ثم سقط ما بعد المفضل ،  
وذلك لأن سلمة بن عاصم هو صاحب الفراء لا ابنه المفضل .

(٣) الفاخر كتاب لأبي طالب المفضل بن سلمة بن عاصم الكوفي ، ألفه فيما دار  
واشتهر بين الناس وسار كالأمثال . وقد طبعه المستشرق الانكليزي شارلس  
انبروس ستوري ( C. A. Story ) في لندن سنة ١٩١٥ م .

إصلاح ما فيه من الغلط ، وكشفه وشرحه ، لأنه كتاب مقصود به المبتدئون  
 للنظر في علم اللغة ، فتي نملأ المبتدئ بشيء من هذا الكتاب ومرت عليه  
 اعتقده ، ورأى أنه الحق دون سواه . فبينت للناظر فيه حقيقة الأشياء ليعرفها .  
 ورأبته قد حكى في مواضع كثيرة للفظ الواحد وجوهاً ، وللمسألة أجوبة ،  
 تكثيراً لذلك ، وإنما يرجع جميعه إلى أصل واحد وإن تباينت ألفاظ العلماء فيه ،  
 فنهت على ذلك ، وأريت كيف رجوعه إلى أصل واحد . ووجدت فيه أيضاً  
 مواضع قد ذكرها من النحو وعلاؤه ومن التصاريف على مذهب الكوفيين ،  
 فذكرتها على مذهب البصريين ، ودلت على صحة مزاعمهم دون مذهب الكوفيين ،  
 ووجدته قد ذكر في بعض الفصول شيئاً يسيراً من اشتقاق أسماء البلدان ،  
 وترك عامة ما يحتاج إليه منها ، فأضفت إليه باباً ذكرت فيه جمهور اشتقاق  
 أسماء البلدان ، وأسباب تسميتها . ووجدت فيه أيضاً مواضع قد ترك فيها  
 للمسألة وجوهاً متباينة لفظاً ومعنى قد ذكرها العلماء مشهورة ، وزيادات بين  
 الباب من اللغة لم يأت بها ، فذكرت ذلك أجمع ، ليكون الناظر في هذا  
 الكتاب مع إحاطة علمه بما تضمنه الزاهر ، عارفاً بمواقع السهو فيه ، وبهذه  
 الأشياء التي ذكرتها ، مع اختصار هذا الكتاب ، وإنه دون الثالث من مقدار  
 جملة الزاهر .

وقد وقع في شيء يسير من هذا الكتاب تقديم وتأخير ، على ما اتفق من  
 اختصار ، إلا أنا قد أتينا عليه أجمع .<sup>(١)</sup>

ولم يترك لنا أبو القاسم ما زیده على وصف مختصره القيم ، إلا أن السبوطي  
 نقل لنا كلمة تبين قيمته إذ قال : قال أبو حسن الشاري في فهرسته : كان  
 شيخنا أبو ذر بقول : المختصرات التي فضلت على الأمهات أربعة ، مختصر العين

(١) مختصر الزاهر ، نسخة دار الكتب بالقاهرة رقم ٥٥٧ لغة . الورقة ١ .

للزبيدي <sup>(١)</sup> ، ومختصر الزاهر للزجاجي ، ومختصر سيرة ابن اسحاق لابن هشام ، ومختصر الواضحة للفضل بن سلمة <sup>(٢)</sup> . « فتأيدت بهذا القول شهادة الزجاجي بنفسه حين جمل مختصره فوق الأصل . »

٦ - كتاب اشتقاق اسماء الله تعالى وصفاته المستنبطة من التنزيل وما يتعلق بها من اللغات والمصادر والتأويل .

جاء في إشارة التعيين أن اسم هذا الكتاب هو « شرح اسماء الله الحسنى » وأكثر الذين تحدثوا عن الزجاجي لم يسيروا الى هذا الكتاب ، وقد عدّ صاحب كشف الظنون واحداً وثلاثين عالماً ممن ألف تحت هذا العنوان ولم يشر الى الزجاجي بينهم بل لم يذكر بينهم من مات قبل سنة ٣٨٨ ، وعلى هذا فان الزجاجي قبلهم جميعاً في السبق الى هذا النوع من التأليف <sup>(٣)</sup> .

ويعرف الزجاجي بكتابه هذا فيقول في خطبته <sup>(٤)</sup> : « هذا كتاب أفردته لشرح اشتقاق اسماء الله عز وجل وصفاته المذكورة في الاثر أن من أحصاها دخل الجنة حسب ما رواها أهل العلم واستنبطوها بعد الرواية بشواهد من كتاب الله عز وجل فاستخرجوها منه لئلا يعارض فيها شك ، ولا يحتاج في الصدور زيف »

(١) كتاب الدين المشهور والذي ينسب للخليل ، اختصره اختصاراً حسناً ابو بكر محمد بن الحسن الزبيدي صاحب طابات القويين والتحويين ، المتوفى سنة ٣٧٩ هـ .  
(٢) الواضحة في تجريد الفاغة ، قصيدة دالية في اثنين وعشرين بيتاً للشيخ برهان الدين بن ابراهيم الجعبري المتوفى سنة ٧٣٢ . وقد اختصرها فضل بن سلمة .  
(٣) يجب أن نشير الى أن ابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ قال في مقدمة كتابه « تفسير غريب القرآن » : « لفتنح كتابنا هذا بذكر أسماء الله الحسنى وصفاته العلى فنخير بنأويلها واشتقاقها ... » وبذلك يكون سابقاً لغيره ولكنه لم يفرد ذلك بالتأليف كما فعل الزجاجي .

(٤) من هذا الكتاب نسخة في دار الكتب المصرية رقها / ٣ ش لفة وهي في ١٤٩ ورقة وصورتها في معهد المخطوطات ( فلم / ٣١٢ ) وهي من رواية أحمد بن محمد بن سلمة النسائي عن أسناده الزجاجي . وصحبها منه علي بن الحسين الرضي .



في التصديق بها ، على مذاهب ( أهل ) العربية العلماء باللغة ، العارفين بأساليب كلام العرب واشتقاقه ونصاريفه ، غير عادل عن مذهب العرب في ذلك خاصة . وأختم الكتاب بالفرق بين الاسم والنعت ، ووجوه النعت في كلام العرب ، وبحار صفات الله عز وجل وموقعها من ذلك ، وذكر من قال بالاشتقاق ومن أبى ذلك والرد عليه وبالله التوفيق » ( انظر صورة الأصل ) .

#### ٧ - كتاب الابدال والمعاقبة والنظائر :

وهو كتاب يبحث في تبادل الحروف بعضها مع بعض وتعاقبها وتناظرها <sup>(١)</sup> .

٨ - كتاب اللامات :

ذكره كثير من تروجموا للزجاجي كالسيوطي <sup>(٢)</sup> وبروكيان <sup>(٣)</sup> وغيرهما ، وهو كتاب جيد يبحث في اللامات ومواقعها في كلام العرب . قال الزجاجي في خطبته : « هذا كتاب مختصر في ذكر اللامات ومواقعها في كلام العرب وكتاب الله عز وجل ومعانيها ونصرتها والاحتجاج لكل موقع من مواقعها ، وما بين العلماء في بعضها من الخلاف . وبالله التوفيق » <sup>(٤)</sup> . ( انظر صورة الأصل ) .

#### ٩ - شرح كتاب الألف واللام للمازني :

ذكر السيوطي <sup>(٢)</sup> هذا الكتاب في جملة كتب الزجاجي وأشار إليه صاحب عيون التواريخ <sup>(٥)</sup> كما أشار إليه صاحب كشف الظنون حين يتحدث عن كتاب

(١) منه نسخة في اسطنبول مصورة ضمن مجموع في جامعة القاهرة / ٢٢٩٦٧ وفي

مهد المخطوطات ( فيلم ٣٥٦ / ٢ نحو ) .

(٢) بنية الوعاة : ٢٩٧ والأشياء والنظائر ٢ : ٢٢٨

(٣) G. A. L . الدليل ١ : ١٧١

(٤) من « اللامات » نسخة في اسطنبول وصورتها في مهد المخطوطات ( فيلم / ٧٩٢ )

ونحن الآن بصدد تحقيقه لنشره قريباً ان شاء الله .

(٥) عيون التواريخ ، المخطوط . ورقة : ٣١٧

الألف واللام للمازني<sup>(١)</sup> . ولم أقع على نسخة منه ولا وجدت أحداً وصفه أو تحدث عنه .

#### ١٠ - المخترع في القوافي :

ذكره السيوطي وقال انه وقف عليه<sup>(٢)</sup> وذكره صاحب « عيون التواريخ » و « كشف الظنون »<sup>(٣)</sup> . وأما ابن النديم فلم يذكر للزجاجي سواء ولكنه انحصر من عنوانه على « القوافي » فقط فقال « وله - للزجاجي - من الكتب كتاب القوافي »<sup>(٤)</sup> وعدمهما محقق الجمل كتابين ثم استدرك فقال عند ذكره كتاب القوافي : « ولعله هو المخترع »<sup>(٥)</sup> وهذا هو الأرجح لأنه ما من أحد جمع بين ذكر الكتابين .

#### ١١ - كتاب الهجاء :

لم يشر أحد إلى هذا الكتاب بين مؤلفات الزجاجي سوى بروكلى . إلا أن الزجاجي نفسه أشار إليه في كتاب الجمل ، فقال في باب الأفعال المهموزة : « وقد ذكرت عامتها في كتاب الهجاء » . ونقل ذلك عنه ناشر الجمل ولم يزد عليه شيئاً .

#### ١٢ - كتاب المجموع في معرفة أنواع الشعر وقوافيه :

جاء اسم هذا الكتاب منسوباً إلى الزجاجي في فهرسة ابن خير<sup>(٦)</sup> . ونقله عنه محمد بن أبي شنب محقق الجمل . ولم يذكره أحد سواهما .

عائده المبارك



( يتبع )

(١) كشف الظنون ٢ : ١٣٩٦ .

(٢) بنية الوعاة : ٢٩٧ والأشياء والنظائر ٤ : ٢٢٨ .

(٣) كشف الظنون ٢ : ١٦٢٥ .

(٤) الفهرست : ١١٨ .

(٥) مقدمة الجمل .

(٦) فهرسة ابن خير : ٣١٤ .

# كتاب شرح الالفات

للدبى بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري السعوي

- ٢ -

فان سأل سائل ، عن الف الوصل ، فقال همزة هي أم ألف ، قيل له ، قال قطرب <sup>(١)</sup> ، هي همزة ، كثير الكلام بها فتركت [ الورقة ال ١١ / ب ] لأن الألف ، لا تحتل الحركة ، وهي ، في قال ، وباع ، وعماد ، وحمار ، ألف لا [ يشك ] فيها ، فلو كانت في ، اضرب ، الف ، ما تحركت ، ورد أبو العباس <sup>(٢)</sup> ، أحمد بن يحيى ، هذا القول ، عليه وقال ، لو كانت همزة ، لثبت في الابتداء ، والوصل ، كما ثبتت ، همزة اسير ، وإصرير ، وأذني ، في كل حال . وقال الفراء <sup>(٣)</sup> ، وسيدوبه <sup>(٤)</sup> ، ومن أخذ بقولها ، هي ألف ، إذا كانت

(١) هو محمد بن المستنير ، المتوفى سنة ٢٠٦ / ٨٢١ م ، له ترجمة في الفهرست ( ص : ٧٨ ) ، والوفيات ( رقم ٦٤٦ ) وبغية الوعاة ( ص : ١٠٤ ) وتاريخ اني القداء ( ج ٢ ص ٢٨ )

(٢) هو ثعلب بن مشاهير نحوي الكوفي ، ولد سنة ٢٠٠ / ٨١٥ م ، وتوفي سنة ٢٩١ / ٩٠٣ م ، روى عنه ابن الأنباري . له ترجمة في الفهرست ( ص : ١١٠ ) والوفيات ( رقم ٤٢ ) ومعجم الادباء ( ج ٢ ، ص ١٣٣ ) وغاية النهاية ( ج ١ ، ص ١٤٨ ) رقم ٦٩٢ ( وبغية الوعاة ( ص : ١٧٢ ) وتاريخ اني القداء ( ج ٢ / ٦٠ )

(٣) هو أبو زكريا ، يحيى بن زياد ، كان ابرع الكوفيين وأعلمهم ، توفي سنة ٢٠٧ / ٨٢٢ م ، له ترجمة في الفهرست ( ص : ٩٨ ) والوفيات ( رقم ٨٠٨ ) ومعجم الادباء ( ج ٢٠ . ص ٩ ) وبغية الوعاة ( ص ٤١١ ) وتاريخ اني القداء ( ج ٢ ص ٢٨ ) وغاية النهاية ( ج ٢ ص ٣٧١ رقم ٣٨٤٢ .

(٤) هو عمرو بن عثمان بن قنبر ، صاحب الكتاب ، توفي سنة ١٧٧ / ٧٩٣ م ( مع اختلاف ) وله نيف واربعون سنة ، راجع الفهرست ( ص : ٧٦ ) والوفيات ( ٥١٥ ) ومعجم الادباء ( ج ٦ ص ٨٠ ) وبغية ( ص : ٣٦٦ ) وغاية النهاية ( ج ١ ص ٦٠٢ رقم ٢٤٥٩ )

صورتها ، صورتها ، وإنما دخلت الألف ، في اضرب ، واصنع ، وما أشبهها ، من أجل أن الضاد والصاد ساكنتان <sup>(١)</sup> ، لا يمكن الابتداء بها ، فدخلت الألف ، يقع الابتداء بها ، والاعتماد عليها .

وقال البصريون ، كسرت الألف ، في اضرب ، لسكونها ، وسكون <sup>(١)</sup> الضاد ، وكذلك كل الفِ للوصل ، تبدأ مكسورة ، علة كسرهما ، أنها ساكنة في الوصل ، لقيها حرف ساكن ، وضمت عندهم ، في أعبد ، وأشكر ، لأن عين الفعل مضومة ، فلما احتيج إلى حركة الألف ، للاساكن الذي لقيها ، ضمها بضم ما بعدها ، وتنكبوا الكسرة ، كراهية الانتقال من كسرة إلى ضم .

والف الاستفهام ، تعرف بمجيء أم بعدها ، أو يحسن هل في موضعها ، وهي مفتوحة أبداً ، كقوله تعالى ، أفترى على <sup>(٢)</sup> الله كذبا ، ألف أفترى ، ألف استفهام ، لقوله ، أم به جنسة ، فانيان أم ، بعدها ، يدل على أنها ألف استفهام ؟

وكذلك ، أستغفرت [ الورقة الـ ٥ / ظ ] لهم أم لم نستغفر <sup>(٣)</sup> لهم ، أطلع <sup>(٤)</sup> الغيب ، أن تجد ، أصطفى البنات على <sup>(٥)</sup> البنين ، ( لانه بعد <sup>(٦)</sup> )

(١) في العبارة نوع تخطيط يجب الانتباه إليه وذلك ان الأصل في همزة الوصل عند نحوى البعرة ان تكون متحركة مكسورة ، وإنما تزم في أدخل ونحوه لاستئصال الخروج من كسر إلى ضم ؛ وعامة الكوليين ذهبوا إلى أنها تتبع عين الفعل وذهب بعضهم إلى أنها تكسر لالتقاء الساكنين ( راجع الانصاف في مسائل الخلاف ص ٣٠٩ - ٣١٢ ، طبعة لندن . سنة ١٩١٣ م ) .

(٢) ص ٣٤ ، ع ١ ، الآية الـ ٨ .

(٣) ص ٦٣ ، ع ١ ، الآية الـ ٦ .

(٤) ص ١٩ ، ع ٥ ، الآية الـ ٧٨ .

(٥) ص ٣٧ ، ع ٥ ، الآية الـ ١٥٣ .

(٦) ورد فوقه - « صح » - .

أم لكم) سلطان مبين<sup>(١)</sup> ؛  
 وقرأ ، نافع<sup>(٢)</sup> ، لكاذبون<sup>(٣)</sup> ، اصطفى ، باسقاط الالف ، في الوصل ،  
 وبكسرها في الابتداء ، يجعلها الف وصل ، ويوجه<sup>(٤)</sup> ، اصطفى ، الى انه  
 حكاية من أهل الكفر ، الا<sup>(٥)</sup> انهم من إفكهم ، ليقولون اصطفى البنات ؛  
 والاستفهام من الله عن وجل ، تقرير ،<sup>(٦)</sup> وتوييح ؛  
 والأصل ، في هؤلاء الأفاعيل ، إاصطفى<sup>(٧)</sup> ، إفتري ، أشكر<sup>(٨)</sup> ،  
 أطلع ، فذهبت ألف الوصل ، لا تثبت في اللفظ ، إلا [عند الابتداء بها] .  
 وقوله ، ألم أحسب<sup>(٩)</sup> الناس أن يتركوا ، الالف في أحسب ، الف  
 استفهام ، تحسن هل في موضعها ، وكذلك ما أشبه هذا .

وكل ألف ، تدخل على حرف عطف ، أو حرف جحد ، في كتاب الله  
 عن وجل ، فهي ألف التقرير ، والف التقرير ، الف الاستفهام ، هي كقوله<sup>(١٠)</sup>  
 تعالى ، أو آباؤنا الأوتون<sup>(١١)</sup> ، أو لو كان<sup>(١٢)</sup> آباؤهم ، أو لم يسيرا<sup>(١٣)</sup>

- (١) من ٣٧ ، ع ٥ ، الآية الـ ١٥٦ .
- (٢) توفي سنة ١٦٩ ( على اختلاف الأقوال ) انظر غاية النهاية ( ج ٢ ص ٣٣٠ ، رقم ٣٧١٨ ) .
- (٣) من ٣٧ ، ع ٥ ، الآية الـ ١٥٢ .
- (٤) انظر تفسير الطبري ( ج ٢٣ من ٦١ ) والنيسابوري على هامش المرجع المذكور ، ومفاتيح الغيب ( ج ٧ ص ١٦١ ، طبعة الشرفية سنة ١٣٠٨ )
- (٥) الأولى ان يمحذف .
- (٦) انظر التاج ( ج ١٠ ص ٤٢٢ ) .
- (٧) الاصل - « اصطفى » - .
- (٨) كذا . ولم يرد في ما تقدم .
- (٩) من ٢٩ ، ع ١ ، الآية الـ ١ - ٢ .
- (١٠) الاصل - « كفولك » - .
- (١١) من ٣٧ ، ع ١ ، الآية الـ ١٧ .
- (١٢) من ٢ ، ع ٢٠ ، الآية الـ ١٧٠ .
- (١٣) من ٢٠ ، ع ١ ، الآية الـ ٩ .

في الأرض ، ألم بأتكم نذير <sup>(١)</sup> ، ألسنت <sup>(٢)</sup> يربكم ، هذا وما أشبهه .  
وألف الخبر عن نفسه ، وتعرف بأنا وغدير ، (تضم اذا) كان ماضي فعلها ،  
على أربعة أحرف وتفتح اذا كان الماضي على < أقل أو > أكثر من  
أربعة أحرف .

وتبتدى ، قوله عز وجل ، ولكن اعبد <sup>(٣)</sup> الله ، أعبد ، بالفتح ، لأنها  
ألف الخبر عن نفسه ، فيقال في امتحانها ، أنا غداً ، وفجئت (لأن الماضي ،  
أقل من <sup>(٤)</sup>) ، [ الورقة الـ ٥ / ب ] أربعة ، وهو عَبد ؛

وكذلك ، استخلصه لنفسه ، ألفه ، ألف الخبر عن نفسه ، يحسن أنا وغداً ،  
في امتحان فعلها ، اذا أنت ، كقول القائل ، استخلصه أنا غداً ، وابتدأت بالفتح ،  
لأن الماضي ، استخلص ، وعدة حروفه أكثر من أربعة أحرف ؛

وتبتدى ، قوله تعالى ، أفرغ عليه <sup>(٥)</sup> قطرا ، بضم الألف ، لأنها ألف  
الخبر عن نفسه ، في فعل ماضيه ، أربعة أحرف ، وهي أفرغ ، فألف الخبر  
عن نفسه ، لا تكون أبداً ، إلا أول المستقبل ، لأنها إحدى دلالات [ الاستقبال ،  
ففعال <sup>(٦)</sup> ، أن تحمل ] ماضياً أو دائماً ؛

والف الخبر في فعل ما لم يسم فاعله ، لا تكون إلا مضمومة ، فالت حروف  
الماضي ، أو كثرت ، كقوله ، أكرم ، أو اضرب ، واستخلص ؛  
وألف ما لم يسم فاعله ، تكون في أربعة أمثلة ، في فعل ، وافتعل ،

(١) س ٦٧ ، ع ١ ، الآية الـ ٨ .

(٢) س ٧ ، ع ١٢ ، الآية الـ ١٧٢ .

(٣) س ١٠ ، ع ١١ ، الآية الـ ١٠٤ .

(٤) ورد قوله « صح » .

(٥) س ١٨ ، ع ١١ ، الآية الـ ٩٦ .

(٦) ما بين القوسين مخروم والواضح « ان يحل » .

واستفعل ، وانفعل ، وقد تكون في فعل ، غير لازمة له ؛  
 فأما ألف أفعال ، فألف (١) أخرج ، وأكرم ، وأحسن ؛  
 وألف افتعل ، ألف أكتسب ، وأصطنع ، وأضطر (٢) ، وأجث (٣) ،  
 من أجل أن الأصل ، في اضطر ، اضطرر ، و < في اجتث > اجتث ،  
 فأبدلوا من التاء ، طاء ، لأنها أشبه بالضاد ، من التاء (٤) فاستثقلوا [الجمع  
 بين حرفين] متفركين ، من جنس واحد وأسكنت الراء الأولى ، وأدغموها  
 في التي بعدها وكذلك سكنوا التاء (٥) الأولى ، وأدغموها ، في (٦) التاء ، الثانية ؛  
 وألف استفعل ، الف استضعف ، واستخرج ، وما أشبههما [الورقة الـ ٤/ظ]  
 وألف انفعل ، الف انقطع بالرجل ، والف فعل ، ألف أخذ ، وأكل ،  
 و (أمر ، ولبت لازمة (٧) هذا المثال كله ، كزوم أولئك الألفات ،  
 مثلها ، من قبل أنك تقول ، ضرب ، وشتيم ، وذعر ، فلا تجد فيهن ألفاً ؛  
 واعلم أن الف استفعل ، وانفعل ، وافتعل ، الف ما لم يسم فاعله ، من الف  
 الوصل ، إذا كنت تقول ، في حال تسمية الفاعل ، استفعل ، وانفعل ،  
 وانفعل ، فلا تحمل عليك أنها الف وصل ، مبينة على عين الفعل .  
 وألف أفعال ، الف ما لم يسم فاعله ، من الف القطع ، من قبل أنك إذا  
 سميت الفاعل قلت ، أخرج فلان الشيء ، فوضح لك الف قطع ؛  
 وألف فاعل ، الف ما لم يسم فاعله ، من ألف الأصل ، لأنك [تسمي]  
 الفاعل ، فتقول ، أخذ ، وأمر ، فلا يغمض عليك ، أنها ألف أصل ؛

(١) في الأصل « وألف » .

(٢) في الأصل « اضطرب » .

(٣) في الأصل « اجتث » بذلك الإدغام .

(٤) في الأصل « التاء » .

(٥ - ٦) في الأصل « التاء » .

(٧) ورد لونه « صح » .

وانما ابتدئت ، الف ما لم يسم فاعله ، بالضم ، لدلالة الفعل ، الذي هي <sup>(١)</sup> أوله ، على فاعل <sup>(٢)</sup> ومفعول ، اذ ضرب ، لا يخلو <sup>(٣)</sup> من دلالة على ضارب ومضروب ، فكان ضم أوله دلالة على تضمينه <sup>(٤)</sup> معنيين ، كما قالوا ، زيد حيث <sup>(٥)</sup> عمرو ، فالزموا حيث <sup>(٦)</sup> ، الضمة لمقامها مقام محلين ، كقولك في مكان فيه عمرو ، وقالوا ، نحن [ قننا ] فضعوا نحن في جميع الأحوال ، لتضمنه معنى التثنية ، ومعنى الجمع ، إذ كان الرجلان يخبران <sup>(٧)</sup> عن أنفسهما ، فيقولان ، نحن قننا ، ويقول الرجال ( مثال ذلك <sup>(٨)</sup> ) .

[ الورقة الـ ٤ / ب ] باب <sup>(٩)</sup> ذكر الألفات المبتدأة في الأسماء .

اعلم أن ألفات الأسماء ، أربع ، ألف أصل ، وألف قطع ، وألف وصل ، وألف استفهام ؟

فألف الأصل ، تعرف بثقل حركاتها في الفعل <sup>(١٠)</sup> ، اب رفعا رفعا ، وان نصبا نصبا ، وان خفضا خفضا ، كقوله عز وجل ، وأخذتم على ذلكم <sup>(١١)</sup> إصري ، ألف إصري ، الف أصل ، لأنها فاه من الفعل ثابتة في التصغير ، ووزن إصري من الفعل ، فعل فاعلم ، ويقال في تصغيره أصيرا ، باستينافها بالقطع ،

(١) هامش الاصل « احببه يبنى » ، قلت هذا التصويب ظاهر الخطأ .

(٢) في الاصل « او » .

(٣) في الاصل « لا يخلو » .

(٤) حروف مخرومة .

(٥) في الاصل « حيث » .

(٦) في الاصل « جيت » .

(٧) في الاصل « على » .

(٨) ورد فوقه « صح » .

(٩) نسخة برلين « ذكر الالفات النح »

(١٠) في الاصل - « الوصل » -

(١١) س ٣ ، ع ٩ ، الآية الـ ٨١ .



وكذلك ، قل اذن (١) خير لكم ، ألف اذن ، ألف أصل بتبدي بالضم على مثال فعل ، والألف فاء من الفعل ، ويقال في تصغيرها ، هذه أذينة ، فثبتت الألف فيها ، وكذلك ، وكان (٢) أمر الله ، ألف أمر الله ، الف أصل ، بتبدي بالفتح ، لأنها كالزاي في زيد ، وزن أمر ، من الفعل ، فعل ، فالألف فاء من الفعل ، وتصغير أمر ، أمير ، فالألف ثابتة فيه ، ومثله ، أب ، لأن وزنه فعل ، وأصله أبو (٣) ، وتصغيره ، أبي ، وأم ، لأن وزنها فعل ، وتصغيرها أمية ؛

وألف القطع في الأسماء ، تكون أول الاسم المفرد ، وأول الجمع (٤) ، فإني بيتدا بها في أول الاسم المفرد ، تعرف بثباتها في التصغير ، وبأنها [الورقة الـ ٣ / ظ] فاء من الفعل ، كقولك ، هو أحسن من غيره ، ألف أحسن ، ألف قطع ( في الاسم المفرد ، (٥) لأن ) وزنه من الفعل ، فعل ، فألفه غير فاء من الفعل ، وتقول في تصغيره ، أحسن ، فتوجد الألف فيه ، ومثله ، أكبر ، وأعقل ، وأبل وأجل ، وأحمد ، وأحزم ، وأصبح ، وما أشبههن .

وألف القطع في الأسماء المجموعة ، تعرف بحسن دخول الألف واللام عليها ، وإنها ليست فاء من الفعل ، ولا عينا ، ولا لاما ، كقوله تعالى ، مختلف (٦)

(١) س ٩ ، ع ٨ ، الآية الـ ٦١ .

(٢) س ٤ ، ع ٧ ، الآية الـ ٤٧ .

(٣) في الأصل « ألف » .

(٤) جاء في اللسان ما نصه : وقال أبو بكر بن الابراري ، ألف القطع ، في اوائل الاسماء ، على وجهين ، أحدهما ان تكون في اوائل الاسماء المفردة ، والوجه الآخر ، ان تكون في اوائل الجمع ، فإني في اوائل الاسماء ، تعرفها بثباتها في التصغير ، بان تمنح الألف فلا تجد فاء ، ولا عينا ولا لاما ، وكذلك لم يتروا باحسن منها النح ( اللسان : ج ٢٠ ص ٣١٣ ) .

(٥) ورد قوله - « صح » - .

(٦) س ١٦ ، ع ٩ ، الآية الـ ٦٩ ، س ٣٥ ع ٤ ، الآية الـ ٢٨ .

ألوانه ، ألف ألوان ألف قطع في الجمع من الأسماء ، لأن وزن ألوان ، أفعال ، فالألف غير فاء ، ولا عين ، ولا لام ، وتدخل عليها الألف واللام ، فتقول الأوزان <sup>(١)</sup> ، وكذلك ، السنة والأُسنة <sup>(٢)</sup> ، وآيات ، والآيات ، وأنواب وأنواب .

وألف القطع في هذين النوعين ، مفتوحة ، ومتى وردت عليهم مكسورة أو مضمومة كانت بمنزلة المفتوحة ، فإذا كانت أول الاسم الأعجمي ، ألف فهي ألف قطع ، وتعرف الاسم الأعجمي [بامتناعه] من الاجراء <sup>(٣)</sup> ، وبأنه معدوم من عتيق كلام العرب ، إلا أن نخلوه عن العجم ، كقولك إبراهيم ، وإسماعيل ، واسحق ، وإدريس ، وهي مكسورة في الوصل والقطع ، كسر بناء ، لازم غير محكوم عليها ، بأنها ألف أصل ، إذ كان الأعجمي مجهول الاشتقاق ، والف استبرق <sup>(٤)</sup> أيضاً ، ألف قطع في الاسم الأعجمي ، وإن كان مجرى (لأن العرب أخذته <sup>(٥)</sup>) [الورقة ٣/ب] عن العجم ، وأجرته لتكبره ، ومنعت إبراهيم ودونه الاجراء <sup>(٦)</sup> ، للتعريف والمعجمة ، فإن أنت الألف في أول الأعجمي مفتوحة أو مضمومة فهي أيضاً بمنزلة المكسورة ، ألف القطع ؛

(١) كذا ولو كان « الألوان » لكان اوفق بالسباق .

(٢) في اللسان - « السنة » - مصنفنا ( ج ٢٠ ص ٣١٣ ) .

(٣) في الاصل : الاجزاء .

(٤) زعم بعضهم انه استعمل من البرق ( انظر الملائكة : ص ٢٢ مع الحاشية ) ونسبه المروسي الى الزجاج والذي حكى عنه صاحب اللسان ينفيه ( انظر اللسان ج ١١ ص ٢٨٥ ) .

(٥) ورد لونه - « صح » -

(٦) في الاصل : الاجزاء .

والفات الوصل ، في الأسماء ، تسعة <sup>(١)</sup> ، ألف ابن ، وابنة ، واثنين ،  
واثنتين <sup>(٢)</sup> ، وامرئ ، وامرأة ، وامم ، وامت ، والرجل .  
فثمانية منها ، تعرف بسقوطها في التصغير <sup>(٣)</sup> ، وتكسر في الابتداء ،  
فتقول في تصغير <ها> <هَي> ، <وُبَيْسَة> ، <وُنَيْيَان> ، <وُنَيْيَاتَان> ، <وَمَرِي> ،  
<وَمَرِيَّة> ، <وَمَرِيَّة> ، <وَمَرِيَّة> .

والثامنة تعرف بدخولها مع اللام للتعريف ، وسقوطها عند <sup>(٤)</sup> التكثير ،  
كقولك رجل ، والرجل ، وطفل ، والطفل ، وحمد ، والحمد <sup>(٥)</sup> ؛  
وأما ألف ابن ، فكسرت لأن أصله امرئ من بنيت ، وألف اثنين  
كسرت لأن أصله امر من ثنيت ، اثني <sup>(٦)</sup> على مثال ، افض من قضيت ،  
إرم من ربيت ، وألف امم كسرت ، لأن أصله امر من سميت ، وألف  
امرئ لم يصلح بناؤها على الثالث إذ كان يضم في الرفع ، ويفتح في النصب ،  
ويكسر في الخفض ، فيقال : قام امرؤ ، ورأيت امرأة ، وصررت بامرئ ،  
فلما لم يصلح ذلك ، ألحقت بأخواتها من ألف ابن ، وابنة ، واثنين ، واثنتين ،  
وألف امت أيضاً ملحقه بأخواتها .  
وألف الرجل تبتدأ بالفتح ، لأنها دخلت مع اللام للتعريف ، فشبهت أُلّ ،

(١) هذه العشرة لخصها صاحب اللسان والتاج ، فيما حكاه عن ابن الانباري

( راجع : اللسان ج ٢٠ ص ٣١٣ ، والتاج ، ج ١٠ ص ٤٢٣ )

(٢) اللسان والتاج : ابين وابتين ، مصغراً .

(٣) اللسان والتاج : « ويجذف في الوصل » .

(٤) في المراجعين : وهي مفتوحة في الابتداء ، ساقطة في الوصل .

(٥) من هذا الباب أم الله في اللهم قال ابن خالويه : وليس في كلام العرب ،  
ألف وصل مفتوحة إلا في هذين ، يعني حرف اللام للتعريف وأيم الله ( راجع

كتاب ليس : ص ١٢ ، ٦٩ طبعة مصر سنة ١٣٢٧ )

(٦) في الأصل - التي -

بِهَلْ ، وَبَلْ ، وَنَمْ ، وَكَمْ ، فَنَ قَالَ قَائِلٌ ، فَهَلَا<sup>(١)</sup> 'كَسَرَتْ' وَشَبَّهَتْ  
بَيْنَ [الورقة الـ ٢ / ظ] وَإِنْ<sup>(٢)</sup> ، فَقُلْ كَرِهُوا أَنْ يَكْسُرُوهَا ، فَتَلْتَبِسَ بِأَلْفِ  
أَيْنَ ، وَإِثْنَيْنِ ، وَهِيَ مَخَالَفَةٌ (لَهَا مِنْ جِهَةٍ<sup>(٣)</sup> امْتِحَانُهَا) فَآثَرْنَا فَتَحَهَا<sup>(٤)</sup> لَذَلِكَ ؛  
وَأَلْفِ الاسْتِفْهَامِ ، تُمْتَحِنُ فِي الْأَسْمَاءِ ، بِمَثَلِ الَّذِي تَعْرِفُ بِهِ فِي الْأَفْعَالِ ،  
فَنَ سَأَلَ سَائِلٌ ، عَنْ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ ، قُلْ آلَ الذِّكْرِ مِنْ حَرَمٍ أَمْ الْإِثْنَيْنِ<sup>(٥)</sup> ،  
قِيلَ لَهُ ، الْأَلْفُ فِي آلَ الذِّكْرِ ، أَلْفُ اسْتِفْهَامٍ [بَدِيلٌ] أَمْ بَعْدَهَا ، وَإِنَّمَا  
زِيدَتْ الْمُدَّةُ لِيُفَرَّقَ بَيْنَ الْاسْتِفْهَامِ وَالْخَبَرِ ، مِنْ أَجْلِ أَنْهُمْ لَوْ قَالُوا ، أَلْذِّكْرَيْنِ  
حَرَمٌ ، بِغَيْرِ مَدَّةٍ ، لَمْ يَقْعَ بَيْنَ الْاسْتِفْهَامِ وَالْخَبَرِ فَرْقٌ ، وَكَذَلِكَ ، الْآلَفُ  
وَقَدْ عَصَيْتَ<sup>(٦)</sup> ، وَهُوَ اللَّهُ<sup>(٧)</sup> خَيْرٌ > أَمَّا يَشْرُكُونَ < .

فَنَ قَالَ قَائِلٌ ، فَلَمْ لَمْ يَزِيدُوا ، مَدَّةً فِي قَوْلِهِ ، أَفْتَرَى ، وَالْفَاءُ ، أَلْفُ  
اسْتِفْهَامٍ كَأَلْفِ الذِّكْرِ ، قِيلَ لَهُ ، أَلْفُ الْخَبَرِ أَفْتَرَى ، مَكْسُورَةٌ ، وَأَلْفُ  
الْاسْتِفْهَامِ مَفْتُوحَةٌ ، فَانْتِشَاحُ الْأَلْفِ فَرَّقَ بَيْنَهُمَا فِي الْاسْتِفْهَامِ وَالْخَبَرِ ، فَأَعْنَى  
عَنِ الْمُدَّةِ ، وَأَلْفُ الذِّكْرِ ، مَفْتُوحَةٌ فِي الْاسْتِفْهَامِ وَالْخَبَرِ ، فَنَ أَجَلَ ذَلِكَ ،  
فَرَفَعُوا بَيْنَهُمَا فِي الْمُدَّةِ ؛

(١) فِي الْأَصْلِ - هَلْ -

(٢) تَرْقِيعٌ

(٣) وَرَدَ لَوْحُهُ - صَح -

(٤) لَفْظُ ابْنِ خَالَوَيْهِ : . . . قَدَحَتْ لِأَنَّهَا خَالَفَتْ بِدُخُولِهَا مَوْضِعَهَا ، لِمَا لَفَّوْا

بِحَرَكَتِهَا حَرَكَتَهَا ، لِأَنَّ أَلْفَ الْوَصْلِ ، لَهَا دَخْلٌ عَلَى الْأَفْعَالِ وَعَلَى الْأَسْمَاءِ ،

وَهِيَ فِيهَا مَكْسُورَةٌ أَوْ مَضْمُومَةٌ ( كِتَابُ لَيْسَ : ص ٦٩ ، ١٢ )

(٥) س ٦ ، ع ١٧ ، آيَةُ ١٤٤

(٦) س ١٠ ، ع ٩ ، آيَةُ ٩١

(٧) س ٢٧ ، ع ٥ ، آيَةُ ٥٩

واعلم أن ألف الدعاء <sup>(١)</sup> ، كآلف الاستفهام في اللفظ ، تعرف بات  
يحسن في موضعها ، يا ، كقولك ، أزيد أقبل ، معناه ، يازيد أقبل ، من  
ذلك ، قرأ نافع ، وغيره <sup>(٢)</sup> ، أمن هو قاتل <sup>(٣)</sup> بالتخفيف في الميم ، كأنه <sup>(٤)</sup>  
يا من هو قاتل ؟

### باب <sup>(٥)</sup> الألفات المستأنفات في الأدوات وما تجري في مجراها من المكاني وأسماء الاشارات

اعلم أن الألفات ، المبتدأة ، في الأدوات المحضة ، أصلية ، حفظها الكسر ،  
كقولك ( إن ، وإذا ، وإما ، وإلا ، وإذا ) [الورقة الـ ٢٥ / ب] وإذن <sup>(٦)</sup> وإلى .  
وقد تأتي ، مفتوحة كقولك ، أمّا ، وأما <sup>(٧)</sup> ، وأنا ، وتعرف الأدوات ،  
بافتتاح الكلام بها ، وبأنها لا يصحبها خبر لها يرفعها ، ولا يقع بها خبر  
تضير عنه ، فينصبها ولا بدخل عليها حرف خفض فيكسرهما .

وآلف الاسم المحوّل ، من الأداة أصلية ، لا تكون إلا مفتوحة ، كقولك  
أن- ، وأما ، وأن ، وبذلك على أنهن أسماء ، دخول عوامل الرفع والخفض  
عليهن ، كقولك يعجبني أنك قائم ، وإن تقوم ، موضعها رفع بالاعجاب ،

(١) يعني ألف النداء

(٢) منهم ابن كثير وحجة ( مفاتيح الغيب ج ٧ ص ٢٢٨ ) وانظر تفسير الطبري

( ج ٢٣ ، ص ١١٨ / ٧ )

(٣) ص ٣٩ ، ج ١ ، الآية الـ ٩

(٤) هذا قول الفراء . وفي التخفيف أيضاً إن تكون الالف ، ألف استفهام ،

داخلة على آمن ( انظر مفاتيح الغيب ج ٧ ص ٢٢٨ )

(٥) هذا الباب أغفله أهلوردت في فهرسته

(٦) في الأصل : إذا

(٧) في الأصل : إما

واعلم أنك قائم ، وإن تقوم ، موضعها نصب بالعلم ، ونقول فكرت في أنك قائم ،  
وفي أن تقوم فيخفها بني بكشف لك أنهم محولات عن الأدوات سقوط الإعراب  
عني ، إذ العوامل لا تؤثر فيمن أثراً من ضم ولا كسر ولا فتح ؛

وَألف المكي الأصلية المرفوعة ، تستأنف بالفتح ، كقولك أنا ، وأنت ،  
وأنتما ، وأنتم ، وأنن ، وقد تأتي في مواضع الخفض عند الضرورة ، كقولك  
إياك أنت موضع أنت خفض بالكاف ، وكذلك أنت كأننا <sup>(١)</sup> ، الكاف خافضة  
أنا ، وتأتي أيضاً في موضع النصب ، كقولك ضربتك أنت ، موضع أنت  
نصب على التوكيد للكاف المنصوبة إلا أن الأكثر فيهن والأغلب عليهن ،  
الوقوف في موضع إياك نعيد ، ومثله إياكما ، وإياك ، وإياكن ، وربما وقعت  
في موضع الخفض كقولهم أنا كأياك ، وأنت كأياي ، قال الشاعر <sup>(٢)</sup> :

[ الورقة الـ ٢٢ / ظ ]

فأحسن <sup>(٣)</sup> وأجل في أسيرك انه ضعيف ولم بأمر كأياك أسير <sup>(٤)</sup>  
والأغلب عليهن التعرف <sup>(٥)</sup> بالنصب ؛

وَألف أسماء الإشارات ، أصلية تستأنف بالضم ، كقولهم أولياء <sup>(٦)</sup> ،  
وأولئكم ، وأولئكن ، وألف وأولي ما ، أصلية تبتدأ بالضم للبناء ، وكذلك

(١) الأصل : كانت

(٢) هذا الشاعر لم يطلعوا عليه والبيت استشهد به الفراء وهشام عن الكسائي ،  
وعلم في أماليه وابن عصفور في كتاب الفرائز ( راجع خزائن الأدب :

ج ٤ ص ٢٧٤ )

(٣) في رواية : فاجل وأحسن

(٤) في الأصل : أسير

(٥) ترفيع

(٦) يمد ويامر ، وهو تصغير أول

ألف أولات ، وواحد أولي ، ذو<sup>(١)</sup> ، وواحد أولات ، ذات<sup>(٢)</sup> ، وهذان الحرفان ليسا من أسماء الإشارة ، إذ كان أولو مال بمعنى أصحاب مال وأولات بمعنى صاحبات يقاس<sup>(٣)</sup> على هذا ما يرد من هذا الباب إن شاء الله تعالى ،<sup>(٤)</sup> ثم كتاب شرح الألفات الأنباري النحوي ، رضي الله عنه ، بحمد الله وبعمونه

### (عبارة من كتاب الوقف والابتداء)

هذا نص ماورد ، في حاشية الورقتين الـ ١١ / ظ — الـ ١٠ / ب ، من نسخة الأصل :

« من كتاب الوقف والابتداء ، لابن الأنباري ، أيضاً : كان الأصل في قولهم ، ابت يارجل ، ائت<sup>(٥)</sup> يارجل ، ائتوا<sup>(٦)</sup> يارجل ، فجعلوا المحزة الساكنة ياء ، لسكونها وانكسار ما قبلها ، وذلك ان العرب ، تجعل المحزة ياء ، اذا انكسر ما قبلها وكانت ساكنة ، ويجعلونها ألفاً اذا سكنت وانفتح ما قبلها ، ويجعلونها واواً اذا سكنت وانضم ما قبلها ، وأما المحزة التي سكنت وانكسر ما قبلها ، فتحذف الذب ، كان الأصل فيه الذب ، فأبدلوا من المحزة ياء<sup>(٧)</sup> ، لسكونها وانكسار ما قبلها ، وأما حكمنا على الذب بالمحز ،

(١) في الاصل : ذوا ، وفي نسخة برلين : ذي

(٢) في الاصل : ذات

(٣) في نسخة برلين : يقاس على ما شرحنا ، ما يرد مما يشاكله ان شاء الله تعالى

(٤) ( راجع فهرس مطبوعات ، ج ٦ ص ٢٠٠ )

(٥) ورد هنا ما نصه : بلغت المقابلة

(٥) في الاصل : ايت

(٦) في الاصل : ايتوا

(٧) خرق وتقليب

لأنه مأخوذ من تذائب الريح و < هو > مجيئها من كل وجه ، قال ذو (١) الرمة :  
 فبات يشتره (٢) تأد (٣) وسهده (٤) تذؤب (٥) الريح والوسواس والهضب (٦)  
 فعنى يشتره (٧) ، يشخصه (٨) وبقلقه (٩) ، والتأد (١٠) ، الندى ، وتذؤب  
 الريح مجيئها من كل وجه ، والهضب ، الدفعات من المطر ، وقال ذو الرمة (١١) أيضاً :  
 غذا كأن له جئنا تذؤبه (١٢) من كل أقطاره يخشى ويرتقب  
 فعناه كأن به جئنا يأخذه من كل وجه ؛

وأما المحزة التي جعلت ألفاً ، لانفتاح ما قبلها ، فكقوله ، آمن الرسول ،  
 كان الأصل فيه آمن الرسول ، فجعلوا المحزة الساكنة ألفاً ، لانفتاح ما قبلها ،  
 وذلك أنها اذا سكنت ضعفت ، فنقلت الحركة عليها ، وكذلك ، يا بني آدم ،  
 كان الأصل فيه آدم ، فجعلوا المحزة الساكنة ألفاً لانفتاح ما قبلها .

(١) ديوانه : ص ٢٢ ، ب ٨٤ ، والسان : ج ٧ ص ٢٢٨ ، ج ٨ ، ص ١٤١ ، والتاج : ج ٢ ، ص ٣٠٩ ، ج ٤ ، ص ٢٦٨ ، ج ٤ ، ص ٤٣

(٢) في الاصل : يشتره

(٣) في الاصل : تأد ، ويخط الزيدي في التاج : ثاء ( ج ١ ص ٢٤٨ )  
 وكلاهما مصتف

(٤) الرواية السائرة : يسره

(٥) في رواية : تذؤب

(٦) جمع هاضب مثل تابع وتبع عن أبي عمر ، ويروى « الهضب » كعنب ( التاج  
 ج ١ ص ٥١٥ )

(٧) في الاصل : يشتره

(٨) في الاصل : يحصه ، بلا نقط

(٩) في الاصل : يقلقه

(١٠) في الاصل : التاد

(١١) ديوانه : ص ٢٢ ب ٨٧

(١٢) في الاصل : يدابه



وأما الحمزة التي سكنت ، وانضم ما قبلها فكقولك ، يؤمن كان الأصل فيه يؤمن فجعلت الحمزة الساكنة واوآ ، لانضمام ما قبلها ،

فان قال قائل ، اذا قلنا في الدرج ، لقائنا انت ، فهاهذه الحمزة ، قيل له ، هذه الحمزة ، هي الساكنة التي في انت ، وهي فاء الفعل [ الورقة الـ ١٠ / ب ] > وألف<sup>(١)</sup> الوصل < ساقطة ، وقد أجاز الكسائي ، أن تثبت الحمزة في الابتداء ، فأجاز للمبتدي أن يقرأ ، إئت بقرآن ، بهمزتين مخففتين ، قال ابن الأنباري : حدثنا بذلك إدريس<sup>(٢)</sup> عن خلف<sup>(٣)</sup> عن الكسائي ، قال أبو بكر ، وهذا فيج ، لأن العرب لا تجمع بين همزتين ، الثانية منها ساكنة ، ومع هذا ان أبا العباس حدثنا عن سلمة بن<sup>(٤)</sup> عاصم عن الفراء ، أنه قال : العرب لا تنطق بهزة ساكنة إلا بنو تميم ، فانهم يهزون فيقولون ، الذئب ، والكأس ، والرأس ، من كتاب الوقف والابتداء لابن الأنباري .

### أبو محفوظ الكرمي معصومي



- (١) ما بين المكفين خرق  
 (٢) هو إدريس بن عبد الكريم الحداد ، التوفي سنة ٢٦٢/٣ ( ٩٠٤/٥ م )  
 راجع غاية النهاية ( ج ١ ص ١٥٤ ، رقم ٧١٧ )  
 (٣) هو خلف بن هشام البزار المقدم الذكر ، وهو من الثقلين عن الكسائي  
 ( راجع غاية النهاية ج ١ ص ٥٣٦ )  
 (٤) في الأصل : سلمة عن عاصم - والصواب ما قدرته وهو صاحب الفراء ، التوفي بعد الـ ٨٨٣/٢٧٠ م ( راجع الفهرست : ص ١٠١ ، و غاية النهاية ج ١ ص ٣١١ )

# نظرة في معجم المصطلحات الطبية

الكثير اللغات

للدكتور ١٠ ل . كبرفيل

نقله الى العربية الأستاذة سرشد خاطر وأحمد حمدي الحياط  
ومحمد صلاح الدين الكواكي  
( لجنة المصطلحات الطبية في كلية الطب من جامعة دمشق )

- ٣ -

رقم المصطلح	رقم المصطلح
561 Amastie	٥٦١ غيبة الثدي
	وأرجح اللاتينية ( مجمع اللغة ) .
562 Amaurore, cécité	٥٦٢ كُمنَة، عمى مُطبِّق (بدون
( comptète sans alté-	تلف طبَّقات العين )
( -ration des milieux	
de l'œil )	

الكُمنَة ظلمة تأخذ في البصر ( اللسان ) وقد أفرها مجمع اللغة . والغالب أن تطلق على ذهاب البصر من العين الواحدة . أما العمى المطبق وغير المطبق فلا يطلق في اللغة العربية إلا على ذهاب البصر من العينين وإلا فهو عَوَر ، ففي اللسان : العمى ذهاب البصر كله ، وفي الأزهرى من العينين كليهما الى أن قال رجل أعمى وامرأة عمياء ولا يقع هذا النعت على العين الواحدة لأن المعنى يقع عليهما جميعاً فيقال عميت عيناه .

٥٦٤ غَطَش Amblyopie 564

وأفر جمع اللغة كلمة كَمَش . ودرج كاتب هذه السطور على استعمال كلمة غَمَش ، ففي اللسان : الأَكْش الذي لا يكاد يبصر ، والغَمَش ظلام البصر من جوع أو عَطَش ، والغَمَش سوء البصر ، والغَمَش عارض ثم يذهب ؛ أما الغَطَش في العين فثبه العَمَش ، الغَطَش الضعف في البصر كما ينظر ببعض بصره ، ويقال هو الذي لا يفتح عينيه في الشمس . واللفظة الأفرنجية تطلق على الضعف العارض على البصر ولا سيما ما كان منه غير متأث عن علة عضوية أو عن زبغ في طبقات العين . لذا أفضل الغَمَش والكَمَش على الغَطَش .

٥٦٧ غيبة الأطراف الأربعة Amélie 567

والأفضل أن يقال اللاطرفية قياساً على ما تقدم في اللفظين المرقومين بـ ٧ و ٥٦١ .

٥٧٤ تيه البصر Amétropie 574

وهو فقد انطباق بؤرة المرئي على الشبكية ، أرجح أن يقال فقد القياس البصري أو اللاقياس البصري ؛ أما تيه البصر فقد جاء في اللسان تاء بصراً الرجل وتاف إذا نظر إلى الشيء في دوام ، وتاف عني بصرك وتاه إذا تخطى كما أن التيه يعني الصلَف والكِبَر<sup>(١)</sup> .

٥٧٨ متحول ، منور Amibe 598

والأفضل تعريب الكلمة الفرنجية كما فعل مجمع اللغة فيقال آميبا أو أميبة و ج آميبات .

٥٩١ غوليئات Aminoalcools 591

الأفضل أن يقال الأغوال الأمينية .

(١) وكذلك يمكن استعمال زيغ اللباس . ففي اللسان الزيع الميل ، زاغت الأبصار مالت عن مكانها كما يمرض للسان من الحروف .

- ٥٩٢ نشادرينات Ammines 592  
وقد عرفت اللفظة بأنه مركب يحوي ذرات الامونيّاك (النشادر)  
المرتبطة مع أحد المعادن . بينما قد يفهم من نشادرينات المواد أو المادة المستخرجة  
من النشادر على غرار الكافئين وما إليها . والأفضل أن تبدل بما يفي بهذا  
المعنى كالنشادر المعدني أو سواء .
- ٦٠٠ نسيان سابق أو نسيان التثبيت Amnésie antéro- 600  
-grade ou de fixation  
والأصح أن يقال نسيان لاحق ، لأنه يتعلق بالأُمور المستحدثة بعد الإصابة  
بالعلة . وقد انتهت اللجنة الى ذلك في ترجمة ( Antérograde ) رقم ٨٣٢  
بقولها نسيان ما بعد الحادث .
- ٦٠٠ نسيان لاحق Amnésie rétrograde 600  
والصحيح نسيان سابق لأن الأمور المنسية هنا تتعلق بما سبق أن كان  
متذكراً قبل الإصابة بالعلة .
- ٦٠١ سايباء Amnios 601  
ويطلق على الغشاء الباطن الذي يحوي سائلاً يحفظ الجنين ، وأقر مجمع  
اللغة السكّسي فقد جاء في اللسان السكّسي لفافة الولد من الدواب والابل وهو  
من الناس المشبهة بما يدل على تخصيص السلى بالحيوان . والسايباء الماء الكثير  
الذي يخرج على رأس الولد لأن الشيء قد يسمى بما يكون فيه على الجواز ،  
ولذلك يصح أن تدعى المشيمة ( وهي الدارجة ) كما أن السايباء صحبة وتعريب  
الكلمة بقولنا أمنيوس ( عن الفرنسية ) أو أمنيون ( عن الانكليزية ) ممكن  
وربما كان أقل عجمة وأخف على اللسان .
- ٦٠٢ منخبط Amniotique ( liquide ) 602  
والمشهور عنه السخند . ففي اللسان : دم وماء في السايباء وهو السلى الذي

يكون فيه الولد . وفي اللسان أيضاً ويقال للسُّخْد وهو الماء الذي في المشيمة :  
النُّخْط . وأرجح السُّخْد لأنها دارجة متعارفة والطف من الثانية .

٦٢٧ نسيان الآحن (أو الموسيقى) Amusie 627

الأفضل أن يقال اللاموسيقية لأن هذه الحالة المرضية تبسّدو تارة بنسيان  
الآحن أو النغم وأخرى بفقد قراءة النوطة الموسيقية على غرار الخرس  
والافراءة واللاكتابة<sup>(١)</sup> .

٦٤١ مُقَوِّرٌ ، منشط Analeptique 641

وقد عرف اللفظ الفرنسي بأنه الدواء الذي يُصلح التنفس وخور الشعور  
بالضعف ، وفقد الوعي أو السبات . وأرجح أن يقال عنه الناعش في اللسان  
نَعَشَ الإنسان ينَعِشُهُ نَعِشاً تداركه من هلكة . وفي الأساس نَعِشَتْه  
فاتمَشَ إذا تداركته من ورطة وانتعش نَعِشَ الله ونعِشِي نعشة كريم والربيع  
ينعش الناس .

وأرى أن تخصص المقويات بـ ( Toniques ) والمنشطات بـ ( Stimulants )  
وناعشات بـ ( Analeptiques ) .

٦٤٣ فقد الألم ، لا ألم Analgésie 643

وكذلك بطلان الألم .

٦٥٩ تأق Anaphylaxie 659

وأقر بجمع اللغة التحساس واللاوقاية . ودرج كاتب هذه السطور على استعمال  
كلمة الاستهداف اقتباساً من معجم شَرْف ، ومدلول الكلمة العامي هو فقد  
الوقاية ( اللاوقاية ) وأن يصبح من به هذه الحال عرضة للإصابة بأحد مسببات  
المرضية ، وبالتالي مستهدفاً للإصابة .

(١) راجع الترح الوارد في المقال السابق في رقم ٤٨٩ ، والصفحة ٣١٤

أما التأق فقد جاء في اللسان : التأق شدة الامتلاء تنق السقاء بتأق تأقاً فهو تنق امتلاً وأتاق إلتاقاً ، إلى أن قال ورجل تنق ملآن غيضاً أو حزناً أو مبروراً وقيل هو الضيق الخلق ، وقيل تنق اذا امتلاً حزناً وكاد يبكي وانخ . وعلى ذلك فان لكلمة تأق معناها اللغوي الصريح والأفضل أن لا نقحمها في المعنى الطبي البعيد عنها كل البعد ، مما يرجح أن يقال في ترجمة (Anaphylaxie) الاستهداف واللاوقاية دون غيرهما .

٦٦١ ترقيع Anaplasie 661

وأقر مجمع اللغة ارتكاس - ارتداد ، وعرف هذه اللفظة بمعجم (M. Garnier<sup>(١)</sup>) الفرنسي بما يلي : (لفظ استعمله بقراط للدلالة على رد كسر أو خلع) يرادفه (Cataplasie) ، الحدث الذي يقتضاه تنق بعض الخلايا مميزاتها الخاصة دون أن ترد الى حالة الخلايا البدئية . وعرفها بمعجم (Blakiston's)<sup>(٢)</sup> بتراجع الشكل في الخلية أو في الخلايا الى الحالة الجانبية مع ازدياد خاصيتها على التكاثر ، ويغلب أن تطلق هذه اللفظة على تراجع الشكل وحده دون النظر الى خاصة التكاثر اه . كما ان معجم كليرفيل نفسه ذكر في ترجمة اللفظة الى الانكليزية بـ (anaplasia و reversionary atrophy) أي الضمور التراجعي ، والى الألمانية بـ (Rückschlag) ومعناه التراجع . وعلى ذلك أرى أن تترجم لفظة (Anaplasie) بالحوول أو التحول الرجوع أو التراجعي أو الارتداد ، ولا أرى لاستعمال ترقيع مسوغاً .

٦٧٨ قطب ايجابي (بطارية غلوانية) Anelectrode 678

والصحيح منفذ ايجابي ، لأن القطب الايجابي ترجمة لـ (Anode) كما فعلت

(١) M. Garnier & V. Delamare, Dictionnaire des termes techniques de médecine

(٢) Blakiston's new Gould medical Dictionary

(٢)

اللجنة في ترجمة هذه اللفظة برقم ٨٠٩ والقطب الايجابي غير المنفذ الايجابي ،  
وينبغي التمييز بينهما .

٦٨١ فاقة دم بالانقراض بعد النزف - Anémie de déperdition après hémorragie 681

وهي فاقة الدم المتأنية عن نزف الدم ، وأرجح أن يقال في الترجمة فاقة دم  
نزفية أو بالنزف ، ففي اللسان نزف الدم إذا خرج منه كثيراً حتى يضعف ،  
والنزف الضعف الحادث عن ذلك ، وانقرض القوم درجوا ولم يبق منهم أحد .

٦٩٠ تصام ، عدم التجاوب - Anergie 690

وأرجح أن تعرب هذه اللفظة بـ أنيرجيا على غرار لفظة أيرجيا<sup>(١)</sup> .  
في اللسان أصم الداء ، وتصام عنه أراه أنه أصم وليس به تصام عن الحديث  
وتصامه أرى صاحبه الصمم .

٦٩١ فقدان الحس ، خدر - Anesthésie, narcose 691

وتطلق لفظة ( Anesthésie ) على فقد حاسة الحس فقداً تاماً أو جزئياً ،  
منه ما يتأتى عن حالة مرضيه ويدعى بطلان الحس ( شأن ما يكون في بعض  
علل الجملة العصبية المركزية والمحيطية ) ومنه ما يكون محدثاً بأحد الأدوية سواء  
أثر هذا موضعياً أو عاماً ، وهذا ما يدعى بالتخدير ( التخدير الموضعي والتخدير العام ) .  
وأهل القصد من إثبات كلمة ( Anesthésie ) وبجانها ( Narcose ) يقصد منه  
التخدير . أما الخدر فالأفضل أن تخصص لكلمة ( engourdissement )<sup>(٢)</sup> .

٧١٤ أمدم - Anévrisme 714

وأقر بجمع اللفظة كلمة انورسما تعريباً . وهي الكلمة ذاتها المستعملة في كتب

(١) الصفحة ٣١٨ من الجزء الثاني من هذه المجلة في الزم ٥٢٨

(٢) جاء في اللسان والخدر امدلال يفتى الأعضاء : الرجل واليد والجسد ، وقد خدرت  
الرجل تخدر والخدر من الشراب والدواء فتور يمتري الشارب وضعف .

الطب القديمة<sup>(١)</sup> . ودرجنا على استعمال كلمة أم الدم التي استعملها الأقدمون أيضاً ولا أرى حاجة الى هذا التخت .

٧٢٢ ذات العروق الشعرية، التهاب العروق الدفاق Angéite 722  
والصحيح ذات العروق أو ذات الأوعية أو التهاب العرق أو التهاب الوعاء دون تخصيص بالعروق الشعرية أو الدفاق .

فقد جاء في معجمي غارنيه ( M. Garnier ) وبلاكستون ( Blakiston's )<sup>(٢)</sup> في شرح لفظة ( Angéite ) ان قال الأول اسم عام يشمل جميع التهابات العروق ( التهابات الشريان والتهاب الوريد والتهاب العروق اللفافية وغيره ) وذكر الثاني في مادة ( Angitis ) أنه التهاب عرق الدم أو اللفاف .

٧٢٤ توسع الأوعية الشعرية Angéeclasié 724  
والأصح توسع العرق أو الوعاء  
٧٢٥ خناق Angine 725  
وأقر بجمع اللغة كلمتي ذبحة وذباح .

٧٣١ خناق الصدر، انقباض القلب Angine de poitrine, 731  
Angor, Sténocardie

اللفظة ذات الرقم ٧٢٥ نطلق على التهاب البلعوم وكلمة الخناق تفيد هذا المعنى وكذلك الذبحة والذباح أيضاً، والكلمات الثلاث قد وردت في كتب الأقدمين ولا ما يميز بينها فيها . وحذا لو خصصت كلمة خناق وجمعه خناقات بالتهاب البلعوم

(١) كامل الصناعة المصنعة ٣١٢ من الجزء الأول وقد جاءت في جهة مواضع مصنعة بـ ( أبوروما ) وعرفت بأنها ورم يحدث من دم وريح وحدوده يكون من انخراق الشريان مفتوحاً لا يلتئم ولا يثبت عليه الدشبذ وعلامة هذا الورم أن يكون موضعه ينبض وإذا غمز عليه باليد ذهب أكثر الورم ويسمع له في بعض الأوقات العرير ويكون لون الورم على مثال لون الباذنجان أو البنفسج .  
(٢) وهما المذكور اسمها في الصفحة ( ٤٦٦ )



العادي ، والخنوق بالتهاب البلعوم الدتريائي ( Angine diphthérique ) .  
 وجمعه خوانيق ( كذا وردت في كتب الطب القديمة ، وهي كلمة دارجة على  
 السنة الناس أيضاً )<sup>(١)</sup> ، وخناق الصدر على الألم الشديد البادي في  
 مقدم الصدر ، وأن تخصص الذبجة والذباج بالتهاب الحنجرة الدتريائي  
 ( Laryngite diphtérique ou croup ) . أما ترجمة اللجئة لير ( Sténocardie )  
 بانقباض القلب فلا أراه في موضعه لأن انقباض القلب ينبغي له أن يدل على  
 ( Systole cardiaque ) كما جاء في ترجمة لفظة ( Systole ) في الرقم ١٣١٠٠  
 والصحيح أن نترجم بضيق القلب وهو ما ينطبق على اشتقاق الكلمة ذاتها .

٧٣٤ خناق غشائي موم غمامي - Angine pseudo - mem -  
 - raneuse

والمشهور عنه خناق غشائي كاذب ، لأن وصفه بالوم قد ينعدي الكذب  
 ويستدعي الوم والايهام ( بينما الإصابة به سليمة في الغالب ) وكثيراً ما استعمل  
 العرب الكذب بالمعنى المجازي كقولهم الفجر الصادق والفجر الكاذب وفي  
 الكتاب العزيز « وجاءوا على قميصه بدم كذب » ( سورة يوسف ) .

٧٣٥ خناق أحمر ، حمامي ، نزلي Angine rouge  
 érythémateuse, catarrhale

لقد ضبطت صفة حمامي بالفنح والعواب بالغم حمامي وهو غلط مطبعي .

٧٣٩ مبحث الأوعية Angiologie, angéiologie

٧٤٠ ورم وعائي Angiome

أرجح أن يستعمل العرق مكان الوعاء لأنه أخص .

(١) لقد جاء ذكر سنة الخوانيق ( ولولا أن عندي بقية من موسم سنة الخوانيق  
 أترق بها وإلا كنت من المالكين ) في دعوة الأطباء لابن بطالان سنة ٤٥٥ هـ  
 ( الصفحة ١٥ من كتاب دعوة الأطباء على مذهب كلية ودمنة تحايق الدكتور  
 بشارة زلزل وطبع المطبعة الحديوية بالاسكندرية سنة ١٩٠١ )

- 754 Angoisse, anxiété ضيق ، مآل ، ضيق ٧٥٤  
وكذلك القلق .
- 759 Anhidrose, anidrose صآد ، انحباس العرق ٧٥٩  
والصحيح أن يقال انحباس العرق لأن مطاوع حبس احتبس لا انحبس .
- 769 Anhydride carbonique, gaz carbonique بلاماء الفحم ، غاز الفحم ٧٦٩  
سبق أن رجحت كربون على الفحم في هذه الترجمة وأضرارها .
- 782 Anion شارسيية (آنيون) ٧٨٢  
والأفضل أن يقال شاردة سلبية أو آنيون .
- 784 Ankylose, raideur articulaire مآسة ، يوسة المفصل ٧٨٤  
وأقر بجمع اللفظ القسّط وهي الكلمة الدارجة على ألسنة الأطباء ولا أرى حاجة الى تبديلها بأخرى قاموسية .
- 885 Ankylostome duodénal مملقوة عقيية ٧٨٥
- 789 Ankylostomiase داء الملقوات ، فاقة الدم المأمنية الخ ٧٨٦  
وأقر بجمع اللفظ تغريب الكلمة بأنكيلوسنوما ولا أراها إلا أقل عجمة وألطف من الملقوات .
- 819 Anox (b) émie, anoxyémie, anoxie عدم تأكسد الدم ٨١٩  
والأفضل نقص أو كسيجين الدم ونقص الأوكسيجين ، فقد عرفت أنو كسيجيا<sup>(١)</sup>  
فقد الأوكسيجين من الدم بقصور التهوية الناجم عن الارتفاع الزائد ،  
أو نقص الضغط في الأوكسيجين في التخدير أو في قصور القلب أو في الخنق ،

وعرفت الآنوكسيا بأنها فقد الأوكسجين وهي حالة لا يمكن للحياة أن تدوم معها ، أو قصور النسيج عن ضبط الأوكسجين أو استعمال ما يكفي منه .  
ويقول صاحب المعجم المذكور أن الأفضل أن نحل الآن كلمة نقص الأوكسجين (Hypoxie) محل (Anoxie) .

أقول : ولا صلة بين نقص الأوكسجين أو فقده ، بحدوث التأكسد أو عدم حدوثه .

٨٣٢ نسيان ما بعد الحادث Antérograde 832

وهو النسيان اللاحق ( انظر الرقم ٦٠٠ ) .

٨٣٣ خنث Antéversion 833

٨٣٤ خنث الرحم Antéversion de l'utérus 884

اللفظة الأولى تعني الميل أو الانثناء الى الأمام والثانية الانقلاب الأمامي تستعمل الأولى في بعض العلل العصبية التي تمتاز بانعطاف جذع البدن الى الأمام أثناء المشي أو الانتصاب ، والثانية انقلاب جدار الرحم وميله الى الأمام .  
فالكلتان اذن ليستا مترادفتين ولا يصح أن يطلق عليهما اسم واحد وهو الخنث .  
وإني لم أتوصل بمراجعة المعاجم التي بين يدي الى ما يشير فيها الى الميل والانقلاب .  
فقد جاء في اللسان : الخنث الذي لا يخلص لذكر أو أنثى ، وخنث الرجل خنثاً فهو خنث وخنث وخنث ثنث وخنث ثنث وتكسر وخنث الشيء فخنث ان عطفته نعطف ( ولعلّ اللجنة أخذت بهذا المعنى ) والخنث من ذلك للينه وتكسره .  
أقول ما أغنانا عن استعمال هذه الكلمة التي تفيد المعنى غير المطلوب من اللفظين الاتيين .

٨٣٥ وثيرة ، وتره ( الأذن ) Anthélix 835

عرفت اللفظة الفرنسية بأنه الجزء النحفي من عمود الأذن والكائن أمام

الكِيف (Hélix) والذي يماثيه في معظم أجزائه . وجاء في المخصص الورثة  
تُخَصِّر في أعلى الأذن بأخذ من أعلى الصماخ ، والصماخ هذا الخرق الذي يفضي  
الى الرأس . كما أن الورثة والورثة الحاجز بين المخزين ( وهو المشهور المتعارف ) .  
أفضل أن تترجم الكلمة بصَحْن الأذن فقد جاء في المخصص هو جوف الأذن  
الظاهر المتعمر فنبعد الالتباس بين الأذن وورثة الأنف .

٨٤٤ صادات عن الحياة ، مُرْدِيَات Antibiotiques 844  
ومانعات التعايش (Symbiose) لأن تماسها لأحد الجراثيم يجعل هذا  
يتوقف عن نشاطه الحيوي . ومُردِيَات تعني مُهْلِكَات الجرثوم أو الجراثيم ،  
وأرجح تخصيص هذه اللفظة لمضادات العفونة .

٨٤٥ ذبل القطب الساي Anticathode 845  
وأفضل أن تترجم اللفظة بنظير القطب الساي .  
فقد عرفت بأنها الصفحة المعدنية أو المَدَف في مصباح كروكس ( Crookes )  
الشماعي ، ومقرها مقابل القطب الساي ، وتتلقى صدمة الأشعة السلبية مولدة  
الأشعة السببية .

٨٤٧ ضد التخثرات Anticoagulants 847  
والأفضل مضادات التخثر ، لأن استعمالها الطبي إنما يكون لتخفيف وطأة  
حدَث التخثر لا لكبح جماح مواد مخثرة غير طبيعية .

٨٥١ بادزهر ، ضد السم Antidote, contre - poison 851  
وأقر بجمع اللفة كلمة تَرْبَائِي ولا شك أنها تفضل على بادزهر التي سبق  
واستعملت في هذا المعنى ولا أرى داعياً الى بيشها .

٨٥٨ ضد الخمج Antiinfectieux 858  
وأرجح ضد العفونة أو ضد الانتان<sup>(١)</sup> .

(١) لقد تددت رأيت في الخمج ( الصفحة ٩٥ من الجزء الأول من هذه المجلة ) .

873	Antiputride	ضِدّ التَّدَاعِصِ	٨٧٣
وأرجح ضدّ التّفْسِخِ باعتبارها دارجة ومعروفة .			
875	Antisepsie	تَطْهِير	٨٧٥
876	Antiseptique	مُطَهِّر	٨٧٦
877	Antiseptiques désin- -fectants	مُضَادَاتُ الْفَسَادِ ، مُطَهِّرات - مُطَهِّرات	٨٧٧
وأقرّ مجمع اللغة لفظة مانع العفونة لـ ( Antiseptique ) ومطهر لـ ( désinfectant ) بينما أطلقت اللجنة على اللفظتين الانجليزيّتين كليهما مطهر . وعليه أرجح أن يقال للأولى منع الفساد وللثانية مانع العفونة أو الاتّان ومانعات العفونة أو الاتّان ومطهّرات تباعاً .			
882	Antitoxique	ضد السم	٨٨٢
وكذلك الترياق .			
883	Antitragus	مقابل الوتدة ( الأذن )	٨٨٣
وهي الترجمة الحرفية للفظّة الفرنسيّة . ولعلها المحارة والصّدفة كما جاء في المخصص . فالوَتْدَةُ كما جاء في الأخير النّاسخ في مقدّمة الأذن مثل التّوَلُّول يلي العارض من اللحية ، والمحارة والصّدفة هي ماتحت الإطّار .			
888	Anurie	زُرَام	٨٨٨
وهو انقطاع البول . ففي اللسان وزَرِمَ دمعُهُ وبوَلُهُ وحِلَقَتُهُ وكلامه وازْرَامٌ انقطع ، وكل ما انقطع فقد زَرِمَ . فالزرام اذن ليس خاصاً بانقطاع البول . ألا تفضل الكتّان البيّنان على الكلمة الواحدة القاموسية والغامضة ؟			
910	Apbasie	حُبْسَة	٩١٠
وأقرّ مجمع اللغة هذه اللفظة ، ودرج كاتب هذه السطور على استعمال			

الخَرَس<sup>(١)</sup> . فالخَرَس فقد النطق من جراء إصابة في مراكز التكلم الكائن في الدماغ ، والمصاب بهذه العاهة العصبية لا يستطيع الإفصاح عما يحول في خاطره لفظاً ، ويشفى صاحب العلة إذا كان حدثاً ، وعلى ذلك يلزمه فقد النطق دون انقطاع . بينما الحُبْسَة بخلاف ذلك فقد جاء في اللسان : الحُبْسَة والاحتباس في الكلام التوقف وتَحَبُّس في الكلام توقّف قال المبرد في باب عل اللسان الحُبْسَة تعذر الكلام عند ارادته . وعليه فإن الحُبْسَة تنطبق على ما نسميه بالخَرَس المؤقت والعارض (Aphasie transitoire) وهو أن يتوقف المتكلم في أثناء الكلام مدة من الزمن ويستطيع الكلام بعد ذلك شأنه في السابق .

وكلمة الخَرَس سبق للمجوسي أن استعملها في كابل الصناعة<sup>(٢)</sup> في عل اللسان .

٩١٦ منَعَطَات Aphrodisiaques ٩١٦

ولعلّ اللجنة استعملت هذه اللفظة قياساً ، والمشهور عنها منَعَطَة . ففي اللسان

- (١) الجزء الأول من علم الأمراض الباطنة طبع سنة ١٩٣٥  
 (٢) الصفحة ٣٤٨ من الجزء الأول من كامل الصناعة الطبية . بقوله : وأما ما يعرض للعصب الذي في اللسان من التلذذ فأنها ما يعرض للعصب الذي يكون به حس المذاق وهي نقصان المذاق وعدمه وهذا يكون إذا لم يحس الإنسان بشيء من الطعوم في فم البتة . ومنها ما يعرض للعصب الذي يكون به الكلام والحركة وهي ثقل اللسان وعدم الكلام الذي يقال له الخرس وهذه الأشياء تمرض : إما لسوء المزاج الغالب على العصب ، وإما لسدة تمرض فيه إما من ورم ، وإما من ضعف ، وإما من خلط بلغمي غليظ ينصب إلى الأعصاب ، وإما أن يكون من تفرق الاتصال يمرض للعصب بتزلة الهنك ، أو يكون ذلك من خلط حار ، أو من ضربة أو من صدمة تقع على الدماغ ؛ والعلامات الدالة على كل واحد من هذه الأسباب كالعلامات الدالة على علل الخواص التي ذكرنا قبل وقد يمرض ثقل اللسان وعدم الكلام لئمة تكون في الجزء المقدم من الدماغ الذي ينبعث منه العصب الذي يأتي اللسان وفي الدماغ نفسه أ .

الغُلَّة بالضم شهوة الصُّرَاب غَلِمَ الرجل وغيره بالكسر بَعَلَمَ غُلَمًا واغْتَلَمَ اغْتِلَامًا إذا هاج الى أن قال وقد أَغْلَمَه الشيء وقالوا أَغْلَمُ الألبان ابن الحِلْفَةِ يريدون أَغْلَمُ الألبان من شربه وقالوا شرب ابن الأوبل مَغْلَمَةً أي انه تشدد عنه الغُلْمَةُ .

٩١٩ حُكْلَةٌ Aphantongie 919

عرفت اللفظة الفرنجية بأنها ضرب من اضطراب النطق يتميز بنشج العضلات المؤكدة باللفظ والمعضبة بعصب تحب اللسان كما أنه جاء في الترجمة الانكليزية للمعجم نفسه ما يفيد المعنى المذكور نفسه ؛ أما الحُكْلَةُ فقد جاء في اللسان : الحُكْلَةُ كالعُجْنة لا يبين صاحبها الكلام ، والحُكْلَةُ والحُكْلَةُ اللُّشْنَةُ . ابن الأعرابي في لسانه حُكْلَةُ أي عُجْنة لا يبين الكلام .

لذا أرجح في ترجمة هذه اللفظة كلمة العُقْلَةُ ففي اللسان واعتقل لسانه امْتَسَكَ ، مَرَضَ فاعتقل لسانه اذا لم يقدر على الكلام ، أقول : والاعتقال أكثر انطباقاً على التشنج في عضل اللسان من سواء .

٩٢٣ غشاء عضلي ، لُفَافَةٌ Aponévrose, fascia 923

وأقر بجمع اللفظة كلمة الصِّفاق وهي الدارجة على ألسنة الأطباء . بينما اللجنة خصت كلمة الصِّفاق بالغشاء المعروف بالبريطون ، وسأعود الى النظر في صحة هذه الكلمة عند الكلام على لفظة البريطون . وقد جاء في اللسان الصِّفاق جلدة رقيقة تحت الجلد الأعلى وفوق اللحم ، وهو ما ينطبق على معنى اللفظ الافرنجي تماماً .

٩٩٦ عمى البصيرة Apyroxie 997

وفي الأصل من المعجم (Apyrexie) ومعناها لا حُمى ، وهو لاشك غلط مطبعي في اللفظة الفرنجية وغلط ترجمة في اللفظ العربي ، إذ لا محل لعمى البصيرة هنا . ولم تنبه اللجنة الى تصويب هذا الخطأ .

- ٩٩٧ ذوماء ، مائي Aquatique 997  
واللفظة تفيد ما هو منسوب الى المستنقع . وتستعمل في الغالب للحيوان  
أو النبات الذي يعيش في المنافع أو الجداول مما ينبغي أن تميز عن ( Aqueux )  
كأن يقال مستنقي أو مناعي .
- ١٠٣٠ لُفوة Aréole du mamelon 1030  
والمشهور عنها السدانة ، فقد جاء في المخصص : السدانة ما اسود من الثدي  
حول الحلمة ، وفي اللسان : والسدانة الشندوة ، وهو ما استدار من السواد  
حول الحلمة ، وقال بعضهم : سدانة الثدي ما أطاف به كالفلكة . ولم أجد  
الى مصدر لُفوة .
- ١٠٤٢ داء لاجيمين ب ، داء اللاحجين Ariboflavinose 1042  
الناجم عن نقص الريبوفلافين  
وأدعوه عَوَز الريبوفلافين .
- ١٠٤٣ جنون حسابي Arithmomanie 1043  
وأرجح وكَلَع العدّة ، لأن المصاب بهذا الخلل لا يفتأ بعد الأشياء ،  
ويشتغل في الأرقام دوماً .
- ١٠٥٦ دار صناعة الأدوية Arsenal thérapeutique 1056  
مصنع الأدوية  
جاء في تعريف كلمة ( Arsenal ) مصنع الأسلحة ومدخرها ، على حين  
أن المراد بـ ( Arsenal thérapeutique ) ليس مصنع الأدوية كما ذهب اليه  
اللجنة ، ولو كان ذلك هو المقصود لجاء بالفرنسية ( Usine ) أو ( Fabrique ) .  
والمراد هو جَعْبَة المداواة أو خزانتها <sup>(١)</sup> . وعلى ذلك ترى الترجمة الانكليزية
- 
- (١) كقولك ليس في جعبة أدويتنا أو مداواتنا أو خزانتها أفضل من العقار الفلاني  
في معالجة الداء الذي نحن بمسدده ( Il est le meilleur médicament dans  
notre arsenal thérapeutique ) .



لهذا المصطلح في المعجم الأصلي هي (Thérapeutique Armement) ومعناه السلاح الدوائي ، والترجمة الألمانية (Heilschatz) ومعناها خزانة الشفاء .

١١٢٤ عَصَابُ الْمَفْصِلِ ، مُظْلَاع Arthralgie, arthydie 1124

وبمعنى باللفظة الفرنسية ألم المَفْصِلِ ووجعه . وأفر جمع اللفظة البَدَل (ألم المفاصل) فقد جاء في اللسان : والبَدَل وجع في اليدين والرجلين ، بَدَل بالكسر يَبْدَل بَدَلًا فهو بَدِل إذا وَجَع يديه ورجليه .

أما استعمال اللجنة كلمة عَصَاب فقد ذكرت اللجنة في الأصول الذي اتبعته في وضع المصطلحات<sup>(١)</sup> وزن فُعال للداء في حشَى أو عضو لكبد وعَصَاب وفَلاب ، مما يبينني معه تخصيص عَصَاب بالألم العصبي (Névrálgie) وألم المَفْصِل لا صلة له بأبلام العصب ، وأما مُظْلَاع فقد جاء في اللسان : الظَّلْنَعُ كَالْعَمَزِ ، ظَلَعَ الرجل والدابة في شبه يَظْلَعُ ظَلْعًا عَرَجَ وغمز في شبه ثم قال : والظُّلَاع داء يأخذ في قوائم الدواب والأرامل من غير سير ولا تعب فتَظْلَعُ منه ، وطبيعي أن ألم المَفْصِل أو المفاصل لا يشترط فيه أن يكون في الرجلين فكثيراً ما يبدو في اليدين .

١١٢٥ التهاب المَفْصِل Arthrite 1125

أفر المجمع الرئية لهذا المصطلح ، والأفضل تخصيص الرئية للروماتيزما ، شأن ما فعلته اللجنة .

١١٢٧ حَرَضٌ ، نَاهَبٌ حَرَضِي Arthritisme, diathèse 1127

اغْتِذَائِي أو حَمَلِي arthritique, bradytro-

-phique ou dystrophique

وبقصد من المصطلح الفرنسي (Arthritisme) التآهب المرضي الناجم عن الإبطاء في التطور الاغْتِذَائِي والبادي سريريًا بجملة حالات مرضية كالبدانة

(١) الصفحة ٩٣ من الجزء الأول من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة أنها تستعمل .

والداء السكري والرمال البولية والنفرس وغيره ، فهو إذن تأهب للإصابة ببعض الملل لأعلة معينة وخيمة . أما الحرَض فقد جاء في اللسان أحرَضَه الحرَض فهو حرَض وحرَض إذا فسد بدنه وأشرف على الهلاك وحرَض يحرَضُ ويحرَضُ حرَضاً وحرُوضاً هلك . ويقال كَذَبَ كَذِبَةً فَأَحْرَضَ نفسه أي أهلكها وجاء يقول حرَضَ هالك إلى أن قال : وقال الفراء في قوله تعالى : « حتى تكون حرَضاً أو تكون من الهالكين » . أقول مما يدل على أن الحرَض هي حالة الهلاك أو الاشراف عليها ، وليس الأمر كذلك في اللفظة الافرنجية .

لذا أرجح في ترجمة هذا المصطلح : تأهب مفصلي ( لأن الآراء الحديثة تكاد تهمس التأهب في الإصابة المفصلية دون سواها وهكذا استبعد الداء السكري منه ) إبطاء التغذية (bradytrophie) أو فساد التغذية (dystrophie) . وبعد كتابة ما تقدم اطّلت على تصحيح ورد لهذه اللفظة لم أنتبه إليه ، وهو تصحيح اللجنة لحرَض واستبدلها بـ قفاص الذي لا يفيد المعنى المطلوب فقد جاء في اللسان والقفاص داء يصيب الدواب فتبیس قوائها .

١١٣١ أمراض مفصلي Arthropathie 1131

و درج کاتب هذه السطور على ترجمة اللاحقة ( pathie ) باعتلال تمييزاً لها عن العلة ( Affection ) ، والمرض أو الداء ( Maladie ) فأقول إعتلال المفصل أو الاعتلال المفصلي ، ومن المعلوم أن العلة إحدى ظاهرات المرض .

الدكتور حسني سبع

( للبحث صلة )

## مختارات مما لم يُنشر من شعر البحرى

- ٤ -

قال البحرى <sup>(١)</sup> يمدح الفتح بن خاقان <sup>(٢)</sup> ، واقترح عليه هذا الوزن لأنه قيل له  
إنه ينتحل أشعار العرب :

أُصْدُوهُ غَلا بِهَا أَم دَلالُ يَوْمَ زُمْتُ <sup>(٣)</sup> بِرَامةَ <sup>(٤)</sup> الأَنجالُ

- (١) القصيدة من الخفيف ، عدد أبياتها ٣٧ ، نقلناها من مخطوطة دهبان البحرى بالمكتبة  
الوطنية بباريس (رقم ٣٠٦٨ من القسم العربى) الورقة : ٣٣٤ ظ - ٣٣٥ ظ ،  
وبما يؤكد صحة نسبتها إلى البحرى أن عيد القاهر الجرجاني أثبت أحد أبياتها -  
البيت ١٩ - فيما اختاره من دهبان البحرى (المختار من دواوين المتنبي والبحر  
وأبى تمام بتحقيق السيد عبد العزيز الميمنى : الطرائف الأدبية مصر ١٩٣٧ : ص ٢٧٠) .  
(٢) الفتح بن خاقان صاحب المتوكل وأمين سره وقد قتل معه عام ٢٤٧ هـ ، وهو أدب  
شاعر من كبار مثقفي القرن الثالث ؛ كان يملك خزانة كتب حافلة ، وله ألف البحرى  
(كتاب الحماسة) على نهج حماسة أبى تمام ، ومدحه بما يقرب من ثلاثين قصيدة  
(راجع ترجمته في الفهرست ، مصر ١٣٤٨ هـ ص ١٦٩ - ١٧٠ ؛ ومجمع الأدباء  
لياقوت ، المأمون ١٩٣٦ م ج ١٦ / ١٧٤ - ١٨٦ ؛ وفوات الوفيات ، مصر ١٩٥١  
ج ٢ / ٢٤٦ - ٢٤٧ ؛ وانظر الفصل الرابع من كتاب أخبار البحرى : ٨٣ - ٩٩) .  
(٣) زَمَّ البعير : خَطَّمَه بالزمام .

- (٤) موضع بالبادية ، قيل بالعقيق ، وقيل وراء القريتين في طريق البصرة إلى مكة ،  
وقيل إنه من ديار بني عامر . (راجع المحيط وما على الهامش من تعليقات) .

أَعْرَضَتْ عَطْفَةَ الْقَضِيبِ وَحَادَتْ<sup>(١)</sup>      من قريب كما يجيدُ الغزالُ  
عَهْدَتْنِي وَلِلشَّيْبَةِ سِرْبًا      لَ جَدِيدٌ فَأَنْهَجَ<sup>(٢)</sup> السَّرْبَالُ  
وَرَأَتْنِي تَدَارِكُ الْحِلْمُ مِنِّي      وَتَنَاهَى عَنْ عَذْلِي الْعُدَالُ  
إِنْ يَمُدَّ هَجْرُهَا جَدِيدًا فَقَدْ كَا      نَ جَدِيدًا مِنْهَا وَمِنَا الْوِصَالُ  
إِذَا حَوَانِي الزَّمَانِ خُضِرَ رِقَاقُ<sup>(٣)</sup>      وَقَنَاءُ الْأَيَّامِ فِيهَا اعْتِدَالُ  
وَأَلَّهَا بِالْكَتِيبِ مِنْ جَنْبِ حَزْوَى<sup>(٤)</sup>      أُنْسٌ<sup>(٥)</sup> قَاطِنٌ وَحَيٌّ حِلَالُ  
ذَكَرْتَنِي الرُّسُومُ وَالْأَطْلَالُ      صَبَوَاتٍ ذِكْرِي لَهْنٌ ضِلَالُ  
تَلَفْتُ الْحِلْمَ أَنْ يُطَاعَ التَّصَايِي      وَرَدَى اللَّهُ أَنْ يَشِيبَ الْقَذَالُ<sup>(٥)</sup>  
أَبْرَحَ<sup>(٦)</sup> اللَّمِيشُ فَالْمَشِيبُ قَذَى فِي      أَعْيُنِ الْبَيْضِ<sup>(٧)</sup> وَالشَّبَابُ جَمَالُ  
تَوَلَّيْنَا وَأَيْنَ مِنْكَ النَّوَالُ      وَعَدِينَا وَوَعْدُكَ مِنْكَ آلُ<sup>(٨)</sup>

(١) حاد عن الشيء يجيد : صد عنه وعدل .

(٢) أنهج الثوب : إذا أخذ في البلى ولم ينشقق .

(٣) 'حزوى' : موضع بنجد في ديار تميم ، وقيل هو جبل من جبال الدهناء ( معجم البلدان ، بيروت : ٢ / ٢٥٥ ) .

(٤) 'الأُنْس' : الناس ، والحي المقيمون ، والأُنْس ضد الوحشة .

(٥) القذال : ما بين الأذنين من مؤخر الرأس .

(٦) 'أبرح' : آذى ، وآلم وعذب .

(٧) كناية عن النساء .

(٨) 'سراب' خادع .

أنا واضٍ بأن تجودي بقولٍ كاذبٍ أو يُطيفُ منك خيالُ  
 أتيها المبتغي مساجلةً الفتح لحاولت نيل ما لا يُنالُ  
 أين تلك الأخلاقُ منك إذا رُمَتْ مداها وأين تلك الحلالُ  
 لن تُجاري البحار حينَ يحمشُ السدُ فيها ولن تُوازي الجبالُ  
 يَبْغِدُ البائنُ <sup>(١)</sup> المُبَرِّزُ قوتًا وتَداني <sup>(٢)</sup> الضُّرُوبُ والأشكالُ  
 لم تُسَلِّمْ له المقادة حتى عرفت فضله عليها الرجالُ  
 رفعت مجدها <sup>(٣)</sup> عليه تنوخٌ فله فوق غيره إظهارُ  
 قائلُ فاعلٌ وليس يكون القولُ مجداً حتى يكونَ الفَعَالُ <sup>(٤)</sup>  
 وصحيحُ السَّامِحِ بينَ أناسٍ في سجاياهم علينا اعتلالُ  
 ثابتٌ في المَكْرُ إن زاح <sup>(٥)</sup> للامرئ سانٍ من جانب الصريع مجالُ  
 ملكٌ يستقلُّ في رأيه المُلْكُ ويحيي في فضله الإفضالُ  
 وإذا ما حلت رُبْعُ أبي الفضلِ فتمَّ السَّامِحُ والإِبْلالُ  
 مُتَمَلِّ على الخطوبِ إذ <sup>(٦)</sup> العا ثرُ كابٍ في صرفها ما يُقالُ

(١) الغالب في الفضل والمزبة .

(٢) يحدف التاء : تنداني = تتقارب .

(٣) في الأصل : مجده .

(٤) اختار الجرجاني هذا البيت في مختاره .

(٥) تباعد ، وفي الأصل : راح للفرسان عن جانب الصريع محال .

(٦) في الأصل : إذا .

ومقيمٌ صَفَاً <sup>(١)</sup> الأمور وفيها حَيْدٌ <sup>(٢)</sup> عن جهاتها وانقتالٌ  
مُتَحَرِّجٌ <sup>(٣)</sup> عَلَى الخلافة ما يَنْقُصُ في حظها ولا يَنْتَالُ  
شاهِرٌ دونَ حَقِّها عَزَمَاتٌ تَتَحَامَى مَكْرُوهاها الأبطالُ  
وسيوفاً إِيْمَانُها أَوْجَالٌ للأعادي ووقْعُها آجَالُ  
مرهفات لها ، إذا أَظْلَمَ النِّقَمُ عليها ، توقُّدٌ واشتعالُ  
أبدأَ يَسْتَجِدُّ منها حديثاً نِ : دَمٌ من عَدُوِّهِ وَصِقَالُ  
كلِّها جَنَّتُهُ تَعَرَّفَتْ بَجَدِّها مُسْتَفَاداً للطرف فيه مُخَالٌ <sup>(٤)</sup>  
حيث لا تَدْفَعُ الحقوقَ المعاذيرُ ولا يَسْبِقُ العطاءُ السؤالُ  
أَعُوذُ من سواكَ عارِفَةُ الجودِ وخابتُ في غيرِكَ الآمالُ  
أنا من بَلَّه نَدَاكَ وأعلتُ منه آلاؤُكَ العِراضُ الطوالُ  
وتولَّتهُ أَنعمَ منك يُحْمَلُنَ خَفَافاً وَهُنَّ وَقرٌ <sup>(٥)</sup> يُقَالُ  
مَالِثٌ بِذِكْرِكَ الأَرْضَ شُكْراً وثناءً وسيرُها أَرْسَالٌ <sup>(٦)</sup>  
طالعاتٌ تلك النجَادَ فقي كُلِّ مَقَامٍ لهنَّ فيكَ مَقَالُ

\* \* \*

(١) الصفا : الميل .

(٢) جمع حَيْدٍ : اعوجاج والتواء .

(٣) تَحَرَّجَ الأمرُ : قصده وتوخاه واجتهد في طلبه وفي الأصل : منحن .

(٤) في الأصل : محال ، ومخال من أخال فيه : تفرس وتوسم .

(٥) الوقر : الحبل الثقيل .

(٦) أفواج بعد أفواج .

ملاحظات ونظرات

١ - للبحثري في الفتح بن خافان شعر كثير ، أكثره في ديوانه المطبوع ، والذي لا يزال مخطوطاً منه قليل لا يزيد على ثلاث قصائد ، منها هذه القصيدة التي تنشر لأول مرة .

٢ - أول اتصال للبحثري بالفتح كان في سنة ٢٣٣ هـ - كما يذكر الصولي في أخبار البحري ص ٨٣ - وقد لقي الشاعر من ممدوحه تشجيعاً أثار عليه نقمة حسّاده الكثيرين ، فراحوا يكيدون له عنده ، ويتهمونه بانتحال أشعار العرب ، وقد كانت هذه القصيدة امتحاناً لشاعرية البحري ، ذلك أن الفتح اقترح عليه وزنها ، وقد دّل الشاعر بنجاحه فيها على أصالة موهبته وامتلاكه لخاصية فنه ، وحقّ له أن يقول في قصيدة أخرى يمدح بها الفتح ، ولا تزال مخطوطة أيضاً :

إذا كسافي الفتح أثواب الفنى      فكسوتي إياه مدحٌ منتخبٌ  
قصائد تطرب من تهدي له      ولقد النفس من العيش الطرب  
لم أستر حليتها يوماً ولا      أغرت حين قلّتها على الكتب

(مخطوطة باريس : الورقة ٣٩ و - ظ) .

٣ - ولهذا نرجح أن يكون تاريخ نظم القصيدة في الفترة الأولى من اتصال البحري بالفتح ، عام ٢٣٣ هـ ، وقبل أن يتيقن الفتح من أصالة موهبة البحري وغنى طاقته الشعرية .

٤ - تقع القصيدة في قسمين متميزين : نسب ومدح .

أما النسب فيشغل الأبيات ( ١ - ١٢ ) وهو غزل تقليدي يتحدث في رشاقة وبراعة عن صد المحبوبة ودلالها وهجرها وإعراضها عن الشاعر منذ ولّى شبابه ، وأصبحت الصبوات من بعد ذلك ذكريات حلوة تهيجها الأطلال والرسوم ، وأمسى الشاعر يقنع بالوعد الكاذب والخيال الزائر .

وأما المدح فيشغل بقية الأبيات ( ١٣ - ٣٧ ) وقد أغناه البحري بكثرة الصور

وتنوعها ، وفيها يجتد أخلاق الفتح وسجاياه ، فهو فرد لا نظير له ، عرف الجميع فضله فأسلموا له المقادة ، وهو قول فعال ، سمع شجاع صائب الرأي ، كريم مضياف ، لا تنال منه الخطوب ، مصلح يقوم اعوجاج الأمور ، ويحمي أجماد الخلافة بعزماته وجهاده وحروبه ، وهو سخي يسبق عطاؤه سؤاله ، والشاعر غارق في فيض من آلائه وعطاياه ، شاكر حامد ، لا يفتر عن الحمد والثناء .

٥ - الانتقال من النسب إلى المدح انتقال مفاجئ ، وذلك عادة من البحتري ألفناها منه ، وقد أهمل في المدح تمجيد شرف نسب ممدوحه ، ووُفِيَ العنصرين الآخرين ( الكرم والشجاعة ) تصويراً وتلويناً ، وأبرز دور الفتح في دعم الخلافة وإسهامه في تدبير أمورها ، ولم يكن الشاعر في كل ذلك مغالياً ، فالفتح بن خاقان كان دون ريب من أخطر شخصيات عهد التوكل وأشدّها وعياً وأحكمها سياسة وتديباً .

٦ - تمتاز القصيدة بالصنعة الكثيرة المتأنقة ، ففيها فيض من التشايب والاستعارات والمحسنات البديعية ، وذلك تأثير أبي تمام في تليذه البحتري لا يزال غصاً شديداً الوضوح ، ولما تمض على وفاة ( الأستاذ ) - كما كان البحتري يسمي أبا تمام - سنة وبعض السنة ، وسبغ لحن الشاعر كلما امتد به العمر من طوابع مدرسة أبي تمام ومياسمها حتى يصبح الطبع غلاباً على الصنعة في فنه .

٧ - نظرنّا القصيدة على مقدار الجهد الفني الذي بذله البحتري في نظمها ، ففي النسب وحده ثلاثة أبيات مصرّعة ( الأول والثامن والحادي عشر ) وأكثر القوافي فيه مرشحة ، والصور تزدهم في القصيدة كلها في إحكام متين ، وإيجاز خاطف ، وعرض حيّ مشير ، وإيس هذا عجباً فهذه القصيدة التي يختبر بها الفتح شاعرية مداحه هي أجود ما نستطيع عبقرية البحتري أن نتخّض عنه آنذاك ، وما كان للشاعر إلا أن يفجر كل طاقته وإمكاناته التي يمتلكها إلى ذلك اليوم ، وهو يثبت التحدي ، ويخوض معركة الحاسمة مع حساده ، مناضلاً في سبيل مستقبله ومجده الأدبي في بغداد .

٨ - القصيدة إذاً من جيد شعر البحتري ومختاره ، وكفى البحتري غزراً أن يقول مثل هذا الشعر وهو شاب لما يبلغ الثلاثين !



- ٥ -

قال البحتري<sup>(١)</sup> يرثي أم المتوكل<sup>(٢)</sup> :

غُرُوبُ<sup>(٣)</sup> دمع من الأجفانِ تَهْبِيلُ      وَحُرْقَةُ بِنَلِيلِ الحُزْنِ تَشْتَعِلُ  
وليس يُطْفِئُهُ نَارَ الحُزْنِ إِذْ وَقَدَتْ      على الجوانحِ إِلَّا الوَاكِفُ<sup>(٤)</sup> الخَصِلُ<sup>(٥)</sup>  
إِنْ لَجَّ حُزْنٌ فَلَا بَدْعٌ وَلَا عَجَبٌ      وَقُلَّ صَبْرٌ فَلَا لَوْمٌ وَلَا عَذَلُ

(١) القصيدة من البسيط ، عدد أبياتها عشرون ، نقلناها من مخطوطة ديوان البحتري  
بالمكتبة الوطنية بباريس ، الورقة : ٣٤٩ ظ — ٣٥٠ و ، وما يؤكد صحة نسبتها  
إلى البحتري أن المعري يذكر الشطر الأول من المطلع والبيت ١٦ منها في عبث الوائد  
(مطبعة الترقى بدمشق ١٩٣٦ : ص ١٦٩ — ١٧٠) .

(٢) أم المتوكل خوارزمية اسمها شجاع ، كانت أم ولد ، وكانت تدعى السيدة ، وبذكر  
ابن تغري بردي أنها « كانت صالحة كثيرة الصدقات والمعروف » وقد حزن المتوكل  
لوفاتها حزناً شديداً ، وكانت وفاتها لست خلون من ربيع الآخر سنة ٢٤٧ هـ ،  
وقتل المتوكل بعد وفاتها بستة أشهر (راجع النجوم الزاهرة : مصر ج ٢ / ٣٢٣  
ومروج الذهب للمسعودي مصر الهيئة ١٣٤٦ هـ ج ٢ / ٣٦٨ ، ٣٩١ وتاريخ الطبري  
في حوادث سنة ٢٤٧ هـ) .

(٣) جمع غروب : الدلو العظيمة ، والدمع ومسيله أو انهلاله من العين أو الفيضة منه .

(٤) الدمع السائل .

(٥) الندي المبتل .

عَدَوِي لَقَدْ فَدَحَ الحَطْبُ الَّذِي طَرَقَتْ بِهِ الْإِيَالِي وَجَلَّ الحَادِثُ الْجَلِيلُ  
 لِلَّهِ أَيُّ يَدٍ بَانَ الحِمَامُ بِهَا مِنَّا وَأَيُّ نَفْسٍ غَالَهَا الْأَجَلُ  
 سَيِّدَةُ النَّاسِ <sup>(١)</sup> حَقًّا بَعْدَ مَسِيْدِمٍ وَمِنْ لَهَا المَأْتُوَاتُ السُّبْقُ الْأَوَّلُ  
 جَرَى لَهَا قَدْرٌ حَتَمَ فَعْلًا بِهَا مَكْرُوهُهُ وَقَضَاءُ مُوْشَكَّ عَجِلُ  
 فَكُلُّ مَنِ لَهَا مِنْ عَنَبَةٍ دَرَرُ <sup>(٢)</sup> وَكُلُّ قَلْبٍ لَهُ مِنْ حَسْرَةٍ شَغُلُ  
 عَمَّ البَكَاءُ لَهَا مِنْ <sup>(٣)</sup> المَصَابِ بِهَا كَمَا يَغُمُّ سَحَابُ الدِّيمَةِ التَّهْطِلُ  
 فَالْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ مَغْمُورَانِ مِنْ أَسْفٍ بَاقٍ لِفَقْدَانِهَا وَالسَّهْلُ وَالْجَبَلُ  
 مَثُوبَةٌ لِلَّهِ مِمَّا فَارَقَتْ عِوَضٌ وَجَنَّةُ الْخُلْدِ مِمَّا خَلَقَتْ بَدَلُ  
 قُلُوبٍ لِلْإِمَامِ الَّذِي آلَاوُهُ جُمِلُ وَإِشْرُهُ أَمَلُ وَسُخْطُهُ وَجَلُ  
 لَكَ الْبَقَاءُ عَلَى الْآيَامِ يُقْتَبَلُ <sup>(٤)</sup> وَالنَّاسُ كُلُّهُمْ فِي كُلِّ حَادِثَةٍ  
 إِذَا بَقِيَتْ لِدِينِ اللَّهِ تَكَلُّوهُ وَالدُّعَا نَعْيَاكَ أَنْ يَفْتَالَكَ الْوَلَلُ  
 فَكُلُّ رُزْءٍ صَغِيرٍ الْقَدَرِ مُحْتَمَلُ

(١) فِي النِّجْمِ الزَّاهِرَةِ أَنَّ أُمَّ الْمُتَوَكِّلِ كَانَتْ تُدْعَى السَّيِّدَةِ ، كَمَا قَدَّمْنَا ، وَإِلَى هَذَا يُشِيرُ الْجَعْرِيُّ هُنَا .

(٢) فِي أَسَاسِ الْبَلَاغَةِ : مَحَابَةِ مِدْرَارٍ وَلَهَا دِرَّةٌ وَدَرَرٌ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : وَالْمَصَابِ ، وَلَا يَسْتَقِيمُ بِهِ الْوَزْنُ .

(٤) يُسْتَأْنَفُ ، اقْتَبِلَ الْبَقَاءُ : اسْتَأْنَفَهُ .

لَتَنْ دُرُزْتِ الْتِي مَا مَنَامُ امْرَأَةٍ <sup>(١)</sup> لَقَدْ أَتَيْتَ الَّذِي لَمْ يُؤْتَهُ <sup>(٢)</sup> رَجُلٌ  
صَبْرًا وَمَعْرِفَةً بِاللَّهِ صَادِقَةً وَالصَّبْرَ أَجَلُ ثَوْبٍ حِينَ يُبْتَذَلُ <sup>(٣)</sup>  
عَزَيْتَ نَفْسَكَ <sup>(٤)</sup> عَنْهَا بِالنَّبِيِّ وَمَا فِي الْخُلْدِ بَعْدَ النَّبِيِّ الْمُسْطَفَى أَمَلٌ  
وَكَيْفَ نَزَجُوا خُلُودًا لَمْ يُخَصَّ بِهِ مِنْ قَبْلُنَا أَنْبِيَاءُ اللَّهِ وَالرُّسُلُ  
عَمَّرَكَ اللَّهُ فِي النَّعْمَاءِ مُبْتَهَجًا بِهَا وَأَعْطَاكَ مِنْهَا فَوْقَ مَا تَسَلُّ

\* \* \*

(١) كذا في المخطوطة الباريسية ، وفي عبث الوليد (سرة) وتعليق المعري يقول فيه : (قد جمع أبو عباد في قوله «سرة» بين شبتين ، تخفيف المحزنة التي في قولك «سرة» ، وحذف المحزنة الأولى التي هي همزة الوصل ، وهذا جائز على قلته ، ومنه قول بعض اللصوص : ولست أرى سراً تطول حياته فتبني له الأيام خلاً ولا عمّاً) ومنه أيضاً قول دعبل الخزاعي معاصر البحرى وصديقه :

فاحفظ عشرينك الأذنين إن لهم حقاً بفرق بين الزوج والمرء  
(الكامل للمبرد ، طبعة المبارك وشاكر ١٣٥٥ هـ : ج ١ / ٣٥٤) .

(٢) في الأصل : بآته ، وأثبتنا ما جاء في عبث الوليد ، وقد علّق المادي على قول البحرى (أثبت) بمعنى (أثبت) فهي كلمة لم تستعمل لذلك ، وخير البحرى أن يقول (فقد حبيت) .

(٣) ابتذل الثوب : لبسه .

(٤) يشير البحرى هنا إلى قول المتوكل عند وفاة أمه ، فقد ذكروا أنه قال في موتها بيتاً من الشعر ، وهو :

تذكّرتُ لما فرّق الدهرُ بيننا فعزّبتُ نفسي بالنبي محمد

وقد أجاز له بعض من حضر فقال :

فقلت لها إن المنايا سبيلنا فن لم يميت في يومه مات في غد

(انظر النجوم الزاهرة : ٢ / ٣٢٣) .

ملاحظات ونظرات

١ - لم يرد لأُم المتوكل في شعر البحتري ذكرٌ في غير هذه المراثية التي بكأها بها في حياة ولدها ، فأدنى بذلك واجب الشاعر الرسمي للخليفة ، وإن لم يكن للحدث الحزن صلة بقلبه ووجدانه ، على أن أم المتوكل كانت - فيما يحكيه المؤرخون عنها - سيدةً جليلةً صالحةً ، تبسط يدها في الإحسان إلى الفقراء من مالها ، وكانت أحزان المتوكل لوفاتها عميقةً ، أنطقته بالشعر الحزين بكاءً عليها ، ولهذا كان المأمول من شاعر الخليفة أن يُعقِّق إحساسه بآلام سيده وأن يُمثِّلها وأن يجد السبيل إلى قولٍ مفعوس بدم القلب ، لولا أن البحتري من طبيعة نفسية مرحة ، تنفر من الكآبة ، وتستعصي على المشاركة الوجدانية الصادقة في مآسي الآخرين .

٢ - تاريخ نظم القصيدة سهل التحديد ، فقد توفيت أم المتوكل سنة ٢٤٧ هـ ، ولحق المتوكل بها بعد ستة أشهر من وفاتها ، وفي خلال هذه الفترة دون ريب نظم البحتري هذه المراثية .

٣ - إذا استثنينا من مراثي البحتري قصيدتين هما رائيته في المتوكل وميمته في أبناء حميد الطوسي (الدبوان : الجواب : ١ / ٢٨ ، ٢ / ٥٥) لم نجد للبحتري إبداعاً في الرثاء ، ذلك أن الشاعر كان يبكي في هاتين المراثيتين نفسه وبندب أفول مجده بمصرع المتوكل والقادة الطائيين من آل حميد ، فجاء رثاؤه هنا صادق اللوعة ، بغيض وفاة وتدفق إخلاصاً وجدةً وأصاله ، أما مراثيه الأخرى فهي قصائد يابسة لا تخرج على النهج التقليدي للمراثية ، والبحتري يستعملها غالباً بتعظيم الرزء ، وذم الدهر الخوان ، والتوجع من صروفه قبل أن يصل إلى الفقيد فيعدد مناقبه ويصور الفراغ الكبير الذي خلفه بوفاته ويصف الحزن الطاغى لفقده ، ثم ينتقل بعد ذلك إلى أهل الفقيد فيعزيهم ويمدحهم ، وبذلك يصبح الرثاء جسراً إلى المديح ، ويخلص الشاعر من كآبة جو الموت ، باحثاً بعينيه النهمتين أبدأً إلى المال عن ممدوح جديد سخي ، من أهل الراحل ، يحل محله ، ويميزي الحمد بالثنى الريس .

٤ - ورناء البحترى لأن المتوكل يجمع هذه الخطوط العامة التقليدية ، ذلك أننا نلاحظ في القصيدة الأقسام الثلاثة التالية :

أ - تصوير الحزن وتعظيم المصاب : ويشغل الأبيات ( ١ - ٤ ) فالدمع مكوب ، والحزن مشتعل الحرق ، والصبر مفلول عند هذا الحادث الجلل .

ب - تمجيد الفقيده : ويشغل الأبيات ( ٥ - ١١ ) فقد كانت ذات بد كريمة ونفس طيبة ، وكانت سيدة الناس بما أثرها ، فأرداها الموت ، فبكيتها العيون والقلوب ، وعم الحزن الناس في الشرق والغرب ، والسهل والجبل ، ودعوا أن يثيبها الله الجنة .

ج - تعزية الخليفة ومدحه : ويشغل الأبيات الباقية ( ١٢ - ٢٠ ) والبحترى يصف هنا آلاء الخليفة وبشره وهيبته ، ويدعو له بطول العمر ، ذلك أن بقاءه بقاءً للدين ، وكل خطب حين بعده ، والمتوكل قد أوتي الصبر والايمان فعزى نفسه عن أمه بالنبي ، وكيف يرجو لها خلوداً لم ينله قبلها الأنبياء ! ويسأل الشاعر الله أخيراً أن يمد في حياة الخليفة ويزيده نعمة وبهجة ، وأن يعطيه فوق ما يسأل .

٥ - في القسمين الأول والثاني وصف للحزن بلهجة تقريرية جافة ومبالغات يائسة تجعل الحداد شاملاً للشرق والغرب ، والسهل والجبل ! ولم يوفق البحترى إلى أن يخفي بهذا الطلاء فقر انفعاله وقصور عاطفته ونفور وجدانه من الانفاس في الجوا الحزين القاتم الذي يرسم خطوطه ، أما القسم الأخير فيكاد يكون مديحاً خالصاً للخليفة ، مقطوع الصلة بالإطار الأسود الذي تقدمه ، ذلك أننا نرى الشاعر فيه وقد برقت أساريره ، فذكر البشر والنماء والبهجة ، وكأنه نسي ما كان يسكبه من ( غروب الدمع ) وما كان يشعله من ( غليل الحزن ) .

٦ - هذه القصيدة لا تقع دون الحسن من شعر البحترى وإن لم تلحق بالجد المختار منه ، ولو لم تكن مرثية ، والرناء الحق نبعة تنور من أعماق القلب ، لنجت من أكثر المساويء التي أشرنا إليها .

# كتاب النفس

لابن باجة الأندلسي

- ٧ -

## الفصل السادس

### القول في الشم

والشم هو إدراك معنى المشحوم كما قلناه قبل ، وهو مرتب في الأنف .  
وقد يجب أن نسلک ذلك السن فنفحص عن القابل الأول للمشحوم ما هو ؟  
فبذلك يتبين لنا ما هو الشم بالذات ، وما هو له بالعرض ، كما تبين ذلك في  
البصر . فإن اللون هو المرئي ، والقابل الأول هو البسيط . ويشبه أن تكون  
الحواس الثلاثة الباقية جنساً آخر من الوجود ، كما تبين ذلك ، وإن هذه  
الحاسة <sup>(١)</sup> أشد ضرورة في سلامة المغتذي من الأولين . وبحق <sup>(٢)</sup> كانت  
ذلك ، لأنها أحوال من أحوال الممتزج . فإن اللون والقرع يوجيان تغير الممتزج ،  
لما يوجدان <sup>(٣)</sup> للممتزج لا بالعرض < و > لا بالذات . وإن اللون لا يتبع  
المزاج كما تبين ذلك في مواضع آخر . وقد غلط ذلك الإسكندر الأفروديسي <sup>(٤)</sup> .

(١) المخطوطة : الحواس .

(٢) المخطوطة : بحر .

(٣) المخطوطة : كما يوجد .

(٤) ترجمة أبو عثمان الدهشقي ، نسخة جيدة لهذا الكتاب موجودة بمخزانة اسكوريال ،

ميدود ، رقم ٧٩٤ ( راجع : Casiri : Bibliotheca Arabic-Hispana

a 17-69 , Foll . I , p. 242 , Escorialensis , vol. I ) . ولقد جددتُ لحصول نسخته

الشمسية ولكنهم رفضوا الطاب وقالوا إن الأب ممرّاتاً يريد أن ينشر هذا الكتاب

بتحقيقه . ولكن ابن باجة يشتر هنا إلى تصنيفه المسمى « بمقالة الاسكندر في

اللون وأي شيء هو على رأي أرسطو » ، وكان في محتويات نسخة برلين

المفقودة الآن : Ahlwardt : Die Handschriften... , vol IV , No. 5060

والمشموم الاوّل هو الرائحة . فلنقل ما الرائحة . فأما أن كل ذي رائحة فهو يمتزج فكذلك تبين عند تصفح الأجسام . فالامتزاج <sup>(١)</sup> يتقدم الرائحة في الجسم بالطبع . فأما أنه ، مع أنه مقدّم بالطبع ، ذاتياً فيبين أيضاً عند تصفح الرائحة وتولدها ، كما عرض ذلك في ( ورقة ١٥٨ ب ) الألوان ، فإن التصفّح انما وقع لبعضها ووقع اليقين في الكل . والآخر في أمثال هذه ، على ما يقوله أبو نصر ، انها إنما تصير يقينية في زمان وهي مباينة للأزمان في الكثرة والقلّة ، فإننا نشاهد في الصيف في بعض البلاد تراباً ليس له رائحة فاذا حدث عليه قطر المطر حدثت له الرائحة عند ملافاة المطر له ، ولا سيما متى كثرت المطر من سحب قريب فانه عند ذلك يكون حارّاً وربما كان ثلجاً .

وكذلك أيضاً يتقدم بالطبع وجود الطعم في ذي الرائحة الرائحة فتكاد الرائحة أن تكون هي طمأ ، ولذلك تعرف طعوم أشياء كثيرة من روائحها . وأكثر الحيوان غير الناطق إنما يستعمل هذه الحاسة في معاشه <sup>(٢)</sup> كما يوجد ذلك في النسر وفي الكلاب وفي الدواب . فإن الخيل تنصرف عن أغذيتها إذا اقتربت بها <sup>(٣)</sup> رائحة غير رائحتها الطبيعية . ولذلك كانت هذه الحاسة في غير الإنسان قوية وكانت في الإنسان ضعيفة <sup>(٤)</sup> لأن الحيوان إليها أحوج . ومن شأن هذه في كثير من الحيوان أن لا يحس <sup>(٥)</sup> حتى يستشق <sup>(٦)</sup> وهو

(١) هذا الرأي أيّده ابن رشد كما يظهر من تلخيص كتاب النفس ، الامواني ،

ص ٣٩ ، حيدر اباد ، ص ٣٤ .

(٢) راجع أرسطو : De Sensu, 5, 443 b 24 sq; 444 b 1 — 14; '30 — 445 a .

(٣) لعل الصواب : اذا اقترت بها ، او اذا اقترت منها . ( لجنة المجلد )

(٤) راجع أرسطو : De An. ii. 9, 421 a 9 .

(٥) المخطوطة : لا يحس .

(٦) راجع أرسطو : De An. ii. 7, 419 b 1 .

ما كان له رئة<sup>(١)</sup> . فإنه لو وضع ذا<sup>(٢)</sup> الرائحة على الأنف لما أحس<sup>(٣)</sup> حتى يستشق . والرائحة قد يتحرك بها الهواء على بُعد من المستشق بقدر لا تحركه<sup>(٤)</sup> هواء النفس وذلك مشاهد .

وهذه الحاسة عليها حجاب<sup>(٥)</sup> لا يفتح . فإذا وقع الاستنشاق انفتح ذلك الحجاب فوصل ذو الرائحة إلى الحاسة . ولذلك متى أراد الذي يشم إيصال وجود الرائحة لم يتنفس دفعة بل يتنفس في زمان طويل أو جعل النفس متلبثا . وما يظهر أن القابل للرائحة هو بالجملة مجانس للهواء وليس هذا فقط بل هو

(١) أيضا : De An. ii. 8. 420 b 23; De Sensu. 5. 444 b 1 sq.

(٢) المخطوطة : ذي .

(٣) هذه هي حال سائر الحواس فانها لا تدرك كل ما يلاصقها ، راجع أرسطو :

De An. ii. 9. 421 b 14 — 19 ، أيضا تلخيص كتاب النفس ، الأهواني ، ص

١٥٩ س ١١ . وايضا المخطوطة الفارسية ، بودليانا ، Ous, 95 ورقة ٤٧

الف س ٢٠ : « وابن حواس ديكر راکه وصف کردیم نه چنین باشد که آن

حواس قادره وادرمیان نباشد محوسات خرد را نیابد ، چون حس بینائی وشنوائی

و بویائی که اگر مردم بیزیدنی را بر حدقه چشم نهاده بید ، و اگر چیز آواز

دهنده بر پوست درون گوش نهد آواز آن نتواند شنید و اگر چیز بویار

ظاهر بجای بین نه بوی آن نیابد .

(٤) بقدر لا يحركه . ( لجنة المجله )

(٥) لم يصرح أرسطو أنه هناك غشاء على المناخر يزول وقت الاستنشاق ، ولكنه

زعم أن حاسة الشم لها شيء مثل الغشاء كما أن البصر له غشاء في العين يحفظها .

( De An. ii. 9. 421 b 29 — 422 a 4 ) ، ولكن ابن باجة يقن به ، لانه أخذه

مما كتبه أرسطو في كتاب الحواس والحواس ( 5. 444 b 21 — 25 ) أن

الحيوانات التي تنفس يزول فيهم شيء شبيه بالغشاء من آلة الشم وقت التنفس ،

والحيوانات التي لا تنفس لا يزال هذا المانع فيها مرتقا ، راجع تلخيص كتاب

النفس ، الأهواني س ١٥٠ . والمخطوطة الفارسية ، ورقة ٤٧ الف : « واما

ديكر جانوران که راه گذرینی دارند بالای گذرگاه حجابی بود شان که

هوارا بازدارد از رسیدن بدان منافذ مگر آنکه برکنند و بجای نهد و همچنین

توانند دید مگر که چشم بکشاید . »



إنما دخان أو بخار ما يعرض للبخورات والكثير من المطبوعات . وقد فصلت هذه كلها في كتاب الحاس والمحسوس<sup>(١)</sup> . ولذلك يبقى في كثير من الأجسام الصلدة روائح الأجسام بعد ذهابها ، مثل ما يبقى في أواني النحاس رائحة الخمر والعسل بعد غسلها زماناً طويلاً . فتبقى في الأوعية روائح الأجسام المودعة فيها ، ولذلك قد تشبه على الشم الأجسام التي لها تلك الروائح كما عرض ذلك في السمع<sup>(٢)</sup> . فإن هاتين الحاستين تفارق محسوساتها<sup>(٣)</sup> وقوابلها<sup>(٤)</sup> ما هي منه . وليس كذلك البصر ولا اللمس . فلذلك تدرك<sup>(٥)</sup> تانك الحاستان الأطوال والأشكال أكثر من هذه .

وأما الذوق فسنبين أمره كيف هو . ولما كان الممتزج على ما تبين في مواضع آخر ، وقلناه نحن قبل . إما أن يكون بنضج أو دون نضج ، كما يعرض ذلك في الذهب والفضة ، وما هو بنضج . والنضج يقال (ورقة ١٥٩ الف) بمعوم وخصوص ، فإذا قيل بمعوم كان كالجنس للشيء والطبخ ؛ وإذا قيل بخصوم كان مرادفاً للطبخ .

وتبين أن النضج إنما يكون في المختلط من رطوبة ويبس . فإذا أنضجته الحرارة نوعاً من النضج حدث عند ذلك في ذلك الجسم المعنى الذي يقال له الطعم . ولذلك كل ذي طعم فهو ذو رطوبة ما . فإذا اتفق لهذا امتزاج آخر من رطوبة ويبوسة اختلطت بهذه ، ونضجت نضجاً ، فما حدث عن ذلك الرائحة ، وقد تلخص أمرها في الحاس والمحسوس<sup>(٦)</sup> .

(١) راجع أرسطو : 30 — 21 a 443 De Sensu . 5 .

(٢) راجع النص آخر ورقة ١٥٧ ب .

(٣) المخطوطة : محسوساتها .

(٤) المخطوطة : قوابلها .

(٥) المخطوطة : قابل .

(٦) يبين ابن باجة غاية الشم في كتاب الحس : 7 a 443 De Sensu . 5 .

وتبين أن الرائحة تكون عندما تفصل <sup>(١)</sup> الرطوبة اليبوسة ذات الكيفية وتنضج بالحرارة نوعاً من النضج ، ولذلك توجد هذه في النباتات أكثر مما توجد في الحيوانات وفي الأشجار .

فذلك الحاصل في تلك الرطوبة الممزجة باليبوسة التي قد أنضجت بالحرارة - ما كان منها شجراً كان ظاهر الرائحة بنفسه . وما لم يكن ظاهر الرائحة بل كان ذا رائحة للقوة فلذلك يحتاج إلى النار وإلى حرارة . ولذلك متى ذلك ذو الرائحة أو فرك <sup>(٢)</sup> وبالجملة إذا استقرّ ظهرت رائحته <sup>(٣)</sup> . فان الرائحة تحتاج إلى حرارة منضجة أولاً فقد تكفي بذلك مثل المسك واللّبن السائلة <sup>(٤)</sup> ، وقد لا تكفي فتحساج إلى حرارة أخرى كهود الطيب <sup>(٥)</sup> والسندروس وما شاكل ذلك .

ولما كان الشم هو إدراك معنى المشعوم ، وكان وجود المشعوم هو الوجود ، لم يدرك الشم شيئاً من لواحق المشعوم من غير الطعم . ولذلك لا [ يدرك ] الشم إلاّ بالعرض . وذلك إذا اتفق أن يكون ورود المشعوم من جهة واحدة تميزت له جهة الشم <sup>(٦)</sup> بالعرض . فتميزت له جهة الشم <sup>(٧)</sup> بالقصد الثاني .

(١) راجع أرسطو : 4. 441 b 18 ; 5. 443 a 1 ; 3 b 3 ; 445 a 14 .

(٢) أيضاً : 4. 441 b 18 ; 5. 443 b 16 .

(٣) وابن رشد تبع ابن باجة في البيان ، تلخيص كتاب النفس ، الاخواني ، ص ٤٠ ، حيدر اباد ، ص ٣٤ .

(٤) راجع ابن رشد ، تلخيص ، الاخواني ، ص ٤٠ ، حيدر اباد ، ٣٤ ، وراجع كتاب النفس ، الاخواني ، ص ١٥٠ ، والمخطوطة الفارسية ورقة ٤٧ ، ص ٦ وحسن بوباني هان شناسد كه موافق وخوش بود ويا مخالف وناخوش ، وتواند كه بوى گگل را ازبوى ميه جدا كندونه بوى صبرا ازبوى سزبل كه ميهن دابنه كدبويهى ناخوش بابويهى ناخوش .

(٥) مشهور بالمود الهندي ، راجع ابن رشد ، تلخيص كتاب النفس ، الاخواني ص ٤٠ .

(٦) المخطوطة : المشعوم .

(٧) المخطوطة : المشعوم .

## الفصل السابع القول في الطعم

وقد تبين وجود الطعم أي وجود وجوده<sup>(١)</sup> ، وإن الطعم لا يمكن أن يكون لا في رطب ، ولا في يابس ، ولذلك لا يوجد للرماد ولا للماء الصرف ولا للهواء . ولذلك يوجد لماء البحر طعمٌ وماء الآجام لليبوسة التي تتخالط تلك المياه .

فهوولى الطعم الرطوبة<sup>(٢)</sup> ، ولذلك متى يبست آلة الطعم لم تجد طعم الأشياء .  
الغالب عليها<sup>(٣)</sup> اليبس ، وتجد لذلك طعم الرطب . فإن الطعم يحرك رطوبة الفم فيقبلها على نحو ما يقبل الهواء اللون . وتحرك الرطوبة حاسة الذوق<sup>(٤)</sup> .  
ولذلك متى كان رطباً قامت الرطوبة الحاملة مقام الرطوبة الطبيعية . فالرطوبة يفتقر إليها الطعم أما أولاً ففي<sup>(٥)</sup> أن يكون موجوداً ، وثانياً لأن يكون محسوساً .

ولذلك جعلت النفاذغ<sup>(٦)</sup> لتصنع الرطوبة الطبيعية التي بها يكون الذوق .

(١) راجع النص نفسه ، ورقة ١٥٩ الف ، ... فإ حدث عن ذلك الرائحة الخ .

(٢) قال أرسطو إن الجسم المشوم والمطعم ينطلق بشيء سائل :

De An. ii. 10. 422 a 10

(٣) المخطوطة : عليه .

(٤) راجع أرسطو .

(٥) المخطوطة : هي .

(٦) خالف ابن رشد رأي الاسكندر الافروديسي الذي كان يرى « أن هذه

القوة ليست تحتاج الى متوسط » ، واستدل قائلاً « فن هذه الاشياء كلها قد

يظهر ايضاً ان هذه الحاسة انما تدرك عوسها بمتوسط هو هذه الرطوبة ،

وقد صرح بذلك ابو بكر بن الصائغ في كتابه في النفس وقامسطيوس » ،

الاهرواني ، ص ٤١ .

وهي ممزجة من يبس ورطوبة نحواً من الامتزاج ، ولذلك هي لزجة . وهذه الرطوبة ( ورقة ١٥٩ ب ) هي غير <sup>(١)</sup> ذات طعم لئلا يعوق طعمها قبول طعم المتضادة لها <sup>(٢)</sup> . فلذلك يجد المحموم الطعم كلها <sup>(٣)</sup> مرة ، لأن الرطوبة التي في فمه مرة لمخالطة الدخان أياها ، وقد تلخص ذلك في غير هذا الموضع . والطعم ضروري في الحيوان <sup>(٤)</sup> ، ولذلك لا يوجد منه ما لا يطعم إلا قليل مثل جنس ذوات الأصداف واسفنج البحر . ويشبه أن تكون هذه تكفي باللمس في اغتذائها بعدها عن الاعتدال ، ولأنها تجري مجرى النبات . ولذلك لا يحس الذوق بشيء من لواحق ذي الطعم غير الطعم ، ولذلك يصير الطعم ألد وأكره بكونه أرطب وأيبس وأحر وأبرد ، وذلك بين بنفسه .

\* \* \*

### الفصل الثامن

#### القول في اللمس

واللمس هي القوة على إدراك الملموس . والملموس قد يظن به أنه أصناف كثيرة <sup>(٥)</sup> ، فتكون قوة اللمس أصنافاً كثيرة ، إلا أنها في موضوع واحد .

(١) المخطوطة : تكرر « هي غير » .

(٢) لعل صحيح التعبير : الطعم المتضادة لها .

(٣) راجع أرسطو : De An. ii. 422 b 8 .

(٤) أيضاً : De An. iii. 12. 434 b 10 — 24; De Sensu, I, 436 b 13 .

(٥) وابن باجة أوضح قوله في كتاب الحيوان ( ورقة ٩٥ ب ) واللمس قد يظن به أنه أصناف كثيرة ، فإن اللمس هو الحار والبارد والرطب واليابس والصلب واللين ، وهذه القوة واحدة كانت أو أكثر من واحدة فهي اللمس وما جرى ( ورقة ٩٦ الف ) مجراه . وهذا اللمس يحتاج اللمس أكثر مما يحتاج إليه غيره ولذلك كان الإنسان أحسن لما من سائر الحيوان لأن اللمس فيه كثير وليس له شعر ولا ريش ولا فلول ولا خزف بل الجلد . وقد أشار إلى هذا أرسطو حيناً قال ( De An. ii. 422 b 18 ) : « إن لم يكن اللمس حاسة بل كان مجموعاً لحواس فلا بد من أن يكون الملموس أكثر من واحد » .

وهذه الحاسة هي شايعة<sup>(١)</sup> في بدن الإنسان ، ولبس لها عضو مخصوص كما لسائر الحواس . بل لها قابل محدود النوع في كل حيوان ، وهو اللحم أو ما يقوم مقامه فيما لا لحم له<sup>(٢)</sup> . فإن الجلد ليس فيه الحاس الأول<sup>(٣)</sup> لأنه اذا كشط أحسن اللحم ليس بأنقص من إحساس الجلد ، بل هو أخرى أن يظن به أنه أشد لمساً .

وهذه الحاسة على ما تقدم ؛ هي التي لا يتخلو<sup>(٤)</sup> منها حيوان وبها يكون الحيوان حيواناً . ولذلك متى فقدت هذه الحاسة ارتفع معنى الحيوان عن ذلك الشخص . ولا يتخلو<sup>(٥)</sup> من < أن يكون لها لمس .

ولما كانت للمحسوسات ، على ما تبين في الثانية من الكون والفساد<sup>(٦)</sup> ،

(١) ويتن ابن باجة ايضاً ، ( ورقة ٩٥ الف ) . وهذه القوة ( أي قوة اللس ) ليس لها موضوع منفرد كالعين البصر والمخز للشم وتقب الأذن للسمع بل نجدتها شايعة في الجسد كله ومحطة به .

(٢) راجع ابن باجة : ورقة ٩٦ الف : والحس منه ما هو شامل الأعضاء كاللس وآلة السمع أو ما يقوم مقامه فيوجد في كل عضو له شركة في الحس لحم . وأما ان يكون منفرداً كالحواس الأربع . وانظر أرسطو :

. De An. II. 422 b 20; 423 a 13

(٣) استدلل ابن باجة فائلاً : ورقة ٩٦ الف : فجاء الإنسان فقد يظن به أنه الحاس الأول وأما انه ليس الحاس الأول فذلك يتن لأن اللحم يحس دون الجلد أكثر مما يحس والجلد عليه .

(٤) المخطوطة : لا يتخلوا .

(٥) المخطوطة : ولا يتخلوا .

(٦) ايضاً ابن باجة ورقة ٨٧ الف : ان كل واحد من هذه ( اجسام اربعة ) فهو جسم مفوس وذلك معروف بنفسه ، ولما كانت الأجسام المشاهدة ليست البسيطة بل ما كانت اقرب الى البسيطة ظن بأن المعرفة بما نشاهد ليست مكثفة بنفسها على ان تردف بالقول . فنقول ان الحار والبارد والرطب واليابس امور عسوسة فهي موجودة . وهذا علم اول مكثف بنفسه فظاهر قريباً من ذلك انها في موضوع واحد وان قوام جسم وصورته من حيث هو ما هو ليست واحدة منها . وانواع الأجسام المشاهدة فكل واحد منها فيه ضرورة اثنان من هذا الأربع لا يتخلو جسم منها ؛ أرسطو : 423, 27 .

يرجع كلها إلى الحار والبارد والرطب واليابس ، وكان هذا < ن > المتضادان لبس يرجع أحدهما إلى الآخر فإن كل حس فإنه لمتضادين <sup>(١)</sup> . وقد يعرض للمتضادين أن يكونا موضوعين لمتضاد آخر . مثال ذلك اللون : أطرافه الأبيض والأسود ، والأبيض موضوع البراق والابراق <sup>(٢)</sup> ، والضوء طرفاه النقل والحدة وهذه موضوعة الأملس والخشن والخطي والجهير :

وكما أن تلك حاسة واحدة تتبعها قوى كثيرة كذلك يشبه اللمس <sup>(٣)</sup> . وبالجملة فإن القوى تتبع الموجودات في ترتب وجودها . لكن الرطب واليابس والحار والبارد لا تتابع بينها على ذلك الوجه فإنه لا واحد منها <sup>(٤)</sup> موضوع الآخر لكن بينها تتابع آخر بالذات وتلازم ، وقد تلخص ذلك في غير هذا القول . [ ورقة ١٦٠ الف ] فلما كانت هذه لا تنفصل في وجودها في الموضوع فلذلك كانت القوى اللامسة لا تنفصل وكانت في حاسة واحدة .

ولما كان كل جسم كائن فاسداً فهو ملموس . ولا يخلو <sup>(٥)</sup> الموضوع من هذه المتضادات كما يوجد الموضوع خالياً من سايرها ، فإنه قد يوجد جسم لالون له <sup>(٦)</sup> ويوجد جسم لا صوت له وذلك في الرائحة والطعم ، فلذلك اتخذت

(١) راجع أرسطو : De An. II. 424 a 7 .

(٢) انظر ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الاخواني ص ٤٦ ، حيدرآباد ص ٤٠ .

(٣) وصف ابن سينا قوة اللمس في الشفا ورقة ١٦٦ الف : ويشبه ان يكون قوى اللمس قوى كثيرة كل واحد منها يختص بضادة فيكون ما يدرك به المضادة التي بين الثقل والخفيف غير التي يدرك به المضادة التي بين الحار والبارد ، فان هذه افعال اولية للحس يجب ان يكون لكل جنس منها قوة خاصة الا ان هذه القوى لما انتشرت في جميع الآلات بالسوية ظنت قوة واحدة .

(٤) المخطوطة : فان ما لا واحد منها .

(٥) المخطوطة : لا يخلو .

(٦) هذا مخالف لما قال أرسطو في De Sensu. 6. 445 b 12 ، وانظر ايضاً :

آلات تلك من أمثال هذه الأجسام . فأما هذه فلما لم يمكن ذلك كانت من المعتدل لأن المعتدل هو بوجه ما ولا واحد من الطرفين بالقوة . فلذلك كانت آلة اللمس معتدلة من الحار والبارد والرطب واليابس . ولذلك لما ظن جالينوس أن اليد هي آلة اللمس حكم بأن جلدة اليد هي المعتدلة بين الأطراف . فنقل ما للجسم الذي فيه القوة اللامسة إلى بعض آلات اللمس . وهذا الجسم هو الحار الغريزي . ولما لم يكن فيه الاعتدال لذلك وصلته الأجسام التي يسحبها أرسطو سيلاً ويسحبها جالينوس عصباً لأنها تأتي بالبرودة النفسانية من الدماغ . ولذلك أي عضو لم يتصل به سيل من الدماغ لم يكن فيه لمس ، ولذلك لا يلمس الكبد ولا الكلى ولا العروق الضوارب وهي مملوءة من الروح الغريزي . فأما كيف تكون برودة نفسانية ؟ وذلك قد تبين خلافه . فإن آلة النفس هي الحار الغريزي . فإن البرودة تقال على الأطراف وعلى الأوساط ، والتي في الدماغ لا يمكن أن تكون طرفاً ، وإنما هي وسط وهو ما بين المعتدل والطرف . وإنما يكون الوسط وسطاً يخالطه الضد ، فتلك البرودة تخالطها حرارة نفسانية . ولذلك نصير الحرارة إلى الدماغ من القلب في الشرائين ونصير عليه الشبكة المشيحية لتسكنه هذه الحرارة المعتدلة لبرودتها ، وبها تكون في تلك الرتبة . فهي نفسانية من جهة ما هي حرارة لا من جهة أنها هي بالرتبة تلقب بالطرف .

وقد يتشكك على حاسة اللمس . منها أن كل حاسة فإنها متحركة عن المحسوس حسب ما تلخص القول المجمل في الحس<sup>(١)</sup> . والحرك منه قريب ومنه بعيد ، ومنه بالذات ومنه بالعرض . والبعيد الذي هو المحسوس ، والقريب

الذي هو الخادم كالهواء للبصر والسمع والشم ، والرطوبة للذوق . فقد ينبغي أن نطلب <sup>(١)</sup> هنا مثل ذلك .

وثامسطيوس يعلم أن الهواء تخدم مثل ذلك كله . فانه شيء لا يمكن أن يتناس السحك <sup>(٢)</sup> في الماء < بغير الماء > ، لأن الرطوبة لا يمكن أن تنسلخ جملة عن الأجسام التي في الماء . فإن الهوائي أحسن <sup>(٣)</sup> بذلك .

والمنس قد يكون بتوسط أكثر من واحد وإن كان غير طبيعي ، كما يعرض ذلك إذا غشي بعينه ، فإنه قد يدرك الصلب واللين ( ورقة ١٦٠ ب ) والحر والبارد ، وكما يحس بتوسط العكاز <sup>(٤)</sup> مثلاً ، غير أنه وإن كان يحس بذلك فلسنا نحس كل أنواع الملوس ، فإننا لانحس بتوسط العكاز لا الحر ولا البارد . بل إنما نحس بالصلب واللين . ونحس الحر والبارد عندما يغشى الجلد ، وليس إنما يكون الغشاء يخدم بل بفعل من ذلك ويكون هو المحسوس أولاً .

وأما هل حاسة اللحم هو اللحم أو في اللحم ؟ فإن ذلك ليس ببنين <sup>(٥)</sup> ،

(١) والتفت ارسطو الى هذه المسألة في : De An. II. 11. 422 b 23 .

(٢) راجع كتاب النفس لاسحاق ، الاهواني ، ص ١٥٣ ، والمخطوطة الفارسية ، ورقة ٤٧ ب ١٩ : « جواب گفت حاسه لس ملوس را عيانجي هوادر يابد ليكن هوا پوشيده بودودرين مثل زدگفت : اگر کسی دست بآب فرورد و ببيرون آورد بدست منگی را بر گیرد چارميان سنگ و دست آب بود ليكن پنهان از غایت لطافتش پس چون آب بتوسط ميتواند بودميان دست و آنچه بدست گيودني آنکه نتوان ديداز لطافت هوا سوارتر كدر توسط پوشيده ماند كه هوا از آب بسي لطيفتر است » . وابن رشد اقرب الى ابن باجة و اظهر في البيان ، قلخيص : الاهواني ص ٥٥ ، وحيدر آباد ص ٤٥ .

(٣) المخطوطة : احسن ، وبالهامش : « احسن » .

(٤) المخطوطة : العار ، وبالهامش : « العكاز » .

(٥) راجع ابن باجة : ورقة ٩٦ الف : على ما نشاهد ان الحس في اللحم ، ولا يبالي ... هل اللحم هو الحاس ام الروح الغريزي ؟ واللحم له آلة . ايضا



لكنه كيف كان فهو متصل باللحم وهو أحد ما به قوام اللحم .  
والمحسوسات ، فقد تلخص أمرها في مواضع كثيرة . فإن لها قوى شائعة  
في الجسم <sup>(١)</sup> ، قوامها في الجسم من حيث هو جسم . فلذلك ندرك اللامسة  
الأطوال والأشكال كما ندرك ذلك البصر .

فأما انه لا توجد حاسة غير اللمس ، فذلك قد يبين ما نقوله : وذلك أنه  
وإن وجدت فسيكون لها محسوس خاص ، وذلك المحسوس يجب ضرورة أن  
يكون محركاً جسمانياً . ولا محرك جسماني إلا هذه الخمس <sup>(٢)</sup> ولذلك لا يمكن  
أن تكون حاسة مفردة للمحسوسات المشتركة تحرك <sup>(٣)</sup> أشياء . فأما الحاس  
الذي يدركها فسنبين أمره بعد . وأيضاً فإنه إن كان ما هنا حاسة سادسة <sup>(٤)</sup>  
وجب ضرورة أن تكون لحيوان ما ، وذلك الحيوان يكون ضرورة غير  
الإنسان ، فإنما الإنسان هذه الخمس بالطبع ، فيكون ذلك الحيوان حيواناً  
نافعاً <sup>(٥)</sup> . ومحال أن يوجد للنافع ما لا يوجد للتمام . وقد تلخص في أول

(١) أيضاً أرسطو : Hist An. I. 3. 489 a 15 ; De Part. An. II. 1. 647 a 15 ; De An. III. 13. 435 a 20 ;

I. 3. 489 a 18 ابن رشد الاخواني ص ٧ ؛ وحيدرآباد ص ٤١ .

(٢) أيضاً ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الاخواني ص ٥٦ ، حيدرآباد ص ٥١

(٣) المخطوطة : لا تحرك .

(٤) راجع أرسطو : De An. III. 1. 424 b 22 ؛ وابن رشد : تلخيص ، الاخواني

ص ٥٨ ، حيدرآباد ص ٥٣ .

(٥) وفي المخطوطة زيادة : د تحريجة كانت في الأصل المنقول منه هذه النسخة ،

إن هذا القول زيادة ، مثاله انذكرها هنا القول الذي التفت من الحيوان

لأن البصر من ماء والسمع من هواء وكيف يلزم عنه ان لا تكون حاسة

سادسة ؟ ، هذا مفي . »

الحيوان<sup>(١)</sup> كيف يشبه ما يوجد للحيوان الناقص ما لا يوجد من نوعه للحيوان الكامل وهو الإنسان كالجحفة للحمار والخرطوم للفيل ، وسائر الأعضاء التي يختص بها حيوان حيوان ، وإن كان ذلك موجوداً<sup>(٢)</sup> للإنسان بوجه أكل ، فإن الجحفة والخرطوم هي يد ناقصة . وإذا كانت الأعضاء إنما تحد بقاياتها وبقوتها استعدادها للحصول تلك القايات ، وكان ذلك موجوداً للإنسان أو ما يكون أفضل منها ، فيجب أن توجد للإنسان هذه الخاصة ضرورة<sup>(٣)</sup> لئلا يكون هنا ما هو أفضل . وذلك بين بما تلخص من كتاب الحيوان .

\* \* \*

(١) راجع ابن باجة : ورقة ١١٠ ب : « والاكمل هو الذي يوجد له جميع الاعضاء الافضل ، فان العظام فيما اعدت افضل من الشوك وكذلك جميع القوى ، والانسان افضل الحيوان لأنه يوجد له جميع أجزاء النفس ولما كانت اجزاء الجسد انما هي آلات نفسانية كالمروق والمضل ، ومنها ما يتم به قوام جميع جسده كالعظام لضرورة يجب حيث كانت اجزاء النفس اكثر ان يكون هناك عدد انواع الاعضاء اكثر ، وحيث كملت اجزاء النفس فهناك يكمل عدد انواع الاجزاء بالجملة ما كان منها عضواً وما كان منها شياً حيوانياً . والانسان ففيه قوى النفس المشتركة ، وفيه قوى يختص بها هو وحده ، فهو كانت نفساً كما يجب ضرورة ان يستعمل آلة فكان يجب ضرورة أن يكون في الانسان نوع من الاعضاء لا يوجد في حيوان اصلاً » .

والنظر اوسطو : 486 b 18 ; 488 b 30 ; Hist. An. I. 2. وابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الاهواني ص ٥٨ ، حيدر اباد ص ٥٣ .

(٢) المخطوطة : موجود .

(٣) المخطوطة : إلا .

## الفصل التاسع

### في الحس المشترك<sup>(١)</sup>

فأما أن هذه الحواس كلها قوى لحاس واحد<sup>(٢)</sup> هو الأول وهو الذي يسمى الحس المشترك . فبين ما نقوله : أما وجود هذه القوة فقد تلخص فيما كتبناه في الحس مجملًا ، وهو الهيولى الذي نصير به المعاني محسوسة<sup>(٣)</sup> . (ورقة ١٦١ الف) ولذلك متى التبتت باحدى الحواس تحركت مثل حركة هيولى تلك الحاسة ، فهي بالموضوع واحدة<sup>(٤)</sup> وبالقول كثيرة<sup>(٥)</sup> ، كما يعرض ذلك لمركز الدائرة<sup>(٦)</sup> فإنه بالموضوع واحد وبالقول كثير .

ولما كانت هاهنا محسوسات مشتركة فهنا ضرورة قوة مشتركة<sup>(٧)</sup> تقبل تلك<sup>(٨)</sup> . ففي الحس والبصر ضرورة قوة واحدة مشتركة تقبل ذلك المعنى . وهذه الحاسة التي كان البحث عنها أي شيء هي ؟ وأيضا فإن ههنا محسوسات مشتركة للحواس الخمس . فبين أن هناك قوة مشتركة لها . وتلك القوة تقضي

(١) عنوان مستقل في نسخة برلن .

(٢) راجع ارسطو : De An. III. 2. 425 b 11-22 ابن رشد تلخيص كتاب النفس ،

الاهواني ، ص ٤٤ ، حيدر اباد ، ص ٤٨ ، ابن سينا أيضا يصف الحس المشترك

فيقول : ( الشفا . ورقة ١٨٢ الف ) بل الحس المشترك هو القوة التي تتأدى اليها

المحسوسات كلها .

(٣) المخطوطة : المحسوسة .

(٤) المخطوطة : واحد .

(٥) راجع ايضا ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الاهواني ، ص ٥٥ ، حيدر اباد ص ٤٩ .

(٦) يقول ابن رشد : هذا المثال كثيرا ما يستعمله الفلاسفة ، خصوصا ارسطو وشراحه :

المصدر السابق .

(٧) ايضا ، الاهواني ، ص ٥٤ .

(٨) المخطوطة ، ههنا زيادة : هي الحس والبصر ضرورة قوة واحدة مشتركة تقبل تلك .

على تغاير أحوال المحسوس<sup>(١)</sup> وتحسّ له أحوالاً<sup>(٢)</sup> كثيرة . فتدرك لكل جزء من التفاحة<sup>(٣)</sup> مثلاً أن له طعماً ورائحة ولونا وحرارة أو برودة ، وتقضي أن كل واحد من هذه غير الآخر . فإنه لو كان في قوالب مضادة لما لما كان ممكناً أن تقضي أن هذا غير ذاك<sup>(٤)</sup> . فإنه يجب عندما تؤملت المغايرة ، كيف وجودها .

وفي هذه القوة تبقى الآثار المحسوسات<sup>(٥)</sup> عند انصراف المحسوس ، كما يعرض ذلك في الألوان ، فإن شأن هذه القوة الاستمساك بالاحساسات وهي آثار المحسوسات فيها<sup>(٦)</sup> ، فإذا اتفق أن يؤثر المحسوس أدرك هذا إدراك الأثر . فالقوى الست التي هي الغاية والخمس التي هي الحواس ، بين من أمرها أنها أنفس ، إذ هي استكمالات للأجسام ، والسابعة هي القوة المحركة وسببين أمرها فيما بعد .

فأما أن وجدت قوة لا تستعمل آلة فتلك ليست نفساً إلا باشتراك . فالجسد المشترك لما كان ضرورة صورة للحوار الغريزي وجب ضرورة أن يكون نفساً . وليس بهذا النحو من النسبة قيل له نفس بل يكونه استكمالاً لا لجملة الجسد المؤلف لكن وجوده في الجسد إنما هو بوجوده في هيولاه الخاصة به وبه يصير

(١) قارن أرسطو : De An. III. 2. 426 b 10 : ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ،

الاهواني ، ص ٥٤ .

(٢) المخطوطة : أحوال .

(٣) ابن رشد : المصدر نفسه . ويظن أن أول من ذكر المثال المذكور الاسكندر

الافروديسي .

(٤) وابن سينا أيضاً ذكر هذا الدليل فقال : ( الشفا ، ورقة ١٨٢ ، ص ٣ ) « فإنه لو لم تكن قوة واحدة تدرك اللون والملمس لما كان لنا أن نميز بينها فالتين أنه ليس هذا ذاك » .

(٥) المخطوطة : المحسوسات القوة .

(٦) ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الاهواني ، ص ٦٣ ، حيدر اباد ص ٥٨ .

بالجملة<sup>(١)</sup> جزءاً من الجسد ، وبوجوده في ذلك أمكن اتصاله بالحواس وتحرّكها عن تحريكها ما لبس بذي جسم . ولبس يتصل بما هو خارج عنه .  
 وإنما يصير الحسن المشترك صورة للجسم ذي الآلات بالتباه بالآلات .  
 كالتباه بالعين مثلاً . ولذلك لا يسمع النائم ولا يبصر . وذلك بين في  
 الحيوان الذي لا يطبق عينيه عند النوم لأن تلك الصورة ليست في الجسم .  
 لأن تلك الصورة لا تفارق هيولاها ، فإذا لم يوجد ذلك الجسم الذي له تلك  
 الصورة في الحاسة لا تحس . ووجود ذلك في الحاسة هو كالصورة لها على مثال  
 ما يكون الرّبان<sup>(٢)</sup> ضرورة (ورقة ١٦١ ب) في السفينة . وقد تلخص أمر  
 هذه الصورة في غير هذا الموضع .

وأما إذا انفرد<sup>(٣)</sup> الحسن المشترك فإنما هو نفس بوجه أنه صورة للجسم ما .  
 ولذلك لا يوجد النوم في جميع الحيوان لأن الحار الغريزي لها موجود إنما في  
 الحاسة لأن التقدم<sup>(٤)</sup> والتأخر<sup>(٥)</sup> فيها واحد أو كالواحد ، وقد تلخص أمر  
 هذا في كتاب الحيوان .

(١) المخطوطة : الجملة .

(٢) والظر ابن باجة نفسه ، ورقة ٦٠ الف ، « فان النفس في البدن كالرّبان في السفينة فان الرّبان في السفينة صورة الا انها مفارقة » ، وراجع ارسطو :

. De An. I. 3. 406 a 6; II. 1. 413 a 9

(٣) فان ابن باجة : النفس نفسه : ورقة ١٥٥ الف : فان القوة اذا انفردت عن الحاسة كانت هي الحسن المشترك . وقد قال ابن باجة في كتاب الحيوان : ورقة ٩٥ ب : فالحسن يتفرد عن الحركة باللول كما يتفرد الحيوان من الصورة بالقول الذي يلخص به ما هي بالأسباب المتومة لها وهي فيها .

(٤) المخطوطة : التقدم .

(٥) المخطوطة : التأخر .

فإن وجد حيوان <sup>(١)</sup> له قوة أخرى ليست صورة الجسم أصلاً . فتلك ليست نفساً إلا ينحو من اشتراك الامم . مثل أن تكون قوة الحضوره <sup>(٢)</sup> للحس المشترك ويكون الحس المشترك كالمبولى فيها فتكون تلك <sup>(٣)</sup> صورة لمبولى الحس المشترك لكن ليست أولى . فلذلك تكون هذه القوة قوة واسطة بين النفس وبين القوى التي ليست بأنفس يأخذ كل واحد منها بقسط ، وصنبيين ذلك فيما بعد . وهذه القوة هي قوة التخيل .

(يتبع)

محمد صغير حسن المعصومي



(١) المخطوطة : الحيوان .

(٢) يعني أن الجسم عندما وجد في الحس المشترك ينتج الى قوة مادتها الحس المشترك وصارت القوة صورة للحس المشترك . راجع ابن سينا ، ( الشفا ) ورقة ١٨٠ الف ١٨ : « فإن الحس المشترك قابل للصورة لا لحافظ ، والقوة الخيالية حافظة لما قبلت ذلك ، والسبب في ذلك أن الروح التي فيها الحس المشترك إنما تثبت فيها الصورة المأخوذة من خارج منطبجة مادامت النسبة المذكور بينها وبين البهر محفولة أو قريبة المهد . فإذا غاب البهر انمضت الصورة عنها ، ولم تثبت زماناً يمتد به » .

(٣) المخطوطة : ذلك .

# التعريف والنقد

## قضايا الفكر في الأدب المعاصر

الأستاذ وديع فلسطين

« أصدره المكتب الفني للنشر في القاهرة ،

نجا في ١٣٢٢ صفحة »

في الأدب العربي الحديث قضايا مهمة كثيراً ما خاض فيها الأدباء والمتأدبون في الجرائد والمجلات ، وكثيراً ما اختلفت فيها آراؤهم ، وثبتت مذاهبهم . وقد تناول الأستاذ وديع فلسطين هذه القضايا في كتابه ، فحسبها تمحيصاً دقيقاً ؟ ووازن بين السحين والفت من آراء الكتاب فيها ، وذكر لكل قضية رأياً شخصياً هو في نظرنا من أرجح الآراء علمياً ومنطقياً .

ومن القضايا المذكورة قضية الفصحى والعامية ، والشعر الصحيح وما يسمى الشعر الحر ، والمصطلحات العلمية ، وتفسير القواعد والكتابة العربية ، وتقليدنا الغربيين في مدارسهم « مذاهبهم » الأدبية الحديثة ، سواء في ذلك ما كان منها معقولاً « كالمدرسة السلفية والرومنسية والواقعية والطبيعية » ، أو كان غير معقول ولا مفهوم « كمدرسة الرمزية وما فوق الواقعية » .

وقد بحث المؤلف في هذه القضايا ، وفي موضوع الالتزام في الأدب أي ما يسميه بعضهم الأدب المادف ، ثم بحث في الأسلوب العلمي وأسلوب الإثارة في الأدب ، وقايس بين الكتاب في القديم والكتاب في أيامنا هذه ، وانتقل الى ذكر النقد وانحراف رسالته ، والى المسرحية وضيق مجالها عندنا ، والى الترجمة وشروطها ، والى أزمة الكتاب العربي ، والى محنة الأدب في هذا الزمن . وأنعى كتابه بكلام طلي على الفكر بين الأرستقراطية والفوغائية .

وبعد إن قيمة الكتب لا تقاس بعدد صفحاتها ، بل تقاس بما فيها من فائدة للقارئين . وهذا الكتاب ، على صفه ، قد عالج المواضيع المذكورة بأسلوب علمي متزن ، فأحاط بأطرافها ، وجلاها على المطالعين في أفكار نيرة ، ولغة صحيحة ، وبيان مشرق ، وغيره على لغة الضاد وعلى الأدب العربي .

مصطفى الشربابي

« وجوب التعاون بين المسلمين ، وموضوع الجهاد الديني »

وبيان كليات من براهين الدين »

تأليف الأستاذ الشيخ عبد الرحمن بن ناصر آل سعدى

هذا الأستاذ أشهر من أن يعرف ، فهو علامة القصيم من نجد لهذا العهد ، وهو صاحب التأليف الجامعة النافعة ، وأوقاته كلها معمورة بالاشتغال بالعلم تعليماً وتدریساً وتأليفاً ، ورسالته هذه ( وجوب التعاون ) يدعو فيها هذه الأمة المساحة في عامة أقطارها وأمصارها الى التضامن والتعاون على ما فيه مصلحتها ، وإلى دفع عوادي الشر عنها ، فكل عمل تقوم به للمصالح العامة وسعادة المجتمع ابتغاءاً لمرضاة الله فهو ( في حبيب الله ) في نظر الإسلام ، وما قيد الشارع « الجهاد » بهذا الشرط ( في حبيب الله ) ، إلا للدلالة على هذا المعنى . وقد أنشأ فصلاً كثيرة فيه ، يبين فيها أقسام ( الجهاد ) وأنواعه كجمع الكلمة ، ووجوب المشاورة ، والاستعداد للأعداء ، وأخذ الحذر منهم ، وإعداد وسائل الجهاد ، والوقوف الثام على أحوال الأمم والشعوب ، والقيام بالقسط والوفاء بالعهود ، وربط الصداقات وعقد المعاهدات بين الحكومات الإسلامية ، وتخيير الأكرفاء من الرجال في الولايات والأعمال . ثم شذرة من سيرة النبي ( ﷺ ) وصدقه وصحة دينه ، وما أخبر به من الغيوب المتنوعة ، ومن هذه الفصول : التحدي بالقرآن ،



وما علمه الله للإنسان من أصناف المخترعات ، الكهربا ، وأعمالها ونتائجها ودلائلها على البعث ، سنة الله في خليقته جارية على مقتضى حكمته ، هداية البشر بالإسلام ، جمعه بين الأمم المتباينة ، حفظ العقلاء منه على قدر عقولهم ، تفسير آيات من القرآن ، أمره بالإيمان بجميع الرسل وما جاءوا به من عند الله ، تفسير شواهد منه ، الشريعة جاءت بالعدل ، وحث على الإحسان والفضل ، سيرة الرسول من آياته ، وأمنه من آياته ، ( وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً ، لا مبدل لكلماته ) .

وهذه الفصول مملوءة بالأدلة القرآنية ، ومنها يبين أن الإسلام خير من هذه السياسات العنصرية والمحلية والحزبية ، وكلها ضغائن وأحقاد ، وشرو وفساد ، كما تقرأ عنها في الصحف المنشورة ، وهذا الكتاب من خير ما يهتدي به من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

## ١ - توضيح الكافية الشافية

٢ - الحق الواضح المبين ، في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين ، من الكافية الشافية .

كلاهما للعلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر آل سعدى ( المطبعة السلفية )

( الكافية الشافية ، في الانتصار للفرقة الناجية ) الإمام الرباني شمس الدين ابن قيم الجوزية المحقق الشهير ، وقصيدته هذه قد بلغت مئات الأبيات من السهل الممتنع ، وموضوعها التوحيد وأصول الدين ، والرد على الجهمية والمعتزلة والملاحدين ، واثبات ما أثبتته تعالى لنفسه من أسمائه الحسنى ، وصفاته العليا ، والرد على الجبرية من الجهمية ، والفدرية من المعتزلة ، واثبات الكسب للعبد والاختيار ، وفوقها جريان الأقدار ، وكانت طبعت هذه القصيدة منذ سنين ، ولكن بلا شرح

ولا تعليق ، فقام العالم السلفي الشيخ عبد الرحمن آل سعدي بشرحها شرحاً مطوّلاً ، سماه ( توضيح الكافية الشافية ) ولكنه لم يورد القصيدة ولا استشهاد بشيء منها ، فهو شرح مستقل عن الأصل ، وإن كان مبنيّاً عليه ، وعناوين فصوله تدلّ على المراد منها ، وهذا الشرح يبلغ ( ١٢٤ ) صفحة ، وفي آخره فهرس مفصّل .

في ص ٤٤ س ٦ : و « رحمتي وسعت كل شيء » صوابها : « ورحمتي » .  
في ص ٤٦ س ٨ : « هذا من » صوابها : « هذا ومن » .

\* \* \*

وأما الكتاب الثاني ، وهو ( الحق الواضح المبين ) فقد خلّص فيه شرحه الأول ، وطبعه بعده فبلغ نصف حجمه ، مع أنه أورد فيه مائتين وخمسين بيتاً من القصيدة ، وشرحها شرحاً وجيزاً بيناً ظاهراً ، وبدأه بقول ابن القيم :  
فاسمع إذاً توحيد رسول الله ثمّ اجعله داخل كفة الميزان  
مع هذه الأنواع وانظر أيها أولى لدى الميزان بالرجحان  
قال الشارح : « وذلك أنّ الشيء يعرف بضدّه ، والحق يتضح ويظهر نوره بعرفته ، ومعرفة ما يضافه من الباطل ، فإنك إذا وزنت - بميزان العقل الحقيقي ، والفطر السليمة التي لم تتغيّر ، والبراهين الدالة على الحقائق - توحيد الأنبياء والمرسلين وتوحيد المعطلين ، وجدت بينهما من الفروق ما لا يخفى على من له أدنى مسكة من عقل » .

أقول : لا يخفى أن هذه الكتب السلفية تبحث في توحيد الله تعالى بأسمائه وصفاته وأفعاله ، على الوجه الذي أثبتّه الله لنفسه في كتابه ، أو ورد عن المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى في بيانه ، وإذا نظرنا الى كتب التوحيد الدراسية التي تداولتها أيدي الخواصّ والعوام ، في معظم الأمصار الإسلامية ،

وصارت عمدة الدارسين والمدرسين في المدارس الرسمية الحكومية والأهلية نخبها نوعين : ( أحدهما ) كتب العقائد التي وضعت على طريقة الخلفاء ، وأولت فيها نصوص الكتاب والسنة تأويلاً صرفها عن مدلولاتها اللغوية والشرعية ، ونفى معانيها الوجودية الثابتة بتأويلات جاءت على خلاف الوضع والشرع . ( الثاني ) كتب الدفاع عن الإسلام وتوحيده ، واثبت أنه دين العقل والقطرة ، وحاجة البشر في كل زمان ومكان ، فهذه الكتب التي تضمنت فلسفة التوحيد وحكمة التشريع هي سلاح علي يحمله المسلمون في صدورهم لحراسة عقائدهم والدعوة إليها والنضال عنها ، لا لتلقي علم التوحيد وعقائده منها ، فهي على نفاستها وضرورة مدارسها ، ليست كتباً موضوعية في فن التوحيد ، ولا هي قواعد لعقائده المستمدة من نصوصه المبنية هي عليها ، بل هي فلسفة تقوم حول علم التوحيد ، وإيضاح لمحاسن الدين ومزاياه .

وهناك نوع ثالث وهي الكتب التوحيدية السلفية ، التي أثبتت معاني النصوص وحقائقها الشرعية من طريق المعقول ، وردت كلام المؤولة ردّاً لم يبق حاجة في النفوس ، وهي الطريقة التي جرى عليها شيخ الإسلام ابن تيمية وابن قيم الجوزية في كتبها ، ومن هذا حذوها من أئمة الإسلام وحماته ، ولكن كتب هؤلاء الأعلام الواسعة ، إما كتب مناظرة وحجاج ، وتأييد لمدلولات النصوص وردت لشبهات الخصوم ، وإما كتب علمية غير تعليمية .

فترى أن تنشر فصول في التوحيد السلفي ، ملخصة مما كتبه الأئمة الثقات فيه ، وتكون تمهيداً لوضع سلسلة توحيدية تعليمية ، مفرغة حلقاتها بأسلوب مدرسي عصري ، يشرب القلوب حب السلف الصالح وآثارهم ، ويطبع النفوس بطابع عقائدهم وأخلاقهم ، وبغذي عقول النشء الإسلامي بلبان التوحيد الخالص ، المطهر من كل ما يخالطه من أدران الشوائب ، فتصح العقائد وتزكو الأخلاق ، وتتوحد المبادئ والغايات ، والله هو الموفق والمعين .

كتاب البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار

تأليف : الإمام المجتهد المهدي لدين الله أحمد بن يحيى بن المرقضى المتوفى سنة ٨٤٠ هـ

ويليه : كتاب جواهر الأخبار والآثار المستخرجة من لجة البحر الزخار

للعلامة محمد بن يحيى بهران الصعدي المتوفى سنة ٩٥٢

ولتأم الفائدة ألحقت به تعليقات من مراجع مختلفة ، لمصححه :

القاضي عبد الله بن عبد الكريم الجرافي الباني الصنعائي

تقوم إلى جانب هذه النهضة المباركة في البلدان العربية نهضة دينية اجتماعية تنفجر بتأييدها من سلسيل الإسلام الصافي ، وتسقى أصولها من معينه الذي لا ينضب ماؤه ، ولا تبلى جدته ، وإن إمام الين الراحل يحيى حميد الدين الملقب بأمير المؤمنين بغمده المولى برضوانه ، قد ساهم بقسط كبير في هذه النهضة ، فقد جاء في المقدمة ذكر طائفة من الكتب العربية والدينية النافعة النادرة ، التي أمر بطبعها ، وبعث بأصولها من مكتبته العامرة ، ومنها هذا ( البحر الزخار ) .

يقع هذا الكتاب الضخم الذي طبع بمصر - بإشراف الأستاذين عبد الله محمد الصديق ، وعبد الحفيظ أسعد عطية - في خمسة أجزاء ، وهي تبلغ نحو مائة وألفي صفحة بالقطع الكامل ، عدا مقدمته والفهارس ، وهذا المصنف الكبير « الجامع لمذاهب علماء الأمصار » يذكر المسألة وبنه على ما فيها من إجماع أو اختلاف ، ثم يحكي أقوال العلماء من الصحابة والتابعين ، وأئمة أهل البيت وسائر الفقهاء ، ويذكر دليل كل قول وتعليقه ، مع الإشارة إلى ترجيح الراجح وتضعيف غيره . وفي أول « البحر » ترجمة لمؤلفه ، وتليها ترجمة لخرّج أحاديثه ، وقد جرى صاحب البحر على الإشارة لمن يتردد ذكرهم من الفقهاء بحرف أو حرفين ،

وهم طبقات أربع ، الصحابة والتابعون وأهل البيت وسائر الفقهاء ، وهم الأئمة الأربعة ، وإسحاق بن راهويه ، وسفيان الثوري ، والأوزاعي ، والليث بن سعد ، والزهرى ، وربيعة ، والحسن بن صالح الكوفي ، وأبو ثور ، وداود ، والمزني ، وأبو يوسف ، ومحمد بن الحسن ، وزفر ، والكرخي من فقهاء الحنفية ، وقد ترجم في المقدمة لكل واحد من أهل الطبقات الثلاث الذين ورد ذكرهم ، ولم يترجم لطبقة الصحابة لشهرتهم .

والعلامة بهران الصعدي مخرج أحاديث الكتاب . ومورد أدلة أحكامه على كثرتها واختلافها ، قد بذل في هذه السبيل جهداً عظيماً ، وإنما بقدره قدره من غاص في بحر السنة نظراً واستدلالاً ، وأمن في كتبها بحثاً واستقراء ، فعاد كليل البصر ، قليل الظفر بطلوبه ، وهذا الكتاب هو عمدة المتأخرين من أهل اليمن فيما يحكونه من المذاهب - خصوصاً مذهب أهل البيت - كالسيد محمد بن اسماعيل الأمير صاحب سبيل السلام ، والشوكاني صاحب نيل الأوطار ، وغيرهما .

وجملة القول : ان هذا البحر الزخار دائرة معارف فقهية إسلامية ، كالمنفي للموفق القدسي ، مع الشرح الكبير ، واللمحلى لابن حزم وغيرهما من الأمهات التي لم تقيد بمذهب واحد ، ومن هذه المراجع الكبرى تبين سعة الفقه الإسلامي ، وأن اختلاف علمائنا رحمة ، والأخذ من متنوع مذاهبهم نعمة ، وإنما يختار منها في كل عصر ما كانت أقوى دليلاً ، وأكثر مناسبة لحاجة العصر ، وطبيعة الأمة . وإنك لتجد في الأحاديث الواردة في إقطاع الأراضى ، واستئثار دفائنهم ، واستخراج ركازها ومعادنها ، ما يدل دلالة واضحة على أن ما يقوم به علماء طبقات الأرض ( الجيولوجيا Geologie ) وعلماء الآثار والعاديات من الحفر والتنقيب عن المعادن في بطن الأرض والجبال والتلال ، هو داخل في عموم

ما أرشد الإسلام إليه ، وحث أهله عليه ، ومثله ما ورد في إحياء مَوَات الأرض (من أحيأ أرضاً ميتة فهي له) رواه أحمد والترمذي وصححه ، فإنشاء المزارع والمصانع ، وبناء المستشفيات والمدارس ، وتشيد القلاع والحصون ، هو من باب : إحياء الأرض ، وأما ما يستخرج من البحار كالجواهر واليواقيت واللؤلؤ والمرجان ، فتراه وترى معه ما تقدم من الأحاديث وأقوال العلماء ، في الفصول التي عقدها (البحر الزخار) في المعادن ، والركاز ، والكنوز ، وغنائم البحر (٢/٢٠٨ - ٢١٨) وفي كتاب السبق والرمي (ج ٥/ ١٠١) الترغيب في سبق بالخف أو الحافر (الإبل والخيل) والرمي بالنصل (السهم) أما فقهاء عصرنا فيجب أن يستمدوا من قوى هذا الزمن وحقائقه وعلومه ومعارفه ، وأن يدعوا إلى سبق مثلاً بصنع السيارات والمصفحات والمدرعات والفواصات والمناطيد والطائرات ، وإلى الرمي بالقنابل والقذائف ، وسائر ما أعدت من وسائل الكفاح عملاً بالآية الكريمة «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة» وبآية «وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه» واستنباطاً من هذه الأحاديث الشريفة ، واهتداءً بهدي السلف الصالح ، ومجازاة للأمم الحديثة .

وقد أحسن الأمير الجليل سيف الإسلام عبد الله كل الإحسان ، فأهدى الكتاب الى والده الإمام الذي كان الباعث على طبعه ، الحريص على نشره ، جزاء الله خير الجزاء .

ومن سهو القلم أو غلط الطبع جاء لفظ : حليسها وعورها ، مكان جلنسيها وغورنيها (بتقديم السين في الأولى على الياء وبالغين المعجمة في الثانية لا بالعين المحملة) .

وعزاه (في ٢/٢٠٩) من «البحر» إلى سنن أبي داود ، قلت : والحديث برواياته في (ج ٣/ ١٣٨ و ١٣٩) من عون المعبود شرح سنن أبي داود طبع

المهند ، وفي ( ج ٣ / ٤١ ) من معالم السنن للخطابي طبع حاب ، ففيها أن الرسول ( ﷺ ) أقطع بلال بن الحارث معادن القبلية جلسها وغوريها ، وفي رواية « جَلَسَهَا وَغَوَّرَهَا » وهو ما ارتفع من الأرض وما انخفض منها ، يريد أنه أقطعها وهادها ورَبَّاهَا ، والقبلية ناحية من ساحل البحر ، بينها وبين المدينة خمسة أيام .

هذا والمجمع العلمي يهدي إلى من تفضل بالإهداء ، أعطر الشكر والثناء .

### فتح الغفّار ، المشتمل على أحكام سنة نبينا المختار

للقاضي العلامة شرف الدين الحسن بن أحمد الرُّبَاعِي البَغْدَادِي المتوفى سنة ( ١٢٧٦ )

أمر بطبعه الإمام أحمد بن يحيى حميد الدين ملك المملكة التوكلية اليمنية

أشرف على تصحيحه عند الطبع القاضي عبد الله بن عبد الكريم الجرائي البغدي ،

مندوب وزارة المعارف اليمنية

إن كتب السنة الصحيحة ليست إلا مفسرة للقرآن الكريم ، مبيّنة له ، فهي تفصل مجمله ، وتوضح مشكله ، وهل يستطيع مسلم أن يفهم أركان الإسلام البدنية أو المالية كالصلاة والزكاة والصيام والحج على الوجه الصحيح من دون أن يدرس سنة الرسول ( ﷺ ) في العبادة وسيرته العملية ؟ وهذا هو موضوع هذا الجزء الأول من كتاب ( فتح الغفّار ) الذي بلغ ستائة وستين صفحة بفهرسه المفصل ، وهو من أجمع الكتب وأنفعها في أبواب العبادات ؛ وقد استمد المؤلف هذه الأحاديث في الأحكام من كتاب ( منتقى الأخبار ) للإمام مجد الدين أبي البركات عبد السلام بن تيمية الحرّاني المتوفى ( سنة ٦٥٣ ) وهو جدّ شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ( م ٧٢٨ هـ ) وجعل كتاب ( المنتقى ) أصلاً لكتابه ( الفتح ) . ولكنه زاد عليه الشيء الكثير من أخبار الأحكام ،

وضم إليه الجَمَّ الفقير من جامع الأصول ، وبلوغ المرام ، ومجمع الزوائد ، والترغيب والترهيب ، ومن الجامع الصغير ، وجامع المسانيد ، والمستدرك للحاكم ، وتلخيص الحفاظ ابن حجر ، وفتح الباري وغيرها . وقد طبعت هذه الأصول الجوامع في الأماصار الإسلامية ، وهي مشهورة متداولة ، يقرأها محبو السنة ويتدارسونها رواية ودراية .

ومن مزايا هذا الكتاب الجامع أنه نسب كل حديث إلى أصله المنقول عنه ، وأتبعه بما عليه من الكلام من تصحيح وتحسين ، أو تضعيف وتوهين ، وعزا كل قول إلى فائله ، وفسر ما تضمنته الأحاديث من غريب اللفظة ، وضبط بعض أسماء الرجال ، أخذاً من شروح الحديث ، وغريب جامع الأصول ، ومختصر نهايه ابن الأثير ، وصحاح الجوهرى ، والقاموس ، ومجمع البحار وغيرها . والمؤلف من أجلّة تلاميذ الإمام محمد بن علي الشوكاني مجدد السنّة في القرن الثاني عشر .

ولا يستكثر هذا الجزء الضخم على العبادات فقد أورد ما ورد فيها من الأحاديث وذكر مخرّجها من الكتب الستة وغيرها ، وهذه العبادات عدا ما ورد فيها من الترغيب والترهيب ، فيها مصالح قومية ومنافع اجتماعية ، ( فالصلاة ) الروحية البدنية التي هي فرض عام على كل مكلف تنهى عن الفحشاء والمنكر ( ما يفعل مرّةً وعلانية ) وأشدّ الفواحش والمنكرات فتكاً وهدمكاً هي تلك الجيوش المعنوية التي غزت بلاد الشرق وهنّ المسكر والميسر والخنا والزنا والانتحار ، فكثير من المستهترين وقع في هذا التيار الذي أسلمه إلى الجنون أو الموت ، فكان ذلك من أشدّ المصائب القومية . ( والصيام ) الذي يدعو إلى إسائك المعدة عن الطعام ، وسائر الأعضاء عن الآثام ، وصرف جميع القوى والمواهب فيما خلقت له ، يعلم الثبات على خلق قوم لا يحيد عنه . ( والزكاة ) إعطاء



نصيب من المال للفقراء والمساكين وباقي الأصناف الثمانية ، دون الكسالى والمتسولين ؛ فإذا حرمتنا الفقراء الأتقياء ، واضطررناهم الى العمل ، كثرت الأيدي العاملة في الصناعة والزراعة والتجارة وهي مواد الثروة الأصلية ، وحفظت الزكوات والمعونات لمستحقها ، تنفق على إطعامهم وإيوائهم وتعليم بناتهم وأبنائهم . و ( الحج ) أكبر مؤتمر إسلامي حر يبحث في شؤون المسلمين ومصالحهم ، ويوازن بين ماضيهم وحاضرهم ، ويدافع عن حقوقهم وحررياتهم ، ويؤلف بين شعوبهم وقبائلهم ، فيصبحون بنعمة الله إخوانا .

ومن أفضل خصائص هذا الكتاب أن المؤلف لما رأى ما وقع من الخلاف بين الأئمة ، وأخذ كل طائفة بجانب من السنة ، جمع أحاديث الأحكام القاطعة للخلاف ، والداعية الى الائتلاف ، فأحسن بذلك كل الإحسان . فندعو الأمة الى العمل بما اتفق عليه الأئمة ، والى ترك الخلاف جانباً ، فان الوقت والعمر يضيقان عن استيعابه .

وقد وقع في هذا الجزء هنات مطبعية لم ننقصها لتدريتها ، فنحن في ( ص ٥ س ٢ ) وتوهين ، صوابها : وتوهين . ومنها ( ص ٤٢ س ١٨ ) الجند ، صوابها : الجنة .

جزى الله المؤلف ، والآمر بالطبع ، والمشرف على التصحيح خير الجزاء ، وإنا لبقية أجزاء الكتاب لمنتظرون .

## نظرة في أعماق الإنسان

(الجزء الأول)

للدكتور محمد صبيح أبو غنيمة

قل من العلماء الأدباء في بلادنا العربية من يقدم على التأليف والنشر في الموضوعات العلمية لكساد سوق هذه البضاعة بين القراء ورغبة سواد الناس في مطالعة ما عداها من كذب والاكتفاء في الغالب بقراءة المجلات والصحف التي تعنى بما يروي غليل جمهرة القراء ويسرّي عن أنفسهم ، أما الخوض في البحوث العلمية المحضة فليس لها غير المضطر إما في إبان سني الدراسة وإما في ما يليها من متابعة في بعض الأحياء .

وموضوع تعريفي في هذا الباب يتناول كتاباً ولا كالكتب التي جرت العادة على التعريف بها ، إذ ليس لمن يقع بين يديه من عامة الناس ( ولا أستثني إلا بعض خاصتهم ) إلا الاكتفاء بتقليب صفحاته والتجديق في عناوين بحوثه الجذابة متجاوزاً عن الاسترسال في قراءة ما يحويه من آراء تسمو على مستوى فهمه وإدراكه ، بالرغم عن البساطة البالغة التي صيغت بها لغة الكتاب وما بذله المؤلف من جهد لتذليل العقبات في سبيل حبك موضوعاته ليستسيغها غير الأطباء ، وجعلها في متناول الكثيرين ، إلا بعض الشذرات الأدبية والشعرية التي تخللتها فكانت بمثابة الأفاويه والمشهيات التي تضاف الى الطعام لا من أجل تحسين طعمه فحسب بل لكي تزبد من الشهوة اليه أيضاً . وذلك لأن ما حواه الكتاب قد صهر في بودقة واحدة الطب وعلوم الأحياء والفلسفة صهراً كان نتاجه ما يستغنى فحسه إلا على الراغبين في تلك العلوم .

وطبيعي أن لا يخوض غمار هذا النوع الخاص من التأليف إلا ذو بسطة في

علوم الطب والأحياء والفلسفة والأدب ، وهذا لعمر الحق ما تحلى به زميلنا  
 الفاضل الدكتور محمد صبحي أبو غنيمة مؤلف (نظرة في أعماق الإنسان) .  
 وإني لأكبر عمله هذا أعظم الأكبار لنجسحه الكثير من الصعاب في سبيل  
 تأليف هذا الكتاب الذي 'بعد حقاً نسج وحده' ، وقد خلت من أمثاله المكتبات  
 العربية ونضب معين مصادر ما كان على شاكلته من المؤلفات ، بين أبناء لغة  
 الضاد . وعلى ذلك رأينا المؤلف الفاضل مضطراً في جمع شتات مباحثه الى أن  
 يولي وجهه شطر المؤلفات الأجنبية وقد أربى عددها على المائة والعشرين معظمها  
 من الألمانية وبعضها من الانكليزية والفرنسية في جانب النزر اليسير من المراجع  
 العربية ، فضلاً عما وعته ذاكرته من آراء ومساجلات لأساتيذه في جامعة برلين  
 إبان دراسته الطب فيها . وإلى جانب هذا الجهد الأدبي الذي لا يقوّم ،  
 فقد بذل الزميل جهداً آخر مادياً ليس بالقليل للإلباس مؤلفه ما يستحقه من حلة  
 قشبية بدا فيها بجودة طبعه وكثرة الأشكال والرواسم التي زين بها ناهيك  
 بحسن تبويب بحوثه وتنسيقها وعنايته البادية في اللغة العربية وانتقاء الألفاظ  
 والمصطلحات فيها .

وعندما طلب إلي أن أعرف بهذا الكتاب خلّطني في بادئ الأمر أستطيع  
 أن أفيه حقه من التعريف بأهون سبيل ، بأن أكتفي بتصفحه وسرد ما فيه من  
 عناوين ، وما إن حاولت ذلك حتى رأيتني ملزماً بقراءة الكتاب لا قراءة  
 'معرف' وناقد بل قراءة مستطلع ومستعلم ومستزيد من ألفه إلى بائه حينما أجد  
 الى ذلك سيلاً ، مما أدى الى التأخر في التعريف في الوقت المضروب لحقت  
 المَعذرة وأفدت من مطالعة الكتاب فتمت الفائدة .

يقدم المؤلف كتابه بقوله (يحاول أن يستعرض أمامك قصة الإنسان ،  
 وقصة الإنسان كانت ولم تزال وستظل أعجب وأغرب قصة في هذا الوجود)

وبفتتح بحوث الكتاب بسرد مشا كل الطب في العصر الحاضر ، وإخفاق العلاج في كثير من الأدواء سارداً أقوال أساطين الطب المعاصرين في ما لا يزال إدراك حقيقته من العلل مستغلقاً ، باحثاً بحثاً مستفيضاً في خوارق الطب وأعاجيبه التي يصعب تعليلها تعليلاً علمياً مقنعاً مولياً وجهه شطر أثر العوامل النفسية في الأمراض والشفاء ثم البحث في أسباب الأمراض من داخلية وخارجية ، واضطراب تطور مواد الغذاء الرئيسية ( الآحينات وماءات الكربون والأدهان وأشباهاها والمعدنيات ) وبلي ذلك البحث في النفس وما قيل عنها في القديم وما يقال في العصر الحالي مع البحث المدقق في آلية ظهور الأمراض والعلل ، والتعمق في جهاز الإثارة أو جهاز الطاقة الحياتية وقبول الإثارة وتطوراتها وأهدافها ثم المبنوزة ( النوم المألوف ) منتبهاً الى ذكر النكتة وعملها الطبي .

ويختتم المؤلف هذا الجزء الأول من هذه التحفة الفريدة بكلمة يقول فيها :

بهذه النظرة أردت أن أؤدي قسطاً من واجبي العلمي والإنساني فأنقل إلى قراء العربية أقوال العلماء المجددين في الطب عما يروونه في أعماق الإنسان من غرائب و « الفكر » التي تخطر لهم فيها كما سجلت ما أوحته هذه الفكر من مفاهيم تصح في رأيي أن نتخذ كقواعد علمية فتعرف بها أسرار تلك الغرائب في أعماق الإنسان . أما أقوال العلماء فقد أشرت الى مصادرها بالتفصيل وأما ما أستوحي منها فمعرض للبحث والتحصيل ورحم الله امرءاً أهدي إلي عيوبي . ومن الحق أن أؤكد بأن كل ما جاء في هذه النظرة سيظل جزءاً صغيراً من الكون الذي هو الإنسان وبكفني وبكفي القارئ في مثل هذه الحالة أن نتمثل بإصدق قول حكيمنا العربي :

دواؤك فيك وما تبصر دواؤك منك وما تشعر

وتزعم أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

هذا ولا بد من الإشارة الى لغة الكتاب التي قلت عنها في مطلع هذه الكلمة إنها سهلة وهي صحيحة درج المؤلف في اختيار المصطلحات والألفاظ على ما هو مألوف في كلية الطب من جامعة دمشق ، وجنح في بعضها الى التعريب ولكن عن طريق اللفظ في الألمانية حيث يغلب التعقيد والخروج عما هو شائع في اللغات الأجنبية الأخرى بينما المستحسن في هذا المصنف اختيار اللفظ الأهلون من إحدى اللغات ، كما ان بعض الألفاظ جاءت غير موحدة في بحوث الكتاب فقرأه يستعمل تارة الرئية وأخرى الرومانيزما ورومانيزما عن العلة الواحدة مما يوجب الالتباس على القارىء ، وكذلك لفظة التتاني فجاءت في بعض المواضع (الكزاز) وأخرى التكزز وترجم كلمة (Stress) تارة بجاذث نفسي وأخرى بانفعال وقد جاءت هذه الكلمة بـ (Effect) في موضع آخر ، وذكر الأزمة الصدرية (وقد يكون لهذه الكلمة دلالة خاصة في اللغة) عن الحالة المعروفة بالربو ، واستعمل الصرعة عوضاً عن الصرع ، وغير ذلك من الهنات الطفيفة التي لا تؤثر في جوهر الكتاب مع الأمل أن تصحح في طبعة ثانية .

وصفوة القول اني أهني الزميل الكريم على هذه التحفة الفريدة التي أتحف بها المكتبة العربية مع التطلع الى صدور الجزء الثاني لتتم الفائدة .

الدكتور حسني سبيع

## أعلام

قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين

تأليف : خير الدين الزركلي

وهو في تسعة أجزاء ومستدوك يشتمل كل مجلد على نحو ( ٣٨٠ ) صفحة من القطع

الوسط . طبع الجزء الأول في مطبعة كوستانسوماس وشركاه بالقاهرة

سنة ١٩٥٤ وانتهى الجزء العاشر عام ١٩٥٩

أدت الطبعة الأولى من قاموس ( الأعلام ) التي صدرت بأجزائها الثلاثة قبل نيف وثلاثين سنة خدمات جليلة للباحثين والمطالعين ، وأجمع العاملون على أنه قد ملأ يومئذ فراغاً كبيراً ونقصاً شديداً في المكتبة العربية التي هي بحاجة الى معجم في سير الأفراد سهل المتناول . وقد استقبلته الأوساط العلمية بالهفة ، وهالت له ، وقرظته بما يستحقه الكتاب ومؤلفه الأستاذ الزركلي من تقدير وإعجاب . ولو كان غير الأستاذ الزركلي لارتضى بما أحرزه من شهرة علمية ، ولطلب الراحة بعد العناء ، وقنع بالقدر الذي أداء لأمته ، وكفى نفسه نصب البحث والاستقراء ، وانصرف الى عالم الخيال ، ميدانه المفضل ، ميدان النظام والقريض ، وهو من فرسانه المجلين . ولكن أبت عليه مهمته . إلا أن يتم شوطه ، ويدرك غايته ، فأضاف الى حسنة الأولى ماثرة جديدة خالدة ، بقصر عنها كل ثناء . فقد عاهد نفسه منذ أن اطلع على عورات طبعة الأعلام الأولى ونواقصها على أن يصلحها في طبعة ثانية ، وها هو يفي بعهده ويخرج لدنيا العرب الطبعة الثانية من قاموسه ( الأعلام ) ، وهي بالحقيقة تأليف جديد ، ارتقى من ثلاثة مجلدات الى عشرة مجلدات .

ومثل هذا السفر لا يحتاج الى تعريف وتقريظ ، فقد سبقته في الطبعة الأولى شهرته وعمت فائدته .

وأبرز ما في الطبعة الجديدة غزارة المادة ووفرة مصادرها ورسوم الرجال وخطوط المؤلفين ، فالكتاب من المصادر الخالدة التي كتب لها أن لا تبلى مع الزمن ، ودعامة راسخة في بنيان تاريخ العرب ، لارملة ولا حصة كما نعته مؤلفه حفظه الله وأمد بحياته .

## الوطن العربي الاتجاه السيامي والملائح الاقتصادية تأليف الدكتور عنزة النص

عدد صفحاته ( ٢٩٦ ) صفحة من قطع الوسط ، نشرته دار البقعة العربية لتأليف  
والترجمة والنشر بسورية ، وطبعته في مطبعة الجمهورية بدمشق عام ١٩٥٩

صدر حديثاً هذا الكتاب ، في أيام تتأجج في صدور العرب جذوة القومية العربية ، وتثور دنيا العرب لنصرتها وبعثها . قدم فيه مؤلفه الدكتور عنزة النص للمكتبة العربية مادة دسمة عن أقطار شقيقة ، يجمل أخبارها عامتنا ، ولا تلم الخاصة إلا بالنذر البسير من أوضاعها . مع أنه لا تتم الألفة والمودة بين الأفراد ، ولا يجتمع شمل ذوي القرى والأخوة ، إلا بالتعارف واللقاء ، وما ينطبق حكمه على الأفراد في بلد واحد ، يشمل أيضاً الجماعات في أقطار متعددة ، وإن اختلفت وسائلها . إن الفرد يملك أسبابها وهي طوع ارادته ، ولكنهما تتعذر على الجماعات ولا بد لها من وسيط بينها يهديها السبيل ، إن الكتاب في هذه الحالة هو أفضل أداة للتعارف ، وله أبلغ الأثر في محادثة الجماهير ، وسيكون لهذا الكتاب رسالته ، وأثره الطيب في هذا التوجيه ، وهو خير وسيط . وقد أصاب المؤلف هدف غايته ، وأحسن فيه بسط قصة الأقطار العربية ، وسرد موجز تاريخها ، وعرض قضاياها السياسية والاقتصادية عرضاً موفقاً ، تلقفها من أصدق المصادر ، ليقدمها للقارئ العربي جرعة سائلة بأمل أن تثير في نفسه نشوة ذكريات نالدة ، وتوقظ فيه عواطف حنائه الراقد ، فيصبو الى يوم التداني ، وحث الخطى لجمع شمل أبناء الأمة الواحدة .

وحبذا لو ضمن الدكتور كتابه هذا بحثاً عن جمهوريتنا العربية المتحدة ينتفع به بقية الأقطار العربية ، إنه لو فعل ذلك لثم البحث وانتظم العقد .

نشكر للمؤلف جهده ونكبر فيه عمله ودقة بحثه ، ونرجو لهذه الدراسات النتائج المتوخاة من نشرها ، وأن تقرب يوم جمع شمل العرب بما يعيد اليهم عهدهم الزاهر ويحيي مجدهم الباهر .

## العرب والإسلام

في الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط

تأليف الدكتور عمر فروخ

في ( ٢٠٦ ) صفحة من قطع الوسط ، نشره المكتب التجاري

وطبعة بمطبعة دار الكتب ببيروت سنة ١٩٥٩

ينجلي الوعي القومي عند الأمم في مبلغ انتاجها الثقافي والمادي ، فها مقياس نهضتها وسلامة وعيها ، وتبشر في البلاد العربية هاتان الناحيتان بمستقبل زاهر ، يثلج الصدور ، وتطمئن له القلوب ، فقد تجارت النهضة في سيرهما قدماً ، دون أن تظني الواحدة على الأخرى ، مما جعلنا نؤمن أن وعينا القومي أصبح حقيقة ملموسة ، وأنه سالك السبيل القويم ، على أسس راسخة قوية ، وإذ عربي اليوم يتطلع الى مستقبله مستلهماً ماضيه في بناء حاضره ، وما أكثر الشواهد على صحة قولنا ، فإنه في كل يوم يظهر كتاب مفيد ونسجع بباشرة مشاريع اقتصادية وتطورات اجتماعية ، وما هذا الكتاب الا من هذه الشواهد .

وقد شاء زميلنا الدكتور المؤلف أن يوصل في كتابه ما انفصم بين السلف والخلف ، مذكراً بني قومه بأبجاءهم الغابرة ، وما حققوه من إبداع في بناء الحضارة الإنسانية ، لعلمهم بدركون ما فات وبلحقون بركب هذا العصر الذي تخلفوا عنه ، أو كما قال في مقدمة كتابه : « ونظّل الأئمة حية مادام أبنائهم يشعرون أنهم متصلون بأسلافهم اتصالاً واضحاً » ، وما داموا يؤدون رسالة أممتهم تأدية توافق حاجاتهم المتطورة مع الزمن ، وتحفظ عليهم مثلهم العليا سليحة بارزة ويجعل من تراثهم الروحي نطقاً يحمي وحدتهم ويسدد خطواتهم » . ويحذرهم من مغية التهاون خوفاً عليهم من : « أن ينتهي بهم الأمر إلى أن يذوبوا في من حولهم ، فننقض دولتهم ، وتزول حضارتهم ، ويخلو موكب التاريخ من أممتهم ، ومن اسم أممتهم » .

وبدل على موضوع الكتاب عنوانه ، فقد بحث فيه المؤلف فتوحات العرب



والإسلام في القرن الأول من الهجرة ونصف الثاني لبلاد المغرب والأندلس ، وزحف جيوشهم إلى أواسط حتى بلغوا أبواب مدينتي ليون وباريس ، فخلد المؤلف فيه أروع صفحات التاريخ العربي ، وخلص للقارئ في مجلد واحد ما جمعه المجلدات عن هذه المعجزات .

وأستطيع الزميل الكريم الاذن بابداء ملاحظات بسيطة على ما جاء في الصفحة ( ١٢ ) عند قوله : ( جاء الأتراك العثمانيون الى الشرق الأدنى في القرن الرابع هـ ) صوابه حذف كلمة ( العثمانيون ) لأن نسبة الأتراك لبني عثمان بدأت في القرن الثامن من الهجرة . وجاء في الصفحة ( ٢٣ ) : « ومن أعجب الآثار بها الصنم المنسوب الى هذه الجزيرة » وقد علق المؤلف في الحاشية : « ويقصد جزيرة الأندلس » والأصح انه قصد جزيرة رودس التي اشتهرت بصنمها أحد عجائب الدنيا السبع ، وورد خطأ في ص ( ١١٠ ) عام ٨١٧ وصوابه ٧١٨ .

فنشكر الدكتور المؤلف جهده وحسن صنيعه ، ونرجو له دوام التوفيق في خدمة الثقافة العربية .

— — — — —

بعضر الحسني

### ديوان ابن الخطيب

« من مطبوعات المجمع العلمي العربي وتحقيق رئيسه

العلامة خليل مردم بك »

صنّف رئيس المجمع الجليل مجموعة من سير الأدياء ، وحقق طائفة من دواوين شعراء الشام المشاهير ، عدّ عن آثاره الأدبية ، ومقالاته القيمة ، ودراساته الممتعة ، وتبعاته الفاضلة .

وقد أخرج في هذا الصيف رابع تلكم المجموعة النفيسة وهي ديوان ابن الخطيب أبي عبد الله ، أحمد بن محمد بن علي بن يحيى بن صدقة التغلي ، الشاعر ، المتوفى سنة ٥١٧ هـ .

وقد قدم بين يدي الديوان تصديراً فآخرأ قوامه ٤٨ صفحة ، استودعه دراسة

عصر الشاعر وترجمته ، وفصل القول في أسرته وسيرته وعلمه وأدبه وأخلاقه وصفته .  
ثم ألحق بها دراسة انتقادية ثمينة لشعره ، أحاطت بأطراف النقد ، واستوعبت  
أنواع الدقة ، وجمعت فنون التحقيق .

وقد اتخذ في تلك الدراسة الرائعة نهجاً محكماً ، أرجو أن يوفق الأدباء  
إلى سلوك جَدِّه ، واتباع سنَّه ، والاقتداء بهداه . ولعلَّ مباحثه الممتعة في  
شعره ( ص ٢٢ - ٣٠ ) <sup>(١)</sup> من أحسن فصول النقد في تأريخ الآداب العربية  
اليوم ، بله فصل لفته ( ص ٣١ - ٣٩ ) <sup>(٢)</sup> ، فإنه دراسة لغوية سديدة ،  
ومبحث اشتقاقى أصيل ، ومادة علمية مذكورة ، يعتز بها مؤرخو اللغة ، وكتاب  
المعجم العربي التأريخي <sup>(٣)</sup> .

والديوان ١٥٢ قصيدة ومقطعة ؛ عدتها ٣٣٠٠ بيت . وقد عارضه بثاني  
نسخ خطية عميقة ( زد عليها طبعة النجف ) وفَرَّ ألفاظه ، وترجم أعلامه ؛  
معتمداً على ٣٨ مرجعاً ؛ من أصول التاريخ والأدب واللغة الخطية والمطبوعة .  
وذبله بأربعة فهراس : للمراجع والأعلام والبلدان والامكنة والقوافي .  
أهنيء الأدب العربي بهذه الطبعة الجديدة ، وذياك المجهود المنفيس ، وأبارك  
للمجمع العلمي العربي في آثاره الباقية ، ورئيسه العلامة المحقق .

الدركتور حسين علي محفوظ

(١) درس فيها خصائص شعره ، وأثر أبي تمام والبحتري والمنني وابن حيوس فيه .  
وذكر قوة طبعه ، وكثرة أرفجائه ، وعذوبة ألفاظه ، وصحة معانيه ، مع الإشارة  
إلى فنون شعره ، وأنته أول من قال الشعر في الحروب الصليبية ، ثم وازن  
بينه وبين شعراء عصره ، وعيّن منزلته منهم .

(٢) درس فيها الألفاظ التي أغري الشاعر باستعمالها ، وبيّن أخذها بالرخس ، وتساهل  
في تعدّي الحدود اللغوية ، وغوّزه في الاشتقاق ، وصوغ المشتقات ، والتوسع  
في القياس . وقد حاسب الشاعر في مواطن كثيرة مجال القول فيها ذو سمة .  
وكل الظن أنه أراد تنزيه صاحبه من كل ما يخالف المعروف .

(٣) لقد استخرج بعض ألفاظه مثل : روض ، الهناء ، أغل / جمع أغلة ، الخراد /  
جمع خريدة ، المُنْدَل ، الأخص ، الأقص / جمع قبص ، النضاج ، فوك ،  
سحور ، نشير / أي منشور ، عطير ، مفرد ، استفوس ، استخوس ، استرقص ،  
استنزر ، استنزع ، استنشد . وأشار إلى شواهد ذلك كلّها .

## المنظمات الاقتصادية الدولية

محاضرات في ٢٠٤ صفحات ألقاها الدكتور جابر جاد عبد الرحمن على قسم من  
طلبة معهد الدراسات العربية العالية في القاهرة

مما لا ريب فيه أن محاضرات الدكتور جابر التي غلص فيها المعاهدات والاتفاقات  
الاقتصادية الدولية قد جاءت جامعة ومفيدة ، كيف لا وقد امتعان بأكثر  
من ٢٤ كتاباً قيماً في هذا الموضوع لتكوين مرضية .

وقد قدم الدكتور محاضراته يبحث عن التنظيم الاقتصادي ، وعما ينبغي  
أن تكون عليه حصيلة الانتاج . وأي نوع من السلع التي يجب انتاجها ،  
وكيفية التوفيق بين عوامل الانتاج وعماله ، وفي توزيع السلع بين الأفراد ،  
وتحديد الأثمان ، واعطاء كل شخص حاجته ، وبين أت الغريين قد قالوا  
بضرورة التنظيم الاقتصادي الدولي ، لأن القيم المشتركة التي تعتنقها الشعوب  
هناك ، جعلها تقوم في ايجاد أنظمة للتعاون في العمل ، ومنظمات اقتصادية  
دولية ، في شتى المجالات الاقتصادية .

وقد استعرض الدكتور في محاضراته : التعاون الدولي بين المصارف المركزية ،  
وبين المنتجين وبين المستهلكين ، والاتحادات العامة الدولية ، وذلك في القرنين :  
التاسع عشر والعشرين ، وبين الأعمال الضرورية عند ظهور حالة العجز في  
الميزان التجاري ، ومركز انكلترا المالي الدائنة آتتذ ، وأهمية البنك الاحتياطي  
الأمريكي ، واتحاد النقد اللاتيني والاسكندنباني ، وزوال ذلك الاتحاد ،  
ثم بحث مؤتمر بروكسل ( عام ١٩٢٠ ) بتأسيس البنوك المركزية وأغراضها ،  
والتعاون بين المنتجين ، والترست والكارتل التجاري ، مع العلم ان ذلك الكارتل الذي  
ساهم في الاستقرار الاقتصادي ، وكان لصالح المنتجين الأمر الذي جعل التكتلات  
بين المستهلكين والجمعيات التعاونية تظهر لعالم الوجود ، وذلك بين ١٨٩٥ - ١٩٤٦ .

وبين أيضاً اتحاد المواصلات الدولية ، وظهور اتفاقات تنظيم الاتحاد العام للبريد ( ١٨٧٥ ) واتحاد النقد الدولي ( ١٨٧٨ ) والنقل الجوي والسيارات والقياس المتري ، والتعريفات الدولية ، ( ١٨٩٠ ) .

وما يجزمه : بنك التسويات الدولية ( ١٩٢٩ ) ومشروع كينز ، وغرفة التجارة الدولية ( ١٩٢٠ ) والتدخل الحكومي في الحقل الاقتصادي فيما بين الحربين العالميتين ، والمقاصة الدولية .

ويبحث أيضاً مشروع هابت ( ١٩٤٣/٤/٥ ) بإنشاء صندوق نقد دولي لتثبيت النقد العالمي وهذا الصندوق كان ضرورياً ولا ريب ، رغم أنه ترك الحرية للدول بتحديد أسعار نقدها .

ويبحث اتفاقية بريتون وودز ( ١٩٤٤ ) التي تقول بإنشاء صندوق دولي برأسمال ٨٠٨ مليارات دولار على أن تدفع كل دولة حصتها ، وما هي أهداف ذلك الصندوق . ويبحث مشروع بنك الانشاء والتعمير الذي بدأ أعماله عام ١٩٤٦ برأسمال ١٠ مليارات دولار دفعته الدول المشتركة فيه ، بنسبة قوتها ، وأوضح أهداف ذلك البنك ، ولكن الدكتور المحاضر لم يبين أن هذا البنك الذي ساهم فيه جل البلاد العربية ، من هي الدول التي استفادت منه ، وما هي حصة الدول العربية منه ؟ ان هذا البنك قد أقرض حتى اليوم ٣٥٤٠٠ مليون دولار ، لم ينل منها من الحكومات العربية سوى العراق إذ أقرض ستة ملايين و ٢٩٤ ألف دولار ، ولبنان الذي أقرض ٢٧ مليون دولار ، وهذا دليل كبير على أن هذا البنك كان مسيراً من قبل الدول الكبيرة الاستعمارية ، لذلك لم يكن لصالح العرب . ويبحث أيضاً ميثاق هافانا ( ١٩٤٨ ) وأغراضه في تنظيم التجارة ، والاتفاق على التعريفات ( وكانت حكومتا سورية ولبنان من الأعضاء ، ثم انسجبتا منه ( ١٩٥١ ) ان هذا الاتفاق لم يحقق للجماعة الدولية ما ترجوه من المثل العليا . ويبحث مشروع مارشال الذي وضعه وزير الخارجية الأمريكية الجنرال مارشال في خطابه يوم ١٩٤٧/٦/٥ للانعاش الأوروبي .

ويبحث مشروع شومان وزير خارجية فرنسا الذي ظهر في معاهدة ١٩٥١ / ٣ / ١٩ والذي يهدف إلى إيجاد سوق واحدة للحديد والصلب والنفط ومشروع المجلس الأوروبي الذي وقع عليه في أيار سنة ١٩٤٩ ، كما يبحث المجلس الاقتصادي والاجتماعي (من قبل الأمم المتحدة) ومنظمة الأمم المتحدة للغذاء والزراعة ، ومنظمة الطيران المدني الدولية ، والمنظمة البحرية ، ومنظمة الصحة العالمية ، ومنظمة الأمم المتحدة للتعليم والثقافة (اليونسكو) .

وقد وفق الدكتور في عرضه لتلك الاتفاقات والمعاهدات ، التي ينبغي للمرء الاطلاع عليها ، لأنها جديرة بذلك ، بيد أني كنت أنمى من حضرة الدكتور المحاضر ، أن يبين رأيه بوضوح عن الغاية من تلك الاتفاقات والمعاهدات الغربية ، لأن جلها كان لمصلحة الدول الكبيرة ، وخاصة الولايات المتحدة التي تريد تقوية اقتصادياتها ، وإيجاد عمال وأصدقاء وأسواق لها في العالم ، ومقاومة الشيوعية كي تعتمد عن العالم الأوروبي والآسيوي ، وكان معظم هذه الاتفاقات يرمي إلى تقوية المستعمر ، دون النظر إلى الحكومات والشعوب الضعيفة ، والأمة العربية ، حتى أن منظمة الأمم المتحدة (اليونسكو) التي من أهدافها احترام العدل والقانون وحقوق الأفراد والحريات الأساسية ، كانت رأت ولا تزال ترى بعض الحكومات الغربية تهاجم أقطاراً من البلاد العربية ، وتدفع بعض أفراد في البلاد العربية للعبث بحقوق وحريات الأمة العربية ، وببيلة السياسة الوطنية هناك ، كما أن منظمة الصحة العالمية ، لم تعمل عملاً يذكر لحماية الأمة العربية من نكبات الأمراض والأوبئة السارية ، التي حملها الحكم الشموني والغربي الاستعماري إلى بلادها .

وكم كان جميلاً لو أن الدكتور المحاضر نوه في ختام محاضراته عن ضرورة تعاون الحكومات العربية اقتصادياً وسياسياً ، بعد أن استعرض تلك الاتفاقات الدولية التي ولدت السوق الأوروبية الاقتصادية تلك السوق التي هي ضربة على اقتصاديات وسياسة العرب ، على أن ذلك لا ينقص من قيمة محاضراته الهامة وجهوده في وضعها .

منير الشريف

م

# آراء وأبناء



المرحوم الدكتور منصور فهمي  
(١٨٨٦ - ١٩٥٩)

## وفاة الدكتور منصور فهمي

في السادس والعشرين من آذار « مارس » سنة ١٩٥٩ فقدت مصر ، بل فقد الوطن العربي ، علماً من أعلام الفكر ، ورائداً من رواد النهضة الحديثة ، وهو الدكتور منصور فهمي . لقد كان رحمه الله فيلسوفاً عميق التفكير ، وأديباً مرهف الحس والشعور ، وباحثاً واسع الاطلاع على تراث السلف الأدبي والفلسفي ، وعلى وسائل النهضة الأوربية الحديثة ، وداعياً من دعاة الإيمان بالله ، وحب الوطن ، وطلب العلم ، والإصلاح الاجتماعي ، والتحلي بالأخلاق الفاضلة . ولا يخجل أحد من أدياء الجيل الحاضر تلك الشخصية الفذة التي مثلت أجمل تمثيل جانب النبل والمروءة والصلاح والخير في جيلها .

كان الفقيد ينسب الى آل البقلي وهي أسرة مصرية قديمة تنتمي الى أسرة نصر الدين بأسويط . والمعروف أن أصولها مغربية من تلمسان والسافية الحمراء ، ووالد الفقيد علي فهمي البقلي ، وجده عبد العال فهمي البقلي .

ولد الفقيد سنة ١٨٨٦ م في بلدة طلخا التابعة لمديرية المنصورة من أعمال مصر ، ودرس الدراسة الثانوية في المنصورة وفي مدرسة فرنسية في القاهرة . وفي سنة ١٩٠٦ حصل على شهادة الدراسة الثانوية ودخل مدرسة الحقوق في مصر . وعندما أنشئت الجامعة المصرية الأهلية أوفدته سنة ١٩٠٨ ، هو ورفاقاً له ، في أول بعثة مدرسية الى فرنسا ، ليتلقوا دروساً عالية في مختلف العلوم ، وليكونوا مدرسين في الجامعة بعد عودتهم الى وطنهم .

وكان نصب الفقيد الفلسفة فأنكب على دراستها . ولم يكتف بها ، بل درس أيضاً علوم الفسيولوجية والأجنّة والجغرافية الطبيعية ، فحصل في سنة ١٩١٣ من جامعة باريس على الليسانس في العلوم ، فضلاً عن الدكتوراه في الفلسفة .

ومنذ ذلك الزمن برز ميله الى الإصلاح الاجتماعي في وطنه ، فكان موضوع رسالته الفرنسية للحصول على لقب دكتور في الفلسفة « المرأة في تاريخ الإسلام » . وقد عُد ما شملت عليه الرسالة تطرفاً في الرأي في تلك الأيام ، فحبل بينه وبين التدريس في الجامعة مدةً من الزمن .

ولكن سرعان ما تجلبت ضراياه وآراؤه الإصلاحية النيرة في مقالاته الأدبية والاجتماعية التي كان ينشرها في الصحف ، فدُعِيَ الى التدريس في مدرسة المعلمين العليا ، ثم عُين سنة ١٩٢٧ أستاذاً للفلسفة في كلية الآداب بالجامعة . وتدرج من الأستاذية فكان وكيلاً للكلية سنة ١٩٣٣ ، ثم كان عميداً لها . وفي سنة ١٩٣٦ عُين مديراً لدار الكتب المصرية . وفي أواخر سنة ١٩٤٤ كان مديراً لجامعة الإسكندرية .

أما مجمع اللغة العربية فقد عُين فيه عضواً منذ تأسيسه سنة ١٩٣٣ . ولما أوجد في المجمع المذكور منصب كاتب السر « الأمين العام » انتخبه المجمعيون لهذا المنصب ، فظل يضطلع بأعماله الى حين وفاته ، وكلما انتهت مدة عمله فيه جددوا انتخابه مرةً بعد مرة .

ولم يؤلف الفقيد كثيراً من الكتب . ولكن سيرته في الإصلاح طيلة حياته كانت كلها سفراً كبيراً . ولو مُجمعت مقالاته في مختلف الجرائد والمجلات العربية ، وخطبه في النوادي العامة ، ومجوده التي ألَّفها في مجمع اللغة العربية لتألف منها كتب ثمينة .

ومما طُبع له ترجمة رواية « هرمان ودوروتيا » وهي للشاعر الألماني غوته ، وبضع رسائل اجتماعية منها « الضعف الخلقى وأثره في حياتنا الاجتماعية » ، ومنها « أوقات الفراغ كيف نستثمرها » الخ .



وكتابه المطبوعان اللذان اشتهرا لدى الأدباء هما «خطرات نفس» و «مي زيادة» مع رائدات النهضة النسائية الحديثة» وهن عائشة التيمورية ووردة اليازجي وملك حفي ناصف الملقبة بباحثة البادية .

فالكتاب الأول مجموعة من المقالات في أخلاقنا ، وتأملات في نواحي حياتنا الاجتماعية . وقد تميز فيها الفقيد بسلاسة التعبير ، ودقة التصوير ، وضبط دلالة الألفاظ على معانيها ، وتركيز تلك المعاني ، وبذلك 'عد في جملة الرواد من الكتاب الذين أحلوا المقالة مكانها المرموق في عصرنا الحاضر .

أما الكتاب الثاني فما من أديب قرأه إلا وقال فيه إنه يحتوي على بيان رائع ، وتصوير جميل ، وتحليل فلسفي دقيق لحياة رائدات النهضة النسوية الحديثة ، وللمجتمع الزمن الذي عشن فيه .

وسيرة الفقيد - على ما ذكرت - هي التي كانت للجيل الحاضر أجمل كتاب . فقد قضى عمره داعياً الى الاستمسك بما عندنا من عادات وتقاليد حسنة ، وبما في الدين من وصايا خلقية ثمينة ، حتى عده بعضهم من المتزمطين أو الجامدين ، على حين أنه لم يكن عدواً للتجديد ، بل كان عدواً لترك الصالح من مقوماتنا القومية ، ولفكرة اقتباس الصالح والطالح من المدنية الغربية من غير تمييز .

أقام فلسفته على مبدأ الخير والشر ، ونفذ الى نواحي المجتمع ، فنجحت دعوته الدينية القومية في جمعية الشبان المسلمين ، ودعوته الإنسانية في جمعية الهلال الأحمر وغيرها من الجمعيات الخيرية ؛ وبرز نشاطه الاجتماعي في جمعية الإصلاح الاجتماعي ، ونشاطه العلمي والأدبي والفلسفي في جامعة القاهرة وجامعة الإسكندرية ودار الكتب المصرية ومعهد الدراسات العربية العالية . أما في مجمع اللغة العربية فأعضاء ذلك المجمع يعرفون أن الدكتور منصور فهمي ، وإن لم يكن اقرباً ، قد خلف الشيخ أحمد السكندري رحمه الله في كرهه للإكثار من تعريب

المصطلحات الأنجمية ، وأنه كان يرى عدم اللجوء الى تعريب ألفاظ المعاني خاصة إلا بعد اليأس من العثور على ألفاظ عربية تقابلها في مجازتنا القديمة وفي كتب السلف العلمية والأدبية ، أو بعد العجز التام عن إيجاد ألفاظ عربية لأدنى ملائمة بوسائل الاشتقاق أو المجاز أو التضمين أو التلميح .

ولطالما سمعته في جلسات مجلس المجمع أو مؤتمره يجادل أنصار الإكثار من تعريب المصطلحات العلمية ، ويقول لهم إن اللفظ العربي له جاذبيته الخاصة عند أبناء العروبة لأسباب وراثية ، ولأنه يثير في نفوسهم معاني وصوراً يحجز اللفظ الأنجمي المعرب عن إثارتها .

ولا يعرف إلا قلة من أبناء الوطن العربي أن الفقيه كان يؤمن مثلنا بمقيدة القومية العربية ، وأنه من المصريين الأوائل الذين كانوا يتجاوبون هم والعالمون في شؤون تلك القومية ، فيفتحون لهم صدورهم ودورهم في الأزمات السياسية . والعرب الذين كانوا يلجأون الى مصر فراراً من ظلم الدول الاستعمارية في بلادهم كانوا يعرفون حذب الدكتور منصور فهمي على قضيتهم ، وتردده على جمياتهم ، ومشاركته لهم في مرائهم وفي ضرائهم .

رحم الله الفقيه وجزاه عن العرب وثقاتهم ولغتهم وقوميتهم جزاء العاملين المخلصين .

مصطفى السرابي

### الدراسات العربية في الاتحاد السوفياتي<sup>(١)</sup>

موضوع الدراسات العربية في الاتحاد السوفياتي موضوع كبير لا يمكن استيعابه في حديث واحد ، وذلك لأن الدراسات العربية تؤلف جزءاً من علم واسع معروف بعلم الاستشراق ؛ والشرق العربي كان منذ قرون ممتداً من البحر الأطلنطي غرباً إلى الصين شرقاً .

وإذا أردنا التحدث عن الدراسات العربية بالتفصيل كان لا بد من أن نشرح تاريخ فرع كامل من فروع العلم في بلادنا ، وأنا عاجز عن أداء هذه الوظيفة . أما نشوء الدراسات العربية بمعناها العلمي في روسيا فهو يرجع إلى بداية القرن التاسع عشر ، عندما أصبحت اللغة العربية تُدرّس في جامعات خاركوف وقازان وموسكو وبطرسبورغ . ومن بين أبرز العلماء الذين بدأوا الأبحاث العربية العلمية في روسيا في ذلك الحين نذكر المجمعي فرين ( ١٧٨٢ - ١٨٥١ ) أستاذ اللغة العربية في جامعة قزان أولاً ، ثم بجامعة بطرسبورغ ، وهو مؤسس المتحف الآسيوي المشهور في بطرسبورغ ، حيث قام بصورة منظمة وعلى أساس علمي بدراسة المخطوطات العربية . ونذكر أيضاً الأستاذ بولدиров ، كان أستاذ اللغات الشرقية بجامعة موسكو من سنة ١٨١١ إلى سنة ١٨٤٣ . وقد أصدر بولدиров أول كتاب علمي لدراسة الفحو العربي باللغة الروسية ، وأول كتاب منتخبات من الأدب العربي مصحوب بمجموع عربي روسي .

وقد كان المستشرقون ، منذ نشوء الدراسات العربية في روسيا ، لا يقتصرسون على البحث العلمي أو التعليم في الجامعات ، بل كانوا أيضاً يعملون على إطلاع

(١) حديث للمستشرق الروسي الأستاذ عبد الرحمن سلطانوف مدير القسم العربي في معهد الدراسات الشرقية في موسكو . ألقاه في جمعية تعزيز التبادل الثقافي بين سورية والاتحاد السوفياتي .

المجتمع الروسي على الثقافة العربية . فقد قام بولديريف وتلاميذه بترجمة بعض القصائد والأفانصيص العربية الى اللغة الروسية ، واشتهر بهذا النشاط بوجه خاص أستاذ اللغات الشرقية في « بطرسبورغ » الصحفي الروسي المعروف يوسف سينكوفسكي . وقد كان ينشر مقالات في الأدب العربي ، منها مقال رائع في الشعر الجاهلي لم يفقد قيمته العلمية حتى الآن . كما كان ينشر بعض الأفانصيص فيسبقي موضوعاتها من الأفانصيص العربية .

وفي أواخر القرن التاسع عشر بلغت الدراسات العربية ، كسائر الدراسات الشرقية في روسيا ، مستوى مرتفعاً جداً . وكان يتقدم العلماء المستعربين في ذلك العهد الأستاذ غيرغاس والمجمعي روزين . أما غيرغاس فقد تخرج من جامعة « بطرسبورغ » ، وقضى ثلاث سنوات في سورية ولبنان وفلسطين ومصر . وبعد رجوعه إلى روسيا تولى تدريس اللغة العربية ، ووضع عدداً من الأنجاث العلمية ، ومعجماً عربياً روسياً ، وكتاباً في تاريخ الأدب العربي ، وكتاباً آخر في تاريخ الدراسات النحوية عند العرب . وفي هذا الكتاب انتقد غيرغاس بعض النواقص الموجودة في الطريقة المعقدة التي اتبعها العرب في شرح قواعد اللغة ، تلك النواقص التي يشكو منها اللغويون العرب المعاصرون حتى اليوم ؛ وذلك إلى جانب تقدير كل ما يوجد في كتب اللغويين العرب القدماء من محاسن .

وأما المجمعي روزين فقد برّز في مضمار دراسة المخطوطات العربية . وله يد بيضاء في تربية جيل من المستشرقين وبينهم تلميذه المجمعي كراتشكوفسكي . وفي بداية القرن العشرين كانت الثقافة العربية تُدرس في عدة مراكز علمية في روسيا . وكان بين كبار العلماء الذين اشتغلوا بالدراسات العربية الأستاذ قريسكي والأستاذ كراتشكوفسكي .

وفي العهد السوفياتي اتسعت الدراسات الشرقية في بلادنا إلى حد كبير . ونشأت في ليننغراد مدرسة استشراف فيلولوجية مشهورة كان يشرف على الدراسات العربية فيها الأستاذ العلامة اغناطيوس كراتشكوفسكي المشهور .

لقد وضع الأستاذ كراتشكوفسكي حوالي ( ٥٠٠ ) بحث علمي في الأدب العربي القديم والحديث ، وفي العلم العربي والفكر العربي . وكان من أهم خدماته في قضية دراسة الثقافة العربية أنه كان أول من جعل الأدب العربي الحديث موضع الدراسات العلمية ، بينما كان المستشرقون في أوروبا الغربية لا يهتمون إلا بالأدب العربي القديم .

وبعد وفاة كراتشكوفسكي ( في كانون الثاني سنة ١٩٥١ ) ، قرر المجمع العلمي السوفياتي إصدار مجموعة مؤلفاته . وقد جاء هذا القرار دليلاً على مبلغ احترام الشعب السوفياتي لثقافة العرب التي وقف الأستاذ كراتشكوفسكي حياته على دراستها وإطلاع الشعب عليها . وتتألف هذه المجموعة من ستة مجلدات صدر منها حتى الآن ثلاثة ، يحتوي الأول منها ذكريات كراتشكوفسكي عن خطواته الأولى في طريق دراسة الثقافة العربية ، وعن زيارته لسورية ومصر ، كما يحتوي مقالاته عن اللغة العربية . ويتضمن المجلد الثاني أبحاث هذا العالم في الأدب العربي القديم ، ويتضمن المجلد الثالث أبحاثه في الأدب العربي الحديث .

وسيصدر عما قريب المجلد الرابع وفيه جمعت أبحاث الأستاذ كراتشكوفسكي في الأدب العربي الجغرافي ، كما سيجتوي المجلد الخامس على مقالاته في تاريخ الدراسات العربية في روسيا ، والسادس على ترجمة كتاب ابن المعتز ( في الشعر العربي ) ؟ وعطى وصف كراتشكوفسكي للمخطوطات العربية في مكتبات الاتحاد السوفياتي .

ومن يجدر ذكره بين العلماء الذين عملوا في ليننغراد الأستاذ بوشمانوف المتخصص في اللغات السامية والأفريقية ؛ وقد وضع عدة أبحاث في اللغة العربية

قيمة للغاية ، وكذلك الأستاذ قبلينتشك الذي عمل على وضع معجم عربي روسي خاص باللهجة السورية . وقد بذل في هذا السبيل جهوداً تستحق الإعجاب ، ولا سيما إذا علمنا أنه كان مصاباً بالصمم . وقد توفي كلا هذين الأستاذين بعيد الحرب العالمية الثانية .

وفي أثناء الحرب الأخيرة توفي مستشرق روسي كبير آخر عاش في السنوات الأخيرة من حياته في أوكرانيا ، ونعني به المجمعي قريمسكي ، الذي زار سورية خلال السنوات ١٨٩١ - ١٨٩٨ ، وفي المرحلة الأولى من نشاطه العلمي أصدر سلسلة من الكتب للطلبة والمستشرقين ، منها ( تاريخ الإسلام ) وكتابات ( اللغات السامية ) و ( تاريخ العرب ) و ( تاريخ الأدب الجاهلي ) كما نشر عدداً كبيراً من المقالات عن الشرق في الموسوعات الروسية ، وتجدد الإشارة إلى أن قريمسكي قد أخذ قبيل الحرب العالمية الثانية بوضع كتاب ضخيم في عدة مجلدات في تاريخ الأدب العربي الحديث . ولو أتم قريمسكي بحثه هذا لكان أول كتاب من نوعه في الاستشراق العالمي ، ولكن الحرب حالت دون ذلك فلم ينجز إلا المجلد الأول من كتابه . وتتخذ الآن التدابير اللازمة لإصدار جميع مؤلفات هذا العالم .

وأما في وقتنا الحاضر فإنه توجد مراكز كثيرة للدراسات الشرقية والعربية في الاتحاد السوفياتي . فهناك معهد للدراسات الشرقية في موسكو وله فروع المستقلة في طاشقند وبأكو وقزان وتبليسي ( تفليس ) وليننغراد حيث يتخصص العلماء بوجه خاص في دراسة اللغة والآداب والمخطوطات العربية . وقد قُدم في هذه المراكز في المدة الأخيرة ما يقرب من ثلاثين أطروحة علمية في شتى موضوعات الأدب والتاريخ العربيين .

وقد نشر الأستاذ ييليايف فصلاً كاملاً عن تاريخ العرب في كتاب « تاريخ الشرق في القرون الوسطى وفي العهد الجديد » ، كما ترجم الأستاذ نفسه إلى

اللغة الروسية القسم المتعلق بتاريخ شعوب آسيا الوسطى من تاريخ الطبري . وقدم لهذه الترجمة بشرح مفصل لحياة الطبري ومؤلفاته العلمية .

وقد أعد الآن للنشر كتاب وضعه فريق من المستشرقين في معهد الدراسات الشرقية عن تاريخ الحركة الوطنية التحررية في البلاد العربية بعد الحرب العالمية الثانية .

ومنذ سنة صدر في موسكو كتاب « تاريخ الشرق الحديث » ، يحوي فصلاً عن تاريخ مصر وسورية ولبنان والعراق وسواها من الأقطار العربية من سنة ١٩١٢ إلى اليوم .

ونشر في طاشقند ترجمة ( قانون الطب ) لابن سينا . كما صدر في خاركوف بحث في كتاب رحلة ابن فضلان إلى روسيا في القرن التاسع . وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللغة الروسية الأستاذ كوفاليفسكي مع دراسة ضافية .

وفي هذه السنة ستصدر في موسكو الطبعة الثانية من المعجم العربي الروسي للأستاذ بارانوف من أستاذة جامعة موسكو . ويتميز هذا المعجم بدقة نقل المفردات والمصطلحات العربية إلى اللغة الروسية . وهو يعدّ حقاً خير مساعد في ترجمة النصوص الأدبية والاجتماعية والاقتصادية إلى الروسية .

وقد هيا القسم العربي لمعهد الدراسات الشرقية ( دليل سورية ) . وهو كتاب ضخم في خمس وعشرين ملزمة ، يتضمن معلومات مفصلة عن تاريخ سورية وثقافتها في العهد الجديد . وسينشر هذا الكتاب في هذا العام إن شاء الله .

ويشترك المستشرقون عندنا في ترجمة نماذج من الأدب العربي الحديث إلى اللغة الروسية . وقد نشر باللغة الروسية حتى الآن بعض الروايات والقصص لأدباء العرب في مصر وسورية ولبنان والعراق ، بينها كتاب ( الأيام ) لطلح حسين الذي نقله إلى الروسية العلامة كراشكوفسكي ، ورواية ( عودة الروح ) لتوفيق الحكيم .

وفي عام ١٩٥٥ صدرت مجموعة قصص اكتاب العرب تحتوي نماذج من قصص محمود تيمور ، وعبد الرحمن الخنيس ، ويوسف إدريس ، ومحمد صدقي ، وعبد الرحمن الشرفاوي ، ووصفي البني ، ومحمد إبراهيم دكروب ، واميل يوسف عواد ، وعبد المسيح حداد ، ومواهب الكيالي ، وأحمد السيد ، وذو النون أبوب . ونشرت كذلك مجموعة قصص الأدباء المصريين كمحمود تيمور ، وعيسى عبيد ، وبنت الشاطئ ، والشرفاوي ، ويوسف جوهر ، وإدريس وسوام . . . . .

وفي سنة ١٩٥٦ نشر كتاب ينضمّن مؤلفات ولي الدين بكن وجبران خليل جبران وأمين الريحاني ومحمود تيمور وشحاتة عبيد وسلي صائغ وذو النون أبوب . وأعدت للنشر ترجمات بعض مؤلفات مواهب الكيالي وشوقي بغدادى ومجنايل نعيمة ومارون عبود وحنا مينة وفاتح المدرس وسوام .

وكذلك نشر في العام الماضي في موسكو مجموعة تتضمن منتخبات من آثار الشعراء المصريين .

وفي معهد الدراسات الشرقية تصدر شهرياً عدة مجلات علمية ، منها ( مجلة الاستشراق السوفياتي ) ، و ( الرسائل العلمية ) ، و ( أخبار معهد الدراسات الشرقية ) . وعما قريب ستظهر مجلة جديدة اسمها ( الشرق الحديث ) . ويوجه القسم العربي في المعهد في الوقت الحاضر اهتمامه الخاص إلى بحث عميق . ألا وهو ( قضية الوحدة العربية ) ، ويحاول دراسة العوامل التاريخية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية واللغوية التي تنطوي عليها هذه القضية العظمى .

عبد الرحمن سلطانوف



## ديوان الحافظ محمد النجار

### الشامي

دعاني الأديب المؤرخ الشيخ محمد باقر ألفت الاصفهاني إلى زيارة بلدة اصفهان ، مدينة العجائب العامرة بالمدارس والمساجد والخزائن ؛ وقد لبثت في بيته عدة أيام تصفحت في أثنائها خزائنه الحافلة بالكتب الخطية والاعلاق العربية النفيسة . وقد عملت لنفسي فهرست ما بهم من نوادر خزائنه ، فأتاحت لي فهرست مخطوطاته الاطلاع على طائفة كثيرة من المجموعات الأدبية المحفوظة بخزائنه التي تعد - والحق أقول - من الدخائر .

ومن تلك الكتب القيمة نسخة من ديوان الحافظ محمد الشهير بالنجار ؛ كما عبّر هو عن نفسه في الأرجوزة التي أنبتها في أواخر الديوان ، المسماة ( أولوة التزيه للرب التزيه عن التعطيل والتشبيه = نظم كتاب مقامات الاولياء للشيخ عبد الوهاب الشعراني ) قال :

قال الفقير حامل الأوزار محمد الشهير بالنجار

وقال - في نظم رموز كتاب الحصن الحصين التي اختارها ابن الجوزي :

قال الفقير الحافظ النجار محمد من مضمه الأوزار

طول أوراق النسخة ٢١٥٠ سنتيمتر في عرض ١٦٧ ، وجميع أوراقها ٢٤٣ وفي كل صفحة ٢٣ سطراً وهي مكتوبة في عصر الشاعر وربما كانت نسخة الأصل ( ظ ) فقد أرخ الشاعر الحوادث إلى سنة ١١٧٣ هـ وفي أولها : ( دخل في ملك أقر الورى اليه سبحانه وتعالى السيد مصطفى بن السيد أحمد خادم أبي الدرداء - رضي الله تعالى عنه - سنة ١١٧٥ ) . والصفحة الأولى

من الديوان [ الورقة ١ ب ] يضاء فارغة لعل الشاعر اتوى كتابة خطبة  
الديوان فيها ثم أدركه الموت ، وفي أواخر هذه الصفحة :

لما جحدت مودتي وتعرفي

وخللت في قصد السبيل المقرف

وغددتني ناديت بعد تلهمي

ونتمته في [ الورقة ٢ أ ] :

لله في عني بين المصحف وعلي كل ذنوب أهل الموقف

... الخ

وهذا الديوان حافل بفوائد وحوادث كثيرة مستطرفة ؛ منها :

سنة ١١٥٤ وفاة الشيخ مصطفى المصري الحافظ شيخ القراء بدمشق

١١٥٥ وفاة موسى آغا بن الاردك

١١٥٦ تولية أسعد بشه ( كذا - باشا ) بن العظم على دمشق وأعمالها

١١٥٩ وفاة السيد محمد فتحي الدفتردار بأمر السلطان عصر نهار الأحد

منتصف جمادى الآخرة .

١١٦٧ تاريخ بناء خان الوزير أسعد باشا بن العظم

أواخر ١١٦٧ وفاة المجذوب الشالح الشيخ خليل الملقب بالبياض

١١٦٨ وفاة الشيخ محمد الداودي

« سنة ١١٧٠ عشر خلون من شهر رمضان ، وقع شر بين طائفة الينكشارية

وطائفة القول . واستمر في دمشق الى آخر ربيع الثاني

سنة ١١٧١ »

١١٧١ ولي المولى السيد علي افندي المرادي وظيفة الافتاء بدمشق

١١٧٣ « في أوائل شهر ربيع الأول ، ليلة الثلاثاء منه ، قبل ليلة

المولد الشريف بثلاث ليال ، أو ما يقرب من ذلك ، في منتصف تلك الليلة

المذكورة ، جاء في دمشق ونواحيها زلزال هدم البنيان ، وأيتم ، وخرب المنارات ، وغادر المساجد ، والنواحي ، خرابا . . . سقطت أعالي منارة العروس ، وسادت منارة عيسى الأرض ، وسقطت قبة النسر ، وتهدم أعالي الجانب الشمالي من الجامع . . فأمر القاضي بالصيام ثلاثة أيام » .

وفي الديوان مدح الحامد أفندي العمادي شيخ الإسلام ، والوزير سليمان باشا بن العظم ، وبجي آغا بن طالوا ، وأحمد باشا بن العظم .

ومن طرائفه أبيات « طلبها بعض الأصدقاء لتقرأ يوم ختم درس الحديث ، تحت قبة النسر ، في الجامع الأموي ، والمدرس إذ ذاك - شيخ مشايخنا ؛ علامة القطر الشامي . . الشيخ اسمعيل العجلوني » ، وأبيات قالها لما أكل نسخ كتاب انسان الميون في سيرة الأمين والمأمون . وآخر نظمها « اجابة لمطلب محمد جريسي القباني يشكر هدية نقيب أفندي السيد علي العجلاني - كتاب الكشكول » . وقد نظم بعض قواعد الرمم والنحو . وله مراسلات مع الشيخ عبد الله الحلبي .

الدكتور حسين علي محفوظ

### أغلاط مطبعية

وقعت في هذا الجزء ، أغلاط مطبعية تصحح كما يلي :

الصفحة	الخطأ	الصواب
٤٢٥	أصابع	أسمع
٤٢٦	من كل فج	في كل فج
٤٢٧	لم يفتهم	لم يفتهم
٤٢٧	لو كاد	لو كان

## فهرس الجزء الثالث من المجلد الرابع والثلاثين

### صفحة

٣٨٥	ثلاث رحلات	للأستاذ شفيق جبري
٣٩٣	ثقافة الأطباء عند العرب (١)	للككتور عبد الرحمن الكيالي
٤٠٩	العلاقات الجوهرية بين الفتيان العربية والآرامية «المرثية» (٤)	للطاران غرينوريوس بولس بنام
٤٢٥	بطولات المصروب (قصيدة)	للأستاذ شفيق جبري
٤٣١	الترجاعي : حياته وآثاره (٢)	للأستاذ مازن المبارك
٤٤٧	كتاب شرح الألفات (٢)	للأستاذ أبو محفوظ الكريم المصري
٤٦٢	نظرة في معجم المصطلحات الطبية للكثير القات (٣)	للككتور حسني سيج
٤٧٩	عقارات سما لم ينشر من شعر البحري (٣)	للككتور صالح الأستر
٤٩٠	كتاب النفس لابين بأجدة الأندلسي (٧)	للككتور محمد صابر حسن المصري

### التعريف والنقد

٥٠٧	فضايا الذكر في الأدب المأثور	للأستاذ مصطفى الشهابي
٥٠٨	وجوب التعاون بين المسلمين	
٥٠٩	١- توضيح الكافية الشافية ٢- الحق الواضح المبين	للأستاذ محمد بهجة البيطار
٥١٢	كتاب البحر الزخار	
٥١٥	فتح القطار	
٥١٨	نظرة في أعماق الإنسان	للككتور حسني سيج
٥٢٢	أعلام (الزركلي)	
٥٢٣	الوطن العربي	للأستاذ جعفر الحدي
٥٢٤	العرب والإسلام	
٥٢٥	ديوان ابن الجبلة	للككتور حسين علي محفوظ
٥٢٧	المفاهيم الاقتصادية الدولية	للأستاذ منير النوردي

### آراء وأنباء

٥٣٠	الرحوم الدكتور منصور فهمي	للأستاذ مصطفى الشهابي
٥٣٥	الدوامات العربية في الاتحاد السوفياتي	للأستاذ عبد الرحمن سلطانوف
٥٤١	ديوان الحافظ محمد النجار الشامي	للككتور حسين علي محفوظ
٥٤٣	أغلاط مطبوعة	

# مجلة المجمع العلمي العربي

١ تشرين الأول سنة ١٩٥٩ م ٢٩ ربيع الأول سنة ١٣٧٩ هـ

مَدَى النَّحْتِ

## في اللغة العربية

توطئة :

من المعروف أن النحت في لغتنا الضادية النَّشْرُ والنَّشْرُ والبَرْي .  
يقال نَحَتَ الخشبَ والحجارة إذا يراها . ومن المعروف أيضاً أن النحت في  
الاصطلاح انتزاع كلمة من كلمتين أو أكثر ، على أن يكون تناسب في  
اللفظ والمعنى بين المنحوت والمنحوت منه . وقد نحت القدماء من (الجملة) فاشتهر  
من منحوتاتهم قولهم حَمَدَلْ حَمْدَلَّةً من الحمد لله ، وَبَسْمَلْ بِسْمَلَةً من بسم الله ،  
وسَجِلْ سَجَلَةً من سبحان الله ، وحَسِبَلْ حَسِبَلَةً من حسبي الله ، وَجَعَقَدْ من  
جُعِلَتْ فداك ، ودَمَعَزْ من أدام الله عزه ، وحَوَلَى من لا حول ولا قوة الا بالله ،  
وطلبَقْ من أطال الله بقاءك ، ومَشَكَنَّ من ماشاء الله كان الخ .

ونحتوا أيضاً من المركب الإضافي : فن مشهور ما قالوه في النسب الى عبد شمس  
عَبْشَمِي ، والى رأس عين « في الجزيرة » رَسْعَنِي ، والى عبد القيس  
عَبْقَسِي ، والى حصن كَيْفَا « على دجلة شمالي الجزيرة » حِصْكَنِي ، والى  
عبد الدار عَبْدَرِي ، والى دار البطيخ في بغداد دَرَبَجِي .

ولم يتبعوا قواعد ثابتة سواء في الحروف التي تُنتزع من المنحوت منه ،  
أو في ترتيب حروف المنحوتات . ولكن القاعدة المعروفة أنهم يأخذون من  
كلمتين كلمة على وزن فَعْلَل ، وبأخذون من كل كلمة فاءها وعينها ،  
ثم ينسبون الى المنحوتة ، كقولهم عَبْشَمِي من عبد شمس ، فإنهم انتزعوا العين  
والباء من كلمة عبد ، والشين والميم من كلمة شمس ، ثم أضافوا الى عبشم  
ياء النسبة المشددة .

وقد تعمل عين الجزء الثاني من فعال ، فيتجاوزون عنها الى اللام ، كما في  
عَبْقَسِي من عبد القيس فقد تجاوزوا عن ياء قيس الى سينها .  
إلا أننا وجدناهم يشذون عن هذه القاعدة في مثل قولهم دربجي في النسب  
الى دار البطيخ . فن مقتضى القاعدة أن يقال دربطي .  
وكذلك في النسب الى سوق مازن فقد قالوا سقرني حاذفين فاء الكلمة الثانية  
أي ميم مازن .

أما موضوع ترتيب الحروف في النحت فقد اختلفت فيه آراؤهم . فعند  
ابن فارس يقال حَوَقَل ، بتقديم قاف حواق على لامها ، مثلاً يقال جمعة باللام ،  
بدلاً من الدال ، في جمعة المنحوتة من جعلت فداك . وعند ابن فارس  
ذلك تنقيحاً ؛ ولكن ابن دحية قد خطأه في الجملة هذه ، وقال إن الحوقلة  
هي مشية الرجل الضعيف لا منحوت « لا حول ولا قوة إلا بالله » .

وذكر الخفاجي في شفاء الغليل الطبقة بتقديم الباء على اللام في الطبقة المنحوتة من «أطال الله بقاءك» ، فخطأه بعض العلماء ذاكرين أنه لا بد من ترتيب الحروف في المنحوت ، على حسب ترتيبها في المنحوت منه .

ورأيناهم ، بعد هذا الخلاف ، يتجاوزون في بعض المنحوتات من الجمل عن جميع حروف بعض الحكم ، مثل كلمة دَمَعَز التي ألمت اليها فليس فيها حرف من حروف لفظ الجلالة .

والخلاصة أن هنالك قاعدة وُضعت للنحت ، ولكن ما شدت عنها كثير . وعد القدماء النحت سماعياً ، فلم يجزوه ، وذكر بعض المتأخرين أن ابن فارس قال بقياسيته في فقه اللغة ، والحقيقة أن ابن فارس لم يصرح بقياسية النحت ، بل ادعى أن الكثير مما زاد على ثلاثة أحرف منحوت ، والكثرة تجيز القول بالقياسية .

النحت في المصطلحات العلمية الحديثة . — كان مجمع اللغة العربية في

القاهرة أَلَف في سنة ١٩٤٧ ، لجنة من بعض أعضائه ، تنظر في موضوع النحت ، فوضع العلامة الشيخ إبراهيم حمروش مقرر اللجنة بحثاً مائتاً في النحت<sup>(١)</sup> انتهى فيه الى قوله :

«ونحن نقول بجواز النحت في العلوم والفنون للحاجة الملحة الى التعبير عن معانيها بالفاظ عربية موجزة» .

وقد أقرت اللجنة هذا البحث . وعندما عرض في الدورة الرابعة عشرة (١٩٤٧ - ١٩٤٨) على المجمع وافق بعد المناقشة على جواز النحت عندما تلجئ اليه الضرورة العلمية<sup>(٢)</sup> .

(١) نشر في الجزء السابع من مجلة مجمع اللغة العربية «ص ٢٠١ - ٢٠٤» .

(٢) ج ٧ ص ١٥٨ من مجلة مجمع اللغة العربية .

وليس المهم في بحثي هذا التنبيه الى أن النحت من الألفاظ العلمية أصبح جائزاً لنا ، فكل من بعاني وضع المصطلحات بالعربية يعرف أننا في حاجة الى النحت في بعض الأحيان ، والذي يهم بيانه إنما هو مدى الضرورة العلمية الى النحت ، والشروط التي يجب على الناحية أن يتقيد بها في وضع المنحوتات العلمية ، وأرى أن البحث عن حدود النحت ومداه يشتمل على كثير من الملاحظات التي ذكرتها في بحثي عن حدود التعريب ومداه <sup>(١)</sup> .

ففي النحت « كما في التعريب » فريقان من العلماء : فريق يرى أن كلمات « عند الضرورة العلمية » التي جعلها المجمع شرطاً في النحت شيء رخو قابل للمط والتأويل ، ولذلك راح رجال هذا الفريق يكثرون من النحت ، على حسب ما جادت به قرائحهم .

وفريق يرى أن تلك الكلمات قوية في دلالتها ، وأنه يجب مراعاتها بدقة في موضوع النحت ، لذلك تزمت رجال هذا الفريق ، ولم يستسيغوا الا الندرة من المنحوتات الحديثة .

وبين فريق المتهاونين وفريق المتشددین من العلماء برز فريق ثالث ممن لم يختصوا بعلم من العلوم ، ولم يطلعوا على خصائص لساننا ولم يهضموها ، فراحوا ينحتون على حسب ما توحى به إليهم معرفتهم باللغات الأجنبية وتفكيرهم بها ، وإذا بهم يأتوننا بمنحوتات عجيبة لا العلم يحوجنا إليها ، ولا الذوق العربي يستسيغها . ولا بد لكل من يكلف نفسه مشقة النحت ، في نقل العلوم الحديثة الى العربية ، من أن يكون مثقلاً بصفتين : الأولى إدراك مدى الحاجة الى منحوت عربي يقابل الكلمة الأجنبية ، والثاني التمسس بما يوافق الذوق العربي ولا ينفر منه السمع .

(١) نشر هذا البحث في عدد تموز سنة ١٩٥٦ ص ٥٠٩ - ٥١٢ من مجلة المجمع العلمي العربي .



منحوتات لا حاجة اليها . — من الأدلة على جهل مدى الحاجة الى النحت ما أقدم عليه . مؤلف معجم إنكليزي عربي من نحت كلمات مقبحة تدل على أسماء شعب وطوائف ورتب من الحيوان ، على حين أن هذه الأسماء في علم الحيوان وعلم النبات لا حاجة فيها الى النحت .

وهاكم نماذج قليلة من هذه المنحوتات العجيبة :  
في رتب الحشرات :

اللفظ المنحوت	اللفظ الفرنسي	اللفظ الصحيح
غَمَجَنَاحِيَات ( من غمد وجناح )	Coléoptères	غَمَدِيَّات الأجنحة
غَشَجَنَاحِيَات ( من غشاء وجناح )	Hyménoptères	غَشَارِيَّات الأجنحة
مَسَجَنَاحِيَات ( من مستقيم وجناح )	Orthoptères	مُسْتَقِيمَات الأجنحة
عَصَجَنَاحِيَات ( من عصب وجناح )	Névroptères	عَصَبِيَّات الأجنحة

الغ

وفي السمك :

الشَوْجَنِيَّات ( من شوك وجناح )	Acantoptérygiens	شَائِكَات الزعانف ( لا الأجنحة )
الدَّوْقِيَّات ( من دائر وفم )	Cyclostomes	حَلَقِيَّات الأفواه
اللَّغْنِيَّات ( من لين وزعنف )	Malacoptérygiens	لَيِّنَات الزعانف

وفي الرخويات :

البَطْنَجَلِيَّات ( من بطن ورجل )	Gastéropodes	مَعْدِيَّات الارجل
-----------------------------------	--------------	--------------------

وفي الأولي :

الجَذَرِجَلِيَّات ( من جذر ورجل )	Rhizopodes	جَذَرِيَّات الأقدام «أو الأرجل»
-----------------------------------	------------	---------------------------------

الى آخر أمثال هذه المنحوتات العربية التي لا حاجة اليها البتة في علوم المواليد ، وفيها فوق ذلك ضرر بارز للعيان : ذلك بأن الأوربيين عندما ينعنون كلمة علمية واحدة من كلمتين يونانيتين ، كاللغات الفرنسية المذكورة ، يهتمون بجمال

الكلمة المنحوتة مفهومة على قدر المستطاع ؛ ثم إن الطالب الفرنسي يتعلم مبادئ اليونانية واللاتينية ، وهو يعرف معاني الزوائد اليونانية ، من صدور و كواسع ، التي تضاف الى الكلمة الأصلية فتتألف منها الكلمة الفرنسية المنحوتة . فأنت اذا قلت للطالب الفرنسي إن هذه الحشرة من رتبة الـ Orthoptères مثلاً فهو يدرك على الفور أن حشرات هذه الرتبة لها أجنحة مستقيمة ، لأنه يكون قد درس في علم اشتقاق الألفاظ الفرنسية أن Ortho من Orthos اليونانية أي مستقيم ، وأن Pière من Pteron أي جناح .

ولكنك اذا ترجمت ناحتاً فقلت للطالب العربي مسجناحيات فهو لا يفهم الا النصف الثاني من هذه الكلمة المنحوتة ، لأنك تركت كلمة جناح على حالها فلم تنزع من حروفها حرفين فقط ، وهما الجيم والنون ، على مقتضى القاعدة . ولو فعلت ذلك لأصبحت المنحوتة مسجنيات ، ولاستغلق المعنى فيها تماماً ، مثلاً استغلق في الشوجنيات واللعنفيات والبطجليات وأشباه هذه الرطانات المستعجبة . ولو ذكرت للطالب العربي الترجمة الصحيحة بكلمتين فقلت مستقيبات الأجنحة وشائكات الزعانف وليتأت الزعانف الخ ، لفهم معانيها من دون حاجة الى الشرح ، وفي احتياج الأمر الى بيان أوجه نحت المنحوتات ضاع معظم فوائدها .

ويتبين من هذه الأمثال أن الأسماء الأعجمية الدالة على الشعب والطوائف والرتب في الحيوان والنبات يجب ترجمتها بمعانيها ، سواء أُعبر عن الاسم الأعجمي الواحد بكلمة عربية واحدة ، أم بكلمتين ، أم بأكثر . واللجوء الى النحت في هذا الباب لا فائدة فيه ، ولا حاجة اليه ، أما ضرره فواضح .

ومن الطبيعي أن كلامي هذا لا يشمل علوماً أخرى قد يفيد النحت فيها . ولا بد في جميع الحالات الملتزمة الى النحت من إدراك واسع لمدى الحاجة اليه ، ومن تذوق صحيح لخصائص العربية وبيانها .

وموضوع الذوق في النحت لا يحتاج الى شرح طويل ، فجمع اللغة العربية في القاهرة كان أجاز مثلاً ، في لغة العلم ، استعمال ( لا ) مركبة مع الاسم المفرد ( بـ في مثل لا تُؤَوِّجِي Apétale ، ولا تُثَرِي Acarpe ، ولا ساقِي Acaule ، ولا مائي Anhydre الخ . ) ، ولكنه اشترط أن يوافق هذا الاستعمال الذوق ، وأن لا ينفرد منه السمع <sup>(١)</sup> .

داء النحت . — لقد أصبح النحت داءً عند بعض أساتيدنا ، حتى عند بعض علمائنا ، وكثير منهم يدعون اليه ذاهبين الى أنه من أكبر الوسائل المفضية الى نحو اللغة العربية وتقدمها ، والحقيقة أنه أداة صغيرة الاثر ، اذا فيست بالأدوات السائرة من اشتقاق ونضحين وتعريب ؛ وكأني بالمتساهلين من أنصار النحت لا يبالون بأن تفضي آراؤهم الى خلق لغة نبطية جديدة تحمل محل اللسان العربي المبين ، ولذلك وجدنا بعضهم يضربون بقواعد العربية عرض الحائط فيقول أحدهم مثلاً الغُدُّ بُعْضَلِي والشبهفدي بدلاً من الغدي العضي ، وشبه الغدي . ويقول الألفيؤورقي بدلاً من ألفي الورق أو ذي ألف ورقة . وأشباه هذه الغرائب كثيرة في أحد القواميس الانعجمية العربية .

ولا أدري لماذا ينجش بعض الأساتذة استعمال كلمتين عربيتين مقابل كلمة انعجمية واحدة ؟ في لغتنا ألوف من الكلمات لا يستطيع الأعاجم نقل الكلمة الواحدة منها الى لغام الا بكلمتين أو أكثر ، ومع هذا لم يهتم هذا النقص ، ولم يجدوا فيه عاراً عليهم ، ولم يعملوا على تلافيه .

وهاكم أمثلة تمثلت بها في كتاب « المصطلحات العلمية في اللغة العربية » حيث قلت :

« إذا راجعت مثلاً مادة ( Robes et Particularités ) في معجمي <sup>(٢)</sup> ،

(١) الجزء السادس من مجلة مجمع اللغة العربية ص ١٧٢ .

(٢) معجم الألفاظ الزراعية بالفرنسية والعربية

وهي الألوان والشيات ، نجد أن لكل شبة في الخيل اسماً عربياً ، وولفاً من كلمة واحدة ، بقابلها بالفرنسية كلتان أو ثلاث كلمات ، ومنها الشبات الآتية :

أُغْرَ	Marqué en tête	الفرس الذي له مُغْرَة أي بياض في الجبهة
سَابِلَة	Liste en tête	الغرة التي تسيل على قسبة الأنف وتعرض في الجبهة
شِمْرَاخ	Petite liste	الغرة التي دَقَّت على قسبة الأنف ولم تبلغ الجحفلة
بَعْسُوب	Liste incomplète	إذا سال البياض على قسبة الأنف دون أن يبلغ العينين
خَاتَم	Principe de balzanes	أقل التحجيل ، وهي شُمرات يبيض في قوائم الفرس
إِنْعَال	Trace de balzanes	عندما يكون البياض واضحاً
تَحْدِيم	Petite balzane	عندما يحايز البياض الأرساغ
تَجْبِيب	Grande balzane	عندما يصعد البياض سفي القوائم ولا يبلغ الركبتين أو العرقوبين .
تَسْرُول	Blzane haut - chaussée	إذا بلغ التجبيب الركبتين أو العرقوبين
		فالفرس مُسْرُول

« ونحن نقول ( حديدة ) وهي كلمة واحدة ، والفرنسيون يقولون ( Un morceau de fer ) وهي أربع كلمات ، ونقول ( مَشَى ) في كلمة ، ويقول الفرنسي ( il a marhé ) في ثلاث كلمات ، وهل كلمتا ( تَعَدُّد الخلايا ) أطول ، أم الكلمة الفرنسية الواحدة وهي ( Multicellularité ) ؟ »

ومن الواضح أن لكل لغة قوالها وأصاليها ، وأن العربية لغة اختزال ، فلا يضرها التعبير عن معنى من المعاني العلمية بأكثر من كلمة ، بل يضرها ويشوهها أن يُضَمَّ إليها عدد كبير من المنحوتات الثقيلة الغامضة من غير معرفة بمدى الحاجة إلى تلك المنحوتات ، أو من غير تقدير صحيح لذلك المدى .

وأم ما يحتاج له أنصار الإكثار من النحت كون النسبة إلى الكلمة الواحدة

المنحوتة تكون مبسورة ، خلافاً للنسبة الى المركب الإضافي ، ولكن ماذا يجبرنا على ترجمة النسبة بالنسبة اذا تعذرت ؟ فالترجمة لا تكون دائماً ترجمة صيغة بصيغة ، ولا حرف بحرف ، بل تكون بأخذ المعنى وبإفراغه في قوالب اللغة العربية .

فقد افترح أحد العلماء مثلاً نحت كلمة قَبْتَارِيخ من كلحتي قبل التاريخ لجعلها أمام Préhistoire ، وعلى هذا يقال في سهولة قبتاريخي مقابل Préhistorique . ولكن ما هو مبلغ حاجتنا الى هذا النحت ، والى صيغة النسبة في الكلمة الثانية ؟ ولماذا لا نحافظ على أسلوب لغتنا فنقول قبل التاريخ ، كما نقول آثار ما قبل التاريخ ، وزمن ما قبل التاريخ بدلاً من الآثار القبتاريخية والزمن القبتاريخي ؟ وما هو مبلغ الضرر في أن يكون عدد الكلمات في هذه الإضافة أكثر منه في النسبة ؟

ومن المقترحات النحت من ظروف الزمان وظروف المكان لكي تسهل النسبة الى المنحوت ، فيقال مثلاً :

خَامَذَرَمِي (من خارج ومدرسة) Extrascolaire

فَوْسَوِي (من فوق وسوي) Surnormal

تَحْشُوعُورِي (من تحت وشعور) Subconsient

قَبْلُوعِي (من قبل وبلوغ) Prépubère

الخ .

وواضح أنه من الصعب جداً قبول هذه المنحوتات وأشباهاها ، وأنا لسنا ، على ما قلت ، في حاجة الى ترجمة النسبة بالنسبة ، وفي وسعنا ترجمتها بالإضافة فنقول خارج المدرسة وفوق السوي وتحت الشعور وقبل البلوغ وهكذا . ولا ضرر مطلقاً في ترجمة كل كلمة من هذه الكلمات الفرنسية بكلمتين عربييتين .

ففي وسعك أن تقول التعليم خارج المدرسة بدلاً من التعليم الخامدوسي ، مثلاً  
 تقول التعليم بمد المدرسة بدلاً من التعليم الغنمذوسي ( من غب ومدرسة  
 Postscolaire ) ، وتقول التربية قبل البلوغ بدلاً من التربية القبلوغية الخ .  
 وعندما يجعل العالم المختص بأحد العلوم منجزاته على شكل اقتراح متواضع  
 ( كما فعل العالم الذي ألمات إليه ) يكون الخطب يسيراً ، ويكون الرجوع الى  
 الصواب مبسوراً ؛ أما أن يعتمد غير المختص بعلم من العلوم الى وضع معجم  
 أعجمي عربي في جميع العلوم العصرية ، ويحشيه بما يعن على باله من مثل المنجزات  
 السقيمة التي أشرت إليها في عرض هذا البحث ، فهناك يكون الداء الذي  
 نشق مداوانه . فالفرد ، أياً كان ، لا يستطيع معرفة جميع العلوم العصرية ،  
 ولا يدرك مدى الحاجة الى النحت أو الى التعريب في كل علم من تلك العلوم  
 الواسعة . وما يدعو الى الارتياح أن يجمع اللغة العربية في القاهرة قد سار  
 حتى الآن سبراً حكماً ومنشداً في موضوع النحت ، فالألفاظ المنحوتة في مجاته  
 قليلة جداً ، ومعظمها في الكتيبيات ، والمختصون بهذا العلم يعرفون أنه من أكثر  
 العلوم احتياجاً الى النحت والتعريب جميعاً .

مصطفى الشرايبي

# نقرة إمامين

## عن الرواية والقصة

لم يألف الرواية والقصة فريق من أئمة كُتّابنا في القرن التاسع عشر وبدء القرن العشرين ، كالشدياق وكرد علي ، فالأول زار « لندن » وشهد فيها التمثيل ووصف هذا التمثيل وصفاً يدل على ذوق ، ثم وصف بعض الأنواع الأدبية وسمّاها بأسمائها الافرنجية فقال :

« ثم إن التمثيل عندهم على نوعين ، الأول تمثيل ما يحزن من نحو الحروب وأخذ النار ويقال له عندهم : تراجيدي <sup>(١)</sup> والثاني وهو عكسه ويقال له : كوميدى <sup>(٢)</sup> ، وكلاهما يعدّان من الأدبيات ، غير أنّ النوع الثاني يكثر فيه التوريات والمؤاربات والتجنيس » .

وقد نقد بعض هذا التمثيل ، فنقد طول وقت اللعب فيه ، وأنه لفي نقد هذا الطول اذ خطر بباله طول الرواية فقال : وهذا كالتزام بعض المؤلفين عندهم لنوع يستحي : نوفل ، وهو أن يجعلوا الكتاب ثلاثة مجلدات ، فيسفسفون ويدققون ويأتون بالغث والثلث . » .

وكما نفر الشدياق عن الرواية فقد نفر كرد علي عن القصة وهذا رأيه فيها : « أردت غير مرّة على أن أشارك في القصة ، أكتب فيها أو أنقد ، فما طابت نفسي للدخول في موضوع لم يأخذ منها ، وليس لي يد في الفصل التي نشرتها

(١) أطلق على هذا النوع بعد ذلك اسم : الميزانات .

(٢) أطلق على هذا النوع بعد ذلك اسم : المضحكات .

أول أمرى لأنها مترجمة ، وأكبر داعٍ الى عدم عنايتي بالقصة اعتقادي أنها مختلفة » .

هذان رأيان صريحان في زهد كاتبين من كبار كُتّاب النهضة الحديثة في الرواية والقصة ، على أنه كاد هذان النوعان الأدبيان يجلّان أرفع محل في أدبنا . أمّا نقد الشدياق لطول الرواية الانكليزية فقد كان على حقٍ فيه لأن الرواية الانكليزية في أيامه كانت طويلة ، فهي ضعف الرواية الفرنسية ، وأمّا نقد كرد علي للاختلاق في القصة ففيه بعض النظر .

وقد يطول بي الكلام على الرواية واتساعها لموضوعات شتى ، للتاريخ ودراسة الأهواء ووصف الأخلاق وتحليل العواطف واتساعها للطبيعة وواقع الحياة والمذهب الطبيعي والمثل الأعلى كما يطول بي الكلام على القصة ، على أن موضوعات القصة ليس من الضروري أن تكون مختلفة ، فقد يكون الموضوع مرةً حادثة من الحوادث تستنبط من واقع الحياة فيجهد القاص في التفتيش عن أصولها وفي تصور عواقبها ثم في التفتيش عن تأثير هذه الحادثة في رجال آخرين وفي بعض الأوقات في المجتمع نفسه وقد يكون الموضوع مرةً قانوناً من القوانين أو عادةً من العادات أو حالة من الحالات فيجهد القاص في تصور ما يمكن أن يعمل به هذا القانون أو هذه العادة أو هذه الحالة في أشخاص يخترعهم ذهنه اختراعاً ، وعلى كل حال الاختلاق بمعناه اللغوي ليس من خصائص القصة وطبائرها ، فالافتراء شيء وتصور أمرٍ ممكن الوقوع شيء آخر ، فأصحاب الروايات لا يخترعون أبداً فوق الواقع أو خارج الواقع ولكنهم يضعون أبطالهم في هذا الواقع .

وكيف كان الأمر فالظاهر أن بعض الأدباء يميلون في هذا العصر الى أن يجمع المؤلف وثنائى شخصية انسانية يعرضها على القراء ، فهم قد أخذوا يفضلون المذكرات على الروايات .

ولم يمن أدبنا في قديم الدهر بالرواية والقصة العناية كلها ولا ألف هذين



النوعين الألفه كلها واني أعتقد أن أدبنا كان أدب تركيب لا أدب تحليل ،  
 فاذا رجعنا الى طائفة من كتبه كالعقد الفريد أو كاليان والتبيين فأننا نجد  
 في أكثر هذه الكتب عبارات وجيزة ، كثيفة في معانيها ، مختصرة في مبادئها  
 تكاد تشتمل على موضوع رواية في هذا العصر ، من هذه العبارات ما ينسب  
 الى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : ما تزيّد متزيّد إلا لنقص في نفسه ،  
 ولست مستوثقا كل الاستيثاق من ألفاظ هذه العبارة ولكن هذا هو معناها ، فهذه  
 العبارة قد تكون في عصرنا موضوع رواية من الروايات الفلسفية ، فاذا أراد  
 كاتب روايتي شرحها في رواية استطاع أن يبين لنا ما يستتونه في الفلسفة :  
 مركّب النقص ، أمّا العرب فان أذواقهم تنفر عن مثل هذا الشرح وهذا  
 التطويل ، فقد تغنيهم الإشارة أو الملح عن كل ذلك وقد أعربوا عن هذا  
 الغناء في كثير من مواضع كتبهم الأدبية ، وليس معنى هذا أن أدبنا يخلو  
 من التحليل فأننا اذا رجعنا الى بعضه وجدنا فيه من التحليل المبني على التجربة والبيان  
 ما يدهش العقل ، من ذلك تحليل الجاحظ للحسد في بعض رسائله ، فقد فطن  
 الى دقائق من الحسد لا يكاد يظن اليها إلا الراشحون في علم النفس ، وكما لم  
 يخلُ هذا الأدب من التحليل فكذلك لم يخلُ من القصص ، ومع هذا كله  
 فالتركيب غالب على أدبنا أكثر من التحليل .

إلا أن الذي أعجب منه بعد هذه المقدمة وبعد هذا الاستطراد نفرة الشدياق  
 عن الرواية وقد اجتمعت له خصائصها وأمرارها ، فالروايات في معظم الأحوال  
 تشتمل على كثير من الوصف والتصوير اشتغالها على تحليل فكر من الأفكار  
 أو مذهب من المذاهب ، فهي لا تستغني عن الوصف ولا عن التصوير ، واذا  
 قرأنا رواية لكاتب راسخ في فن الروايات فان أوّل ما يبلغ متنا من هذه  
 الرواية انما هو الوصف والتصوير .

لقد وصف الشدياق في كتبه أموراً كثيرة وصوّر أموراً كثيرة ، لقد  
 وصف الشوارع والآثار والابنية والمآكل والثياب والسحن والاخلاق والحياة

الاجتماعية ووصف الفنون الرفيعة كالوسيقى والتثيل ووصف بعض مخترعات عصره كالبرق وسماه في رحلته باسمه الا فرنجي : التلغراف وفي هذا الوصف كله ظهرت شخصيته وظهرت عبقريته فان له قدرة على الوصف غريبة ، فعينه شديدة البصر وأنفه شديد الشم وأذنه شديدة السمع ولسانه شديد الذوق .

نجد في بعض وصفه اعادةات أهل مالطة وأحوالهم وأخلاقهم وأطوارهم وصفاً بسيطاً مجرداً من كل زينة إلا أن ألفاظه وحدها كافية أن تربنا الأشياء الموصوفة بسبب الصلة القوية بين الامم والمسحى ، بين اللفظ ومعناه كما نجد ميل في وصفه الى بعض ألفاظ العامة المتعاقبة بالثياب كالبرنيطة والطربوش والصدربة والكفوف ، وشأنه في هذه المساعدة في اللغة شأن أكابر الكتاب في القديم كالجاحظ الذي نرى في بعض كتاباته ألفاظ العامة لقوة تأثيرها في الأذهان . وكما قدر الشدياق على الوصف فقد قدر على التصوير فصور فضول أهل مالطة وتلميهم بالإسفاف من القول والعمل تصويراً يطول الكلام على خصائصه وعلى خصائص جملة ، فمرة تكون هذه الجمل مربعة ومرة تكون بطيئة وأريد بالسرعة في هذا المقام تصوير الكاتب لفكرته دون التعرّيج على التفاصيل والدقة غالبية على الأسلوبين ، أسلوب الوصف وأسلوب التصوير .

وكما عجبت من نفرة الشدياق عن الرواية وقد تهيأت له أسباب فنّها فكذلك عجبت من نفرة كرد علي عن القصة وقد اجتمعت له بعض أسبابها ، لقد روى في مذكراته قصة : قاضي دومة ، وهي وإن كانت بضعة سطور إلا أننا نجد لها عرضاً وعقدة وخاتمة وقد عرضت حوادثها في أوضح معرض وتسلسلت تسلسلاً منطقياً زاد في وضوحها واشتباك فيها الحوادث اشتباكاً أخذاً ، وأسلوب هذه القصة واضح فكل لفظ مناسب لمعناه وفي بعض القصة حوار ولا شك في أن الحوار ينفخ في القصة روحاً وحياءً .

فلماذا نفر هذان الكاتبان الإمامان عن الرواية والقصة ولم تغب عنها

أسرار فنّهما .

شفيق جبري



## ثقافة الأطباء عند العرب

- ٢ -

ولما تأسست دار الحكمة في أيام المأمون وانتظم أمر التأليف والترجمة واستكمل جمع الكتب من كل أنحاء العالم ، واتسع نطاق النشر والتعليم أيام جعفر ، والرشيد ، والمأمون ، والمعتمد ، واستوفى العرب حظهم من التحصيل والمعرفة والاطلاع ، انتقلوا الى دور التعمق والتجربة والاستفراء والكشف والاختراع والتأليف وإنشاء المعاهد والمشافى ، وساعدتهم عليه ظمؤهم الى العلم وتحصيله ، واهتمام الملوك والولاة والسلاطين والأمراء والوزراء وأصحاب الغنى به وبالعلماء ، وبذل هؤلاء الأموال لاستكمال ما كانوا يريدونه هم ويزيد به الأطباء والعلماء . ولم يقتصر الاهتمام على الطب بل تناول الفلسفة ، والفلك ، والرياضيات ، والجغرافيا ، والقياسات والرصد ، والكيمياء ، عدا اهتمامهم ومساعدتهم وبذلهم الهبات والعطايا بسخاء وكرم للشعراء والأدباء ورجال الدين وإطلاقهم الحرية لهم في البحث والقول والعمل .

وفي الحقيقة ان الطبابة لم ترتق وحدها بل ارتقت في هذه العهود المستنصفيات والبيجاستانات والمؤسسات والملاجئ الخيرية وانتشرت بكثرة في جميع البلاد الإسلامية : في بغداد والقاهرة ودمشق وحلب ومكة والمدينة وفلسطين ، وفي غرناطة واشبيلية وطليطلة والقيروان .

وفي عهد عبد الرحمن الثالث وولده الحاكم الثاني كانت اسبانيا في جامعاتها ومكاتبها ومدارسها وبيجاستاناتها من أرقى ما وصلت اليه الحضارة العربية ، وكان

من أطبائها وفلاسفتها الذين اشتهروا وأثروا في تقدم العلم والطب ابن رشد ، وابن الطفيل ، وبنو زهر ، وأبو القاسم الزهراوي وغيرهم .  
وبما بدل على عناية العرب واهتمامهم بتشيد المعاهد العلمية والبيمارستانات والخطاهاات وترتيب ادارتها وتنظيمها ، ووقف الأموال والايادات الكثيرة لتجهيزها وإدامتها :

- أولاً — كثرة عددها وانتشارها في جميع المدن والعواصم الاسلامية .
- ثانياً — اهتمام العالم العربي ملوكاً وأفراداً ووزراء وشعباً بنحويها ورقف المزارع والأملاك والمرافق لدوام عملها وترقية شؤونها .
- ثالثاً — تنظيمها وحسن ادارتها وبذل العناية في هندستها وأثاثاتها .
- رابعاً — تخصيص أهم الأطباء للتعليم والتدريس والتمريض فيها .
- خامساً — فتحها للعامة والخاصة ، للذكور والاناث .
- سادساً — تقسيمها الى فروع وجعل كل فرع خاصاً بقسم من الأمراض .
- سابعاً — ربط المدارس الطبية والمكتبات والصيدليات بها .
- ثامناً — تزويدها بكل ما يحتاج اليه من مؤونة وزاد وغذاء وأدوية وألبسة ومفروشات ، وأشربة وأدوات ، ومياه نقية ونور وتهوية ، وأسرة وأغطية ، وجعل وظائف أصحابها من أجل الوظائف ورتبهم من أرقى الرتب .
- تاسعاً — اعطاء أطبائها وناظرها المرتبات الوفيرة عدا تقديم ما يقوم بكفايتهم من الأرزاق والهبات والجراية وعلوفة الدابة .
- عاشراً — جعلها مرجعاً للتجارب ، وتدوين المشاهدات والنتائج ، ومركزاً للتأليف والاكتشاف والاختراع ، ودائرة لامتحانات الأطباء والصيدالة واعطاء الاجازات .

وفي كتاب تاريخ البيمارستانات في الاسلام الدكتور أحمد عيسى تفصيل هام وأدلة وافية وصور عن الوقفيات المتعلقة ببيمارستان المنصوري ، والمعتمد ،

والنوري ، وصور عن المراسم التي كان يصدرها الملوك لمن يتولى الطبابة والادارة والخدمة فيها ، والكل يؤيد ما قلناه عن عناية العرب ومبلغ اهتمامهم بها وبايصال النفع العام لرعاياهم .

وكمثال على مقدار العناية والاهتمام بقول الدكتور في صحيفة ٨٦ وفي صفر ٦٨٠ هـ الموافق لعام ( ١٢٨١ ) م :

« ولما تكامل البيمارستان ( يعني المنصوري ) الذي أنشأه الملك المنصور سيف الدين قلاوون الأتقي الصالحى بخط بين القصرين ( هما القصر الكبير الشرقي الذي بناه جوهر قائد المظالمين عام ٣٦٠ والقصر الصغير الذي بناه العزيز بالله أبو منصور تزار سنة ٤٥٠ هـ ) من القاهرة ، وكان ذرعه ( ١٠٦٠٠ ) ذراعا . ركب السلطان وشاهده وجلس بالبيمارستان ومعه الأمراء والقضاة والعلماء ، وأخبر بعض من شهد السلطان وشهد عليه أنه استدعى قدحا من الشراب فشربه ، وقال قد وقفت هذا على مثلي فن دوني وأوقفه السلطان على الملك والمملوك ، والكبير والصغير ، والحر والعبد ، والذكر والأنثى ، وجعل لمن يخرج منه من المرضى عند برئه كسوة ، ومن مات جهز وكفن ودفن . ورتب الحكماء الطبائية ، والكحالين ، والجراحيين ، والمجبرين لمعالجة الرمد والمرضى والمجروحين والمكسورين من الرجال والنساء . ورتب به الفراشين والفراشات والقومة لخدمة المرضى واصلاح أماكنتهم وتنظيفها وغسل ثيابهم وخدمتهم في الحمام <sup>(١)</sup> ، وقرر لهم على ذلك الجامكيات الوافرة ، وعملت الفرش والنفوس والطرايح والأقطاع والمخدات واللحف والملاءات لكل مريض فرش كامل ، وأفرد لكل طائفة من المرضى أمكنة تختص بهم ، فجعلت الأواوين الأربعة المتقابلة للمرضى بالحليات وغيرها ،

(١) كان الأوربيون يجهلون الحمام ، وكانت مشافيتهم كالأرباب ينام المريضان منهم في فراش واحد ، وكان غسل الجسم بالماء والصابون غير مستحب في نظر أطبايهم ، وفرش المرضى كانت منتنة من الراحة القذرة والمرض . م (٢)

وجعلت قاعة للرمد ، وقاعة للجرحي ، وقاعة لمن أفرط به الاسهال ، وقاعة للنساء ، ومكان حسن للممرورين <sup>(١)</sup> من الرجال ومثله النساء ، والمياه تجري في أكثر هذه الأماكن ، وأفردت أماكن طبخ الطعام والأشربة والأدوية والمعاجين وتركيب الأعكال والشيافات <sup>(٢)</sup> والسفوفات ، وعمل المرامم والأدهان ، وتركيب الدرياقات ( التريافات ) <sup>(٣)</sup> وأماكن لحواصل العقاقير وغيرها من هذه الأصناف المذكورة ، ومكان يفرق منه الشراب وغير ذلك مما يحتاج إليه ، ورتب فيه مكان يجلس فيه رئيس الأطباء لإلقاء درس طب ينتفع به الطلبة ، ولم يحصر السلطان أثابه الله هذا المكان المبارك بعده في المرضى بقف عندها المباشر ويمنع عداها ، بل جعله سبيلاً لكل من يصل إليه في سائر الأوقات من غني وفقير ، ولم يقتصر فيه على من يقيم فيه من المرضى بل رتب لمن يطلب وهو في منزله ما يحتاج إليه من الأشربة والأغذية والأدوية حتى أن هؤلاء زادوا في وقت من الأوقات على مائتين غير من هو مقيم بالبيمارستان » .

ولا يقل الاعتناء والاهتمام ببقية البيمارستانات أبناً كانت عما تقدم بيانه ، ولكن ظروف الزمن وتبدل الحكام ووقوع البلاد العربية تحت حكم الأعاجم والأجانب من مغول وتاتار وصليبيين وعثمانيين جعلها قفرة ، وأضاع أوقافها ووقفياتها ، وبدل معالمها ، وهدم أقسامها ، وشوه محاسنها ، وكانت في ذلك الحين صورة حية تنطق عن حضارة العرب وما أسدته للعالم من فضل على العلم والطب وخدمة الإنسان وحفظ الحياة والمجتمع .

وإذا كنا في استعراضنا لم نستوف المطلوب لبيان سلسلة التطور الطبي والطبابة ، وكان علينا أن نسهب في ذكر الكتب التي ألفها العرب والمسائل التي فاقوا بها

(١) الممرور : من تهببت فيه المرأة أي السوداء فأثرت على عقله .

(٢) الشيافات : هي اللقائيل . مفردتها شيفة أو فتيلة .

(٣) الترياق : هو المركب الذي يشفي من السم .

من تقدمهم والمكتشفات التي اكتشفوها في أسباب العلل والأمراض ، والأدوية التي اخترعوها لمداواتها ، والآلات الجراحية التي توصلوا إلى صنعها للقيام بالعمليات الجراحية ، ومن هم الأطباء الذين غدوا نجومًا في سماء العلم والتعليم يضيئون بنورهم على من كان في زمانهم ومن أتى بعدهم ، وما هي الاختراعات التي وصل إليها العرب في الكيمياء والصيدلة ، والمعالجة ، والتشخيص ، والتحليل وبقيّة العلوم الطبية وغير الطبية ، فلأن استيفاءها والتفصيل فيما يقتضيه الشرح والتفصيل يحتاج إلى مجلدات ويخرجنا عن الموضوع ويبعدنا عن النتيجة التي نريد أن نصل إليها . وخير لنا أن نجيب أخيراً على السؤال الذي سألناه : هل من الضروري أن تتغير أخلاقنا وآدابنا الطبية وتراثنا المهني وصفاتنا الاجتماعية التي اتصف بها أجدادنا الذي رفعوا شأن العلم والطب ؟ فأقول كلا ! لأن المقاييس العلمية والطبية والأخلاقية التي رفعت شأنهم وشأن من تقدمهم وحفظت مكانتهم لا تزال ذات المقاييس في قيمتها وصحتها ولو تبدل الزمن ، وتبدلت مناهج التعليم ، وتضاعفت مواد التدريس وعلا شأن الطب في ساحة المعرفة والاكتشاف والاختراع .

أما أماكن التدريس وكيفية التحصيل وأنواع الكتب التي كانت مواد دراساتهم ومناهج تلك المعاهد فيمكن الوصول إلى معرفتها مستخلصين ذلك مما قاله ابن أبي أصيبعة ، والقفطي ، وتاريخ الطب للدكتور أمين أحمد خير الله . فابن أبي أصيبعة يقول : « وكان يلحق بالمستشفيات الكبيرة مدارس للطب ، فكان الطلبة يجتمعون في القاعة الكبرى حيث كانوا يراجعون دروسهم وينسخون المخطوطات الطبية التي راجعها أساتذتهم وأصلحوها لهم ، وكان هؤلاء يلقون عليهم الدروس من مؤلفات جالينوس والرازي وابن الجوزي حتى ظهر قانون ابن سينا <sup>(١)</sup> الذي كسف التعاليم السابقة . »

(١) هو أم كتاب طبي عربي جمع ما وصل إليه علم الطب والطبابة حتى زده الشيخ الرئيس أبي علي بن سينا ، وبقي مرجعاً للدرس والتدريس لكل من أتى بعده مدة ثمانية قرون في الشرق والغرب .

« ولمشاهدة التطبيقات ونتائج النظريات التي بدرسوها كان الطلبة والمساعدون يفحصون المرضى في العيادة الخارجية ويعرضون الحوادث الصعبة على رئيس العيادة ، وكانت الحوادث المهمة تشرح لهم شرحاً وافياً ويوصف لها العلاج اللازم » . ويصف لنا في كتابه ( عيون الأنبياء ) كيف كان يتلقى هو الطب ، وكيف كانت الأستاذة يلقون دروسهم ويمرّنون طلابهم ، قال : « ولما أقام الشيخ مذهب الدين <sup>(١)</sup> بدمشق شرع في تدريس صناعة الطب واجتمع إليه خلق كثير من أعيان الأطباء وغيرهم يقرأون عليه وأقمت أنا بدمشق لأجل القراءة عليه ، وقبلها كنت أشتغل عليه في المعسكر لما كان أبي والحكيم مذهب الدين في خدمة السلطان الكبير - يريد به الملك العادل نور الدين منشي البيارستان الكبير في دمشق - فبقيت أنودد إليه مع الجماعة ، وشرعت في قراءة كتب جالينوس وغيرها - وكان خبيراً بكل ما يقرأ عليه من الكتب ، وكان طلق اللسان ، حسن التأدية للمعاني ، ثم لازمته أيضاً في وقت معالجته للمرضى في البيارستان وتدرّبت معه في ذلك وباشرت أعمال الصنعة . وكان في ذلك الزمن في البيارستان الشيخ رضي الدين الرحبي وهو من أكبر الأطباء سناً وأعظمهم قدراً وأشهرهم ذكراً فكان يجلس على دكة ويكتب لمن يأتي إلى البيارستان ويستوصف منه للمرضى أوراقي يعتمدون عليها يأخذون من البيارستان الأشرطة والأدوية التي يصفها ، فكنت بعدما يفرغ الحكيم مذهب الدين والحكيم عمران

(١) الشيخ مذهب الدين : هو أبو محمد عبد الرحيم بن علي بن حامد ويعرف بالخوار ، انتهت إليه رئاسة صناعة الطب وميراثها . مولده في دمشق وكان أبوه علي بن حامد كمالاً مشهوراً ثم أخوه حامد بن علي . وجد له مائة مجلد وأكثر بخطه بالطب وغيره من العلوم . خدم الملك العادل أبا بكر بن أيوب بصناعة الطب ، وترأس البيارستان النوري ( نور الدين محمود بن زنكي ) ثم في عام ٦٠٤ أصبح طبيب الملك العادل وطبيب المعسكر وكان يتناول مائة دينار كل شهر ورواتب مثلها ، وتول وثاسة أطباء مصر أيضاً .



من معالجة المقيمين بالبيارستان وأنا معهم أجلس مع الشيخ رضي الدين الرحي فأعين كيفية استدلاله على الأمراض وجملة ما يصفه للمرضى وما يكتب لهم وأبحث معه في كثير من الأمراض ومداواتها .

وعما سبق يتضح أنه عدا المحاضرات التي كانت تعطى للطلبة على المرضى كانت تكتب التعاليمات اللازمة ( الوصفات ) وتنفذ بدقة وتدوّن الملاحظات عن كل مريض متبعة سير المرض . وقد قيل ان الرازي بنى كتابه ( الحاوي ) على هذه الملاحظات . وكان للأطباء الحربة بالتجربة للأدوية الجديدة التي كانت تدوّن معلوماتها في كتاب خاص تفشر تحت عنوان ( المخرّبات ) .

ولم تكن مدارس الطب تابعة للمستشفيات دائماً ، فقد كان هنالك مدارس خاصة ، فالطبيب الغني والمشهور مهذب الدين الدخوار المار ذكره سابقا والذي مات بلا عقب أوقف منزله بدمشق ليكون مدرسة للطب ووقف عليها الممتلكات والقرى ليقوم إيرادها بنفقات المستشفى .

ويقول ابن أبي أصيبعة : « ولم يكن يصرح لأحد بتعاطي الطبابة إلا بعد فحص قانوني . وقد بلغ الخليفة العباسي المقتدر بالله في عام ٩٤٩ أن أحد الأطباء في بغداد أخطأ علاج مريض وتوفي المريض بسبب الخطأ ، فأصدر أمره بفحص جميع الأطباء ( ماعدا الأطباء القائمين بخدمته ) قبل التصريح لم بتعاطي الطب وكان عددهم في بغداد وحدها ( ٨٦٠ ) طبيباً عدا أطباء الخليفة .

وكان أطباء المستشفيات يختارون بعناية خاصة دقيقة ، فالرازي انتخب لرئاسة المستشفى العضدي في بغداد من بين مائة طبيب . ويقال ان عضد الدولة لما بنى البيارستان العضدي قصد أن يكون فيه جماعة من أفاضل الأطباء وأعيانهم فأمر أن يجلسوا له ذكر المشهورين ببغداد وأعمالها ، فكانوا متوافرين على المائة فاختر منهم خمسين بحسب ما علم من جودة أحوالهم وتمهرهم في صناعة الطب ، فكان الرازي منهم . ثم انه اقتصر من هؤلاء أيضاً على عشرة فكان الرازي

منهم ، ثم اختار من العشرة ثلاثة فكان الرازي أحدهم ، ثم ميّز بينهم فبان له أن الرازي أفضلهم فجعله (ساعور) البيارستان العضدي و (الساعور) معناه (عميد الأطباء والمشرّف على المستشفي) . وكانت المستشفيات الإسلامية أشهرها المستشفي العضدي في بغداد ، والمستشفي المنصوري في القاهرة ، والمستشفي النوري في دمشق . وكان يوجد غيرها في مختلف العواصم العربية بما يزيد عن ثلاثين مستشفي لم تصل الى ما وصلت اليه من الرقي والروعة والكثرة وضخامة البناء ، واتقان الهندسة ، وحسن الادارة ، ووفرة الأطباء إلا بعد أن استكمل العرب نهضتهم ونضوج معارفهم واتساع علمهم .

ونحن مها ذكرنا عن فضل العرب في انقاذ الطب والعلوم القديمة المتصلة به من الضياع ، ومها قلنا عن ترتيبها والاضافة اليها وتسليمها الى أوروبا منسقة واضحة فيكفي أن ننقل ما قاله (لمستون) وغيره عن ذلك كبرهان على صحة قولنا . يقول (لمستون) : « ان لم يكن للعرب من فضل غير هذا الكفاح فخر » . ويقول الدكتور أمين خير الله : « ولو فرضنا أن العرب لم يضيفوا شيئاً الى معلومات القدماء فمن الامة يمكن أنهم أنقذوا تعاليم أبيقراط وجالينوس وحفظوها للعلم والانسانية . والواقع أنهم لم يكتفوا بانقاذها فحسب بل أضافوا اليها أشياء كثيرة وقاموا بنقل العلوم اليونانية والهندية والفارسية وعلوم باقي البلدان المتحضرة في زمانهم ، ودعوا وتفهموا المنطق والفلسفة والفلك والهندسة ، والتاريخ ، والآداب ، والموسيقى ، والكيمياء ، والزراعة ، والبناء والحمران ، وتفهموا جميع هذه العلوم وأضافوا اليها دروسهم واختياراتهم وأنشأوا مدينة عربية صحيحة وأعطوها الى العالم » .

ثم يقول : « واذا عدنا الى الماضي القريب لننتقد عصر التمدن الإسلامي وزهوه في الغرب والشرق نجد أنه من أكبر الأسباب في نهضة أوروبا ، فالمذاهب العلمية فيها وليدة الثقافة والعلوم العربية ، ونهضتها نتيجة تعاليم ابن سينا

والرازي والمجوسي وابن زهر والزهرادي في الطب ، والكندي والفارابي وابن سينا وابن رشد والغزالي وابن طفيل وابن العربي في الفلسفة ، والطوسي وعمر الخيام وابن بونس والجريطي والبيروني والخوازمي في الفلك والحساب ، وابن الهيثم وابن الكندي وابن الصلت في الطبيعيات ، وابن البيطار وابن الصوري وابن وحشية في النبات ، وابن حيان والرازي والزهرادي في الكيمياء .

والعرب يعود الفضل في رفع مقام الطب وفي اقامة المستشفيات الراقية وفي انشاء وتوسيع الصيدلة ، وجعل الجراحة قسماً منفصلاً عن الطبابة ، وفي التصريح الشرعي لممارسة الطب والصيدلة ، وكان لهم الحظ الأوفر في توضيح المذاهب الفلسفية وحفظها للذرية ، وفي فصل العلم عن الدين ومحاولة التوفيق بين الاعتقاد والبرهان ، وهم الذين أعطوا الروح العلمية الصحيحة للغرب ، وكانت سبباً لايجاد طريقة (باكسون) العلمية ، وعلموا العلماء البحث عن أسباب الأشياء ذاهبين من المعلوم الى المجهول ، فلا يقطعوا حقيقة أمر إلا بعد التثبت من صحته بالتجربة المكررة أو بالملاحظة الدقيقة . وكانت الكيمياء عند العرب كيمياء تجريبية ، فالرازي عرف خواص الزئبق بتجربة استعماله على القرد ، وماسويه شرّح قرداً كبيراً وكتب كتاباً عما وجده ، وكانوا اذا لم توصلهم الملاحظة الى الغاية المطلوبة يلجأون الى طريقة المنطق والتحليل وبها اكتشف ابن نفيس الدورة الدموية الرئوية ، واكتشف ابن الخطيب العدوي في الوافدات . وقبل أن يبدأ باراسلوس اصلاحه الطبي في أوروبا كان العرب قد أدخلوا المنطق والبحث الطبي العالمي وخالفوا التعاليم التي لا تنطبق على منطقهم واختبارهم مما كان مصدرها .

وكما استقبل (سقراط) الموت في سبيل عقيدته وعلمه كذلك ثلاثة من أطباء العرب المشهورين استقبلوا الموت بهدوء وشجاعة ، فابن سينا رفض أن

بتعاطي الدواء وباع كل ما يملكه ووزع ثمنه على الفقراء ، وانقطع الى العبادة وكان يتلو القرآن مرة كل ثلاثة أيام . والرازي رفض أن يعالج مقلتيه بعد أن أضى بصره في التجارب والبحث والكتابة قائلاً بأنه قد رأى من العالم ما يكفيه . وابن زهر رفض أي اسماف وقال لولده الذي كان يقوم بخدمته أنه اكتفى من الحياة .

وبعد هذا ما هي الكتب التي كانوا يدرسونها ؟ هل هي كتب الترجمة فحسب أم كتب أخرى ألّفها العرب ؟

من بدق في فيما قدمناه من الاستعراض يتبين له أن طلاب الطب في المستشفيات والمعاهد العلمية كانوا يدرسون أولاً الكتب الأدبية ، ثم الكتب الدينية ، ثم الكتب الطبيعية ، ثم الكتب الرياضية والفلسفية ، ثم ينتقلون الى الكتب الطبية . وكانت الطلاب ينبعون سيرة أسانذتهم الذين يلازمونهم في جميع مراحل الدراسة حتى إذا أتموها ووثقوا من أنفسهم في بلوغ الغاية ، ووثق أسانذتهم من كفايتهم وأخلاقتهم وعلمهم تقدموا للامتحان وأخذ الإجازة في البيمارستانات الشهيرة بعد نجاحهم .

أما الكتب فكانت حتى أيام ابن سينا المجموعة المترجمة عن أبقراط وجالينوس وديوسقوريدس<sup>(١)</sup> ، وقد أثبتنا على ذكرها ، ثم ما ألّفه الأطباء الذين أتى بهم جعفر المنصور والرشد والمأمون ومعظمهم من السريان النسطوريين ومن الصابئة كجورجيس بن بختيشوع وجبرائيل أخيه وعبد الله بن جبرائيل ، وبختيشوع ابن حنا ، وحنين بن اسحاق ، وحبيش الأعمى ، والكندي ، واسحاق بن

(١) ويحيى النعوي ، وقسطا بن لوقا . أما الكتب فقد ذكرناها وهي لأبقراط وجالينوس وعددها ( ١٦ ) كتاباً كان يقرأها المتطببون على الولاء ، وهناك كتب أخرى هي من ترجمة حبيش وديسقوريدس وأصله من عين ( زري ) من أعمال حلب ويقال له السائح في البلاد .

حنين ، وثابت بن قره ، ومنان بن ثابت ، وأبو بشر بن متى ، ويوحنا بن ماسويه . وقد تبين أن معظم الكتب المترجمة كانت بين عام ( ٧٥٠ - ٨٥٠ ) بعد الميلاد .

ومن هذه الكتب المترجمة التي ذكرها ابن النديم في فهرسته وابن أبي أصيبعة في تاريخه طبقات الأطباء : ( ٤٦ كتاباً طبياً ليوحنا بن ماسويه ، و ٨٤ كتاباً ورسالة طبية لحنين بن اسحاق وهي لابقراط وجالينوس عدا ما ترجمه من غير الكتب الطبية ، ولفسطا بن لوقا البعلبي ٣٢ كتاباً في الطب و ٢٩ كتاباً في الفلك والمنطق والرياضيات والفلسفة ، وللكندي ٣٢ كتاباً طبياً ، ولثابت بن قرة ٤٥ كتاباً ) .

وأما التي ألّفَت فهي شروح ، أو اختصارات ، أو تعليقات ، أو زيادات على ما ترجم ، ولكن عندما ظهر أبو بكر محمد بن زكريا الرازي عام ٣٢٠ - ٣٦٤ هجري بدأ العرب في اثبات كفايتهم وتدوين ثمار اختباراتهم وتأليف كتبهم الطبية بعد انضوج تحقيقاتهم وتجاربهم وتحرياتهم ، وبذلك يكون الطب والطبابة قد انتقلا من المرحلة القديمة إلى المرحلة الجديدة في تاريخ النهضة العربية والثقافة العلمية الطبية ، مرحلة الاكتشاف ، والاختراع ، والتقرير عن التجارب ، والتأليف .

والرازي طبيب المسلمين غير مدافع ، مسلم الفحلة ، مشهور في علم المنطق والهندسة ، كان في ابتداء أمره يضرب بالعود ثم تركه وأقبل على تعلم الفلسفة فنال منها كثيراً ، وألف كتباً كثيرة أكثرها في صناعة الطب ، وسائرها في ضروب من المعارف الإلهية والطبيعية . وكان طبيب المارستان في الري ، ثم طبيب المارستان في بغداد ، بقي فيه طويلاً ، وكان بينه وبين منصور بن إسماعيل

صدافة وله ألف كتابه « المنصوري » <sup>(١)</sup> ثم في آخر عمره عمي بلاء نزل على عينيه ولم يسمح بقدحها ، وكان في دولة المكنفي وفي بعض زمن المقتدر . والرازي من حيث وصفه وسيرته يقول أحد عارفيه محمد بن الحسن الوراق : « كان شيخاً كبير الرأس ، مسطاً ، وكان يجلس في مجلسه ودونه تلاميذه ودونهم تلاميذ آخر ، وكان يحمي الرجل فيصف ما يجد لأول من تلقاه فان كان عندهم علم والا تعدهم الى غيرهم ، فاذا أصابوا والا تكلم الرازي في ذلك وكان كريماً متفضلاً باراً بالناس ، حسن الرأفة بالفقراء والاعلاء ، حتى كان يجري عليهم الجرايات الواسعة ويمرضهم ، وكان لا يفارق المدارج والنسخ ، وما دخل عليه واحد إلا وجدته بنسخ أو يسود أو يبيض . وقد تلقى الفلسفة عن البلخي ، وكان البلخي بطوف البلاد ويمول الأرض ، حسن المعرفة بالفلسفة والعلوم القديمة » .

وبما هو معروف في كتب الطب أن الرازي كان أول من وصف الحصبة والجدرى ولا يزال وصفه معروفاً في جميع الكتب القديمة والحديثة . وصنف كتاباً آخر سماه « الملوكي » قدمه لعلي ابن صاحب طبرستان ، وفي أول أبيامه تعلق بالكيهيا وله تصانيف أيضاً فيها .

وكان الرازي يرمي إلى اثبات امكان تحول العناصر ووحدة الجوهر ، وفي سبيل هذه العقيدة قام بتجاربه التي أدت إلى اكتشاف كثير من المركبات

(١) « المنصوري » : للشيخ الرازي المنصور بن اسماعيل بن خاقان صاحب خراسان وما وراء النهر . وكتابه « الحاوي » وضعه في ثلاثين مجلداً ويسمى ( الجامع الحاضر لصناعة الطب ) . وله تأليف وكتب أخرى يبلغ عددها ما يزيد عن مائة وخمسين عدداً ، وكان عمره ثلاثين سنة عندما قدم الى بغداد وفيها تلم الطب ودرس . ومن رسائله المشهورة : ( كتاب الجدرى والحصبة ، كتاب الأدوية الموجودة في كل مكان ، كتاب الفالج ، كتاب القوة ، كتاب النقرس والمرض المداني ، كتاب اوجاع المفاصل ، كتاب الأذنين ، كتاب هيئة العين الخ )

الكيميائية . وكتابه « الحاوي » المشهور بين كتبه الثلاثة أنه لابن عباد ولكن الأجل لم يفسح له المجال فلم يخرج به إلى الوجود ولكن أخرج ورتب بعد وفاته ، وأما كتبه الأخرى ورسائله فهي كثيرة تناولات علوم الطب ، والآليات ، والفلسفة والطبيعات ، والكيمياء ، وعلم النفس . وفي كل ما كتب وألف كان علماً لا يجارى في قوة تفكيره ، وسعة احاطته ، ودقة ملاحظته ، وعمق فلسفته ، وصحة منطقته ، وصدق تجاربه .

وبعد الرازي ظهر الفارابي وذلك في عام ٣٣٩ هـ ، وكان الفارابي من مدينة ( فاراب ) وهي مدينة من بلاد الترك في أرض خراسان ثم سافر إلى بغداد وبقي فيها مدة وانتقل إلى الشام ، ولما دخل بغداد كان يعرف التركية وعدة لغات غير العربية ، فأتقن اللغة العربية وبلغ فيها غاية الاتقان وأخذ المنطق عن أبي بشر بن متى يونس الحكيم المشهور ثم ارتحل إلى مدينة ( حران ) وفيها يوحنا بن حبلان الحكيم النصراني فأخذ عنه طرفاً من المنطق أيضاً وبعدها رجع إلى بغداد وقرأ علوم الفلسفة وتناول جميع كتب أرسطاطاليس وتعمق في اخراج معانيها والوقوف على أغراضه فيها . ويقال أنه وجد كتاب النفس لأرسطاطاليس وعليه مكتوب بخط الفارابي أنه قرأ هذا الكتاب مائة مرة ولم يزل ببغداد مكباً على الاشتغال بهذا العلم إلى أن برز فيه وفاق أهل زمانه وألف به معظم كتبه <sup>(١)</sup> ، ثم سافر من بغداد إلى دمشق ولم يبق بها ثم توجه إلى مصر عام ٣٨٣ هـ .

- 
- (١) الفارابي لم تطبع كل كتبه ، والمطبوع منها : (١) آثار أهل المدينة الفاضلة (٢) الإبانة عن غرض أرسطاطاليس (٣) كتاب ما بعد الطبيعة (٤) الثمرة المرضية في بعض الرسائل الفارابية . (٥) رسائل الفارابي . (٦) شرح الفصوص . (٧) عيون المسائل . (٨) كتاب الموسيقى . (٩) مبادئ الفلسفة القديمة . (عن مجمع المطبوعات العربية - للسيد يوسف اليان سركيس ) .

ويقول عنه ابن أبي أصيبعة : « كان رحمه الله فيلسوفاً كاملاً » ، وإماماً فاضلاً ، قد اتقن العلوم الحكمية ، وبرع في العلوم الرياضية ، زكي النفس ، قوي الذكاء ، متجنباً عن الدنيا ، مقتنعاً منها بما يقوم بأدبه ، يسير سيرة الفلاسفة المتقدمين ، وكان له قوة في صناعة الطب وعلم بالأمور الكلية منها ولم يباشر أعمالها ولا حاول جزئياتها . ولما دخل دمشق كان في أول أمره ناطوراً في بستان ، وهو على ذلك دائم الاشتغال بالحكمة والنظر فيها والتطلع إلى آراء المتقدمين وشرح معانيها ، وكان ضعيف الحال حتى أنه كان في الليل يسهر للطالعة والتصنيف ويستضيء بالقنديل الذي للحارس وبقي كذلك مدة ثم عظم شأنه وظهر فضله واشتهرت تصانيفه وكثرت تلاميذه وصار أُوحد زمانه وعلامة وقته ، واجتمع به الأمير سيف الدولة أبو الحسن علي بن عبد الله بن حمدان التغلبي وأكرمه أكراماً كثيراً وعرفت منزلته عنده وكان له مؤثراً . »

« وقيل ان الفارابي لزمه لم يكن يتناول من سيف الدولة من جملة ما بنعم به عليه سوى أربعة دراهم فضة في اليوم يخرجها فيما يحتاجه من ضروري عيشه ، ولم يكن معتنياً بهيئة ولا منزل ولا مكسب . وكان في أول أمره قاضياً فلما شعر بالمعارف نبذ ذلك وأقبل بكليته على تعلمها ، ولم يسكن إلى نحو من أمور الدنيا البتة ، وكان يذكر أنه كان يخرج إلى الحراس بالليل من منزله يستضيء بمصابيحهم فيما يقرأ ، وكان في صناعة الموسيقى وعملها قد وصل إلى غاياتها وأتقنها اتقاناً لا مزيد عليه ، وهو الذي صنع آلة غربية يسمع منها الحاناً بدبعة يحرك بها الانفعالات . »

وقال القاضي ابن صاعد بن أحمد بن صاعد في التعريف بطبقات الأمم : « أن الفارابي أخذ صناعة العلم الحكمي على يوحنا بن حيلان المتوفى في مدينة السلام . وكان يجتمع بابن السراج فيقرأ عليه صناعة النحو وابن السراج يقرأ



عليه صناعة المنطق . وسئل « أبو نصر » من أعلم أنت أو أرسطو ؟ فقال :  
« لو أدركته لكنت من أكبر تلاميذه » .

وبدلنا على شفته في أرسطو وكتبه أنه قال : قرأت السماع لأرسطو  
أربعين مرة وأرى أنني محتاج إلى معاودته .

ولأبي نصر من الكتب ما ينوف عن السبعة وتسعين كتاباً ورسالة ومقالة  
تنوعت مواضيعها في شتى العلوم والأدب والاجتماع ، والفلسفة ، واللاهيات ،  
والرياضيات ، والكيمياء ، والموسيقا ، وعلم العدد وغيرها .

وحياة الفارابي تمثل الانقطاع للعالم ، والتجرد للدرس ، والزهد في الدنيا ،  
وما في الدنيا من زينة ومفاخر وتكاثر في الأموال والأولاد . وكان قد لقي  
الأمير سيف الدولة الحمداني وهو في حلب ثم صحبه الأمير معه إلى دمشق ، وفي  
عام ٣٣١ أَلَف كتابه ( المدينة الفاضلة ) وسافر إلى مصر عام ٣٣٨ ورجع إلى  
دمشق وتوفي بها في رجب سنة ٣٣٩ عند سيف الدولة في خلافة الرازي وصلى  
عليه الأمير في خمسة عشر رجلاً من خاصته .

وللفارابي دعاء صوفي شهير وقد جاء فيه هذه الأبيات وهي من شعره تكشف  
لنا عما انطوت عليه روحه الصوفية من عقيدة وحب آلهي . قال الفارابي :

يا حلة الأشياء جمعاً والذي	كانت به عن فيض المنفجر
رب السماوات الطباق ومركز	في وسطهن من الثرى والأبحر
اني دعوتك مستجيراً مذبذباً	فاغفر خطيئة مذنب ومقصر
هذب بفيض منك رب الكل من	كدر الطبيعة والعناصر عنصري

ومع أنه تعلم الطب ولكن ميله للفلسفة والعلوم الطبيعية والرياضيات غلب عليه  
فكان من أكبر فلاسفة الاسلام ، ولم يزاوِل الطب الصنعة بل أحاط به احاطة  
تامة وارتشف من حياضه حتى اطفأ ظمأه ثم انكشف على التبحر في المنطق وما  
وراء الطبيعة فكان له ما أراد من فهم وعلم واطلاع وتأليف وانتاج ، ومع

ما كتبه من الكتب العديدة التي أشرنا إليها فإنه ألف في الطب كتباً كثيرة ودبر مارستان الري ثم مارستان بغداد أيام المكتفي . ومن الأسف أن كتبه الطبية ضاع أكثرها ولم ينشر منها ما يذكر ، وأما كتبه الفلسفية فقد نشر منها وطبع : ( آثار أهل المدينة الفاضلة ، وما بعد الطبيعة ، والإبانة عن غرض أرسطاطاليس ، وبعض رسالات ترجمت الألمانية ، وكتاب عيون المسائل في المنطق ومبادئ الفلسفة ، وشرح فصوص الحكم ، وكتاب عيون المسائل ، وكتاب الموسيقى ) وبقية تأليفه لا تزال في عالم الخفاء كما خفي قبره من الوجود . وبعد الفارابي نجد رينا ذكر شيخ الأطباء « جالينوس » عصره الرئيس أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسين بن علي بن سينا . وهو وإن كان أشهر من أن يذكر وفضائله أظهر من أن نسطر ، فإنه وصف سيرته وأحواله بما يغني غيره عن وصفه . ولد عام ٣٧٠ وتوفي عام ٤٢٨ .

قال ابن سينا : « ان أبي كان رجلاً من أهل « بلخ » <sup>(١)</sup> وانتقل منها إلى بخارى أيام نوح بن منصور واشتغل بالتصرف والعمل في أثناء أيامه بقرية يقال لها « خرميشن » من ضياع بخارى وهي من أمهات القرى وبقرها قرية يقال لها « أنشنه » وتزوج أمي منها بها ، ووطن بها ، وولدت منها بها ، وولد أخي ، ثم انتقلنا إلى بخارى وأحضرت معلم القرآن ومعلم الأدب حتى كاد يقضى مني الحجب . وكان أبي ممن أجاب داعي المصريين وبعد من الاسماعيليين ، وقد سمع منهم ذكر النفس والعقل على الوجه الذي يقولونه ويعرفونه هم وكذلك أخي . وكان ربما نذاكرا بينهما وأنا أسمع منها وأدرك ما يقولانه وأبدءا بدعواني أيضاً إليه ويجريان على لسانها ذكر الفلسفة والهندسة وحساب الهند ، وأخذ يوجهني

(١) بلخ : كانت القصة الساسية لولاية خراسان ثم أصبحت المركز الثقافي والديني لملكة طخارستان . وفي عام ٨٣٣ هـ شدة عليها الحصار ابن قيس الأحنف حتى فتحها ، وبعد زمن اجتاحتها قبائل جنكيزخان دحررتها وذلك في عام ٦١٦ هـ و ١٢١٢ م .

إلى رجل كان يبيع البقل ويقوم بحساب الهند حتى أتعلّم منه ، ثم جاء إلى بخاري أبو عبد الله الناطلي وكان يدعي الفلسفة وأزله أبي دارنا رجاء تعلّم منه ، وقبل قدومه كنت اشتغل بالفقه والتردد فيه إلى اسماعيل الزاهد وكنت من خيرة السائلين وقد ألقت طرق المطالبة ووجوه الاعتراض على الوجه الذي جرت عادة القوم به ، ثم ابتدأت بكتاب ( إيساغوجي ) ومعناه ( المقولات ) أو المقدمة للفلسفة ( على الناطلي ولما ذكر لي حد الجففس أنه المقول على كثيرين مختلفين بالنوع في جواب ما هو ؟ فأخذت في تحقيق هذا الحد بما لم يسمع بمثله وتعجب مني كل العجب وحذّر والذي من شغلي بغير العلم ، وكان أي مسألة قالها لي أنصورها خيراً منه حتى قرأت ظواهر المنطق عليه ، وأما دقائقه فلم يكن عنده منها خبر . ثم أخذت أقرأ الكتاب على نفسي وأطالع الشروح حتى أحسكت علم المنطق وكذلك كتاب أفليدس في الهندسة فقرأت من أوله خمسة أشكال أو ستة عليه ثم توليت حلّ بقية الكتاب بأمره ، ثم انتقلت إلى « المجسطي » ( كلمة يونانية معناها الأكبر ) وهو كتاب يبحث عن الفلك ، ولما فرغت من مقدماته وانتهيت إلى الأشكال الهندسية قال لي الناطلي تولّ فراءتها وحلّها بنفسك ، ثم اعرض عليّ ما تقرأه لأبين لك صوابه من خطئه . وما كان الرجل يقوم بالكتاب ، وأخذت أحلّ ذلك الكتاب . فكّم من شكل مشكل ما عرفه إلا وقت ما عرضته عليه وفهمته إياه ، ثم فارقتي الناطلي متوجّهاً إلى ( كركانيج = مركز لمقاطعة خوارزم ) واشتغلت بتحصيل الكتب من الفصوص والشروح من الطبيعى والالهي ، وصارت أبواب العلم تنفتح عليّ ثم رغبت في علم الطب وصرت أقرأ الكتب المصنفة فيه . وعلم الطب ليس من العلوم الصعبة فلا جرم أني برزت فيه في أقل مدة حتى بدأ فضلاء الطب يقرأون عليّ علم الطب .

( يتبع ) عبد الرحمن الكيالي

## العلاقات الجوهرية

بين اللغتين العربية والآرامية « السريانية »  
في النواحي التاريخية والفنية واللغوية والأدبية  
- ٥ -

٢ - صور الحروف الأبجدية وعددها في اللغتين الآرامية والعربية :

إذا أردنا إيجاد وحدة صورية بين هاتين الأبجديتين يجب علينا الرجوع إلى أقدم صورة باقية لكتبتها وهما القلم الاسطرنجيلي الآرامي ، والقلم الكوفي العربي فعند مقابلة هذين القلين يتضح لنا اتجاذهما في شكل جميع الحروف تقريباً ، الأمر الذي يؤدي تأثير القلم الكوفي بالقلم الاسطرنجيلي تأثيراً قوياً بعد استقلاله عن القلم النبطي الآرامي القديم ، وهذا هو السبب في جعل العلماء الخط الاسطرنجيلي وحده أصلاً للخط الكوفي العربي الذي تولدت منه سائر الأقاليم العربية إلى يومنا هذا . أما عدد صور الحروف في الأبجديتين فإنها اثنتان وعشرون صورة ، مع أن اللغة العربية تحتاج إلى أكثر من هذا العدد . وقد أظهر العرب حكمة بالغة وحذقاً عظيماً في تلافي النقص في عدد الحروف المستمدة من الآرامية . وذلك أنهم لم يحتنعوا صوراً جديدة للحروف الزائدة عن حاجة السريانية الآرامية ، بل عمدوا إلى الحروف نفسها فاستولدوا ستة منها سبعة أحرف جديدة نفي بحاجة اللغة العربية بعد اضافتها إلى الحروف الاثني عشر المعروفة الموجودة في السريانية الآرامية ، وتركوها على صورتها الأصلية ، إنما علجوا الحرف الجديد بوضع النقط اللازم بحسب الاصطلاح الجديد . وهذه الأحرف الستة التي وأدوا منها الأحرف السبعة الجديدة هي د . ح . ط . ع . ص . ث .

فصدرت عنها بالسلسل سبعة أحرف هي ذ . ج . ح . ظ . غ . ض . ث .  
وإنك ترى أن كل حرف أصبح حرفين الأصلي بدون نقط . والجديد وضعت  
له النقط اللازمة . الا ( الحاء ) وحدها . فقد استولدوا منها حرفين هما ( الجيم  
والحاء ) بواسطة نقطتيهما المعروفتين .

ومما يجدر ذكره أن العرب سلكوا سلوكاً فيلولوجياً بارعاً في هذه الطريقة  
لتلافي عجز الحروف القديمة التي استمدوا منها أنجديتهم الجديدة . وهذا ما عمله  
الآراميون عند عودتهم إلى كتابة العربية بحروفهم الآرامية . وهو الأسلوب  
المسمى بـ ( الكرشوني ) الذي أشرنا إليه سابقاً . الا أن هناك اختلافاً بين  
الجانبين في بعض الحروف . فان الآراميين استعملوا ( الجومل ) بوضع نقطة  
تحتها لكي تصبح ( غينا ) ، وبوضع نقطة في داخلها لكي تصبح ( جيا ) في  
الكتابة الكرشونية . أما العرب فلم يسلكوا هذه الطريقة بل أولدوا الغين من  
العين بوضع نقطة فوقها . وأولدوا الجيم من الحاء بوضع نقطة تحتها . وهكذا  
تم لهم ما أرادوا .

الا أن العرب لم يضعوا النقط لتمييز الحروف المزدوجة صورة الا بعد شعورهم  
بوقوع التباسات كثيرة في الكتابة ، وهذا هو السبب في لجوئهم إلى هذه  
الطريقة السهلة مع ابقاء الحرف على صورته الأصلية الممثلة في الصورة الفرعية  
أيضاً مع العلم أن كتباً عربية كثيرة كتبت بدون استعمال التنقيط  
حتى بعد اختراع هذه الطريقة . وما خلا ذلك ، فمع تبادلي الزمان  
وكثرة الاستعمال تقاربت صور أحرف أخرى بعضها من بعض فأصبحت  
كأنها حرف واحد لا يميز إلا بالنقط أيضاً كالزاي والراء ( ز . ر ) والشين  
والسين ( ش . س ) والقاف والغاء ( ق . ف ) . وتشابهت أيضاً صور النون  
والباء والياء والفاء في أول الكلمة وفي حشوها ، وهكذا تجد كثيراً من صور

الأحرف كل منها يعبر عن حرفين أو أكثر ، وصارت الحروف العربية ثمانية وعشرين حرفاً ، ولكن يعبر عنها بخمسة عشرة صورة فقط .

ان حرف الخاء يولده الآراميون عند كتابتهم العربية بالأحرف الآرامية من ( الكوف ) أي ( ك ) ؛ أما العرب ففضلوا أن يتولد من ( الخاء ) نفسها بوضع نقطة فوقها ، وما تجب الإشارة إليه أيضاً أن صورة ( السين والشين ) في الأبيجدية الآرامية النبطية هي واحدة فقط ، فسلكت العرب هذه الطريقة وبيزوا بينها بوضع ثلاث نقط صغيرة فوق السين لكي تصبح ( شينا ) .

هذه هي الوحدة الكاملة بين صور الحروف الأبيجدية وعددها في اللغتين الآرامية والعربية .

### ٣ — الخواص العددية في الحروف الآرامية والعربية :

تتفق الأبيجديتان الآرامية والعربية بكونهما تستعملان علامات للأعداد عوضاً عن الأرقام العددية . وهذه الطريقة قديمة جداً في الآرامية وربما يرتقي تاريخها إلى العصور السابقة للمسيحية ، مع العلم أن الأئمة الآرامية القديس قد اخترعت علامات خاصة للأعداد ، فقد ظهرت هذه العلامات في الرقم الكنعانية والآرامية القديمة في انقاض مدن سورية المندسة كما ظهرت أيضاً في نصب تدمر وكتابات الآراميين في ضواحيها <sup>(١)</sup> ثم استمدت منها طريقة خاصة في عهد المسيحية الأولى في الكتب لتأريخ السنين ، ولتصوير عدد آيات فصول الكتاب المقدس ، وعلى الأخص الانجيل ، ولترقيم اعداد كرايس الكتب ، واستمرت هذه الطريقة إلى العصور المتأخرة <sup>(٢)</sup> .

أما الأرقام الهندية المعروفة اليوم في العالم العربي فلم تعرف إلى القرن السابع

(١) اللغة الشبية ليوسف دارد الجزء ١ ص ١٥٧ .

(٢) اللغة الشبية ج ١ ص ١٥٨ .

الميلادي ، قد ابغ في هذا القرن العلامة الفيلسوف والفلكي الرياضي ساويرا سابوخت ، وعلى يده وصلت للمرة الأولى الأرقام الهندية إلى العرب ، ويظهر أن استعمالها لم يشع فبقيت عصوراً أخرى حتى أخرجت إلى الاستعمال ، ويعود الفضل في اعدادها لنا إلى الرياضي السرياني الكبير المشار إليه <sup>(١)</sup> .

أما طريقة الحروف في العلامات العددية فقد شاعت عند السريان الآراميين أكثر جدّاً ، فنجد جميع مخطوطاتهم مؤرخة بهذه الطريقة وعنهم أخذها العرب في العصور الأولى لظهور أبجديتهم فاستعملوها كما استعملها الآراميون قبلهم <sup>(٢)</sup> . وهذه الحروف تنتظم في الأبجديتين للغاية العددية كما يأتي :

١ : أ	٤ : د	٧ : ز	١٠ : ي	٤٠ : م	٤٠ : ع	٧٠ : ق	١٠٠ :
٢ : ب	٥ : هـ	٨ : ح	٢٠ : ك	٥٠ : ن	٨٠ : ف	٢٠٠ : ر	
٣ : ج	٦ : و	٩ : ط	٣٠ : ل	٦٠ : س	٩٠ : ص	٣٠٠ : ش	
						٤٠٠ : ت	

وبقية الاعداد يعبر عنها بتركيب هذه الحروف فنحو :

١١ : يا	١٧ : يز	٦٧ : مز
١٢ : يب	١٨ : يح	١٤٨ : قح
١٣ : يج	١٩ : بط	٣٩١ : شصا الخ

وإذا رغبت في تأليف عدد بعد الـ ٤٠٠ فاقرن حروف المئات كما يأتي :

٥٠٠ : تقي	٨٠٠ : تتي	٧٠٠ : تتيش
-----------	-----------	------------

ثم تجعل حروف الآحاد نفسها للآلاف وحروف العشرات للمئات التابعة للأربعمئة . ويشترط أن تكون أولاً الآلاف ، ثم المئات ، ثم العشرات ثم

(١) المشرق البيرونية المجلد ١٤ ص ٢٣٩ سنة ١٩١١ .

(٢) استعمل هذه الطريقة المبرانيون أيضاً أخيراً عن الآراميين وكذلك اليونانيون -

اللغة الشبكية ج ١ ص ١٥٧ و ٤٣٩ .

الآحاد ، خوفًا من الالتباس نحو ( افعو : ١٨٧٦ ) ، ( بعنا : ٢٧٥١ ) ، ( جقمه : ٣١٤٥ ) . وقد اصطاحوا أن توضع نقطة فوق حروف العشرات للدلالة على المئات ، ومن تحت حروف الآحاد خطيط قائم للدلالة على الآلاف . ومن تحتها أيضًا خطيط للدلالة على الربوات نحو ( ع : ٧٠٠ ) ، ( ننج : ٥٥٣ ) ، ( عمه : ١٧٤٥ ) الخ . نستنتج من استعمال الحروف الأبجدية علامات للعدد في اللغتين . ان العرب اعتبروا صراحة عدد الحروف الأبجدية ٢٢ فقط . اذ لم يخالفوا السريان الآراميين في هذه الطريقة مطلقًا وهو الذي يؤيد أن الأبجدية الآرامية هي أم الأبجدية العربية بحروفها الاثنتين والعشرين الراحنة . وبالتالي اعتبر العرب أيضًا أن الحروف الأبجدية الأصلية هي الاثنان والعشرين الآرامية فقط . وأما الحروف الزائدة في اللغة العربية فهي مشتقة من الحروف الأصلية كما بينا سابقًا .

٤ — التطور اللفظي في حروف بعض الكلمات المشتركة بين الآرامية والعربية : من الزامن أن اللغتين الآرامية والعربية بانصالحها التاريخي الطويل ، الذي يمتد إلى قلب نشوئها ويرتقي إلى عهد ازدهارهما ونضجها ، تبادلتا مادة غزيرة يصعب حصرها في بضع صفحات ، وذلك من حيث الألفاظ والأساليب وغيرها . وأما الآن الناحية اللفظية من المادة المشتركة بين اللغتين ، وتطور الحروف من حالة إلى حالة من حيث النطق بها في اللفظة نفسها . ولا ندعي أننا نحيط بجميع تلك الألفاظ المشتركة لأن ذلك يحتاج إلى مجلدات كاملة بل نورد نماذج من ذلك التطور لنقف على حالة الحروف الأبجدية النطقية عند استعمالها في هذه المادة المشتركة بينها مع العلم أن هناك ألفاظًا تكون الحروف هي عينها في كلتا اللغتين .

قبل أن نستعرض التطور اللفظي في الحروف المشار إليها يجب أن نعلم أن الحروف الأبجدية في اللغتين نوعان حروف علة وهي ( الالف والواو والباء ) ،



غير أن السريانية قد تضيف ( الهاء ) إلى أحرف العلة أحياناً لخضوعها في بعض الحالات اللغوية إلى ما تخضع له أحرف العلة في الاعلال والقلب والتغيير . وأما في العبرانية فإن ( الهاء ) ملحقة بأحرف العلة دائماً تقريباً . وسميت أحرف العلة كذلك لأنها تدخل الكلمات إما أصلية أو زائدة فيطراً عليها تغيير كبير من حذف ، وقلب ، وإبدال ، أو يصبب حركاتها أو حركات الحروف التي قبلها شيء من التغيير ، وتشارك اللغتان في هذه الناحية .

ومن المعروف أيضاً أن أحرف العلة كانت تقوم مقام الحركات في اللغتين قبل ظهور الحركات فيهما ، كما هي الحالة في كثير من اللغات الحية الآن ؛ ويظهر أنها لم تف بحاجة النطق الصحيح ، لذلك اضطر علماءهما إلى اختراع الحركات . والنوع الثاني من الحروف هي الصحيحة ، وهي بقية الحروف الأبيدية ؛ وأما التطور اللفظي في حروف بعض الكلمات المشتركة بين اللغتين فنجد كـا يلي :

٢ - الألف ( ا : ١ ) الألف في السريانية وفي العربية ، إذ لم ترد حرف علة على غرار ما أشرنا إليه الساعة ، تكون حرفاً صحيحاً حلقياً ، ويسمى نحة العربية ( المحزة ) ، ومن المعلوم أنه ليس هنالك اسم خصوصي للمحزة في السريانية كما في العربية ، وليس لها إلا علامة خاصة كما هي الحالة في العربية ، ولذلك فإن المحزة السريانية لا تكتب إلا بالألف أبناً جاءت .

وتكون المحزة في اللغتين إما زائدة وإما أصلية ، والأصلية تكون في فاء الفعل وعينه ولامه ( اُحَلَّ ) أكل ( حَلَّ ) سأل ( حَا ) قرأ . وقد تكون في لام الفعل أحياناً مقلوبة في السريانية إلى حرف علة فيقال ( حَا ) قرأ ( حَا ) برا .

وأما التطور الذي أصاب حرف الألف في بعض الكلمات فقد يكون أحياناً في السريانية عوضاً عن العين في العربية فيقال في قرع ( حَا ) عوضاً عن ( حَا ) .



في كلمات أخرى نحو **بَمَّا** **ذَرَّ** **وُلَّ** **ذَلَّ** **بُئِصَ** **ذَنب** **بُهْصَا**  
**ذَنب** **بُهْصَا** **ذَهَب** **بُهْصَا** **ذَنب** **وَالْخ** .

٥ - **الهاء** ( ه : ٥ ) حرف الهاء تنسأى فيه السريانية والعربية ، إلا  
 ان السريانية قد تستغني عنه أحياناً فيجذف لمرونته وينقلب الى ألف وذلك في  
 آخر الأسماء المؤنثة المجزومة وفي جزم التنكير نحو **مِمْكَا** مدينة **كُكَا** علة  
 كما أسلفنا .

٦ - **الواو** ( و : ٥ ) تنسأى فيها العربية والسريانية . وفي بعض  
 الكلمات العربية التي تبدأ بها تمثلها الباء في السريانية نحو **وسادة** **حصبَا** .

٧ - **الزاي** ( ز : ١ ) تنقلب الزين السريانية الى الصاد في بعض الكلمات  
 العربية المشتركة باللفظ نحو **أَوُمُهَا** صديق **أُحْمَا** صغير وقد تنقلب الى  
 شين في العربية نحو **أُص** شق الا أن اللغتين تشتركان بمادة غزيرة  
 تبدأ بهذا الحرف عينه .

٨ - **الحاء** ( هـ : ح ) ترد في اللغتين مادة غزيرة تبدأ بالحاء إلا أن  
 في العربية ألفاظاً تنقلب فيها الحاء السريانية الى خاء نحو **حَلَا** خل ،  
**حَمَمَا** خمر **حَمَسَا** سخين **حَص** خاب **حَمَلَا** خبط **حَسَلَا** خياط  
**حَنَى** خرب **حَنُهَا** خروب ( خرنوب ) **حَسَا** خرز **الْخ** .

٩ - **الطاء** ( ط : ط ) الطاء في السريانية تكون تارةً طاء في  
 العربية ، وأحياناً تنقلب الى الظاء نحو **هَمَكَا** ظل **هَمَدَا** ظهر **هَم** ظعن  
**هَمَصَا** ظبي **هَمَدَا** ظهر **هَمَكَم** ظلم .

وقد تنقلب الطاء في السريانية الى تاء في العربية **هَمَدَهَا** تاعس وبالعكس  
 ذلك تنقلب التاء العربية الى الطاء في السريانية نحو **قَتَل** **مَكَا** . وتنقلب التاء  
 العربية أيضاً الى الطاء في السريانية نحو **مَكَمَهَا** قَتَا .

١٠ - الياء ( ه : ي ) ان الياء في السريانية تنقلب الى الواو في العربية وذلك في المثال العربي نحو مَكَّي ولد مَحَّو وهب مَيَّو ودد مَهَّو وقر مَثَّو وتراخ .

١١ - الكاف ( ح : ك ) الكاف السريانية لا تأتي الا مقاربة للكاف العربية .

١٢ - اللام ( ل : ل ) قد تنقلب اللام السريانية الى النون في العربية نحو لُكَّلا صنم .

١٣ - النون ( ن : ن ) النون في السريانية قد تنقلب الى ميم في العربية وذلك في الضمائر وأمثالها ، وهي كثيرة لا يسعنا ايرادها الآن .

١٤ - السين ( ه : س ) السين أو السمكت السريانية قد تنقلب الى شين في العربية وبالعكس وهذا متأ من عدم التمييز بين الحرفين في الأبجدية الآرامية القديمة ، فقد كانت علامة واحدة لتمثيل الحرفين ، بل بالحري ان الحرفين كانا حرفاً واحداً كما سبق في بحث الابجدية النبطية .

١٥ - العين ( ع : ع ) العين السريانية قد تمثل ثلاثة أحرف عربية وهي العين والغين والضاد فمن الأول حَكَّلا ساعة حَكَّلا عين حَكَّلا عمل مَحَّلا رعى . ومن الثاني حَجَّلا غرب حُجَّلا غراب حَكَّلا غاب حَمَّلا غيم مَحَّلا مغارة حَكَّلا بغي ومن الثالث أَمَّلا أرض صَكَّلا بيضة حَكَّلا ضان حَمَّلا ضرة حَجَّلا ضرب حَمَّلا رضوان .

١٦ - الصاد ( س : ص ) قد تنقلب الصاد السريانية الى الضاد العربية نحو شمر عرض شمر غرض شمر غمض شمر حمض شمر نفنض .

١٧ - الراء ( ر : ر ) قد تقابل الراء السريانية نون في العربية ومن ذلك لجمع اثنين حاء ابن حنك بنت إلا أن الراء السريانية تنقلب الى نون أيضاً فيها عند الجمع فيقول في حاء ابن حنك بنون حنك بنت حنك بنات .

١٨ - الشين ( ش : ش ) فلما تقابل الشين السريانية بشين عربية بل تقابلها غالباً السين كما سبق الكلام في السين السريانية نفسها .

١٩ - التاء ( ت : ت ) تمثل التاء السريانية حرفين في العربية هما التاء والتاء، وهكذا تكون بعض الكلمات المتحركة في اللغتين تارة تاء عربية نحو لَأَنَّهُمَا تَنُورُ لَأَسَلَا تَنِينُ لَأَعَا نَيسَ وطوراً تاء نحو بَابُ ثَدِي لَأَمُّ ثور لَأَكَلُ ثَلَاث .

هذا ما يمكن قوله في تطور الحروف ولفظها في المادة المشتركة بين اللغتين العربية والسريانية الآرامية . ولو عاد المتبصر الى معاجم اللغتين لوجد مجراً خفياً من المادة المشتركة فيها وابتدى إلى أمثلة كثيرة على غرار ما ألمنا إليه في بحثنا هذا .

( الموصل ) غريغوريوس بولس بهنام

## نسخة تاسعة

# من ديوان ابن عُنين

أعارني الحكيم (الطبيب) السيد مظفر حسين بکراجي في ٩ شعبان سنة ١٣٧٨ هـ  
نسخته من ديوان ابن عُنين . وكان طال مقامه بمحیدرآباد الدکن . ومن  
غرامه وهواه في الأسفار والآثار اجتمع لديه منها مبلغ لا ينكر قدره .  
فباع منها جملة لخزانة ميرپور وفيها نسخة جلیلة من ديوان ابن الساعاتي .  
وقد بقيت عنده بقايا أكثر من نصفها فيها كل علق مفنة يشد إليه الرحال .  
والظاهر أنه يبيعها لخزانة دار الدُحف بکراجي .

ولما سرحت فيها نظري وعارضتها بطبعة الصديق الأستاذ الفاضل خليل مردم بك  
من ثمان نسخ وجدتُ فيها نحو ٣٤ ما بين مقاطيع وفصائد فانت النسخ ،  
وبعض أخبار وروایات لا يخالو تقييدها من فائدة زائدة ، فصحت عزيمتي على  
تعليقها ولم أسمعها وضبط شواردها وعرض فرائدها .

وهي بقطع وسط أميل الى الثمن في ١٠٨ أوراق . والمسطرة تتراوح بين  
١٨ الى ١٥ سطراً في الغالب وربما تقل وتزد . بعدة خطوط لا تقل عن  
خمس . مما يدل على أن بعض الزوار أو الحجاج يكون زار الشام ، فأوفزته  
الرحلة عن استنساخ الديوان على وجهه ، فوزعه على نحو مئة من كاتبين ،  
وما كانوا كراماً بررة ، فخطبوا وحرّفوا . وكلها بالنسخ . وهي عربية المنصب  
ليست من نتاج الهند أو السند وإنما نهّدت منذ قديم . وهذا يدل على أن

الهند استأنست\* يزايرها فحافظت على وُدّه كما حفظت نسخة من شعره وإن كان لم ينصفها بعد مفادته لها إذ قال :

وإذا سقى الله البلاد فلا سقى      بلد الهند سوى الصواعق والدماء  
وقد تعاورت النسخة أيدي عدة من الأصحاب بدل على ذلك خطوطهم  
التي لم أستطع قراءة بعضها لمحو أصحابها . وعليها ختم (اورنگ زيب عالم گير)  
أو بعض أمراء عهده ، وثبت عليه خط إلهي ممداني وتمام اسمه ميرعماد الدين  
محمود وهو من آل آباد من نواحي همذان وهو عصري الشافعي المقدسي وصاحب  
النقي الأوحدي من شعراء الفرس الذين زاروا الهند ومات سنة ١٠٦٤ هـ .

وقد لقيت عسّاق القرية وجهداً جاهداً في إصلاحها وردّها الى أصلها .  
فقد وُفِّت في بعض الأماكن كما قد أخفقت في بعضها الآخر . وبعض هذه  
الخطوط مشكول شكلاً أكثره مغلوط وما كان يضره لو فقد الشكل والإعجام  
بالمرة . هذا إلى ما أحدثته الأرضة من ثقب وخروق حالت دون قراءتها كما هي ،  
وإلى أن بعض الأوراق قُلبت فوضعت في غير أماكنها من الأبواب التي هي  
منها . والنسخة كاملة على علائها ، غير أن المقطوعة التي رقت رقم ٢٥ بطرقتها  
قد خلت من عنوان ، وهي في أول الورقة ، وهذا مما يؤم بوقوع خرم وسقوط  
ورقة أو أكثر دون جزم وبت .

ونسختنا على ترتيب الأبواب الخمسة التي مردها الأستاذ الناشر في ص ٢٤٨  
من طبعته سواء .

وقصيداته الأوليان في الديوان في مدح صلاح الدين (مخوّف وأرسخ)  
اللذان طُرّز بهما باب المدح قد خلت عنهما النسخ الثمان ، وكلّ بهما ابن نيهان  
وجه الديوان من صنعته . ولكن سائر المقطوعات ملحقه بآخر الأبواب الزائدة .

هذا وقد أكتت العراض فأثبت بعض أخبار زادته نسختنا أو خالفت فيها بعض ما عند أخواتها ، هذا إلى أنها تُخِلُّ ببعض ما أتت به وأثبتته .  
 وأما طريقي التي سلكتها فاني اعتبرت بترتيب نسختنا الأول فالأول .  
 وقد سهل عليّ فهرسُ القوافي الملحقة بآخر الطبعة البحث عما فيها ، إذ لم يكن لي عن ذلك مندوحة . نظراً إلى أن مخطوطتنا تخلو عن فهرس يمكن من فحص باقي المطبوعة عما فيها . وهذا ظاهر . فعذري واضح فيما سلكته .  
 وها أناذا أتقل مقدمة النسخة بعد الحمد والصلاة :

(قال العبد الفقير إلى رحمة الله تعالى أبو الحسن محمد بن نصر الله بن عنين تجاوز الله عن زلته ، وألحقه بن تفعده بجزيل رحمته وأصله من زرع قرية ببلد حوران وهو من بني غالب ووُلد بدمشق المحروسة يوم الاثنين تاسع شعبان سنة ٥٤٩ وتوفي يوم الاثنين أيضاً العشرين من ربيع الأول سنة ٦٣٠ بدمشق المحروسة . مما عني بجمعه . . . . . محمد بن المسبب بن نهبان التغلبي<sup>(١)</sup> الدمشقي . . . . . إحياءً لذكراه ولما لحقه من بديع شعره الخ) .  
 وظاهر أن تاريخ وفاته ألحقه ابن نهبان بعده . وهو الذي أراد ابن خلكان بقوله (وقد جمع له بعض أهل دمشق ديواناً صغيراً لا يبلغ عشر ماله من النظم) . وكان مُعزّماً به وبشعره يتردد إليه ويحضر مجالسه ويسأله عما أشكل عليه منه أو اعتاص ويستوضحه عنه ، ولما رآه ابن عنين حريصاً على ذلك أملى عليه بعض ما تبقى عنده من شعره في هذا الديوان الصغير .

كراتشي

عبد العزيز المحيني

(١) كذا جاء بالفتن المجمة ثلاث مرات أو أكثر . ولست أرى إعمالها إلا تصحيحاً .



قال يمدح السلطان الملك الناصر صلاح الدين أبا المظفر يوسف بن أيوب (١) رحمه الله وذلك في سنة خمس وسبعين وخمس مائة ، وأنشده إياها بالساحل :

ما للاماني عنك منصرف	ولا لها عن ذراك منصرف
أنصفت أهل الزمان كلهم	منه ولولا أذاك ما اتصفوا
إني بانهامك الذي امتلأت	به مناي القداة معترف
لذاك شكري الذي غريت <sup>(١)</sup> به	دأبي فاض منه ومؤتلف
ضافت [عن] المدح والثناء غلى	بعض الذي قد أتيته الصحف
باطالبي المارفات دونكو	ندى ملك الزمان فأعترفوا
فما اخلصتم الطامي غواربه	ولولا الفيوث المواطل النطف
عليكو منه بأين مكرمة	تندح أمواله وتغترف
ما دونها ذائد ولا حرس	إلى حراها الآمال تختلف

حراها : نواحيها

ما بين هذا الانام كلهم	في أنه أكرم <sup>(٢)</sup> الوري خلف
يوسف مصر الذي بمالكه	جدة عدن فيها لنا مغرف
مشحوفة بالنعيم صافية	ظلالها بالخلود متصف <sup>(٣)</sup>
أبقى على الدهر من حوادثه	محوطة لا ينالها الوكف

الوكف : العيب .

لها من الناصر المليك صلاح الدين حام سيفه رُغف

وقال أيضاً يمدحه رحمه الله وبذكر فتوح مصر وخطبة بني العباس أدام الله (٢)

أيامهم بها :

(١) الأصل عريت به .

(٢) بعضه مأكول الأرضة .

(٣) كذا ولعل الأصل تصف .

'ملوكك أرمى من شمام<sup>(١)</sup> وأرسخ<sup>(٢)</sup>  
 وذكرك ما بين الأنام كأنه  
 بقيت صلاح الدين فينا مخلدا  
 إذا ذكرت أبناء فضلك في الوري  
 حتى الملك من أبناء أبوب ماجد  
 فضائله تُرني على الرمل كثرة  
 عقود صلاح الدين فينا أكيدة  
 مهابته درع عليه حصينة  
 إذا الحرب حشنتها الكما كأنها  
 غدا 'مطفئا نيرانها بعزائم  
 لجد صلاح الدين يوسف همة  
 أقام بمصر دعوة الحق فأنقذت  
 وكم أروس للأدعياء عدائته  
 يجود بما تحوي بداه تبرعا  
 كما سمعت الأنواء طلاء وابللا  
 بلام على بذل المواهب والندي  
 فيعرض إعراض الكرم بسمة<sup>(٥)</sup>  
 فيا 'حسنها من سيرة 'عمرية  
 رعاها الإمام المستضيء وولده

ومجدهك أعلى من [جبا<sup>(٣)</sup>] ل وأشيخ  
 وقد ضاع بالمسك السحيق مضخ  
 فأنك مها دُمت فالردع 'مفرخ  
 لدى معشر أننوا عليك وبجخوا  
 'همام شديدا البأس أصيد أبلخ  
 على أنها 'تروى وتنتلى وتنتسج  
 أبت أنها - مادامت الأرض - تنفسج  
 وبين حماه والحوادث برزخ  
 'طهاة قدير في الشتاء وطبخ  
 'تفلق هامات الملوك وتشدخ  
 تطول دراري' النجوم وترسخ  
 'تدوّن في أبنامه ونورخ  
 'نرخ - يرزاة الهوان وترسخ  
 ويجزل ما يعطيه طورا ويرسخ<sup>(٣)</sup>  
 وجاءت بما يروى البلاد وينسخ<sup>(٤)</sup>  
 ويأجى على إحسانه ويرسخ  
 ويثبت كالطود الأشم ويرسخ  
 ويملك عدل - بها ليس ينسخ  
 وقام لها يزهي كريبا ويشمخ

(١) كقطام جبل لباهه .

(٢) مأكول .

(٣) يعطى عطاء دون الجزل . ويرسخ في البيت المتقدم يشدخ ويكسر .

(٤) 'يروى ومنه عيان فضاختان .

(٥) الأصل بسمة .

قال محمد بن نيهان التغلبي الدمشقي رحمه الله جامع الكتاب فأعطاه الملك الناصر صلاح الدين ألف دينار وأرسل له من بغداد ألف دينار .

ص ٣ س ٣ : وقال يمدح السلطان الملك العادل سيف الدين ابا بكر بن أيوب رحمه الله وأنشده إياها بمدينة دمشق سنة ٥٨٥ هـ القصيدة والبيت العشرون ومرنحين على الرجال كأنما البيت

ص ٩ س ١ زاد : وأنشده إياها بمدينة دمشق بالقلمة في شهر سنة ٦٢٦ هـ

ص ١٤ س ١٢ زاد : من قصيدة طويلة لم يوجد منها غير هذه الأبيات الثلاثة .

ص ١٨ س ٥ : لا يُثَبِّتُهَا .

ص ٢٢ س ١ : بتقدم البيت :

ألا أيها الملك المعظم والذي مواهبه ترجى ويُخَشَى عقابه

س ٣ : من نشادور ببلاد العجم إلى دمشق . وهي نيسابور .

س ٩ بثلوه :

ذو مُقَلَّةٍ دَعَاءٍ أَدْمَى لِحَظَهَا قَلْبِي وَأَنْفَذَ سَهْمَهَا أَدْرَاعِي

ص ٢٣ بعد س ١ : قال جامع الكتاب محمد بن نيهان التغلبي الدمشقي رحمه

الله سألتُ الشيخ شرف الدين رحمه الله يوماً بمحضرة الشيخ نجيب <sup>(١)</sup> الدين

أبي الفتح نصر الله بن الصفار المعروف بابن الشَّقْبِيَّشَقَّة عن معنى هذا البيت وقد

استغربه لأن عادة الخمر أت تبدل الوفار بالطيش فقلت له أهذا المعنى لك

مبتكر أم سمعته ؟ فقال لا أعلم أنه لآخر غبري فابتدر الشيخ الامام نجيب الدين

وقال بل هو لغيره وأنشد في المعنى لابن وكيع :

(١) المتوفى سنة ٦٥٧ هـ كان مُزَنَّ برفقة الدين يراعي أرباب الجاهات كثيراً ترجمته

في ذيل الروضتين ٢٠١ وغيره .

كيف [لي] أن أراك منجيم المذنبين سكران است توضع حرفا  
وأنادي من المسرة مات المذنبين كرفادعو إلى بالكأس صرفا  
إن للراح رنة است أدري شكرها كلما أظلت الوصفا  
ليئت مخلق قصور وأعاره سماحا وعلته العطف  
كلما رمت قبلة قالت النشوة مات الغلا نخذ لك ألفا

فتعجب الحاضرون من حسن استحضاره وعظم افتداده .

ص ٢٣ س ٢ :

في روضة بالنيربين أريضة موشية يبدائع الإبداع  
مخلصة (كذا) وشائع بردها كفت الخضب وأي كفت صناع

ص ٢٦ س ٣ : جاورت (بالراء المهملة) ، هذا عمران بن حطاف  
لما خرج على عبد الملك بن مروان وطلبه فهرب منه فلم يجد له ملجأ في الأرض  
إلا روح بن زنباع فقصده فلما وصل إليه وهو مطعون القلب به لم يجره  
وطرده ١٥ الميمني والخبر مرده أبو العباس على طوله يعض اختلاف في الكامل  
٥٣٠ - ٥٣٤ .

س ٥ : أرقح كي أسدد .

س ٨ زاد : وتسجها على منوال الأنوار والأودى في قصيدته المحرصة ١٥  
ولعلها داليتة في الديوان صنع العاجز بقم (ز) ص ٩ .  
ص ٢٨ س ٣ دالجة : والدالج الذي يمشي بالدلو من البئر إلى الخوض .  
والسفر القوم المسافرين .

ص ٢٩ س ٦ : أهوم أو في بطن دويبة أسري

٧ : عن سنا البدر . هذا البيت بقرطس في غرض البلاغة  
بإصابته وتأنس به الأسماع على غرابته وتمنوا لديه الأوصاف والمدائح وتقبل  
عند سماعه لقصورها طلايات (كذا) القرائح .

ص ٢٩ س ٢ : ولو حاول المرتنج البيت يتلوه ببثان وعليها الختام - وسائر  
الآيات التي تتلوه هنا تتقدمه عندنا - وهما :

من القوم لو جارهم البحر في الدّدى      لأصبح قاعاً صفصفاً مضرباً البحر  
إذا استلأوا يوم<sup>(١)</sup> التّزال حسبتههم      أسودّ العين الغلب تسبّح في غدر  
لقد أصاب شاكلة التشبيه وأصبح فرداً في معناه بلا شبيهه ١ هـ .

س ٩ : عندنا سنة ثمان عشرة .

ص ٣١ س ٨ : سنّاها وللأدنى . وأراه الصواب .

١٠ : وأفرجت . ولا أرى عليه غباراً .

ص ٣٢ س ٥ : ومعها ارتجاس .

ص ٣٢ س ٨ : أرضاً تُداس .

س ١٠ : بيت الذئب طاوور ، يزيرو وجارو ربّره الكناس .

ص ٧١ س ٤ : بأصلنا الخوول من أسماء الدواهي ١ هـ فهو بالفنح .

ص ٣٤ س ٤ : زاد : وأنشده إياها بمدينة عدن في سنة ٥٨٩ هـ .

س ٧ : وإن بعيداً لا يُرجى اقترابه .

ص ٣٥ س ٨ : لا بناصب .

ص ٣٦ س ٢ : على الرمل في إثر المطي .

ص ٣٧ س ٦ : من خلوة الفحل .

ص ٧٢ س ٥ : سنة ٥٨٩ هـ .

س ٨ : حنين العطاش .

ص ٧٣ س ٨ : قوله منها بوم أن هنا شيئاً من القصيدة لم يورد هنا .

ولكنها تظهر تامة في نسختنا .

ص ٧٤ س ١ : سهله ٤ ولا يظن سهل .

س ٣ : الباب الغياثي .

ص ٣٩ س ٨ : قوله ومنها كأنه حذف البيت الآتي من أجل خلل أو نصحيف وهو :

وكأنه في الحرب خرصان به ذي العز (?) الملك العزيز قد احتبي

ص ٤٠ س ٣ : وقال يمدحه وأنشده اباها بمدينة عدن في سنة ٥٩١ هـ بظاهر البلد .

ص ٤٢ س ١ : النفل بلا تحريف .

س ٥ : لأفصح معجم غزير .

ص ١٠٢ س ١ : عندنا : ولما ملك الملك الناصر صلاح الدين بعض البلاد الساحلية أرسل الى أخيه السلطان الملك العزيز ظهر الدين صاحب اليمن يعرض عليه النزول عن اليمن والحقاق به ليستلم الساحل الفرنجي ويحضر الغزاة . فشاور الشيخ شرف الدين بن عنين وكان حاضراً عنده في ذلك . وكان شرف الدين قد مرق له بمكة فماش انهم به بعض الأشراف الذين بها ممن كان حوله . فأنشد سيف الإسلام هذه الأبيات يجرّده على قتال أهل مكة ويثني عزيمته عن الساحل وأدّ لها :

ثم بعد تمامها : قال جامع الكتاب سألت الشيخ العلامة نجيب الدين بن الشقيشقة عن هذه القصيدة فقال لم يوجد منها غير هذه الأبيات ولدهاها سبب . فسألته عن السبب فقال حدثني الشيخ شرف الدين أبو الحسن محمد بن عنين بداره في ليلة من ليالي الشتاء في ثالث ربيع الأول من سنة ٦١٣ أنه لما كان باليمن وعمل هذه القصيدة غلظ قلب الملك العزيز على أهل مكة ووصل الى أشرافها شيء من مكروهه . قال ففرضت مرضاً شديداً بلغت فيه الموت

أو كدت فرأيت في إحد [ى] لبالي مرضي كأن مولاتي الست فاطمة صلى الله عليها وسلم وهي واقفة بازائي تشير باصبعها الكريمة إليّ وتقول :

حاشا بني فاطمة كلهم من خسة تعرض أو من خنا  
وإنما الأيام في صرفها وفعالها السوء أساءت بنا  
لأن أسا من ولدي واحد تلحق هذا الشتم عمداً بنا  
فتب الى الله فمن يقترف ذنباً بنا بأمن ثما جنسى  
وأكرم<sup>(١)</sup> لأجل المصطفى أحمد وآله من أهله أعيننا  
فكلما نالك منهم أذى<sup>(٢)</sup> تلق به في الحشر معنا<sup>(٣)</sup> هنا

قال فاستيقظت شديداً الرعب وقد شيمت رائحة العافية فوثبت الى القصيد فزقنها وعمت :

عذراً ! الى بيت نبي الهدى تقبله من عبد سوء جنى  
وتوبة تقبلها من أخي جرم بعيد الخير مرّ الجنى  
والله لو قطعني واحد منكم بسيف البغي أو بالقنا  
لم أك في ظني مسيئاً به بل أراه في الفعل بي محسناً

وكان لا يؤثر أن يحفظ أحد من هذه الأبيات شيئاً حتى إن الملك الاشراف كان<sup>(٤)</sup> اذا أراد أن يغيظه ذكر بيتاً منها .

ص ٥٥ س ٧ : فتربني أنه حذرنا .

س ١٠ : اذا استسقيت وابله ، على الظماء (كذا) سقاني .

(١) بالنسبيل ضرورة .

(٢) الأصل عزا .

(٣) الأصل مفا .

(٤) الأصل وكان اذا أراد مغيظه .

- ص ٥٧ س ١٠ : فظلت تباري الشمس .
- س ١١ : أزال على الصواب .
- ص ٥٨ س ٤ : به مَثَل . وهو الأليط .
- س ٥ : ما أحلى قوله إلا أن ظفرت يرا . يريد لم أحصل على  
سوى القافية فإنها كقافيته « إنما الشعر لم ألحق فيه من شأوه شيئاً ٨١ : الميمى :  
فاتضح أنه يرا أي يحرف الراء وهو روي القافية لا غير .
- س ٨ : يتلو البيت الأخير : وهذا آخر مدائحه للملوك ٨١  
ثم يتلوه مدح الوزير ابن شكر وهو في ص ٤٥ .
- ص ٤٥ س ١ أصلنا : وقال يمدح الوزير صفى الدين أبا الحسن علي  
ابن عبد الله ( وفي الفوات ١ / ٢٨٠ و امرأة الزمان عبد الله بن علي ) بن شكر  
وزير الملك العادل سيف الدين أبي [ بكر ] بن أبوب وأنشده إياها بدمشق  
سنة ٥٩٣ وبذكر فيها حصار الأفضل والملك الظاهر العادل ( ؟ للعادل )  
ورجوعها عنه بحسن تدبير الوزير الممدوح .
- ص ٤٩ س ١٣ : ولو مات وجدا .
- ص ٥٠ س ١٠ : ألقى .
- س ١٢ : فلو عالجتُ حداً ( ؟ جُذاً ) .
- ص ٥١ س ١٣ : يأتي بالأُمس يذهب رداً .
- ص ٥٢ س ٣ : وهو فاعلٌ .
- ص ٥٣ س ١ : ألى جنابك رداً .
- س ٢ : والثناء أكرم مُهْدَى .
- ص ٩٤ س ١٢ : بأصلنا زيادة : وذلك بمدينة سمرؤ في مدرسته التي يلقي  
بها الدروس .



- ص ٩٥ س ٧ : يمشي بقلب .  
 ص ٥٣ س ٦ : أصلنا فكتب إليه من نيسابور وصيرها إليه الى نشادور<sup>(١)</sup>  
 وذلك في سنة ٦٠٢ .

- ص ٥٤ س ٨ : رياح الطيش .  
 ص ٩٨ س ٩ : محلة الجناح .  
 ص ٩٩ س ٣ : وحلة المزاح .  
 ص ٧٤ س ٧ : من نشادور .  
 ص ٧٦ س ٢ : جواسق كالدراري .  
 ص ١٠ : لغباسي وعزمه .  
 ص ٧٧ س ٢ : بين الذئاب .  
 ص ٥ : زاد : وصيرها اليه أيضاً من بلاد<sup>(٢)</sup> العجم إلى دمشق .  
 ص ٧٨ س ٦ : بثلوه بيتان وعليها الختام :  
 عسى عطفة بدرية تعكس النوى      فألقى قريو العين بالاهل والوطن  
 فقد ملأت النفس العباد وبرحت      بها سمعة الشكوى وضاق بها العطن  
 ص ٧٩ س ١ : عندنا : وقال يمدح النقيب بن يمن العرضي وكان اجتماعا  
 كلاهما وعاد النقيب الى الشام فكتب بها اليه :  
 ص ١٠٤ س ١٣ : بات عنه غني .  
 ص ١٠٥ س ١ : سبيبة ألفت .  
 ص ٥٩ س ٨ : في صفيح الحدا .  
 ص ٦٠ س ٩ : غمر .

(١) كذا وهي نيسابور نفسها عامية .

(٢) وفي الأبيات من عدن .

- ص ٦١ س ٤ : فيها وأصبحت الموالي .
- ١١ : يربد بالأخشاب المجانيق ٥١ .
- ص ٦٢ س ٥ : بعده بيت وعليه الختام :
- فالمُلك عينٌ خاطبته كأن<sup>(١)</sup> بها رَمَدًا فكان لما صراها إثمدا
- س ١٢ : وجنوا المعالي . هذا غلط صرفي من ابن عنين .
- ص ٦٣ س ٥ : الخسيس . والغم من خطأ الطباعة .
- ص ٦٤ س ٤ : با لإرعاد .
- س ٨ : زاد : وكانت بينها صداقة ومودة أكيدة وكان  
دُفن بدمشق ثم نقلوه الى قلعة جَعْبَر .
- س ١٢ : عن طريق رشادها .
- ص ٦٥ س ٤ : رُزى الكرام الخ كما في صلب المطبوع .
- ص ٦٧ س ٧ : بعده وعليه الختام :
- لا غبٌ قبرك مُرجَجٌ زَاخِرٌ زَجِلٌ النواحي مُسِيلٌ هَذَار
- ص ١٤٠ س ١١ : يَنْهَدُ لو حَمَلَتْهُ بَعْضُهَا - الْجَبَلُ . أي يَنْهَدُ الْجَبَلُ  
(ضد السهل) لو حَمَلَتْهُ (بالشد) الداهيةُ بَعْضُهَا . وهذا ظاهر .
- ص ١٤١ س ٣ : منتعل في شعر الأعشى رقم ٦ وتام البيت :
- هَرَكُوْلَةُ مُنُنْ دُرْمٍ مِرَافِقُهَا كَأَنَّ أَحْمَصَهَا بِالشوكِ مُنْتَعِلٌ
- والتضمينان غير موجودين في نسختنا .
- س ٥ : مُنْتَفِخٌ وكذا نسختنا والصواب : مُنْتَفِجٌ بالجيم لا غير .
- س ٦ : في بيضة القَيْظِ وأراه الأَقْدَ وفي زائبة الشَمَآخِ :
- طوى ظِهَاها في بيضة القَيْظِ بعدما جَرَى في عِنانِ الشِعْرِ يَتَنُّ الأَمَازِ

ص ١٤٢ بعد س ١ : يريد بنظام الدين ابن القلانسي . فاللحظ أنها المتأمل ما ألطف هذا الاستطراد وما أحلى موقعه من الفؤاد حتى لو سمعه الذي قيل فيه لشغله استفادة هذا الخرج عن أن يرْفُل في ثياب المخرج ١٥ الميني لا أعرف المخرج إلا الخرج وهي ثياب تُبْسَط على جبل لتجف . فلهل المخرج عامية .

ص ٩١ س ٢ : فيما وقع له من الوقائع والمآجريات والمكآبات والمجاوبات والطلّبات والشفاعات والأغراض والمجون والهدايا والاستهدآت والطُرف والنّف والالطف والحنين والأشواق الى بلده وغير ذلك مما يجري مجراه ١٥

ص ٩٢ س ١٠ : بتلو ( مسلماً ) :

(٣) رأى صبيّاً ملبعاً تركياً قد رأى غراباً على شجرة فمأه بهم .  
من الخزر العيون رأى غراباً فأوترَ قوسه ورمى بهم  
فختُ البدر أرسل عن هلال الى الليل البهيم شهاب رجم  
ص ١٠١ س ٨ : عندنا وكتب الى الملك العزيز سيف الإسلام بالبن  
يطالب منه خمرأ على طريق اللقز .

ص ٤٤ س ٥ : ما قَطَّباً لي . . . . . أد [ ر ] ي عَدَاكَ الذم

ص ٧٣ س ٣ : عندنا أربعة أبيات من هذه القصيدة وهي في الأسطر

٣ و ٤ و ٦ و ٧

ص ٨٠ س ٩ : بلوح وأذي الدجّة .

ص ٨١ س ١١ : من أن تُنال وتلثما .

ص ٨٣ س ٤ : على وكز بالزاي المعجمة لا بالمهمل .

ص ١٤ : راحلا - وأحدانه بي .

- ص ٨٦ س ١١ : بعد ( عن ذكر الشئ ) زيادة :
- أصبحتُ بعد فراقكم متجميع ١١ بلوى فصر<sup>(١)</sup> (كذا) في الخطوب مشيتا
- ص ٨٧ س ٥ : بين النعائم والفقر • وبالنسر يحصل الإبطاء •
- ص ٨ : يتلوه : يريد بذلك أن كَوْنُ سعد السعود صَعْبُهُ
- بافي الأنواء المُنْطَرَةِ إذا لازمها بكثرة الغيث ويصير مكان الضب وهو
- البراري المُنْقَرَةِ كمكان الحوت وهو البحر وربما زاد ماء البحار والأنهار وطفا
- السحك الى أن يتلاقى به والضب في وكره وهذا بليغ حسن •
- ص ١١١ س ١ : عَبَثَ السَّقَامُ •
- ص ١١٦ س ٤ : يداء كما قيل فإِذَا •
- ص ١٤٢ س ٨ : قيد ضيق •
- ص ١٢٢ س ٥ : شعرك الأُنْجَم •
- ص ١١١ س ٨ : عند ذاك •
- ص ١٠ : والبيتان اللذان أنشدتهما ابن الجاور :
- بالكوثر من الملاء 'حُثًا' إِلَيَّا لا تجريا (كذا) بالمدام لأَعلِيَا
- من يَدَيَّ فاتر اللواحظ كالبد ر اذا حَفَّه نَجْمُوم الثَرِيَا
- ص ١٢٠ س ٢ : لقد حصت قوادمها •
- ص ١٢٢ س ٩ : عندنا في الترجمة : وكان لما كتب هذين البيتين
- (جناحي ص ١٢٠) مريضاً طلب أن يزوره وكتب اليه مع هدية هـ •
- ص ١١٢ س ٢ : لَوَمَكَ عذرا •
- ص ١٣١ بعد س ٨ : فلما وقف عليها السلطان أمره أن يستدعي ما يحتاج
- ضيوفه اليه في كل يوم من سائر الحوائج •
- ص ١٢٣ س ٣ : لو كان ما يُهْدَى على مقداركم ٤ لم يرتض الشمس •
- (١) لعله بصبر في الخطوب تشبهاً ، على الإبطاء •

ص ٩٠ من ٦ : في أعالي البان .

ص ٨٩ من ٤ : ومَرَّجَتُهَا :

ص ٥ : ضاع بضوع فاح .

ص ٩٠ من ٣ : وقد : أو غلت .

ص ١١٢ من ١١ : فكَم أَشْهَب .

ص ١٠٠ من ٧ : بأجراري ، والأجرار شقّ لسان الفصيل والقلم أيضاً

يُشَقّ لسانه . ثم يتلو الأبيات وقال مخاطباً للسلطان الملك المعظم وقد جرى يوماً حديث قسمة الغنائم شرعاً وكيف ترحّضت الرسوم الشرعية :

(٤) يا أيُّها المالك المولى الكريم ومن يستحقُّ الملك والدنيا إذا سَبَّ  
إذا لقيتَ الأعادي يوم معركة فإنَّ جمعهم المغرور منتَهَبُ  
لك النفوس وللطير اللحوم ولا——وحش العظام وللخيالة السَلَبُ

فضحك الملك المعظم وقال هذه قسمة على بيت المال فيها حيف .

وكان عند الملك الناصر الخ مافي ص ١٢١ س ٤ ويتلو بينهما :

فقال الملك المعظم الناصر سمعاً وطاعة ، ثم أمر بنتف لحيته فاستغاث الشاعر

وأقسم أنه ليس من القصيدة . وصرّ ذلك اليوم في نوادر الشعراء .

وكان مع الملك المعظم في 'بحيرة طبرية' فركباً في الزيزب<sup>(١)</sup> فقال بديها : (٥)

واني لأعجب من زيزب به بحر (?) كيف لا يفرقني

فن تحته بحر (?) واحد ومن فوقه أبحر تدفق

وأعجب من ذا وذا أنه يلامسه وهو لا يرزق (كذا)

(يتبع)

(١) هذه الأبيات معروفة للخلوقي الشاعر في طاهر بن الحسين والرواية :  
عجبت لحرّافة ابن الحبيب — كيف تقوم ولا تفرّق  
وبهران من فوقها واحد وآخر من تحتها مُعَلِّق  
وأعجب من ذاك عيادتها وقد مَسَّها كيف لا تُورق  
والزيزب نوع من الدفن .

# الزجاجي

حياته وآثاره

ومذهبه النحوي من خلال كتابه «الإيضاح»

- ٣ -

١٣ - كتاب معاني الحروف :

عدّ بروكّن بين مصنفات الزجاجي كتاباً باسم «حروف المعاني» . وأما «معاني الحروف» فلم يذكره أحد غير ابن خنير الاشبيلي<sup>(١)</sup> . إلا أن القفطي قال في الإنباء إن «لأبي علي الفارسي كتاب «الأغفال» فيما أغفله الزجاجي في المعاني<sup>(٢)</sup>» ! وكلام القفطي هذا ، يهتد السبيل لوجه القارىء ، إذ يدل على أن «أغفال» الفارسي يتصل بمعاني الحروف للزجاجي . والحق أن في كلام القفطي نقصاً وسهواً ؛ أما النقص فلأنه كان ينبغي له أن يشير إلى أن «الأغفال» إنما هو في معاني القرآن . وأما السهو فلأن «الأغفال» هو تعقيب واستدراك على كتاب «معاني القرآن وإعرابه» لأبي إسحاق الزجاج ، لا على معاني الحروف لأبي القاسم الزجاجي ، ولم يشير محقق الإنباء إلى ذلك<sup>(٣)</sup> .

(١) فهرست ابن خنير : ٣١٩ .

(٢) إنباء الرواة ١ : ٢٧٤ .

(٣) أقول زيادة في الإيضاح : للأغفال لختان ، أحدهما في مكتبة الأوقاف بطرابلس الغرب رقها ( خزانة ١ رف ٤ رقم ٩٤ ) وهي مكتوبة سنة ٦٧١ . والنسخة الثانية في دار الكتب بالقاهرة تحت الرقم ( ٥٢ تفسير ) ونقلت عن هذه النسخة نسخة أخرى في دار الكتب أيضاً .

وقد ذكر ابن خنير كتاب الأغفال بنسبته الصحيحة في فهرسته ( ص ٣١٠ ) كما ذكر كتاب «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج في ص ٦٤ .

## ١٤ - شرح رسالة كتاب سيبويه :

لم يذكر هذا الكتاب أحد ممن ترجموا للزجاجي ولم يشير الباحثون إليه على كثرة عنايتهم بكتاب سيبويه وما يتصل به . والذي ذكر هذا الكتاب هو صاحبه نفسه ، فقد أشار إليه أكثر من مرة فقال في كتابه « إيضاح علل النحو » : وفي ذلك احتياج ونظر لم نقصد إليه في هذا الكتاب ، لأننا قد شرحناه في كتاب شرح الرسالة بجمع ما فيه . » وقال في موضع آخر « فأما القول فيما قاله سيبويه في كتابه « هذا باب علم ما الحكم من العربية » وما في ذلك من الألفاظ والوجوه ، فقد ذكرته في كتاب أوردته لتفسير رسالة كتاب سيبويه . » وقال أيضاً « وقد أشبهت المعنى في تفسير كلام سيبويه هذا ، في تفسير رسالته . »

وما ما أراده الزجاجي من هذا الكتاب ، فهو - فيما أعتقد - شرح الصفحات الأولى من كتاب سيبويه ، تلك التي بحث سيبويه فيها أموراً عامة قبل الدخول في أبواب النحو الجزئية التي تبدأ في الصفحة الثالثة عشرة من الكتاب بباب الفاعل . وبؤيد ذلك :

١ - أنه من عادة الزجاجي أن يستعمل لفظ « رسالة » بمعنى مقدمة الكتاب أو خطبته ، وقد رأينا يستعملها غير مرة في حديثه عن مقدمة أدب الكاتب لابن قتيبة .

- وبمناسبة الحفاظ بين الزجاج والزجاجي ، يجدرني أن أنه على أن الكثير من فهرس المكتبات العامة ذكرت « كتاب فعلك وأفعلك » منسوباً للزجاجي ، حتى أخذ بذلك بعض المحققين . فمدّه الأستاذ محمد بن أبي شنب فاطر الجبل بين آثار الزجاجي ، زاعماً أنه ينقل عن كشف الظنون . والحق إن هذا الكتاب من وضع أبي اسحاق الزجاج ، استاذ أبي القاسم الزجاجي ، كما في كشف الظنون نفسه ( ٢ : ١٤٤٧ ) وكما في فهرست ابن خير ( ٣٥٢ ) وقد طبع هذا الكتاب في القاهرة سنة ١٣٢٥ هـ ( ١٩٠٦ ) ضمن مجموعة باسم « الطرف الأدبية » ،

٢ - من المعروف أن كتاب سيبويه لا مقدمة له ، إلا أن في الصفحات الثلاث عشرة الأولى منه ما يصلح أن يكون مقدمة للكتاب ، لأنه بحث في أمور عامة يدخل أكثرها في مقدمات كتب النحو . وأما أبواب النحو بتفصيلها وتفرعها فتبدأ في الصفحة الثالثة عشرة من الكتاب ، حيث يبدأ الكلام على باب الفاعل .

٣ - قول الزجاجي انه شرح في هذا الكتاب قول سيبويه « هذا باب علم ما الحكم من العربية » بدل على أن هذا الباب من « الكتاب » داخل في « رسالة كتاب سيبويه » وهذا يتفق مع ما أشرت إليه في الفقرة السابقة من اعتبار الصفحات الثلاث عشرة الأولى هي مقدمة الكتاب .

١٥ - كتاب غرائب مجالس النحويين الزائدة على تصنيف المصنفين :

لم يشر الى هذا الكتاب غير اثنين ممن ترجعوا للزجاجي هما السيوطي وبروكلاف . أما السيوطي فقد أشار إليه شاكراً في نسبه حين نقل عنه بعض مجالسه . وأما بروكلاف فقد عدّه في جملة آثار الزجاجي . قال السيوطي في الأشباه والنظائر : « مجلس الخليل مع سيبويه ، ذكره أبو حيان في تذكرته <sup>(١)</sup> وأظنه أخذه من كتاب غرائب مجالس النحويين الآتي ذكره » <sup>(٢)</sup> وقال فيما بعد « مجلس أبي إسحاق الزجاج مع جماعة ، ذكره أبو حيان في تذكرته وهو في كتاب المجالس المشار إليه وأظنه تأليف تلميذه أبي القاسم الزجاجي <sup>(٣)</sup> » وأثبت ظنه ثانية فقال « مجلس ذكر صاحب الكتاب

(١) التذكرة في العربية لأثير الدين محمد بن يوسف أبي حبان الأندلسي المتوفى سنة ٧٤٥ . وذكر في كشف الظنون ١ : ٣٩٣ .

(٢) الأشباه والنظائر ٣ : ١٦ .

(٣) المصدر السابق ٣ : ١٧ .



المسمى غرائب مجالس الفخوبين الزائدة على تصنيف المصنفين» ولم أقف على اسم مؤلفه وأظنه لأبي القاسم الزجاجي<sup>(١)</sup> . وقد نقل عنه ذلك صاحب خزنة الأدب<sup>(٢)</sup> ومع أن السيوطي لم ينر لنا السبيل ولم يذكر مادفعه إلى هذا الظن إلا أننا نستطيع إذا رحنا نتلمس له الدليل أن نجد بعض ما يؤيده وبوشك أن يرجح ظنه .

إذا عدنا إلى ما نقله السيوطي من أخبار هذه المجالس وجدنا :

١- أن أسلوب الرواية في هذه المجالس هو نفسه أسلوب أبي القاسم في أماليه فكلاهما أسلوب يعني صاحبه فيه بالسند عناية كاملة ، رأينا ذلك حين تحدثنا عن الأمالي ونراه هنا في أخبار المجالس الوارد ذكرها في الأشباه والنظائر ( ٣ : ٣٥ و ٣٦ و ٣٧ ) .

٢- أن الذين يروي عنهم صاحب كتاب المجالس هم أنفسهم أساتذة الزجاجي وزملاؤه الذين روى عنهم في كتبه ؛ فمنهم البزبيدي ( أشباه ٣ : ٣٣ ) والزجاج ( ٣ : ٣٤ ) وأبو جعفر الطبري ( ٣ : ٣٥ و ٢٩ ) والأخفش ( ٣ : ٣٧ و ٣٩ و ٤٠ ) وابن الخياط وابن شقير ( ٣ : ٤٦ ) وهؤلاء جميعاً ممن اجتمع الزجاجي بهم وصرّح في « الإيضاح » بالأخذ عنهم .

٣- أن عنوان الكتاب الذي هو « غرائب مجالس الفخوبين الزائدة على تصنيف المصنفين » فيه رغبة ظاهرة في الحرص على ذكر الغرائب التي لم يذكرها المصنفون من قبل ، وهذا يتفق مع ما عرفناه من رغبة الزجاجي وحرصه على أن يذكر في مصنفاته ما لم يذكره غيره ، وأن يضمن تأليفه ما لا يوجد في غيرها ، قال عن كتابه « الإيضاح في علل الفهر » : « وإن أكثر ما أودعته

(١) المصدر السابق ٣ : ٢٩ .

(٢) الخزنة ٣ : ٣٥٣ .

إياه لا يكاد يراه متفرقاً ولا مجموعاً في غير هذا الكتاب . » وقال عن المسائل التي أودعها كتابه : « منها ما تلقيناه من علمائنا رضي الله عنهم تلقياً ومشاهدة مما لم يودعوه كتبهم ولا يوجد فيها البتة . »

وبعد ذلك فأنا لا أدعي أنني أرضيت العلم أو وصلت بالظن الى اليقين ، إذ ينبغي للجزم في معرفة صاحب كتاب المجالس أن نعود الى النسخ المخطوطة من كتب المجالس وتقارن بين مجالسها وننظر في تاريخ أصحابها . . . وليس هذا التمهيد الذي أقدم فيه آثار الزجاجي هو موضع هذا التحقيق العلمي الدقيق .

#### ١٦ - الاذكار بالمسائل الفقهية :

ومما يجب ذكره بين آثار الزجاجي تلك المسائل المتفرقة التي نقلت عنه في كتب المتأخرين وكان منها ما يتصل بالفقه ومنها ماله صلة بغير الفقه . فما كان منها فقهياً فقد جمعه وأطلق عليه اسم « الاذكار بالمسائل الفقهية » ونقل السيوطي هذه المسائل في الأشباه والنظائر ونحن نذكر مقدماتها لوضوح دلالتها عليها : « قال أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي النخوي رحمه الله تعالى : أما بعد حفظك الله وأبقاك ، وهدانا وإياك ، ووفقنا فيما نحاول ديناً ودنياً للرشاد ، ورزقنا علماً نقرن به عملاً بقرب منه ويزلف لديه ، إنه سميع بصير وعلى ما يشاء قدير . فإنك أذكرني بالمسألة التي سألتني عنها في البيت الذي سئل الكسائي عنه وهو قوله :

فأنت طلاقٌ والطلاق عزيمة ثلاثاً ومن يخرق أعق وأظلم<sup>(١)</sup>

وتفسيري وجه الطلاق بالنصب في ثلاث مسائل فقهية من العربية يتلاقى بها النخويون ويسأل عنها متأدبو الفقهاء ، وكنت جمعتها قديماً ، منها مسائل ذكر لي

(١) عد الى ما قبل حول هذا البيت في الأشباه والنظائر ٤ : ٢٤٠ .

أبو بكر محمد بن منصور المعروف بابن الخياط النخوي أنه اجتمع هو وأبو الحسن ابن كيسان مع أبي العباس ثعلب على تلخيصها وتقريرها ، ومنها مسائل ذكر لي أن أبا العباس ثعلباً أفاده إياها . ومنها مسائل منشورة جمعت بعضها عن شيوخي شفاهاً ، وبعضها مستنبط من كتبهم ، فأحببت أن أجمعها في هذا الكتاب وأسميه « كتاب الاذكار بالمسائل الفقهية » فاعتمدت ذلك حين نشطتني له ، فجمعتها فيه كلها وما اتصل بها وجانسها ومسألة الكسائي التي جرى ذكرها ، وجعلته نهاية في الاختصار ، وموجزاً غاية الإيجاز ، لئلا يطول فبل ، وبكثر فيضجر ، وبالله التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل » <sup>(١)</sup> .

ثم أورد بعد ذلك أربع عشرة مسألة كلها في الطلاق .

#### ١٧ - مسائل متفرقة :

ومما تركه الزجاجي مسائل متفرقة جمعها في كتاب بعث به إلى أبي بكر الشيباني ، وكان هذا قد سألته عن بعضها ، فدفعه السؤال إلى الجمع والتأليف . جاء في الاشباه والنظائر : « هذه إحدى عشرة مسألة سأل عنها أبو بكر الشيباني أبا القاسم الزجاجي في كتاب أنفذه إليه من طبرية إلى دمشق فكتب إليه في الجواب :

بسم الله الرحمن الرحيم . حفظك الله وأبقاك ، وأتم نعمته عليك وأدامها لك . وقفت يا أخي - جعلني الله فداك - على مضمّن كتابك الوارد مع أخينا حفظه الله ، والجواب عنه يصدر إليك ولا يتأخر بجول الله ومشيتته . ووقفت على ما ضمنته آخره من المسائل التي اشتبهت عليك ، وبادرت إليك بتفسيرها في هذا الكتاب ، لعلي يتملق قلبك بها ، وليعجل أخونا حفظه الله الانتفاع بها .

(١) الاشباه والنظائر ٤ : ٢٣٣٤ .

وأنبعتها مسائل من عندي منخبة من ضروب شتى أنت تقف عليها وتذكرني بها ،  
ومها عرض لك من أمثال هذا فلا تنقبض بي في مفتاحي به فإني أمرت بذلك ،  
وأقضي إليك فيه ما عندي على مبلغ ما يتناهى إليه علي إن شاء الله تعالى . » <sup>(١)</sup>  
ثم يورد المسائل الإحدى عشرة ونحن نكتفي بإيراد المسألة الأولى منها . قال :  
« أما قولهم هذا زيد السعدي سعد بكر ، وقولك كيف يعرب سعد وما  
الاختيار فيه . فإن هذه المسألة يختار فيها الكوفيون الخفض فيقولون زيد  
السعدي سعد بكر ، قالوا لأن معنى قولنا زيد السعدي : زيد من سعد ، ثم  
نقول سعد بكر على الترجمة ( يعني البدل ) ، لأننا نريد بهذا الكلام الإضافة ،  
وليس ينعون من إجازة نصبه . »

فأما أصحابنا البصريون فلا يميزون خفض هذا البتة ، لأن قولنا زيد السعدي  
سعد مرفوع وليس بمرفوع وإنما الياء المقتلة في آخره دلت على النسب إليه ،  
ولا يكون المضاف إليه أولاً والدال على الإضافة آخرأ . ولعمري إن  
النسب إضافة ، لأننا إذا قلنا رجل بكري وتيمحي ، فإنما نضيف إليه ، ولكنه ليس  
على طريقة المضاف والمضاف إليه . وليس هاهنا لفظ خافض ولا مخفوض ، وقد  
سمى سببويه النسب إضافة على الوجه الذي ذكرته لك ، فيقول أصحابنا : أزيد  
السعدي سعد بكر بالنصب على أعني سعد بكر ، ولا ينعون من الرفع على  
معنى هو سعد بكر .

ولست هذه المسألة مسطرة لأصحابنا في شيء من كتبهم البتة ، وهي مسطرة  
في كتب الكوفيين ، ولكني سألت عنها أبا بكر بن الخطاط وابن شقير فأجاباني  
بما ذكرته لك . . .

١٨ - الأسئلة الواردة على البسمة وأجوبتها :

أضاف بروكلمان الى ما ذكره من كتب الزجاجي السابقة كتاباً آخر باسم « بيان الأسئلة الواردة على البسمة وأجوبتها » ولم أجد أحداً أشار الى هذا الكتاب سواء .

والخلاصة ان مكتبة الزجاجي هذه لم يبق منها إلا ثمانية كتب الى جانب المسائل الصغيرة التي حفظها لنا السيوطي . وقد طبع من هذه الكتب اثنان هما الجمل والأُمالي . ودفعت بالثالث منها وهو « الإيضاح » الى الطبع وبدأت بإعداد كتاب « اللامات » وأنا أسأل الله أن يمدني بعونه وتوفيقه لأنابع تحقيق سائر آثار الزجاجي فهي نعم الدخر في النحو واللفظ والأدب .

وهاكم نماذج عن كتاب « الإيضاح في علل النحو » وشرح مقدمة « أدب الكاتب » وكتاب « اشتقاق أسماء الله تعالى وصفاته المستنبطة من التنزيل وما يتعلق بها من اللغات والمصادر والتأويل » وكتاب « اللامات » للزجاجي :

مازن المبارك

( يتبع )



بسم الله الرحمن الرحيم وفيه أنسجهم  
 الحمد لله ذي المنن الجزيلة والعطاء الغلبة التي لا يسطوع انوارها ولا  
 تروكها فانيها وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين  
 صلواتهم . اعلم وفعنا الله وياك للترسان والهدى وحسنا  
 سبل القوام والركى كثر العتب المصنعة وفنون العلم كثر جدا  
 فلا تحك كل فرد من انفسهم في التالف في النوع الذي يجالونه فيه  
 حتى لو ان كل كتاب كانت الاخطاة ماضية من فرد واحد من  
 العلم اضع لعشر ذلك عليه ولم يسلح الا تسعة واثنا عشر  
 زمانا في لعله لم يكن الاخطاة ذلك حتى قضى على نفسه بانه لم  
 يمتد مصنف في ذلك الفزاد كان السلام يسقط عن محصور والفرح  
 مختلفة غير مؤلفة والاراء متباينة غير متسائلة كل يؤلف على  
 قسطه واختياره فيه ومجمله من ذلك العلم الذي يعاينه ويرى  
 منه التصفية منه علوا وافتداز عليه ومضاعفة وسلا  
 فيه او توشطن من هامن الميراثين ثم لم يبق له مع هذه اللقدمايت  
 التي كثر ان يكون كل من نظر في تصحيحه موافقا له قطعاً  
 ورايا واختيارا او مجالا من ذلك كل احد اخر من بطرقه مخالفا  
 له في ضرب من هذه الصروب او في اخبرها فيميلة عنه ما  
 نافرة منه الى ما الله وعرفه واذا كان قادرا به صحتا عند كل  
 ذي لب فيقول كل مستهد في عقله للناس ويعز من مقدار من  
 العلم للباين والوازنة يعز فيه بضيف كتاب في فرد من  
 فنون العلم الى فرد كتاب من جرد او من ان يتا بر على صفاة  
 طول عمره من حافيه وعقله ومجمله ويحمد نفسه في سمر ما ستره  
 الايام من حفي سراره وغامض اخباره لانه قل خلقه ذلك

كتاب الإيضاح في علل النحو للزجاجي

صورة وجه الورقة الثانية وفيها أول الخطبة

في سركيبه بغير حساب وجزر منج من الخال الحية  
 عليه واطية والالسة في الأفاصة في شمس معاجه أو محاسنه  
 هذا مع تقديرنا لاسماع عليه من محاملي ادخاله في طلبة العتبه  
 والوقوف على عوارض كان من غير الناس خافوا فلذلك  
 وسعنا تعلم ان اصدق الناس وانهم لم يسطروا بصيغته الا  
 نظر مضاده ومحا سحر رضى الله عز وجل في الامر السريه  
 من المتناقضه في العلم وطلب الرب العالميه ولزج الخلد عزدا  
 في حال الا طلب العلم من ربه فلهذا الى الاقيه من مطلوبه  
 نظيره عليه في العلم واعلا به اياه وعليه فان الهمة غاليه عليه  
 وهذا بات بطول جد او انا او ما ما اليه ليعلم بالاطرفه هذا الكتاب  
 انما نال هذا في تكميله وترتبه ونظيره واحساره خطاطوه  
 ومع ان خالنا اناه وقد كلفنا جميعه من مواقعه غير عابرين على سوال  
 سقه ولا نجد من علم بقدرته . وهذا كتاب انسانه من  
 علل النور خاصه والاهم حاجه وذكر اسرار وكتب المستطوعين  
 لطائفه وعواميه ذور الاصول لان الكتب البصيره في الاصول  
 كثيره جدا لزار كتابا اليه الغايه مفرد او على الترتيب منها  
 فيه جميعها واما يدكر في الكتب بغير الاصول التي ليس منها  
 مع جلوه اكثر منها . ونصير الى لعل نغدها بما سابل مجموعه مشهوره  
 من سائر الحدود . منها ما استخرجناه من كتب العلماء ونسبناه  
 وهذا العاطفه وفرنا . ومنها ما تلقناه من علمائنا رضي الله عنهم  
 تلقينا ومساهمة مثال يود عوده كتبهم ولا يوجد فيها الله ونها  
 مسابل خربت . بين العدم من سلف في مجالس اخبروا بها حسمنا  
 بها الكتاب ذا خير احذر ذلك ما من الصديق المحو في يومين

كتاب الإيضاح في علل النحو للزجاجي

صورة ظهر الورقة الثانية وفيها أول الخطبة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة على سيدنا محمد وآله وسلم  
 قال اخبرنا الشيخ ابو القاسم عبد الرحمن بن اسحق الزجاجي رحمه الله  
 قال لما بعد اجمع الله الادب مفاتيح ودرر الدنيا وكنزها وعصدها  
 اذلة العلم بامداد ايامك عزيزا محجورا وساموئيل المعنوطا فانه امر بالعلماء  
 وعلى غيرهم ينصرفون الى التوسل والاشارة بطلائع الخير عونها ومضيقها  
 يستخرجها السواعير مجله من العلم وهي احقر النعمان والرفعة في دهرهم وذكره  
 من صنف من اجله صنف من تلك الصفات على مور الايام وطلاول الارمان  
 نلقاه غابر عن سالف ونسلا وله الرواة وقلة الايام فربما بعد من في  
 لما انعم الله على من حسن رايب ومحبة من افضال والعلب في نعمها احسن  
 وفوق على حلال من صلاح في صوب من العلم غير انهم في من العلم الذي  
 ايجله وغيره من العلوم فربما ان اشج رسالة الكتاب الموصوف بالادب  
 الكتاب لابن هبة لانه ذكر فيه اجمل من الادب عدا واعرض عن سجعها صحتها  
 تسج فيها المقال وتيسر الضلال ففسرت ما تضمنت من اللغة باستفاضة  
 ومما تضمنت من المعاني وما تضمنت من سجعها فاقول ان منها اذاجحة  
 الكتاب اليه من معنى المصاير والاسم والاعمال والاعمال والاعمال  
 عن الماء والافعال من سجعها وحمل من النصارى وفست احبار الرسل  
 صلى الله عليه وسلم الى ذكره ولزمه في ذلك وصفها ما حاسنها ودارت  
 سعال الصلوات الذي حشاها غير المطبوعة واليد من حمل من الساجم  
 رضى من نظر فيها مما سواه وحيث جمع ذلك من جرائد الانعام  
 لغير حشوه وبخبر فليدركه والراجل حلا فقامت من سجعها حشوا  
 طريقا سبليله واسا باملاذرة او سبيل من الجوارح والاضايات  
 على ما دلوه للمنتظرين مع هذه الاسماء اجسرافهم واسرع افعا  
 من الكتاب المقصود بالرسالة ان سبيل الله تعالى وما الله بمؤمن

شرح مقدمة « أدب الكاتب » للزجاجي  
 صورة وجه الورقة الثانية وفيها اوله



قال ابن قتيبة أما بعد حمد الله جميع مجاميد النساء عليه ما هو عليه  
 والصلوة على سبط المصطفى وعلى آله وأصحابه وسلم فاستأذن سبيل  
 الأدب ما حسن ومن أشبه منطيرين ولاهله فاجزيت قال ابن قتيبة  
 أما حروف مصنف مع الشعراء ولا بد له من الجوار بالعارضة مع الشعراء  
 أما بعد فحسبهم وأما بعد الله فمن طار من فجع ما هذا إلا ليدلهم ومقدر  
 مما بعد الفاء قال سبويه منهما يعنى من شفع الله من طار  
 قال اسم الذي لم يمتصتر مما بعد الفاء ولا يجوز أن يطها إلا الاستمالة  
 ما تدعى جزو الجراء والعجل المحاركة ولا بد للعجل من فاعل فليدركها  
 الاستمالة والافعال فإن وقع بعد الفاء فاعل فاصت عمل والاستمالة  
 بعد أنما فحسبهم وأما بعد الله فاحسبهم قال الله عز وجل فاء  
 السبويه من فاعل وأما التماس ولا شعر : وفي كل خبر العرب أما الحركي  
 وهو من حصة من خبر من كان وما وذلك هو الذي أمالت من طار الاستمالة  
 معك وأمالت سائر أسير معك قال سبويه بعد من أن كان سائر  
 سبويه معك أي من حصة سائر أسير معك فموضع أن نصب معك  
 عليه ولا بد من شأن اللفظ والتميز وردت ما عومنا من حرف  
 الفعل ولا يجوز ما بعده إلا مفعول ما نرى فالحرف مفعول ما نرى  
 واستسبويه : أما حراسه أما أنت دافع فاقوى فمضى فاختلص الصنع  
 الصنع الشبه المحذوف السدده قال ابن قتيبة ما هذا ما عومنا من طار  
 الرمها ما عومنا من الفعل كانه قال ابن قتيبة أو صد أن كسب الفعل غيره  
 موضع ما لا بد منه وقال ابن قتيبة ما عومنا من حرف  
 فيها إلا ما أمالت سبويه وإن أطقت الفعل العرب أما ما عومنا  
 مميها وأمالت ما أمالت ما أمالت ما أمالت ولا يجوز حرف الفعل

شرح مقدمة « أدب الكاتب » للزجاجي

صورة ظهر الورقة الثانية وفيها أوله

## بسم الله الرحمن الرحيم

قال ابو القاسم سيد الرضين بن اسحق الزجاجي وقراء عليه السلام  
 الملك الحق سبحانه وتعالى والجلال والاعزة والعظمة والسلاطنة  
 الحكيم القديم الاصل الفهم الصمد العليم ذي الاسماء الحسن  
 والصفات العلى الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدا خالق الخلق  
 بعدة ومصرته على ارادته ومقتيه عند انقضاء مدته اهلا  
 على ما ابقى وانعم واروى واسئله العزت على طاعته والودع <sup>محب</sup>  
 ويرضى وصلى الله على سيد المرسلين وافضل النبيين محمد  
 وآله الطيبين الطاهرين هذا الكتاب اقره ته لشرح استقام  
 اسماء الله عز وجل وصفاته المنيرة في الاثران من اجسامها  
 دخل الجنة حسب ارواها اهل العلم واستب طوها بعد  
 الرواية بنواهد من كتاب الله عز وجل فاستخرج من ما فيه  
 من يعارض فيها شك ولا يحتاج في الصد ويدفع في استقام  
 بها على ما ذهب اليه العلماء بالغة العارفين باساليب  
 علومهم العرف واستغناء وقصا يفيد غير عارل محض مدد صلب  
 العرب في ذلك فاصتوا فتم الكتاب بالفرق بين اسم والفت  
 ووجه الفت في طر العرب ومحامى صفات الله عز وجل  
 ومنه من ومنه من تكلم بالاستغناء ومنه من تكلم

كتاب اشتقاق اسماء الله تعالى وصفاته المستنبطة من التنزيل  
 وما يتعلق بها من اللغات والصادر والتأويل للزجاجي  
 صورة وجه الورقة الثانية وفيها خطبه

والآل عليه وآله التوفيق فهو مسباوهم الوكيل عدنان بن عبد الله  
الحسين بن محمد الرازي الفقيه قال حدثني أبو بكر محمد بن محمد الرازي  
قال حدثني أبو الفضل عبد الرحمن بن حمزة العقيلي بمصر قال  
حدثني حبان بن نافع بن مخمر بن مويبة قال قال حدثني سفيان بن  
أبي الزناد عن الأصم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله  
عليه وسلم قال إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا من أحصاها  
دخل الجنة قال حبان فحدثني داود بن عمير عن قبل المكي قال سألتنا  
سفيان أن يملأ علينا التسعة والتسعين اسما التي لله عز وجل من  
فوقنا أن يرحمها لنا فلما أبقا علينا اثنا أبانيد فاملأ علينا هذه  
الاسماء فأتينا سفيان فعرضنا لها عليه فخطبها أربع مرات فقال  
هي هذه فقلنا له اقرأها علينا فقراها علينا سفيان فأتته المكتبة  
يا الله يا رب يا من يا هيم يا مالك وفي القوة ستة وعشرون اسما  
يا محيط يا قدير يا عليم يا قارب يا حكيم يا بصير يا واسع يا بديع يا سميع  
يا قوي يا قوي يا شاك يا الله يا واحد يا غفور يا عليم يا قاهر يا باسط  
يا لا اله الا هو يا حي يا قيوم يا حي يا عظيم يا قوي يا غني يا صمد يا ذا  
الجلال يا قاهر يا قاتم يا قهار يا بديع يا خبير وفي النساء ستة أسماء  
يا رقيب يا حسيب يا شهيد يا معز يا منقذ يا قدير وفي الخلق ثمانية أسماء  
يا باطن يا ظاهر يا قدير يا لطيف يا خبير وفي الاعيان ثمانية أسماء

كتاب اشتقاق أسماء الله تعالى وصفاته المستنبطة من التزويل  
وما يتعلق بها من اللغات والمصادر والتأويل للزجاجي  
صورة ظهر الورقة الثانية وفيها خطه

کتاب اللامات للزجاجی

صورة وجه الورقة الثانية وفيها خطبة الكتاب وأوله



# نظرة في معجم المصطلحات الطبية

الكثير اللغات

المذكور ١٠ ل ٠ كليفيل

نقله الى العربية الأساتذة سرمد خاطر وأحمد حمدي الحياط  
ومحمد صلاح الدين الكواكي  
( لجنة المصطلحات العلمية في كلية الطب من جامعة دمشق )

- ٤ -

رقم المصطلح	رقم المصطلح
1132	Arthropathie nerveuse tabétique
1135	Arthrose, Arthropathie dystrophique dégénérative ou déformante

وأفضل أن يقال: اعتلال المفصل التابي<sup>(١)</sup> .  
فُقاس ما سرق، داء مفصلي  
حتلي متدن أو مشوّء -  
و ( Dégénération ) بفساد .

ويعني بـ ( Arthrose ) التبدل الطارئ على أحد المفاصل بسائق الشيخوخة  
والمزم . وترجمه مجمع اللغة بداء المفصليات ، وترجم Deptrophie بستقل  
و ( Dégénération ) بفساد .

و درج كاتب هذه السطور على ترجمة الكاسعة Ose بتنكس كما هو الواقع  
النشريحي في هذه الفئة من العلال فيكون ترجمة ( Arthrose ) تنكس  
(١) سميت الملاحظة على كلمة تابس و Arthropathie الأولى في الصفحة ٩٨ من  
الجزء الأول من المجلد الرابع والثلاثين ، والثانية في الصفحة ٤٧٨ من الجزء  
الثالث من المجلد نفسه ،

المفصل ، ثم اعتلال المفصل (Arthropathie) بسوء التغذية (Dystrophie) التنكسي (Dégénération) أو المشوه ، وهي الترجمة الكاملة لما جاء في كتاب هذا المصطلح .

أما ما جاء في ترجمة اللجنة : ففاس فقد جاء في اللسان الفقاس داء شبيه بالتشنج ولا أراء يفيد المعنى المطلوب وكذلك كلمة مَرَقَ ففي اللسان أيضاً وَمَرَقَ الشيءَ مَرَقًا خَفِيًّا ، وَمَرَقَتْ مفاصلُهُ وانسَرَقَتْ ضَعُفَتْ . وأما حَتَلْ وَسَعَلْ<sup>(١)</sup> كلاهما يدل على سوء الغذاء وحري بأن يخصص بما يعرض للرضع من ضعف وهزال من سوء الغذاء . ولا أظن التنكس إلا أفضل من التدني والفساد<sup>(٢)</sup> في ترجمة (Dégénération) .

١١٤٧ فَحْشَخ ، مفصل ارتفاقي - Articulation de poli-chinelle, amphiarthrose 1147

وسقط في الطبع من الأصل الفرنسي كيتان لم تنبئه اللجنة اليها . في الأصل : Art. ballotante de polichinelle amphiarthrose, articulation mixte

وتكون الترجمة لهذا المصطلح بكامله : مَفْصِلُ خِيَالِ الظل<sup>(٣)</sup> المميز

(١) فقد جاء في اللسان الحَتَلْ سوء الرضاع والحال ، وقد احتلته أمه والمُسَعَلْ الشيء الغذاء إلى أن قاله احتلكت الصبي إذا أساءت غذاءه وأحتله الدهر أساء حاله . أما سَعَلْ فقد جاء في اللسان أيضاً السَعَلُ الدقيق القوائم الصغير الجثة الضعيف والاسم السَعَلُ ، والسَعَلُ والوَغِيلُ الشيء الغذاء المضطرب الأعضاء الشيء الخُلْدُ يقال صبيٌّ سَعَلٌ يَتَن السَعَلُ .

(٢) في اللسان التَنَكُّسُ قلب الشيء على رأسه ، وقال وقوله تعال : ومن مُعْبِرُهُ مُتَنَكِّسُهُ في الخُلُقِ معناه من أطلنا عمود تَنَكَّسْنَا خلفه نصار يدل القوة ضعفاً وبدل الشباب هرمًا . وفي اللسان أيضاً والمدنسي من الناس الضعيف الذي إذا آواه الليل لم يَبْرَحْ ضعفاً .

(٣) (Polichinelle) عُرِفَ بِخِيَالِ الظل وتدعوه العامة في ديار الشام كراكوز وفي مصر أراجوز وكلاهما تصحيف لكلمة قره كوز التركية ومناها العين السوداء .

المفصل المزدوج ، المفصل المختلط . أما الفَخْنُ فقد جاء في القاموس المحيط :  
الفَخْنُ استرخاء الرجلين كالْفَخْنِ والفَخَّة . ولا أراها نفيد المعنى المطلوب  
والمفصل الارتفافي أفضل منها .

1156 Arythmie عدم اساق 1156

والمشهور هو عدم الانتظام وإن شئت اللا انتظام ، وهو ما نراه في كتب  
الأقدمين الطبية<sup>(١)</sup> أيضاً كما أن مجمع اللغة أقر عدم النظم ونشوز النظم .

1158 Arythmie perpétuelle, عدم اساق دائم 1158  
delirium cordis ثم هذيان قلبي

والأصح أن يقال عدم الانتظام الدائم وهذيان القلب بسبب حركته اللا نظامية ،  
وقد يفهم من هذيان قلبي هذيان من منشأ قلبي .

1162 Ascaride lombricoïde ، حَيَّة البَطْن ، صَقَر 1162  
دودة خراطيمية

وأقر مجمع اللغة اسكارس لمبريكويد والصفر الخراطيني .  
وعندي أن يقتصر على اسكارس . فقد جاء في اللسان : والصَقَر داء  
في البطن يصفر منه الوجه والصفر حَيَّة تلزق بالضلوع فتعضها الواحد والجميع  
في ذلك سواء وقيل واحده صَقَرَة وقيل الصَقَر دابة تعض الضلوع  
والشراسيف ، وقيل الصَقَر حَتَّش البطن . أقول ونحن في غنى عن هذا  
كله باقتصارنا على اسكارس أو اسكاريد ، ولا صلة بين هذه الديدان  
وصنف الحيات .

(١) قانون ابن سينا الفن الثاني الفصل الأول كلام كلي في النبض الصفحة ٦٤ من  
طبعة روما . وكذلك في الصفحة ٢٦٣ من الجزء الأول من كامل الصناعة  
للجوسي .



1165 Ascite, hydropéritoine (سقي (سائل الجن) ١١٦٥

استسقاء الصفاق

وأفر مجمع اللغة استسقاء لكلمة (Ascite) . والأفضل أن تخصص كلمة استسقاء بـ (Hydropisie) أو (Anasarque) شأن ما عملته اللجنة . أما الصفاق فقد تقدم ترجيحي تخصيصها بـ (Aponévrose) <sup>(١)</sup> .

1172 Asile d'aliénés مأوى المجاذيب ١١٧٢

ونقدمت ملاحظتي على المجاذيب <sup>(٢)</sup> وأرجح أن يقال مأوى أو ملجأ المجانين .

1184 Assainissement تصحيح ١١٨٤

وأرجح أن يقال اصلاح صحي .

1200 Assourdissement des bruits اصمام الأصوات ١٢٠٠

والأرجح اصمام المدقنين أو خففتها إذا كان الأمر متعلقاً بالقلب <sup>(٣)</sup> .

1202 Assurance contre les تأمين ضد الطوارئ ١٢٠٢

accidents du travail اعتماد ضد الطوارئ

وأفضل أن يقال تأمين ضد الإصابات .

1205 Astasie غَيْف (عدم القدرة على الوقوف) ١٢٠٥

وأفر مجمع اللغة العجز عن الوقوف . والأفضل أن يقال لا وقوف قياساً على ما تقدم في المصطلح ذي الرقم ٧ <sup>(٤)</sup> . لأن المصاب بهذا الخلل لا يستطيع الوقوف بينما حر كات رجله تبقى صحيحة .

(١) الصفحة ٤٧٥ من الجزء الثالث من المجلد الرابع والثلاثين .

(٢) الصفحة ٣١٥ من الجزء الثاني من المجلد الرابع والثلاثين .

(٣) الصفحة ٣٠٥ من الجزء الثاني من المجلد الرابع والثلاثين في اللفظة ذات الرقم ٦٩ .

(٤) الصفحة ٣٠٢ من الجزء الثاني من هذه المجلة ( المجلد الرابع والثلاثون ) .

أما التغيّف وقد جاء على وزن فَعَلَ الوزن الذي اختارته اللجنة للدلالة على المرض بالاشتقاق من تغيّف فقد جاء في اللسان تغيّف تَبَخْتَر ، وتغيّف مشي مشيئة الطّوال ، وقيل تغيّف مرّاً مرّاً سهلاً مربباً وتغيّف الفرس اذا تمطف ومال في أحد جانبيه . ولا أرى في هذه الكلمة ما يفيد معنى ( Abasie ) .

١٢٠٥ رَجَز ، خَطَرَان بنقص Astasie - abasie, 1205  
الاتظام الانطلاقي ataxie par défaut  
de coordination automatique

وأقر مجمع اللغة كلمة فُعَاد<sup>(١)</sup> .

وأرجح أن يترجم هذا المصطلح بلا خطو ولا وقوف والأناكسيا بنقد الانسجام التلقائي .

أما الرَّجَز فقد جاء في اللسان داء يصيب الاول في اعجازها ، والرَّجَز أن تضطرب رجل البعير أو فخذه اذا أراد القيام او ثار ساعة ثم تنبسط ، والرَّجَز ارتعاد يصيب البعير والناقة في أخذهما ومؤخرهما عند القيام .  
وأما الخطَرَان ففي اللسان: خَطَرٌ يَخْطُر اذا تبختر، والخَطِرُ والخَطَرَان عند الصولة والنشاط وهو النصول والوعيد .

ولا أرى في كليهما دلالة على معنى اللفظة المذكورة .

١٢١٥ رَبُو تَجَاوِي Asthme allergique 1215  
أقول رَبُو آلبرجياي<sup>(٢)</sup> .

١٢١٦ رَبُو قَلْبِي Asthme cardiaque 1216

(١) الصفحة ٣٠٢ من الجزء الثاني من المجلد الرابع والثلاثين ، وقد تقدم فيها وأي كاتب السطور في هذه الكلمة .

(٢) الصفحة ٣١٨ من الجزء الثاني من المجلد الرابع والثلاثين .

وأرجح رَبَوُ فَلَابِي نسبة الى القلاب وهو علة القلب ، لأن هذا النوع من الربو يبدو في المقلوب ( العليل بعله قلبية ) .

- ١٢١٨ رَبَوُ الحشائش ، حمى Asthme des foins  
الحشائش ، زكام الحشائش fièvre des foins  
rhume des foins

أقول رَبَوُ الكَلَا ، حمى الكَلَا ، زكام الكَلَا . فقد جاء في اللسان الكَلَا العُشْب رَطْبُهُ وبَابِهِ ، وهو المقصود هنا لأن هذا النوع من الربو الآلبرجياتي منه ما يتأق عن الرَطْب من الكَلَا ومنه ما ينجم عن يَابِسِهِ .

- ١٢٢١ رَبَوُ عَرَضُ رَبَوُ مَوْح Asthme symptomatique  
أقول رَبَوُ عَرَضِي ، رَبَوُ كَاذِب <sup>(١)</sup> .

- ١٢٢٣ حَرَجُ البَصَرِ Astigmatisme, astigmie  
وأقر بجمع اللغة الابورية والاستجدية معرفة . وهو خلل في طبقات العين من شأنه أن يجعل ارتسام المرئيات على الشبكة لا يتم بشكل قطعي بل بشكل خطي ، مما يجوز استعمال الابورية على هذا الخلل .

أما حَرَج <sup>(٢)</sup> البصر فلا أراه بفي بالمعنى المذكور فقد جاء في اللسان : وَحَرَجَتْ عَيْنُهُ فحَرَجُ حَرَجاً أي حارت ، وقيل معناه أنها لا تنصرف ولا تَطْرَف من شدة التَظَرُّر وقال الحَرَجُ أن ينظر الرجل فلا يستطيع أن يتحرك من مكانه قَرَقاً وَغَبْظاً .

(١) الصفحة ٤٦٩ من الجزء الثالث من هذه المجلة ( المجلد الرابع والثلاثون ) في اللفظة ذات الرقم ٧٣٤ .

(٢) أراه في ضبط هذه اللفظة غلطاً مطبعياً لم تنبه اللجنة الى تصويبه إذ لم أفتقر في اللسان ولا في التاج إلا قوله وحَرَجَ الرجل أنياه يجرُّها حَرَجاً حَكَ بعضها الى بعض من الحرَد .

1232	Ataxique	مُتَهَزِّع ، هَزَعي	١٢٣٢
1233	Ataxie	هَزَع ، اضطراب الحركة	١٢٣٣

وأقر مجمع اللغة بتحليل لكلمة ( Ataxie ) •

أقول ان الترجمة اللفظية لهذا المصطلح هو اللانظام أو عدم الانتظام ، وتطلق على الاضطراب البادي في حركة العضلات في الطرفين العلويين أو السفليين . وقد درجت على استعمال أناكسيا • أما تحليج فقد جاء في اللسان : وتحليج المجنون في مشيته تجاذب بيناً وشمالاً والمجنون بتحليج في مشيته أي يتأبل كأنما يجذب مرة بمئة ومرة بسرة ، وتحليج المفلوج<sup>(١)</sup> في مشيته أي تفكك وتمايل وتحليج في المشي مثل التخلع • فالتحليج إذن خلل خاص بالمشية وذو صلة بالطرفين السفليين بينما الأناكسيا ينبغي أن تشمل اضطراب الحركة في عضلات الطرفين العلويين والسفليين على السواء •

وأما التمزع فقد جاء في اللسان أيضاً التمزع والتمزع الاضطراب ، تمزع الرحم اضطرب واهتز واهتزاع اقناة والسيف اهتزاهما اذا هزأ ، وتمزعت المرأة اضطربت في مشيتها • أقول واذا دلّ التمزع على الاضطراب في الحركة فلا أراه يفي بالمعنى المقصود من أناكسيا •

1234	Atélectasie, état	مُحْمُود الرئة ، حالة جنبية	١٢٣٤
	foetal du poumon,	لرئة ، ذات الرئة الهامشية	
	pneumonie marginale; apnematosis		

(١) ودرج كاتب السطور عن استعمال التحليج في المشية أو المشية التخلفية كدلالة على ( Démarche en fauchant ) وهي المشية البادية في المفلوج •

وأقر مجمع اللغة لا تمتد ترجمة لـ Atélectasie ، ودرجت على استعمال كلمة  
 النخخاص<sup>(١)</sup> فأقول في ترجمة هذه الألفاظ : النخخاص ، حالة جنبينية للرئة ،  
 ذات الرئة الهامشية والالارئوية ( وقد أهملت اللجنة ترجمتها ) .

١٢٣٩ 'فَنُور ، لا سَعْتَرِيَّة Athymie 1239

وأرجح أن يقال لا شعور ولا نوتة . فالكلمة الأولى هي الترجمة الحرفية  
 لـ ( Athmie ) في معناها الأول . أما إطلاق الغدة السَعْتَرِيَّة عن ( thymus )  
 فلا أظن الكلمة مشتقة من السعتر ، وهي النوتة وقد أقر مجمع اللغة هذه الكلمة .

١٢٨٤ غير مثالي Atypique 1284

وأرجح لا نموذجي .

١٣٠٩ خُجج ذاتي Autoinfection 1309

وأرجح أثنان ذاتي وعنونة ذاتية<sup>(٢)</sup> .

١٣٣٦ داء لا حَيَمِينِي Avitaminose 1336

أقول عَوَز الفيتامين ولا أرى لزوماً لاستعمال حَيَمِين عوضاً عن فيتامين  
 الكلمة الدارجة في جميع اللغات .

(١) في اللسان : والخمَص -خاصة البطن وهو دتة خَلَقَتَهُ ورجل مُخْصان ومُخِص  
 الحشا أي ضامر البطن إلى أن قاله واتخَص الجُرْحُ واتخَص الجُرْحُ وخَص الجُرْحُ يَخْصُصُ  
 مُخْرِصاً والمخَص بالحاء والحاء ذهب ورمه كعَمَص والمخَص .

(٢) الصفحة ٩٥ من الجزء الأول من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

حرف B

1383 Bacille du charbon عَصِيَّةُ الْجَمْرَةِ الْمُشَوَّمة symptomatique ١٣٨٣

وأرجع عَصِيَّةُ الْجَمْرَةِ العَرَضِيَّةُ مَا دُمْنَا نَطْلُقُ العَرَضَ عَلَى ( Symptome ) .

1384 Bacille diphtérique عَصِيَّةٌ غِشَائِيَّةٌ ( عَصِيَّةٌ ١٣٨٤  
كَلْبِس - لُوفَلِر ) ( de Klebs - Loeffler )

وأرجع عَصِيَّةٌ دِفْتِيرِيَّةِيَّةٌ أَوْ خَانَوِيَّةٌ ، وَأَنْ نَخْصُصَ غِشَاءَ التَّرْجَمَةِ  
( Membrane ) .

1386 Bacille pseudodiph- عَصِيَّةٌ مُشَبِّهَةٌ بِالْغِشَائِيَّةِ ، عَصِيَّةٌ ١٣٨٦  
térique شَبْغِشَائِيَّةٌ

وأرجع عَصِيَّةٌ دِفْتِيرِيَّةِيَّةٌ كَاذِبَةٌ .

1397 Bacille du rouget عَصِيَّةٌ حَصَّةُ الْخِنْزِيرِ ١٣٩٧  
de porc

وَالصَّحِيحُ عَصِيَّةٌ حُمْرَةُ الْخِنْزِيرِ لِأَنَّ الْأَمَمَ النَّفِي لِهَذِهِ الْعَصِيَّةِ هُوَ  
( Bacillus legripelas mès )

1409 Bacilles anaérobies عَصِيَّاتُ التَّدْعُصِ اللَّاهَوَائِيَّةِ ١٤٠٩  
de la putréfaction

( والمُولَدَةُ لِلْغَازِ ) . ( provoquant la formation de gaz )

وأرجع عَصِيَّاتُ النِّفْسِ اللَّاهَوَائِيَّةِ بِاعْتِبَارِ التَّنْفِيسِ كَلِمَةً دَارِجَةً وَمَعْرُوفَةٌ .

1415 Bacillus botulinus عَصِيَّاتُ نَقَانِيَّةٍ ١٤١٥

وَأَفَرُّ مَجْمَعُ اللَّفْسَةِ بِأَسِيلِ التَّسْمُمِ الْحَبَارِيِّ ، بِأَسِيلِ التَّسْمُمِ اللَّقَاتِقِيِّ .

وَدَرَجَتْ عَلَى اسْتِعْمَالِ التَّسْمُمِ الْوَشْبِقِيِّ تَرْجَمَةً لِرَ ( Botulisme ) وَهُوَ الْإِنْسَامُ  
الْإِنْسَامُ النَّاجِمُ عَنْ أَكْلِ اللَّحْمِ الْمَقْدَّدَةِ ( الْمُحْفُوظَةِ ) . فَقَدْ جَاءَ فِي اللِّسَانِ :

الْوَشِيقُ وَالْوَشِيقَةُ لحمُ يُغلى في ماءٍ مالح ثم يُرفع ، وقيل هو أن يُغلى إغلاوةً ثم يرفع وقيل يُقدَّد ويحمل في الأسفار وهي أبقي قديد .

١٤١٨ عُصَيَات خازية Bacillus oedematiens 1418

وأقر مجمع اللغة لهذه اللفظة باسيل اوديمي . والوَدَمَة كلمة شائعة تعريب (Oedeme) استعملت في الكتب القديمة وأرجح ابقائها فأقول عصيات موزمة .

١٤٢٠ عُصَيَات سُومِيَّة Bacillus prodigiosus 1420

وأقر مجمع اللغة الباسيل العجيب . لأن المعروف عن (Prodigieux) أنه العجيب أو الخارق للعادة وللطبيعة ولا أظن أن لهذه الكلمة من صلة بالسوم . لهذا أرجح أن يقال العُصَيَات العجيبة .

١٤٣٢ مُثَبِّتَةُ الجراثيم Bactériostatique 1432

وأرجح مَوْقِفَةُ الجراثيم ، لأن من شأن هذه الفئة من العقاقير أن توقف نمو الجراثيم وتكثرتها لا أن تثبتها ، والتثبيت يخص لـ (Fixation) .

١٤٨٥ داء الزَقِيَّات Balantidiose (balantidiase) 1485

وأقر مجمع اللغة معرباً هذه اللفظة بالبالاتيديه وهو الأرجح .

١٥٣٢ لَحْيَةُ البَال ، بَال Barbe de baleine, baleine 1532

وأرجح أن يقال ريش الحوت أو البال اذا جئنا الى التعريب والمقصود من هذه اللفظة كما جاء في معجم لاروس النهايات الدقيقة من الصفحة القرنية البادية في فم الحوت والتي تتخذها لضبط صغار السمك . وجاء في الترجمة الانكليزية لهذه اللفظة (Whobbom) ومعناه عظم الحوت وفي الألمانية (Féochbèn) ومعناه عظم السمك .

١٥٤١ سد المائع الدماغى Barrière encéphaloliquidienne 1541

وأرجح العائقة الدماغية السائلة .

١٥٥١ أسمر الى السواد Basané 1551  
أرجح أَسْمَر . ففي اللسان والشُعْرَة والسَّعَر لون يضرب الى السواد  
فَوَيْقِ الأدمة ورجل أَسْمَر وامرأة سَعْرَاء ، وجاء في ترجمة اللفظة الانكليزية  
(Sunburned) وهي الوَمْجَة فقد جاء في اللسان أيضاً الوَمْجَة الأثر  
من الشمس .

١٦٢٩ هُزال رُزِّي Béri - béri, Kakke 1629  
وأقر بجمع اللفظة البري ، وتشير هذه اللفظة الى علة مردها الى عَوَز  
الفيتامين ب ، وقد يفهم من هُزال رزّي أن أكل الرز هو الباعث عليها  
وصلتها بالرز هو من الاقتصار على الغذاء به وخلوه من هذا النوع من الفيتامين  
لبس إلا .

١٧١٣ (٤) حصار الشجرات Blocage des arborisations (4) 1713  
وأفضل حصار الغصينات .

١٧٥٦ انسام بالبَحْص ، انسام فصيدي Botulisme, allantiasis 1756  
وأرجح الانسام الوَشْبِي أو الانسام بالوشيق ( ينظر الى ماورد في اللفظة  
ذات الرقم ١٤١٥ آنفاً ) بعد أن سبق للجنة أن استعملت الانسام النقاقي في  
ترجمة تلك اللفظة .

أما البَحْص فلا أراه بفي بالمراد <sup>(١)</sup> وكذلك الفصيد <sup>(٢)</sup> .

(١) في اللسان : البَحْص في الدين لحم عند الجفن الأسفل ، والبَحْص لحم  
القدم ولحم يورسين البعير ولحم اصول الاصابع مما يلي الراحة . إلى أن قال :  
هو لحم يخالطه بياض من فساد يحل فيه قال سما يدل على ان اللحم خالطه  
الفساد . اقول وهذا لا يدل على انه اللحم المقدد والمحافظة شأن الحال في  
كلمة الوَشيق .

(٢) في اللسان : والفصيد دم كان يوضع في الجاهلية في معى من قصدير عرق البعير  
ويشوى وكان أهل الجاهلية يأكلونه ويطعمونه الضيف في الأزمة .



1759 Bouche d'égout صُنْبُور ١٧٥٩  
وأرجح الكُورِيَّاس ، ومدلول اللفظة الفرنجية المجرى أو الفتحة البادية في  
الشوارع والمتصلة بالكثيف (السياق) وعلى ذلك كانت الترجمة الانكليزية لهذه  
اللفظة (Street - grelly) وترجمتها مجرى الشارع وكذلك اللفظة الألمانية  
(Strossen eimlauf) أيضاً .

فقد جاء في اللسان : والكُورِيَّاس الكثيف ، وقيل هو الكثيف الذي  
يكون مُشرفاً على سَطْح بقناة الى الأرض . أما الصنبور فقد جاء في اللسان  
فم القناة (دون أن تخصص بالكثيف وربما كانت القناة الرمح أو العصا) ،  
كما أن لهذه الكلمة معانٍ عديدة أخرى .

1781 Bouffée de chaleur هُبُوب ١٧٨١  
وأرجح هَبِيب الحرارة أو فورتها . وهو ما تشعر المرأة القاعد<sup>(١)</sup> من حس  
الحرارة المبالغت بين حين وآخر في بدء انقطاع طمثها ويعرف بين العامة  
بـ (الهبله والهبلات) . وهي ثورة من الحرارة تدوم مدة قصيرة .  
ولم أجد في الهُبُوب<sup>(٢)</sup> ما يدل على هيبب الحرارة المذكور .

(١) يجمع اللفه وفي اللسان : وقَمَعَت المرأة عن الحيض والولد تَقَعُد مُقَوِّداً  
وهي قاعد القطع عنها واجمع قواعد .

(٢) في اللسان : الهَبَاءُ التراب الذي تطيره الريح ، وما دَقَّ من التراب ، وهبا  
الرماد يهبو احتلظ وحمَد ، إذا سَكَنَ لهَب النار ولم يطفأ تجرأ قيل  
سَخَدَتِ اِنْ طَفِئَتِ البتة قيل سَهَدَت ، إذا صارت رَمَاداً قيل هبا يهبو وهو  
هابٍ ، الى أن قال الهَبَاءُ في الأصل ما ارتفع تحت سنابك الخيل ، والنهي  
المُنَبِّه الذي تراه في ضوء الشمس فشبها اتباعه الى أن قال الهَبُوبُ الظلم .

- 1808 Boule émotive أو لُقْمَة هَرَعِيَّة ١٨٠٨  
ou hystérique ,  
كرة هَرَعِيَّة globe hystérique  
أقول لُقْمَة انفعالية أو لقمة هستريائية ، كرة هستريائية <sup>(١)</sup> .
- 1811 Boulimie, fringale سَعَار ، ضَوْر ١٨١١  
وأرجح أن يقال بوليميا تعريباً أو الشهوة السكبية .  
فدلالة اللفظة الشعور بالجوع الشديد الذي لا يشبع به المصاب شأن ما يبدو  
في بعض العمال العصبية الخفية والنفسانية .
- وافترض مجمع اللغة الاستجاعة ( الجوع البقري ، الجوع السكبي ) هذا ولا  
شك أن السعار والضور كلاهما بفضل على الاستجاعة ، إلا أن الأمر لا يتعلق  
في الحقيقة بالجوع الحقيقي بل الأمر جوع كاذب والأحرى شعور بالجوع  
لا يستند الى أساس يبرره ، لذا أرجح الشهوة السكبية وبوليميا ، اللفظتين  
اللتين استعملهما من القديم أطباء العرب في مؤلفاتهم <sup>(٢)</sup> .
- 1894 Bruit cardiaque صوت قلبي ، نغمة قلبية ١٨٩٤  
souffle cardiaque  
وأرجح دقة القلب <sup>(٣)</sup> ، نغمة قلبية .
- 1896 Bruit clangoreux صوت رنّان معدني ( في ١٨٩٦  
التهاب الوتين المزمن )

(١) ينظر الى الصفحتين ٣٠٠ و ٣٠٥ من الجزء الثاني من المجلد الرابع والثلاثين  
من هذه المجلة .

(٢) الجزء الأول من كامل الصناعة ٢٣٥ والكتاب الثالث من قانون ابن سينا  
الصفحة ٢٣٩ ( فصل في الجوع واشتداده وفي الشهوة السكبية ) .

(٣) الصفحة ٣٠٥ من الجزء الثاني من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة في  
اللفظة ذات الرقم ٦٩ .

ودرجت على استعمال اللفظة المَذَوِيَّة ما دام الأمر عائداً للقلب مترجماً  
(Clangor) بالدَوِيّ وتاركاً الرنين والرنف لترجمة (Résonance) شأن  
ما فعلته اللجنة في ترجمة هذه اللفظة (رقم ١١٧٦٤) .

١٩٠٦ صوت الطاجن المشقوق Bruit de pot fêlé,  
صوت معدني bruit métallique

وأرجح صَوْتُ الحَقِّ المشقوق ، صوت معدني ، لأن اللفظة تشير الى الصوت  
الصادر عن الحَقِّ الآتية المصنوعة من الفخار .

### حرف C

١٩٣٣ مرئحاض باقى فيه التراب النحيمي آلياً Cabinet auto-  
matique à la tourbe

وأرجح 'مَجْرُةُ التراب البلقائية لتخصيص المرئحاض لبث الخلاء .

١٩٣٤ 'غرفة معاينة Cabinet de consultation  
وأرجح غرفة الاستشارة .

١٩٣٩ حارِض ، حَرَضِي Cachectique

١٩٤١ حَرَض Cachexie

وأفر مجمع اللغة الدَّف وهي الكلمة الشائعة بين الاطباء ، لذلك أرجح  
إبقاءها ، فأقول في اللفظة الأولى دَنَفِي وفي الثانية دَنَف .

١٩٤٣ حَرَض سِلْمِي ، حَرَض الانحداد Cachexie stru-  
miprive, c. thyreoprive  
الدرقي ، خرب مخاطي بضعي myxœdème opératoire

وأرجح دَنَف سِلْمِي ، دَنَف حَرْمَان الدرق ، وَذَمَة مخاطية بضعية .

١٩٦١ 'بنين ، مثلث التيل كزانين Caféine, triméthylxanthine

وأرجع تعريب اللفظة فأقول كافئين أو كفتين شأن ما أفرد مجمع اللغة ، ونرى مثيل كزانتين ترجيحاً أو مثيل كزانتين الثلاثي .

١٩٨٠ Calcium (carbonate de) ، فحمات الكالسيوم ، انظر طباشير مهياً  
1980 carbonate de chaux الكيلس ،  
وأرجع كربونات الكلسيوم وكربونات الكيلس .

٢٠١٤ حرّة ، صُحر Calorie  
2014 وأفر جمع اللغة السُحور وأرجع تعريب اللفظة فأقول كالوري أو كالوريا .

٢١٢٩ صفة غالبية ، طبع غالب Caractère dominant  
2129 ودرجت على استعمال صفة سائدة .

٢١٣٠ صفة غالبية أو حاكمة في مرض Caractère prédo-  
2130 minant d'une maladie  
وأرجع هنا الصفة الراجعة في مَرَض .

٢١٣١ صفة مكوّنة ، طَبِيع مكوّن Caractère récessif  
2131 وأفر جمع اللغة صفة قَهْرِيه ودرجت على ترجمة ( récessif ) بمتقهقر  
فأقول صفة متقهقرة .

٢١٣٢ صفة شقية ، طَبِيع شقي Caractère sexuel  
2132

٢١٣٢ صفة شقية بدئية Caractère sexuel primaire  
2132

٢١٣٢ صفة شقية ثانوية Caractère sexuel secondaire  
2132

وأفر جمع اللغة صفة جنسية وهي اللفظة الشائعة بين الناس

٢١٣٣ فحات التوتياء الطبيعية ( مشوبة ) Carbonate de  
2133 zinc naturel ( impur )  
وأرجع كربونات الزنك الطبيعية ( مشوبة ) .

- 2135 Carbone ٢١٣٥ فحم  
وأرجح كربون تعريباً تاركاً فحم لـ (Charbon) .
- 2153 Cardia ٢١٥٣ 'سدفة'  
والمعروف عن اللفظة الفرنجية انها تعني فؤاد المعدة أو الفؤاد ، وهذا ما أقره  
بجمع اللغة وكتب التشریح قديماً وحديثها نستعمل كلمة فؤاد وهي الفوهة الكائنة  
بين المريء والمعدة ، ولم أجد في كتب اللغة التي بين يدي ما يشير الى أن  
السدفة تعني فؤاد المعدة .
- 2157 Cardiopathie ٢١٥٧ 'مرض قلبي' ، 'فُلاب'  
وأرجح اعتلال قلبي<sup>(١)</sup> تاركاً 'القلب' لـ (Maladie cardiaque) .
- 2158 Cardio - thyroïse ٢١٥٨ 'فُلاب درقي'  
وأرجح انسداد درقي قَلْبِي ، لأن خلل القلب يتأق عن الانسداد الدرقي  
لامن الغدة الدرقية بجذ ذاتها .
- 2161 Carence ٢١٦١ فاقه  
وأرجح عَوَز .
- 2161 Carence alimentaire ٢١٦١ فاقه غذائية  
عَوَز غذائي .
- 2261 (2) Carence en protéines ٢١٦١ (٢) بنفاقة الهيوولينات (داء)  
(maladie par)  
أقول داء عوز البروتينات .

(للبحث صلة)  الدكتور حسني سبيع

(١) الصفحة ١٧٨ من الجزء الثالث من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة  
في اللفظة ١١٣١ .

# کتاب النفس

لابن باجة الأندلسي

- ۸ -

## الفصل العاشر

### القول في قوة التخيل

والقوة التخيلية هي التي تدرك بها معاني المحسوسات <sup>(۱)</sup> . وقد اضطرب بالناظرين نظرم فيها . فمنهم من رآها حساً <sup>(۲)</sup> ، ومنهم من رآها ظناً <sup>(۳)</sup> ، ومنهم من حكم عليها بأنها مركبة من رأي وحس <sup>(۴)</sup> ، وبين أن هذه القوة ليست واحدة من القوى ولا مركبة منها <sup>(۵)</sup> . لأن <sup>(۶)</sup> ما يصدق على واحدة منها بالكل

(۱) راجع أرسطو : Arist. : De An. III. 3. 427 a 17; II. 12. 424 a 18 : ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، احوالي من ۶۲ من ۱۷ : ۱۵۰۶۵ ، حيدر اباد : ۵۷ و ۶۲ .

(۲) المخطوطة : نفسها .

(۳) عرف ابن سينا الطان ، فقال : الشفا ، ورقة ۱۹۲ الف ۳ : والظن هو الاعتقاد المميل إليه مع تجاوز الطرف الثاني .

(۴) راجع أرسطو : Arist. : De An. III. 3. 427 a 21 : وابن سينا عرف الرأي بقوله ( شفا ، ورقة ۱۹۲ الف ۳ ) : فالرأي هو الاعتقاد المجزوم به .

(۵) أرسطو : Arist. : De An. III. 3. 427 b. 6; 428 a 25 : ابن رشد تلخيص ، احوالي : ۵۹ ، حيدر اباد ، ۵۳ ، والمخطوطة الفارسية ، ورقة ۴۹ الف ۱۱ :

پس باید کرد مردمانی را که ویم راقوتی پنداشتند از رای وحس محمود مرکب ، وگفت نه چنانست از آنکه اگر مرکب بودی از حس و رای محمود بایستی که حس و رای محمود کار کردند دیریک چیز در سپید و سیاه و مانه چنین می بینم . . . .

(۶) المخطوطة : لا ما يصدق .

بكذب على الجزء من الآخر ، وبأثاف في الشكل الثاني من الضرب الرابع منه وينتج الثالث الجزئي <sup>(١)</sup> .

أما الظن مقامه أن يصدق عند من يظنه ، ومن التخيل عند من هو له لا يمكن أن يصدق ، مثل أن يتخيل أن هذا الفرس ذو قرنين وهذا ما لا يظن ولا يمكن وجوده عنده <sup>(٢)</sup> .

وأما الحس فإن كل حس فمحسوسه موجود <sup>(٣)</sup> عند ما يحسه . وليس كل تخيل كذلك <sup>(٤)</sup> ، بل قد يتخيل ما قد تلف ، وما لا يمكن أن يحسه .

ولا مركب من هذين . وذلك بين بما قلناه مما هذه القوة .  
فنقول : أما أنها <sup>(٥)</sup> قوة تدرك الأمور التي تقدم الإحساس بها - وهبها <sup>(٦)</sup>  
غاية عنا إما بفسادها أو بكونها غير معرّضة للمدرك - فذلك بين بنفسه .

(١) ولإنتاج الشكل الثاني من القياس يجب أن تخلف المقدمة في الكيف ( أي في الانيات والنفي ) وأن تكون المقدمة الكبرى كلية ، والأقسام المنتجة منه أربعة . والقسم الرابع يشمل الصغرى جزئية سالبة ، والكبرى كلية موجبة ، وينتج مثل القسم الثالث ، سالبة جزئية ، نحو بعض الانسان ليس بابيض ، وكل السكايزي ابيض ، فبعض الانسان ليس بالسكايزي . او ، بعض الخيالات ليست ثابتة ، وكل الآراء ثابتة ، فبعض الخيالات ليست بآراء .

(٢) راجع أرسطو : Arist. De : An. III. 3 427 b 17 : ابن رشد : تلخيص ، اهراني ، ٦ ، حيدر اباد ٥٥ .

(٣) أرسطو : Anist. De An. II. 5. 417 b 20 - 24

(٤) ايضاً : De An. III. 3 428 a 6 : ابن رشد ، اهراني ١٠٠٥٩ ، حيدر اباد ٥٥٤ .

(٥) المخطوطة : أن .

(٦) المخطوطة : وهبه .

وهذه القوة ليست للإنسان فقط بل وفي أكثر الحيوان غير الناطق <sup>(١)</sup> ، وليس للحيوان غير الناطق قوة أشرف منها ، وسنبين ذلك فيما بعد .

وهذه القوة تعرض لما أن تصدق وتكذب بل هي في كثير من الأمور كاذبة <sup>(٢)</sup> ، وهذه القوة بالطبع إذا كانت صادقة فإنها ضرورة تدرك الأمر وهو بالحال الذي أدركه الحس . ويبن أن الأمور التي أدركتها هذه القوة ليست المحسوسات <sup>(٣)</sup> (ورقة ١٦٢ الف) فإنها <sup>(٤)</sup> تدرك محسوسات قد فسدت ، وأيضاً فلا يمكن أن تدرك بالذات المحسوس إلا بعد أن يتقدم إدراك الحس له ، إلا بعرض . وقد تلخص كيف ذلك في الثانية من كتاب الحس <sup>(٥)</sup> . وقد قيل <sup>(٦)</sup> من قبل أن الحس المشترك قد بقي فيه أثر المحسوس بعد غيبته

(١) فارن ابن سينا : الشفا ، ورقة ١٦٠ الف ١٢ : أعمال النفس ثلاثة : أعمال يشترك فيها الحيوان والنبات كالنغذية والتربية والتوليد ، وأعمال يشترك فيها الحيوانات كلها ولاحظ فيها للنبات مثل الاحساس والتخيل والحركة الإرادية ...  
(٢) راجع أرسطو : De An. III 3. 428 a 11 : ابن رشد : تلخيص ص ٦٠ ، حيدر اباد . ه .

(٣) فارن تدير المتوحد ، تحقيق أسين پلاسيوز ، ص ٧٢ : وأما التي توجد عن العقل الفاعل فكما صادقة بالذات لا بالعرض ، وكذلك ما يوجد عن الفكر الصادق ، وهذه الصور ليست صور الأجسام بينها فتكون خاصة ، ولا هي أيضاً مجردة عن الهيولى فتكون مقولات عامة ، وليس توجد لها النسبة الخاصة ولا توجد لها حالات المقولات العامة ، بل توجد بين الصور الخاصة والمقولات .  
(٤) المخطوطة : فانما .

(٥) فارن أرسطو : Arist. : De Memoria et Rem. I. 449 b 31; 450 a 10 sq. وهذه الرسالة قد ظهرت في جوامع ابن رشد العربية وكذلك في النص العربي وفي مخطوطات التراجم العبرية التي نُقِشت عنها كأنها كتاب ثان من كتاب الحس والمحسوس لأرسطو ، انظر : Averroes Cordubensis Compendia Librorum Aristotelis qui Parva Naturalia Vocantur edd. Shields — Blumberg ( The Medieval Academy of America, Cambridge MSS. 1949 ) , P. 47.

(٦) المخطوطة : كان .



عنه <sup>(١)</sup> . ولكن تبين أن ذلك الأثر الذي قيل هنا هو الإحساس فإن للحس المشترك مع قوته على قبول صورة المحسوس قوة على التمسك <sup>(٢)</sup> بها ؛ وبهذه القوة إذا صارت فعلا يمرض الكثير من الناس أن يرى شخصا من غير أن يكون ذلك الشخص حاضرا <sup>(٣)</sup> . وهذا يبين في المبرسمين الذين يمرض لهم في اليقظة <sup>(٤)</sup> ، فقد يعرض لبعض الأمراض أن يكون ذلك صادقا <sup>(٥)</sup> ، كما يمرض لذوي الحس المحدود . وذلك أن الحس <sup>(٦)</sup> المشترك اذا قوي وضعف

(١) فارن ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الاهواني ص ١٣٠٦٤ ، حيدر اباد ٥٩ .

(٢) راجع ارسطو : De Somniis, 2. 459 b 8—9 ; 460 b 1 : ابن رشد : الاهواني ص ٦٣ .

(٣) أيضا : De Memoria I. 450 b 18 ; De Somniis, 3. 461 b 1

(٤) أيضا : De Somniis. 2. 458 b 26 — 29 ; 3. 460 b 29 — 30 ويعول الفارابي وابن سينا : « المررون والمررون » في موضع « المبرسمين » واللفظ الآخر شائع في كتب المتأخرين ( انظر الهدية السعيدة لفضل الحسق الحير ابادي ، ص ١٧١ : ولعل الفطرة السليمة يحكم بأنه لا يفرق الانسان بين مشاهدة صور يدركها بجواسه الظاهرة وبين مشاهدة صور يشاهدها في الرويا أو عند الابتلاء بالبرسام ، ص ١٧٢ : وكذا الحال في الرويا وبالجملة فعال تلك الصور المشاهدة للبرسم أو النائم كحال الصور المشاهدة للصحيح اليقظان في كونها مدركة جسمية ، وفي ص ١٧٧ : وفيه ان المشاهدة قد تكون من دون الحضور عند الحواس كما في مشاهدة البرسم والنائم . ) ، والبرسام التهاب في الحجاب الذي بين الكبد والقلب ، وانظر المدينة الفاضلة تحقيق ديتريشي ، ص ٥٣ ، والشفا ( ورقة ١٨٠ ١٩٠ : والصورة اذا كانت في الحس المشترك كانت محسوسة بالحقيقة ليها حتى اذا انطبع فيها صورة كاذبة في الوجود حسته كما يعرض للمرورين .

(٥) لعل ابن باجة اشار الى كيفية « الهذيان » ( Hallucination ) ، انظر ابن سينا ، الشفا ، ورقة ١٨٣ ب : فإن شغل المتخيلة من الجهتين جميعا ضعف فعلها ، وإن زال عنها الشغل من الجهتين كليهما كما يكون في حال النوم ، او من جهة واحدة كما يكون عند الأمراض ..... وكما عند الخوف .... ووقوع امر جسدية ..... فتلوح الصور التي في الصورة في الحاس المشترك ، فتري كأنها موجودة خارجا .

(٦) المخطوطة : بحس .

مزاج الحاسة انفلتت الحاسة عن الحس المشترك ، وقبلك الأثر ثم تحرك عنها الهواء الضام فقبل الأثر وصار كالشبح<sup>(١)</sup> ، ثم عاد الأثر فحرك الحاسة ، وحركت الحاسة الحس المشترك ، وقد تلخص ذلك في الثانية<sup>(٢)</sup> من كتاب الحس<sup>(٣)</sup> وتبرهن السبب فيه .

وهذه الإحساسات هي معاني المحسوسات ، ومن شأن المعاني كما تبين في الحس أن تحرك الهيولى التي هي قابلة بالطبع . فهي اذا كانت احساسات وفارقت<sup>(٤)</sup> < كانت > أخرى بذلك . وبين أن الهيولى<sup>(٥)</sup> أخرى مجانسة للحس المشترك موجودة ، فتحركها الإحساسات فتدرك معاني المحسوسات . وليس يمكن أن تصير الإحساسات بعينها فيها ، فإن ما لا ينقسم لا يتحرك . وأيضاً فلا يمكن ذو الهيولى الهيولى إلا على ذلك النحو بأن يحرك قوة أخرى هي هيولى له . وهذه الأنواع من الهيولى ليست الهيولى الأولى بل هي متباينة لها ، كما تبين ذلك قبل . بل يقال على كل واحد منها هيولى باشتراك . فهذه هي القوة التخيلة .

والخيال يقال بتقديم منه<sup>(٦)</sup> وتأخير ، وهو يقال بالجملة على محكي الشيء . فإذا قيل بتقديم قبل على ما يحكي شخصاً شخصاً من أشخاص المشار اليه . وقد يقال على ما يحكي النوع ، وقد يقال على شخص النوع من جهة ما يحكي ذلك

(١) راجع أرسطو : De Somniis. 3. 462 a 10 - 14 ؛ وابن سينا ، الشفاء ، ورقة ١٨٣ ب : ولهذا ما يرى الانسان المجنون والحاييف والضعيف والنائم أشباحاً قائمة كما تراها في حال السلامة بالحقيقة ويسمع أصواتاً كذلك .

(٢) المخطوطة : الثامنة .

(٣) قارن أرسطو : De Somniis. 2. 460 b 5 - 25 .

(٤) أيضاً : Arist. 2. 459 a 25 - 27 .

(٥) المخطوطة : هيولى .

(٦) المخطوطة : منها .

النوع<sup>(١)</sup> . ولذلك يسمى فلاطن المحسوسات خيالاً . وقد يقال على غير هذه الانحاء . ويثبت أن الاحساسات خيالات المجسمات ، فالقوة<sup>(٢)</sup> التي تدرك بها هذه الخيالات هي القوة التي بها تخيل . وهذه الخيالات ، التي لم تفعل في هذه القوة ولا حركتها لم يوجد الحيوان متحركاً بها ، وإن الحيوان يتحرك بحركات كثيرة من جهات كثيرة . فإن الحيوان يستن ويخف من جهة أنه من الاسطوانات من طريق أنه ذو كيف<sup>(٣)</sup> . ( ورقة ١٦٢ ب ) فبالقوة ينتقل من جهة أنه ذو أين فهو يستحيل بالقوة الانفعالية . وينفعل<sup>(٤)</sup> بالقوة المنفعلة ، ويبصر بالقوة الباصرة . فبعض هذه في الجسد كله مثل القوة الانفعالية ، وبعضها في عضو خاص مثل القوة السامعة . وكذلك أيضاً يتحرك بالقوة المتخيلة .

ولما كان كل متحرك فله<sup>(٥)</sup> محرك كانت هذه القوة محركها في الاحساسات الموجودة في الحس المشترك وتتحرك هي . فأما الذي عنه يتخيل شيء بعد شيء في وقت بعد وقت فهو<sup>(٦)</sup> المحرك الأبعد ، وهل هو واحد أو أكثر من واحد فقد تلخص الأمر فيه في الثانية من كتاب الحس<sup>(٧)</sup> . فقد تبين ما القوة الخيالية ، وما التخيل في الجملة .

(١) فارن زيلر ( Zeller ) : فلاطون ( Plato ) ، ترجمة البن وكدوين

( Alleyne and Goodwin ) ص ٢٣٩ : والجمهورية : Republic X. 596 A/

Ritter. II. 306; 303 A 3

(٢) المخطوطة : بالقوة .

(٣) فارن أرسطو : ( qualitative Change ) : De Somniis. 2. 459 b 1—5

(٤) المخطوطة : سئل .

(٥) المخطوطة : فانه .

(٦) المخطوطة : وهو .

(٧) فارن أرسطو : ( The residuary movements are like these ) Arist. 3. 461 b 16—24

والخيالات وهي كمال هذه القوة هي في هذه القوة نظير الإحساسات في الحس المشترك ، وبين أن صور الموجودات - إذا كانت خيالات - أشدّ تهرّياً (١) عن المادة من الإحساسات ، وإن القوة التخيلية نسبتها إلى القوة الحساسة هذه النسبة إلاّ أنها غير منبهرية جملةً عن الصور الهولانية من جهة ما هي هولانية . ولكنها بعيدة في الرتبة عنها . لأن هذه قد تفعل وإن لم تكن تلك حاضرة موجودة ، لكنها في وجودها مفتقرة إلى تلك ضرورة . فإن كان خيال يوجد عن غير تلك فذلك من غير جنس هذه ، وقد تلخص كيف الأمر فيها في مواضع .

والقوة التخيلية لا تتحرك حتى تحركها الإحساسات (٢) ، ومتى لم يكن إحساس لم تتحرك هذه القوة ، وإذا لم يوجد ذلك الإحساس لم تفعل فيها ، فلذلك يعرض لها - إن قبل فيما لا ينقسم - انتقال (٣) من شيء إلى شيء . فأما كيف ذلك فقد تلخص في الثانية من الحس . فلذلك متى شغل الحس المشترك ، أو أترناه بطل ، لم تفعله القوة التخيلية وكانت قوة فقط . على ما يظن أنه يوجد ذلك عندما يحس بالأشياء الهائلة في (٤) العشاء (٥) . فلذلك عدت القوة التخيلية في جملة القوى الهولانية . ولذلك صار فعلها في النوم (٦) أظهر فإن النوم هو وجود الحس المشترك بالقوة فقط . وهو عند ذلك حافظ للوجودية الحاضرة ، فهو غير متحرك ، فهو محرك فقط والقوة التخيلية متحركة عنه فقط .

(١) فارن أرسطو : Arist. : De An. III. 4. 430 a 7

(٢) أيضاً : Arist. : De Memoria. I. 450 a 11 - 14

(٣) أيضاً : I. 451 a 8

(٤) المخطوطة : وفي .

(٥) فارن أرسطو : De Somniis. 3. 462 a 13 - 14

(٦) أيضاً : De Somniis et Vigilia, 3. 456 b 10 - 16 ; 457 a q, See Note 17

وأما في اليقظة عندما يحس بالمحسوسات المفترية<sup>(١)</sup> فيشبهه أن يكون عند ذلك متحركاً فقط ، فعند ذلك إما أن يبطل أد<sup>(٢)</sup> نصير قوته فقط ولا يشعربها تحركه ، وقد تلخص هذا في مواضع كثيرة . فلذلك إذا بطلت الحواس بطلت هي . وإذا بطل الحس المشترك بطلت . فلذلك تفسد ( ورقة ١٦٣ الف ) بفساد الحس المشترك ، وتوجد موجودة وهي تابعة له على ما المتحرك<sup>(٣)</sup> تابع للمحرك<sup>(٤)</sup> في الحال التي بها 'يحرك' . لكنها في وجودها أشرف لأنها كالغاية له .

وعن هذه القوة يتحرك الحيوان حر كات مختلفة ، وبها يتحرك الجزء النزوعي<sup>(٥)</sup> ، وبها يوجد الحيوان كثيراً من الصنائع وبها يرى الحيوان أولاده كالنمل<sup>(٦)</sup> والنحل<sup>(٧)</sup> ، وهي أشرف قوة في الحيوان غير الناطق ، ولا يوجد في الحيوان < غير > الناطق قوة أكمل من هذه القوة . فان القوى المحركة للحيوان

(١) قارن أرسطو : 2. 459 b 10 . 22 : De An. III. 4. 429 a 31 - b 4 ;

ابن رشد : الأهلواني ، ص ١٥٤ س ١٧ - ٢٢ .

(٢) المخطوطة : و .

(٣) المخطوطة : المحرك .

(٤) المخطوطة : المتحرك .

(٥) قارن أرسطو : De An. III. 10. 433 a 20 .

(٦) المخطوطة : ويكون كالنمل .

(٧) قارن أرسطو : De An. III. 429 a 5 ؛ ابن سينا : الشفا ، ورقة ١٩١ الف ٣٥ :

والحيوانات الأخرى وخصوصاً لطير صناعات أيضاً فانها تصنع بيوتاً ومساكن لا سيما النحل لكن ذلك ليس مما يصدر عن استنباط وقياس بل عن إلهام وتخييل ولذلك ليس مما يختلف وينتوي واكثرها لصالح انواعها ولفرضه النوعية وليست لفرضه الشخصية .

وايضاً ورقة ١٩١ ب ٥ : وربما وقع هذا العارض في الجبة ومن الإلهام الإلهامي كعب كل حيوان ولده من غير اعتقاد البتة بل على نوع تخيل بعض الإنسان لشيء فافع او لزيد وفقرته عنه .... ؛ وابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الأهلواني ، ص ٧١ .

بالطبع التي هي فيه هي القوة الفاذية والحساسة وعن هذه كلها يوجد الحيوان الأفعال التي يقال لها أنها من ذاته ، لأن المحرك والمتحرك معا فيه ، وقد تلخص كيف ذلك في ثمانية السماع <sup>(١)</sup> .

فيثبت أن القوة التخيلية كمال الجسم طبيعى آلي ، فهي إذا <sup>(٢)</sup> نفس . ويبين مما قلنا أنه لا يمكن أن توجد قوة أخرى غير هاتين أعني الحس المشترك والقوة الخيالية . وذلك أن الموجودات هي إما هيولانية وإما منتزعة . والهيولانية هي في [جسم] مشار إليه . والانتزاع حركة ، وكل حركة تغير أو تابع لتغير <sup>(٣)</sup> . والانتزاع تابع لتغير ، والتابع إما أولاً وإما ثانياً . فالأول هو الإحساس ، كما تبين قبل ، والثاني هو هذا . وإن كان هناك ثالث لزم ضرورة أن تكون في الموضوع حالاً ينفصل بها الثاني من الثالث إذا كانا معاً من جنس واحد وإلا فبماذا يكون الثاني غير الثالث .

وهناك تحريك الموجود في الهيولى ، وهنا التحريك وهو ليس في هيولى أنواع ، والثواني معادة للأنواع ما لا في هيولى ، لكن ما لا في هيولى يقال على أنحاء : إما أن لا يمكن أن يكون في هيولى أن يبرهن وجود شيء بهذه الصفة ، أو ما يمكن أن يكون له هيولى لكنه مأخوذ بالحال التي هو مباين للهيولى وهو بها ما هو بأن يكون مأخوذاً بالوجود الذي يخصه - وهذا هو النطق على ما سنبين - أو ما هو في هيولى ، غير أنه مأخوذ من جهة ما هو . وهذا لجواز إما أن يكون يمكن فيه المفارقة ، وهذا هو الحس ، أو ما قد فارق ، غير أنه مأخوذ بالحال التي هو بها في هيولى - فهذه هي القوة التخيلية الخيالية . ولذلك كانت

(١) تارن ارسطو : Phys. VIII. 256 a 02 .

(٢) الفطولة : ١٤ .

(٣) تارن ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الأهواني ، ص ٧٤ . وقد استعمل

« قريب » و « بعيد » في موضع « أول » و « ثاني » .

القوة الخيالية تدرك الاشخاص<sup>(١)</sup> فقط ، فلأن الصور الهيولانية إنما حركت هذه القوى بالقوة التي فيها ، وهي التي تقدم تلخيصها قبل هذا<sup>(٢)</sup> . فصارت الاحساسات موجودة وكان لها قوة تحرك بها ، فحركت القوة الخيالية فصارت الخيالات موجودة . وهذه كلها عن غير الصور الهيولانية وهي هيولانية<sup>(٣)</sup> . ولم يمكن ( ورقة ١٦٣ ب ) فيها أن تحرك القوة المدركة الأمر الكلي<sup>(٤)</sup> حتى تحرك هذه الهيولانية المشار اليها ما يحركه جميع المشار اليه فتكون تحركها غير متناهية ، لأن التحريك عن وجود ، والوجود يقترب به التناهي . والمتحرك عن الهيولي وعن التناهي هو هيولي من جهة ما هي هيولي . وإنما يحرك الموجود المفارق تجريبكاً غير متناه من جهة أنه لا يتحرك . وليس هناك ضد فليس هناك مفارقة . وإن كانت الهيولي قابلة أبداً فهو محرك أبداً لأنه لو لم يحرك لكان متحركاً ، وكل متحرك فهو منقسم وكل منقسم فهو هيولاني . ولذلك تدرك القوة المتخيلة الصور الهيولانية من أحوالها التي تخصها في الوقت الذي تدركها فيه ولا تدرك منها ما لا يخصها في وقت الإدراك . ولا يمكن أن تدركها بجميع أحوالها التي تلحق الصورة محركة عن الأعراض المفارقة لها . ولذلك تدرك جميع لواحقها الذاتية وغير الذاتية كشيء واحد .

لكن قد يسأل سائل فيقول : كيف يتخيل الشيء الواحد بأحوال مختلفة

(١) إدراك الشخص هو إدراك المعنى في هيولي ، انظر ابن رشد : تلخيص كتاب

النفس ، ص ٦٧ ، حيدرآباد ، ص ٦٢ .

(٢) راجع النص نفسه : آخر الورقة ١٥٤ الف .

(٣) فاون أرسطو : 19 — 14 a 431 III. De An.

(٤) إدراك الكلي هو ادراك المعنى العام مجرداً من الهيولي ، والحس والتخيل إنما

يدركان المعاني في هيولي . انظر ابن رشد : ٦٧ ، حيدرآباد ص ٦٣ .

بعضها أدركت وبعضها لم تدرك فيه بل بعضها ممكنة فيه وبعضها غير ممكن .  
 إلا أن ذلك في الإنسان فقط . فإنه الذي يركب : بفصل (١) . وهذه الحركة  
 هي من قبل أسباب آخر وقد عُدَّت في الثانية من كتاب أرسطو في الحس (٢) .  
 ولو كانت الخيالية تدرك المعنى وتدرك ماله أمكن أن يدرك فلا يمكن (٣)  
 ذلك في العقل النظري . وأما في الظن فهو شيء (٤) ممكن ، إلا أن الظن  
 وقوته سفين . إذاً بيتن ما القوة الناطقة . فأما في العلم فهو فعل القوة الناطقة ،  
 فلا يمكن ذلك فيه البتة وسفين لم كان ذلك بعد هذا .

فالقوة الخيالية كالبحر بين الموجودات التي من شأنها أن تفارق الهبولى وبين  
 الهبولى قد أخذت من كل بقسط على ما من شأن الطبيعة أن تفعل دائماً ،  
 فإنها لا تنتقل من جنس إلى جنس دون متوسط وقد لخص ذلك في مواضع  
 كثيرة . وهذا آخر ما يحركه المحسوس المشار إليه .

ولما كان كل متحرك فهو مجانس للمحرك على ما تلخص في غير هذا الموضع ،  
 وكان الخيال شخصاً ولم يكن كلياً . فان السكي هو الطرف المقابل للشخص .  
 وليست هاتان القوتان أوساطاً على ما هي الأوساط في الحرارة والبرودة حتى  
 توجدان (٥) في الحس . والخيال جزء من الكلية كما يوجد ذلك فيما بين الحرارة  
 والبرودة وإن الوسط فيه حر وبرد . فإنه ليس في الإحساس ولا في الخيال

(١) قارن أرسطو : De An. III. 6. 430 b 5 : وابن سينا ، الشفا ، ورقة ١٨٣ الف :  
 وإن الحس المشترك يؤدي إلى القوة المصورة على سبيل استبزان ما يودعي  
 إليها الحواس وتخزنه وقد تخزن القوة المصورة أيضاً أشياء ليست من الأخوات  
 عن الحس . فإن القوة المفكرة قد تنصرف ..... بالتركيب والتحليل ..... ،  
 وابن رشد : ص ٣٠٦٨ ، حيدرآباد ص ٧٠٦٢ .

(٢) قارن أرسطو : De Somniis, 2. 459 a 23 sq. .

(٣) المخطوطة : تدرك ما لا تلى .

(٤) المخطوطة : سا .

(٥) المخطوطة : بوح .



شيء من الكلي ، بل توجد لها <sup>(١)</sup> أحوال يكون بها بعضها أقرب إليه من بعض . وتلك الأحوال في الخيالات أكثر وأحرى بها <sup>(٢)</sup> ، وأظهر منها <sup>(٣)</sup> في الإحساسات . فإن الشخص ليس بمضاد للكل ( ورقة ١٦٤ الف ) بل هو غيره بوجه ما ، وقد خلص أمره <sup>(٤)</sup> أرسطو فيما بعد الطبيعة <sup>(٥)</sup> .

وأما وجود الكلي فهو ضرورة عن أسباب آخر ، ولا يخلو < من > أن يكون الكلي كائناً أو غير كائن . فإن كان كائناً فهناك هيولى أو قوة تجري مجرى الهيولى ، وإن كان غير كائن حتى يكون التعلم تذكراً فقد يلزم إما أن يكون للصور على ما يراه فلاطن وهي التي نصّها سقراط في كتاب فاذن <sup>(٦)</sup> ، فيكون للعقل حساً أو مجانساً له ، وإما للعقل قبل أن يعقل فيكون التعلم تذكراً .

وإذا نظر في الكلي ، وجدت له أحوال يلزم عنها أن يكون أزلياً ، وأحوال يلزم عنها ضرورة أن يكون متكوناً . وبالجملة فإن اللاوحي الموجودة له توجد فيه على حال مقابلة لوجودها في الصور الهولانية . وكيف كان وجودها في الصور الهولانية ، وكيف كانت ، فإن وجودها مبائن للوجود الهولاني مبينة ظاهرة جداً . وأحراها أن تكون موجودة بنحو آخر من الوجود حتى يقال عليها وعلى الهولانية الموجودة باشتراك ، وأخلق أن يكون الموجود يقال عليها بتقديم ، وإن كانت أخرى بالوجود .

محمد صغير حسن المعصومي

~~~~~

( يتبع )

(١) المخطوطة : لها .

(٢) فارن أرسطو : 10 — 3 432 a . De An. iii. 8.

(٣) المخطوطة : عنها ، وبالهامش : منها .

(٤) المخطوطة : أمرها .

(٥) فارن أرسطو : 29 b 1035 . Met. Z. VII.

(٦) Arist. Met. A. i. 991 b 3 .

# قبور العظماء في دمشق

## مقدمة

درجت جميع أمم الأرض منذ الأزمنة القديمة على تمجيد عظمائها وأبطالها وتجليد ذكراهم بعد موتهم ، حتى بلغ الأمر عند بعض الأمم درجة تقديسهم وعبادتهم .  
واليوم نحرص جميع البلدان الراقية على إقامة مقابر خاصة بالعظماء الذين أخلصوا أبلادهم وضحوا في سبيلها بأرواحهم أو سخروا سيوفهم وأفلامهم في سبيل خدمة أمتهم والرفع من شأنها .

ان تجليد ذكرى هؤلاء العظماء بقيم الدليل أمام المواطنين على أن الأمة لا تنسى أبناءها المخلصين العاملين ، وتحفز المواطنين كي يقتدوا بهم ويسيروا على نهجهم . ولا تخلو أمة من أمثال هؤلاء العظماء الذين يجود بهم الزمان من حين لآخر .

وقد عرفت دمشق كثيراً من الشخصيات التاريخية وضم ثراها رفاة عظماء وشهداء أقيمت لبعضهم المدافن اللائقة التي تحتل ذكراهم وأهمل البعض الآخر فاندثرت قبورهم . وشاب بعض هذه الأضرحة مزاعم خاطئة ونسبت لأشخاص دون أساس صحيح ، وقد رأيت من المفيد في هذا الظرف الذي تهتم فيه الدولة بإقامة النصب التذكارية والأضرحة لعظماء البلاد أن ألفت الأنظار الى مجموعة من العظماء المدفونين حقاً في دمشق خلال عصور التاريخ . مصنفاً إياهم الى الطبقات التالية :

- ١ - طبقة الملوك والسلاطين .
- ٢ - طبقة الأمراء والولاة .
- ٣ - طبقة الصحابة .
- ٤ - طبقة آل البيت .
- ٥ - طبقة العلماء .

ذلك ان في التاريخ عهوداً مضيئة تحفل بالإنجاد ومشاهير الرجال وأخرى مظلمة يخنفي فيها المظالم ، وما أكثر العهود المظلمة التي عاشتها دمشق وأفساها ، حين كانت فريسة الفوضى والفتن أو طعمة للفرزاة أو نهباً للحكام الظالمين ، في عهد الفاطميين وأغلب عهد المماليك ثم في أيام الحكم العثماني والاستعمار الغربي .

وخلال تلك العصور كلها فترات ثلاث نألق فيها نجم دمشق وغدت مركز إشعاع لسائر العالم العربي والإسلامي بما نالته من نهضة وعزة وحياة حرة كريمة على يد رجالها .

وتكاد هذه الفترات الثلاث تتوزع توزيعاً عادلاً بين القرون الثلاثة عشر من تاريخها العربي .

كانت الفترة الأولى في فجر هذا التاريخ أيام الدولة الأموية . وكانت الثانية في أواسطه ، أيام نور الدين وصلاح الدين . والفترة الأخيرة هي في هذا العصر الذي نميشه فترة الثورة على الأجنبي الدخيل والكفاح من أجل الاستقلال والحربة واقامة أسس الوحدة العربية .

## أ — طبقة الملوك والسلاطين

## ١ — معاوية بن أبي سفيان :

مؤسس الدولة العربية في الشام وأحد صحابة الرسول (ﷺ) وكتابة الوحي ،  
اشترك في الفتوحات مع أخيه يزيد بن أبي سفيان وأبلى بلاءً حسنًا ، ينسب  
إليه فتح قيسارية أكبر مدن فلسطين عام ١٨ أو ١٩ وولاه عمر الشام بعد وفاة  
أخيه يزيد عام ١٨ وظل في ولايته لها حتى أصبح خليفة المسلمين بعد معركة  
صفين عام ٤٨ للهجرة حتى توفاه الله في دمشق سنة ٦١ هـ وكان قد بلغ من  
العمر ستًا وثمانين سنة .

أما قبره فقد اختلف الناس فيه فبعضهم يقول بأنه ضاع وزال أثره وإثر  
الانقلاب العباسي وانتقام بني العباس من الأمويين أحياء وأمواتًا . وينسب العامة  
اليوم لمعاوية ثلاثة قبور في دمشق ، إلا أن الثابت في المصادر العلمية والروايات  
التاريخية أن معاوية دفن في مقبرة الباب الصغير <sup>(١)</sup> .

ويشاهد اليوم قبره ضمن غرفة صغيرة من الطين حديثة البناء تقع في ركن  
المقبرة الجنوبي ، تلتصق بها قبور كثيرة بينها عدد قديم لمشاهير الرجال تدل عليها  
شواهد كتبت بخطوط كوفية .

وإذا صح ما ترويه المصادر عن نبش قبور بني أمية ، فليس ما يمنع أن يحتفظ  
الناس بمكان قبر معاوية إكرامًا لمزله ، حتى أتى وقت خف فيه حقد العباسيين  
وقل نفوذهم في دمشق فأصبح من المتيسر إعادة قبره إلى ما كان عليه وأقبلوا  
بمخصونه بالزيارة والتبرك . ثم قدم أحمد بن طولون دمشق عام ٢٧٠ هـ فمعر

(١) راجع التحقيق الذي نشره الأستاذ الأمير جعفر الحسني في مجلة الجمع المجلد ١٩  
( ١٩٤٤ ) ص ٤٣٤ .

على قبره قبة عالية ، وزاره بعد ذلك المسعودي عام ٣٢٢ فقال « ان عليه بيتاً مبنياً يفتح كل يوم اثنين وخميس » . وهذا يدل دلالة أكيدة على احتفاظ الناس بقبر معاوية وعلو منزله في قلوبهم رغم ما قام به العباسيون . ولعل هذا البيت الذي بناه ابن طولون ووصفه لنا المسعودي قد تهدم خلال أحداث التاريخ وتقلبات الدول ، ولكن في كل عصر كان قوم يحرسون على الإبقاء عليه والإشارة إليه حتى بقي الى يومنا هذا على هيئته المتواضعة البسيطة . وقد ظهرت محاولات حديثة من قبل الغيورين لبناء ضريح عليه يلبق بمكانة صاحبه وعظمته وفضله في إرساء قواعد الدولة العربية في بلاد الشام خاصة وفي العالم الاسلامي عامة .

## ٢ - الخلفاء الأمويون :

تولى الخلافة من البيت الأموي أربعة عشر أميراً مات بعضهم في دمشق ومات البعض الآخر في أماكن متفرقة فعمر بن عبد العزيز دفن في دير سمعان وهشام في الرصافة واصلحان في مرج دابق . . . وتذكر الروايات التاريخية عن ابن عساكر والمسعودي أن قبر عبد الملك في مقبرة الباب الصغير وكذلك قبر ابنه الوليد ويزيد بن معاوية . غير أنا اذا ففتشنا اليوم في هذه المقبرة لا نجد من الأمويين غير قبر معاوية الذي تكلمنا عنه وقبر عبد الملك الواقع على عدة أمتار الى الشمال الغربي من قبر معاوية في غرفة مهتمة من الطين تضم قبرين نسب أحدهما لعمر بن عبد العزيز ونسب الآخر الى عبد الملك . ونحن ننفي نسبة الأول الى عمر بعد أن أكدت الروايات دفنه في دير سمعان قرب حلب . ونرجح أن يكون لأحد خلفاء بني أمية ، ولعله الوليد الذي تذكر الروايات دفنه في هذه المقبرة والأمر بنطلب تحقيقاً أكثر دقة . أما القبر الثاني فيرجح أن يكون لعبد الملك بدليل اشارة المصادر التاريخية الى وجوده في هذه المقبرة ووجود كتابة كوفية على التابوت الحجري يرجع الى عدة قرون ، تؤيد ذلك .

وأي حرج في اعتباره قبره حقيقة والعناية به تخليداً لذكراه بالرغم من احتمال وجود خطأ في تحديد مكان دفنه على وجه الدقة ، لأن تخليد ذكرى العظماء ببناء المقابر اللاحقة بهم أن يكون من أجل ما تبقى من عظامهم ورفاتهم البالية بل من أجل أمجادهم وأعمالهم العظيمة .

### ٣ - محمود بن زنكي :

لم تعد دمشق مقراً للخلفاء والسلاطين بعد زوال الدولة الأموية حتى دخلها نور الدين في القرن السادس الهجري ، فهو أول من تسلط فيها بعد تلك الحقبة الطويلة ولقب بالسلطان الملك العادل نور الدين ، محمود بن عماد الدين زنكي بن آق سنقر .

وكان نابغاً خليفة بغداد العباسي من الناحية الاسمية فقط . وكان حاكماً عادلاً مخلصاً لأُمته وبلاده وقائداً بطلاً نذر نفسه للجهاد والدفاع عن البلاد من أخطار الصليبيين وعدوانهم ، ولذلك أحبه الناس وأشاد المؤرخون الذين عاصروه بأخلاقه ودينه وعدله وتواضعه وجهاده وحبه للعلم والعلماء وبناء المدارس والحصون .

ولد نور الدين محمود عام ٥١١ هـ بمدينة حلب حيث كان أبوه والياً عليها من قبل سلاجقة بغداد ثم خلف أباه عليها سنة ٥٤١ هـ ثم ضم دمشق وسائر بلاد الشام الى مملكته عام ٥٤٩ هـ وتوفي في قلعة دمشق سنة ٥٦٩ هـ فدفن سيفي تربة كائنة في ركن من أركان المدرسة النورية التي بناها في سوق الخياطين .

ويبدو قبره لكل من يمر من هذا السوق من خلال نافذتين في تربة جميلة عالية القبة بسيطة المظهر ، ومن المستغرب أن بنفسى الناس هذا الرجل العظيم ولا يحتفون به كما يحتفون بصلاح الدين ، مع أن نور الدين أستاذه ومؤسس دولته وواضع حجر الأساس في تحرير البلاد وتوحيدها .

## ٤ - يوسف بن أيوب :

هو صلاح الدين يوسف بن نجم الدين أيوب بن شادي الملقب بالسلطان الملك الناصر ، ولد بتكريت عام ٥٣٢ هـ ودخل في خدمة نور الدين محمود بن زنكي مع والده فبعثه مع عمه القائد أسد الدين شيركوه لتحرير مصر عام ٥٦٤ هـ . فصار وزيراً للخليفة الفاطمي العاضد ثم انفرد بحكم مصر وقضى على الخلافة الفاطمية عام ٥٦٦ هـ ثم ضم الشام الى حكمه بعد وفاة نور الدين وبذلك وحد مصر والشام وأقام دولة تمتد الى ما وراء الجزيرة شمالاً والى البحر الهندي جنوباً وتونس غرباً والعراق شرقاً . وقضى حياته في محاربة الفرنج وتحرير البلاد من أيديهم الى أن توفي في قلعة دمشق عام ٥٨٩ هـ فدفن بها ثلاث سنين ثم نقل الى حيث هو اليوم في تربة بناها له أولاده بعد موته وبنوا الى جوارها مدرسة سميت بالمدرسة العزيزية وقد تهدمت وبقيت التربة ذات القبة العالية وأحيطت في كل العصور بالعناية والرعاية فزينت جدرانها بألواح القاشاني عام ١٠٣٧ هـ .

وضع قبره ضريح عند وفاته من خشب الجوز مزين بالنقوش الهندسية المحفورة تحيط به آية الكرسي بخط كوفي مزهر جميل ، كما صنع له تابوت جديد من الرخام عام ١٨٢٨ م في عهد السلطان عبد الحميد العثماني ، وقد فرشت دائرة الأوقاف أرضه بالسجاد وعينت له قياً خاصاً به .

## ٥ - محمد أبو بكر بن أيوب :

هو الملك العادل سيف الدين محمد أبو بكر بن أيوب ، من أكبر شخصيات الدولة الأيوبية بعد أخيه صلاح الدين . اشترك معه في محاربة الفرنج وإدارة البلاد . وكان المستشار والعضد الأمين لأخيه ، ثم تولى السلطنة على دولة العرب في مصر والشام واليمن سنة ٥٩٦ هـ بعاونه أولاده عندما دب الخلاف بين أولاد

صلاح الدين ، ولم يبق بأيديهم سوى حلب . ثم توفيت سنة ٦١٥ في قلعة دمشق ودفن فيها ريثما تم بناء تربته في المدرسة العادلية مقر المجمع العلمي اليوم . ودفن معه بعد ذلك ابن حفيده المغيث عمر سنة ٦٤٢ وكان نائباً لأبيه الصالح أيوب على دمشق حين استولى عليها عمه الصالح اسماعيل فأمر سيف القلعة ومات فيها .

### ٦ - الملوك الأيوبيون الآخر :

لم يمت في دمشق من أولاد صلاح الدين سوى الملك المنصور حسن الذي توفي في حياة أبيه سنة ٥٧٥ وقبره معروف في التربة النجمية الكائنة في سوق صاروجة غربي المدرسة الشامية . وفي دمشق من أولاد أخيه العادل ثلاثة ملوك ، المعظم والأشرف والكامل .

أما المعظم فهو عيسى بن العادل ولد في القاهرة سنة ٥٧٦ وتولى دمشق لأبيه وحارب الفرنج ثم خلف أباه في السلطنة ومات في قلعة دمشق سنة ٦٢٤ ودفن بها ثم نقل الى مدرسة له تعرف بالمعظمية في الصالحية ، وقد تهدمت ودرست . وأما الكامل فهو محمد بن الملك العادل تولى مصر في عهد أبيه ثم تسلطن بها ودخل دمشق وضماها الى ملكه ومات بها سنة ٦٣٥ ودفن في القلعة ثم نقل الى تربة أعدت له خلف جدار الجامع الأموي الشمالي شرقي خانقاه السعيدية تعرف بالتربة الكاملية ولها باب من الجامع يؤدي اليها .

وأما الأشرف موسى بن الملك العادل فقد تسلطن في دمشق أيضاً سنة ٦٢٥ ومات في قلعتها سنة ٦٣٥ ودفن بتربة تعرف بالأشرفية كائنة شمالي الجامع الأموي بين المدرسة الحقةمية والمدرسة العزيزية وقد تهدمت وأصبح في مكانها اليوم ملجأ ضد الغارات الجوية ولا يزال القبر ظاهراً .



## ٧ - السلطان بيبرس :

هو السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري أشهر سلاطين دولة المماليك وأول من وطد حكمهم في الشام بعد زوال دولة بني أيوب بدخول جيش هولاكو دمشق ، كان له فضل في النصر على التتار في معركة عين جالوت التي أدت الى طردهم من الشام وتوحيدها مع مصر من جديد . تولى السلطنة عام ٦٥٨ بعد مقتل سلفه السلطان قطز . قضى أكثر أيامه في محاربة الفرنج وتخليص ما تبقى من البلاد من أيديهم فحلت أيامه بالانتصارات عليهم وخلص اسمه على أكثر من حصن وقلاع ومدينة . وقام بأعمال عمرانية كثيرة وتوفي سنة ٦٧٦ في القصر الأبلق الذي كان يقطنه في دمشق حيث تقع التكية السلجانية اليوم ودفن في المدرسة الظاهرية وترتبه من أجمل التراب ذات قبة عالية مزينة بأصناف الزخرفة كالفسيفساء الزجاجية الملونة الشبيهة بفسيفساء الجامع الأموي والرخام الملون والكتابات المذهبة وزخارف محفورة على الحجر ، وفيها محراب رائع ، وتعد أجمل تربة في دمشق وأغناها بالزخارف .

## ٨ - السلطان العادل كتبغا :

لم تعرف دمشق بعد السلطان الظاهر سلطاناً أقام أو مات فيها فقد استقر المماليك في القاهرة ولم يقيموا في دمشق إلا أياماً أو يزورها إلا لماماً ، وكذلك سلاطين آل عثمان . سوى أن في المهاجرين مدرسة وثروة منسوبة الى أحد سلاطين المماليك ، هو الملك العادل زين الدين كتبغا تسلطن في القاهرة سنتين ثم خلع عام ٦٩٦ فالتجأ الى صرخد ( صرخد ) ثم أعطي حماة فمات بها ونقل ليدفن بترتبه بسفح قاصيون الكائنة في الحديقة التي تضم ضريح الشهيد المالكي .

## ب — طبقة الأمراء والولاة

كثيرون هم القواد والولاة الذين ماتوا في دمشق ودفنوا في ثراها منذ بداية العهد العربي الى اليوم . وكان لأكثرهم بطولات وأعمال جليلة يستحقون معها أن تحفظ الأجيال ذكراهم ، إلا أننا مع ذلك لا نعرف قبرا واحداً من عاش منهم قبل العصر الأيوبي ، ولعل السبب في ذلك عدم اعادة الاوائل أهمية للقبور والمدافن كما حدث في العصور المتأخرة . وقد رأينا كيف تعرفنا بصعوبة زائدة على قبور قليل جداً من خلفاء بني أمية أنفسهم .

لذا لن يكون أمامنا من وفيات هذه الطبقة من نتحدث عنه قبل زمن الأيوبيين الملىء برجال الدولة من قواد أبطال وولاة وأمراء . ولا غرابة في ذلك لأن زمنهم بعد الفترة المضيئة الثانية في تاريخ دمشق بعد الفترة الأموية كما ذكرنا في المقدمة .

١ — شاهنشاه بن أيوب : أخو صلاح الدين حارب مع نور الدين محمود بن زنكي واستشهد في إحدى المعارك ضد الفرنج عام ٥٤٣ هـ ودفن في تربة أيوبية تعرف اليوم بالتربة النجمية الكائنة في سوق صاروجة الى القرب من المدرسة الشامية .

٢ — توران شاه بن أيوب : أخو صلاح الدين وأكبر قواده فتح اليمن وولي دمشق لصلاح الدين عام ٥٧١ هـ . توفي في الاسكندرية والياً عليها سنة ٥٧٦ هـ فنقل جثثه ليدفن في تربة أخيه الكائنة في المدرسة الشامية سنة ٥٧٨ هـ .

٣ — فروخ شاه بن شاهنشاه بن أيوب : ابن أخي صلاح الدين صار والياً على دمشق سنة ٥٧٦ هـ وكان من كبار القواد والمجاهدين حارب الفرنج وأبلى بلاءً حسناً في موقعة مرج عيون وكان الى شجاعته عالماً كثير الأدب مطبوع النظم

والنثر وله أشعار كثيرة . لقب بعز الدين مات سنة ٥٧٨ هـ والياً على دمشق فدفن في تربة تعرف بالفرخشاهية كائنة شمالي حديقة المنشية .

٤ - الملك الأحمـد بهرام شاه بن فروخ شاه : ولاء صلاح الدين بطلبك بعد موت أبيه وكان شاعراً . اغتيل في دمشق ودفن في المدرسة الأحمـدية المجاورة لتربة أبيه الفرخشاهية المتقدمة الذكر .

٥ - الأمير ناصر الدين محمد بن شيركوه : زوج ست الشام أخت صلاح الدين توفي سنة ٥٨١ هـ والياً على حمص لصلاح الدين فدفنته زوجته في تربتها الكائنة في المدرسة الشامية في دمشق .

٦ - الأمير عز الدين ايبك : كان والياً على صرخد مدة طويلة توفي في الاسكندرية ونقل جثمانه ليدفن في مدرسته المعروفة بالعزبة قرب مدرسة التجهيز الأولى .

٧ - الأمير حسام الدين محمد بن عمر ( ابن ست الشام ) : توفي سنة ٥٨٧ هـ ودفن في تربة أمه الشامية البرانية المتقدمة الذكر . وهي تربة واسعة مزينة بزخارف ذات طابع أيوبي تضم عدة قبور الأمراء الأيوبيين وبنهم قبر ست الشام صاحبة التربة والمدرسة .

٨ - الأمير فخر الدين مر كس أو جهازر كس : أحد قواد الجيش الأيوبي كان نائباً على بانياس وتوفي سنة ٦٠٨ هـ ودفن في تربته في المدرسة الجهازر كسية الكائنة في العفيف .

٩ - الأمير فخر الدين ابراهيم بن الأمير شمس الدين محمد بن عبد الملك ابن المقدم توفي سنة ٥٩٧ هـ وكان والياً على قلعة بارين وعدة حصون توفي بدمشق ودفن بالمدرسة المقدمية خارج باب الفراديس في طريق مقبرة الدحداح ويطلق العامة على ضريحه خطأً ضريح طلحة .

١٠ — الأمير غورلو : تولى نيابة السلطنة في دمشق عام ٦٩٥ هـ في عهد سلطان المماليك العادل كتبغا وتوفي سنة ٧١٩ ودفن في دمشق في تربة لا تزال باقية الى اليوم الى جانب جامع الحنابلة .

١١ — الأمير تنكز : تولى نيابة السلطنة في دمشق من عام ٧١٢ الى ٧٤٠ حيث اعتقل وأخذ الى الاسكندرية فقتل ثم نقل الى تربته التي شيدها الى جوار جامع المشهور في دمشق .

١٢ — سيف الدين جقق : تولى نيابة دمشق سنة ٨٢٢ وقتل في القلعة عام ٨٢٤ ودفن بتربته في المدرسة الجققية الى جوار باب الجامع الأموي الشمالي وهي من أجمل مدارس العصر المملوكي بهندستها وزخرفتها .

١٣ — درويش باشا : ولي دمشق في عهد السلطنة العثمانية عام ٩٧٩ هـ وكانت سيرته حسنة وقام بأعمال عمرانية كثيرة منها جامع الدرويشية الذي بناه سنة ٩٨٢ . توفي عام ٩٨٥ ودفن بتربته التي عمرها الى جوار جامع .

١٤ — مراد باشا : تولى دمشق سنة ٩٧٦ فعمر الجامع المعروف حالياً باسم جامع النقشبندي في السويرة وتوفي في دمشق ودفن بتربته الى جوار الجامع المذكور .

### م — طبقة الصحابة

يتناقل العامة ذكر عدد كبير من الصحابة ماتوا في دمشق أو استشهدوا عند الفتح ويشيرون الى قبور ومزارات نسب أكثرها خطأ اليهم . وكذلك تفعل بعض كتب التاريخ الضعيفة ، وهذا ما يجعل البحث عويصاً يحتاج الى كثير من المطالعة والدرس للوصول الى حقيقة مقبولة ، ولم يتأكد لدينا بعد الاستقصاء والتحقيق أكثر من قبرين لاثنتين من الصحابة فقط ثبت موتها في دمشق وتضافرت أكثر الروايات على تعيين مكان قبرها وهما :

١ - بلال الحبشي : وهو بلال بن رباح من موالي قریش وأوائل الدين اعتنقوا الإسلام فمذبوا في سبيل الرسالة الجديدة . وهو أول من أذن في الإسلام ثم خرج الى الشام مجاهداً بعد وفاة الرسول (ﷺ) فتوفي في دمشق ودفن في مقبرة الباب الصغير حوالي ١٧ أو ٢٠ للهجرة ، وما يزال قبره معروفاً الى اليوم تحت قبة عالية عمرت في العهد العثماني ، وله ضريح من الخشب حديث الصنعة ركب فوق قبره الترابي القديم . وتذكر كثير من الروايات خطأ وجود قبره في مدن أخرى .

٢ - أبو الدرداء : عويمر بن عامر الخزرجي الأنصاري ، كان من أفاضل الصحابة ، ولده عمر بن الخطاب القضاء على دمشق في عهد ولاية معاوية فكان أول قاض فيها ، توفي في خلافة عثمان حوالي سنة ٣٢ للهجرة ودفن في مقبرة الباب الصغير وظل قبره معروفاً بذكره الرحالة الى جانب قبر زوجته أم الدرداء . وقد عثرت دائرة الآثار عام ١٩٣٨ على شاهدين احدهما تخص قبره والأخرى قبر زوجته مكتوبتين بخط كوفي يرجع الى القرن الرابع أو الخامس عثر عليهما مردومتين على بعد عشرين متراً الى الجنوب الغربي من قبر معاوية ، وهما محفوظتان في المتحف الوطني . ولا يبي الدرداء مشاهد ومزارات في أماكن أخرى منها مقامه الكائن في قلعة دمشق الذي ذكره المؤرخ ابن طولون في الشجرة للضيئة في القرن العاشر الهجري .

وهناك قبور أخرى لعدد من الصحابة نشك في صحة نسبتها الى أصحابها ، ولعل السبب في إشاعة ذلك وادعائه التبرك بأكثر عدد من الصحابة وجعل دمشق تنقدم على غيرها في هذا المضمار . ومن هؤلاء نذكر :

١ - صهيب الرومي : له قبر في الميدان يطلق عليه الناس اسم سيدي صهيب ، ويربدون به الصحابي صهيب الرومي . وقد أجمعت أكثر الروايات على وفاته في المدينة سنة ٣٩ هـ . م (٨)

٢ - أبي بن كعب : مات في المدينة أيضاً وله قبر عند باب شرقي خارج السور .

وقد بني عليه جامع يرجع الى عام ١٠٣٠ هـ .

٣ - شرحبيل بن حسنة : أحد أمراء جيش الفتح الذين قدموا الى الشام مع أبي عبيدة ، مات في طاعون عمواس مع أبي عبيدة بن الجراح عام ١٨ وعمواس قرية بين الرملة والقدس في فلسطين حيث دفن أبو عبيدة ، ولا تشير رواية ما الى مكان قبره وأول من ذكر أن قبره في دمشق صاحب كتاب تحفة الأنام أمين البصري من القرن العاشر الهجري ، وضريحه وضريح خولة بنت الأزور التي هي أيضاً لم يتأكد وصولها الى دمشق موجودان ضمن تربة واحدة يحويها مسجد بني عام ٩٠٩ هـ خارج باب توما .

٤ - ضرار بن الأزور : أحد الأبطال الكبار في صدر الإسلام اشتهر بجهاده في حروب الردة تحت قيادة خالد بن الوليد وقتل في هذه الحروب في اليمامة كما يذكر بعض المؤرخين أو في أجنادين أو في الكوفة كما يذكر البعض الآخر . إلا أن العمري صاحب مسالك الأبطال المتوفى سنة ٧٤٩ يذكر بأنه قتل أثناء فتح دمشق ، خلافاً لما ذكره الواقدي ، ودفن في القبر المنسوب اليه .

٥ - الصحاب السبعة في جامع الأقباب : في هذا الجامع غرفة كتب عليها بخط حديث هذا مدفن سبعة من أصحاب رسول الله حجر بن عدي الكندي ورفاقه ، والثابت أن حجراً وأصحابه قتلوا بأمر معاوية وهم قادمون من الكوفة عند قرية عذراء سنة ٥١ هـ وذكرت أكثر الروايات بأن قبورهم هناك في عذراء .

٦ - صحابة جامع الشهداء : في الصالحية مسجد صغير يعرف بالشهداء فيه قبور ثلاثة من الصحابة هم حرمة بن وائل وجابر بن مسعود ومساعد ، ولا نعتقد بوجود أساس لصحة هذا الادعاء .

## د — طبقة آل البيت

إن أكثر قبور آل بيت الرسول (ﷺ) رغم شهرتها وفخامتها لا تمت اليهم بصلة ، وهي قديمة في دمشق بذكرها الرحالة ويؤمها الزوار من كل مكان وخاصة الشيعة وأغصانهم . ولعل إقامة هذه المزارات يرجع الى عهد الحكم الفاطمي حيث اشذت الدعوة لآل البيت والحماس لهم ولا غرابة لأن يتقبل الناس شيعة وغير شيعة مثل هذه البدع نظراً لمكانة الرسول العظيمة وكل ما يمت اليه بصلة ، وأصحاب هذه القبور هم :

١ — سكينة بنت الحسين : توفيت في المدينة كما تذكر أكثر الروايات ولكن لها قبراً فخماً في مقبرة الباب الصغير عليه قبة نخمة مفروشة بالسجاد مزينة يختلف الهدايا والزخارف والفرج قديم مصنوع من الخشب المحلى بالزخارف المحفورة الخزرة والكتابات الكوفية ، ويرجح أنه صنع في العصر الفاطمي .

٢ — فاطمة بنت الحسين : لها قبر في مقبرة الباب الصغير أيضاً وعليه قبة وضريح من الحجر عليه اطار من الكتابات الكوفية المزهرة بخط غريض جاء فيها : « هذا قبر فاطمة ابنة أحمد بن الحسين بن السبطي توفيت رضي الله عنها في رجب سنة ٤٣٩ هـ ومعنى ذلك بأن صاحبة القبر ليست بنت الحسين كما يظن عامة الناس وإنما هي واحدة تدعى فاطمة ماتت في القرن الخامس ربما كانت من آل البيت اذا صححت نسبتها الى بيت علي بن أبي طالب ، ومهما يكن فان قبرها محاط بالاحترام والتقدير من قبل طائفة الشيعة مما يظن معه بأنه حقاً قبر فاطمة بنت الحسين بن علي .

٣ — زينب الصغرى بنت علي : وتلقب بأُم كلثوم لها قبران في دمشق الأول في قرية راوية المعروفة حالياً بالست الواقعة الى الجنوب الشرقي من دمشق على بعد عدة كيلومترات .

وهو مزار شهير محنق به يؤمه الزوار من مختلف أنحاء العالم الإسلامي وبقدمون عنده النذور وحوله الأبنية لنزول الغرباء وعليه قبة نفحة محلاة بالمارياصمن ومسجد واسع ، وقد أهدته الحكومة الإيرانية حديثاً ضرباً ثميناً من الفضة .  
والقبر الآخر في مقبرة الباب الصغير في قبة خاصة به نضحه الى مقام الست مسكينة .  
ورغم كل ذلك فنحن لا نعتقد بصحة نسبة هذين القبرين الى زينب بنت علي ابن أبي طالب لأن هذه ماتت في المدينة كما يقول المؤرخ عز الدين بن شداد .  
ويذكر صاحب كتاب أعلام النساء بأن قبرها بمصر عند فناطر السباع .

٤ - مشهد الحسين : كلنا يعلم بأن الحسين بن علي قتل وهو في طريقه الى الكوفة في معركة كربلاء سنة ٦١ ونقل رأسه الى دمشق ليراه الخليفة يزيد ابن معاوية . ويوجد للحسين مزارات كثيرة يطلق عليها اسم مشهد تشير الى قبره ، ولعل الأصح أن تعتبر نصباً تذكارية ، لأنه لا يعقل أن يدفن رأس الحسين أو جثته في عدة بلدان . له مشهد شهير في كربلاء حيث قتل يرجح أن يكون القبر الذي وارى جثته ، كما أن له مشهداً في جامع بني أمية في دمشق ، في مكان يطلق عليه اسم مشهد الحسين حالياً وقد أطلق عليه في القديم مشهد علي وكذلك مشهد زين العابدين ( ابن الحسين ) ، وله مشهد آخر في القاهرة . وتؤكد المصادر بأن رأس الحسين نقل الى دمشق ولكنهم لا تشير الى مكان دفنه ، ثم تذكر بعض الروايات التاريخية حادثة نقل رأسه من دمشق الى المدينة في عهد يزيد وبعضها يذكر أنه نقل في العهد العباسي ، ويذكر البعض الآخر قصة نقله الى القاهرة في العهد الفاطمي .

٥ - الست رقية : في داخل باب الفراديس مسجد صغير فيه قبة يرجع عهد بنائها الى العصر الأيوبي تضم ضرباً جميل عليه قفص معدني أهدى إليها من قبل الحكومة الباكستانية منذ سنوات ويظن الناس بأن هذا القبر لرقية بنت



الرسول . ولكن هذه مانت في المدينة وقبرها هناك ، فنسبة هذا القبر لها خطأ ولعله لواحدة من سلالة علي يهتم بها الشيعة .

٦ — أم حبيبة : هي زوجة الرسول وأخت معاوية بن أبي سفيان لها قبر في مقبرة الباب الصغير عليه قبة صغيرة بنيت في عهد السلطان عبد الحميد الثاني .  
واعل ما يجعلنا نقبل نسبة هذا القبر إليها ، ما ترويه المصادر من زيارة زوجة الرسول لأخيها معاوية في الشام ، وما ينقله ابن عساكر عن ابن الأثير كفا في خبر مشاهدة هذا الأخير قبرها فيما شاهد من قبور الصحابة والخلفاء في مقبرة الباب الصغير وذلك في القرن الخامس الهجري .

### ٥ — طبقه العلماء

كثيرون هم العلماء الذين اشتهروا في دمشق خلال العصور كقضاة أو محدثين أو مؤرخين أو أطباء أو صوفية الخ . . . . وهم فوق الحصر والتعداد وأخبارهم تملأ كتب التراجم الا أن قبورهم ضائعة لا يعرف عنها سوى أنها في مقبرة الباب الصغير أو في سفح فاسيون أو الروضة أو مقابر الصوفية في الشرف القبلي ( يعني منطقة الجامعة والمستشفى ) أو مقبرة الدحداح خارج باب الفرائس أو مقبرة الشيخ رسلان ، وقد اخبرت من هؤلاء العلماء من تعرفت على قبره على وجه الدقة .

١ — ابن نيمية : هو تقي الدين أحمد بن نيمية الحراني ثم الدمشقي . لقب بشيخ الإسلام الفقيه العالم المجاهد ولد بجران سنة ٦٦١ هـ وقدم مع والده وأهله الى دمشق وهو صغير وتوفي بها سجيناً بقاتها من قبل السلطان المملوكي في أيام ولاية تنكز نائب الشام سنة ٧٢٨ هـ . وقد احتفل أهل دمشق بجنائزته احتفالاً لا يحصى به إلا العظماء القلائل . لقد خرج أهل دمشق نساءً ورجالاً ومعهم أهل القرى والأطراف لتشيعه . صلى عليه في الجامع الأموي

وأخرجت جنازته من باب البريد فلم يتمكن الناس من الخروج وراءها فتوزعوا على أبواب الجامع وضافت بهم الطرقات فخرجوا من أبواب البلد جميعها ليتحركوا من تشبيع الجنازة الى مقرها الأخير في مقبرة الصوفية ، وقبره هناك معروف ومضان في حديقة تقع خلف دار التوليد .

٢ — ابن عساكر : هو علي بن الحسن بن القاسم الدمشقي محدث الشام ومؤرخها المشهور ومؤلفه التاريخي الضخم الذي وضعه قديماً في ثمانين مجلداً ، ولد عام ٤٩٩ ورحل كثيراً في طلب العلم ثم توفي في دمشق عام ٥٧١ ودفن بمقبرة الباب الصغير شرقي قبر معاوية . وقبره ضائع يحتاج الى شيء من التحريات للعثور عليه .

٣ — ابن كثير : هو عماد الدين اسماعيل بن عمر بن كثير الملقب بالحافظ الكبير من أبناء بصرى الشام ، قدم دمشق وعمره سبع سنوات فتعلم ونبغ في الحديث والفقه ، وله كتب كثيرة أشهرها كتاب في التاريخ سماه البداية والنهاية وضعه في أربعة عشر مجلداً ، ويعتبر من المصادر الهامة . ولد سنة ٧٠٠ وتوفي سنة ٧٤٧ ودفن الى جانب أستاذه ابن تيمية وقبره هناك معروف .

٤ — محيي الدين بن عربي : هو أبو بكر علي الحاتمي الطائفي الأندلسي المشهور بابن عربي ، ولد بمرسية في الأندلس سنة ٥٦٠ وساح في البلاد ومات في دمشق سنة ٦٣٨ ، وضع عدة مؤلفات في التصوف جعلته من أئمة المتصوفين والفلاسفة الإلهيين ، واختلف الناس فيه فبعضهم من أنكر عليه فلسفته وصفها ومنهم من راعه الى مرتبة الأولياء . وقبره مشهور في الصالحية له مزار وقبة أمر ببنائها وبناء جامع الى جانبها السلطان سليم الأول سنة ٩٢٢ هـ ، وتضم تربته قبور عدة أشخاص منهم الأمير عبد القادر الجزائري .

عبد القادر السريحاوي

## التعريف والنقد

× الإمام محمد بن عبد الوهاب

مولده سنة ١١١٥ هـ وفاته سنة ١٢٠٦ هـ

تأليف الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار

لا شك أن الإمام محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله تعالى) هو مجدد أمر الدين في القرن الثاني عشر هـ في أرض نجد وما جاورها من الأقطار العربية ، فقد نشأ المترجم ، ورأى الناس منغمسين في الجهالة والضلالة معا ، ووجد أكثر من يقول : لا إله إلا الله ، منهمكين في دعوة سواء ، من لا يضر ولا ينفع ، لقضاء الحاجات ، وتفريج الكربات ، وهم ينكرون على من دعا إلى عبادة الله وحده ، ويزعمون أن ذلك بدعة وضلالة ، ويعادون من عمل بالتوحيد وأحبه ، وأنكر الشرك وأبغضه ، وبعضهم لا يعتد بالتوحيد علماً ، ولا يلتفت إليه لجهله به ، وعدم محبته له . ونحن نعلم بالضرورة أن النبي صلوات الله وسلامه عليه ، لم يشرع لأحد أن يدعو أحداً من الأموات بلفظ الاستغاثة ولا بغيرها ، وأن ذلك مما نهى عنه الله ورسوله قال تعالى : « فلا تدعوا مع الله أحداً » ولكن لغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة في كثير من المتأخرين لم يمكن تكفيرهم بذلك حتى يبين لهم ما جاء به الرسول ﷺ مما يخالفه . كما جرى للشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب في ابتداء دعوته فإنه كان رحمه الله إذا معهم يدعون زيد بن الخطاب رضي الله عنه قال : الله خير من زيد ، فمريباً لم على نفي الشرك بلين الكلام ، ونظراً إلى المصلحة وعدم النفرة .

أمامنا الآن هذا الكتاب ، المسمى ( محمد بن عبد الوهاب ) البالغ ( ١٣٦ صفحة ) المطبوع هذه الطبعة الثانية على نفقة المحسن السيد حسن شربتلي ، ( سنة ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٦ م ) المشتغل على مقدمتي الطبعتين للمؤلف وثلاثة الأستاذ محمد جميل شقदार تبين منزلة هذا الكتاب من الناحية الفنية على غيره .

وأما مباحثه فأولها : ( الحياة في نجد ) ( ص ١٧ - ٣٢ ) بين الأستاذ العطار فيه كيف كان الناس يتخبطون في دياجير الجهل والكفر والظلام ، وكيف يقتل الأمراء والحكام - مَنْ بُذِرَ كَرَمُ يوم الله ، ويخيفهم عقابه الأليم ، فأغتاخوا كثيراً من العلماء الأجلاء رحمهم الله ، وفي هذه الصفحات الثلاث ( ٢٠ - ٢٣ ) وصف حوادث القتل ، عن تاريخ نجد للشيخ عثمان بن بشر ، وهي مما :  
بصم السميع وبعمي البصير      ويسأل من مثله العاقبة

ثم نقل المؤلف ما ذكره المؤرخ ابن غنم في تاريخه عن فساد الحياة الدينية في القرن الثاني عشر في نجد والأحساء وغيرهما من البلاد العربية ، وعبادة الصالحين والأولياء ، والتبرك بالأشجار والأحجار ، وضرب لذلك الأمثال .  
والمبحث الثاني في ولادة محمد ونشأته ( ٣٣ - ٣٧ ) وكان أكل ناضج في قومه . والثالث : حجه البيت وزيارته المدينة . وقد أخذ العلم في المدينة عن أعلامها . والرابع : من المدينة إلى نجد ، ولم يطل به المقام في نجد حتى تجوز للسياحة في جزيرة العرب ، ولما دخل البصرة ، ودعا إلى الله على بصيرة ، لقي من أهلها الأذى والعدوان ، ومكث في الزبير أياماً ، ثم عاد إلى نجد ويقيم ( حريراً ) داعياً ، آمراً ناهياً في كنف أبيه ، ولكنه نجح بموته رحمه الله ( سنة ١١٥٣ ) فوجد عليه أشد الوجع ، واستقل بأعباء الدعوة في نجد ، صابراً محتسباً ، ولقد تأمر العبيد ، الأتجناس المناكيد ، على حياته ، ولكن الله سلم ، ثم انتقل إلى بلدة العيينة ، وكان أميرها عثمان بن حمد معمر ، فأكرمه ، وزوجه من ابنته جوهرة وكانت امرأة عاقلة فاضلة ، فأعانت الشيخ

في أمر الدعوة ، ثم ناصبه العداء ، الأمراء والسفهاء ، فدخل بلدة الدرعية ، ونزل عند عبد الله بن سويلم ، فنقل خبره إلى أمير الدرعية محمد بن سعود . فجاء الأمير بنفسه ومعه بعض رجاله إلى دار ابن سويلم ، ورحب بالشيخ ، وأنزله عنده ، وتعلمذ له هو وأشقائه وكبار الدرعية ، وعمّ العلم جميع الطبقات ، وتتابعت الوفود إلى الدرعية ، يستقون من معين العلم الصافي الذي لم تكدره البدع والأوهام .

ولما رأى ابن معمر أن شأن صهره الذي أخرجه من بلده طربداً قد عظم ، قصّد الدرعية ودعا الشيخ مؤكداً أنه سبب نصره عزيزاً ، فأجابه الشيخ بقوله : إن الفرصة قد ضاعت .

وعاد عثمان بن معمر إلى الدرعية مرة ثانية لاسترضاء الشيخ ولكنه لم يفلح ، أما أهل العيينة فقد تابعوا الشيخ كأهل الدرعية مبايعة صادقة كان منها : « كما نبايح على عداء كل من عادى الشيخ وموالاة من والاه ولو أنه أميرنا عثمان » لكن عثمان لم تكن مبايعته عن صفاء نية وصدق عقيدة . قال ابن بشر : في سنة ١١٦٣ هـ قتل عثمان بن معمر في مسجد العيينة بعد صلاة الجمعة ، انتدب لقتله أناس من جماعته ، ذكروا أنهم تحقّقوا منه نقض العهد وموالاة الأعداء وبمالاتهم اهـ ، ثم أقام الشيخ شقيق القليل شاري أميراً مكانه وأمر أهلها بالطاعة له ما لم بدع إلى منكر . واكتظت الدرعية بطلاب العلم ورواد الحق . نقلت أخبار الأوامم محمد إلى الكبراء ، فخاف الأمراء الأقوياء أن يمتد سلطان المصلح الجديد إلى ممتلكاتهم ورعاياهم ، وكان من ذلك أعدائه دهام ابن دواس أمير الرياض ، وسليمان أمير الأحساء ، وبنو خالد ، وابن مغلق أمير القطيف ، وابن ثويني أمير البصرة ، وكان أشد الأمراء عداء لدعوة الحق والإصلاح دهام ، فدارت حروب طاحنة بينه وبين الأمير محمد بن سعود ، وانتصر ابن سعود عليه ، فخادع دهام ، وكاتب الأمير والشيخ بانضمامه مع

جيشه إليهما ، وفي ربيع سنة ١١٧٨ هـ خرج ابن سعود ومعه دهام بأهل الرياض لحرب العجمان الذين استنجدوا بصاحب نجران وغيره من القبائل فأفجدهم ، وخان دهام ، فكان على الأمير ابن سعود مع العجمان ، وبسبب هذه الخيانة هزم ابن سعود وقتل رجاله . وأعاد الله له الكرة بعد ذلك ، وخرج دهام خارجاً على وجهه ، من بعد أن قامت الحرب بينه وبين الأمير سعود نحو صبيح وعشرين سنة . وابتلى الأمير والشيخ بعد دهام بعريعر أمير الأحساء ولم يكن أقل شراً وضراً من غيره ، ثم صرفه الله كما صرف ابنه بطين من بعده ، قال المؤلف ( ص ٨٩ ) : ومن أراد أن يشبع رغبته من الاطلاع على الوقائع كلها ، فليرجع إلى تاريخي ابن بشر وابن غنام .

ولما شعر الشيخ بدنو أجله ، اعتزل السياسة والحكم تاركاً أمر إدارة المملكة إلى الأمير عبد العزيز نجل الأمير محمد آل سعود ، وتفرغ للتدريس والتصنيف ، وذكر له الأستاذ المطار ثمانية عشر مؤلفاً ، قال ( ص ٩٧ ) : وللشيخ رسائل أخرى وفتاوى كثيرة ، لو جمعت لكانت أجزاء عدة لكتاب ضخمة .

### ( المشابهة بين عهدين )

تحت هذا العنوان عقد المؤلف فصلاً في المشابهة بين عصر الضلالة قبيل النبوة ، وعصر الجهالة قبيل قيام الإمام ابن عبد الوهاب بنشر الدعوة . فرقت راية التوحيد في العهد الأول ، وراية التجديد في العهد الثاني ، وكانت الهجرة والنصرة للموحدين في العهدين ، فنصر الله عبده وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده .

### ( الدعوة الوهابية )

ذكر المؤلف في هذا المبحث الدعوة الوهابية وخلاصتها : الدعوة إلى الدين الخالص ، والكلام الطيب ، والعمل الصالح . وقد أورد المؤلف طائفة من كلام مشاهير العلماء والكتاب في المذهب الوهابي ، وأنه المذهب الحنبلي بعينه ، وجعلوا

محمد بن عبد الوهاب ثالث الرجلين في الإصلاح والتجديد : ابن تيمية وابن القيم الدمشقيين .

وفي جوهرة الدعوة الوهابية ( ص ١٩ ) ومبحث القبور والخور ( ص ١٢٥ ) إلى آخر الكتاب ، أهم المسائل التي دعت إليها الوهابية ، والتي حذرت منها أو نهت عنها ، فالأولى تضمنت صرف جميع أنواع العبادة لله وحده ، ومنع التوسل بغير العمل والدعاء ، والاستعانة بغير الله فيما لا يقدر عليه الخلق ، وطلب الشفاعة من مالئها ، والغلو في أهل القبور ، وتحريم المسكرات ، ومنع الدخان ، وذكر أدلتها من السنة والقرآن ، ونقل عن بعض من تكلم فيها من الأئمة الأعلام .

ولا يخفى الكتاب من أغلاط قلبية ومطبعة نشير إلى صفحاتها :

| الصفحة | الخطأ              | الصواب           |
|--------|--------------------|------------------|
| ٧٨     | خير                | خير              |
| ٧٩     | سبعاً وعشرين       | سبع وعشرون       |
| ٨٠     | عن بعضها           | بعضها عن بعض     |
| ٩١     | في عصر             | في عصره          |
| ١٠٥    | حمر النعم          | من حمر النعم     |
| ١٠٥    | حقاً               | هذا              |
| ١٠٨    | وابن القيم الجوزية | وابن قيم الجوزية |
| ١١٦    | عمر بن النصر       | عمر أبي النصر    |
| ١١٦    | جزيرة العرت        | العرب            |
| ١١٩    | ولا نخشوم          | ( فلا نخشوم ) .  |
| ١٢٩    | ويخرجاه            | ولم يخرجاه       |

واعلم المؤلف قد سماها عن وضع فهرس للكتاب ، والله الموفق وإليه المآب .

## × الشيوعية والإسلام

تأليف عباس محمود العقاد — أحمد عبد الغفور عطار

كتاب يقع في مائة وستين صفحة . أوله ( إلى ص ١٠٨ ) للأستاذ العطار .  
والقسم الثاني عنوانه « الإسلام والشيوعية » وهو فصل كبير من مؤلف ضخيم ،  
للأستاذ الشهير العقاد ، سماه « الشيوعية والإنسانية » ، وقد أحسن الأستاذ  
العطار بضم هذا الفصل إلى كتابه ، إذ دافع فيه الأستاذ العقاد عن الإسلام  
في قضايا الرِّقِّ وتعدد الزوجات ، وحدود العقاب ، وشروط المعاملات الاقتصادية  
وغيرها دفاعاً مقنعاً لا يحتمل الجدل الباطل ، وبين فيه جناية المذهب المادي  
على المرأة والأمرأة ، ثم على المجتمع في حاضره ومستقبله ، قال ( ص ١٤٣ )  
فلن يكون خلاصها من الاستغلال على يد النظام الذي يرسلها إلى الأسواق ،  
والمصانع ومعارك السياسة والكفاح ، ولن يتخلص من الاستغلال إلا إذا ملكت  
بيتها أمًا وربة أسرة ، وسيدة للعالم الصغير ، وذكر القيود والشروط لإقامة  
الحدود والتعازير ، وأوضح حل الإسلام لمشكلة الفقر والحاجة بإيجاد العمل على  
القادرين ، وإسعاد العجزة والعظام النخرة ، من طول السنين . وأما الأستاذ  
العطار فقد حارب الشيوعية حرباً لا هوادة فيه ، ولما سأله بعض الإخوان عن  
رأيه فبين بنقاب شيوعياً من المسلمين ؟ أجاب بأن الشيوعية تنكر وجود الله  
ورسالة الرسل عليهم السلام ( قال ص ٨ ) وهذا وحده كاف لأن يهديننا إلى  
الحكم على معتنقها ، ( قلت ) وهذا القدر معرف بالحكم ، وهو يغني عن كل  
ما سبقه ولحقه من سب وشتم ، لا سيما بعد أن عادت الشيوعية واعترفت بالأمرأة ،  
وبالملكية الفردية ، وقال ( ص ١٠٦ ) لقد لحق التبدل والتغيير كل قواعد  
المذهب وأصله ، فالأمرأة قامت من جديد ، والملكية اعترفت بها ، واعترفوا  
بالوطنية والقومية ، ورفّع النقد الأدبي رأسه ، فصارت الصحف الروسية تفسر  
النقد ، ولكن ليس للأداة الحكومية وجهاز الحكم ، ومن ييدهم مقادير البلاد ،



ومع ذلك فهو بشري خير إن شاء الله ، وكذا تقرأ في الفصل الذي عقده الأستاذ العقاد ، رجوع الشيوعية عن عوامل الهدم والفساد ، في الأميرة والمجتمع ، وإثبات الحربية الشخصية ، والملكية الفردية ، في المزارع ، وهزيمة المذهب القديم ( ص ١٥٦ و ١٥٩ ) . وهذا يدل دلالة صريحة على أن الشيوعية كانت شيوعية أرض لا شيوعية عرض .

وكان لبس مجمعنا العلمي بدمشق دعوة المجمع الموسكوي سنة ١٣٧٤ هـ = ١٩٥٤ م ، واجتمعت هنالك باخواني المسلمين ، وصليت الجمعة في جوامع موسكو وطاشقند ، وزرنا مقم بن العباس ( رضي الله عنها ) الذي استشهد في سمرقند ، وشاهدنا جامع لينين كراد الذي بنوه بعد الانقلاب الأخير في عاصمة الروس القديمة ، وكنا نسمع خطب الجمعة بلغة القرآن ، واجتمعنا في طشقند بالشيوخ المعمر المفتي العام رحمه الله ، وتناولنا الطعام على مائدته مع القاضي الفاضل ، وأخبرونا أن أربعة عشر جامعاً في هذه العاصمة تقام فيها الصلاة ، وعدد نفوسها نحو مليون نسمة ، ورئيس جمهوريتها مسلم ، وأكثر أعضاء المجمع العلمي في طاشقند من المسلمين ، وأكثر من ثمانين بالمائة منهم أيضاً ، وهم يزيهم الشرقي وعمائمهم كما رأينا في مكة والمدينة وجدة والطائف من أرض الحجاز ، وفي بلاد الشام ، وشهدنا - في سمرقند - تجديد عمران المساجد القديمة ، ورأينا صورة داعية الإسلام في بلاد الروس الشيخ طنطاوي عبيد المصري ( رحمه الله ) الذي توفي من نحو نصف قرن ، مرتفعة على الجدران مع صور مشاهيرهم وأكرم رجالهم ، وانما ذكرت هذا عملاً بقوله تعالى « وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَنْ لَا تَعْدِلُوا : اْعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ » ( أي لا يجعلنكم بغض قوم لكم ، أو بغضكم لهم ، على ألا تعدلوا فيهم : اعدلوا هو أقرب للتقوى ) وهذا أمر إلهي لا يستطيع المسلم أن يعدل عنه ، أو يجاري فيه ، فاللهم ألهمنا رشدنا .

## - أسرار العربية -

للإمام أبي البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري

بتحقيق الزميل الأستاذ محمد بهجة البيطار من أعضاء الجمع العلمي العربي

عدد صفحاته ٢٩٤ ، غير الهارس ، وطبع بدمشق ( ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٧ م )

إن من أظهر صنائع الجمع العلمي العربي الجديرة بوقف الأستاذة على شكرها اهتمامه بنشر ذخائر سلفنا العربي الصالح التي تعين على بحث لغتنا وإحياء آثارنا العلمية والأدبية ، ومن أنفس تلك الذخائر الدالة على مبلغ عنايتنا سلفنا بالعربية وعلومها ( كتاب أسرار العربية ) للإمام عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري الحكم الفصل بين المذهبين البصري والكوفي في النحو ، وغير المتجهز لمذهبه البصري ، إن كان الحق يؤيد الكوفي ، وفي ذلك ما فيه من بث روح الانصاف في طلاب النحو ، والحث على التزام الحيدة العلمية في التأليف والتعليم ، ولا أبين لما ذكرت ولا أوصف لموضوع هذا الكتاب مما وصفه به في المقدمة مؤلفه إذ يقول :

« وبعد فقد ذكرت في هذا الكتاب الموسوم « بأسرار العربية » كثيراً من مذاهب النحويين المتقدمين والمتأخرين من البصريين والكوفيين ، وصححت ما ذهب إليه منها بما يحصل به شفاء القليل ، وأوضحت فساد ما عدها بواضح التعليل ، ورجعت في ذلك كله الى الدليل ، وأعفيت من الإسهاب والتطويل ، وسهّلت على المتعلم غاية التسهيل ، والله تعالى ينفع به ، وهو حسبي ونعم الوكيل . »

وقد صرف الأستاذ الناشر الفاضل نظره عن إبداء ملاحظاته والمبالغة في التعليل والتفادي من الإملال والتطويل ، مكتفياً بإخراج نسخة صحيحة

من النسخ المخطوطة والمطبوعة التي بكل بعضها بعضاً ، كما عني بتفسير غامض اللغة وشرح الشواهد وعزوها الى أهلها مع ايراد تراجم لما في الكتاب من العلماء والشعراء ، كما كشف عن مكامن فوائده بفهارس مفصلة تعين على الرجوع الى المسائل التي يحتاج المطالع أو المراجع اليها ؛

وهناك لأمرار العربية ثلاثة أصول مخطوطة : أحدها مخطوطة مدينة السلام القديمة القوية التي اعتمد عليها المستشرق الألماني فريدريك صبولد لكتابتها فاعتمد عليها الناشر لذلك ، ولسقوط أبواب كاملة من النسختين المغربيتين ؛ وقد مضى على طبع أمرار العربية بليدن ثلاثة أرباع القرن ، ففقدت النسخ المطبوعة كلها ، وفي بلادنا العربية خاصة ، وأصبح بذلك هذا الكتاب المطبوع كالمخطوط ، وبعده عن العيون كالمدفون ، مما دعا مجمعا العلي إلى إعادة طبعه لتعميم نفعه . هذا وقد أكل الناشر الحقن هذا الكتاب الجليل بترجمة ضافية للمؤلف في حياته العلمية والخلقية وبين ماله من مؤلفات ممتعة أحسن للقراء وصفها ، وبذلك أصبح هذا الكتاب المنشور داني القطوف للراغب وقرب المنال للطالب ، لا تشوبه سوى هفوات مطبعية لا يخلو منها كتاب ، فالحق يجزي المؤلف والناشر عن العربية خير الجزاء ، فلقد بقصر عن حقها طوبل الثناء .

التنوي

## اقتصاديات العراق

محاضرات الدكتور عبد الرحمن الجليلي في ٢٥٥ صفحة

إن درس الحالة الاقتصادية ، في كل قطر من الأقطار العربية ، من قبل الإخصائيين ، فيه فوائد جمة ، للعرب أجمع ، إذ يعرف بعضهم بعضاً ، ويتفاهمون في الأمور الاقتصادية ، ويتقاربون في الأعمال ، وقد أحسن معهد الدراسات العربية العالية ، في جامعة الدول العربية ، في الطلب الى بعض الاقتصاديين بالقاء محاضرات على طلبة المعهد ، وفي جمعها في كتاب على حدة .

لقد كان الدكتور عبد الرحمن الجليلي من الذين حاضروا عن اقتصاديات العراق . وقد بحث الدكتور الجليلي في محاضراته هذه ، عن مساحة العراق ، والأراضي القابلة للزراعة هناك ، وحالة الأمطار ، ومقدار الإنتاج ، وعدد السكان والبدو ، وعدد عمال الزراعة ، الذين يبلغون ٦٠ — ٨٠ في المئة من مجموع السكان .

وبين حالة التعليم في المدارس وان عدد التلاميذ قرابة ربع مليون أي ١٢٪ من مجموع السكان ، وان عدد المدارس قد ارتفع الى ١١٠٠ مدرسة كما بين أن لكل ٧٠٠٠ شخص طبيباً واحداً ، وان الملاريا تقضي على ما يقرب من ٥٠ الف نسمة في كل عام .

وقدر متوسط دخل الفرد السنوي بحوالي ٣٠ ديناراً للفرد ، على اعتبار ان مجموع دخل العراق العام السنوي هو ١٥٠ مليون دينار ، وهو دخل ضعيف ولا شك مما يدل على أن الحكومة العراقية كانت نائمة عن تحسين اقتصاديات البلاد ، وعلى أنه لولا النفط ، الذي بلغ دخل الحكومة منه عام (١٩٥٣) ٥٢ مليون دينار ، ثم ارتفع الى قرابة مئة مليون دينار في عام ١٩٥٨ ، لكانت بقيت اقتصاديات العراق سبئنة لزمان طويل .

ثم بحث عن صادرات العراق ، وعدد الجرارات والدراسات الحاصدات ، ومعبشة الفلاح السبئة الذي هو عبارة عن أجبر عند صاحب الأرض .  
ثم بحث عن الماشية ( كل أنواع الحيوانات ) التي تبلغ قرابة عشرة ملايين رأس ، وهي قليلة ولا ريب .

ويبحث عن الصناعة وقال ان العراقيين لم يعتادوا توظيف أموالهم في الصناعة ، ولام الحكومة عند بيان السبب بقوله : « عدم قيام الحكومة بتوفير الناحية الفنية والإدارية لتشجيع الناس على الدخول في المجال الصناعي لأن مجرد الإعفاء من الضرائب لا يغير الأشخاص الذين لا يعرفون كيف يستثمرون أموالهم في الصناعة ( ص ٦٣ ) » .

ثم بين أن الحكومة العراقية قامت ببعض الصناعات ، كصناعة الآفشة ، والاسمنت ، والسكر ، ولكنها لم تدر مصانعها بمهارة مما جعل الدكتور المخاضر يقول : « ان التبذير في الأعمال الحكومية قضية مسلم بها وعدم وجود الدافع الشخصي والمنفعة الذاتية ، يجعل كفاة المصانع الحكومية أقل من كفاة المصانع الفردية » ( ص ٧٢ ) .

وقد انتقد الإقليمية الضيقة في البلاد العربية ، التي لم توجد صناعات ثقيلة ، فقال : « وبكفي أن نشير الى أن صناعات عسكرية كبيرة ، وميكانيكية يمكن أن تنشأ ونجح في البلاد العربية لو كانت الوحدة بينها حقيقية وصحيحة » ( ص ٧٥ ) وهذا قول حق .

وقال إن إحداث المصرف الصناعي في العراق عام ١٩٥٠ برأسمال مليون دينار ثم ارتفاع رأس المال الى ثلاثة ملايين عام ١٩٥٢ قد أفاد الصناعة في العراق .  
ويبحث عن التجارة في العراق وبين العجز التجاري المتواصل ، وان المستورد في عام ١٩٥٣ كان بقيمة ٥١ مليون دينار ، بينما لم يكن المصدر إلا بقيمة (٩) م

٢٠ مليون دينار ، أي ان العجز كان ٣١ مليون دينار وهذا دليل على اهمال الحكومة آنئذ .

ثم بحث النظام النقدي في العراق ، وان المصرف الوطني قد أسس عام ١٩٤٧ ، وبين أن مجموع الودائع التي في حوزة المصارف التجارية في عام ١٩٥٢ كان ٣١٥٣ مليون دينار وهو قليل ولا ريب .

وبحث عن النفط العراقي والشركات التي تستثمره وتاريخها ومقدار الانتاج وحصة العراق ، ومساهمة العراق في الشركات والمصافي هناك ، وخط الانابيب بين كركوك وبانياس وطوله ٥٦ ميلاً ، وسعته ١٤ مليون طن ، وتأثير النفط في الاقتصاد العراقي ، ونسبة الدخل من النفط الذي بلغ عام ١٩٥٣ ٥١ مليون دينار الى الدخل القومي الذي هو قرابة ١٥٠ مليون دينار ، وان حصة الحكومة من النفط هي ٥٠ ٪ فقط .

ويظهر أن الحكومة العراقية ، قد قصرت في استهلاك مقدار كبير من أسهم شركات النفط ، التي تحسب بموجبها حصة العراق ، لأن العراق يحرم من جراء تلك الأسعار ، ما يزيد على ١٠ - ١٥ مليون دينار في كل عام .

وتحدث عن مجلس الاعمار الذي أحدثته الحكومة العراقية عام ١٩٥٠ ، ووزارة الاعمار التي أوجدتها عام ١٩٥٣ وبين الصلاحية الواسعة للمجلس والوزارة ، وقد بلغت واردات المجلس في عام ١٩٥٤ مقدار ٣٨٨ مليون دينار والنفقات ٣٠ مليون دينار فقط ، وان المجلس أقرض مبلغ ١٤ مليون دينار الى المصالح والدوائر المستقلة ، وان المجلس أوجد برامج للزراعة والصناعة والمواصلات والمباني لمدة خمسة أعوام ، وكل ما خصص لذلك ، هو من موارد النفط .

وختم محاضراته ببحث سيامي اقتصادي ، وهو اشتراك سورية والاردن

ولبنان مع العراق في العمل ليصبحوا منطقة من العالم ، وان لبنان يلقى العنت من سورية ( ص ٢٥٠ - ٢٥٥ ) .

وقد قال في ذلك : « ونجد كيان العرب السيامي والعسكري في هذه المنطقة من العالم ، وفي العلاقات الدولية ، قائمة على تجمعهم في كيان ينظم أول الأمر ١٤ مليون من السكان ، لهم من الموارد الطبيعية والثروة المستقلة ، ما يساعد على سرعة بناء كياناتهم السيامي والعسكري على أحسن وجه وأقواء » ( ص ٢٥٤ ) . وقوله هذا هو من خطة الحكومة العراقية ( عام ١٩٥٥ ) بينما قد رأت سورية مصلحتها واتحدت مع مصر التي تكن لها أجمل المواظف ، والتي تربطها بها « روابط اقتصادية وقومية وتاريخية وعسكرية هامة لا انقصاص لها ، وما على العراق الشقيق إلا أن يندمج في الوحدة العربية .

في الحق أن الدكتور المحاضر ، قد توسع في استعراض اقتصاديات العراق ، وكان موفقاً في ذلك وقد أفاد طلبة المعهد ، وغير المعهد ، في الاطلاع على اقتصاديات القطر العراقي العربي ، ولو أنه توسع أيضاً في انتقاداته للحكومة العراقية ( آنئذ ) فيما يتعلق بضعف الاقتصاد القومي ، وعدم أخذها حصة كافية من النفط ، وقلة عدد المدارس والأطباء رغم مواردها العظيمة من النفط ، لكان أسدى الى العراق خدمة جليلة ، إذ ينبه الشعب الشقيق الى تسبب وإهمال حكومته ، ويدعو الحكومة إلى العمل المجدي .

وصفة القول : ان هذه المحاضرات قيمة ، وجديرة بالتقدير .

منير الشريف



## آراء وأبناء



الأستاذ الرئيس خليل مردم بك  
(١٨٩٥ — ١٩٥٩)



## خليل مردم بك (١٨٩٥ — ١٩٥٩)

في صبيحة الثلاثاء الواقع في ١٥ محرم ١٣٧٩ هـ ، الموافق لـ ٢١ تموز ١٩٥٩ م ،  
 قضى رئيس مجعنا العلامة الشاعر الأستاذ خليل مردم بك ، إثر مرض لازمه  
 شهوراً ، فبكته البلاد ، وشيعه أعلام العرب ، ومشى وراء نعشه رجالات البيان .  
 وكان لنعيه رنة حزن وأمى في القلوب جميعاً ، لما كان عليه الراحل الفقيد من  
 مزايا نادرة وصفات باهرة في الخلق والأدب والنتاج . وبموته انطوى علم من  
 أعلام الجيل الماضي ظل خفاقاً منذ أهل القرن .

كان الفقيد نموذجاً رائعاً من رجال البيان لصدر هذا العصر في أدبه ونتاجه ،  
 يلز بالفحول من الشعراء في مصر والعراق ولبنان ، وبلحق بكبار الأدباء من  
 الصفوة المختارة ، رفع اسم بلاده عالياً ، وقضى حقها كاملاً ، وناضل في سبيلها  
 كل حياته ، فأصبح منارة يستضيء بها الجيل الصاعد ، وغداً أمثلة تحتذى  
 وسيرة تقرأ . فقد كان من الأوائل الذين استنساغوا الأدب الضخم والعبارة  
 الفخمة والشعر المتين ، عكف على تراثنا الخالد ، وأفاد منه ، وحببه إلى الناس  
 فخدم الأدب المعاصر خدمة لا تنسى ، وكان صلة الوصل بين القديم والحديث ،  
 جمع أطايب القول وأحسن الصور ، وعرضها في أجمل ثوب وأحسن حلي ،  
 وقامى في سبيل ذلك ما لا يقاسيه جيلنا من فقد المصادر ، وندرة الخزائن ،  
 وقلة الثقافة ، وضآلة التعليم ، وجفاف الينابيع .

كان القرن التاسع عشر بئس آخر سنيه ، شقياً بما شهد من ظلم وعسف  
 وضيق ، وكانت الأنوار تظهر حيناً وتختفي أحياناً . وفي سنيه الأخيرة ، قبل

أن يموت هذا القرن ، ولد خليل مردم بك حوالي سنة ١٨٩٨ <sup>(١)</sup> بدمشق ،  
 لأنب هو أحمد مختار مردم بك ، وأم هي السيدة فاطمة الحزادي ابنة السيد  
 محمود الحزادي مفتي دمشق وعلاقتها ، وصاحب التصانيف المعروفة من شعر ونثر .  
 ولم يكن له إخوة من الذكور ، وإنما كانت له خمس شقيقات ، فدفع به  
 أبوه إلى التعلّم ، وسلكه في مدارس ذلك الزمان ، وهي ضعيفة الثقافة ، فنشأ  
 الصبي كما نشأ أقرانه ، ودرج في مدرسة الملك الظاهر الابتدائية . ولكنه  
 ما كاد يتم الرابعة عشرة من عمره حتى فقد أباه ، ثم فقد أمه بعد أربع سنوات ،  
 فغدا في صدر حياته يتيم الأب والأم ، يسير بين أشواك الدنيا حذراً قلقاً  
 متردداً ، حياً خجولاً ، وكان المصيبة طبعته بطابع الصحة والحذر والسكون  
 ولازمه ذلك طوال حياته .

ومضى الشاب إلى إكمال تحصيله رغم بيمه ، يتم علمه على أساليب تلك الأيام ،  
 فأقبل على الحديث والفقه والنحو والصرف ، فدرس الحديث على المحدث الشيخ  
 بدر الدين الحسني ، والفقه على فاضل الشام الشيخ عطاء الله الكسم ، والصرف والنحو  
 على الشيخ عبد القادر الإسكندراني ، وهم علماء دمشق والمقدمون في مجالي  
 الثقافة والمعرفة ، فأفاد منهم ، وأخذ عنهم ، حتى علفت به أساليب القدماء وطرقهم ،  
 فوقف على العربية وهو ما يزال يزحف نحو العشرين من صفه ، وراح يقرض  
 الشعر ، ويتلوه بقوافيه ، يقلّد القدماء ويمجري على مننهم حتى أصبحت له  
 ملكة في الشعر ، فدار اسمه ولمع صيته في بلده .

وانقضت سنة ١٩١٨ بويلاتها وشروها ، وجلا الأتراك عن دمشق ،  
 فعين الشاب مميزاً لديوان الرسائل العامة ، ينتفع ما بين يديه من أوراق ،

(١) ذكر بروكلمن ٣/ ٣٥٦ في ترجمته للفقيه ، أنه ولد سنة ١٨٩٥ ، ولده لفلها  
 عن كاهنهم الذي استكتب أدباء دمشق سيرهم ، بأعلامهم . ولكننا نتابع في  
 حساب السنين ما كان الراحل يريد أن يجعله سنة لولادته في أوقاته الرجعية .

ويختار أشرف الألفاظ ، ويمارس الوظيفة مترقياً في مراتبها حتى أواخر سنة ١٩١٩ . وقد شهد خلال هذه الحقبة كثيراً من الرجال الرسميين عن كُتُب ، واستمع إلى أحاديثهم ، ورأى بعينه تاريخاً جديداً للأمة العربية يسطر ويكتب ، فاهتز قلبه للأعجاب ، وفتحت نفسه للمناصب ، وظل عمره كله يذكر تلك الحقبة السعيدة من سنيه ، ويتفنى بأنه رأى أمته تنشئ الحياة وتبني العز من جديد بعد ركود طويل . فأمن بعرويته ، وتعشق بطولاتها ، وسحر بتاريخها ، وأحب أن تعود كما كانت لنسابق النجوم ونصافح المفاخر ، فقال قلبه إلى الشعر الوطني ، وتغنى لسانه باستقلال العرب .

ولما دخل الفرنسيون دمشق ترك الوظيفة ، وانصرف عن خدمة القوم ، وتغلغل في قلبه كرههم ، وعرف بذلك كل حياته ، وعشق الشعر المهجري ، وأطال صحبته لإنتاج الرابطة في نيويورك ، فكان من ذلك أن أسس مع صحبه « الرابطة الأدبية » ، دخلها معه أدباء ذلك العهد ، وفيهم : محمد الشربقي ، ايفانوس ، شفيق جبري ، حيدر مردم بك ، سليم الجندي ، حليم دموس ، أحمد شاكر الكرمي ، قبلان الرباشي ، عبد الله النجار ، جورج ريس ، نسيب شهاب ، ماري عجمي ، عز الدين علم الدين ، نجيب الريس ، فخري البارودي وغيرهم . . . وعقد أعضاء الرابطة أول اجتماع لها في شهر آذار سنة ١٩٢١ ، ووضعوا قانوناً لجمعيتهم ، وانتخبوا خليل مردم بك رئيساً للجنة الإدارية وعمره ثلاث وعشرون سنة . وكانت الجمعية تعقد كل أسبوع اجتماعاً ، يلقي فيه أحد الأعضاء محاضرة في موضوع معين . ثم أنشأت الرابطة مجلة باسمها « مجلة الرابطة الأدبية » فكانت من خبرة الصحف لذلك الزمان في موضوعاتها وفي أسلوبها ، تختار أطايب القول في الشعر والنثر ، وترجم عن فحول الغربيين ، وتغنى باللغة ومفرداتها . وقد صدر العدد الأول منها سنة ١٩٢١ ، وفي صدرها شعارها : « انشاء جامعة أدبية تلم شملهم وتوحد قوتهم » .

وفي هذه المجلة نشر الفقييد شعراً ودراسات ، وكان الشعر في الغزل ، وهذه مطالع بعضه :

الهوى يأمي صعب فارحي من لك يصبو  
أما بنك فلبك مستطارا إذا ما البرق أومض واستطارا  
هل تذكرين بسفح دمر ساعة فيها اقتشرت بدني وفضل ردائي  
وهذه القصائد مشبوبة العاطفة ، مضطربة اللاوعة ، تمثل الشاب في هذه السن ، وقد تفتح قلبه للهوى وخفت ضلوعه للحنين ، وسالت في دروب حفظه أشعار البحراري وابن المعتز وقصائد العذريتين ، فكان صورة عنهم في الرقة والاسلوب وفي كثير من معانيه ، فقد سلك الشاب في حب الشعر القديم والتراث الخالد منذ هذه السن مسلكا عجيبا ، وعكف على المخطوطات ، وأخرج مع زملائه من أعضاء الرابطة كتاب « معاني الشعر » للأستاذاني ،<sup>(١)</sup> وطبعه بدمشق سنة ١٩٢٢ . ووفق بعد ذلك بكتب مقالات ودراسات في مجلة المجمع العلمي عن المخطوطات ونقد الكتب المحققة ، فكان لأساتيده القدماء فيما نظن أثر في توجيهه هذه الوجهة ، بل كان للمحققين في زمانه يد في هذا الحب ، وفيهم الشيخ طاهر الجزائري والأستاذ محمد كرد علي .

وظل الرجل يعمل للرابطة وحلقاتها ومجلتها حتى شعر المستعمرون أنه محور يقظة ، وموضع بحث فأغلقوا المجلة ، وحلوا الجمعية ، وانتثر العقد ووقفت الرابطة بعد أن قامت بنشاط منتج ، وأصدرت من المجلة نسمة أعداد سدت بها فراغا كبيرا .

\*  
\*  
\*

ولا شك في أن هذا النشاط وهذا الانتاج دفعا بالمجمع العلمي العربي إلى تقدير شاعرنا وانتخابه عضواً في المجمع<sup>(٢)</sup> ، فتقدم اليه برسالة عن « شعراء الشام

(١) طبع بنفقة الرابطة سنة ١٩٢٢ في ٢٠٨ صفحات .

(٢) انتخب في ٩ كانون الثاني سنة ١٩٢٥ .

في القرن الثالث» نمت على حذق وفهم وحب عميق للشعر الأصيل ، وعكوف على هذه الطبقة المختارة من شعراء العرب ، ظل فقيدا يغذيها بقراءاته وبحوثه ، وجهوده في جمع الدواوين طوال عمره حتى كاد يستكمل حلقة الشعر في الشام منذ القرن الثالث حتى السابع . وقد نشر دراسته هذه في مجلة المجمع<sup>(١)</sup> أولاً ، ثم طبعها على حدة في كتاب صدر سنة ١٩٢٥ .

وهكذا احتل الرجل مقعداً من مقاعد الخالدين . وكانوا خلاصة الأعلام وسادة الثقافة والبيان ، ينظر إليهم العرب في أقطارهم على أنهم معقد الأمل وحسن العربية ومصنعا الضخم ، عنهم تصدر المقالات الرصينة ، وفي دارهم تعقد الندوات الأدبية الرفيعة ، ويبدع تحرراً أدنى مجلة علمية نشأت مع الاستقلال العربي . وما زالت كذلك إلى اليوم نطيف على عالمنا كوؤوس المعرفة صافية ، ودراسات الأدب نقية ، خالية من شوائب العصر ، بعيدة عن السياسة كل البعد ، حتى غدت منارة وحدها بين صحف تولد وتموت ، وتظهر وتطوى ، ولكنها كالمجمع نفسه جبلت على الخلود ، والخلود لا يمسه عيب ولا يلحق به نقصان . وكان هذا المجمع مثلاً ناجحاً احتذاه علماء القاهرة وبغداد ، فأنشؤوا في كل من الحاضر تين مجماً ومجلة ليسيروا بها على غرار دمشق .

وفي هذه المجلة نشر الفقيه مقالات يجب أن تجمع ليوم ذكره ، كما فعل في جمع مقالات غيره ، فقد كان الرجل مثال التواضع والنفاني فصرف همهته إلى دواوين غيره ومقالات زملائه ، ولا يصح أن ينصرف زملاؤه عن العمل لمقالاته ودراساته .

وفي هذه السنة نفسها ( ١٩٢٥ ) نشر فقيدا « كتاب وقف الوزير لالا مصطفى باشا » وكتاب وقف فاطمة خاتون بنت محمد ابن السلطان الملك

(١) انظر مجلة المجمع سنة ١٩٢٥ ( ص ٢٩٤ وما تليها ) وكتاب شعراء الشام ، طبع دمشق سنة ١٩٢٥ ، في ٩٦ صفحة .

الأشرف قانصوه الغوري» وكتب على الغلاف : « وقف على طبعهما خليل بن أحمد مردم بك »<sup>(١)</sup> .

ولم تكن أعمال النشر والتحقيق والمقالة وحدها هي التي تسبب بوقت فقيدنا ، فقد كان يؤمن بأن للنضال عليه حقاً ، لذلك عاش حياته كلها بمحمل للأدب وبتغني بالثورة ، فهو في برزخين أبدأ ، ينتقل من هذا إلى ذاك ، كما ينتقل الطير من فنن إلى فنن ، فكان ينظم الشعر في الجبال كما ينظمه في خير وطنه وفي إثارة الشعب ورد الطفيان ودفع الظلم ، فكانت منه قصائد عاصرة نظمها في الوطنية والعروبة وطرد الفرنسيين ، ردتها دمشق وتغنت بها ، فلما نشبت الثورة السورية سنة ١٩٢٥ ، وقام اللهب والحريق والقتل في جنبات الغوطة الغناء وفي رحاب دمشق الفيحاء أرسل قصيدته المشهورة « يوم الفزع الأكبر » ومطلعها<sup>(٢)</sup> :

أمدّه الدمع حتى غاض جائده فن بأدمع عينيه يرافده  
فتناقلها الناس ، ونشرتها الصحف العربية ، وتلفت الفرنسيون إلى هذا النور ليطفئوه ، وأرسلوا في أثره يطاردونه ، ففر إلى لبنان ، واستخفى فيه بقرية « المروج » بمساعدة صديقه الشاعر أديب مظهر . وما علمت السلطة بوجوده هناك حتى راحت تلاحقه للقبض عليه ، فهرب إلى الاسكندرية سنة ١٩٢٦ ، ونزل عند شقيقته السيدة فائزة زوجة المرحوم الدكتور أحمد قدري (وهو من أعلام الثورة العربية ومن رجال فيصل الأول المقربين) .

وليث الفقيد في مصر أربعة أشهر كان لها أثر كبير في حياته ، فقد كان يقرأ عن بعد لأعلام المصريين ، ويستمع إلى أخبارهم ، ويتلف آثارهم ،

(١) طبع بدمشق على نسخ قليلة ، سنة ١٩٢٥ في ٣٠٠ صفحة .

(٢) انظر ديوان الثورة ، جمع محمد ياسين عرفة ، مصر ١٩٢٦ ، ص ١٢٤ .

ويشتاق إلى معادن العربية من مكانها ، فلما بلغ اليهم أنصل بالأعلام ، وعرفهم كما عرف من قبل رجال السياسة العربية في بلده . وقد عرفنا من أحاديثه الشخصية ما كان يلقى من إكرام وما يصيب من ود ، ورجوانه أن يسجلها لجيلنا ، فكان منه مقالان في ذكرياته مع حافظ إبراهيم بالإسكندرية وحلوان ، نشرهما في مجلة المجمع العلمي العربي <sup>(١)</sup> ، تحدث فيها عن شاعر الشعب في أدق عبثه وحر كاته .

وتأثر الفقيه من غير شك بجو الإسكندرية وثقافتها ، فمزم على الدراسة في الغرب ، وقرر أن يقصد إلى انكلترة ، فسافر إليها وانتسب إلى جامعة لندن ، ولقي فيها آفاقاً رحبة واستمع إلى كتاب الإنكليز ، وظل طوال عمره يذكر أثر ذلك ، وما كان من استماعه إلى ويلز وغيره من الكتاب الغربيين . ولبت في تلك البلاد أربع سنوات درس فيها الآداب وحصل على شهادة تعادل الدكتوراه . وقد كان لوقوفه على الأدب الانكليزي ورحلته في الغرب أثر هام في شعره . وظهر الأثر في قصائده : سكران وسكري ، والغوطة ، ويردى والرقص ، فجمع جزالة العبارة إلى براعة الصورة ، وأفاد من الشعر النحل في مصر ، واللون الغربي ، ووفق في الموسيقى والخيال ، وارتفع بالشعر الشامي المعاصر إلى مراتب الجودة والتوفيق .

وعاد إلى دمشق سنة ١٩٢٩ مشوقاً ظمآن إلى ربوعها ومواطن صباه ، والجراح تحت ردايته لما أصابها من نكبات وهزات ، فاستقبلها بقصيدة لعلها من خير شعره :  
حيا فيها عاصمة بني أمية ، وجمل عنوانها « سلام على دمشق » قال في مطلعها :  
تلاقوا بعد ما افترقوا طويلا فمالمكوا المدامع أن تسبلا  
فاهتزت مشاعر قومه ، وصفق له الأدياء ، ورأوا فيه شاعراً ألان القوافي ليراعته ،

(١) انظر مجلة المجمع العلمي بدمشق سنة ١٩٥٦ ( ص ٣٥٣ - ٣٧٠ ) .

( ص ٥٢٩ - ٥٤٣ ) .

فأكبروه وأحلوه مكانة الود والاكرام . وعيّن مساعداً لرئيس الأدب العربي في الكلية العلمية الوطنية ، وظل فيها تسع سنوات من ( ١٩٢٩ - ١٩٣٨ ) وفي هذه الكلية تخرج على يديه أدباء وعلماء سلكوا في دروب المعرفة ، ورفعوا بلدهم في مختلف الميادين ذكراً لا ينسى .

وفي سنة ١٩٣٣ حنّ من جديد إلى الصحافة الأدبية ، فأصدر مع الدكتورة جميل صليبا ، وكاظم الداغستاني ، وكامل عياد مجلة « الثقافة » جاء في مقدمتها كلام يبين عن بعض أهدافها : « للأدب أبلغ أثر في تكوين هذه الثقافة ، فهو روح النهضة ، ومظهر حياة الأمة ، ولقد طفت عليه جلبة السياسة في هذه الأيام حتى كادت تخفّص صوته في ضوضائها ، فأصبح من الواجب إقائه من عثرته والأخذ بيده ، وتقديس حرمة ، وانتهاج طريق واضح له في الدراسة والوضع » . وهذه السطور تغني عن شرح كثير في وصف الحال ورسم البواعث التي أهابت بالفقيد ورصفائه إلى إنشاء هذه الصحيفة .

وكانت « مجلة الثقافة » صورة للصحف الراقية في بحوثها ومقالاتها وصورها الفنية ، تختار الشعر الجميل والقصص البديع والترجمات الحسنة . وكان للفقيد فيها شعر ونثر ، كما كان في مجلة الرابطة من قبل . ولكنّه هنا أبلغ وأحسن ، فقد صار الفقيد يخطي نحو الجمال والاتقان ، وأصبح يفهم الشعر على أحسن ما تفهمه الآداب الراقية . وكتب مقالاً نشره في هذه المجلة اتخذته دليلاً على أسلوبه في الكتابة والنثر ، وشاهداً على ما نقول من فهمه لرسالته في الأدب قال <sup>(١)</sup> : « الشاعر : مخلوق خالقي ، وروح خالده ، يصور من خفقات قلبه وخلجات ضميره وإبداع فكره أشباحاً ينبفخ فيها من روحه فإذا هي من الخالدين . ملك أو جني ، هبطت روحه من عالم الغيب ، فتمثلت بشراً سوياً ، فهو مع بني الإنسان ،

(١) انظر مجلة الثقافة بدمشق ، تموز ١٩٣٣ ( س ٣١٧ - ٣١٨ ) .



ولكنه غريب عنهم ، فما يزال يصبخ إلى هينمة الملائكة في السماء أو عزرب  
الجن في الصحراء ، ويستشف من وراء الأفق عالماً نورانياً ، ويتبين في الجو  
مسارح أنه الأولى ، ومعاهد هواه القديم :

لا بنة الجني في الانس طلل . . . .

فهو يقظان حالم ، أنكر الناس أمره وحاروا في شأنه ، وقالوا : شاعر  
أو مجنون .

« بأنس بالوحدة لأنه من نفسه في عالم ، وبوثر السكون لسمع جالجلة  
الوحي وأصداء الأرواح ، ويسكن إلى الظلام لبشاهد الرؤى والأشباح ،  
ويغمض عينيه ليرى ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى » .  
وهذا أسلوب جميل ، يجري بغير تكلف ، ويتنبس من القرآن الكريم ،  
ويسو في فهم الشاعر ، لأن كانه يصف نفسه في حال الوحدة والسكون  
حين يصطاد خفقات قلبه وما يحبك في صدره وما يشع في بصره وما يفيض  
من عينيه . والذين أطلوا الاستمتاع بمحدث الفقيه وسكروا معه بكؤوس  
الصدقة هم الذين يعرفون كيف كانت تحوم أشباح الشعر حول عينيه وبصره وفمه ،  
وهو الذين يعرفون نشوة الشاعر حين يحس أضلاعه تهمس همساً ألد من نسمات  
الصباح على أوراق الشجر مع أوائل النور ، يجوس خلالها الشعر وتطرق القوافي ،  
فينشرح صدره وتضحك عيناه .

والأدباء الذين قرأوا الشعر المعاصر يعرفون أن شعر الفقيه كان يحوم حول  
جمال الكون ، وفتنة المرأة ، وجلال الدين ، وعظمة الحربة ، وكرامة الوطن .  
ويعرفون أنه كان ينسج من خيوطها قصائده منذ افتر شبابه حتى خبا آخر شعاع  
في عينيه ، فكانت أغاني وألحاناً أسلمها إلى كرايس دفن فيها أقدس أمراره ،  
ولم يفضح منها إلّا ما ارتضى خطبته وإشاعته <sup>(١)</sup> .

(١) هذه الكرايس يقوم بمحنا العلمي بطبعها ونشرها إحياء لذكراه .

وفي هذه الكراريس ألوان من الشعر والخيال ، لبس هنا مكان الافاضة فيها ، فهي تلم بصور الغزل على ألوانه ، منه اللتين ومنه العنيف ، وفيه القبل تترى والأشواق تنساب ، فتلحق بالرومانسية الأوروبية ، وتتصل بالأساليب العباسية ، وهي في كثرتها كسعر العذربين ، أو الغزلين المتعفين يسقط على القبله ولكنه لا يهوى إلى ما بعدها ، فيقول :

فكأننا إذ ذاك زوج من قطا بطاعمات بروضة غناه  
قد كان في طوقي بلوغ مآربي لولا زواجر عفة وحياء

وهذا يذكرنا بالعباس بن الأحنف أو بأبي فراس الحمداني ، حين بقدر العاشق وبغف . وهذه الكراريس تنص بالصور الفاتنة في وصف دمشق وغوطتها وأبنائها وجبالها ، وليلها ونهارها ، وما فيها من مؤذن وأذان ، وما في أعيادها من ضحايا تلح فيها مدبة الجزار ، وما في الجو من فواش ، وما في الأرض من زنبق . وهو في ذلك كله مؤمن أعمق الإيمان بالله ونبئ يقول فيه :

شب أمياً ولكن نال في العلم الإمامة

وهو وطني مخلص لعروته وبلاده ، بكرم الأبطال في ميسلون فيناجي « يوسف العظمة » :

غضبت لامة منها « معد » فأرضيت العروبة والإلهسا  
فيالك رافداً نهبت شعباً وأبقت النواظر من كراها

وبكرم دمشق في الثورة التي ألهمتها وبغيتها إثر عودته من لندن :

دمشق ولستُ بالباغي بديلاً وعن عهد الأسحة إن أحولا  
ذكرتُك والهيْبُ له وميضٌ يشتر من شقائه ذبولا  
له وهج إذا وازاه طير رماه ولو علا في الجو ميلا  
وأمرت الرصاص فكان وبلاً شديد الوكف منهجراً ويلا

ولعله في هذا الشعر القليل الذي روينا يشير بنفسه الى طريقته وأسلوبه ، فما يحوجنا إلى دليل أو تحليل ، بل لعله إذا جمع إلى النثر الذي بسطنا وهو قليل كذلك ، بكفي لرمم صورة عن أدبه وقد اشتهد عوده واستند ساعده ، ونضج فنه .

وخلال هذه السنوات السعيدة الخصبه ( ١٩٢٣ - ١٩٣٩ ) التي كان بدرّس فيها الأدب العربي بالكلية العلمية - كما قلنا - راح يؤلف الدراسات الأدبية ويترجم انحول الأدباء القدماء ، فأصدر عدداً من الكتب جعلها بعنوان : « أئمة الأدب » ، ونشر منها خمسة : « الجاحظ » ، وابن المقفع ، وابن العميد ، والصاحب ، والفرزدق » <sup>(١)</sup> وهي دراسات مبسطة تجمع حياة الشاعر إلى مختار شعره ، وتعرضه عرضاً واضحاً وموفقاً تمين طلاب البكالوريا وتفتح باباً للكتب المدرسية في الأدب العربي ببلادنا .

\*  
\*\*

ووقعت الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ ، وقد جاوز الفقيه الأربعين من العمر ، وعرفه العالم العربي ، وأكبره قومه ، واحتل بين إخوانه في المجمع مكانة سامية ، فانتخبوه أميناً للسنة ١٩٤١ ، وراح يعمل سجابة أيامه مع الرئيس الأسبق المرحوم محمد كرد علي في انسجام وصفاء .

وكانت المجالس الصباحية في المجمع أشبه بمجالس القدماء تطوف فيها كؤوس النوادر الأدبية ، والصفحات العلمية ، فكان الصبوح في « دائرة الخالدين » أشهى ما يشرب الناشئة وألذ ما يعالج الشيوخ ليومهم . وكان الحرب ما دارت منها رحي ، وكان ظلام الدنيا ما اختلف إلى هذه العقول النيرة ، وعاش الرضي

(١) الجاحظ ٩٦ صفحة - ابن المقفع ٩٦ صفحة - ابن العميد ١٤٤ صفحة -  
الصاحب ٢٥٦ صفحة - الفرزدق ١١٢ صفحة ، وكلها من القطع المتوسط .

بين جدران « المدرسة العادلية » <sup>(١)</sup> شهوراً جميلة أعاد إليها جهاد العلم ، وانتصار الثقافة ، وسمو الانتاج .

وفي سنة ١٩٤٢ ، شادت الحكومة أن تحتطف العلامة الأديب من جدران المجمع لتجمله وزيراً للمعارف في ظروف فلكة ، فترك ما بين يديه من دواوين إلى حين . ولكنه عاد بعد ذلك إلى أمانة السر لتقرر به عيوت الأعضاء ، ويفرح به الرئيس الجليل .

ومنذ سنة ١٩٤٦ ، أصبح العلامة الفقيد يحيا حياة جديدة أحياها منذ صباه ، وهي المكوف على المصادر القديمة ، واحياء الشعر الشامي بترنم به ويتغنى ، ويبحث وينقب ، حتى عرف كل حي من أحياء دمشق في قديمه وحديثه ، وأتقن كل لفظة دمشقية جاءت على لسان الشعراء قبله ، فغدا مرجعاً وثقة في هذا ، كما كان رئيسه ثقة في تاريخ الشام وحضارة الإسلام . والذين يتذوقون الأدب القديم ويعشقون الرحلة في مطاويه ، ويصبرون على التجوال في هوامش الكتب يجدون في تعليقات علامتنا سطوراً لا تضاهيها صفحات كثيرة ، ففيها من اللذة والجمال ما ليس في كتابات كثير من المعاصرين المجددين المتأدبين ، فهي حدائق من الأدب لا يسعو إليها خيالهم ، ولا تحملهم إليها قوائيمهم .

وهذه التعليقات نجدها في الدواوين التي حققها فقيدنا واحداً إثر واحد على كمال متصاعد ، ما يزال يحسن فيه حتى يبلغ الذروة . فقد حقق ديوان ابن عنين الدمشقي سنة ١٩٤٦ ، وديوان علي بن الجهم سنة ١٩٤٩ ، وديوان ابن حيوس سنة ١٩٥١ ، ثم ديوان ابن الخياط سنة ١٩٥٨ . وطبعها كلها المجمع العلمي بدمشق ، وصدرها علامتنا بمقدمات ودراسات تقارب كل مقدمة منها خمسين صفحة ، لو جمع بعضها إلى بعض ، ولو جردت من صدور الدواوين

(١) مقر المجمع العلمي الرمي منذ نشأته إل اليوم .

لكانت تاريخاً للأدب في الشام ، بكل الدراسة التي أنشأها عن القرن الثالث للهجرة في صدر شبابه . فقد كان الفقيه ، منسجماً مع ماضيه يسير على خط مستقيم في عمله ، يعرف كيف بدأ ويعرف كيف يتم ، لا يصرفه نقد بعض المنتظمين لأعماله وأعمال المجمع ، ولا يغضبه قولهم فيه ، فهم يرون أن التحقيق والنشر من العبث والترف ، ويظنون أن الأدب كل الأدب قصة تنشر وقصيدة تخطر ، ومقالة تزوج ، وخطبة تلقى فحسب .

وقد كان الفقيه يلتقي عند المستشرقين أكباراً وأعجاباً وثناً لو جمع بين ذكره لأغنى القائلين في مدحه ، كما كان يلتقي عند رصفائه من أعضاء الجامعات العربية والدولية أكباراً وثناً ، فتماقت عليه الجامعات العلمية والمدارس العالية تهدي إليه عضويتها ، وتلتبس إليه قبول الانتساب إليها . فانتخبه مجمع اللغة بمصر عضواً سنة ١٩٤٨ ، والمجمع العلمي العراقي عضواً كذلك سنة ١٩٤٩ ، ومدرسة الدراسات الشرقية بلندن عضواً سنة ١٩٥١ ، ودائرة المعارف الإسلامية للمستشرقين عضواً في تحريرها سنة ١٩٥١ ، ومجمع البحر المتوسط في بالرمو عضواً سنة ١٩٥٢ ، والمجمع العلمي السوفياتي عضواً سنة ١٩٥٨ .

وفي سنة ١٩٥١ ، عادت إليه الحكومة السورية لتدعوه الى تسلم منصب وزير مفوض لها في بغداد ، فسافر إليها وكان فيها موضع الحب والتقدير ، وغدت دارتنا هناك ملتقى العرب الأعلام .  
وفي سنة ١٩٥٣ اخير وزيراً للخارجية .

وفي السنة نفسها ، انتخب رئيساً للمجمع العلمي العربي بدمشق ، فبلغ أعلى ما يطمح إليه عالم وأديب ، وقضى أماني قلبه ووثبات روحه واشراقه نفسه ، وأصبح في الذروة تعقد عليه الآمال وترنو إليه الأبصار .

فلما انصرف عن السياسة والمناصب ، عاد الى المجمع العلمي ليسير بمنشوراته العلمية صيرة مجامع الغرب ، فاطرد العمل ومضت الحلة في ثوبها الجديد ، تذب

في قوة وجلاء حتى قطعت إلى اليوم من عمرها قرابة أربعين سنة ، وقد كان فقيدنا يقطعها أجمل ساعاته ويخصها بأخص عنايته ، يكاد يقرأ مقالاتها كلها قبل النشر ، ويراقب ترتيبها ، ويبحث على المضي في طبعها وتصحيحها ، وإخراجها في نظام موفوت ، فكانها قطعة من حياته ، كما كانت قطعة من حياة صله قبله .

أما مطبوعات المجمع فكانت يعمل لها في جد متواصل ينظر فيها وبدقة كأنها بقلمه ، وكل راجع أصحابها وزودهم بما يعرف من أمور ، واشترك معهم في التعليق والتصويب . وكان بهذا الحرص المتواضع والجهد الدائم يدفع الشباب إلى العمل ، ويجب برسالة المجمع ، ويستزبد من الأصدقاء ، ويجمع حوله القلوب .

ولم يكن يدفع إلى الإنتاج فحسب ، وإنما كان يضرب الأمثال بنفسه ، فيجهر المقالات في دراسة الأدب ونقده وتحقيق نصوصه كما كان يفعل منذ أول نشأته في « الرابطة الأدبية » . فهو في السنين من عمره كما كان في الخامسة والعشرين ، يعشق الأدب ، ويميل إلى التحقيق ، فيقبل على شعره يسجل همسات خاطره ، ويقبل على شعر أهل الشام فيمضي به ، وكان آخر إنتاجه « ديوان ابن الخياط » - الذي ذكرناه - أتمه قبل عام من وفاته على أحسن ما يصنع المحققون في العالم العربي ، فحشد له ثمانين نسخ خطية ، جمعها من أطراف الدنيا ، وصار في التعليق عليها وموازنتها سيرة لا انقطاع فيه ، فإذا خلا من زواره انقلب إلى عمله يرمم بخطه الجليل أبيات الشعر ، كما رمم غيره من الدواوين لا يعتمد على ناصخ أو ناقل ، فكانه في الثلاثين من عمره جداً وجهاداً ، لا يفتر ولا يني ، حتى ملك الإتقان في هذا الديوان ، وكان لنا شرف الحديث عنه في مجلة المجمع <sup>(١)</sup> ، فألمعنا إلى أياديه على الجليل في هذا الكتاب وفي غيره ، وبسطنا خطنه في تاريخ الأدب العربي لإقليمنا - كما قلنا - ورجونا أن يتم

السلسلة إلى القرن السابع الهجري حيث وقف الشعر العربي عن قبض إبداعه .  
ولو قد مد الله في عمر الفقيه لعمد إلى طبع ابن منير الطرابلسي وابن القيسراني ،  
وقد حدثني عنها ، وأطال في الشوق إلى اخراجها ، فوفر لها النسخ والمصادر  
ولكن المنية بالمرصاد للنفوس الكبيرة الجاهدة التي تستقل ساعات الحياة دون  
تحقيق مشاربها الضخمة .

ولعلّ هذا الإجهاد من غير راحة بعد بلوغه الستين قد أضر بجسمه ، فأورده  
موارد المرض والعلّة ، فأقعده عن السعي إلى المجمع ، فافتقده إخوانه وصحبه  
ومكثر ، وراوا مكانه خاليًا لا يستد ، فلا مرجع يرجعون إليه ، ولا مشير  
يعلقون على رأيه الأمل . فقد كان مستودع الأُمُمرار ، شديد الحرص عليها  
وفيا لصحبه ، جميل التواضع ، كأنّ الشعر الرفيع سكب عليه برداً من أجل  
أبراده ، فكساه بأجل الحلي وزينه بأقنى الصفات . فقد كان رحمه الله صورة  
للرفقة في حديثه ومجلسه ، ما تنقطع بشاشته عن خديته ، حتى لكأنه ورد الربيع  
بنشر العطر ، ويمجّحل الذكر وبكسو الحديث أطيب النكهة . فما عرفنا أن  
لسانه الحيّ المتروّد انطلق مرة إلاّ في خير الناس وتقع الأدب ، وخدمة المجمع  
ومجد العرب . وكانت عيناه الواسعتان تشعان أبداً بنور النبيل والحياء الجم  
والتواضع الجميل تفرحان للجمال ، وتضحكان للنكتة البريئة ، وتسهران غور  
الحدث ، وكان في حركاته مثالا للرجل الرصين الرزين الوقور ، على مر  
السنين : فني بانعا ، وأديبا ناشئا ، ومدرسا نافعا ، وعضوا عاملا ، ووزيرا  
مناوضا ، ورئيسا مخلصا ، تغلب في حياته على الفنى والجاه وتنقل في المراتب والمناصب ،  
فما أبطرت ولا أسكرته ، لأنّه كان فوق ما أعطته ، وكانت دون ما يستحق .  
ولهذا غدت سيرته في صحبه ورفقائه من أعضاء المجمع وأصدقائه الأُدباء  
نقحة عطر وأوراق زهر وصفحات خلود وسطور أبحاد ، ما يستطيع قلمها أدق

من قوة أن يرسم مبلغ صفائها وقائتها ، وما يبلغ بيان إلى وفائها حقها . فهي جوانب كثيرة لا يلم بها مقال معها طال ، لأنها أخذت من كل روض وجمعت من كل أفق فعدت باقية في الأعمار ، كلما كشفنا عن زهرة منها فاح عبق ، وكلما قلبنا ورقة منها ملأت وجه الأفق ، فهي سيرة تفيض على السنين التي عاشها ، ولا تعد الأعمار الكريمة بالأعوام ، ففي كل مرحلة من مراحل عبثه التي ألمنا إليها أثر كبير وخير كريم .

وقد حاولنا في هذه الصفحات أن نوجز في سيرته لنصف فاجعة المجمع العلمي العربي ، وحزن المجتمع ، وشكل الشعر وحداد الأدب ، وألم المهين والصحب والأهل ، فقد فقدوا شاعراً محققاً ، وأديباً محققاً ، ورئيساً لا يجارى ، وصديقاً وفيّاً لا يبارى ، وإماماً في التواضع والتبذل لا تنسى محامده على الزمان .

رحمه الله رحمة واسعة ، وألهمنا العزاء والسلوان على فقده .

الدكتور محمد سامي الدهان



## ترجمة جديدة

## لابن خداويردي

كان ابن خداويردي (واسمه محمد الراعي) من أدباء القرن الثاني عشر ألف كتابه المشهور «البرق المتألق في محاسن جلدق» ، وهو كتاب جمع فيه ما قيل في مدح دمشق ثراً ونظماً ، وكنا نشرنا له «أرجوزة في محاسن دمشق» ، وترجمنا له ترجمة موجزة في مقدمتها<sup>(١)</sup> ، لم نستطع يومئذ التوسّع بها لعدم وجود مصادر ترجمت له .

وكان من المفروض أن يترجم له المرادي . ولكننا لم نجد شيئاً عنه في ملك الدرر المطبوع .

ثم صور معهد المخطوطات العربية من مكتبة عارف حكمة بالمدينة المنورة نسخة مخطوطة من كتاب البرق المتألق . فوجدنا في أول صفحة منها ترجمة المؤلف منقولة من تاريخ المرادي . وهي ترجمة لطيفة . فأحببنا أن ننقلها هنا ؛ لأنها لا توجد عند المرادي المطبوع :

« هو محمد بن مصطفى بن خداويردي بن مراد بن ابراهيم الشهير بالراعي ، «بفتح الراء» ، الحنفي الدمشقي الكاتب المنشي الأديب ، أحد الكتاب الماهرين «بالفتون» . وُلد بدمشق في سنة تسم عشرة ومائة وألف ، وأنشأ بها ، وأخذ «الكتابة والمعارف عن أربابها» ، وتخرّج بذلك على يد محمد عاصم بن عبد المعطي «أحد أعيان الكتاب بدمشق» ، ومهر بصناعاتي النظم والنثر ، وصار يكتب «المخطوط المتنوعة كالرقعة ، والدبواني ، والفرمة ، والسياسة ، والفسخي ، وغير ذلك» . ويرع باللغتين الفارسية والتركية . وصار مقاطعياً بباب الدفتری «بدمشق» ، وكاتباً في أوقاف الحرمين المحترمين . وكان يغلب على شعره الهجو .

(١) انظر مجلة البع العلمي العربي ، المجلد ٢٧ (سنة ١٩٥٢) ص ٢٢٥

« وله أهاجر في الناس كثيرة ، ونكت ونوادر مقبولة ، وفي آخر أمره تراكت  
 « عليه الأمراض والعلل والأكدار ، وفل ما ييده ، الى أن مات .  
 « وله من الآثار البرق المألق في محاسن جلّلت يحتوي على ذكر دمشق  
 « ورياضها وغياضها ومياها ، ورسائل أخر في الأدب ، وشعره كثير .  
 « وكانت وفاته في يوم الثلاثاء خامس صفر الخير سنة خمس وتسعين ومئة وألف .  
 « رحمه الله تعالى .

« انتهى ملخصاً من تاريخ جناب المولى الهمام العالم الإمام السيد محمد خليل أفندي  
 المرادي المتقي بدمشق الشام » .  
 وهذه الترجمة تبين لنا أطرافاً من أحوال ابن خداويردي ، وتدلنا على أن  
 تاريخ المرادي المطبوع نادر ، الدكتور صلاح الدين النجد



### هدية مخطوطات

أهدى الى دار الكتب الوطنية ( الظاهرية ) فضيلة الأستاذ المرحوم  
 الشيخ محمد جميل الشطي مجموعة من المخطوطات الثمينة هذا ثبتها :

العدد

- |   |                                                     |
|---|-----------------------------------------------------|
| ٢ | شرح القافية لعبد الحلي بن أحمد بن العماد الدمشقي    |
| ٦ | شرح الجامع الصغير لعبد الرؤوف المناوي المصري        |
| ٦ | شرح الاقناع بخط مؤلفه منصور بن بونس البهوتي الحنبلي |
| ٣ | شرح المنتهى لمؤلفه منصور بن بونس البهوتي الحنبلي    |
| ٤ | الانصاف في معرفة الراجح من الخلاف لعلي المرادوي     |

٢١ المجموع

وكذلك أهداها الأمير جعفر والأمير إدريس الحسني الجزائري المخطوطات التالية وعددها ثلاث وسبعون مخطوطاً :

| اسم الكتاب                                                                                  | المؤلف                                   |
|---------------------------------------------------------------------------------------------|------------------------------------------|
| تحفة البررة في المسائل العشرة                                                               | أحمد بن علي بن المهذب بن نصر الخواري     |
| شرح النموذج في النحو                                                                        | محمد بن عبد الغني الازديلي               |
| رقائق الحقائق في حساب الدرج والدقائق                                                        | محمد سبط المارديني                       |
| الصلاة الأحذية على الذات الهاشمية                                                           | محمد نسب الجزاوي                         |
| تحفة الانساع بوله حسن الأخلاق والطباع                                                       | الصدر القنوي                             |
| شرح الشجرة النعمانية                                                                        | محمد الحفناوي                            |
| مجموع أوله رسالة على رسالة الوضع                                                            | أبو علي بن سينا                          |
| كتاب النجاة في العلوم الحسكية                                                               | الأمير أحمد بن الأمير عبد القادر الحسني  |
| حاوي المختصرات في العمل بربع المقنطرات                                                      | عبيد الله محمد بن أحمد بن جعفر           |
| تفسير غريب القرآن                                                                           | السقطي البغدادي                          |
| تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد                                                                | محمد بن مالك الطائي                      |
| اختيار المختار في كشف الأسرار                                                               |                                          |
| رسائل في العقيدة الدرزية أولها رسالة التنزيه                                                |                                          |
| شرح الحكم                                                                                   | محمد بن عباد النفري                      |
| شرح قصيدة ابن حبيب الصفدي                                                                   | علي بن عطية الملقب بعلموان الحموي الهيني |
| تحفة الأكماس في حسن الظن بالناس                                                             | عبد الوهاب بن محمد بن علي بن أحمد ٠٠     |
|                                                                                             | ابن سلطان تلمسان                         |
| مجموعة رسائل وأشعار                                                                         |                                          |
| شرح قصيدة محمد العربي بن يوسف الفاسمي في الزكاة عبد العزيز بن الحسن بن يوسف بن مهدي الزياتي |                                          |

| المؤلف                                | اسم الكتاب                                                                   |
|---------------------------------------|------------------------------------------------------------------------------|
| عبد الرحمن الخبازي                    | عيون المذاهب الكمالية المظفرية                                               |
| القشيري                               | شرح أسماء الله الحسنى                                                        |
|                                       | الفتح المبين شرح الأربعين                                                    |
| محمد بن أبي الفضل قاسم المرعي النونسي | تذكرة المعجبين في أسماء سيد المرسلين                                         |
| النجم الغزي                           | مجموع أوله رسالة شرح لامية ابن الوردي                                        |
| القاضي عياض                           | شرح حديث أم زرع                                                              |
|                                       | تلخيص المفتاح ( في علم البلاغة ) ( الأول من مجموع )                          |
|                                       | رسالة في الفقه والفروض والواجبات والنوافل عبد الله بن أبي زيد القيرواني      |
|                                       | الدر الحسان في اختصار كتاب التبيان شرح مورد الظمان ( مخرومة في بعض المواضع ) |
| محمد البركوي                          | الطريقة المحمدية                                                             |
|                                       | مجموع أوله مشتمل العقول في منتهى النقول                                      |
|                                       | موصل الطلاب الى قواعد الإعراب ( شرح القواعد ) خالد بن عبد الله الأزهرى       |
| عصام الدين بن محمد                    | شرح السمرقندية                                                               |
| مصطفى البكري                          | مجموع أوله أورد البكري                                                       |
|                                       | مجموع أوله سلك طريق العمل وفيه عندليب المناظرة                               |
| عبد السلام اللقاني                    | إتحاف المرید بجمهرة التوحيد                                                  |
| الشيخ علي الحلي                       | فرائد العقود العلوية لحل ألفاظ الأزهريّة                                     |
| خالد بن عبد الله الأزهرى              | تمرين الطلاب في صناعة الإعراب                                                |
| سعد الدين عمر التفتازاني              | مختصر شرح تلخيص المفتاح                                                      |
| عبد الله محمد القزويني                | عجائب المغلوقات وغرائب الموجودات                                             |
| أحمد بن غلام الله الكوم الربيعي       | اللمعة في حل السبعة ( مختصر نزهة الخاطر )                                    |

| المؤلف                                                                   | اسم الكتاب                                                                                                                                                                                     |
|--------------------------------------------------------------------------|------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| محمد بدر الدين                                                           | كانات على نظم الصغرى لؤنكري (البدور<br>الجليلة شرح نظم السنوسية)<br>تلخيص المفتاح في علم البلاغة<br>مجموع أوله شرح السلم المروني<br>كشف السر الغامض شرح ديوان ابن الفارض<br>عبد الغني النابلسي |
| عبد الله بن محمد الكردي البيتوشي                                         | صرف العناية في كشف الكفاية                                                                                                                                                                     |
| محمد بن ابراهيم التتائي                                                  | غرة الأبصار على الثلاثة الأذكار                                                                                                                                                                |
| عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المصري                                       | شرح الزرقاني على متن العزبة                                                                                                                                                                    |
| ان اذا ظرف فيه معنى . .                                                  | كتاب في النحو ( مخروم الأول ) أوله . .                                                                                                                                                         |
| مصحفي البناني                                                            | حاشية البناني على هوامش الصبان على شرح<br>التلخيص للتفتازاني ( الأول )                                                                                                                         |
| المذكورة علمنا معرفة النجس . . .                                         | كتاب في الفقه مخروم الأول والآخر أوله . .                                                                                                                                                      |
| النفس نشيطاً وإلا أصبح                                                   | كتاب في الحديث مخروم الأول والآخر أوله . .                                                                                                                                                     |
| خيث النفس كسلان . .                                                      | خيث النفس كسلان . .                                                                                                                                                                            |
| محمد البناني                                                             | تجريد البناني من هوامش الصبان على شرح التلخيص مصطفى بن محمد البناني                                                                                                                            |
| محمد التتائي                                                             | القرآن الكريم                                                                                                                                                                                  |
| محمد التتائي                                                             | الدرة البهية شرح المقدمة القرطبية                                                                                                                                                              |
| وقد علمت بكنه ذلك عدنان وقحطان                                           | كتاب في النحو مخروم الأول والآخر أوله . .                                                                                                                                                      |
|                                                                          | ( وهو شرح قصيدة )                                                                                                                                                                              |
| حواش على عمدة أهل التوفيق شرح عقيدة أهل التوحيد الحسن بن مسعود البومبي   |                                                                                                                                                                                                |
| حاشية الكمال بن أبي شريف على المحلى ( الدرر اللوامع في شرح جمع الجوامع ) |                                                                                                                                                                                                |
| الخامس من القسطلاني أوله فضائل النبي ( ﷺ )                               |                                                                                                                                                                                                |

## المؤلف

## اسم الكتاب

الثالث من صحيح مسلم

شرح مقصورة أبي الحسن بن حازم الأنصاري محمد بن أحمد بن محمد الحسني الفرناطي

فتح الباري على صحيح البخاري (الأول) ابن حجر

المنصف من الكلام على مغني ابن هشام أحمد الشعي الخني

السيرة النبوية (مخرمة الأول)

كتاب في الحديث مخروم الأول أوله : ابن الخيار أخبره أن المقداد ٠٠٠

إكمال الأكمال (الثالث) الابي (شارح مسلم)

عنوان النفاسة في شرح ديوان الحماسة (الأول)

(مخرمة الأول) ابن نلكور ؟

كتاب في الفقه كتب عليه الجزء الثامن الاجور

كتاب في الحديث مخروم الأول أوله ٠٠ ان الشياطين تأكل حقيقة ٠٠

جزء من الجامع الصحيح أوله ٠٠ كتاب الحج البخاري

شرح مقامات الحريري أحمد بن عبد المؤمن ٠٠ القيسي الشريشي

القواعد الكبرى ابن عظموم

كتاب الخليل عبد المؤمن الدماطي

الأول من المناوي الكبير على الجامع الصغير

(فيض القدير) المناوي

مواد ابن حجر الهينمي

فنقدم إلى المهدين المشار إليهم أطيب الثناء والشكر على هديتهم النفيسة •



# الفهرس العام

## لمواد المجلد الرابع والثلاثين

منسوقاً على حروف الهجاء

الإمام الصادق عليه السلام (كتاب):

٣٧٦

الإمام محمد بن عبد الوهاب (كتاب):

٦٦٣

أنا والشعر (كتاب): ٣٥٨

انتخاب عضو جديد: ١٥٠

الإبلافا أو المعونات غير المشروطة: ٢٤٣

الائمة الاثنا عشر (كتاب): ٣٥١

(ب)

الحجر الزخار (كتاب): ٥١٢

بطولات العرب (قصيدة): ٤٢٥

(ت)

تاريخ قبعة الصخرة المشرفة والمسجد

الأنهي المبارك (كتاب): ٣٦٤

ترجمة جديدة لابن خلدون يردى: ٦٩٣

تعليق على مقال الأستاذ عبد الحلقى

عضيمة: ٣٨٣

تفسير القرآن الكريم (كتاب): ٣٥٣

(أ)

ابن حزم في أمهات الخلفاء (رسالة): ٢٩١

ابن الخطاط (ديوان): ٥٢٥، ١٢٧

أحمد شوقي (مهرجان): ٣٥

أمرار العربية لجمال الدين الأنباري: ٣٧٦

أمرار العربية (كتاب): ٦٢٠

أسماء الشهور في العربية: ١٤

أعضاء المجمع العلمي العربي الراحلون:

١٤٧

أعضاء المجمع العلمي العربي الراحلون:

١٤٥

أعضاء المجمع العلمي العربي الراحلون:

١٤٥

الأعلام (كتاب): ٥٢٤

أغلاط مطبعية: ٥٤٣

الإفصاح عن أبحاث مشكلة الإيضاح

لفناري: ١٩٢

اقتصاديات المراق: ٦٧٢

|                                        |                                         |
|----------------------------------------|-----------------------------------------|
| ( ر )                                  | توضيح الكافية الشافية ( كتاب ) :        |
| رسالة ابن حزم في أمهات الخلفاء : ٢٩١   | ٥٠٩                                     |
| ( ز )                                  | ( ث )                                   |
| الزجاجي ( ٣٠٢٤١ ) : ٢٥٦                | الثقافة الإسلامية في الهند ( كتاب ) :   |
| ٦٠٢ ٤٣١                                | ١٣٣                                     |
| ( س )                                  | ثقافة الأطباء عند العرب ( ٢٤١ ) :       |
| سحرة الشدياق : ٢٠٩                     | ٥٥٩ ٤ ٣٩٣                               |
| ( ش )                                  | ثلاث رحلات : ٣٨٥                        |
| شاعر العرب ( فصيحة ) : ٤٢              | ( ح )                                   |
| الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة | الحق الواضح المبين ( كتاب ) : ٥٠٩       |
| ( كتاب ) : ٣٤٩                         | الحياة الجنسية عند العرب ( كتاب ) :     |
| شرح الألفاظ ( ٢٤١ ) : ٤٤٧٤٢٧٣          | ٣٤٥                                     |
| الشيوعية والإسلام ( كتاب ) : ٦٦٨       | ( خ )                                   |
| ( ع )                                  | ( ٥٥ ) الف كيلومتر على دراجة نارية      |
| عبد الوهاب عزام ( وفاته ) : ٣٦٨        | ( كتاب ) : ٣٦٥                          |
| العرب والإسلام ( كتاب ) : ٥٢٤          | خليل مردم بك ( وفاته ) : ٦٧٦            |
| العلاقات الجوهرية بين اللغتين العربية  | ( د )                                   |
| والآرامية « السريانية » ( ٥٤٤٣٤٢ ) :   | الدراسات العربية في الاتحاد السوفياتي : |
| ٥٧٦ ٤ ٤٠٩ ٤ ٣٢٥ ٤ ٣٠                   | ٥٣٥                                     |
| علاوة خامسة من حياة شيخ الإسلام        | ديوان ابن الخطيب ( كتاب ) : ١٢٧٤        |
| ابن تيمية : ٣٧١                        | ٥٣٥                                     |
| العنوان في ضبط مواليد ووفيات أهل       | ديوان محمد النجار الشامي : ٥٤١          |
| الزمان : ٢٠٤                           | ديوان مومني الطالقاني ( كتاب ) : ١٣٨    |



معجم المصطلحات الطبية الكثير اللغات

( نظرة ) : ٦١٨٤٤٦٢٤٣٠٠٤٨٨

ملاحظات على الجزء الثالث من كتاب

الوافي بالوفيات (٢) : ١٩٨

منصور فهمي ( وفاته ) : ٥٣٠

منصور النري في الرشيد ( قصيدة ) : ٣

المنظمات الاقتصادية الدولية ( كتاب ) :

٥٢٧

مهرجان أحمد شوقي : ٣٥

موسى الطالقاني ( ديوان ) : ١٣٨

( ن )

نثر شوقي : ٦٦

نسخة تاسعة من ديوان ابن عني : ٥٨٦

نظرة في أعماق الإنسان ( كتاب ) : ٥١٨

نقرة إمامين عن الرواية والقصة : ٥٥٨

( هـ )

هدية مخطوطات : ٦٩٤

( و )

وجوب التعاون بين المسلمين ( كتاب ) :

٥٠٨

الوصف والغزل في شعر شوقي : ٤٨

الوطن العربي ( كتاب ) : ٥٢٣

( ف )

فتح الغفار ( كتاب ) : ٥١٥

( ق )

قبور العظماء في دمشق : ٦٤٦

قصيدة منصور النري في الرشيد : ٣

قضايا الفكر في الأدب المعاصر

( كتاب ) : ٥٠٧

( ك )

كتاب النفس لابن باجة الأندلسي

( ٨٦٧٦٦٥ ) : ٢٣٢٢١١٢

٦٢٤٤٤٩٠

كلية الدكتور جميل صليبا في جلسة استقبال

الدكتور محمد كامل عياد : ١٥١

كلية الدكتور محمد كامل عياد : ١٦٥

( م )

محاضرات عن الأمير شكيب أرسلان

( كتاب ) : ٣٤٧

محمد النجار الشامي ( المحافظ ) : ٥٤١

مختارات مما لم ينشر من شعر المجتري

( ٣٦٢٦١ ) : ٤٧٩٤٣٢١٤١٠٠

مدى البحث في اللغة العربية : ٥٤٥

مستدرك على تصويبات في الوايف

بالوفيات : ١٩٦

# فهرس الأعلام

أي أسماء كتآب المقالات المنشورة في هذا المجلد  
منسوقاً على حروف المعاء

(س)

صاحبي الدعاء : ٣٥ ، ٤٨ ، ١٢٧ ،  
٦٧٥

(ش)

شفيق جبيري : ٤٢ ، ٣٠٩ ، ٣٤٥ ،  
٣٤٧ ، ٣٨٥ ، ٤٢٥ ، ٥٥٥ ،  
شكري فيصل : ٦٦

(ص)

صالح الأشتر : ١٠٠ ، ٤٧٩ ، ٣٢١ ،  
صلاح الدين النجد : ٢٠٤ ، ٢٩١ ، ٦٩٣ ،  
(ظ)

ظافر القاسمي : ٢٤٣

(ع)

عبد الرحمن سلطانوف : ٥٣٥ ،  
عبد الرحمن الكيالي : ٣٩٣ ، ٥٥٩ ،  
عبد العزيز المنجي : ١٩٢ ، ٥٨٦

(أ)

أبو محفوظ الكرم معصومي : ٢٧٣ ،  
٤٤٢

(ج)

جعفر الحسني : ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٥٢٣ ،  
٥٢٤ ، ٥٢٣ ،  
جميل صليبا : ١٥١ ، ٣٥٨

(ح)

حسن حسني عبد الوهاب : ١٩٦ ،  
حسن السقا : ٣٦٧ ،  
حسني سراج : ٨٨ ، ٣٠٠ ، ٤٤٦٢ ،  
٥١٨ ، ٦١٨ ،  
حسين علي محفوظ : ٥٢٥ ، ٥٤١

(خ)

خايل مردم بك : ٣

(ر)

رشدي الحكيم : ١٩٨

|                                  |                                  |
|----------------------------------|----------------------------------|
| ٣٨٣ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩ ، ٥١٢ ،          | عبد القادر الريحاوي : ٦٤٦        |
| ٥١٥ ، ٦٦٣ ، ٦٦٨ ،                | عن الدين التذوي : ٦٧٠            |
| محمد صغير حسن المعصومي : ١١٢ ،   | (غ)                              |
| ٣٣٢ ، ٤٩٠ ، ٦٢٤ ،                | غريغوريوس بولس جهنسام : ٢٠ ،     |
| محمد عبد الخالق عضيمة : ٣٧٦      | ٢٢٥ ، ٤٠٩ ، ٥٧٦                  |
| محمد كامل عياد : ١٦٥             | (م)                              |
| مصطفى الشهابي : ١٤ ، ٥٠٧ ، ٥٣٠ ، | مازن المبارك : ٢٥٦ ، ٤٣١ ، ٦٠٢ ، |
| ٥٤٥                              | محمد مهجة البيطار : ١٣٣ ، ١٣٨ ،  |
| منير الشريف : ٥٢٧ ، ٦٧٢          | ٣٤٩ ، ٣٥١ ، ٣٥٣ ، ٣٧١ ،          |

مركز تحقيق تكاملي علوم كبرى

## فهرس الجزء الرابع من المجلد الرابع والثلاثين

### صفحة

- ٥١٥ مدى التبعث في امة العربية . . . . . للأمر مصطفى الشاذلي . . .
- ٥٥٥ نظرة إمامين عن الرواية والقصة . . . . . للأستاذ شفيق جبري . . .
- ٥٥٩ ثقافة الأطباء عند العرب (٢) . . . . . للدكتور عبد الرحمن الكيالي .
- ٥٧٦ العلاقات الجوهرية بين اللتين العربية والآرامية { للطوران غريغوريوس بولس بيهام  
« المرافقة » (٥) . . . . .
- ٥٨٦ نسخة قاسمة من ديوان ابن عني (١) . . . . . للأستاذ عبد العزيز الميني . . .
- ٦٠٢ الزيناجي : حياته وآثاره (٣) . . . . . للأستاذ مازن المبارك . . .
- ٦١٨ نظرق في معجم المصطلحات الطبية للكثيرات (٤) . . . . . للدكتور حسني صبح . . .
- ٦٣٤ كتاب النفس لابن باجة الأندلسي (٨) . . . . . بتعليق الدكتور محمد صفيح حسن المصري .
- ٦٤٦ قبور الغطاء في دمشق . . . . . للأستاذ عبد القادر الزعاهي . . .

### التعريف والنقد

- ٦٦٣ الإمام محمد بن عبد الوهاب . . . . . للأستاذ محمد بهجة البيطار . . .
- ٦٦٨ الشريعة والإسلام . . . . . { . . . . .
- ٦٧٠ أسرار العربية . . . . . للأستاذ فوز الدين التوتخي . . .
- ٦٧٢ اقتصاديات الدراق . . . . . للأستاذ عزيز الشريف . . .

### آراء وأنبياء

- ٦٧٦ الأستاذ الرئيس خليل مردم بك . . . . . للدكتور سامي الدمان . . .
- ٦٩٣ ترجمة جديدة لابن خلدون يردى . . . . . للدكتور صلاح الدين المنجد . . .
- ٦٩٤ مدية غمطوطات إلى دار الكتب الوطنية ( الظاهرية ) . . . . .
- ٦٩٩ الفهرس العام مواد المجلد الرابع والثلاثين . . . . .
- ٧٠٢ فهرس الأعلام ( أي أسماء كتاب المقالات المنشورة في المجلد الرابع والثلاثين ) . . .